خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٥٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠





من ١٣٧٧هـ
الى ١٣٧٨هـ

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

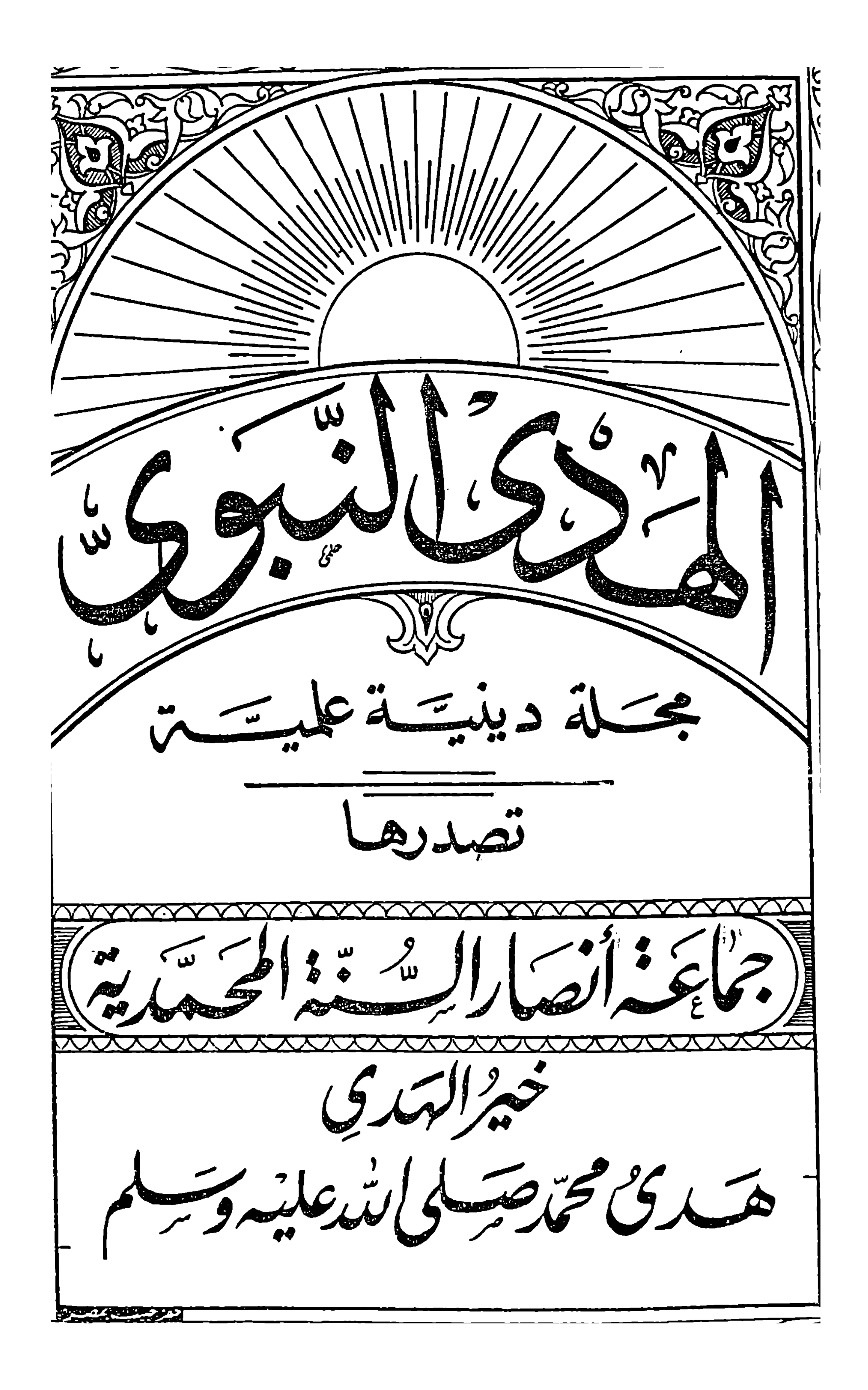
الهدي النبوي

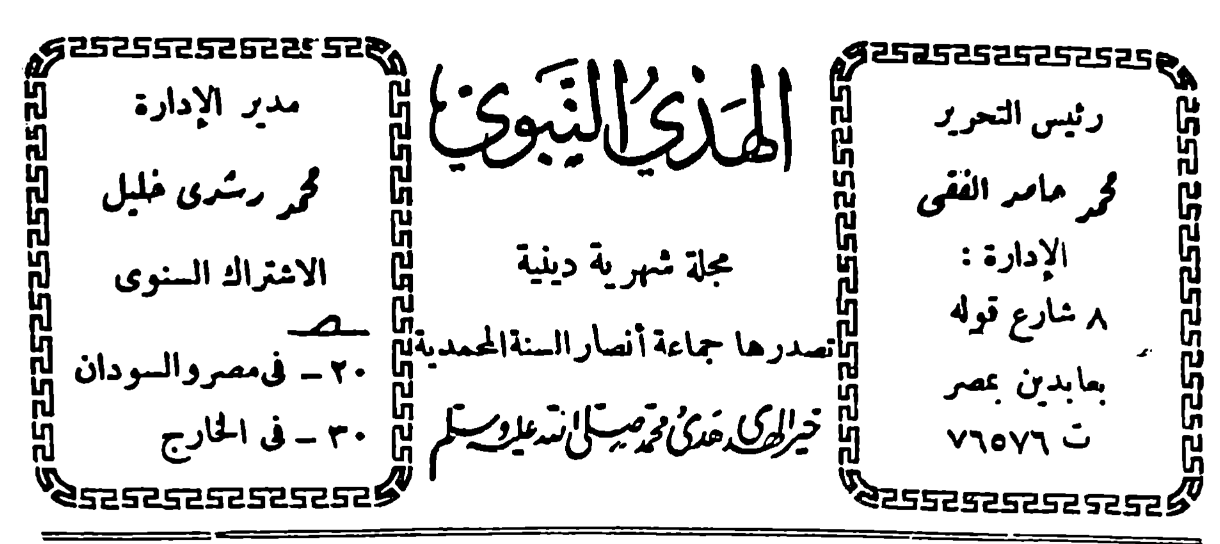
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت: ٣٥٨٦٤٢٤٠١


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم



المجلد ٢٢ — غرة المحرم سنة ١٣٧٧ — العدد ١

فاتحة السنة الثانيـــــة والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله .

وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد فإن مجلة الهدى النبوى بهذا العدد الجديد تستقبل عامها الثانى والعشرين من حياتها الخصبة المثمرة النافعة . و إنها لتنتظر مستقبلا سعيداً حافلا بتحقيق الآمال ، و إصابة الأهداف بعد ماض قاست فيه الأهوال ، وشقت طريقها بين المتاعب والمصاعب . واقتحمت العقبات . وكانت تسير على الأشواك فى الوقت الذى كانت فيه المجلات الداعرة الخليعة تسير بين الورود والأزهار ، وتتخطفها أيدى الشباب من الفتية والفتيات والرجال والسيدات ولا يضنون عليها بثمن .

لقد كان أول أهدافها أن تقضى على الشرك البغيض وتنقذ سواد الأمة من شراكه الخبيثة التى نصبها لهم الشيطان ليجذبهم بها إلى حظيرته ، و يخرجهم من نور التوحيد المشرق الوضاء إلى ظلمات الشرك المتدجية المتكاثفة ، و يفسد عليهم سلامة أرواحهم ، و يدنس طهارة قلوبهم بما يغريهم به من دعاء غير الله والاستعانة فى الأمور التى هى من خصائص رب العالمين بالضعفاء العاجزين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً من الأحياء المغترين

الدجالين ، ومن الموتى المقبورين . لقد زين الشيطان لكثير من الذين استحوذت عليهم الغفلة ، والجهل أن ينذروا لغير الله ، و يشدوا الرحال إلى القبور ، ويتمسحوا بالتماثيل البدائية المقامة على رفات المالكين، و يقفوا بين يديها فى خضوع وخشوع وذلة وضراعة لا يستشعرون مثلها فى الصلاة .

ولقد كان هذا سبباً فى أن الأقطار الإسلامية خرج أمرها من يدها ، وتصرف فى شئونها الغاصبون والمستعمرون الذين قضوا على جميع مقوماتها ، وذهبوا بثروتها وخيراتها ، وجعلوا أهلها عبيداً أذلاء مسخرين .

فلما أشرقت شمس التوحيد فى آفاق هذه الأقطار بتوفيق الله تعالى وفضل جهاد المصلحين ومادعت إليه هذه المجلة وأشباهها من العودة إلى حظيرة التوحيد ـ حقق الله وعده للمؤمنين الموحدين وأعاد إلى كثير من هذه الأقطار حريتها واستقلالها وعزتها وكرامتها ، فقد قال جل شأنه ـ (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا : يعبدوننى لايشركون بى شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون : ٢٤ : ٥٥)

ومن أخص أهدافها مكافحة البدع ومحدثات الأمور التى فتن بها الشيطان كثيرا من الناس ، وخيَّل إليهم أنها تزيدهم تعبداً لله ، وزلفى لدينه ، وصرفهم عن تدبر قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ٥ : ٣) ولم يزل بهم يعدهم و يمنيهم و يمدهم فى الغى والضلال حتى طغت البدع على السنن ، وظن سواد الأمة أن الدعوة إلى محاربتها زندقة و إلحاد ، ونظروا بعين العداوة والبغضاء إلى من يدعوا إلى اعتناق السنة ومجانبة البدعة .

ومن أشرف أغراضها محاربة الخرافات والترهات والأوهام والأباطيل التى لادليل عليها من العقل ، ولاسند لها من العلم ، ولا نص يؤيدها من الدين والتى ـ على الرغم من ذلك ـ يؤمن الناس بها و يتخذونها عقيدة ودينا و يرون محاربتها زيغاً وفتونا .

ومما تستهدفه هذه المجلة فى دعوتها ضم صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم ونبذ مابينهم من

تفرق واختلاف وتنازع ، وذلك بالدعوة إلى نبذ وسائل التفريق والخلف من الطرق الصوفية التى جعلت المسلمين طرائق قدداً ، وفرقتهم شذر مذر ، وجعلتهم شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ؛ و بالدعوة إلى البحث عن الصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يجتمع المسلمون عليه بدل أن تفرقهم المذاهب والنزعات .

و إنها لتعنى فيما تعنى به بإحياء الآداب والأخلاق الإسلامية والقضاء على التحلل والفسوق والإلحاد والفجور بما تبسط من يسر الإسلام وماتوضح من سهولة مأخذه، وما فى نصوصه من جليل الأسرار ، و بالغ الحكم وحكم التشريع .

وكذلك تدعو نساء المؤمنين إلى الاستمساك بأخلاق أمهات المؤمنين وآدابهن حتى يدنين عليهن من جلابيبهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، و يدعن الخلاعة والاستهتار والاستهانة بأوامر الدين و يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة و يطعن الله ورسوله . و بذلك تتم السعادة فى البيوت الإسلامية ، وتسود الرحمة والمودة والألفة التى هى قوام الحياة الزوجية السعيدة فتقل حوادث الطلاق التى تهدم بيوت الزوجية ، وتقضى على مستقبل الأبناء .

***

ولقد لقيت هذه الأهداف صداها فى الأقطار الإسلامية كلها ، فأقبل كثير من قراء المسلمين على الاشتراك فيها ، والغيرة عليها والعمل بمبادئها والحرص على أن ينشرها كل مشترك فى محيطه ، ولا يكاد قطر من الأقطار الإسلامية يخلو من المشتركين فيها كما أصبح كثير من سكان هذه الأقاليم يراسلونها و يستفتونها فيما يعرض لهم من الشئون الدينيـة من عقائد وعبـادات ومعاملات ، وهى تفتيهم بما تستطيع استنباطه من النصوص الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله بعد دقة البحث و إنعام النظر وصدق التحرى .

وهى تقف بالمرصاد لكل بدعة يحاول أنصار الضلالة ترويجها ، فلا تكاد تطل برأسها حتى ترسل عليها شواظاً من مقال نارى يبددها و يأتى عليها .

ولقد فتحت عيون المسلمين على آفاق جديدة من العلم والمعرفة و يسر الإسلام ومفاخره ما كان كثير منهم يفطنون لها أو يتنبهون إلى جمالها .

كما أنها كشفت من كنوز العلم وذخائر المعرفة بأسرار كتاب الله وسنة رسوله كثيراً مما كانت الغفلة المستحوذة على العقول تحول بين كثير من المسلمين و بين الوقوف عليه ، و بذلك خدمت المسلمين المنتفعين بها أجل خدمة وأصدقها ، وزادتهم إيمانا بدينهم ، ومعرفة بأسرار كتابهم ، واستمساكا بسنة رسولهم . ولقد تعرضت فى فجر حياتها لحملات شديدة قاسية من أنصار البدع والخرافات وعشاق الأوهام والضلالات وتجار الدين ، ولكنها بفضل ما أوتيت من صبر ومصابرة وثبات على الحق استطاعت أن تشق طريقها إلى أهدافها على الرغم من جميع ما صادفها من العقبات . وما قام فى طريقها من المعوقات . وقد خرجت من هذه الشدائد أشد قوة وأصلب عوداً ، وأعظم بأساً وأقوى شجاعة ، وأوضح صراحة فى الإعراب عن الحق الذى يحاول إخفاءه المغرضون وتجار الدين الذين جعلوا الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم.

* * *

و إنها لتعاهد قراءها الكرام فى مطلع هذا العام الجديد أن تكون دائماً عند حسن ظنهم بها، وأن تكون حريصة على أداء أمانتها ، وتبليغ رسالتها ، والتمسك بمبادئها و إصابة أهدافها ، مستهدفة خير المسلمين و إرشادهم ، داعية إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . وخاصة بعد أن استأصلت الثورة المصرية شأفة الفساد وسارت فى طريق الإصلاح العام الشامل لكل مرافق الحياة . و بالله التوفيق .

وهو نعم المولى ونعم النصير ؟

أبو الوفاء محمد درويش

بين الحسنة والسيئة

إن للحسنة نوراً فى القلب ، وزينةً فى الوجه ، وقوة فى البدن ، وسعة فى الرزق ، ومحبة فى قلوب الخلق . و إن للسيئة ظلمة فى القلب ، وشينا فى الوجه ، ووهنا فى البدن ، ونقصا فى الرزق ، و بغضة فى قلوب الخلق .

أيها العـــــــــرب !!

بقلم الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

إنكم لم تكونوا فى يوم من الأيام – منذ جمعكم الله على الهدى ، وألف بين قلوبكم – أحوج إلى الاتحاد وجمع الكلمة ، ونبذ التفرق والخلاف منكم اليوم .

لقد تفرقتم فى الماضى وذقتم مرارة التفرق ، وجربتم ماجره عليكم من كوارث وويلات . وما ألحقه بكم من خسائر ونكبات .

إن اجتماعكم وتعاونكم وتضافركم قوة هائلة ترتعد لها فرائص الغرب ، وترجف بوادر للمستعمرين .

إن الله أودع بلادكم كنوزاً من الثروة تفوق الحصر ، والغرب واقف لكم بالمرصاد يريد أن يفوز وحده بهذه الثروة ، ويستأثر بها من دونكم ، ويترككم تعانون البؤس والفقر والجهل والمرض والذل والاستعباد ، فإذا اتحدتم وتعاونتم استطعتم أن تذودوه عن حماكم ، وأن تحتفظوا بثروتكم لتبنوا بها مجد بلادكم ، وترفعوا مستوى المعيشة بين شعوبكم وتدركوا من سبقكم إلى العلم والمعرفة ، والقوة والمنعة ، والحرية والاستقلال .

إن القومية العربية بدأت تستيقظ بعد طول سبات ، وتتنبه بعد شدة غفلة ، وتتأهب للنضال بعد فرط ذلة واستسلام ، وأخذ الاستعمار يخشى يقظتها ، ويرهب ثورتها ، ويخاف أن تستعيد مجدها وقوتها فتقضى على آماله ، وتحطم مطامعه ، وتحول بينه وبين مالبث الأحقاب الطويلة ينعم به من السيطرة على الشعوب العربية ، استعبادها ، وامتصاص دمائها ، والاستئثار بخيرات بلادها ، وحرمانها ثمرات ماأودعت الطبيعة أرضها الطيبة من ينابيع الثروة .

اجتمعت كلمة الشعوب العربية وصح عزمهم على أن ينقذوا بلادهم ، ويخلصوها من براثن الاستعمار ، وأجمعوا أمرهم على أن يعيدوا إليها حريتها واستقلالها ، وعلى أن يعيشوا فيها كراماً أعزة ، وبذلوا جهد طاقتهم حتى استعادوا بعض حقوقهم ، فجلت فرنسا عن سوريا

ولبنان ، وتونس ومراكش ، وجلت إيطاليا عن طرابلس ، وجلت انجلترا عن مصر وشرق الأردن ، وكانت من قبل قد جلت عن فلسطين ، ولكن بعد أن خلفت فيها سرطانا خبيثاً هو تلك اللقيطة التى سمت نفسها إسرائيل ، وهى خليط من شذاذ الآفاق الذين تجمعوا من كل صوب وحدب وهم يحلمون بملك عريض يمتد من الفرات إلى النيل يقيمونه على حساب استقلال العرب وعزتهم وكرامتهم ، وأمنهم وطمأنينتهم فبدءوا بتشريد الفلسطينيين وإخراجهم من ديارهم واغتصاب حقوقهم ومزارعهم ومصانعهم ومتاجرهم وعقدوا العزم على أن يصنعوا هذا الصنيع بسائر الشعوب العربية حتى يحققوا حلمهم القديم ، والاستعمار من ورائهم يمدهم بالمال والعتاد والذخيرة والسلاح ، ويتغاضى عن عدوانهم الشنيع الذى يغريهم به ويحرضهم عليه .

***

سقط فى يد الاستعمار ، ورأى أنه قد باء بالخيبة والخسران ؛ فأراد أن يستعيد سلطانه القديم على الشرق بعد أن تقلص ظله ، وطوى بساطه ، ففكر فى أن يمزق الوحدة العربية ، ويشتت شملها ، فبدأ بالعدوان الثلاثى الظالم الغاشم الفاشل على مصر ، ولكن هذا العدوان زاد العرب اتحاداً وائتلافاً ، وتماسكاوارتباطاً ، ولما أخفق فى هذا العدوان وضل سعيه، أراد أن يجرب وسيلة أخرى تدنيه من غرضه ، وتعينه على إصابة أهدافه ، فابتكر ما سماه مشروع إيزنهاور الذى يستهدف من ورائه تثبيت أقدامه فى بلاد الشرق بدعوى الدفاع عنها ضد الشيوعية .

والحق إن الاستعمار لايخشى الشيوعية ولكنه يخشى نهضة القومية العربية ويعد العدة للقضاء عليها .

أخذ يغرى حكومات البلاد العربية ببريق الذهب ، ويسحر ألبابها برنينه ويصطفى الخونة من الرجميين والانتهازيين الذين لايعرفون للوطنية معنى ، ولاتهمهم إلا مصالح أنفسهم ؛ ويشترى بالمال ذممهم الرخيصة الخربة وبالمناصب ، ضمائرهم الميتة لكى يمهدوا له السبل .

نجح فى شرق الأردن فأقصى الحكومة الوطنية التى كانت تساير رغبات الشعب ، وتحقق آماله فى الحرية والاستقلال ، واصطفى حكومة تمالئه وتجاريه وتمده فى غيه . ثم عمد إلى لبنان فحقق فيها بعض أطماعه . ثم أخذ يسلك طريق الإرهاب ، فحرض إسرائيل وأغراها بالهجوم على سورية لكى تستخذى وتستسلم وتلين قناتها وهو يهدف من وراء ذلك كله إلى أن يضمن تفرق العرب واختلافهم لكى ينال بغيته منهم ، ويحقق مطامعه فيهم .

* * *

أيها العرب الأمجاد !

خذوا حذركم . واعلموا أن الأمة العربية باقية على الزمن وأن الحكم سحابة صيف عن قليل تقشع ، فلا تبيعوا مجد أمتكم الخالد بسراب خادع وأمل كاذب .

إنكم إذا اتحدتم وتماسكتم استحال على عدوكم أن ينال منكم ، أما إن فتنتكم العاجلة ، وجريتم وراء المطامع الباطلة فتفرقتم فإنه هلاك الأبد والعار الذى لايمحى .

إن الصهيونيين لكم بالمرصاد ، وهم قوم يعتقدون أن الله تعالى خلق الدنيا ومافيها من أجلهم . وأن كل شىء فى يد غيرهم إنما هو مغتصب منهم ، وأن واجبهم يحتم عليهم أن يستردوه ، ويستخلصوه من الأيدى الغاصبة . إنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأن غيرهم من الأمم أعداء الله ، وهم يتقربون إلى الله بسفك دم كل من لايدين بالصهيونية ، فإذا تغلبوا فلن يرحموا أحداً . ولن يبقوا على نفس ولا مال .

فاتحدوا وتعاونوا لتدرءوا عن أنفسكم هذا الخطر الداهم وانظروا ماذا جر عليكم تهاونكم فى الماضى حتى خرجت فلسطين من أيديكم . فإذا تماديتم فى هذا التهاون فسيكون المصير الذى صارت إليه فلسطين ـ لاقدر الله ـ مصيركم .

أما إذا اتحدتم فإن الله سيؤيدكم بنصره وستكون الأمم الحرة والمحبة للسلام فى عونكم . والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

مختارات من محاضرات الأستاذ الرئيس

في الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ١٣٧٦ - للموافق ٢٦ / ٦ / ١٩٥٧ . ألقى الأستاذ الرئيس هذه المحاضرة بالمركز العام بالقاهرة .
وها نحن ننشر مقتبسات منها .

محمد رشدى خليل

رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين .

يقول : ربنا تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : (وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

يحكى الله سبحانه وتعالى جواب الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ سأله ربه عن أولئك الذين سوف يعضون أيديهم من الحسرة والندامة لأنهم اتخذوا سبيلاً غير سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولأنهم اتخذوا فلاناً إماماً وخليلاً ، وقدموا قوله على قول الله ورسوله وزعموا أن كلامه وقوله أقرب إليهم ، وأسهل فى عقولهم إلى الفهم وأيسر عليهم من كلام الله وكلام رسوله .

يسأل الله الرسول ، فيقول له : ماذا صنعت فيما حملتك من رسالة ، ألم تبين هذا الكتاب إذ أمرتك ببيانه ، فيجيب الرسول بقوله : (يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) وإنى قد بلغت الرسالة حق البلاغ ، وأديت الأمانة حق الأداء . والقرآن بين أيديهم يقرأونه ويسمعونه ، وأحاديثى واضحة قريبة لديهم ، ولكنهم وقعوا فيما وقعوا فيه ، لأنهم هجروا معانى القرآن ، فلم يطلبوها ولم يحاولوا أن يفهموا القرآن ، وهجروا حديثى وبيانى الذى بينت به القرآن ، وأطاعوا فى ذلك الذين زعموا لهم أن القرآن مغلقة أبوابه دونهم ،

و إن لفهم القرآن شروطاً ليست متوفرة عندهم ، وهجروا القرآن مرة واحدة ، واتخذوا التقاليد والوراثات التى زعموها إسلاماً .

فالناس قد اتخذت القرآن اليوم مهجوراً ، و إن قرأوه ، و إن حفظوه ، و إن حملوا المصاحف ، و إن وضعوها تحت إبطهم حجاباً ، فكل ذلك لايفيدهم ولا يزيدهم اختلاطاً ولا امتزاجاً بالقرآن ، و إنما يكون ذلك منهم هجراً للقرآن ، و إنما الاختلاط والامتزاج بالقرآن ، كالاختلاط والامتزاج بالإنسان ، فالاختلاط والامتزاج بالإنسان : أن يكون بينهما تفاهم ، وأن يقوم على هذا التفاهم تعاون .

فالرجل عند مايهجر زوجته لا يطردها ، بل يبقيها معه ، تقدم له الطعام فيأكل دون أن يتحدث إليها و إذا احتاج إلى كوب من الماء أحضره بنفسه أو كلف ابنته باحضاره ، و إذا سألت الزوجة عن السبب قالت : إنه (مخاصمها) . وسبب خصامه لها أنه غير ممتزج بها وليس قلبه معها ، وليس محباً لها بل غاضب عليها .

فكون القرآن فى جيب الإنسان يتلوه على الموتى ، وفى المآتم أو هو يحفظه للأولاد ، كل ذلك لا يعتبر امتزاجاً بالقرآن ولا اختلاطاً ، و إنما الامتزاج والاختلاط بالقرآن . هو أن يتفاهم معه ، وأن يكون بينهما حسن تفاهم ، يكلمه القرآن ، فيفهم مايقوله ، ويقع فى مشكلة . فيسأل القرآن ، ويحتاج إلى شىء فيطلبه من القرآن . فهذه هى المصاحبة والمصادقة للقرآن .

ويدخل فى هذا ، كل المصلين الذين يقرأون ولا يتفاهمون مع مايقرأون ، ولاتتجاوب قلوبهم مع مايقرأون ، فمهما قرأوا فى الصلاة ، فليس مجرد قراءتهم صحبة وامتزاجاً واختلاطاً بالقرآن و إنما يكون مصاحباً للقرآن من يفهم و يتفاهم مع القرآن ، فإن لم يتفاهم ولم يكن بينه و بين القرآن مودة ومحبة قلبية تثمر هذا الامتزاج وهذا التفاهم ، فإنه يكون بذلك هاجراً للقرآن

فالناس لاتريد أن تفهم ولا تحاول أن تتدبر . إذن ياإخوانى تفهمون من ذلك معنى قوله (يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) أى هو ثقيل على قلوبهم ، غير مفهوم معناه ولا قريب لهم حتى يمكنهم أن يستفيدوا منه ويمتزجوا به .

قد يكون الرجل مع زوجته على غاية المحبة القلبية ، وعلى أحسن مايكون من حال ، فتحدث وشاية بينهما فتدفع فى قلبهما الكره لبعضهما ، و ينتهز الشيطان هذه الفرصة ، فيزيد فى إشعال نار هذا الكره .

وكذلك القرآن كان محبوباً عند المسلمين ، يؤمنون بأنه متفاهم معه ، وأن الله أنزله ليتفاهم معهم ويخدمهم ويعينهم و يساعدهم و يفتح لهم الأبواب و يهديهم الطريق القويم . فجاء الشيطان ووشى وشاية وقال « إن القرآن صعب وثقيل » .

فهل تتصورون أن المرأة التى يعاشرها زوجها ، وتعرف أنه يكرهها . هل تتصورون أنها تعطيه قلبها وتخلص له ، أو تكرهه أشد الكراهية ، وتتمنى اليوم الذى تفارقه فيه ؟ كذلك الأمر مع القرآن . كيف يكون محباً للناس وهم يكرهونه ، وكيف يكون قريباً منهم وهم يتباعدون عنه ، وكيف يعطيهم الهدى والرحمة والعافية وهم يكرهونه و يبغضونه ، ويقولون عنه « إنه ثقيل » فهمه عليهم .

هذا هو حال المسلمين ، وهكذا على ماهم عليه من هذه الجاهلية ، أطفأوا نور العلم وهدى القرآن من قلوبهم ، وحرموا على أنفسهم هذا الهدى وهذا النور وتركوا الطيب وكرهوه وأقبلوا على الخبيث وأحبوه ، تركوا الدواء الشافى الذى أختاره الله الحكيم لهم ، واتخذوا السموم القاتلة التى زينها لهم عدوهم .

والصحابة رضى الله عنهم لم يكن عندهم من المصاحف ماعندكم اليوم ، ومع هذا فهم أصدق الناس للقرآن وأشدهم امتزاجاً واختلاطاً به ، وتعاوناً وتفاهماً معه .

وأنتم اليوم لديكم من المصاحف مايعد بالملايين ، ومع ذلك فلا فائدة منها لكم أبداً لا فى أنفسكم ولا عند ربكم ، لأنكم تتخذونها على غير ماأمر الله وتستعملونها على غير ماأنزل الله .

ويحتج البعض بأنه لا يمكنهم أن يتفهموا القرآن ، والسبب فى ذلك يا إخوانى أن القرآن طيب والرؤوس خبيثة ، ولا يجتمع الخبيث والطيب ، وليس السبب أن القرآن بعيد

الفهم ، بل إن القرآن ميسر رغماً عن الجميع ، فقد يسره الله سبحانه وتعالى ، إذ قال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . فالله وحده الذى يعلم مافى القلوب ، وما تستحقه القلوب ،هو الذى يسره ، فلو كانت الرؤوس نظيفة والقلوب طاهرة ، لصب الله فيها معانى القرآن صباً ولفتح لها أبواب فهمه ، ولكن القلوب للأسف بعيدة وليست أهلاً لفهم القرآن ، ولا لهذا الغذاء الطيب .

فلننظف قلوبنا ونفوسنا ، لأننا لا نرضى بهذا الحرمان ، إن الإنسان ليحزن إذا قاطعه صديقه الطيب ، و إنه يتألم و يبذل كل مافى وسعه حتى يسترد صداقته و يستعيدها .

فينبغى أن نعمل كل مانستطيع لنسترد صداقة القرآن وهديه ونوره الذى يملأ علينا الحياة الدنيا والآخرة بهجة وسروراً وأمناً و يقيناً .

إن القلوب تموت تماماً كما تموت الأجسام ، تموت بهذه الحياة التى نحياها بما فيها من مناظر سيئة نراها ، ومن منكر نسمعه ، فلا بد من احيائها بتغذيتها بالعلم الجديد والإيمان الجديد ، وحينئذ يفتح الله علينا كل يوم من معانى القرآن جديداً .

وكلما أكلت من فاكهة القرآن ، وكلما استمتعت بمائدة القرآن ، وأطعمت قلبك بهذا الغذاء كلما علوت إلى عليين .

أسأل الله رب العرش العظيم أن يوفقنا و إياكم والمسلمين إلى أن نأخذ دائماً أسباب الهداية والولاية من رب العالمين ، وأن نأخذ دائماً طريقنا فى هذه الحياة بنور القرآن وهداه الطيب ، وأن يجعلنا و إياكم والمسلمين ممن اعتصموا بحبل الله المتين وعروته الوثقى ، وأن يكون لنا ولكم والمسلمين هادياً ونصيراً ، وأن يعيذنا و إياكم من الغرور والخداع .

وأسأل الله ربى أن يأخذ بقلوب رؤسائنا وقلوب قادتنا والمسلمين جميعاً إلى هداه وهدى نبيه وأن ينصرهم على أعدائهم .

اللهم صلى وسلم و بارك على رسولك الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اقرأ معى من :

-٢- لغة القـــــــرآن

> مفردات فى اللغة العربية مجموعة من كتاب « تهذيب الصحاح »
> واقتصرت فيها على ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
> محمد رشدى خليل

ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْرِ ، أى من النُّقصان بعد الزيادة . والحُورُ أيضاً : الهالكة .

والحَوَر : شدة بياض العين فى شدة سوادِها .

وتحوير الثياب : تبييضُها .

والخبير : العالم ـ والخَتر : الغَدْرُ .

الخِدْر : السِّتْر ـ والخرير : صوت الماء .

وخَرَّ لله ساجداً يَخِرُّ خُروراً ، أى سقط .

الخُضْرَةُ : لون الأخضر ، وربما سمَّوا الأسود أخضر ، كما فى قوله تعالى : (مُدْهَامَّتَانِ) أى خضراوان ، لأنهما يضربان إلى السَّواد من شدة الرِّيِّ . وسميت قُرى العراق سواداً لكثرة شجرها . والخَضْراء : السماء .

وفى الحديث : « إيَّاكُمْ وخضراءَ الدِّمَنِ » يعنى المرأة الحسناء فى منبت السَّوْء .

ودخَلَ فى خُمارِ الناس وخَمارِهم ، لغةٌ فى غُمارِ النَّاس وغَمارِهم ، أى : فى جماعتهم مستتراً بهم .

ومنه الخِمار للمرأة . وهو ماتغطى به رأسها . واختمرت به : لبسته . وخمرت به رأسها : غطته .

والدُّبْرُ والدُّبُرُ : الظَّهر . ومنه قوله تعالى : (ويُوَلُّون الدُّبُر) ودَبَرَ النهارُ وأدْبَرَ بمعنى . ومنه قوله تعالى (والليل إذْ أدْبَرَ) أى تبع النهار . وتدابَرَ القومُ ، أى تقاطعوا .

والدِّثار : ما كان من الثياب فوق الشعار . وقد تدثَّرَ ، أى تلَّفف فى الدِّثار .

الدحور : الطرد والإبعاد . تقول : دَحَرَه . وجاء فى الكتاب العزيز (ويقذفون من كلٍّ جانب دحوراً) .

قال الفراء : قرأ الناس بالنصب والضم ـ أى بفتح الدال وضمها ـ فمن ضمها جعلها مصدراً كقولك : دحرته دحوراً . ومن فتحها ، جعلها اسماً كأنه قال : يقذفون بداحر وبما يدحر .

الدَّائرة : الهزيمة ، يقال : عليهم دائرة السَّوء . والدائرة أيضاً : الداهية ، يقال دارت عليه الدوائر ، أى نزلت به الدواهى .

والدَّهر : الزَّمان . وقيل : الدهر ألف سنة . والدهر : الغلبَة .

الزُّبْرَةُ : القِطعة من الحديد ، والجمع زُبَرٌ . والزَّبْرُ : الكِتابة . والمِزْبَرُ : القلم . والزَّبُور : الكتاب ، ومنه زبور داود عليه السلام .

الزُّور : الكذب ، وكل شيء يُعبد من دون الله .

والأساطير : الأباطيل ، والخرافات .

وأسْفر الصُّبح ، أى أضاء .

الشَّعيرة : البدَنةُ تُهدَى . والشَّعائر : أعمال الحجّ وكلُّ ما جُعِل علماً لطاعة الله عزّ وجلّ . والمشاعر : مواضع المناسك ، والحواس أيضاً . وشَعَرت بالشىء ، أى فطنْتُ له . ومنه قولهم : ليتَ شِعْرِى ، أى ليتنى علمت .

الشكر : الثناء على المحسن بما أولى من المعروف .

ويقال : شكره ، وشكر له ، وتشكَّر له .

الصَّبْرُ : الحَبْسُ . وصَبَر فلان عند المصيبة ، إذا حبس نفسه عن الجزع .

وريح صَرْصَرٌ ، أى باردة .

الصُّورُ : القَرْنُ الذى ينفخ فيه .

وقيل : هو جمع صُورةٍ ، أى ينفخ فى صور الموتى الأرواح .

وصاره يَصُوره و يَصِيرُه ، أى أماله . وقرىء (فَصُرْهُنَّ إليْكَ) بضم الصاد وكسرها ، يعنى وجّههنّ إليك .

والطَّور : التَّارَةَ . والناسُ أطوارٌ ، أى أخياف على حالات شتى . و (قد خلقكم أطواراً) أى طوْراً علقةً وطوراً مضغةً .

وقومٌ يتطهّرون ، أى يتنزهون من الأدناس .

العَبْقَر : موضعٌ تزعم العرب أنه أرض الجنّ . ثم نسبوا إليه كل شىء تعجّبوا منه ، فخاطبهم الله تعالى بما تعارفوه فقال : (عَبْقَرِيّ حِسَان) وقد قرىء (عباقرى) أيضاً .

والعبقرى من النساء : السخية البضة الجبلة ، و (عبقر) من أسماء النساء . والعبقرى : الكذب البحت . يقال : كذب عبقرى ، أى خالص لا يشو به صدق .

و « العبقرية » من الألفاظ التى تطورت فى هذا العصر ، وأصبح لها معنى خاص لايبعد عن حقيقة معناه الأصيل الذى وضع له . وهى تؤدى فى العصر الحديث : الذكاء العالى النادر الخارق للعادة . ومن أجمل تعاريفها الحديثة ، أن العبقرية : بلوغ أرقى مراتب العقل البشرى . وهذا فى العلم ، أما فى الفن ، فالعبقرية بلوغ الروح أرقى مراتب الانسانية .

الفِطْرَةُ : الخِلْقة ، وقد فَطَرَه : خَلَقَه .

وقبرتُ الميِّت : دَفنتُه . وأقْبَرْتُه : أمرت بأن يقبر . وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى جعله ممن يقبر ، إكراماً لبنى آدم .

قَدْرُ الله وقَدَره : ما يقدِّره من القضاء .

وفى الحديث : « إذا غُمَّ عليكم فاقدُروا له » أى أتمُّوا شعبان ثلاثين . وقيل : معناه قدروا له منازل القمر فإنها تدلكم وتبين لكم أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون .

القِطْمير : القِشرة التى على النَّواة . ويوم قُماطِرٌ وقمطريرٌ ، أى شديد .

والكِبْر والكبرياء : العظمة . وكِبْرُ الشىء : مُعظمُه . قال الله تعالى : (والذى تولى كِبْرَهُ) .

وأكبرتُ الشىء : أى استعظمتَه . والتَّكبير التعظيم . والتَّكبّر والاستكبار : التَّعظُّمُ . والمتكبِّر فى أسماء الله عز وجل معناه : ذو الكبرياء .

الـكُفْر : ضد الايمان . والـكفُر أيضاً : جُحود النعمة ، وهو ضد الشـكر . والـكَفْر ـ بالفتح ـ التغطيةُ . تقول : كَفرتُ الشىء أ كِفره ، بالـكسر كفْرًا ، أى سترتُه . والـكَفْر ـ بالفتح ـ التراب .

ومنه الـكافر : لِلّيل ، لأنه يستُر بظلمته كلّ شىء . ومنه الـكافر للبحر ، والـكافر للزّارع لأنه يغطى البذر بالتراب .

الإنذار : الإبلاغ ، ولا يكون إلا فى التّخويف . والاسم النُّذُر . وقوله تعـالى : (فـكيف كان عذابى ونذر) أى إنذارى .

وأنشر الله الموتى : أحياهم .

و (حُمُرٌ مُستنفِرَةٌ) بكسر الفاء : نافرة .

وقرىء (مستنفرة) بفتح الفاء : أى استنفرها فزعُها من القسورة .

(نُقِرَ فى النّاقُور) أى نُفِخ فى الصور .

ووَتَره حقَّه ، نقصه . وقوله تعـالى : (ولن يَتِرَكُمْ أعمالـكُمْ) ، أى لن ينتقّصكم فى أعمالـكم .

الوِزْرُ : الإثم والثِّقْل .

(ولا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أخْرى) أى لاتحمل نفسٌ حاملةٌ حِمْلَ أخرى .

الوِقْر ، الحِمْل : والوقر : السحاب . قال الله تعـالى : (والحاملات وقرا) يعنى السحاب تحمل الماء الذى أوقرها .

والوقار : الرزانة . والتوقير : التعظيم و (لا ترجون لله وقارا) أى عظمة . « يتبع »

المرأة

فى الحديث النبوى « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » .

وفى الأمثال المأثورة عن الحـكماء : « المرأة الجميلة دمثة . والمرأة المتعلمة فاكهة . والمرأة الفاضلة غذاء » .

أما الدواء . . فلا دواء . . . !!

ليس المرض فى هـذه الأمة والأمم الإسـلامية إلا مرض الأمم السابقة : جهل بحقيقة الدين الذى أكمله الله وارتضاه وأتم به النعمة ؛ وضـلال عن الصراط المستقيم الذى شرعه الله ، ودعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ضل عنه أولئك باتباع الأهواء والآراء ، و بُعد عن ذكر الله الأكبر ، وكتابه الحق المبين ، الذى أنزله الله أحسن الحديث ، شفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمحسنين والمؤمنين والمتقين .

ولقد طال عليهم الأمد فى البعد عن هذا الذكر الحـكيم ، والاشتغال بما استحدثوه من علوم أوربا وما افتتنوا به بعد من قصص أمريكا ومجون أمريكا ولغوها وأدبها المكشوف وفلسفتها الحديثة ، ونحو ذلك مما صرفهم عن الاشتغال بالـكتاب والسنة ، فقست بكل ذلك قلوبهم ، وخصوصاً شباب اليوم والجيل الحاضر وكثير منهم فاسقون ؛ لأنها حرمت من غذاء القرآن وشفائه ورحمته ونوره وحكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهدايته .

فكان من كل ذلك أن أصبح الدين عند المسلمين تقاليد ورسوماً صورية ، لا صلة لها بالأرواح . هذا هو داؤنا ، وهو داء الأمم قبلنا . أما الدواء ، فلا دواء إلا ما وصف العليم الحـكيم إذ قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمـا فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) . الدواء من عند الله ومن عند رسـوله صلى الله عليه وسلم ، الدواء الناجع ، الذى شفى الله به القلوب من عللها وسلمت به من أمراضها . وقد قال الإمام مالك رضى الله عنه «والله لايصلح آخر هذه الأمة إلا ماصلح به أولها» فنرجو أن يتضافر المخلصون ويوجهوا جهودهم إلى الـكفاح والجهاد ، لعل الله أن ينقذ هذه الأمة من الضيعة والانحلال ، الذى ماجرّه إلا النكوص عن دين الله والإعراض عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وصلى الله على محمد وعلى آله وسـلم تسليما كثيراً .

أينام أحدنا وهو جنب ...؟

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعاود فليتوضأ بينهما وضوءاً » رواه مسلم . وزاد الحاكم بإسناد صحيح « فإنه أنشط للعود » .

وعن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب « سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أيرقد أحدنا وهو جنب ؟ فقال : نعم ، إذا توضأ أحدكم فليرقد » متفق عليه .

وعن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام ـ وهو جنب ـ غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة » رواه البخارى .

ولمسلم « كان إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة » .

وعن أبى إسحاق السبيعى عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائى والترمذى .

وعن أبى إسحاق قال : سمعت الأسود بن يزيد يقول « سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، فقالت : كان ينام أول الليل ، فإذا كان السحر أوتر، ثم يأتى فراشه ، فإن كان له حاجة إلى أهله ألم بهم ، ثم ينام ، فإذا سمع النداء ـ وربما قالت : الأذان ـ وثب ـ وما قالت : قام . فإن كان جنباً أفاض عليه الماء . وما قالت : اغتسل . وإن لم يكن جنبا توضأ . ثم خرج إلى الصلاة ».

وفى صحيح ابن حبان عن عمر « أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب ؟ فقال : نعم ، ويتوضأ إن شاء » .

وهذا الجمع هو الصواب ، وإليه ذهب ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث . قال : إن هذا كله جائز ؛ فمن شاء أن يتوضأ وضوءه للصلاة بعد الجماع ثم ينام ، ومن شاء غسل يده وذكره ونام . ومن شاء نام من غير أن يمس ماء . غير أن الوضوء أفضل .

إن الأمر على التخيير والوضوء أفضل .

عابد المـــال ...

قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة : إن أُعطى رضى وإن لم يُعط سخط ، تعس وانتكس ؛ وإذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، وإن اسـتأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشفع » رواه البخارى .

التعس : بمعنى الهلاك والعثار والسقوط والانحطاط والبعد .

والخميصة : كساء أسود له أعلام ، أى خطوط مغايرة للونه .

والانتكاس : معاودة الداء بعد البرء .

وشيك : أصيب بالشوكة .

انتقش : أخرج الشوكة بالمنقاش . وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران .

طوبى : هى الحسنى والخير . وقيل شجرة فى الجنة .

العنان : سير اللجام .

الأشعث : منتشر الشعر .

والحراسة : مقدمة الجيش .

والساقة : مؤخرته .

وهذا الحديث يعتبر أصلاً عظيما من أصول الدين ينهى فيـه النبى صلى الله عليه وسلم عن عبادة الدنيا التى رمز إليها بعبادة الدرهم والدينـار والخميصة ، فالدرهم والدينار هما الوسيلة إلى قضاء اللبانات ، ونيل الأغراض والشهوات .

وحب الخميصة اشارة إلى حب الزينة ومباهج الحياة . وكل أولئك ولا شك إذا قصد إليه من الناحية المادية الصرفة وطلب لذاته ألهى عن عبادة الله والدار الآخرة .

أما إن طلب المـال من حله وأنفق فى وجهه ، فـكان منه الحق المعلوم ، للسائل

والمحروم . وكذلك إن روعى فى استعمال الزينة ما أباحه الله ولم يُتَعَدّ حـدوده ، فذلك لا شىء فيه .

بل ينعكس الأمر ، فبدل أن يكون طلب المال والزينة فى الحالة الأولى عبادة لغير الله ، يكون فى الحالة الثانية عبادة خالصة له تعالى . والفرق بين الحالتين بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف عابد المال بأنه إن أُعطى منه رضى ، و إن لم يعط سخط ، فهو حريص على جمعه والاستمتاع به على أية حالة . يفرح أشد الفرح إن توفر لديه . و يحزن أشد الحزن إن قُدر عليه : وهو المعنى بقوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا . و إذا مسه الشر جزوعا . و إذا مسه الخير منوعا) .

ثم انتقل الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم من التحذير من عمل ذلك المحروم والدعاء عليه : إلى حالة تغاير حالته كل المغايرة ، تلبس بها رجل وقف حياته فى سبيل الله لا يبغى عن رضوانه حولا .

والواقع المشاهد أن الإغراق فى حب الدنيا والإخلاص فى حب الله لا يجتمعان فى قلب واحد . وصدق الله إذ يقول (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته وما له فى الآخرة من نصيب) :

والمقصود من إرادة حرث الآخرة : هو الإخلاص فى حرث الدنيا ، وعدم جعله غاية يقف الحارث عندها ، و إنما يكون حرث الدنيا مذموماً وحارماً صاحبه من حظ الآخرة إذا قصده لذاته ليقضى به لذّاته .

فبمقدار ما حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من حالة عابد الدنيا ودعا عليه ، بمقدار ما أثنى على من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وانطوت جوانحه على صـدق النية ، وبشره بالدرجات العلى ، وذلك جزاء من تزكى . وهل من شىء يزكى النفس و يرفعها إلى عليين مثل إخلاص فى طليعة الناس أو فى أخرياتهم . لا يهمه إن وجد بين جماعة تعمل للخير أن يكون فيها رأساً أو ذنباً ، مادام غرضه العمل لله ، وتحرى مرضاته . فإن كانت كفايته تدفع به إلى مكان القيادة ، احتمل أعباءها وطلب من الله وحده جزاءها . و إن أخّرته إلى صفوف

الجند ، وقف بين الصفوف ، ولم يبال على أية هيئة يكون الوقوف . واحتياج الجيش الى أصغر جندى لايقل عن احتياجه إلى أكبر قائد .

وقد أرانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات ذلك الرجل الذى يعمل العمل لايريد به إلا وجه الله مانعرفه به — حيث لايريد — فهو أبعد الناس عن حب الظهور ، ونسج الدعايات حول شخصه ، ودق الطبول يعلن بها عن حركاته ، فهو لايريد من أحد جزاء ولا شكورا . قليل اتصاله بالكبراء لعدم تملقه والتزلف إليهم ، بحيث إذا اضطرته الحالة إلى الشفاعة فى أحد عندهم لاتقبل له شفاعة .

أسأل الله الكريم أن يجعلنا من هؤلاء برحمته وتوفيقه و إحسانه . وصلى الله على محمد إمام المهتدين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

المراء !

قيل لإعرابى : ماتقول فى المراء ؟!

قال : ماعسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة . ويحل العقدة الوثيقة . أقل مافيه أن يكون دريئة للمغالبة . والمغالبة من أمتن أسباب الفتن .

أحسن ما قرأت

هجرة النبى صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة رضى الله عنها : لم أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قط إلا وهما يَدِينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرَفَيِ النهار بُكْرَةً وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ[1] الْغِماد ، لقيه ابن الدَّغِنَةِ وهو سيد[2] القارة ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى ، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى ، فقال ابن الدغنة : فإن مثلك ياأبا بكر لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ ، إنك تكسب المعْدُوم ، وَتَصِلَ الرَّحم ، وتحمل الكلّ ، وتَقْرِى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جارٌ[3] ، ارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لاَ يَخْرُجُ مثله وَلاَ يُخْرَجُ ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويحمل الكُلَّ وَيَقْرِى الضيف ويعين على نوائب الحق .

فلم تُكَذِّبْ قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، فليصلِّ فيها ، وليقرأ ماشاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يَسْتَعْلِنْ به ، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذَّفُ[4] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يَعْجَبُونَ منه وينظرون إليه .

---

(١) أى موضع باليمن . (٢) قبيلة مشهورة من بنى الهون .
(٣) أى مجيراً أمنع من يؤذيك . (٤) أى يتساقطون عليه .

وكان أبو بكر رجلاً بَكَّاء لايَمْلِكُ عينيه إذا قرأ القرآن . فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أَجَرْنَا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك : فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقرآن فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبى إلاّ أن يعلن بذلك أن يردَّ إليك ذِمَّتَكَ ، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ [(١)] ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر ، فقال : قد علمت الذى عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجع إلىّ ذمتى ، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخْفِرْتُ فى رجل عقدتُ له ، فقال أبو بكر : فإنى أَرُدُّ إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله عز وجل .

والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين « إنى أُريتُ دار هِجْرَتِكُمْ ذات نخل بين لابَتَيْن » وهما الحَرَّتَانِ ، فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِكَ [(٢)] فإنى أرجو أن يؤذن لى ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك ، بأبى أنت ، قال نعم ، فحبس أبو بكر نفسه [(٣)] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُرِ [(٤)] ، وهو الخبط أربعة أشهر .

قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة ، قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعًا [(٥)] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداءٌ له أبى وأمى ، والله ماجاء به فى هذه الساعة إلا وأمْرٌ . قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال : إنما هُمْ أَهْلُكَ ، بأبى أنتَ يارسول الله ،

---

(١) أى ننقض عهدك . (٢) أى مهلك (٣) أى منعها من الهجرة .
(٤) هو شجر الطلح . (٥) أى مغطياً رأسه .

قال : فإنى قد أذن لى فى الخروج ، فقال أبو بكر : الصَّحابة بأبى أنت يارسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال أبو بكر : فَخُذْ بأبى أنت يارسول الله إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فَجَهَّزْنَاهُمَا أحثَّ[١] الجهاز ، وصنعنا لهما سُفْرَةً فى جراب . فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها[٢] ، فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سُمِّيَتْ ذات النطاق « وفى رواية أخرى » ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثَوْر ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلامٌ شَابٌ ، ثَقِفٌ[٣] ، لَقِنٌ[٤] ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ فلا يَسْمَعُ أمْرًا يُكْتَادَانِ[٥] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام . ويرعى عليهما عامر بن فهيرة ، مَوْلى أبى بكر مِنْحة من غنم ، فيُرِيحُهَا عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رِسْل وهو لَبَنُ مِنْحَتِهِماَ وَرَضِيفهما[٦] حتى ينعق[٧] بها ، عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل ، وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خِرِّيتًا ـ وَالخِرِّيتُ الماهر بالهداية ـ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فى آلِ العاصِ بن وائل السهمى ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناهُ ، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثَوْر بعد ثلاث ليال صُبْح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل .

قال سُراقة بن جعشُم : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الحث : وهو الإسراع (٢) هو إزار تلبسه النساء (٣) أى معتدل القامة لااعوجاج فيه . (٤) هو السريع الفهم . (٥) اى يطلبان الغوائل والمكر به .

(٦) هو اللبن الذى جعل فيه الحجارة المحماة لتزول وخامته . وقيل : هى الناقة الحلوبة .

(٧) أى يصيح بها .

وأبى بكر ، ديةً كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلِج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال :

ياسراقة إنى قد رأيت آنفاً أَسْوِدَةً[1] بالساحل أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فُلانا وفُلانا ، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالةً لهم . ثم لبثْتُ فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرس وهى من وراء أَكَمَةٍ[2] فتحبسها علىّ ، وأخذت رُمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططتُ بِزُجِّه[3] الأرض ، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى ، فركبتها فرفعتها تُقَرِّبُ بى حتى دنوتُ منهم ، فعثرتْ بى فرسى فخررْتُ[4] عنها ، فقمت فأهويت بيدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمْتُ بها أَضُرُّهُم أم لا ، فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى وعصيتُ الأزلام تُقَرِّبُ[5] بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لايلتفتُ وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت[6] يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضتْ ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لِأَثَرِ يَدَيْها عُثانٌ[7] ساطع فى السماء مثل الدخان . فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا منك الدية ، وأخبرتهم أخبار مايريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يَرْزَآنى[8]

---

(١) أى أشخاصا .

(٢) هى الرابية المرتفعة عن الأرض .

(٣) هى الحديدة فى أسفل الرمح .

(٤) أى سقطت عنها .

(٥) من التقريب وهو السير دون العدو وفوق العادة .

(٦) أى غاصت .

(٧) هو الدخان من غير نار .

(٨) أى لم يأخذا منى .

ولم يسألانى إلا أن قال : أَخْفِ عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب أَمْنٍ ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين (١) من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يَغْدُون كلَّ غَدَاةٍ إلى الحَرَّةِ فينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما آوَوْا إلى بيوتهم أَوْفى (٢) رجل من يهود ، على أُطُم (٣) من آطامهمْ لِأَمْرٍ ينظر إليه ، فبصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُبَيَّضين يزول بهم السرابُ ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يامعاشر العرب ، هذا جَدُّكُمْ الذى تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِ الحَرَّةِ ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عَمْروِ بن عَوْف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكرٍ للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحَيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك .

فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يُصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مِرْبَدًا للتَّمْرِ ، لسهيل وسهل ، غلامين يتيمين فى حَجْر أسعد بن زُرَارَة .

---

(١) أى راجعين .
(٢) أى طلع إلى مكان عال .
(٣) هو الحصن .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هـذا إن شاء الله المنزل ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يارسول الله ، ثم بناه مسجداً ، وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْقُلُ معهم اللبن فى بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن :ـ

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ ... هـذا أَبَرُّ رَبَّنـا وأَطْهَرْ

ويقول : اللهم إن الأَجْرَ أَجْرُ الآخره ... فارْحم الأنصـار والمهاجِرَه

(رواه البخارى)

رقة القلب من الإيمان

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال :

« أَرْسَلَتِ ابنةُ النبى صلى الله عليه وسـلم إليه : أن ابناً لى قُبِض ، فأْتنا ، فأرسلَ يُقرىء السـلام ويقول : « إنَّ لله ما أَخَذَ وله ما أعطَى ، وكلُّ شىء عِنده بأجلٍ مسمى ، فلتصبرْ ولتحتسبْ » فأرسلت إليه تقسمُ عليه ليأتينَّها ، فقام ومعه سعدُ بن عُبادة ، ومعاذُ بن جبل ، وأُبَيُّ بن كعب . وزيد بن ثابت ، ورجال ، فرُفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبيُّ ونفسُه تتقعقع كأنها شَنٌّ ، ففاضت عينا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال سعد : يارسول الله ماهذا ؟ أتبـكى وتنهى عن البـكاء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده » رواه البخارى ومسلم .

وصية . . .

أوصت امرأة ابناً لهـا يريد السفر فقالت : أجل أمنحك وصيتى و بالله توفيقك : إياك والنمائم ، فإنها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضـاً للرماة ، فإن الغرض إذا رمى لا يلبث إن ينثلم ، ومثل نفسـك مثلا فما استحسنته من غيرك ، فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومن كان مودته بشره ، كان كالريح فى تصرفها ، و إذا هززت ، فاهزز كريما فإن الـكريم يهتز لهزتك و إياك واللئيم ، فإنه صخرة لاينفجر ماؤها ، و إياك والغدر ، فإنه أقبح ما تقوبل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بمالك جواداً و بدينك شحيحا ، ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ربطتها وسربالها .

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

لقد بعث الله محمداً عبده ورسوله بشريعة محكمة تضمن للناس ما يبتغون من عز الدنيا وسعادة الآخرة . فعلمهم العزة وهداهم إلى الكرامة ورفعة القدر بصدق الإيمان ، والسير على سنة الله تعالى واتباع هديه ووحيه الذى أرشدهم إلى طرقها و بيان أسبابها فكان للمؤمنين منها نصيب وافر وحظ عظيم باهتدائهم بكتابه وسيرهم على سنته ، وما زال المسلمون الأولون أحرص ما يحرصون على كرامتهم وعزتهم ، لا يبالون فى سبيل ذلك بأى مظهر من مظاهر الحياة ، مهما كانت قيمته وتسامت درجته ولا يخضعون لمخلوق كائناً من كان خضعانا يخدش تلك الكرامة أو يجرح تلك العزة و إن كان ذلك المخلوق فى الذروة من الثراء أو الملك أو السلطان، فالناس سواسية كأسنان المشط . و إنما يتفاوت الناس بأعمالهم وآثارهم فى الحياة. وعلى قدر مايكون عند المؤمن من الكرامة والعزة والإباء و إيثار الحق يكون بقاؤه وتمكينه واستخلافه فى الأرض ونجح مطلبه وظفره بحاجته .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ، تألبت عليه العرب وتحزبت ، وذهبوا إلى عمه ساخطين ، شاكين ، صارخين قائلين : أما أن تكفه أو ننازله و إياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا ، فعظم على أبى طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه ، فقال يا ابن أخى : إن القوم جاؤونى ، فقالوا لى كذا ، فابق على نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق . فقال محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك الكلمة العزيزة التى لا تخرج إلا من قلب عظيم الأثر « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما فعلت » .

وهؤلاء أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم السابقون ، وقد أنزل بهم جبابرة قريش ما أنزلوه من ألوان العذاب وأصناف الشقاء . ما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . ولكنهم كانوا يتفيأون أثناء هذا العذاب الأليم أفنان العزة و ينعمون بشرف العقيدة وثبات اليقين .

وما زال تلك سجيتهم حتى فى العهد الذى كان الأمر فيه ملكا عصوراً .

وكان للملوك فيه من السلطان والبطش والجبروت ما يضطر المرء أن ينزل منه عن عزته أو يداجى فى عقيدته ، ولكن هيهات لمن تخلق بهذا الخلق الإسلامى الكريم أن ينزل عنه حتى فى أكثر المواقف حرجاً وأدناها إلى الهلاك .

قال الأوزاعى « دخلت على المنصور يوماً فقال : ما أبطأ بك عنى ؟ قلت : وما تريد منى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك ، فقلت : أنظر ما تقول فإن مكحولا حدثنى عن عطية بن بشير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من بلغته عن الله نصيحة فى دينه فهى رحمة من الله ، سيقت له ، فإن قبلها بشكر وإلا فهى حجة من الله عليه ، ليزداد إثماً و يزداد غضباً عليه .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين إنك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقد جاء عن جدك عبدالله بن عباس فى تفسير قول الله عز وجل (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك ، فما ظنك بالقول والعمل ، فأعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع مخالفة أمره فقد قال صلى الله عليه وسلم « ياصفية عمة محمد ، ويافاطمة بنت محمد ، استوهبا أنفسكما من الله فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئاً » وكذلك جدك العباس سأل الامارة من النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أى عم نفس تحميها خير لك من إمارة لا تحصيها » نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يلى فيحيد عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعاً ، ولا عنه دفعاً » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ما من راع يبعث غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة » وحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظراً ولما استطاع من عوراتهم ساتراً ، وبالحق منهم قائماً ، فلا يتخوف محسنهم رهقاً ، ولا مسيئهم عدواناً ، فقد كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها و يروع عنه المشركين بها ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ما هذه الجريدة التى معك ، أتركها لا تملأ قلوبهم رعباً ، فما ظنك بمن سفك

(البقية على صفحة ٣٢)

باب الفتاوى

سؤال وجـــــــواب

جاءنا السؤال الآتى :

ماالفرق بين المسلم والمؤمن ؟

الجـــواب

الفرق بين المسلم والمؤمن ، قد بيَّنه الحديث الذى يرويه مسلم عن عمر بن الخطاب فقد قال : « بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام ، أن تشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال صدقت . فعجبنا له يسأله و يصدقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال فأخبرنى عن الساعة ، قال : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، قال فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان ، ثم انطلق فلبثت ملياً ، ثم قال : ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

فالإسلام هو الانقياد الظاهرى لهذه الأركان الخمس من قول وعمل ، والله أعلم بما فى القلوب ، وذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا :

لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » .

أى أن الإنسان يسمى مسلماً له ماللمسلمين وعليه ماعليهم متى اعترف بهذه الأركان وعمل بها . ولكن الإيمان هو التصديق القلبى بالله و بما أتى به من دين رسوله و بما أمر به من سنة ظاهراً و باطناً بدون شك ولا ارتياب . وقد كفلت شرح هذا وتوضيحه آية الأعراب من سورة الحجرات ، حيث يقول الله عز وجل فيها (قالت الأعراب آمنا ، قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ، و إن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم ، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

فالإيمان هو العقيدة التى تصدر عنها مختلف الفضائل التى سردت فى القرآن موزعة على سوره وآياته ، أو هو الجهاز الذى يحرك الجوارح كلها فى طاعة الله وابتغاء مرضاته .

أما الإسلام فثوب يرتديه البر والفاجر ، والصادق ، والمنافق ، والأعمال هى التى تغربله وتنخله .

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

بقية المنشور على صفحة ٣٠

دماءهم وقطع أشعارهم ونهب أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعمده ، فقال جبريل « يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً تكسر قرون أمتك » .

واعلم يا أمير المؤمنين أن كل مافى يدك لايعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها ، ولو أن ثوباً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأهلك الناس رائحته ، فكيف بمن تقمصه ؟ ولو أن ذنوباً من النار صب على ماء الدنيا لأحمه ، فكيف بمن تجرعه ؟ ولو أن حلقة من جهنم وضعت على جبل لأذابته . فكيف بمن يسلك فيها ، ويرد فضلها على عاتقه ؟

سددنا الله تعالى جميعاً فى القول والعمل ووفقنا إلى تلك الهداية ، والله ولى التوفيق .

أخبار الجماعة

المركز العام بالقاهرة

اجتمعت الجمعية العمومية للمركز العام يوم السبت ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٧٦ الموافق ٨ يونية سنة ١٩٥٧ ـ لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٧ — ١٩٥٨

وقد أسفرت النتيجة كالآتى :

الأستاذ عبد الرحمن الوكيل (وكيل أول) الحاج سيد رضوان (وكيل ثان)

الأستاذ سليمان رشاد محمد (سكرتير أول) الأستاذ محمد سليمان فضل (سكرتير ثان).

الأستاذ سيد محمد متولى (مراقب) الأستاذ سليمان حسونه (أمين صندوق)

الأستاذ محمد رشدى خليل (مدير المجلة) الأستاذ مصطفى عبد الجواد (مراقباً مالياً)

والسادة : الدكتور عبد المنعم حسنين ، الأستاذ رشاد الشافعى ، الأستاذ عبد الله محمد ، الأستاذ أحمد محمد طه نصر ، الحاج صابر أحمد إبراهيم ، الحاج عطية حنفى محمد ، الحاج إبراهيم قنديل (أعضاء).

الأقطار الحجازية

سافر الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى رئيس الجماعة إلى الأقطار الحجازية وبهذه المناسبة نقدم عظيم أسفنا للسادة قراء (الهدى النبوى) بصدور هـذا العدد خالياً من التفسير.

إلى السادة المشتركين

نرجو السادة المشتركين أن يتكرموا بإرسال اشتراكاتهم باسم محمد رشدى خليل مدير إدارة المجلة . ونأسف مع الاعتذار بأننا سنضطر إلى قطع المجلة عنهم اعتباراً من عدد صفر سنة ١٣٧٧ أى العدد التالى . إذا لم يبادروا بتسديد اشتراكاتهم .

جماعة أنصار السنة المحمدية بالمنصورة

اجتمعت الجمعية العمومية يوم ٢ ذى القعدة سنة ١٣٧٦ الموافق ١٩٥٧/٥/٣١ لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ .

وقد أسفرت النتيجة كالآتى :ـ

الأستاذ أحمد أحمد بدر (رئيس) الأستاذ محمد أحمد الشامى (وكيل أول)
الأستاذ عوض عباس على (وكيل ثان) الأستاذ محمد تميم أبو الدهب (أمين صندوق)
الأستاذ محمد عبده الألفى (سكرتير أول) الأستاذ محمد عبد الرحمن زقير (سكرتير ثان)
الأستاذ يحيى إبراهيم على (مراقب حسابات) الأستاذ إبراهيم حامد محمد (مراقب إدارى)
والسادة : أحمد شحاته أبو الذهب ، محمود شحاته أبو الذهب ، سعد جعفر ، عبد الحميد حفنى ، محمد عبد الرحمن داود ، يوسف على محمد ، عبد الحميد مصطفى (أعضاء) .

جماعة أنصار السنة المحمدية بسرس الليان

أعضاء مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨

الأستاذ عبد الرحيم محمد عبد الله (رئيس) الأستاذ مصطفى محمد طلبه (وكيل أول)
الأستاذ عبد الحميد فهمى حسام الدين (وكيل ثان) الأستاذ عبدالحيد محمد طلبه (سكرتير)
الأستاذ سعيد مصطفى مرعى (أمين الصندوق) الأستاذ محمد محمد عيد (أمين المكتبة)
الأستاذ متولى حسن الشافعى (مراقب إدارى) .

والسادة : عبد المقصود بدر الدين ، محمد محروس الأبشيهى ، فهيم شاهين أبو النصر ، سيد محمد عبد الله ، على إبراهيم داود ، عبد العزيز أبو المجد الجمال ، محمد إبراهيم الدويك ، عبد الله حسين حسام الدين (أعضاء) .

وقد اختير الأستاذ زكى إمام حسام الدين (مراقباً مالياً)

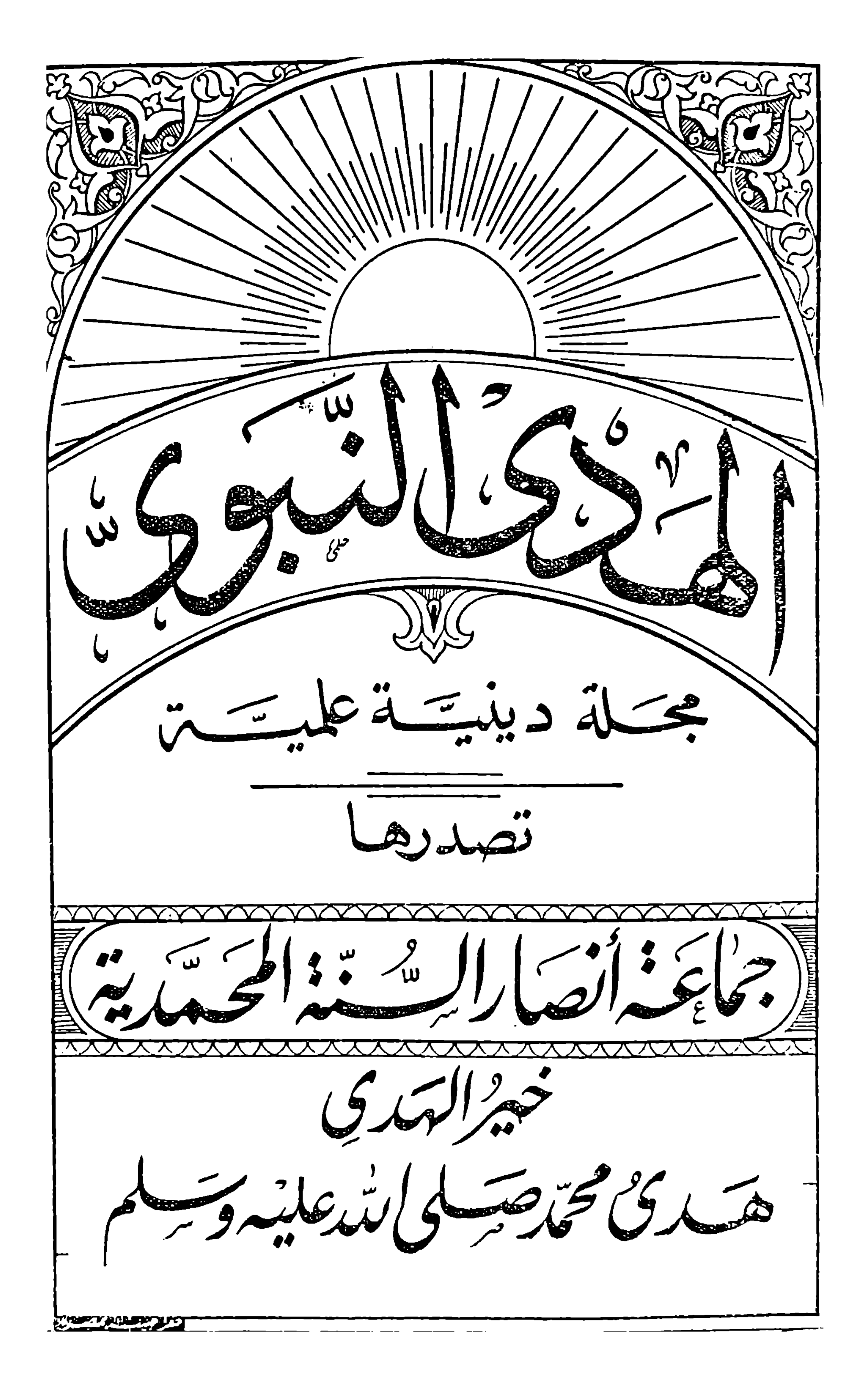
أربعة تولد المحبة :

حسن البشر ، و بذل البر ، وقصد الوفاق ، وترك النفاق .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

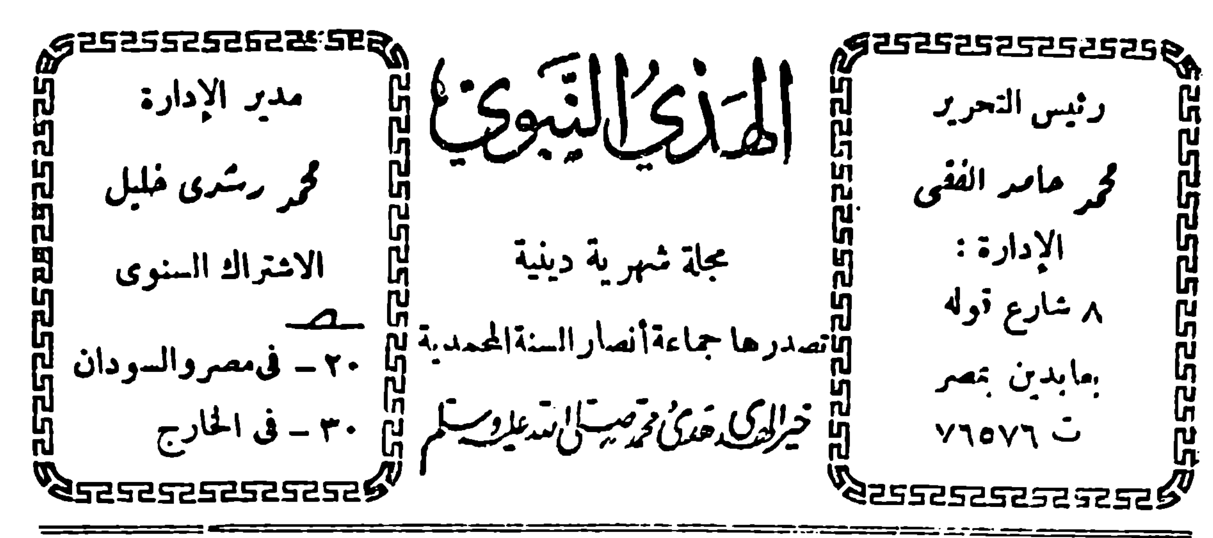
ت ٧٦٠١٧


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

الثمن ٤٠ مليما



المجلد ٢٢ صفر ـ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ الأعداد ٢ ـ ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٦ : ٢٥ ادْعُ إلى سبيل ربك بالحِكْمةِ والموعظَةِ الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسنُ . إن ربك هو أعلم بمن ضَلَّ عن سبيله . وهو أعلم بالمهتدين) .

« الدعاء ، والدعوة » إلى الشيء : الحث على قصده ، والوصول إليه . و « دعوت الرجل » صحت به ، وطلبت حضوره ، أو عودته ورجوعه من الطريق الذى هو سالكه ، إلى الطريق الذى تراد أصلح له وأولى به .

و « السبيل » الطريق السهل ، الذى لاصعوبة فيه ولا مشقة فى سلوكه و « سبيل الله » الطريق الذى رسمه وبين معالمه لسعادة الإنسان ونجاحه وفوزه بسعادة الأولى والأخرى .

و « الحكمة » العلم بحقائق الأشياء على ماهى عليه ؛ والعمل بمقتضاها ، بوضع كل شيء فى موضعه اللائق به ، والذى خلقه الله له ، وأمر به من أجله ، لمصلحة الإنسان وسعادته .

و « الموعظة » نصح وزجر بتخويف وتهديد بالعواقب ، وتذكير بما أعد الله للمتقين . وبما أعد للكافرين المجرمين فى الأولى والأخرى .

و « المجادلة » من جدل الحبل لزيادة قوته . فهى اختيار اللفظ القوى ، والجمل المفحمة ، والحجج البديهية التى تكون أقرب إلى إقناع الخصم ، أو إفحامه وقطع شغبه .

و « ضل » قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد . وهو ضياع الشيء وذهابه فى غير حقه . يقال : ضلّ يَضَل و يضِلُّ - بفتح الضاد وكسرها - لغتان . وكل جائر عن القصد ضال . فالضال : من سلك طريقاً غير مؤد إلى غايته ومقصوده . لأنه يمشى على جهل وتقليد أعمى على غير هدى الفطرة من السمع والبصر والعقل ، وعلى غير هدى الرسالة ونورها .

و « المهتدى » الذى سلك الطريق المؤدى إلى غايته ومقصوده . لأنه يمشى يقظاً يتحرى أن تكون كل خطوة من خطواته فى كل شأن من شئونه على بصيرة ونور العلم من سنن الله الكونية وآياته القرآنية ، وهدى رسله ، مؤمنا بأن كل خطوة مرتبطة بالتى قبلها . لأنها ثمرتها ، و بالتى بعدها . لأنها نتيجتها مترتبة عليها . فخطوته الآخرة خير له من الأولى . قال الله تعالى (١٦ : ٩ وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر . ولو شاء لهدا كم أجمعين) وقال (٦ : ١٥٣ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) روى عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة قال : اعلموا أن السبيل سبيل واحد : جماعه الهدى . ومصيره الجنة ، وأن إبليس اشترع سبلا متفرقة جماعها الضلالة . ومصيرها النار . اوأخرج عبد بن حميد والنسائى والبزار وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم - وصححه - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده . ثم قال : هذا سبيلي مستقيما . ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله . ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه . ثم قرأ (وأن هذا صراط ربك مستقيما - الآية) وأخرج ابن جرير وابن مردويه وعبد الرزاق عن ابن مسعود أن رجلا سأله : ما الصراط المستقيم ؟ قال « تركنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أدناه .وطرفه الجنة . وعن يمينه جواد وعن شماله جوادٌ . وثَمّ رجال يدعون من مرَّ بهم . فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة » ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطى مستقيما - الآية)

وقال الإمام محمد بن جرير الطبرى رحمه الله :

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع يا محمد[1] من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ـ « إلى سبيل ربك » يقول : إلى شريعة ربك التى شرعها لخلقه ـ وهو الإسلام ـ « بالحكمة » يقول : بوحى الله الذى يوحيه إليك ، وكتابه الذى ينزله عليك « والموعظة الحسنة » يقول : و بالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكّرهم بها فى تنزيله . كالذى عدد عليهم فى هذه السورة من حججه ؛ وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه « وجادلهم بالتى هى أحسن » يقول : وخاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها : بأن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تقصر فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك . وقوله « إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله » يقول تعالى ذكره : إن ربك هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل ومحجة الحق . وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه . انتهى .

وقال أبو حيان فى البحر : أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف . وهو أن يسمع المدعو حكمة : وهى الكلام الصواب القريب ، الواقع من النفس أجمل موقع ، وعن ابن عباس : أن الحكمة القرآن . وعنه : الفقه . وقيل : النبوة . وقيل : ما يمنع من الفساد من آيات ربك المرغبة والمرهبة . و « الموعظة الحسنة » مواعظ القرآن عن ابن عباس رضى الله عنهما . وعنه أيضاً : الأدب الجميل الذى يعرفونه . وقال ابن عيسى : الحكمة المعروفة بمراتب الأفعال . والموعظة الحسنة : أن تختلط الرغبة بالرهبة ، والانذار بالبشارة . وقال ابن عطية : «الموعظة الحسنة» التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان ، بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل . ونحو هذا . اه كلام أبى حيان

وقال السيد رشيد رضا « الحكمة » العلم الصحيح يكون صفة محكمة فى النفس ، حاكمة على الإرادة توجهها إلى العمل . ومتى كان العمل صادراً عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدى إلى السعادة . وكم من محصل لصور كثير من المعلومات ، خازن لها فى

(١) كان أولى أن يقول « أيها النبى ، أو أيها الرسول » كما علمنا الله وأدبنا فى مخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم بمخاطبته له بذلك وبقوله (٢٤ : ٦٣ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .

دماغه ليعرضها فى أوقات معلومة لاتفيده هذه الصور ـ التى تسمى علما ـ فى التمييز بين الحقائق والأوهام ، ولا فى التزييل بين الوسوسة والإلهام ، لأنها لم تتمكن من النفس تمكنا يجعل لها سلطاناً على الإرادة . وإنما هى تصورات وخيالات تغيب عن العمل ، وتحضر عند المراء والجدل . وآلة « الحكمة » العقل السليم ، مع التوفيق لحسن استعمال هذه الآلة فى تحصيل العلوم الصحيحة النافعة . وهذا يتفق مع ماروى عن ابن عباس : أن « الحكمة هى الفقه فى القرآن » أى معرفة مافيه من الهدى والأحكام بعللها وحِكَمها لأن هذا الفقه هو أجل الحقائق المؤثرة فى النفس ، الماحية لما يعرض لها من الوساوس ، حتى لاتكون مانعة من العمل الصالح . اه (الجزء الثالث صفحة ٧٥)

يقول ربنا تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ ولكل مؤمن به ، ومقتد به ، ومستمسك بحبل رسالته ، ومهتد بهداه ، ووارث لعلمه وحامل لأمانته ـ إنه حق لازم عليك لجميع الخلق : أن تدعوهم ، وتصيح فيهم بكل قوتك : أن يتحروا فى كل شئونهم ، وفى كل خطوة من خطواتهم السبيل القاصد ، الذى يبلغ بهم إلى مرضاة ربهم ، وإلى خير العقبى فى الأولى والأخرى . وليس ذلك السبيل إلا مارسمه الله ، وبين للناس معالمه وصُواهُ فى كتابه ، وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأعمال والآداب والأحوال . فإن هذا هو سبيل الفلاح والفوز بطيب العيش والأمن والسلام فى الأولى والأخرى .

ولن يستطيعوا أن يحققوا ذلك ، وتتم لهم نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم ـ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ـ إلا باليقظة من غفلة التقليد ، وسلامة الحواس والعقل وعودها إلى مافطرها الله عليه من استفادة المعارف والعلوم الصحيحة النافعة التى تكون من سنن الله الكونية ، ومن العلم اليقينى برسالة عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعرفتها المعرفة الصحيحة التى تطمئن إليها النفس ، ويهتدى بها القلب ويذعن لها مسلما ، ويزداد إيمانا وهدى . وذلك هو المعنى بقوله سبحانه وتعالى (١٢ : ١٠٨ قل : هذه سبيلى : أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله . وما أنا من المشركين) وهذا هو سبيل المؤمنين الشاكرين : أنهم لايخطون خطوة إلا وهم موقنون : أن مصيرهم بها إلى الله ، فلا يخطون ، ولا يتحركون ، إلا بعد أن يعلموا ماذا

يحب ربهم لهم فى هذه الخطوة ، وماذا يجزيهم عليها ، وأنه هو الشهيد الرقيب ، الخبير الحسيب ، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - فيتحرون محاب الله التى وعدهم بها خير العاقبة فى الأولى والأخرى .

وهكذا فى الخطوة الثانية يحرصون أن يعلموا صلتها وموافقتها للخطوة الأولى ، وهل هى من ثمراتها ، كما قال الله (١٩ : ٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أو لاصلة لها بها ، بل تنافرها . فلا تلتئم معها فتكون سوأى . كما قال الله سبحانه (٣٠ : ١٠ ثم كان عاقبة الذين أساءوا : السوأى) .

فلقد بين الله فى عدة مواضع من كتابه الكريم أن الإنسان سالك فى حياته الأولى طريقين ، لا ثالث لهما : طريق الذين أنعم الله عليهم ، وهداهم إلى الصراط المستقيم . وهم الذين صدقوا فى إيمانهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر على ما جاء من الله ثمرة علمهم ومعرفتهم بالله من آياته الكونية فى الأنفس والآفاق ، وآياته المنزلة من عنده موعظة وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

علما ومعرفة بكتبه : أن الله أوحاها إلى المصطفين من رسله لخير الناس وإصلاحهم ، وهدايتهم إلى الطريق التى هى أقوم لبلوغهم الغاية الكريمة ، والعاقبة الحسنى فى كل شأن من شئونهم ، حتى تبلغ بهم إلى رضوان من الله وجنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وعلماً ومعرفة برسله : أن الله العليم الحكيم الخبير اصطفاهم . فهم أطهر الناس قلباً ، وأزكاهم نفساً ، وأصدقهم قولا ، وأعفهم عن كل مايعيب ، وأبعدهم عن كل نقص وشين ، وأرشدهم عقلا ، وأحكمهم فكراً ونطقا ، وأسرعهم إلى فعل الخيرات ، وأبعدهم عن الآثام والمنكرات . وأن الله إنما اختارهم وأرسلهم إلى الناس لخير الناس ، وصلاح الناس ، وفلاحهم وسعادتهم فى الأولى والأخرى . فتحروا الاقتداء بهم فى جميع شئونهم ، والاهتداء بهداهم فى كل أمورهم ، لايرضون بإمامتهم بديلا ، ولا يتخذون غير سبيلهم سبيلا

وعلماً ومعرفة باليوم الآخر على ما وصف الله وأخبر ، وأنه اليوم الذى تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، وتوفى كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون لا يجزى والد عن ولده ، ولا ولد عن والده (٨١ : ٣٤ - ٣٧ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه .

٨

لـكل امرىء منهم يومئذ شىء يغنيه) (٧٠ : ١١ ـ ١٥ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التى تؤويه ، ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا) (٨٢ : ١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله) ، (٥٣ : ٣٨ ـ ٤١ ألاّ تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يُجزاه الجزاء الأوفى) . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته وحبيبته فاطمة رضى الله عنها « يافاطمة بنت محمد ، اعملى ، فلن أغنى عنك من الله شيئاً » وكذلك قال لعمه العباس ، ولعمته صفية رضى الله عنهما . ويقول فى حديث الحوض « يذاد قوم عنه ـ أى عن الحوض ـ فأقول : أمتى ـ أو أصحابى ـ فيقال : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول : بعداً بعداً ، وسحقاً سحقاً إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك » وبغير ذلك من آى الذكر الحكيم . وأحاديث الرسول الكريم ، مما يهدم آمال المغرورين ؛ ويخيب ظنون الجاهليين وأمانيهم الكاذبة فى شفاعة آلهتهم ومعبوداتهم من الموتى ، وفى مخادعتهم أنفسهم بألفاظ يلوكونها بلا فهم ثم ويهدمونها بالعقيدة الوثنية ، والأعمال الجاهلية (٢٥ : ٢٧ ـ ٣١ يوم يعض الظالم على يديه ، ويقول : ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . ياويلتَى، ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى . وكان الشيطان للانسان خذولا . وقال الرسول : يارب ، إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . وكذلك جعلنا لـكل نبى عدواً من المجرمين . وكفى بربك هادياً ونصيرا) .

بهذا العلم والمعرفة الصادقة نبتت شجرة الإيمان الطيبة فى قلوب أولئك المؤمنين الصادقين وزكا نورها ، وأشرق مصباحها . فكان لهم من نور الفطرة ما أمده نور ما اعتصروه بتدبرهم وتفكرهم من آى القرآن . نور على نور . يهدى الله بنوره من يشاء .

فتحروا ـ بذلك النور ـ فى كل خطوة ؛ وفى كل شأن وأمر من شئونهم وأمورهم ـ سبيل الله الذى أقام على رأسه رسوله خاتم المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم ، يبصر الناس ويدعوهم ـ وهو بهم رءوف رحيم ـ إلى سلوكه ، والاستقامة فى كل شئونهم عليه ، واضعين نصب أعينهم ، وأمام بصائرهم : منار الهدى من كتاب الله وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم بكل يقظة ، وبأشد الخوف والحذر : أن يخدعهم عنه ـ فى أى خطوة ، وفى أى شأن ـ

شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . يتقون ذلك أشد التقوى ، معتصمين بحبل الله ، مستمسكين بالعروة الوثقى من هداه وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، عاضين عليهما بالنواجذ ، بصراء بما حولهم من ظلمات الفتن ، ومضلات الأهواء ومغريات الشهوات ، فتنفر منها نفوسهم ، وتمقتها أشد المقت قلوبهم ، ويفرون ـ فرار السليم من المجذوم ـ من أرجاسها وأنجاسها وقذرها ، حرصاً على إيمانهم أن تشوبه منها شائبة فيتقذر ، وعلى قلوبهم أن يصيبها من رشاشها فتتنجس . ويلجأون إلى الله ربهم الذى منّ عليهم بتزكية نفوسهم أن يعيذهم منها ، ويبعدهم عن أهلها لا يصيبهم مثل ماأصابهم ، وأن يمدهم بالتوفيق والمعونة على دعوة أولئك المرضى لعلاجهم ونجاتهم ، من شر ما هم فيه من أدواء وعلل . والله معهم يستجيب لهم فيزيدهم إيماناً وهدى وتقى . ويثبتهم على صراطه المستقيم ، ويمدهم بالمعونة ويؤتيهم من الحكمة مايهدى الله به من يشاء عن فضله .

هـذا هو طريق أهل اليمين من المؤمنين الصادقين . رسمه الله سبحانه لعباده فى كتابه وعلى لسان رسوله . وجمع فى سورة فاتحة الكتاب صفاته ومعالمه وصواه . وأكد على عباده أن يسألوه الهداية إليه ، والتوفيق والثبات عليه فى كل ركعة من ركعات صلاتهم بالليل والنهار ؛ لأنهم بأشد الحاجة والفقر إليه فى نجاحهم وفلاحهم وفوزهم بسعادة الأولى والأخرى وحذرهم من الطريق الثانى طريق أهل الشمال ، المغضوب عليهم والضالين . فليت كل مصل يفهم ذلك ، ويعقل ويفقه الفاتحة ، ويقرؤها متأنياً متدبراً ليحظى بهذه السعادة الكبرى والفوز العظيم . ولكن أكثر الناس لايعقلون ولا يتفكرون ولا يفقهون . فهل هم من المصلين ؟ إنهم عن صلاتهم ساهون . فهم لذلك يكذبون بيوم الدين .

ولقد وصف الله ـ سبحانه ، وجل ثناؤه ، وله الحمد كثيراً ـ طريق أهل الشمال المغضوب عليهم الضالين وصفاً أوضحه أشد الإيضاح ، وبينه أعظم البيان وأشفاه ، لمن عرف فضل ربه ؛ يتشكره على أنعمه ، ولم يكذب بآياته فى السمع والبصر والفؤاد . وفيما هيأ للإنسان من أسباب العلم والكرامة بما بث فى نفسه وفيما حوله من الآيات الكونية ، وبما أوحى من القرآن المبارك والذكر الحكيم ، وما جمل فيه من الهدى المبين ، والفرقان

الظاهر ، وبما علم رسوله صلى الله عليه وسلم من البيان الذى جعل الطريق محجة بيضاء ، ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها إلا هالك .

وصف الله هذا الطريق بأنه دين الوراثة والجاهلية والتقليد الأعمى للآباء والشيوخ القائلين على الله بغير علم ، المتفرقين فى الكتاب ، المفارقين للكتاب ، الذى اتخذوهم أربابا من دون الله . وأحبوهم حب العبد للرب ، كما يحب المؤمن ربه ويخشاه (٢ : ١٦٥ - ١٧١ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله . ولو يرى الذين ظلموا - إذ يرون العذاب - أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعوا ، ورأوا العذاب . وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبعوا : لو أن لنا كرة ، فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار - إلى قوله - وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله . قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . صم بكم عمى . فهم لا يعقلون) (٣ : ٧٧ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب . وماهو من الكتاب . ويقولون : هو من عند الله . وما هو من عند الله . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٣ : ١٠٢ - ١٠٥ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا - إلى قوله - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٤ : ٦٠ - ٦٥ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ؟ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم : تعالوا إلى أنزل الله وإلى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً - إلى قوله - فلا ، وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شَجَر بينهم . ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً) (٤ : ١٥ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ماتولى . ونُصْلِه جهنم وساءت مصيراً) (٥ : ٧٨ - ٨١ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا

وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . لبئسما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئسما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه مااتخذوهم أولياء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون) (٦ : ١٥٩ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء . إنما أمرهم إلى الله . ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (٧ : ٣ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) (٧ : ٩ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) (٧ : ٣٨ - ٤١ قال : ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار . كلما دخلت أمة لعنت أختها . حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أضلونا . فآتهم عذاباً ضعفاً من النار . قال : لكل ضعف - إلى قوله - كذلك نجزى القوم الظالمين) (٧ : ١٤٦ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً . وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) (٧ : ١٧٢ - ١٧٩ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم . وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون . واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان . فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه - إلى قوله - ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس . لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لايسمعون بها . أولئك كالأنعام . بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) (١٢ : ١٠٤و١٠٥ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . ومايؤمن أكثرهم بالله إلاوهم مشركون) (١٣ : ١٩ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب) (١٤ : ١٠ قالت رسلهم : أفى الله شك ؟ فاطر السموات والأرض . يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى . قالوا : إن أنتم إلا بشر مثلنا . تريدون أن تصدونا عما

كان يعبد آباؤنا . فائتونا بسلطان مبين) . (١٤ : ٢١ وبرزوا لله جميعاً . فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً . فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ، ما لنا من محيص) (١٥ : ١٢ و ١٣ كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين . لا يؤمنون به ، وقد خلت سنة الأولين) (١٧ : ٤٥ ــ ٤٧ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكِنَّة أن يفقهوه ، وفى آذانهم وَقْرا ، وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده وَلَّوْا على أدبارهم نفورا . نحن أعلم بما يستمعون به . إذ يستمعون إليك ، وإذ هم نجوى . إذ يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا) (١٧ : ٨١ و ٨٢ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة المؤمنين . ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) (١٧ : ٨٩ ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل . فأبى أكثر الناس إلا كفورا) (١٨ : ٥٦ و ٥٧ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق . واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه ؟ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وَقراً . وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبدا) (١٨ : ١٠٠ ــ ١٠٦ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا . الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى . وكانوا لا يستطيعون سمعا ــ إلى قوله ــ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ــ إلى قوله ــ واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) (٢٠ : ٩٩ ــ ١٠١ وقد أتيناك من لدنا ذكرا . من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه . وساء لهم يوم القيامة حملا) (٢٠ : ١٢٣ ــ ١٢٧ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضَنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رب ، لم حشرتنى أعمى ، وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك ، أتتك آياتنا فنسيتها . وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) (٢١ : ٢ و ٣ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) (٢٢ : ٣ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان مريد . كُتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) (٢٢ : ٨ ــ ١٣ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى

ولا كتاب منير . ثانى عِطفه ليضل عن سبيل الله . له فى الدنيا خزى . ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد . ومن الناس من يعبد الله على حرف . فإن أصابه خير اطمأن به . وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين . يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضَرُّه أقرب من نفعه لبئس المولى ، ولبئس العشير) (٢٢ : ٧١ و ٧٢ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم . وما للظالمين من نصير . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر . يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا . قل : أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار ، وعدها الله الذين كفروا . وبئس المصير) (٢٣ : ٥٢ ـ ٥٥ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً كل حزب بما لديهم فرحون . أيحسبون أن مانمدهم من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ؟ بل لايشعرون) (٢٣ : ٦٦ و ٦٧ قد كانت آياتى تتلى عليكم . فكنتم على أعقابكم تنكصون ، مستكبرين به ، سامراً تهجرون) (٢٣ : ١٠٣ ـ ١١١ ومن خَفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ؟ ـ إلى قوله ـ إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) (٢٤ : ٣٩ و ٤٠ والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب . أو كظلمات فى بحر لُجِّى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (٢٤ : ٤٦ ـ ٥٢ لقد أنزلنا آيات مبينات . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . ويقولون : آمنا بالله وبالرسول ، وأطعنا . ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك . وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض ؟ أم ارتابوا ؟ أم يخافون أن يَحيف الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون . إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله

ويَخشَ الله ويَتّقْهِ فأولئك هم الفائزون) (٢٤ : ٦٣ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذًا . فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم) (٢٥ : ٢١ ــ ٣٠ وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ؟ لقد استكبروا فى أنفسهم ، وعَتَوْا عُتُوًّا كبيراً . يوم يرون الملائكة ، لابُشرى يومئذ للمجرمين ، ويقولون : حِجْراً محجوراً . وقَدِمْنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ــ إلى قوله ــ وقال الرسول : يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) (٢٥ : ٤٣ و ٤٤ أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا) (٢٦ : ٥ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين . فقد كذبوا بالحق لما جاءهم . فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) (٢٦ : ٩١ ــ ١٠٣ وبُرِّزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم : أين ما كنتم تعبدون من دون الله ؟ هل ينصرونكم ، أو ينتصرون ؟ فَكُبْكِبُوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون . قالوا ــ وهم فيها يختصمون ــ تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نُسَوِّيكم برب العالمين . وما أضلّنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم . فلو أن لنا كَرَّة ؟ فنكون من المؤمنين) (٢٦ : ٢٠٠ و ٢٠١ كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين . لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) (٢٧ : ٨٠ و ٨١ إنك لاتسمع الموتى ، ولا تسمع الصم الدعاء إذا وَلَّوا مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا . فهم مسلمون) (٢٨ : ٥٠ و ٥١ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ إن الله لايهدى القوم الظالمين . ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) (٢٨ : ٦٢ ــ ٦٧ ويوم يناديهم ، فيقول : أين شركائى الذين كنتم تزعمون ؟ قال الذين حق عليهم القول : ربنا هؤلاء الذين أغوينا ، أغويناهم كما غوينا . تبرأنا إليك . ما كانوا إيانا يعبدون . وقيل : ادعوا شركاءكم ، فدعوهم . فلم يستجيبوا لهم ، ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون . ويوم يناديهم ، فيقول : ماذا أجبتم المرسلين ؟ فعَمِيَتْ عليهم الأنباء يومئذ . فهم لايتساءلون . فأما من تاب وآمن

وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) (٢٨: ٧٤ و ٧٥ ويوم يناديهم ، فيقول : أين شركائى الذين كنتم تزعمون ؟ ونزعنا من كل أمة شهيداً ، فقلنا : هاتوا برهانكم . فعلموا أن الحق لله . وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٢٩ : ١٢ و ١٣ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم . وماهم بحاملين من خطاياهم من شىء . إنهم لكاذبون . وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم . وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) (٢٩ : ٢٥ وقال : إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً ، مودة بينكم فى الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضا . ومأواكم النار . وما لكم من ناصرين) (٢٩ : ٤١ و ٤٢ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم مايدعون من دونه من شىء . وهو العزيز الحكيم) (٣٠ : ٣٠ ـ ٣٢ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها . لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون . منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون) (٣٠ : ٥٨ ـ ٦٠ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل . ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا : إن أنتم إلا مبطلون . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون . فاصبر إن وعد الله حق . ولا يستخفنك الذين لايوقنون) (٣١ : ٦ ، ٧ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هُزُوًا ، أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وَقْراً ، فبشره بعذاب أليم) (٣١ : ٢٠-٢٤ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ؟ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى . وإلى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ، إن الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلا ، ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) (٣٢ : ١٢ ـ ٢٢ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ،

١٦

ربنا أبصرنا وسمعنا . فارجعنا نعمل صالحا . إنا موقنون ـ إلى قوله ـ ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها . إنا من المجرمين منتقمون) (٣٢ : ٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً : أن يكون لهم الخِيَرَة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا) (٣٣ : ٦٤ـ٦٨ إن الله لعن الكافرين . وَأَعَدَّ لهم سعيراً ، خالدين فيها أبداً ، لا يجدون ولياً ولا نصيراً ! يوم تُقَلَّب وجوههم فى النار ، يقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) (٣٤ : ٣١ـ٣٣ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى القول ، يقول الذين استُضْعِفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار . إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟) (٣٧ : ٦٨ـ٧٣ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم . إنهم ألفَوْا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يُهْرَعُون . ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين) (٣٨ : ٦ ـ ٨ وانطلق الملأ منهم ، أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشىء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة . إنْ هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ؟ بل هم فى شك من ذكرى . بل لما يذوقوا عذاب) (٣٨ : ٥٩ ـ ٦٣ هذا فوج مقتحم معكم ، لا مرحباً بهم . إنهم صالوا النار . قالوا : بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار . قالوا : ربنا من قدَّم لنا هذا فزده عذاباً ضِعفاً فى النار) (٣٩ : ٥٥ ـ ٦٠ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس : ياحسرتَى على مافرطت فى جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين ، أو تقول : لو أن الله هدانى لكُنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب : لو أن لى كرّة فأكون من المحسنين ، بلى ، قد جاءتك آياتى فكذبت بها ، واستكبرت ، وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ،

أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم ، لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) (٤٠ : ١٠ ـ ١٢ إن الذين كفروا ينادون : لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تُدْعَوْن إلى الإيمان فتكفرون . قالوا : ربنا ، أمَتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ، فاعترفنا بذنوبنا ، فهل إلى خروج من سبيل ؟ ذلكم بأنه إذا دُعى الله وحده كفرتم ، وإن يُشرَكْ به تؤمنوا . فالحكم لله العلى الكبير) (٤٠ : ٨٢ ـ ٨٥ أفلم يسيروا فى الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم . وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده . وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا . سنة الله التى قد خلت فى عباده . وخسر هنالك الكافرون) (٤١ : ٥٤ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته ؟ أأعجمى وعربى ؟ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر . وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد) (٤١ : ٤٧ و ٤٨ ويوم يناديهم : أين شركائى ؟ قالوا : آذناك . ما مِنَّا من شهيد . وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل . وظنوا مالهم من محيص) (٤٢:١٣ ـ ٢٢ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك ، وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه . كبر على المشركين ماتدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم ، بغيا بينهم . ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ـ إلى قوله ـ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ؟ ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم . وإن الظالمين لهم عذاب أليم) (٤٢:٤٤ ـ ٤٧ ومن يضلل الله فما له من ولىّ من بعده . وترى الظالمين ـ لما رأوا العذاب ـ يقولون : هل إلى مَرَدّ من سبيل ؟ ـ إلى قوله ـ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله . مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) (٤٣ : ٢٢ ـ ٢٥ بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة . وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال

مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة . وإنا على آثارهم مقتدون . قال : أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم . فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) (٤٣ : ٣٥ ـ ٤٠ ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطاناً . فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال : يا ليت بيني و بينك بُعْدَ المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم ـ إذ ظلمتم ـ أنكم فى العذاب مشتركون ، أفأنت تسمع الصم ، أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين ؟) (٤٥ : ٧ ـ ١٠ ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يُصِرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها . فبشره بعذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا . أولئك لهم عذاب مهين . من ورائهم جهنم ، ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ، ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم) (٤٥ : ١٨ ـ ٢٣ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، فاتبعها . ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً . وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض . والله ولىّ المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون . وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ؟ فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون) (٤٦ : ١١ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون : هذا إفك قديم) (٤٧ : ٨ ـ ١٤ والذين كفروا فتعساً لهم وأضلَّ أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ـ إلى قوله ـ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ، واتبعوا أهواءهم ؟) (٤٧ : ٢٤ ـ ٢٨ أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ؟ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ، الشيطان سَوَّل لهم وأملى لهم ـ إلى قوله ـ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه . فأحبط أعمالهم) (٤٩ : ١ و ٢ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم . يا أيها الذين

آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) (٥٨ : ٥ إن الذين يحادون الله ورسوله كُبتوا كما كبت الذين من قبلهم ، وقد أنزلنا آيات بينات . وللكافرين عذاب مهين) (٦٢ : ٥ مثل الذين حملوا التوراة ، ثم لم يحملوها : كمثل الحمار يحمل أسفارا . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لا يهدى القوم الظالمين) (٦٣ : ٤ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم . كأنهم خُشُب مُسَنَّدة . يحسبون كل صيحة عليهم . هم العدو فاحذرهم . قاتلهم الله أنى يؤفكون) .

هذا بعض ماجاء فى القرآن الحكيم فى طريق المغضوب عليهم والضالين ، ومعالمه وآياته وخطواته ، وخصائص سالكيه وأعمالهم ، وعاقبة أمرهم ، ومآلهم فى الأولى والأخرى . أسأل الله أن يجنبنا طريقهم وكل مافيه . ويبعدنا عن المغضوب عليهم والضالين ، ويجعلنا مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا .

وآى الذكر الحكيم كلها ـ بل رسالات جميع الرسل من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ إنما جاءت للتعريف بالطريقين ، والدعوة الأكيدة إلى طريق المنعم عليهم ، والتحذير الشديد من طريق المغضوب عليهم والضالين .

فطريق المنعم عليهم : هو سبيل الله ، الذى يبلغ سالكوه ـ المؤمنون الشاكرون الصابرون على علم ـ منتهى غاياتهم الحميدة ، من فلاح الدنيا والآخرة ، والفوز بسعادتهما ، والأمن والسرور ، واطمئنان القلب ، وراحة البال ، ورغد العيش فى الأولى والأخرى .

وطريق المغضوب عليهم والضالين : هو طريق الشيطان وحزبه الكافرين الذين يسيرون فى كل شئونهم مقلدين للآباء والشيوخ ، بجاهلية جهلاء ، عمياً وبكماً وصماً ، على اتباع للأهواء والشهوات والظنون التى لا تغنى من الحق شيئاً .

وجماع خصائص المنعم عليهم الصابرين الشاكرين المحسنين : أنهم لايعبدون إلا الله . ولا يعبدونه إلا بما أحب وشرع فى رسالة عبده وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

ولازم ذلك : أن يبرأوا من كل مايعبد الناس ليطهر قلبهم ويزكو . فيكون أهلا لعبادة الله وحده . وأن يبرأوا من كل ما يبتدع الناس ويشرعون من شرائع وثنية ، وتقاليد

جاهلية ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ليطهر قلبهم وتزكو نفوسهم . فتكون أهلا لحب الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديره قدره ، وتقديم حبه وطاعته على هوى أنفسهم ، والناس أجمعين ، وشرف الإقتداء والتأسى به .

وجماع خصائص المغضوب عليهم والضالين : أن يتخذوا من دون الله آلهة وأولياء من الموتى على قدر ماتهوى أنفسهم الجاهلية ، وما ورثوا عن آباؤهم وشيوخهم الضالين . ويخادعون أنفسهم ويخادعهم شياطين الجن والإنس بأن ذلك ليس شركا ولا كفراً . فإنه الموروث عن الآباء والأجداد ، والمقرر عند الشيوخ والمتبوعين والجماهير الغفيرة تدين به .

ثم يزيدهم شياطينهم غروراً وتمادياً فى الجاهلية والغفلة عن الحق بأسماء وصور ورسوم يسمونها عبادات ، وما هى إلا لهو ولعب ، أو عبادات للشيطان لا تغنى عند الله شيئاً . ولا تخرجهم مما هم فيه من الضلال والباطل . فانها كلها مبتدعة مخترعة ، إما فى صفتها ، أو فى أصلها وحقيقتها .

ثم يؤكد لهم شياطينهم هذا التمادى فى الجاهلية والغفلة بالتحذير من الاتصال بمنابع الدين الصحيحة ، وعداوة ومحاربة كل من يدعو إليها .

والحياة ـ بكل ما فيها من جميع الشئون ـ ابتلاء يبتلى الله الإنسان بها و بما فيها . قال الله تعالى (٦٧ : ٢ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا . وهو العزيز الغفور) وقال (٧٦ : ٢ ـ ٣١ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل : إما شاكراً ، و إما كفوراً ـ إلى آخر السورة) وقال (٩٠ : ٨ ـ ١٠ ألم نجعل له عينين ؟ ولساناً وشفتين ؟ وهديناه النجدين ؟ إلى آخر السورة) واقرأ سورة العصر وغيرها من سور القرآن متدبراً لتعرف ذلك .

ومن خصائص المنعم عليهم الشاكرين الصابرين : أن يحبوا لإخوانهم من الخير والهدى ، والكرامة الإنسانية . والفلاح والسعادة ، وعمل الصالحات ما يحبون لأنفسهم . و إمامهم خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

فقد ذكر الله سبحانه عنه : أنه كان شاكراً لأنعم ربه فاجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتاه فى الدنيا حسنة . و إنه فى الآخرة لمن الصالحين .

وكان أبرز آيات شكره : جهاده الصادق للوثنية ، وعداوته لما كان يعبد أبوه آزر وقومه من آلهة ، وبراءته من هذه الآلهة الباطلة ، وإعلانه الحرب العنيفة عليها ، حتى انتهت بتحطيمها وجعلها جذاذا ، مما أغضب المشركين عليه أشد الغضب ، حمية لآلهتهم ونصراً لهم فأججوا له ناراً عظيمة وألقوه فيها . فقال الله (يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) ونجاه وزوجه سارة ولوطاً إلى الأرض التى بارك فيها بكثرة المياه والزروع والثمار ، وطيب المناخ ، ووهب له إسماعيل وإسحاق ويعقوب عباداً صالحين ، وأنبياء مصطفين .

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وكل من آمن به واهتدى بهداه ، واعتصم بحبل سنته ، واستمسك بعروتها الوثقى : أن يدعو إلى سبيل الله ربه كدعوة إبراهيم وأن يصدق صدق إبراهيم ، وأن يصبر صبر إبراهيم ، ويضحى بكل نفيس ــ حتى بنفسه ــ فى سبيل إنقاذ الناس من مخالب شياطين الإنس ، أئمة الشرك ، دعاة الوثنية ، ومروجيها ليملؤا بطونهم ناراً من السحت الذين يدعون الجاهليين إلى نذره وتقديمه ــ مما رزقهم الله ــ فى صناديقها وأعيادها الجاهلية الوثنية ، مستغلين جاهلية العامة ، مستغفلينهم بما يأفكون من رؤى ومنامات وأكاذيب ، يدعونها كرامات وما هى إلا من وحى شيخهم إبليس . لعنه الله وحزبه الخاسرين .

فقام حبيب الله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه أفضل قيام وأبره ، ودعا الناس إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن . وكانت دعوته كما وصفها الله بقوله (١٥ : ٩٤ ــ ٩٦ فاصدع بما تؤمر . وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون) .

لم يكن صلى الله عليه وسلم يتهاون ولا يلين فى الدعوة ، ولا يداجى ، ولا يتملق أحداً من عتاة قريش وطغاتها . حاشاه وبرأه الله .

ويكفى أن نقرأ فيما أوحى إليه ربه ، ونقرؤه صباح مساء عتاب الله له إذ عبس وتولى أن جاءه عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ، وكان فى مجلس سادة قريش ، وقد زعموا أنهم يسمعون لدعوته ، لو أنه خصهم بمجلس لا يشاركهم فيه غيرهم .

ومن شك فى أن إبراهيم الخليل ومحمداً الحبيب ـ عليهما الصلاة والسلام ـ لم يكونا حكيمين حين حطم إبراهيم آلهتهم ، وحين شهر رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف على رقابهم ، وأشرع الرمح فى صدورهم ـ من شك فى حكمتهما ، وأن ذلك كان أفضل الحكمة وأجلها : فهو كافر زنديق ، أو جاهلى لا يفقه ولا يعقل .

ولقد تهاون المسلمون فى الدعوة إلى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى عمت البلية ، وعاقب الله الجميع بظهور الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

وكان ذلك التهاون والتقصير من ثمرات التقليد الأعمى الخبيثة ، التى قست بها القلوب ، وغفلت عن ذكر الله فكان الأمر كله فرطاً . وأصبح الكثير يسمع الزيغ والإلحاد والدعوة إليهما من دعاتهما أكثر مما يسمعون من المسلمين الدعوة إلى سبيل الله ، والأمر بمعروف والنهى عن منكر . فضلاً عن الفسوق والعصيان والاستهتار بشرائع الله وطاعته استهتاراً تحللت به كل المقومات الإنسانية ، فضلا عن الإسلامية ، بل تحللت به كل مقومات الحيوانية .

ولقد شرط الله فى خيرية هذه الأمة وإسلامها : أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . فإذا فقدت ذلك وضيعته كانت كغيرها من الهالكين الغابرين . وحل بها من اللعنة والعذاب ما حل بمن سبق من الكافرين . وتلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولا تحويلا .

روى البخارى والترمذى عن النعمان بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة . فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا هلكوا جميعاً . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً .

وروى البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً ، يقول : لا إله إلا الله . ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح

اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها ـ فقلت : يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم . إذا كثر الخبث » .

وروى أبو داود الترمذي والنسائي وابن ماجة وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال « يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها غير موضعها (٥ : ١٠٥ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم) و إني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم ـ يعني الظالم لنفسه بتعدي حدود الله ـ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » .

ألا فليحذر كل ناصح لنفسه ، مشفق عليها من غضب الله وشديد عقابه ، وليبادر كل واحد بدعوة أهله و إخوانه وأصدقائه إلى سبيل ربهم ، شفقة عليهم و براً بهم ، ورحمة بنفسه و إنجاء لها من الهلاك ، وليعودوا إلى ما كان عليهم سلفنا الصالح رضي الله عنهم من الفلاح والعزة والكرامة والسلطان .

وخير ماتدعو به نفسك وأهلك إلى سبيل ربك : هو الحكمة من كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم فإنك تغسل بالقرآن عن قلبك أوضار الجاهلية التي أفسدت العقيدة والأعمال والأخلاق . ثم قطعت مابين الناس من حبال المودة والإخاء والتعاون على البر والتقوى . و إنك بهما لتزكي نفسك وتحييها فتقوى . وتثق بالله ربها ، وتصدر دعوتك حينئذ عن قلب طيب ونفس زكية . فيجعل الله فيها الهدى والرحمة . و يسهل لها السبيل إلى القلوب فتكون هادياً مهدياً .

جعلنا الله و إياك من الهداة المهتدين إلى صراط الله المستقيم : صراط الذين أنعم عليه غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وصلى الله و بارك على عبد الله ورسوله إمام الهداة المهتدين وخاتم المرسلين محمد وعلى آله أجمعين . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين ؟

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقي

٢٤

إنما الأعمـــــال بالنيات

شرحه هذا الشرح الممتع

شيخ الإسلام ابن تيمية

قال شيخ الإسلام العالم المحقق ، أبو العباس تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى رحمه الله :

الحمد لله المستوجب لصفات المدح والكمال . المستحق للحمد على كل حال . لا يحصى أحد ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه بأكمل الثناء وأحسن المقال . فهو المنعم على العباد بالخلق . و بإرسال الرسل إليهم ، و بهداية المؤمنين منهم لصالح الأعمال . وهو المتفضل عليهم بالعفو عنهم ، و بالثواب الدائم بلا انقطاع ولا زوال . له الحمد فى الأولى والأخرى ، حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه متصلا بلا انفصال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى هدى به من الضلال . وأمر المؤمنين بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، ووضع عنهم الإصار والأغلال . فصلى الله عليه وعلى آله خير آل .

أما بعد : فإن الله تعالى خلق الخلق لما شاء من حكمته . وأسبغ عليهم مالا يحصونه من نعمته . وكرم بنى آدم بأصناف من كرامته . وخص عباده المؤمنين باصطفائه وهدايته . وجعل أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خير أمة أخرجت للناس من بريته . و بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعلمون صدقه وأمانته ، وجميل سيرته ، يتلو عليهم آياته ليخرجهم من ظلمة الكفر وحيرته ، و يهديهم إلى صراط مستقيم ، و يدعوهم إلى عبادته .

وأنزل عليهم أفضل كتاب أنزل إلى خليقته . وجعله آية باقية إلى قيام ساعته ، ومعجزة باهرة مبدية عن حجته . و بينة له ظاهرة موضحة لدعوته (٥ : ١٦ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور) و يدلهم على طريق جنته . فالسعيد

من اعتصم بكتاب الله ، واتبع الرسول فى سنته وشريعته . واتبع ما جاء به من منهاجه وشرعته . والمهتدى بمناره المقتفى لآثاره : هو أفضل الخلق فى دنياه وآخرته . والمحيى لسنة من سننه له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص أحد فى أجر طاعته . فإن الله لا يظلم مثقال ذرة ، بل يضاعف الحسنات بفضله ورحمته .

وإحياء سنته يشمل أنواعاً من البر ، لسعة فضل الله وكرامته .

فيكون بالتبليغ لها والبيان لأجل ظهور الحق ونصرته ، الذى أرسل به أفضل صفوته .

ويكون بالإعانة عليها بإنفاق المال ، والجهاد إعانة على دين الله وعلو كلمته . فالجهاد بالمال مقرون بالجهاد بالنفس . وقد ذكره الله تعالى قبله فى غير موضع لعظم منزلته وثمرته . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازياً فقد غزا . ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » وقال « من فطر صائما فله مثل أجره ومثوبته » .

لاسيا مايبقى نفعه بعد موت الإنسان ومصيره إلى تربته . كما قال فى الحديث الصحيح « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » فهذه الثلاث هى من أعماله الباقية بعد ميتته بخلاف ماينفعه بعد موته من أعمال غيره من الدعاء ، والصدقة ، والعتق . فإن ذلك ليس من سعيه ، بل ينفعه الله به كما ينفعه بدعاء نبيه وشفاعته . بل من سعى غيره وشفاعته . وكما يلحق بالمؤمن من يدخله الله الجنة من ذريته .

وأصل العمل الصالح : هو إخلاص العبد لله فى نيته . فإنه سبحانه إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل ، وخلق العباد لعبادته . وهى دعوة الرسل لكافة بريته . كما ذكر ذلك فى كتابه ، وعلى ألسنة رسله بأوضح دلالته .

قال تعالى (٥١ : ٥٦ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال تعالى (٢١ : ٢٥ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه : أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (٤٣ : ٤٥ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال (١٦ : ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

وقد أخبر عن نوح وغيره من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم إنما أرسلوا يدعون الناس إلى عبادة الله وحده وطاعته .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قيل له « يارسول الله : الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل رياء ، ويقاتل حَمِيَّة . فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا . فهو فى سبيل الله » .

وفى النسائى عنه : أنه قال « بُعثت بالسيف بين يدى الساعة ، حتى يعبد الله وحده ، لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى . وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » . ومثل هذا كثير فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان السلف يستحبون أن يفتتحوا مجالسهم وكتبهم وغير ذلك ، بحديث « إنما الأعمال بالنيات » فى أول الأمر و بدايته . فنجرى فى ذلك على منهاجهم ، إذ كانوا أفضل جيش الإسلام ومقدمته .

فنقول ـ مستعينين بالله على سلوك سبيل أهل ولايته وأحبته ـ عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن إبراهيم التيمى عن علقمة بن وقاص الليثى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرىء مانوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

هذا حديث صحيح متفق على صحته . تلقته الأمة بالقبول والتصديق . مع أنه من غرائب الصحيح .

فإنه ـ و إن كان قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة ، كما جمعها ابن منده وغيره من الحفاظ ـ فأهل الحديث متفقون على أنه لايصح منها إلا من طريق عمر الخطاب رضى الله عنه ـ هذه المذكورة ـ ولم يروه عنه إلا علقمة بن وقاص لليثى ؛ ولا عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمى ، ولا عن محمد إلا يحيى بن سعيد الأنصارى قاضى المدينة . ورواه عن يحيى بن سعيد أئمة الإسلام .

يقال : إنه رواه عنه نحو من مائتي عالم ، مثل : مالك ابن أنس ، والثورى ، وسفيان ابن عيينة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبد الوهاب الثقفى ، وأبى خالد الأحمر ، وزائدة بن قدامة ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويزيد بن هارون . وغير هؤلاء خلق من أهل المدينة ، ومكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام وغيرها من شيوخ الشافعى ، وأحمد وإسحاق ، وطبقتهم ، ويحيى بن معين ، وعلي ابن المدينى ، وأبى عبيد .

ولهذا الحديث نظائر من غرائب الصحاح .

مثل حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نهى عن بيع الولاء وهبته » أخرجاه فى الصحيحين .

قالوا : تفرد به عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

ومثل حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر . فقيل له : إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه » أخرجاه فى الصحيحين .

قالوا : تفرد به الزهرى عن أنس . وقيل : إنه تفرد به مالك عن الزهرى . وقيل : تابعه غيره .

والحديث الغريب فى اصطلاح أهل الحديث : ما انفرد به واحدٌ . وقد يكون غريب المتن ، أو غريب الإسناد ، مثل أن يكون متنه صحيحاً من طريق معروف ، وروى من طريق أخرى غريبة .

ومن الغرائب : ما هو صحيح . وغالبها غير صحيح ، كما قال أحمد : اتقوا هذه الغرائب . فإن عامتها عن الكذابين .

ولهذا يقول الترمذى فى بعض الأحاديث : إنه غريب من هذا الوجه .

والترمذى أول من قسم الأحاديث إلى صحيح وحسن وغريب وضعيف .

وهذا التقسيم لم يعرف قبله عن أحد من أهل الحديث ، لكن كانوا يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، كما يقسمون الرجال إلى ضعيف وغير ضعيف .

والضعيف عندهم نوعان : ضعيف لا يحتج به . وهو الضعيف فى اصطلاح الترمذى .

والثانى : ضعيف يحتج به . وهو الحسن فى اصطلاح الترمذى .

كما أن ضعف المرض عند الفقهاء نوعان : نوع يجعل تبرعات صاحبه من الثلث . كما إذا صار صاحب فراش . ونوع يكون تبرعات صاحبه من رأس المال ، كالمرض اليسير الذى لا يقطع صاحبه ، ولا يلزمه الفراش.

ولهذا يوجد فى كلام الإمام أحمد رحمه الله وغيره ــ من العلماء والفقهاء ــ : أنهم يحتجون بالحديث الضعيف ، كحديث عمرو بن شعيب ، و إبراهيم الهجَرى وغيرهما .

فإن ذلك الذى سماه أولئك ضعيفاً : هو أرفع من كثير من الحسن ، بل هو مما يجعله كثير من الناس صحيحاً .

والترمذى قد فسر مراده بالحسن : أنه ما تعددت طرقه ولم يكن فيها من يتهم . ولم يكن شاذاً .

فصـــــل

والمعنى الذى دل عليه هذا الحديث : أصل عظيم من أصول الدين ، بل هو أصل كل عمل . ولهذا قالوا : مدار الإسلام على ثلاثة أحاديث . فذكروه منها . كقول الإمام أحمد رحمه الله : الإسلام يدور على ثلاثة أحاديث . حديث « الأعمال بالنيات » وقوله صلى الله عليه وسلم « ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقوله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين » .

ووجه هذا الحصر : أن الدين فعل ما أمر الله به ، وترك مانهى عنه .

فحديث « الحلال بين » فيه بيان مانهى الله عنه .

والذى أمر الله به نوعان .

أحدهما : العمل الظاهر : وهو ما كان واجباً أو مستحباً .

والثانى : العمل الباطن . وهو إخلاص الدين لله .

فقوله « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ينفى التقرب إلى الله بغير ماأمر الله به : أمر إيجاب ، أو أمر استحباب .

وقوله « إنمــا الأعمال بالنيات . و إنما لــكل امرىء مانوى » يبين العمل الباطن ، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بإخلاص الدين له . كما قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى (٦٧ : ٢ ليبلوكم أيــكم أحسن عملا) قال : أخلصه وأصوبه . وقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابا : لم يقبل . و إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً : لم يقبل حتى يكون ، خالصاً صوابا . فالخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

وعلى هذا أدل قوله تعالى (١٨ : ١١٠ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

فالعمل الصالح : هو ماأمر الله به ورسوله أمر إيجاب ، أو أمر استحباب ، وأن لا يشرك العبد بعبادة ربه أحداً . وهو إخلاص الدين لله .

وكذلك قوله تعــالى (٢ : ١١٢ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله (٤ : ١٢٥ ومن أحسن دينا ممن أســلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، واتخــذ الله إبراهيم خليلا) وقوله (٣١ : ٢٢ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

فإن إسلام الوجه لله يتضمن إخلاص العمل لله . والإحسان : هو إحسان العمل . وهو فعل ما أمر به فيه . كما قال تعالى (١٨ : ٢٠ إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) .

فإن الإساءة فى العمل الصالح تتضمن الاستهانة بالأمر به ، والاستهانة بنفس العمل ، والاستهانة بما وعد الله عليه من الثواب .

فإذا أخلص العبد دينه ، لله وأحسن العمل له : كان ممن أسلم وجهه لله ، وهو محسن . فكان من الذين لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون .

فصل

لفظ « النية » فى كلام العرب من جنس لفظ « القصد ، والإرادة » ونحو ذلك . تقول العرب : نواك الله بخير أى أرادك بخير . ويقولون : نوى غربة أى بعيدة ، والمــكان الذى ينويه يسمونه نوى . كما يقولون : قَبْض بمعنى مقبوض .

« والنية » يعبر بها عن نفس نوع من الإرادة ، ويعبر بها عن نفس المراد . كقول العرب :هذه نيتى ، يعنى : هذه البقعة التى نوى قصدها ، لكن من الناس من يقول : إنها أخص من الإرادة . فإن إرادة الإنسان تتعلق بعمله وعمل غيره . والنية لاتتعلق إلا بعمله . فإنك تقول : أردت من فلان كذا ، ولا تقول : نويت من فلان كذا .

فصل

وقد تنازع الناس فى قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » هل فيه إضمار أو تخصيص ، أو هو على ظاهره وعمومه ؟

فذهب طائفة من المتأخرين إلى الأول .

قالوا : لأن المراد بالنيات : الأعمال الشرعية التى تجب ، أو تستحب . والأعمال كلها لا يشترط فى صحتها هذه النيات . فإن قضاء الحقوق الواجبة ـ من المغصوب ، والعوارى ، والودائع ، والديون ـ تبرأ منها ذمة الدافع ، وإن لم تكن له فى ذلك نية شرعية ، بل تبرأ ذمته منها من غير فعل منه ، كما لو تسلم المستحق عين ماله ، أو أطارت الريح الثوب المودع ، أو المغصوب ، فأوقعته فى يد صاحبه ونحو ذلك .

ثم قال بعض هؤلاء : تقديره : إنما ثواب الأعمال المترتبة عليها بالنيات ، وإنما تقبل الأعمال بالنيات .

وقال بعضهم ، تقديره : إنما الأعمال الشرعية ، أو إنما صحتها ، أو إنما جزاؤها ، ونحو ذلك .

وقال الجمهور : بل الحديث على ظاهره وعمومه . فإنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالنيات فى هذا الحديث : الأعمال الصالحة وحدها ، بل أراد النية المحمودة والمذمومة ، والعمل المحمود والمذموم .

ولهذا قال فى تمامه « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

فذكر صلى الله عليه وسلم النية المحمودة بالهجرة . وهى الهجرة إلى الله ورسوله . والنية المذمومة بالهجرة . وهى الهجرة إلى امرأة أو مال .

وهذا ذكره تفصيلا بعد إجمال .

فقال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى » ثم فصل ذلك بقوله « فمن كانت هجرته إلى ورسوله إلخ » .

وقد روى أن سبب هذا الحديث : أن رجلا كان قد هاجر من مكة إلى المدينة لأجل امرأة كان يحبها تدعى أم قيس . فكانت هجرته لأجلها . فكان يسمى مهاجر أم قيس . فلهذا ذكر فيه « أو امرأة يتزوجها » وفى رواية « ينكحها » فخص المرأة بالذكر لاقتضاء سبب الحديث لذلك . والله أعلم .

والسبب الذى خرج عليه اللفظ العام لايجوز إخراجه منه باتفاق الناس .

و « الهجرة » فى الظاهر : هى سفر من مكان إلى مكان .

و « السفر » جنس تحته أنواع تختلف باختلاف نية صاحبه . فقد يكون سفرا واجباً ، كحج أو جهاد متعين . وقد يكون محرماً كسفر العادى لقطع الطريق ، والباغى على جماعة المسلمين ، وسفر العبد الآبق ، والمرأة الناشز .

ولهذا : تكلم الفقهاء فى الفرق بين العاصى بسفره ، والعاصى فى سفره .

فقالوا : إذا سافر سفراً مباحاً ـ كالحج والعمرة ، والجهاد ـ جاز له فيه القصر والفطر باتفاق الأئمة الأربعة ، وإن عصى فى ذلك السفر .

وأما إذا كان عاصيا بسفره ـ كالمسافر لقطع الطريق وغير ذلك ـ فهل يجوز له الترخص برخص المسافر ؟ كالفطر ، والقصر فيه نزاع معروف .

فمذهب مالك والشافعى ، وأحمد لا يجوز له القصر ، ولا الفطر . ومذهب أبى حنيفة : يجوز له ذلك .

وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكر هذا السفر وهذا السفر : علم أن مقصوده ذكره جنس العمل مطلقاً ، لا نفس العمل الذى هو قربة بنفسه . كالصلاة والصيام ومقصوده ذكر جنس النية .

وحينئذ : يتبين أن قوله «إنما الأعمال بالنيات» مما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم

كما قال « بعثت بجوامع الكلم » وهذا الحديث من أجمع الجوامع التى بعث بها صلى الله عليه وسلم . فإن كل عمل يعمله عامل من خير وشر : هو بحسب مانواه . فإن قصد بعمله مقصود إحسان : كان له ذلك المقصود الحسن . و إن قصد به مقصودا سيئاً : كان له مانواه[1] .

فصل

ولفظ « النية » يراد بها النوع من المصدر و يراد بها المنوى . واستعمالها فى هذه العلة . وأغلب فى كلام العرب .

فيكون المراد : إنما الأعمال بحسب مانواه العامل ، أى بحسب منويه .

ولهذا قال فى تمامه : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » .

فذكر ماينويه العامل و يريده بعمله . وهو الغاية المطلوبة له . فإن كل متحرك بالإرادة لابد له من مراد .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن . وأقبحها حرب ومرة . وأصدقها حارث وهمام » فإن كل آدمى حارث وهمام . والحارث : هو العامل الكاسب . والهمام : الذى يَهِمُّ و يريد . قال تعالى (٤٢ : ٢٠ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) أى كسبها وعملها .

ولهذا وضع الحريرى مقاماته على لسان « الحارث بن همام » لصدق هذا الوصف على كل أحد .

فصـــــل

ولفظ « النية » يجرى فى كلام العلماء على نوعين .

---

(١) وكذلك يفهم فى الحديث أيضا : أن نجاح كل عامل فى عمله ـ أى عمل من أعمال الدين أو الدنيا ـ فإنما هو على قدر نيته وإرادته . فإن النية ـ التى هى القصد ، والعزم إذا كانت صادقة : سبقها ـ ولا بد العلم الصحيح بالعمل ، والعلم بمقدماته ونتائجه ، والعلم بطريقه وما يقوم فيه من عقبات ، واتخاذ الأسباب التى يتغلب بها على اقتحام العقبات . وهكذا . والله الموفق والمعين .

فتارة يريدون بها تمييز عمل من عمل ، وعبادة من عبادة .

وتارة يريدون تمييز معبود عن معبود ، ومعمول له عن معمول له .

فالأول : تكلم العلماء فى النية فيه : هل هى شرط فى طهارة الأحداث ؟ وهل تشترط نية التعيين والتبييت فى الصيام ؟ وإذا نوى بطهارته مايستحب لها : هل تجزيه عن الواجب ؟ وأنه لابد فى الصلاة من نية التعيين ؟ ونحو ذلك .

والثانى : كالتمييز بين أهل إخلاص العمل لله ، وبين أهل الرياء والسمعة . كما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم « عن الرجل يقاتل بشجاعة ، وحمية ورياء . فأى ذلك فى سبيل الله » فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا . فهو فى سبيل الله » .

وهذا الحديث يدخل فى سائر الأعمال .

وهذه النية تميز بين من يريد الله ـ والدار الآخرة بعمله ، وبين من يريد الدنيا ، مالا وجاهاً وثناء وتعظيما ، وغير ذلك .

والحديث دل على هذه النية بالقصد . وإن كان قد يقال : إن عمومه يتناول النوعين . فإنه صلى الله عليه وسلم فرق بين من يريد الله ورسوله ، وبين من يريد دينا أو امرأة . ففرق بين معمول له ومعمول له . ولم يفرق بين عمل وعمل .

وقد ذكر الله تعالى الإخلاص فى كتابه فى غير موضع . كقوله تعالى (٩٨ : ٥ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقوله تعالى (٣٩ : ٢ و ٣ فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص) وقوله تعالى (٣٩ : ١٤ قل الله أعبد مخلصاً له دينى) إلى غير ذلك من الآيات .

وإخلاص الدين لله : هو أصل دين الإسلام .

وكذلك ذم الرياء مثل قوله تعالى (١٠٧ : ١ ـ ٦ فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون) وقال تعالى (٤ : ١٤٢ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى (٢ : ٢٦٤ كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ـ الآية) وقوله تعالى (٤ : ٣٨ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ـ الآية) .

فصـــل

وقد اتفق العلماء على أن العبادة المقصودة لنفسها ـ كالصـلاة ، والصيام ، والحج ـ لا تصح إلا بنية .

وتنازعوا فى الطهارة ـ مثل من يكون عليه جنابة فينساها ، ويغتسل للنظافة ـ فقال مالك والشافعى وأحمد : النية شرط لطهارة الأحداث كلها .

وقال أبو حنيفة : لا تشترط فى الطهارة بالماء ، بخلاف التيمم .

وقال زفر : لا تشترط لا فى هذا ولا فى هذا .

وقال بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى وأحمد : تشترط لإزالة النجاسة . لكن هذا القول شاذ . فإن إزالة النجاسة لا يشترط لها عمل العبد ، بل تزول بالمطر النازل ، والنهر الجارى ، ونحو ذلك . فكيف تشترط لها النية ؟ .

وأيضاً : فإن إزالة النجاسة من باب التروك ، لا من باب الأعمال . ولهذا لو لم يخطر بقلبه فى الصلاة أنه يجتنب النجاسة : صحت صلاته إذا كان مجتنباً لها .

ولهذا قال مالك وأحمد ـ فى المشهور عنه ـ والشافعى ـ فى أحد قوليه ـ : لو صلى وعليه نجاسة ـ لم يعلم بها إلا بعد الصلاة ـ لم يعد ، لأنه من باب التروك .

وقد ذكر الله تعالى عن المؤمنين قولهم (٢ : ٢٨٦ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن الله قال عن هذا الدعاء « إن الله قد استجاب هذا الدعاء » فقال « فعلت » فمن فعل ما نهاه الله عنه ناسياً ، أو مخطئاً ، فلا إثم عليه بخلاف من ترك ما أمره الله به ، كمن ترك الصلاة ناسياً ، فلا بد من قضائها .

ولهذا فرق أكثر العلماء ـ فى الصلاة ، والصيام ، والإحرام ـ بين من فعل المحظور ناسياً ، وبين من ترك الواجب ناسياً . كمن تكلم فى الصلاة ناسياً ، ومن أكل فى الصيام ناسياً ، ومن تطيب أو لبس ناسياً فى الإحرام .

والذين يوجبون النية فى طهارة الأحداث يحتجون بهذا الحديث على أبى حنيفة ، وأبو حنيفة يسلم أن الطهارة غير المنوية ليست عبادة ولا ثواب فيها . وإنما النزاع فى صحة الصلاة بها .

فقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرىء ما نوى » لا يدل على محل النزاع إلا إذا ضُمت إليه مقدمة أخرى . وهى : أن الطهارة لا تكون إلا عبادة ، والعبادة لا تصح إلا بنية .

وهذه المقدمة إذا سُلّمت لم يحتج إلى الاستدلال بهذا . فإن الناس متفقون على أن مالا يكون إلا عبادة لا يصح إلا بنية ، بخلاف ما يقع عبادة وغير عبادة . كأداء الأمانات وقضاء الديون .

وحينئذ : فالمسألة مدارها على أن الوضوء هل يقع غير عبادة ؟ .

والجمهور يحتجون بالنصوص الواردة فى ثواب المتوضىء . كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ـ الحديث » وأمثال ذلك .

فيقولون : كل وضوء ففيه الثواب ، لعموم النصوص . والثواب لا يكون إلا مع النية . والوضوء لا يكون إلا بنية .

وأبو حنيفة يقول : الطهارة شرط من شرائط الصلاة . فلا يشترط لها النية ، كاللباس و إزالة النجاسة .

وأولئك يقولون : اللباس ، والإزالة : يقعان عبادة وغير عبادة . ولهذا لم يرد نص بثواب الإنسان على جنس اللباس والإزالة . وقد وردت النصوص بالثواب على جنس الوضوء .

وأبو حنيفة يقول : النصوص وردت بالثواب على الوضوء المعتاد . وعامة المسلمين إنما يتوضئون بالنية . والوضوء الخالى عن النية نادر ، لا يقع إلا فى مثل من أراد تعليم غيره . ونحو ذلك .

والجمهور يقولون : هذا الوضوء الذى اعتاده المسلمون : هو الوضوء الشرعى الذى تصح به الصلاة ، وما سوى هذا لايدخل فى نصوص الشارع . كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » فإن المخاطبين لايعرفون الوضوء المأمور به إلا لوضوء الذى أثنى عليه ، وحث عليه ، وغير هذا لا يعرفونه . فلا يقصد إدخاله فى عموم كلامه ولا يتناوله النص .

فصـــل

وأما « النية » التي هي إخلاص الدين لله : فقد تكلم الناس في حدها ، وحد الإخلاص .
كقول بعضهم : المخلص هو الذي لايبالي لو سقط كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل ، ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله . وأمثال ذلك من كلامهم الحسن .

لكن كلامهم يتضمن الإخلاص في سائر الأعمال . وهذا لايقع من سائر الناس ، بل لايقع من أكثرهم ، بل غالب المسلمين يخلصون لله في كثير من أعمالهم ، كإخلاصهم في الأعمال المشتركة بينهم . مثل صوم شهر رمضان . فغالب المسلمين يصومونه لله . وكذلك من داوم على الصلوات . فإنه لايصلي إلا لله جل وعز[1] ، بخلاف من لم يحافظ عليها . فإنما يصليها حياء أو رياء ، أو لعلة دنيوية . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » فإن الله تعالى يقول (٩ : ١٨ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة . ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ومن لم يصل إلا بوضوء واغتسال . فإنه لايفعل ذلك إلا لله .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الإمام أحمد ، وابن ماجة من حديث ثوبان رضي الله عنه . أنه قال « استقيموا . ولن تحصوا . واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة . ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

فإن الوضوء سرٌّ بين العبد و بين الله عز وجل . وقد ينتقض وضوءه ، ولا يدري به أحد . فإذا حافظ عليه لم يحافظ عليه إلا لله سبحانه وتعالى . ومن كان كذلك لا يكون إلا مؤمناً

(١) ذلك إنما يكون إذا صلى على علم وبصيرة ، وفقه وتدبر لما نقرأ من القرآن ولما يكبر ويسبح ويذكر . أما المقلد التقليد الأعمى . فإنه آلة صماء تتحرك حركات لا تمس القلب ولا تتصل بالروح . فكانت صلاة أمثال هؤلاء عادة لا عبادة . وعلى الأخص المشركون الذين يتحرون بصلاتهم المساجد التي أقيمت باسم من اتخذوهم أولياء وآلهة من دون الله .

والإخلاص فى النفع المتعدى أقل منه فى العبادات البدنية . ولهـذا قال فى الحديث المتفق على صحته « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه . ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين » .

فصــــل

و « النية » محلها القلب باتفاق العلماء . فلو نوى بقلبه ولم يتكلم بلسانه : أجزأته النية باتفاقهم .

وقد خرج بعض أصحاب الشافعى وجهاً من كلام الشافعى ، غلط فيه على الشافعى . فإن الشافعى إنما ذكر الفرق بين الصلاة والإحرام . فإنه قال « الصلاة أولها كلام » .

فظن بعض الغالطين : أنه أراد التكلم بالنية . و إنمــا أراد التكبير ، والنية تتبع العلم . فمن علم مايريد أن يفعله فلا بد أن ينويه ضرورة . كمن قدم بين يديه طعام ليأكله . فإذا علم أنه يريد الأكل فلا بد أن ينويه . وكذلك الركوب وغيره ، بل لو كلف العباد أن يعملوا عملاً بغير نية كلفوا مالا يطيقون . فإن كل أحد إذا أراد أن يعمل عملاً مشروعاً أو غير مشروع فعلمه سابق إلى قلبه . وذلك هو النية .

و إذا علم الإنسان أنه يريد الطهارة والصلاة والصوم . فلابد أن ينويه إذا علمه ضرورة .

و إنمــا يتصور عدم النية إذا لم يعلم مايريد ، مثل من نسى الجنابة واغتسل للنظافة أو للتبرد ، أو من يريد أن يعلّم غيره الوضوء ، ولم يرد أن يتوضأ لنفسه ، أو من لايعلم أن غداً من رمضان ، فيصبح غير ناوٍ للصوم .

وأما المسلم الذى يعلم أن غداً من رمضان ، وهو يريد صوم رمضان : فهذا لابد أن ينويه ضرورة ، ولا يحتاج أن يتكلم به .

وأكثر ما يقع عدم التبيت والتعيين فى رمضان عند الاشتباه ، مثل من لايعلم أن غداً

من رمضان حتى يصبح . فينوى القيام بعد طلوع الفجر ، أو يشك هل غداً من رمضـان أم لا ؟ فينوى صوما مطلقاً ، أو يقصد تطوعاً ، ثم يتبين أنه من رمضان .

ولو تكلم بلسانه بشيء ، وفى قلبه خلافه : كانت العبرة بما فى قلبه ، لا بمـا لفظ به .

ولو اعتقد بقاء الوقت ، فنوى الصلاة أداء ، ثم تبين خروج الوقت ، أو اعتقد خروجه فنواها قضاء ، ثم تبين له بقاؤه : أجزأته صلاته بالاتفاق .

ومن عرف هذا : تبين له أن « النية » مع العلم فى غاية اليسر ، لا تحتاج إلى وسوسة ، وآصار وأغلال .

ولهذا قال بعض العلماء : الوسوسة إنمـا تحصل للعبد من جهله بالشرع ، أو من خبل فى العقل .

وقد تنازع الناس : هل يستحب التلفظ بالنية ؟

فقالت طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد : يستحب ، ليكون أبلغ .

وقالت طائفة من أصحاب مالك وأحمد : لا يستحب ذلك ، بل التلفظ بها بدعة . فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين : لم ينقل عن واحد منهم أنه تكلم بلفظ « النية » لا فى صلاة ، ولا فى طهارة ، ولا صيام .

قالوا : لأنها تحصل مع العلم بالفعل ضرورة . فالتكلم بها نوع هوس وعبث وهذيان .

والنية : تكون فى قلب المبتدع الجاهل ، ويعتقد أنها ليست فى قلبه . فيريد تحصيلها بلسانه وتحصيل الحاصل محال . فلذلك يقع كثير من الناس فى أنواع من الوسواس .

واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية لا لإمام ولا لمأموم ولا لمنفرد . ولا يستحب تكريرها . وإنما النزاع عندهم فى التكلم بها سراً . هل يكره أو يستحب ؟

فصـــل

ولفظة « إنما » للحصر عند جماهير العلماء . وهذا مما يعرف بالاضطرار من لغة العرب كما تعرف معانى حروف النفى ، والاستفهام ، والشرط ، وغير ذلك .

ولكن تنازع الناس : هل دلالتها على الحصر بطريق المنطوق أو المفهوم ؟ على قولين .

والجمهور على أنها بطريق للنطوق .

والقول الآخر قول بعض مثبتي المفهوم . كالقاضي أبي يعلى في أحد قوليه . و بعض الغلاة من نفاته . وهؤلاء زعموا أنها لاتفيد الحصر . واحتجوا بمثل قوله (٤٩ : ١٠ إنما المؤمنون إخوة) .

وقد احتج طائفة من الأصوليين على أنها للحصر بأن حرف « إن » للإثبات . وحرف « ما » للنفي . فإذا اجتمعا حصل النفي والإثبات جميعاً .

وهذا خطأ عند العلماء بالعربية . فإن « ما » هنا : هي « ما » الكافة ، ليست « ما » النافية . وهذه الكافة تدخل على « إن » وأخواتها ، فتكفها عن العمل . وذلك لأن الحروف العاملة أصلها أن تكون للاختصاص . فإذا اختصت بالاسم أو بالفعل ، ولم تكن كالجزء منه : عملت فيه « فإن » وأخواتها اختصت بالاسم ، فعملت فيه . وتسمى الحروف المشبهة للأفعال . لأنها عملت رفعاً ونصباً ، وكثرت حروفها .

وحروف الجر : اختصت بالاسم . فعملت فيه .

وحروف الشرط : اختصت بالفعل ، فعملت فيه .

وكذلك « أنْ » المصدرية اختصت بالفعل فعملت فيه .

بخلاف أدوات الاستفهام . فإنها تدخل على الجملتين ولم تعمل . وكذلك «ما» المصدرية

ولهذا القياس في « ما » النافية أن لاتعمل أيضاً على لغة تميم . ولكن عملت على اللغة الحجازية التي نزل بها القرآن ، في مثل قوله تعالى (٥٨ : ٢ ماهن أمهاتهم) وقوله (١٢ : ٣١ ماهذا بشراً) استحساناً لمشابهتها « ليس » .

وهنا لما دخلت « ما » الكافة على « إن » أزالت اختصاصها . فصارت تدخل على الجملة الاسمية والجملة الفعلية . فبطل عملها . كقوله تعالى (١٣ : ٧ إنما أنت منذر) وقوله (٥٢ : ١٦ إنما تجزون ما كنتم تعملون) .

وقد تكون « ما » التي بعد « إنَّ » اسماً لاحرفاً . كقوله تعالى (٢٠ : ٦٩ إنما صنعوا كيد ساحر) بالرفع ، أي : إن الذي صنعوه كيد ساحر ، بخلاف قوله تعالى (٢٠ : ٧٢ إنما تقضى هذه الحياة) فإن القراءة بالنصب لاتستقيم إذا كانت « ما » بمعنى الذي . وفي كلا

المعنيين الحصر موجود ، لكن إذا كانت بمعنى الذى . فالحصر جاء من جهة أن المعارف هى من صيغ العموم .

فإن الأسماء إما معارف ، وإما نكرات . فالمعارف من صيغ العموم . والنكرة فى غير الموجب ـ كالنفى وغيره ـ من صيغ العموم . كقوله تعالى (٢٠ : ٦٩ إنما صنعوا كيد ساحر) تقديره : إن الذى صنعوه كيد ساحر .

وأما الحصر فى «إنما» فهو من جنس الحصر بالنفى والاستثناء ، كقوله تعالى (٣٦ : ١٥ ما أنتم إلا بشر مثلنا) وقوله (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) .

والحصر قد يعبر عنه بأن الأول محصور فى الثانى . وقد يعبر عنه بالعكس . والمعنى واحد . وهو أن الثانى أثبته الأول ولم يثبت له غيره ، مما يتوهم أنه ثابت له . وليس المراد أنك تنفى عن الأول كل ما سوى الثانى . فقوله تعالى (١٣ : ٧ إنما أنت منذر) أى إنك لست رباً لهم ولا محاسباً ، ولا مجازياً ، ولا وكيلاً عليهم . كما قال تعالى (٨٨ : ٢٢ لست عليهم بمصيطر) وكما قال (٣ : ٢٠ فإنما عليك البلاغ) وكما قال (٥ : ٧٥ ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) أى : ليس هو إلهاً ولا أمه إلهة ، بل غايته : أن يكون رسولاً . كما غاية محمد أن يكون رسولاً ، وغاية مريم : أن تكون صديقة .

وهذا مما استدل به على بطلان قول بعض المتأخرين : إنها نبية .

وقد حكى الإجماع على عدم نبوة أحد من النساء : القاضى أبو بكر بن الطيب ، والقاضى أبو يعلى ، والأستاذ أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين وغيرهم .

وكذلك قوله تعالى (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ليس مخلداً فى الدنيا لا يموت ولا يقتل . بل يجوز عليه ماجاز على إخوانه من المرسلين من الموت والقتل (٣ : ١٤٤ أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ؟) نزلت يوم أحد ، لما قيل « إن محمداً قد قتل » وتلاها الصديق رضى الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » . ثم تلا هذه الآية . فكأن الناس لم يسمعوها حتى تلاها أبو بكر رضى الله عنه . فكان لا يوجد أحد إلا يتلوها .

(يتبع)

أضلهم السامرى !!

بقلم الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

— ١ —

قد أتى على المصر يين القُدامى حين من الدهر صرفهم فيه الـكهنة عن التوحيد ، ووجهوهم إلى عبادة الأوثان . لأنهم كانوا يجنون من وراء ذلك أرباحاً طائلة ، وثروات ضخمة .

وكان مما عبدوه فى تلك الأحقاب : العجل « أبيس » وهو عجل يمتاز بصفات نادرة تجعل الحصول على مثله من أعسر الأمور .

وقد برعوا فى الفنون السحرية براعة تتحدى وصف الواصفين ، و إعجاب المعجبين . وأعنى بالفنون السحرية : تلك الضروب من الشعوذة القائمة على أساس من البراعة فى خفة اليد ، وسرعة الحركة ، أو المهارة فى الخداع والتضليل ، أو التعمق فى المعرفة بأسرار القوى الـكونية ، التى لا يكشف الحجاب عن غوامضها إلا العباقرة من العلماء ، أو الرسوخ فى الحقائق العلمية التى تخفى على الدهماء .

ولقد تحدى بها فرعون معجزات السماء ، حين رأى أن سحرته يسحرون أعين الناس ، ويسترهبونهم ، ويخيلون إليهم أن الحبال والعصى تتحرك وتسير وتسعى . ولقد غره ذلك منهم حتى ظن أن فى وسعهم أن يغلبوا موسى عليه السلام على أمره ، أو يغضوا من قدر معجزاته ولـكن الله أفسد كيدهم ، وأبطل سحرهم ، فانقلبوا صاغرين ، وألقى السحرة ساجدين .

ولقد بلغ من براعتهم فى الفنون السحرية : أنهم أقاموا تمثالين عظيمين غربى النيل تلقاء مدينة الأقصر ، وهما تمثالا « ممنون » وجهزوهما بأجهزة علمية دقيقة تعمل بقوة تمدد الهواء بالحرارة ، فـكانا يصيحان بأصوات عالية مدوّية كلما أشرقت عليهما الشمس ، وغمرتهما بأشعتها الذهبية .

أقام بنو إسرائيل فى مصر منـذ دخلوها فى عصر يوسف عليه السلام ، واتصلوا بالمصريين ، وتعلموا منهم علومهم وفنونهم ، وعبدوا آلهتهم ، وعكفوا معهم على أصنامهم ، وكان المصريون يسخرونهم فى أشق الأعمال وأحقرها ، ويكلفونهم أشق الصناعات وأحطها .

ولما جاء موسى عليه السلام لينقذهم ـ بأمر الله ـ من ظلم فرعون وطغيانه وعسفه ، وجبروته و بطشه . وواعدهم ليلة يخرجون فيها جميعاً من هذه البلاد إلى فضاء الحرية الفسيح . احتالت كل امرأة منهم على جارتها المصرية ، وطلبت منها حليها لتتحلى به ، فلم يبخلن عنهن بشيء مما طلبن .

— ٢ —

سار موسى وقومه ، مشرقين مولين وجوههم شطر طور سيناء ، وعلم فرعون بخروجهم فأسرع فى حشد جنوده ، وسار فى أثر بنى إسرائيل يريد أن يعيدهم ، لما يترتب على خروجهم من اضطراب الأعمال فى معاملهم ومصانعهم ومزارعهم . فأدركهم عند شاطىء البحر ، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق فكان كل فِرْق كالطود العظيم . فسار موسى وقومه فى طريقهم ، وتبعهم فرعون وجنوده ، ولكن البحر بعد خروج موسى وقومه أطبق على فرعون وجنوده ، فكانوا من الهالكين .

— ٣ —

واعدَ الله ـ جلت قدرته ـ موسى أربعين ليلة ، يلقى عليه فيها التوراة . فترك قومه لأخيه هارون ، يرعاهم و يأمرهم وينهاهم . ولم يكد موسى يفارقهم لميقات ربه ، حتى تحركت الوثنية فى نفس رجل منهم ، يقال له : السامرى . فطفق يذكرهم بمعبودهم الذى تركوه فى مصر ، وهو العجل « أبيس » ولم يكونوا أقل منه تشبثاً بالوثنية ، فإنهم بعد أن جاز بهم موسى عليه السلام البحر . أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . فقالوا : ياموسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فصادف إغراء السامرى لهم هوى فى نفوسهم ، فحنت إلى عبادته . وكان السامرى رجلاً صوّاغاً . فطلب إليهم أن يعطوه ما أخذوا من زينة القوم ليصوغ لهم تمثالا للعجل يعبدونه ، فأجابوه إلى ماطلب ، فصاغ لهم تمثالا للعجل جهزه بجهاز خاص يتوصل به إلى إحداث صوت كخوار العجل ، وأبرزه لهم قائلا : هذا إلهكم و إله موسى ، ولكن موسى نسى ، وذهب يلتمسه فى موضع آخر .

— ٤ —

أخبر الله تعالى موسى عليه السلام ، بما كان من فتنة قومه ، و إضلال السامرى لهم ،

وارتدادهم إلى عبادة العجل . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، فقال : بئسما خلفتمونى من بعدى ! أفطال عليكم العهد ، أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ؟ وأقبل على هارون ، وأخذ برأسه يجره إليه ويقول :

ياهارن مامنعك ، إذ رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعن ؟ أفعصيت أمرى ؟

قال : ياابْنَ أمَّ لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى . لقد قلت لهم من قبل : ياقوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعونى ، وأطيعوا أمرى . قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .

والتفت موسى إلى السامرى ، وقال له : ماخطبك ياسامرى ؟ قال : إنى أدركت ببصيرتى مالم يدركوا ، وفطنت إلى مالم يفطنوا له . فحين رأيتك تدعوهم إلى عبادة إله لاتدركه الأبصار ، ولا تلمسه الأيدى ، وهم لم يألفوا ذلك من قبل ، وكان ذلك سيصرفهم عن العبادة ، نبذت هذا الجزء من تعليمك ، وأخرجت لهم هذا الإله حتى يعودوا إلى العبادة كما كانوا يفعلون فى مصر ، وكذلك سولت لى نفسى .

فأمر موسى عليه السلام بمقاطعة السامرى مقاطعة تامة ، حتى لايتمادى فى إضلالهم . ثم حرق الإله الزائف . ونسفه فى اليم نسفاً بين سمعهم وأبصارهم .

— ٥ —

هذه هى قصة السامرى ، كما تفهم من نصوص القرآن الكريم ، ومن طبائع الأشياء ومن سنن الله التى لاتتبدل ولا تتحول . ولكن المفسرين نقلوا مادسه المنافقون الأولون من اليهود الذين أسلموا ليفسدوا عقائد المسلمين .

قال المفسرون : إن السامرى رأى جبريل وهو قادم لدعوة موسى لمناجاة ربه ، وكان يمتطى فرساً ، فأخذ قبضة من التراب الذى وطئته أقدام هذه الفرس ، ووضعها فى الذهب المنصهر ، فسرت فيه الحياة . فلما صاغ منه عجلاً ، كان عجلاً حياً ذا لحم ودم . هكذا قالوا ، وبئسما قالوا ! إن نص القرآن الصريح يخالف الذى قالوا .

إن القرآن لم يترك كلمة «عجل» بغير تعقيب ، بل عقب عليها بقوله (جسداً له خوار) فدل هذا التعقيب على أن العجل لم يكن عجلاً حقيقة ، وأنه لم تكن فيه حياة وإنما هو

جسد بغير روح ، لأن العجل الحقيقى جسد وروح . وهذا الذى أخرجه السامرى جسد فقط ، له صوت كخوار البقر .

لا يمكن أن يكون ماقال المفسرون صحيحاً ، إذ لو كان صحيحاً لكان السامرى خالقاً . لأنه أوجد كائناً حياً ذا روح ولحم ودم ، والخلق من خصائص رب العالمين جل شأنه . وقد نفى الله سبحانه الألوهية عن سواه بعدم القدرة على الخلق . فقال تعالى (أفمن يخلق كمن لايخلق ؟ أفلا تذكرون ١٧ : النحل)

وقال تعالى (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ٢٠ : النحل)
وقال تعالى (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله . أرونى : ماذا خلقوا من الأرض؟ ٤ : الأحقاف)
وقال تعالى (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون فى ضلال مبين . ١١ : لقمان) .

لقد كان من الممكن أن يتتبع السامرى سير الفرس ، ويجمع كل التراب الذى وطئته حوافرها ويحتفظ به ليضع ذرات منه على كل مايريد صنعه من الذهب أو الفضة أو الرصاص أو الحديد أو الطين أو الصلصال ، ليخلق حيواناً أو طيراً أو إنساناً . ثم يدعى الألوهية أو الرسالة ويتحدى من ينكر ألوهيته أو رسالته بقدرته على الخلق والإيجاد ، ويرى ذلك آيته البينة ، ومعجزته التى لاتنكر .

إن القول بما يقول به المفسرون يكون سبيلا إلى القدح فى نبوة موسى عليه السلام ، إذ يطوّع للقائلين أن يقولوا : إذا كان هذا الكافر قد وقف على هذا السر ، مع كفره ، وأتى بهذا الخارق العجيب ، أفلا يكون موسى قد وقف على سر أعظم من هذا السر ، وأتى بفضله بما أتى به من الخوارق والمعجزات ؟

ولماذا اختص السامرى وحده برؤية جبريل دون سائر بنى إسرائيل ، وهو رائد قومه إلى الشرك البغيض ؟

وما حاجة جبريل إلى امتطاء الفرس حين يهبط بالوحى على الرسل والأنبياء ؟

وكيف عرف السامرى أن أثر حافر فرس جبريل يؤثر هذا التأثير العجيب . وهو قلب الجماد حيواناً ذا لحم ودم ؟

وإذا جاز ـ فى نظر المفسرين ـ أن يُقَدَّر مضافان فى قوله تعالى (فقبضتُ قبضة من أثر الرسول) أى قبضت قبضة من أثر حافر فرس الرسول ، فلم لايجوز أن يقدر مضاف واحد فى قوله : فأخرج لهم عجلا . أى صورة عجل ، وهو بالبلاغة أليق ؟!

الحق أن أثر الرسول هو تعليم موسى ، والرسول هو موسى عليه السلام ، والقبضة من أثره هو الجزء من تعليمه الذى لم يعجب السامرى . وهو الدعوة إلى عبادة إله لاتدركه الأبصار .

— ٦ —

ومن عجب أن المفسرين يستدلون بإسرائيليات يسمونها أحاديث ، ويضعون لها أسانيد من ذلك ما أخرجه ابن مردويه عن كعب بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ فيما زعموا « أن الله تعالى لما واعد موسى عليه السلام أن يكلمه خرج للوقت الذى واعده ، فبينما هو يناجى ربه إذ سمع خلفه صوتاً ، فقال : إلهى ، إنى أسمع خلفى صوتاً . قال : لعل قومك ضلوا . قال : إلهى ، من أضلهم ؟ قال : أضلهم السامرى ! قال : فبم أضلهم ؟ قال : صاغ لهم عجلاً جسداً له خوار . قال : إلهى ، هذا السامرى صاغ لهم العجل ، فمن نفخ فيه الروح حتى صار له خوار ؟ قال : أنا ياموسى !! قال : فوعزتك ما أضل قومى أحد غيرك !! قال : صدقت يا أحكم الحكماء ، لاينبغى لحكيم أن يكون أحكم منك » .

وفى رواية أخرى عن راشد بن سعد ـ فيما زعموا ـ « أنه سبحانه قال : ياموسى ، إن قومك قد افتتنوا من بعدك . قال : يا رب كيف يفتتنون ، وقد نجيتَهم من فرعون ، ونجيتَهم من البحر وأنعمتَ عليهم ، وفعلت بهم ؟ قال : ياموسى ، إنهم اتخذوا من بعدك عجلا له خوار . قال : يارب فمن جعل فيه الروح ؟ قال : أنا . قال : فأنت يارب أضللتهم . قال : يا موسى ، يارأس النبيين ، ويا أبا الحكماء ، إنى رأيت ذلك !!! »

هذا كلام ـ بل ظلام ـ لا يمكن أن يخرج من مشكاة النبوة ، بل هو أقرب إلى أن يكون قول يهودى زنديق يريد أن يفسد على المسلمين عقائدهم .

هذا قول لا يحل لمسلم أن يقوله .

والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الباطل ، وليس بعد الهدى إلا الضلال .

والسلام على من اتبع الهدى .

صوت من صوماليـــا

يشكو من جاهلية الصوفية

أرسل إليـكم بهذه النميقة ، التى أريد أن أشرح فيها نبذة ضئيلة ممـا تقوم به طبقة من أهل الطرق « الصوفية » فى « صوماليا » وتدعو إليها الناس ، بإلحاح وملاحقة فى كل مكان . زاعمة بصراحة جريئة أن من لم يتمسك بذيل شيخ من مشايخ الطرق ـ وخاصة بذيل القادرية ـ لا ينظر إليه الله فى يوم النشور ، بل شيخه فى القيامة الشيطان ، لأن من لم يكن له شيخ فى الدنيا ، يلتجىء إليهٰ ويتضرع أمام عتبته ، ويرتمى فى ساحته ، إذا حلت به الحوادث ، وألمت به الملمات ، وأحاطت به الـكوابد من جميع الجهات ، ليس له ملجأ يلتجىء إليه فى يوم الحساب ، ولا يجد شافعاً ولا نصيراً ، ويكون من الفرقة الشمالية الذاهبة بالمقت من القدير إلى النار .

سيدى المفضال : ترى فى « صوماليا » طرائق عديدة ، من قادرية ، وصالحية ، وأحمدية ، ورفاعية ، وزيلعية ، وأويسية ، وأويابية ، وقلنقولية ، وحسينية ، وسليمانية ، ويوسفية ، (نسبه إلى الشيخ الصوفى المقبور فى مقدشوه) وبراوية . الخ .

وكل طريقة تتفرع إلى فروع متشعبة ، تزعم كل منها أنها هى الوحيدة القائمة على الحق الداعية إلى الرشاد ـ مع أن ما تدعو إليه كل طريقة هو الوثنية ، الداعية إلى عبادة الموتى ودعائهم باسم الشفاعة ، واتخاذ الوسائط بين الله وبين عباده ، إذ لا وسيلة ـ عندهم ـ للعباد إلى الله إلاّ بوسيط يستنزلون به المطر والرزق ، ويستغيثون به وبجاهه عند ربهم ويسترشدون بكرامته ودعوته ـ وأنها هى المطلعة على الغيب ، وبواطن العلم ، وأسرار القرآن ، وغوامض الأحاديث ، وأن لديها علماً باطناً يغاير ظاهر القرآن وآياته البينات ، والأحاديث النبوية الشريفة الواضحة ، التى بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه من ربه ، وأن لمعبوديهم المقبورين ـ الذين يهتفون بأسمائهم عند الشدائد ـ قدرة على دفع المضار عنهم ،

وجلب المنافع لهم ، وأنهم يغيثونهم المستغيثين و يفرجوا كربهم إذا استغاثوا بهم و إن كانوا فى الشرق أو الغرب ، أوفى بطون البحار ، أو فوق السموات السبع ، كما هو محرر فى كتبهم التى يدينون بها ، ولا يرضون بها بديلا .

ومريدى إذا دعانى بشرق أو بغرب ، أو نازل بحر طامى
فأغثه ، أو كان فوق هواء أنا سيف القضا بكل خضامى الخ

فهذه الطرق نافذة الأمر ، مسموعة القول ، مطاعة الرأى .

وكل من قال : إن تلك الأفعال التى تقوم بها الصوفية ، لا تتفق وشرائع الإسلام ، بل هى ألوان شركية قاصمة للظهر ، تزيت بزىّ الإسلام لمخادعة العوام ، ودخلت فى حظيرة المسلمين من طريق تعظيم الأولياء والغلو فى الصالحين ، لغرض تفريق كلمة المسلمين ، و إضعاف شوكتهم ، وصرفهم عما هم فيه من توحيد لله الواحد الديان والعمل الصالح لخدمة الأوطان والسكان ـ أطلقوا عليه كلمة الكفر والإلحاد والزندقة ، وأساءوا إليه بكل إساءة جائرة بالغة ، وأهدروا دمه لكل من يقتله و يؤذيه ، وقابلوه بكل منكر من القول وزور ، ورموه بكل نقيصة وعيب وشنار ، وودوا لو قدروا أن يقضوا عليه ، وقالوا ـ و بئس ماقالوا ـ أتزعم أن آباءنا الماضين كانوا على ضلال وطغيان ، وأنك أتيت بالحق فى القرن الرابع عشر من الهجرة ؟ إن هـذا لقولٌ قاله قائلٌ مجنون ، لا يعى مايقول (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟) .

فأوضاعنا فى « صوماليا » مقلوبة من جهة الدين ، وعقائدنا معكوسة ، فلا ترى فى مكاتبنا من كتب الأحاديث والتفاسير المعتمدة عليها ، إلاَّ بعض كتب تؤيدٍ مزاعم الطرق ، وتمهد لها السبيل ، وتضفر لها الأحابيل ليصرعوا بهـا العامة العمياء ، و يستأثروا بما فى جيوبهم من الأموال . فإذا أراد صاحب مكتبة أن يستورد كتب الأحاديث والتفاسير المهمة ، عبسوا وقطبوا وجوههم نافرين ، ولا يعودون يشترون من مكتبته شيئاً ، عالمين بأن هذه الكتب إذا درست فى « صوماليا » وعرف الشعب منها حقيقة الدين الحنيف . فلا يصدق أحد مشائخ الطرق فى دجلهم وضلالهم فتبور بضاعتهم الشيطانية ، وتكسد تجارتهم

الوثنية ، وتتبدد ظلمات جاهليتهم بنور هذه الكتب الطافحة بالدعوة إلى عبادة الله وحده ، ومجانبة عبادة الطواغيت .

فالكتاب الوحيد الذى يعتمدون عليه ، هو كتاب ألفه إسماعيل بن محمد سعيد . ويسمى « الفيوضات الربانية ، فى المآثر والأوراد القادرية » فهو المعول عليه ، والمحتج به إذا عارضهم فى عقيدتهم الشركية معارض .

ويقرأ هذا الكتاب فى بيوت « صوماليا » فى كل يوم أربعاء .

ويزعمون ـ وويل لهم مما يزعمون ـ أنهم بقراءته يستنزلون الرحمة والبركة ، وأن كل من قرىء فى بيته هذا الكتاب لايصيبه فى الدنيا هم إلا ويسر الله له منه مخرجاً ، ولا كربة إلا وفرجها الله عنه .

والآن أريد أن أسألك عن مغازى بعض مافى هذا الكتاب من جمل نظمية ونثرية ، حتى أقف على حقيقة معناها ، وأعرف العقيدة التى يرتكز عليها هذا الكتاب الوثنى الذى أضل المفتونين به عن الصراط المستقيم ، وصرفهم عن تدارس وتفاهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وذلك ما يلى :

(١) لقد رأيت فى ذلك الكتاب فى (ص ٦ س ٣) مالم أعرف مغزاه ، وهو :

ثم قال لى ـ أى الله ـ يا غوث الأعظم ، الإتحاد حال لا يعبّر بلسان المقال ، فمن آمن به قبل وجود الحال ، فقد كفر بالله ، ومن طلب العبادة بعد الرسول فقد أشرك بالله العظيم .

فما هو هذا الاتحاد الذى إذا وصل إليه العبد وطلب العبادة ، أشرك بالله العظيم .

فهل هناك درجة إذا وصل إليها الإنسان سقط عنه التكليف وصار طلق العنان ، غير مطالب بالواجبات ؟ فما مغزى هذا القول اللئيم ؟ .

(٢) وجاء فى (ص ٧ س ١) من نفس الكتاب مايأتى :

ثم قال الغوث ـ أى عبد القادر الجيلانى ـ رأيت الربّ تعالى ، وقال لى : يا غوث

الأعظم ، من سألنى عن الرؤية بعد العلم فهو محجوب بعلم الرؤية ، فمن ظنّ أن الرؤية غير العلم فهو مغرور برؤية الله تعالى .

ثم أتى فى نفس الصفحة سطر ٦ ثم قال لى : ياغوث الأعظم ، ليس الفقير عندى من ليس له شىء . بل الفقير الذى له أمر فى كل شىء إذا قال لشىء كن فيكون .

فهل هناك مايبرز أن قائل هذه الكلمات رأى الله فى حياته الدنيوية ، وأنه يصح النظر إلى الله فى الدنيا ؟ وهل لا نرى الله فى الآخرة إذا رضى عنا وأدخلنا فى رحمته ؟ وهل وصف الفقير بهذه الصفات التى لاتكون إلا لله يجوز اعتقاده ؟

تلك هى الجمل النثرية التى أردت الوقوف على حقيقة معانيها ، والكتاب طافح بمثل هذه الجمل ، والآن أسرد لك بعض الأبيات الشعرية التى فى الكتاب ، وهى هذه :

لقد شهدت فى السطر الأول فى صفحة ٤٤ من نفس الكتاب ما هو :

ضريحى بيت الله من جاء زاره ... يهرول له يحظى بعز ورفعة

وسرى سر الله سار بخلقه ... فلذ بجنابى إن أردت مودتى

وأمرى أمر الله إن قلت كن يكن ... وكل بأمر الله فاحكم بقدرتى

ومن نفس القصيدة بعد أبيات قليلة جاء ماهو :

فلا علم إلا فى بحار وردتها ... ولا نقل إلا من صحيح روايتى

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا ... وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة

وعاينت إسرافيل واللوح والرضا ... وشاهدت أنوار الجلال بنظرتى

وشاهدت ما فوق السموات كلها ... كذا العرش والكرسى فى طى قبضتى

وجاء أيضاً فى (ص ٤٦ ــ ٤٧) :

نظرت إلى بلاد الله جمعاً ... كخردلة على حكم اتصالى

فلو ألقيت سرى فوق نار ... لخمدت وانطفت من سر حالى

ولو ألقيت سرى فوق ميت ... لقام بقدرة المولى مشا لى

ولو ألقيت سرى فى جبال ... لدكت واختفت بين الرمال

ولو ألقيت سرى فى بحـــار
لصار الكل غوراً فى الزوال

وما منها شهور أو دهـــور
تمـــر وتنقضى إلا أنى لى

وتخبرنى بمـا يأتى ويجرى
وتعلمنى فأقصر عن جـــدالى

بلاد الله ملكى تحت حكمى
ووقتى قبـل قبلى قد صفـالى

مريدى هم وطب واشطح وغن
وافعل ماتشاء فالإسم غالى الخ

وأيضاً رأيت فى (ص ٥٣) مايأتى :

وقفت على الإنجيـل حتى شرحته
وفسرت توراة وأسطر عبرانى

كذا السبعة الألواح جمعـاً فهمتها
و بينت آيات الزبور وقرآن

وفكيت رمزاً كان عيسى يحله
به كان يحيى الموت والرمز سريانى

وغصت بحار العلم من قبل نشأتى
أخى ورفيقى كان موسى بن عمرانى

فمن فى رجال الله نال مكانتى
وجدى رسول الله فى الأصل ربانى

أنا قادرى الوقت عبـد لقـادر
أكنى بمحيى الدين والأصل كيلانى

وورد أيضاً فى (ص ٥٤)

كل قطب يطوف بالبيت سبعاً
وأنا البيت طائف بخيـالى

وقال بعد أربعة أبيات :

وإذا ماجزبت قوس مرامى
كان نار الجحيم منهـا سهامى

سائر الأرض كلها تحت حكمى
وهى فى قبضتى كفرخ الحمام

وفى (ص ٥٩) جاء مايلى :

وقفت بباب الله وحدى موحِّداً
ونوديت ياجيلانى أدخل لحضرتى

ونوديت ياجيلانى ادخل ولا تخف
عطيت اللِّوا من قبل أهل العناية

ذراعى من فوق السموات كلهـا
ومن تحت بطن الحوت أمددت راحتى

وأعلم نبات الأرض كم هو نابت
وأعلم رمل الأرض كم هو رمله

وأعلم علم الله أحصى حروفه
وأعلم موج البحـر كم هو موجه

وجاء أيضاً فى (ص ٦) .

وقالوا لى : ياهذا تركت صلاتك ... ولم يعلموا أنى أصلى بمكة
ولا جامع إلا ولى فيه منبر ... ولا منبر إلا ولى فيه خطبتى
ولا عالم إلا بعلمى عالم ... ولا سالك إلاَّ بفرضى وسنَّتى
ولولا رسول الله بالعهد سابقاً ... لاغلقت بنيان الجحيم بعظمتى
مريدى لك البشرى تكون على الوفا ... إذا كنت فى هم أغثتك بهمتى
مريدى تمسك بى وكن بى واثقاً ... لأحميك فى الدنيا ويوم القيامة
أنا لمريدى حافظ مايخافه ... وأنجيه من شرِّ الأمور وبلوة
وكن يا مريدى حافظاً لعهودنا ... أكن حاضر الميزان يوم الوقيعة
أنا كنت فى العليا بنور محمد ... وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة
أنا كنت مع نوح أشاهد فى الورى ... بحاراً وطوفاناً على كفٍّ قدرتى
وكنت مع إبراهيم ملقَى بناره ... وما برد النيران إلا بدعوتى
أنا كنت مع راعى الذبيح فداءه ... وما نزل الكبشان إلا بدعوتى
أنا كنت مع يعقوب فى عشو عينه ... وما برئت عيناه إلا بتفلتى
أنا كنت مع إدريس لما ارتقى العلا ... وأقعدته الفردوس أحسن جنتى
أنا كنت مع موسى مناجاة ربّه ... وموسى عصاه من عصاى استمدت
أنا كنت مع أيوب فى زمن البلا ... وما برئت بلواه إلا بدعوتى
أنا كنت مع عيسى وفى المهد ناطقاً ... وأعطيت داووداً حلاوة نغمتى

فهذه هى عقائد الصوفية فى « صوماليا » وفى كل بلد تروج فيها هذه الكتب الوثنية الجاهلية دعت إليها الناس فأطاعوها على غير بصيرة ولا برهان ثابت ، فنصبت لهم هذه الشرك الشيطانية فوقعوا فيها ، وإذا طالبتهم بالاستبراء من هذه المخازى الوثنية ، تكاثروا عليك وأغروا بك السفهاء والبلهاء ، والعامة جمعاء ، واحتجوا فى غباوة وتقليد أعمى بقوله تعالى « ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » . كأن الوسيلة الإصرار على

للمعاصى والمـآثم ، ثم الإرتماء على قبور وعتبات من يظن فيهم الولاية والصلاح للتملص مما اجترحوا من فسوق وكفر ، ومن ذنوب وفواحش ، أو كان الله أنهى الأولياء فى القرن الثامن أو التاسع من الهجرة ولا ولىّ لله بعد القرن التاسع ، أو كان الجيلانى ، أو البدوى ، كانا قادرين على دفع المضار عن مريديهم وجلب المنافع لهم ، أو كان الأوليـاء ليسوا هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) بل هم من أتوا بالشعوذة الشيطانية ، والتى يظنها الجاهليون خوارق وكرامات . ولا خارقة أبلغ مما أتى به الافرنج من اختراع البرق والمسرات وغيرهما ، مما هو مثار الدهشة فى شرق البلاد وغربها . والله يهدى من يشـاء إلى صراطه المستقيم . ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشداً .

لوخ فرندى

عمر علمى ورسمه
المدرس المساعد فى المدرسة الابتدائية الحكومية
فى « لوخ فرندى » — جبا الأعلى — صوماليا

الهدى النبوى : جواب هذه المسائل مبسوط فى مقالات المجلة وأعدادها الماضية . وفى كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، بتعليق الفقير إلى عفو الله ورحمته .

انبعاث فى سبيل الحرية

الهجـــــــــرة

بقلم الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

الدعوة الإسلامية دعوة إلى تحرير البشرية كلها من عبودية ثقيلة كانت ترزح تحت أوقارها ، وتئن من ثقل أوزارها ، وتتلمس السبل للخلاص منها ، والانطلاق من ربقتها .

كانت العقول فى أسر الأوهام والخرافات ، والترهات والخزعبلات ، وكانت الأرواح فى أغلال الكهنوت وتجار الأديان ، وكانت القلوب خاشعة لآلهة شتى من الموتى والأحياء من بنى الإنسان ، من السدنة والكهان ، ومن الجن والحيوان ، ومن الأصنام والأوثان . ومن الأشجار والأنهار والتماثيل والأحجار : قيود تشل الخُطا وتثقل الأقدام ، وأغلال تغل الأيدى وتمنعها الحركة إلا فى طاعة المسيطرين ، وكمائم تكم الأفواه فلا تنطق ولا تبين ، إلا تسبيحاً بحمد الطغاة والمستبدين .

وبعث الله نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليحطم القيود والأغلال ، ويطلق الأرواح والعقول من إسارها ، ويبعثها تنظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وترى آياته تعالى فى الأنفس والآفاق لتوقن بوحدانية الخالق جل شأنه ، وتسقط الآلهة الزائفة من عليائها ، وتثل عروشها ، بل تسحقها بأقدامها وتدوسها بنعالها .

نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الحق ، ولكن أسرى الأوهام وعبيد العادات برموا بهذه الدعوة ، وضاقت بها صدورهم ، وحنقوا بآلهتهم أن يأفل نجمها بعد تألق وأن تغرب شمسها بعد إشراق وقالوا : اجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب : وانطلق الملأ منهم : أن امشوا واصبروا مع آلهتكم . إن هذا لشيء يراد ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة . إن هذا الاختلاق .

ثاروا فى وجه الرسول الكريم . يريدون أن يصدوه عن سبيل الحق ، وأن يقفوا فى طريق دعوة الخير . وكلما أمعن فى الاستمساك بالحق والحرص عليه لجوا فى عتوهم ونفورهم ، وأمعنوا فى عدوانهم وطغيانهم حتى لقد أتمروا به ليقتلوه دفاعا عن باطلهم وما كانوا يأفكون

ورأى عليه الصلاة والسلام أن مكة لايمكن أن تنموا فى تربتها شجرة الحرية، ولا أن تتفتح فى جوها زهرة الاستقلال الفكرى، وأن البقاء فيها قضاء على حرية الفكر، وقتل لدعوة الحق، وإزهاق لروح البحث والنظر والتأمل والاستدلال، وفشل فى بلوغ الأهداف العلا وتقصير فى أداء الأمانة، وتبليغ الرسالة، والواء بحقوق الإنسانية المقدسة

وأدرك عليه الصلاة والسلام أن حريته وحرية أصحابه بمكة مهدرة، وأنه لاحياة ولا نجاح لدعوة من الدعوات إذا كتمت أنفاسها وحيل بينها و بين نسيم الحرية، وإذاً لابد أن يرتاد مكانا أصلح تتفتح فى جوه زهرة الحرية وتنبعث فى تربته شجرة الاستقلال الفكرى، ونجد الدعوة بين جنباته مكانا رحباً ترفع فيه هامتها، وتعلى كلمتها.

وكان عليه الصلاة والسلام فى أثناء جده فى نشر الدعوة قد لقى قوماً من أهل المدينة عرض عليهم دعوة الحق فسارعوا إلى قبولها، وأنزلوها من قلوبهم مكاناً علياً، وبايعوه صلى الله عليه وسلم على أن يؤيدوه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم

هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة لكى تنبعث دعوته فى سبيلها حرة كريمة، هاتفة مدوية. لاتثقلها القيود، ولاتعوقها الأغلال، وتقوم فى طريقها المصاعب والعقبات. فنمت شجرة الدعوة فى هذا الجو الواسع النقى، وأثمرت وأزهرت، وتقبلت النفوس الحرة الكريمة نفوس الأنصار دعوة الحق مغتبطة بها، معتزة بقبولها، مناصرة لها. مجاهدة فى فى سبيلها، مضحية بالأموال والأنفس من أجل نشرها وإذاعتها، وإعلاء كلمتها.

لقد كانت الهجرة النبوية انبعاثاً فى سبيل الحرية، وإن ثورتنا المباركة لهى انبعاث فى سبيل الحرية أيضاً، وقد حققت الهجرة أهدافها فأظهر الله الإسلام على الدين كله، وقد حققت الثورة أهدافها كذلك فقضت على الفساد والمفسدين، وردت على الشعب حريته تامة موفورة فى عزة وكرامة.

وكلما أظلتنا الهجرة جددت فى أنفسنا هذه الذكريات الكريمة فعسى أن تثير فى أنفسنا لواعج الشوق إلى إعادة المجد القديم للإسلام والمسلمين. وما ذلك على المسلمين بعزيز إذا اتحدت كلمتهم، وائتلفت قلوبهم، وصح عزمهم على استعادة مجدهم وبناء دولتهم، ولينصرن الله من ينصره إن الله قوى عزيز.

اقرأ معى من :

-٣- لغة القـــــرآن

مفردات فى اللغة العربية مجموعة من كتاب « تهذيب الصحاح »
واقتصرت فيها على ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
محمد رشدى خليل

الأزيز : صوتُ الرعد ، وصوت غليان القدر ـ والأزُّ : التَّهييج والإغراء . وقوله تعالى: (تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) أى تغريهم على المعاصى .

تجوَّزَ فى صلاته : خفَّفَ .

حَزَّهُ واحتَزَّه : أى قطَعه . وفى الحديث : الإثم حَزَّازُ القُلوب ، أى يحزُّ فى القلب خَوْفُه ، وقيل أى يحوزها و يتملكها و يغلب عليها . الرِّجْزُ : القذرُ ، مثل الرِّجْس . والرِّجزُ أيضا : العذاب . والرِّجزُ : الصَّنَمَ .

ضازَ فى الُحكم : أى جارَ . يقال : ضَازَ ، حقَّه يَضِيزه ضَيْزاً ، أى بخسه . وقوله تعالى (قِسْمَةٌ ضِيزَى) جائِرَة .

مطرٌ عزٌّ : أى شديد . وعزَّ الشَّىء يَعزُّ عِزًّا وعَزَازةً ، إذا قلّ . وعَزَّ فلانٌ ، إذا قَوِى بعد ذِلّة . وقوله تعالى (فعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أى قوّينا .

وعَزَّ علىَّ كذا ، أى اشتدَّ . والعزّةُ : القُوّةُ والغَلَبَة ، وعَزَّهُ فى الخطاب وعَازَّه : أى غَالَبه .

الهَمْزُ مثل اللَّمز . والهُمَزَةُ اللُّمَزَة : العَيَّاب . وهَمَزات الشياطِين : خَطَراتها التى تُخطرها بقلب الإنسان .

البأس : العذابَ والشِّدَّة فى الحرب . وعذابٌ بئيسٌ ، أى شديد . ولا تبتئس ، أى لاتحزَنْ . والبأساء : الشدة .

أَبْلَسَ من رحمة الله ، أى يَئِس . ومنه إِبْليس .

* * *

خَنَسَ يخْنُس ، أى تأخّر . والخنَّاس : الشيطان ، لأنه يخنُس إذ ذُكر الله عز وجل .
والخُنَّسُ : الكواكب كلها ، لأنها تخنس فى المغيب ، وقيل : هى النجوم الخمسة .
عَسْعَس الليلُ ، إذا أقبل بظلامه ، وعسعس أيضاً ، إذا أدبر .

* * *

القُدْسُ الطُّهْرُ . وروح القدس : جبريل عليه السلام . والتقديس : التطهير .
القُسطاسُ والقِسطاسُ : الميزان .
الكُنَّس : الكواكب ، لأنها تكنِسُ فى المغيب ، أى تستتر .
الوَكْسُ : النَّقْص . وفى الحديث : « لا وَكْس ، ولا شطَطَ » أى لا نقصان ولا زيادة .
اليأس : القنوط . ويئس أيضاً : عَلِم ، ومنه قوله تعالى (أفلم ييأس الذين آمنوا)
أغطَشَ اللهُ الليل ، أى أظلَمه .
التّناوُش : التّناول . وقوله تعالى (وأنَّى لهم التناوشُ من مكان بعيدٍ) معناه أنى لهم تناول الإيمان فى الآخرة ، وقد كفروا به فى الدنيا .

* * *

حَصحصَ الحقُّ : بان وظهر .
رَصَصْتُ الشىء أرُصُّه : ألصقت بعضه ببعض ومنه قوله تعالى : (بنيان مرصوص) .
و « رَصْرَصْتُ » البناء ، إذا أحكمته وشدته .

* * *

مَحَصْتُ الذهب بالنار . إذا خلَّصته مما يشو به . والتَّمحيص : الابتلاء والاختبار .
النَّوْصُ : التأخُّر . ويقال : ناص ينُوص نَوْصاً ومَناصاً ، أى فرَّ . ومنه قوله تعالى : (ولاتَ حين مناصٍ) أى ليس وقت تأخُّرٍ وفرار . والمناص أيضاً : الملجأ والمَفرّ .
الرَّكض : تحريك الرّجل . ومنه قوله تعالى : (اركضْ برجْلك) .

وقيل: « اركض » اضرب و « يركضون » : يعدون ، وأصله تحريك الرجلين .

العَرَض : المتاع ، وكل شيء فهو عَرَضٌ سوى الدراهم والدنانير ، فإنها عَين ، وعَرَض الدُّنيا : ما كان من مالٍ قلَّ أو كثُر.

وقوله تعالى : (وَعَرَضْنَا جهنم يومئذ للكافرين عَرْضاً) أى أبرزناها حتى نظر إليها الكفار .

والعارض : السَّحاب المعترض فى الأُفُق .

* * *

غَاضَ الماء : أى قلَّ ، وغاض الكرامُ . أى قلُّوا ، وفاض اللئام ، أى كثروا .

حَبِطَ عمله حَبْطاً ، وَحُبُوطًا : بَطَلَ ثوابه ، وأَحْبَطَهُ الله .

الْمَحَطُّ : المنزل . وقوله تعالى : (وقولوا حِطَّةٌ) أى حُطَّ عنا أوزارنا .

وَأَمْرٌ فُرُط : أى متجاوزٌ فيه الحدُّ . ومنه قوله تعالى (وكان أمرهُ فرطاً) . وأمْرٌ فُرُط أيضاً : متروك . ومنه قوله تعالى (وأنهم مُفْرَطُون) أى متروكون فى النار منسيون .

قوله تعالى : (والناشطات نشطاً) يعنى النجوم تنشط من برج إلى برج .

وقيل : هى النجوم تطلع ثم تغيب . وقيل : إنها الملائكة . تتنشط نفس المؤمن بقبضها .

* * *

الشِّوَاظ والشُّوَاظ : اللهب الذى لادُخان له ، ويقال لدخان النار : شواظ ، ولحرها : شواظ أيضاً . يقال : أصابنى شواظ من الشمس .

رجلٌ إمَّعٌ وَ إمَّعَةٌ ، للذى يكون بضَعف رأيه مع كلٍّ أحد .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « كنا نعد الإمعة فى الجاهلية ، الذى يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة فيكم اليوم المحقِب دينه » ومعناه المقلد الذى جعل دينه تابعاً لدين غيره بلا روية ولا تحصيل برهان .

بَخَعَ نفسه بَخْعاً : أى قتلها غمًّا . ومن ذلك قوله تعالى : (فلعلك باخعٌ نفسك) ، و « بخعتُ » الأرض بالزراعة ، أبخعُها إذا نهكتها وتابعت حرثها ولم تجمَّها عاماً .

حول دفن الزعيم الاسماعيلي في أسوان :

مسلمون . . . وزعماء . . ولا يعرفون الصلاة . . ! ! ؟

بهذا العنوان صدر الأستاذ محمد البُلي تحقيقه الصحفي في صحيفة الشعب عما دار في دفن الزعيم الاسماعيلي في أسوان . فكان عجيباً ! ! وكان أبلغ من العجب ، وكان تعبيراً صادقاً عن مدى ارتباط هذه الطائفة وسواها من الطوائف التي تشاركها في الرأي والمبدأ بالإسلام ، إذ كيف نتصور ممن يتزعم طائفة تدعى الانتساب للإسلام ، وتؤمن بعقائده ، وتقتدى برسوله أن يجهل بديهياته ، ولا يعرف أمورا عرفت منه بالضرورة ؟ أمور تتحرك بها ألسنة الأطفال في مهادهم أول عهدهم بالتحدث عن الحياة والحياء مع ذلك يجهلها زعماء الاسماعيلية !!

فاتحة الكتاب ، وسورة الإخلاص ، وكيفية الصلاة ، إذا كانوا لا يعرفون هذا فماذا يعرفون من الإسلام ؟ إذا كانوا لا يعرفون البديهي فما بالك بما يحتاج إلى بحث ونظر ؟

و إذا كانوا يجهلون الأحكام العامة التي يعرفها عامة المسلمين فكيف بالأحكام التي لا يدركها إلا الخاصة ؟ لست أدرى أي شعور كان يخالج الزعيم الاسماعيلي الجديد ، وأي خاطر كان يسيطر عليه ، وأين منه الخجل في هذه اللحظة حين سأله صحفي أجنبي عن كيفية صلاة الجنازة ، وعن أم الكتاب فيحيله على أي صحفي مصري مسلم ، وينقذ الموقف مندوب وكالة الأنباء للشرق الأوسط فيجيب الصحفي عما يريد ! !

ثم ماذا كان موقفه هو وزملاؤه من زعماء الاسماعيلية وقد وقفوا في المسجد حيارى لا يدرون كيف يصلون فأخذوا يقلدون عامة المصلين في صلاتهم ، ولهذا كانوا مرة يسبقون الإمام ومرة يتأخرون ؟ فما السر في هذا الجهل ؟ وما عسى أن تكون مبرراته ؟ !

الواقع أننا لو تتبعنا تاريخ هذه الطائفة في القديم والجديد لوجدنا الإجابة الكافية عن هذا السؤال ، فالاسماعيلية التي يتزعمها أغاخان جزء من الاسماعيلية الكبرى نسبة إلى إسماعيل ابن جعفر الذى انقسمت الشيعة الإمامية عند الخلاف على إمامته إلى إسماعيلية واثنا عشرية ،

وقد ظهرت الاسماعيلية فى عهد الدولة العباسية حين تلبد جو الثقافة الإسلامية بفلسفات المجوس والفرس واليونان فكانت الإسماعيلية أمشاجاً من هذه الفلسفات ، وخليطاً من هذه الآراء والأفكار .

ثم لو رأيت مبادئهم لوجدت واحدا منها يكفى فى نفى الإسلام عن صاحبه فهم يقولون : بقدم العالم وأن له مدبران الله والنفس ، وأن الأنبياء سواس العامة وأما الخاصة فأنبياؤهم الفلاسفة ، ولهذا فهم لايعتدون بأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام لأنها للعامة فقط ، ولهذا لانعتب عليهم إذا جهلوا الصلاة وأحكام الدين إذ العبادات وسيلة العامة والجماهير وأما الخاصة فقد وصلوا ولذا فهم فى غنى عنها ؛ وهم ينكرون معجزات الأنبياء ، ويكفرون مغتصبى الخلافة من على أى يقولون بكفر أبى بكر وعمر وعثمان ، وأن الإمام يعين بالنص لا بالانتخاب .

ومن مبادئهم استباحة الأموال والمحارم ، وتقديس الزعماء ، واعتبار مايصدر منهم دين واجب الاتباع ، وبهذا يمكن أن تعلل هذا الثراء الواسع الذى تمتع به زعيمهم الراحل ، ستمائة مليون جنيه ، ثروة يعجز عن حيازتها كبار رجال المال والأعمال ، فمن أين اكتسبها ؟ وفيم أنفقها ؟ اكتسبها من رعاياه المساكين ، ضحايا المبادىء الذين يدفعون دماء قلوبهم ، وعرق جبينهم لزعيمهم وإلههم على أنه دين واجب الاتباع ، ثم ينفقها فى الترف ، ومن مصايف أوربا ومشاتيها ، ومنتزهاتها ، وفى زواج الممثلات ، ونجوم السينمات ، والتقلب فى أعطاف الملذات .

إن هذه الفرق الكثيرة التى تدعى الانتساب للإسلام ، ما اختلفت عليه ، وخرجت عن مبادئه ، وظهرت بمبادىء جديدة إلا لأغراض وأهواء ، إما اكتساب للمادة ، أوجمع للمال أو رغبة فى السلطان ، أو دسيسة صهيونية للقضاء على الإسلام ، ولوكان اختلاف هذه الطوائف نزيها لما اشتطوا فى الشقاق والخلاف ، ولما انحرفوا عن طريق الإسلام القويم ولتحاكموا فيما اختلفوا إلى القرآن وسنة خير الأنام كما قال تعالى : (وإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى

أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما) ولكن ماذا نقول لأهواء القلوب ونزعات النفوس ؟ !

فإذا عرفت هذه المبادىء للاسماعيلية فلا تعجب من جهل زعمائهم فاتحة الكتاب و بديهيات الإسلام فهم فى ناحية والإسلام فى أخرى .

ولو كانوا يحرصون على الإسلام الحق ، فلم تحنيط الجثة ؟ ولم توضع فى تابوت له قفلان ؟ ولم يخشى زعيمهم تلف جسده فيوصى بأن يدفن فى أسوان لجفاف جوها ؟ ولكن من يدرى لعله يريد أن يضم لنحلته ودينه بعض الأنصار والأتباع من مصر حتى يكثر ، دخل أنجاله وأحفاده .

وأخيراً مرحى واعظ أسوان ، وشكرا لله له على هذه الغيرة النبيلة ، والحرص الكريم والتقوى الطيبة ، والنفس اليقظة ، والقلب الذكى الذى منعه من الصلاة على زعيم الاسماعيلية الراحل .

و بعد هذه كلمات ماأريد بها التجنى على أحد ، ولكنها حقائق أثبتها التاريخ من صفحاته (ليهلك من هلك عن بينة ، و يحيا من حى عن بينة)

عبد السلام رزق الطويل
طالب بكلية اللغة العربية

أخبار الجماعة

جماعة أنصار السنة المحمدية بأم درمان

المركز العام بأم درمان سودان ، يحتسبون عند الله بمزيد الأسى والحزن ، مدرسهم ومرشدهم فضيلة الشيخ يوسف أبوه . وقد توفى إلى رحمة الله بأم درمان يوم الأربعاء ١١ محرم سنة ١٣٧٧ (الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٥٧) و يسألون الله أن يجزيه خير الجزاء لما قام به من جهاد وتضحية فى سبيل دعوة الحق .

السكرتير
يوسف عمر أغا

خطبة منـــــــبرية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . قامت السموات والأرض بأمره وتدبيره ، وجرت الحياة ــ بكل مافيها بقضائه وتقديره .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا وزير ولا معين له فى ربوبيته ، ولا مشير له فى حكمه ومشيئته . وهو الخالق البارىء المصور . لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله ، أرسله ربنا تبارك وتعالى بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، فجزاه الله خير مايجزى نبياً عن أمته . وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين . وجعلنا من آله وحزبه المفلحين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول ــ وهو أصدق القائلين ــ (وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل : إن الله لايأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون ؟ قل أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون . فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) .

فى هذه الآيات ــ وغيرها من آى الذكر الحكيم ــ يذكر الله سبحانه وتعالى شأن المقلدين الذين يقولون محتجين لصحة دينهم التقليدى الباطل : إن ماهم عليه من العقيدة والأعمال التى يحسبونها هدى . وهى كفر وفسوق وعصيان وانحراف عن طريق الهدى والرشد : هو الدين الذى ورثوه عن آبائهم وأجدادهم وانتقل إليهم كذلك . فلا بد وأنه الحق الذى أمر الله به ، وأنزله على رسله ، وارتضاه لعباده .

يرد الله سبحانه وتعالى عليهم رداً بليغاً مفحماً بأنه سبحانه ـ تبارك اسمه ، وتعالى جده ـ لا يمكن أن يأمرهم بما هم عليهم من الوثنية والكفر والفحشاء والظلم لأنفسهم .

وهل مما يقبله الإنسان العاقل : أن الله أمر بهذا الشرك من عبادة الموتى بسؤالهم ودعائهم ، واللجوء إليهم فى الشدائد والنذر لهم ، والطواف حول قبورهم والحلف بهم ، وإنزالهم من القلوب ـ بالحب والتعظيم والتقديس منازل العبادة والتأليه ؟

وهل مما يقبله العاقل : أن الله سبحانه وتعالى أمر بتقديم قول الناس الظاهر البطلان على الحق الواضح الصريح من قوله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

هل من المعقول: أن يأمر الله عباده أن يعيشوا هكذا فوضى فى كل أمر من أمورهم على غير ما أمر وشرع وأنزل فى كتابه ؟

فلا صلة رحم ، ولا تعاون على البر والتقوى ، ولا تراحم ولا تعاطف بينهم . ولا حياء ولا عفاف . ولا شرف ولا فضيلة ولا عزة ولا كرامة ؟ بل ولا العبادات فإنها . أصبحت على غير أمره وشرعه سبحانه . فصلاتهم نقر غراب ، لا يحافظون فيها على أركان ولا خشوع ، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلا .

وصيامهم حبس وتعذيب ، لا يثمر تقوى ولا صدق عزيمة . لا يدعون فيه قول الزور والباطل والكذب ، ولا العمل بها ، من حفظ عيونهم وآذانهم وجوارحهم عما لا يليق بالمسلم الكريم الضعيف ، فضلا عن الصائم الحابس نفسه مع الله فى عبادة .

وحجهم جدال وضيق صدر وسباب وفسوق مع كل من يقابلون أو يعاملون ، فى سفر أو إقامة . وفى كل تحركاته ليس لله ولا حرماته ولا شعائره أى تعظيم فى نفسه . وأكثرهم يسافر إلى الحج وفى نفسه العقيدة الوثنية والروح الجاهلية التى يذهب بها إلى موالد أوليائهم ومؤلهيهم ، بل لأنهم أكثر احتراماً وتعظيما لتلك الموالد والقبور منهم لبيت الله الحرام ، والمناسك الحرام والمشعر الحرام .

أما الزكاة . فإنهم قد ضيعوها تماماً ، وكأنها لم تفرض عليهم ، وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه لم يحارب مانعيها واعتبرهم مرتدين .

كل ذلك وغير ذلك مما يتمرغ فيه الناس من الجاهلية العمياء ، ظنها الناس بغبائهم وعمى بصائرهم وغرورهم وتمردهم على الله ورسوله ، ظنوها ديناً إسلاماً وصراطا مستقيما أمر الله بها ، لأن آباءهم ومشايخهم عليها .

وكل ذلك قول على الله بغير علم . وليس قول أحد ولا فعله كائناً من كان حجة على الله إنما الحجة على البالغة لله سبحانه على عباده جميعاً بما أرسل إليهم من رسل ، وأنزل عليهم من كتب . وقد أمر الله فيها بالقسط ، أى العدل ، وهو عدم الجور والميل مع الأهواء والشهوات ، بل اتباع الصراط المستقيم والطريق القويم ، والسبيل القاصد فى كل الأمور .

وأمر بإقامة الوجوه عند كل مسجد بالطاعة والانقياد لله ، ولكل ما شرع الله سبحانه وتعالى وأن ندعوه وحده لا ندعو معه أحداً . فهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء . نعبده مخلصين له الدين . مؤمنين من قرارة أنفسنا أننا مبعوثون من بعد الموت ، ومحاسبون بكل ما كسبت أيدينا من عمل . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ثم تكون العاقبة جنةً عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنى الله وإياكم منهم . أو ناراً وقودها الناس والحجارة ، أعاذنى الله وإياكم منها .

ماوقع الناس قديماً وحديثاً فيما وقعوا فيه من الوثنية وتسميتها توحيداً ، والفسوق والعصيان ، وتسميتها طاعة ، وإحسان ، وتوفيق إنما هو من الثمرات الخبيثة للتقليد الأعمى ، الذى نشر ظلمات الجاهلية فى القلوب والمجتمعات .

إن المعنى اللغوى لكلمة « التقليد » لايليق بالإنسان الكريم ، فالتقليد : أن تضع قلادة فى عنقك ، ونسلم قيادك لغيرك . فتكون كالأنعام بل أضل من الأنعام سبيلا ، والعياذ بالله .

ما من شر أصاب الناس فى دينهم ولا دنياهم إلا من سوء عاقبة التقليد .

والله ربك الذى خلقك ـ فسواك فعدلك ـ يجب لك أن تكون أهلا لما أكرمك به من أنواع الكرامات وفضلك عن سائر المخلوقات ، وسخر لك مافى السموات والأرض من

الـكائنات ، ولا يجب لك أن تكون إمَّعَة كالريشة فى مهاب الرياح ، تميل مع المذاهب والأهواء والآراء والأقوال حيث مالت . بل يجب أن تكون إنساناً مستقلا فى فهمك وتقديرك وعملك ، تفهم دينك بنفسك من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . كما أنك ستكون مسئولاً وحدك عن عملك فى الدنيا والآخرة .

اللهم وفقنا إلى اتباع السبيل الذى تحبه لنا وترضى ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والشهداء والصالحين . وجنبنا سبيل الضلال وطريق المغضوب عليهم والضالين . إنك سميع قريب مجيب الدعاء .

وصل اللهم و بارك على مصطفاك وحبيبك خاتم المرسلين محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبـــــة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه . ونستهديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد فى الأولى والآخرة وهو الولى الحميـد ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وخيرته من خلقه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . صلى الله وسلم و بارك عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى هو الملك القدوس الذى لا يمكن أن يجرى فى مُلكه ومِلكه إلا ما قدره وأراده . فهو الذى يهدى إلى سبيله وصراطه ورضوانه فريقاً من عباده لاستحقاقهم لذلك بشكرهم لنعمه عليهم بالسمع والبصر والفؤاد وكل ما آتاهم من أسـباب العلم وهداية الفطرة ، و إخلاصهم قلوبهم من كل شائبة تعكرها ، وتشوب توحيدهم الصادق لإلههم الحق ، الذى ذاقت قلوبهم لذة عبادة وطاعته ، بما أشرق عليها من هدى الفطرة ونور هدى القرآن الكريم ، وسنة رسـوله صلى الله عليه وسلم وأطاعوه وقدموا طاعته على كل أحد وحرصوا على إقامة شريعته على علم و بصيرة وهدى لا عن جهل وتقليد وعمى .

وأما الفريق الآخر ـ ونسأله سبحانه أن لا يجعلنا منهم ـ فإنهم حق عليهم الضـلالة ، أى استحقوا الضلال بإعراضهم عن هدى الفطرة ، وعن هدى كتاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم فشاقوا الرسول واتبعوا غير سبيل المؤمنين واتخذوا شياطين الإنس والجن

أولياء من دون الله فزينوا له الباطل حتى رأوه حقا وهدى . والبدعة والضلالة فكانت عندهم ، خيراً من السنة . والفسوق والعصيان ، ومحاربة الله ورسوله مدنية وحضارة ورقياً وتقدماً . فيأتون كل منكر وقبيح ويزين لهم الشيطان أعمالهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً . نعوذ بالله من انتكاس الفطر وانعكاس العقول حتى ترى حَسَناً ما ليس بالحسن .

يحب الله لعباده أن يتخذوه وحده ولياً فكفى بالله وليا وهادياً ونصيراً . ولكنهم لجهلهم يتخذون من كل نكرة لا يعرف له فضل ولا سابقة أولياء ، كما يتخذون من بعض ينتسبون إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ، أولياء كذلك ــ وبرأ الله نبيه وآل بيته من ذلك ــ وإنما دعاهم إلى ذلك شياطين الإنس والجن .

فهم فى الواقع يتخذون هؤلاء الشياطين أولياء باسم هؤلاء الصالحين الذين زعموا للناس أنهم يحبون ذلك .

والحقيقة التى يعلمها كل مسلم يعرف دينه : أن هؤلاء الصالحين لا يرضون أبداً أن يتخذهم الناس أولياء من دون الله ، بعد أن أنزل الله فى كتابه (وكفى بالله ولياً) وقال (الله ولى الذين آمنوا) وقال (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال (المؤمنون بعضهم أولياء بعض) .

وحكى ربنا عنهم فى آى الذكر الحكيم أنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم . وأنه يقول لهم (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) وقال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعاً . ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون . فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ، إن كنا عن عبادتكم لغافلين) .

فتلك مسائل ثلاثة : ولاية الله سبحانه لعباده بالتوفيق والتسديد والإرشاد والهداية وغير ذلك .

وولاية المؤمنين لله سبحانه وتعالى بالإيمان والإسلام والتقوى والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والتفويض وغير ذلك .

وولاية المؤمنين بعضهم لبعض بالتعاون والتناصر والتآخى وغير ذلك .

والناس فى الولاية فريقان . لا ثالث لهما . أولياء الرحمن الذين أعد الله لهم الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ وأولياء الشيطان الذين أعد الله لهم النار ـ أعاذنا الله منها .

فاختر لنفسك يا أخى ، فإنك إن رفضت أن تكون من أولياء الرحمن كنت ولا بد من أولياء الشيطان . أعاذنى الله و إياك من ذلك .

فاتقوا الله ، واعلموا يا إخوانى أن الولاية ليست خاصة بطبقة من الناس مقدسين بالنسب والولادة مهما عصوا الله أو عبدوه بغير ماشرع ، لا يا إخوانى إن كل مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر على علم وهدى من ربه ، و يؤدى كل ما أمره الله به ، و يجتنب كل ما نهى الله عنه ، ويخشى الله فى السر والعلن ، و يعلم يقيناً أن الله سيبعثه فى يوم كان شره مستطرا . فيحاسبه على الفتيل والقطمير ، وأنه سيقف أمام ربه ليس بينه و بينه ترجمان ، وأنه سيسأله عن كل ماقدمت يداه ، وأنه لن ينفعه فى ذلك اليوم إلا سعيه وعمله ، لقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى) وأنه لن تنفعه شفاعة الشافعين ، ولا أى شيء آخر أبداً .

إن كل مسلم ذلك شأنه فإنه من أولياء الله ولا ريب . لا يمنعه أن يكون كذلك أن يكون عربياً أو أعجمياً . ولا أن يكون روسياً أو أمريكياً ، أو حتى انجليزياً ، ولا أن يكون فى عصر مضى ، أو فى هذا العصر ، أو فى مستقبل الأيام . فلا زمان ولا مكان ولا جنس ولا بلد يؤثر فى صفات المؤمنين أولياء الله ، أو صفات الكافرين أولياء الشيطان قال الله تعالى (٢ : ١٦٢ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) .

اللهم إنا نسألك أن تهدينا صراطك المستقيم ، وتوفقنا إلى العمل بكتابك وهدى نبيك علماً وعملاً وعقيدة ، وأن تجعلنا من أوليائك المؤمنين المتقين . كما نسألك أن توفق الأمة الإسلامية كلها إلى ذلك ، وأن توفق رؤساءهم وكبراءهم إلى العمل الصالح لهم ولأممهم ، حتى يتبوأوا المكان اللائق بالإسلام من الزعامة والقيادة للشعوب كلها . إنك سميع قريب مجيب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين ورضى الله عن جميع أصحابه ومن اهتدى بهديه ، وخصوصاً الخلفاء الأربعة أبا بكر وعثمان وعلى وعمر .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٦٠١٧

فى أي مكان تجده يتألق ويزهو



انه الكرسى النموذجى

فى المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكى شارع الخديوى إسماعيل

حسن على حماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندى سجل تجارى ٤١١٠١

الأمانة　　حسن المعاملة　　الجودة

بمحلات

الحاج زكير على

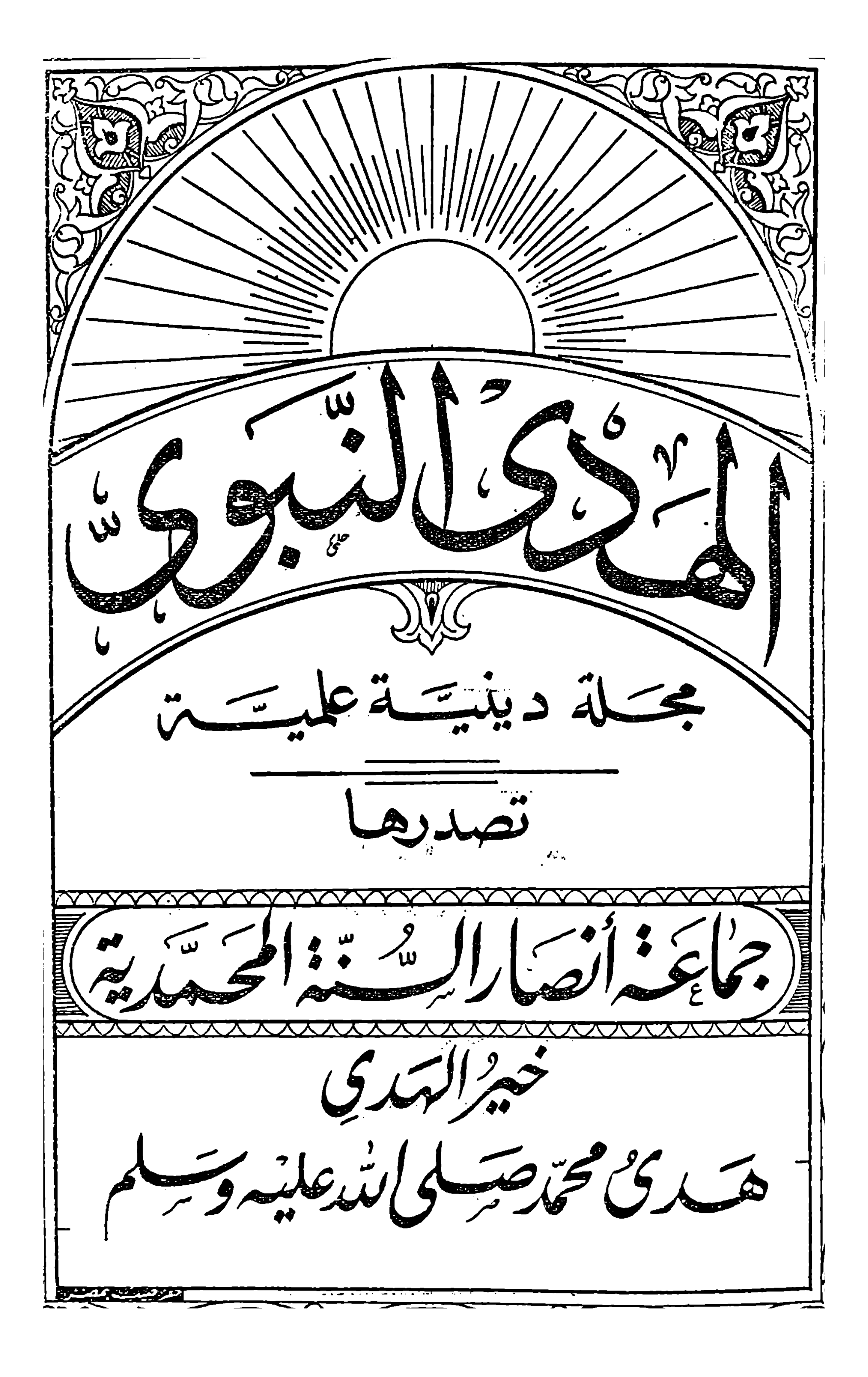
تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

٥ شارع التمبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مدكور تليفون ٥٥٣٦٨

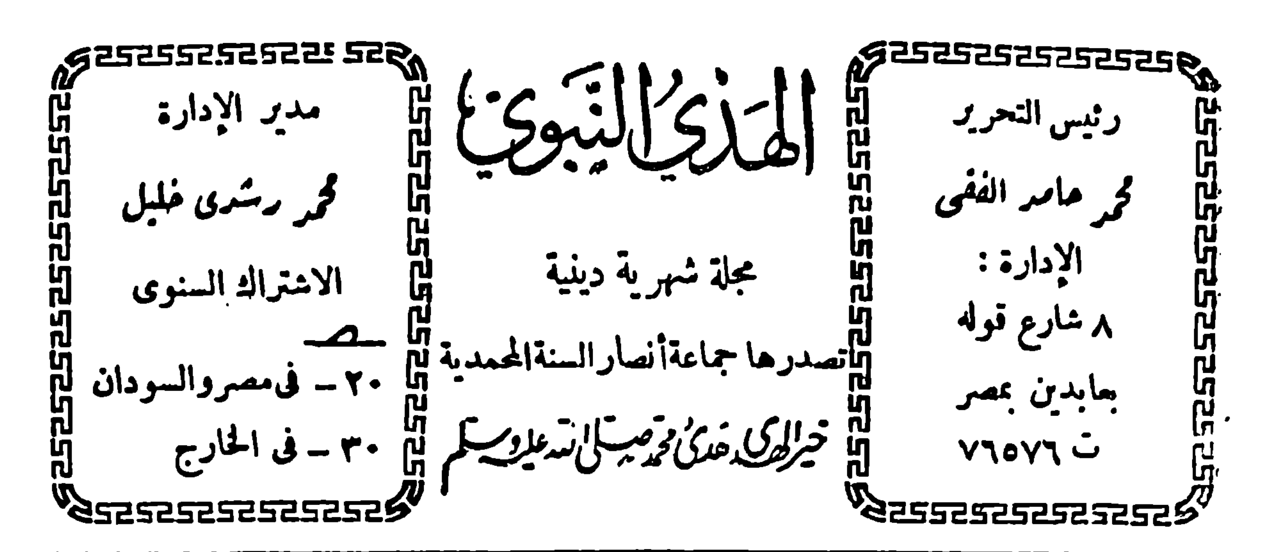
١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

الثمن ٤٠ مليما



رئيس التحرير
محمد حامد الفقي
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

الهدي النبوي
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل
الاشتراك السنوي
صـ
٢٠ ـ في مصر والسودان
٣٠ ـ في الخارج

المجلد ٢٢ — جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٧٧ — العددان ٦ ـ ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ، وجل ثناؤه :ـ

(١٦ : ١٢٦ ـ ١٢٨ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولَئِنْ صبرتم لَهُوَ خير للصابرين . واصبر ـ وما صبرك إلا بالله ـ ولا تحزن عليهم ، ولا تَكُ في ضَيْقٍ مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .

« عاقبتم » آخذتم وجازيتم من يعتدي عليكم ويظلمكم . وأصله من « العَقِب » مؤخر القدم الذي يكون عقبها في السير دائماً . ومنه « أعقب الرجل » إذا خلّف أولاداً ، والأولاد « عَقِب » .

فالمعاقبة يُخَلِّفها البغي ، والعدوان والظلم ، وتكون في إثره . وتأتي بعده مباشرة .

و « مثل ما عوقبتم به » مساوٍ له في الكمية والكيفية ، بلا نقص ولا زيادة ، وليس من جنس آخر . أو مثله في الإيلام والعذاب ، وإن كان من غير جنس ماعوقبتم به .

وسمي بدء الظالم بالعدوان « عقابا » لأنه يصدر فيه عما زين له شيطان الجاهلية ، وهوى النفس الأمارة بالسوء والبغي ، من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين المهتدين بهداه ـ الداعين دعوته إلى إخلاص العبادة لله ، وتحقيق الطاعة والاتباع لرسالته على هدى

و بصيرة ـ : ظالمون معتدون . لأنهم خارجون على مايدين به الظالم الباغى ، من دين الآباء والأجداد ، مفارقون لدين الجماعة الجاهلية وشيوخها وسوادها ، آتون بغير مايعرف الجاهليون المشركون فى الملة الآخرة ، الموروثة من مئات السنين عن الآباء والشيوخ ، محاولون إبطال هذه الملة الآخرة ، و إزالتها من القلوب ، و إزالة آثارها من العادات والتقاليد الموروثة ، والعقائد الوثنية ، التى يحسبونها هدى ، وعملا صالحا . و إحلال هذا الدين الجديد محل الملة الآخرة ، وتحطيم آلهتهم المقدسة عندهم أشد التقديس ، وتقويض معابدها وهياكلها وأصنامها من القباب المرفوعة ، والمقاصير المنصوبة ، التى يعيش السادة والشيوخ على ما تغل لهم ، وتحتلب من جيوب الدهماء مما رزقهم الله .

وفى معنى « الصبر » الجمع . ومنه « صُبرة الطعام » وفيه معنى الحبس . ومنه سمى رمضان شهر الصبر . و « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صبر ذى الروح » ونهى « عن المصبورة » وهى أن يمسك شىء من ذوات الروح حياً ، ثم يرمى بشىء حتى يموت. وفيه معنى الإلزام . ومنه حديث « من حلف على يمين صبر » أى ألزم نفسه بها . وأنشد ثعلب :

فأوجِعِ الجنبَ ، وأعْرِ الظهرا أو يبلى الله يميناً صَبرا

وصبر الرجلُ الرجلَ : لزمه ولم يفارقه .

فالصبر : جمع كل عناصر القوة فى النفس ـ من الحواس الظاهرة والباطنة ، والمعلومات الصحيحة ـ و إلزامها الوقوف والاحتباس ـ بكل يقظة ـ مع آيات الله فى الأنفس والآفاق ، ومع نعم الله الجسمية والروحية ، وما يتتالى منها آناء الليل والنهار فى كل لحظة ، على أنه امتحان من الله وابتلاء وفتنة ، ليعلم الله الذين صدقوا فى معرفتهم بربهم و إيمانهم به ، و إذعانهم و إسلامهم فى كل شأن له وحده ، وتحريهم ـ فى يقظة تامة ـ سبيل النجاح فى هذا الابتلاء والامتحان ، بمعرفة خصائص وصفات وأوضاع كل نعمة ، و إحسان الانتفاع بها بتناولها واستعمالها على أوضاعها وخصائصها وصفاتها ومزاياها التى من أجلها أنعم بها الرب العليم الحكيم ، البر الرءوف الرحيم . إن أصابتهم سراء شكروا صابرين . و إن أصابتهم ضراء رضوا صابرين .

ويعلم الكاذبين ، الذين يدينون دين الجاهلية التقليدى ، فهم لا يفقهون لأنهم لا يتفكرون ولا يعلمون . فهم آلات صماء تتحرك حركات لا إرادية . فإذا أصابتهم سراء أشروا و بطروا مرحين . و إن أصابتهم ضراء جزعوا وهلعوا كافرين .

والناس ــ من قديم ــ لم يفهموا « الصبر » على حقيقته ــ كغيره من ألفاظ القرآن ــ لما غلب عليهم من الاصطلاحات الصوفية المبتدعة المضللة . فزعموه « كبت النفس ، وحبس الغيظ ، وربط اللسان عن الشكوى مما يصيب من فجيعة المصائب فى المرض والموت ونحوهما »

وكثرة عليهم المحن والابتلاءات . لأن كل نعم الله امتحان و بلاء . إذ يقول سبحانه (٦ : ١٦٥ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض . ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك سريع العقاب ، و إنه لغفور رحيم) فكل ما آتانا ربنا إنما آتانا إياه للابتلاء والامتحان (٢٩ : ٢ ، ٣ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين) .

وهم بجاهليتهم ــ التى أثارت الصوفية كلها ، فى القديم والحديث عجاجها ، ونشرت ظلماتها ــ دائماً يسقطون فى هذا الامتحان ، فيتبدل الخير الذى يجيئهم ــ من آثار أسماء الله الحسنى ــ خيراً وحسناً وجميلا : شراً وسوءاً وقبيحاً ، وغصة وعذاباً أليماً ، ونكداً دائماً ، بما فى نفوسهم وقلوبهم من أقذار الجاهلية وثنيتها وعقائدها ، وأنجاسها وأرجاسها ، ويزين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، فيندفعون فى الضلال وراء الأهواء الضالة ، والشهوات الجامحة ، فيكون الغضب والعذاب من الله العزيز الحكيم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فيطول الكبت . حتى يكون الانفجار الشنيع ، بالحقد والضغن والحسد ، والاعتراض والسخط على تدبير العليم الحكيم ، الرحمن الرحيم ثم يسمون هذا صبراً . وهم أكذب الكاذبين . لأنهم أغفل الغافلين ، وأجهل الجاهلين .

وليس الصبر إلا للذين قالوا : ربنا الله . ثم استقاموا على سنن الربوبية ، وشرائع الربوبية ، وما يقتضيه تجلى أسماء وصفات الرب الذى بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

إذ أخذوا أنفسهم بكل عزم وقوة فأوقفوها ، وحبسوها مع الله ربهم الغنى الحميد ، ومع آلائه ونعمه و بره و إحسانه. رضًى وشكرا،وهذا هو صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه ومن تبعهم بإحسان رضى الله عنهم ، ورضوا عنه . وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . ونعم أجر الصابرين الشاكرين .

و « الحزن » بضم الحاء وسكون الزاى ، و بفتحهما .

قال أبو عمرو : إذا جاء « الحزن » منصوباً فتحوا الحاء . و إذا جاء مرفوعاً أو مكسوراً ضموا الحاء . كقول الله عز وجل (١٢ : ٨٤ وابيضت عيناه من الحزن) لأنه فى موضع خفض . وقال تعالى (٩ : ٩٢ تفيض من الدمع حَزَناً) لأنه فى موضع النصب . وقال الله تعالى (١٢ : ٨٦ إنما أشكو بثى وحُزنى إلى الله) لأنه فى موضع الرفع . اهـ

و « الحزن » هو الهم والغم الذى يترك خشونة وضيقاً و إقفاراً فى النفس ، ووحشة فى القلب وضيقاً فى الصدر وحرجا . مأخوذ من حزونة الأرض : المرتفعة البعيدة عن مجرى المياه ، فهى خشنة قاسية لذلك .

و « لا تك فى ضَيْق » « الضيق » الانكماش والحرج ، وضده : السعة والانشراح والسماحة بالفرح والسرور .

قال ابن جرير رحمه الله : اختلف القراء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء العراق « ولا تك فى ضيق » بفتح الضاد . وقرأه بعض قراء أهل المدينة بكسر الضاد . وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه بفتح الضاد . لأن الله تعالى إنما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه إياهم وحى الله وتنزيله . فقال له (٧ : ٢ فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به) وقال (١١ : ١٢ فلعلك تارك بعض مايوحى إليك وضائق به صدرك ، أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ؛ إنما أنت نذير) و إذا كان ذلك هو الذى نهاه عنه ، ففتح الضاد : هو الكلام المعروف من كلام العرب فى ذلك المعنى تقول العرب : فى صدرى من هذا الأمر ضَيق . و إنما تكسر

الضاد فى الشىء الذى يتسع أحياناً و يضيق من قلة المعاش ، وضيق المسكن ونحو ذلك . فإن وقع « الضيق » بفتح الضاد فى موضع « الضيق » بالكسر كان على أحد وجهين : إما على جمع الضيقة . كما قال الأعشى :

فلئن ربك فى رحمته كشف الضيقة عنا وفسح

والآخر على تخفيف الشىء الضيق ، كما يخفف الهين واللين . فيقال : هو هين لين .

و « المكر » الخديعة والاحتيال فى خفية لاستدراج الممكور به ، و إيقاعه فى التهلكة والضر . ولا يكون فى الإنسان الماكر إلا عن لؤم نفس ، وحقد وضغن . فيستدرجه الله و يمد له فى حبل خبثه وحقده ولؤمه ، حتى إذا قارب الغاية السيئة التى يسعى لإيقاع الممكور به فيها : رد الله سهم كيده إلى نحره ، وعاد سعيه و بالاً وشراً عليه . وسَلِّم الممكور به المظلوم من مكره السيء ، فكانت عاقبة الماكر السوأى . وعاقبة الممكور به المظلوم الحسنى . والله خير الماكرين .

« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

معية الله سبحانه وتعالى : عامة ، وخاصة .

فالمعية العامة : التى ذكرها فى قوله تعالى (٥٧ : ٤ يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وهو معكم أينما كنتم . والله بما تعملون بصير) وفى قوله (٥٨ : ٧ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا . ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . إن الله بكل شىء عليم) .

وهذه معيته بعلمه المحيط بكل شىء ، وبكل عبد وما توسوس به نفسه ، وما يضطرب فيه من جميع شئون الحياة التى يدبرها جميعها له سبحانه وتعالى . والتى علمها وقَدَّرها قبل أن يخلق السموات والأرض . ثم هو سبحانه يحصيها عليه فى هذه الحياة ، التى ابتلاه وامتحنه بكل ما آتاه فيها . ثم يجزيه عليها الجزاء الأوفى .

وهذه المعية : يذكرها ربنا للتخويف والوعيد والتهديد . فإنه يذكر : أنه يحصى على العباد أعمالهم جميعها ـ من مثاقيل الذر ، إلى ماهو فوق ذلك ـ لا يغفل شيئاً منها ، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة من قول أو عمل ، أو حال . فإنه (٤٠ : ١٩ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) (٦٧ : ١٤ ألا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير) (٥٠ : ١٦ ـ ١٨ ولقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه . ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٤ : ١٠٧ يستخفون من الناس ، ولا يستخفون من الله ، وهو معهم . إذ يبيتون مالا يرضى من القول . وكان الله بما يعملون محيطاً) والقرآن ملىء من هذا . لايكاد يحصى .

والمعية الخاصة : هى معيته سبحانه بالولاية والتوفيق ، والتسديد والنصر ، والفلاح والسعادة فى الأولى والأخرى : للمؤمنين والمتقين والمحسنين ، الشاكرين الصابرين . قال (٥ : ٢ قال الله : إنى معكم ، لئن أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وآمنتم برسلى ، وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسنا ، لأكفرن عنكم سيئاتكم ، ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) وقال (٢ : ١٥٣ و ٨ : ٤٧ إن الله مع الصابرين) وقال (٢ : ١٩٤ و ٩ : ٣٧ ، ١٢٤ إن الله مع المتقين) وقال (٢ : ٢٤٩ و ٨ : ٦٦ والله مع الصابرين) وقال (٨ : ١٩ وأن الله مع المؤمنين) وقال : (٢٩ : ٦٩ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . و إن الله لمع المحسنين) وقال لموسى وهارون (٢٠ : ٤٦ لاتخافا . إننى معكما أسمع وأرى) وقال (٢٦ : ٦٢ ، ٦٣ قال أصحاب موسى : إنا لمدركون . قال : كلا ، إن معى ربى سيهدين) وقال (٤٧ : ٣٥ فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون . والله معكم) وقال (٩ : ٤٠ إلا تنصروه فقد نصره الله . إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين . إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لاتحزن . إن الله معنا) .

ومعية ربنا سبحانه وتعالى ـ العامة لكل عباده ، والخاصة للمتقين والصابرين والمحسنين والشاكرين ـ من صفاته التى لايعلم كنهها إلا هو ، ككل صفاته العلية . وهو سبحانه ـ مع ذلك ـ مستوى على عرش (٢ : ٤ ـ ٨ خلق الأرض والسموات العُلَى . الرحمن على

العرش استوى . له مافى السموات ومافى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى . وإن تجهر بالقول ، فإنه يعلم السر وأخفى . الله ، لاإله إلا هو . له الأسماء الحسنى) .

وقد ضل وخاب من افترى ، وأدخل هواه السفيه الغاوى الجاهلى ، الذى هوى به إلى أسفل سافلين ــ وزعمه عقلا وعلما ــ فحرف القول عن موضعه ، وقال فى الله وعلى الله بلا علم ، وضرب بعض كلام الله ببعض ، وزعم بكفره وجاهليته ــ بل ووثنيته ــ أنه وشياطينه من كفرة الفرس واليونان وعبدة الأوثان ، يعلمون عن الله وعما يليق به سبحانه من الجلال والعظمة ، والأسماء الحسنى ــ مالا يعلم ربنا . فزين لهم الشيطان أسوأ القول والعمل ، وألغو كلمة الله الحق ، وجعلوا موضعها كلمتهم أبطل الباطل وأكفر الكفر .

ثم زادهم الشيطان زيغاً وتوغلا فى الكفر . فقالوا : إن إفكهم وإفك أشباههم : أعلم وأحكم من صريح كلام الله العربى المبين ، الذى فهمه خير خلق الله وأصفاهم ، وأهداهم وأتقاهم لربهم ، وأعلمهم به ، وأرشدهم وأحكمهم ــ بعد المرسلين ــ الذين اختارهم الله لصحبة خاتم أنبيائه وصفوة رسله ، ولحمل الأمانة الكريمة فى هذا الوحى الذى أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير . والحمد لله الذى أنقذنا من هذه الهاوية السحيقة ، وهدانا إلى الصراط السوى ، وأنار بصائرنا . وفقهنا فى كلامه ، وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم . فعرفنا ربنا بما عرفنا به . وهدانا به إلى الإيمان به . وإسلام الوجه وإخلاص العبادة والعمل والدعوة له وحده .

و « الذين اتقوا » هم الذين جعلوا أنفسهم فى وقاية مما يخافون ويحذرون من كل مؤذ وضار ، ومعوق ومانع من بلوغ العاقبة المرجوة ، والغاية المطلوبة المحمودة ، من العافية والأمن والسلام ، والحياة الطيبة ، والسعادة فى الأولى والأخرى .

و « التقوى » من « الوقاية » التى هى صيانة النفس وحفظها من المخوف الضار ، والاجتهاد فى السلامة منه ، بالأخذ بالأسباب الدافعة له المانعة من حصوله .

ولا يتم ذلك إلا بالحرص على المنافع الذى تتوفر بها أسباب العافية والفلاح ، وسعادة الأولى والأخرى .

وإنما يصح ذلك ، وينجح الإنسان به فى حفظ نفسه من المخوف الضار الذى تكون عاقبته الخسران والشقاء ، وينجح فى توفير النافع الذى تكون عاقبته السعادة ، والفلاح : باليقظة والعلم الذى يزكى النفس من ظلمات الجاهلية ، وينير البصيرة ، ويتميز به الضار من النافع ، والمنجي من المهلك ، والمربح من المخسر . والمسعد من المشقى ، ورضوان الله من غضبه ، والضلال من الهدى ، والحق من الباطل . فيكونان من المحسنين ، الذى أحسنوا استعمال نعم الله على أوضاعها التى جعلها الله فيها . فقدروا النعم ، وشكروا الله المنعم بها .

فاليقظة : هى قوة حياة الروح والقلب ، وسلامتهما من أمراض الغفلة والنسيان والجهل بسنن الله الكونية ، وآياته فى الأنفس والآفاق ، التى يكون منها الحجب والأكنة على القلوب . فتحول بينها و بين الفقه فى آياته القرآنية .

فباليقظة وسلامة القلب يتأمل العبد فى سنن الله الكونية ، ويتدبر ويفقه الآيات البينات من الكتاب المبين . ويحرص على الفقه فى سنة وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيعرف ربه بأسمائه وصفاته . فيثمر له ذلك العلم الصحيح بحقائق الأشياء التى هى كلها نعم من الله العليم الحكيم ، الغنى الحميد ، وهى كلها ابتلاء منه سبحانه لعباده وفتنة . إذ هى آثار أسمائه الحسنى ، تجلى ربنا سبحانه بها على عبده ليعرف ربه معرفة صادقة ، تغرس فى قلبه شجرة الإيمان الصادق الطيبة ، فيؤتيه ربه أكلها طيباً كل حين . فيزداد يقظة فى حواسه الظاهرة والباطنة ، ويزداد علماً ومعرفة بربه وثباتاً ويقينا فى إيمانه وإذعانه وإسلام وجهه لله سبحانه فى كل عمل ، وكل حال ، ليكون صالحاً ، ويزداد بصيرة وهدى ونوراً فى كل خطوة فى سعيه إلى ربه .

فيوقن اليقين الأكيد : أن خلقه وتصويره وتسويته فى أحسن تقويم ـ من تراب ثم من نطفة ـ وأن كل ماهو فيه من نعم وعافية فى جسمه ولبه ومعناه ، وأن كل ماخلقه الله ويسره له ووفره ، وهيأ له أسباب الحصول عليه والانتفاع به فى أولاه وأخراه : كله من الله حسن وجميل . ليس فيه سيء ، ولا شر ولا قبيح . وأن القبح والشر والسوء إنما كان من سوء الاستعمال ، نتيجة الغفلة والنسيان والجهل بربه وبسنن ربه ولآيات ربه ، والإعراض عن العلم

الصحيح النافع الذى هيأ الله له أسبابه فى الكون وفيما أوحى من رسالات ، وأنزل من كتب وأرسل من رسل لهداية الإنسان إلى التى هى أقوم فى استعمال هذه النعم ، وحسن الاستفادة بها ، و بلوغ الغاية المحمودة ، والحياة والطيبة الآمنة بها فى الأولى والأخرى .

وأن الفتنة والابتلاء بها وفيها ليعلم الصادق من الكاذب .

الصادق فى معرفته وعلمه اليقينى ـ الذى لا يحوم الشك حوله ـ أن الله رب العالمين قد فطر الإنسان وجبله على الرغبة والرهبة ، والحب والكره ، وأن الله ربه قد جعل فى كل مايعطى للإنسان ، وماينعم عليه به ـ فى جسمه و بهيميته ، ومعناه وروحانيته ـ ناحية يرغب فيها و يحبها ، وناحية يرهبها ويخافها و يكرهها . وأن هذا هو البلاء والامتحان ، وأنه سبحانه قد أعطى الإنسان من البصر والبصيرة ، ومن التفكر والتدبر ، ومن علوم السنن الكونية و يسر له من علوم الرسالات والشرائع والكتب المنزلة ، وهدى المرسلين : مايسر على الإنسان وسهل له السبيل إلى معرفة مايكره و يخاف ، فيتقيه ويحذره ، ويتباعد عنه ، وعن كل دواعيه ، ومايقرب منه . و يسر له السبيل إلى معرفة مايرغب و يحب لسعادته وفلاحه ونجاحه ، وفوزه بسعادة الأولى والأخرى ، فيسعى إليه ، و يعمل جاهداً على تحصيله ، واستكمال أسباب الحياة الطيبة ، وتوفير ما يكفل الله به السعادة فى الأولى والأخرى .

و بذلك يحرص الإنسان أشد الحرص على كل الأسباب التى يبلغه الله بها هذه الغاية ، و ينجو بها من شقاء الأولى والأخرى .

وأول خطوة فى هذه الطريق : هو تحطيم أغلال التقليد الأعمى للآباء والشيوخ والجماهير ، وتزكية النفس وتطهيرها ـ فى حرص و يقظة وقوة ـ من آثار هذا التقليد وغفلته ، وظلماته الجاهلية ، ومابث فى جوها شياطين الجن والإنسان من كفر وفسوق وعصيان ، وفاحشة ومنكر ، وأشدها فحشا ونكرا : اعتقاد أن الله حرمه من الفقه والفهم لرسالة رسله ، وحال بينه و بين التدبر والتفكر فى آياته الكونية وسننه ، فى حين أنه ـ سبحانه ـ خص بذلك غيره ، لا بسبب خموله وركوده و إعراضه ، وغفلته وموت قلبه ، بل بسبب الزمان أو

المكان ، أو ما يوحى به شياطين الجن والإنس من أسباب وهمية لا تمت إلى الحقيقة والواقع بأى صلة . بل الحقيقة والواقع فى خلق الله وربوبيته للجميع ، وتهيئة أسباب الحياة الجسمية المعيشية للجميع على سواء : تدل أبين الدلالة ، وتنادى أوضح النداء وأصرحه : أن كتاب الوجود مفتوح الصفحات لكل من يريد التأمل والتفكر ، وكتاب الفرقان مفتوح الصفحات لكل من يريد العلم والهدى والرحمة ، وشفاء القلب ، والفقه والتدبر والاهتداء إلى التى هى أقوم . فالكل عبد الله .

فإذا ما حطم أغلال هذا التقليد ، وزكى نفسه من آثاره التى مات بها القلب وتعفن : أعانه الله ربه على تمزيق أكفان الأوهام والخرافات الجاهلية ، وخدع الطواغيت وكيدهم بما يحولون بين الناس وبين هدى الله ربهم ، لتبقى طاغوتيتهم . وخرج منها لبه وقلبه ومعناه الإنسانى الكريم مفكراً ومتدبراً ، ومتفقهاً ، ومستضيئاً بهدى الفطرة . فيمده الله بهدى الوحى والرسالة ونورهما المشرق ، وتتحقق له اليقظة الانسانية الكريمة . فيكون صادقا فى علمه ومعرفته ، صادقا فى يقينه وإيمانه وإذعانه وإسلامه . لأنه بنفسه فكر ، وبنفسه تدبر وتفقه ، وبنفسه تأمل وتبصر ، فعرف الحق فى كل ماخلق الله فى هذا الوجود ، وأخذ النعم على الوجه الحق الذى جعله الله فيها : فكان من المحسنين فى استعمال النعم . والانتفاع بها . وكان من الصابرين الواقفين بتثبت وتفكر فى هذه النعم ومسديها بأسمائه الحسنى . فكان من الشاكرين . وكان الله معه المعية الخاصة بولايته ، وزيادته هدى على هدى ، وتوفيقاً على توفيق ، وتثبيتاً على تثبيت ، واستقامة على استقامة ، وإعاذة من الأهواء الجاهلية ، والشهوات البهيمية ، ومن مكايد شياطين الجن والإنس وما يغررون به من زخرف القول وزيفه .

أما الكاذبون : فهم المقلدون الجاهليون . الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . لايرضون إلا مايشرعون لهم من الدين الباطل مالم يأذن به الله ، مهما لقوا فى سبيلهم وسعيهم بهذا الدين الباطل من أوخم العواقب وشر النتائج ، ومهما قرعتهم قوارع العبر من الحوادث التى تنطق بأنها من آثار غضب الله ولعنته ، فهم مصرون على صممهم وعماهم وبكمهم ، قد انسلخوا من آيات الله الكونية فى الأنفس والآفاق ، وأعرضوا ــ فى

استكبار واستهتار - عن آيات الله المنزلة ، وشرائعه المحكمة ، ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم .
فتوحيدهم شرك ووثنية ، وصلاتهم هزؤ وسخرية . وعباداتهم لهو ولعب ، وقراءتهم للقرآن
موسيقى وأغانى ، يتبعون كل ناعق ، و يميلون مع كل ريح ، ولو كانت ريح أعدى الأعداء ،
وأبغض البغضاء ، وأنى لهم أن يفرقوا بين العدو والحبيب ، والمسالم والمحارب ؟ إنها لاتعمى
الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . فهم الذين عناهم الله بقوله (٢ : ٨ - ١٦
ومن الناس من يقول : آمنا بالله و باليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ،
ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون . فى قلوبهم مرض . فزادهم الله مرضاً . ولهم عذاب أليم
بما كانوا يكذبون . و إذا قيل لهم : لاتفسدوا فى الأرض ، قالوا : إنما نحن مصلحون . ألا
إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون . و إذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس . قالوا : أنؤمن
كما آمن السفهاء ؟ إلا إنهم هم السفهاء ، ولكن لايعلمون . و إذا لقوا الذين آمنوا ، قالوا :
آمنا ، و إذا خلوا إلى شياطينهم ، قالوا : إنا معكم . إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ،
و يمدهم فى طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين) (٧ : ١٧٩ لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها . ولهم
آذان لايسمعون بها ؛ أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) (٩ : ٥٦ ، ٥٧
و يحلفون بالله : إنهم لمنكم . وماهم منكم ، ولكنهم قوم يَفْرَقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات
أو مُدَّخَلاً لوَلَّوْا إليه وهم يجمحون) (١٠ : ١٨ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ،
و يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل : أتنبئون الله بمالا يعلم فى السموات ولافى الأرض ؟
سبحانه وتعالى عما يشركون) (١٠ : ٤٢ - ٤٣ ومنهم من يستمع إليك ، أفأنت تُسمع
الصم ولوكانوا لايعقلون ؟ ومنهم من ينظر إليك ، أفأنت تهدى العمى ، ولو كانوا لايبصرون ؟
إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (١٠ : ٣٦ إن الذين حَقّت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) (١٨ : ٥٧
ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها ، ونسى ماقدمت يداه ؛ إنا جعلنا على
قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفى آذانهم وَقْراً . و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً)

(١٨ : ١٠١ ـ ١٠٦ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ، وكانوا لا يستطيعون سمعا ، أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نُزُلا ، قل : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) . (٢٠ : ١٢٣ ـ ١٢٧ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضَنْكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رب ، لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها.وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) (٢١ : ١ ـ ٣ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) (٢٢ : ٣ ، ٤ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان مريد ، كُتِب عليه أنه من تولاه فأنه يضله . ويهديه إلى عذاب السعير) (٢٥ : ٤٣ ، ٤٤ أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا) (٨٥ : ١٩ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . أولئك حزب الشيطان . ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنى وإياكم من الصادقين ، وأن يعيذنى وإياكم من هذا الكذب والكاذبين ، وأن يجعلنا ـ بفضله ورحمته وهداه وتوفيقه ـ من الصادقين ، المؤمنين المتقين ، الخاشعين ، الصابرين المحسنين المجاهدين ومن أوليائه وحزبه المفلحين ، ويثبتنا على هداه ، وهدى عبده الكريم ورسوله الصادق المصدوق . صلى الله وبارك عليه وسلم وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقي

إنما الأعمــــــــال بالنيات (٢)

شرحه هذا الشرح الممتع

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله ورضى عنه

فصل

وأما قوله تعالى (٨ : ٢ إنمـا المؤمنون الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) فقد أثبت فيها الإيمان لهؤلاء ونفاه عن غيرهم ، كما نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عمن نفاه عنه فى الأحاديث . مثل قوله صلى الله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى ـ حين يزنى ـ وهو مؤمن . ولا يسرق السارق ـ حين يسرق ـ وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر ـ حين يشربها ـ وهو مؤمن . فإياكم » وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لا عهد له » .

ومن هذا الباب قوله تعالى (٤٩:١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا . وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصـادقون) وقوله تعالى (٢٤ : ٦٢ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله . وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله . فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله . إن غفور رحيم) .

وهذه المواضع : قد تنازع الناس فيها .

والذى عليه جماهير السلف ، وأهل الحديث وغيرهم : أنه نفى الإيمان لانتفاء بعض الواجبات فيه . والشارع دائماً لا ينفى المسمى الشرعى إلا لانتفاء واجب فيه .

وإذا قيل : المراد بذلك نفى الكمال . فالكمال نوعان : واجب ، ومستحب . فالمستحب : كقول بعض الفقهاء : الغسل ينقسم إلى كامل ومجزىء ، أى كامل المستحبات . وليس هذا الكمال هو المنفى فى لفظ الشارع ، بل المنفى هو الكمال الواجب . وإلا

فالشارع لم ينف الإيمان ، ولا الصلاة ، ولا الصيام ، ولا الطهارة ، ولا نحو ذلك ـ من المسميات الشرعية ـ لانتفاء بعض مستحباتها . إذ لو كان ذلك كذلك لانتفى الإيمان عن جماهير المؤمنين . بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات . كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صيام لمن لم يبيت نية الصيام » و « لا صلاة إلا بأم القرآن » .

وقد رويت عنه ألفاظ تنازع الناس فى ثبوتها عنه . مثل قوله « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » وقوله « لا صلاة إلا بوضوء » و « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » وقوله « لاصلاة لجار المسجد ، إلا فى المسجد » .

ومن ثبتت عنده هذه الألفاظ : فعليه أن يقول بموجبها . فيوجب ماتضمنته من التبييت وذكر اسم الله على الوضوء ، و إجابة المؤذن ، ونحو ذلك .

ثم إذا ترك الإنسان بعض واجبات العبادة . فهل يقال : بطلت كلها ، فلا ثواب له عليها ، أم يقال : يثاب على ما فعله ، و يعاقب على ما تركه ؟ وهل عليه إعادة ذلك ؟ هذا يكون بحسب الأدلة الشرعية . فمن الواجبات فى العبادة : ما لا تبطل العبادة بتركه ، ولا إعادة على تاركه ، بل يجبر المتروك ، كالواجبات فى الحج التى ليست أركانا ، مثل رمى الجمار ، وأن يكون الإحرام من الميقات ، وأن يحرم من غير الميقات . ونحو ذلك .

وكذلك الصلاة عند الجمهور كمالك وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم ـ رحمهم الله ـ فيها واجب لاتبطل الصلاة بتركه عندهم . كما يقوله أبو حنيفة فى الفاتحة والطمأنينة . وكما يقوله مالك وأحمد فى التشهد الأول .

لكن مالك وأحمد يقولان : ماترك من هذا سهواً ، فعليه أن يسجد للسهو . وأما إذا تركه عمداً فتبطل صلاته ، كما تبطل الصلاة بترك التشهد الأول عمداً فى المشهور من مذهبهما أى مالك وأحمد .

لكن أصحاب مالك يسمون هذا سنة مؤكدة . ومعناه : معنى الواجب عندهم .

وأما أبوحنيفة ، فيقول : من ترك الواجب الذى ليس بفرض عمداً ، أساء ولا إعادة عليه والجمهور يقولون : لانعهد فى العبادات واجبا فيها يتركه الإنسان إلى غير بدل ولا إعادة عليه . فلا بد من وجوب البدل ، أو الإعادة .

لـكن مع هذا : فقد اتفق الأئمة على أن من ترك واجبا فى الحج ليس بركن ، ولم يجبره بالدم الذى عليه : لم يبطل حجه . ولا تجب إعادته .

فهكذا يقول جمهور السلف وأهل الحديث : إن من ترك واجبا من واجبات الإيمان الذى لايناقض أصول الإيمان : فعليه أن يجبر إيمانه ، إما بالتوبة ، وإما بالحسنات المكفرة .

فالـكبائر : يتوب منها . والصغائر : تـكفرها الصلاة ، والصدقة ، والصيام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر . فإن لم يفعل لم يحبط إيمانه جملة .

وأصلهم : أن الإيمـان يتبعض ، فيذهب بعضه ويبقى بعضه ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » ولهذا مذهبهم : أن الإيمـان يتفاضل ويتبعض . هذا مذهب مالك والشافعى وأحمد وغيرهم رحمهم الله .

وأما الذين أنـكروا تبعيضه وتفاضله ، فإنهم قالوا : متى ذهب بعضه ذهب سائره .

ثم انقسموا حزبين . فقالت الخوارج والمعتزلة : فعل الواجبـات وترك المحرمات من الإيمان . فإذا ذهب بعض ذلك ذهب الإيمان كله . ولا يكون مع الفاسق إيمان أصلا بحال.

ثم قالت الخوارج : هو كافر .

وقالت المعتزلة : ليس بكافر ولا مؤمن ، بل هو فاسق ، ننزله منزلة بين المنزلتين .

فخالفوا الخوارج فى الاسم . ووافقوهم فى الحـكم . وقالوا : إنه مخلد فى النار . لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها .

والحزب الثانى : وافقوا أهل السنة على أنه لايخلد فى النار من أهل التوحيد أحد .

ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان ، لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض فقالوا : كل فاسق فهو كامل الإيمان . وإيمان جميع الخلق متماثل لا متفاضل . وإنمـا التفاضل فى غير الإيمان من الأعمال .

وقالوا : الأعمال ليست من الإيمان . لأن الله فرق بين الإيمان والأعمال فى كتابه .

ثم قال الفقهاء المعتبرون من أهل هذا القول : إن الإيمـان هو تصديق القلب وقول اللسان . وهذا هو المنقول عن حماد بن أبى سليمان . ومن وافقه . كأبى حنيفة وغيره .

وقال جهم بن صفوان ، والصالحى ، ومن وافقهما من أهل الكلام – كأبى الحسن الأشعرى وغيره – إنه مجرد تصديق القلب ومعرفة القلب .

وفصل الخطاب فى هذا الباب : أن اسم «الايمان» قد يذكر مجرداً . وقد يذكر مقروناً بالعمل أو بالإسلام . فإذا ذكر مجرداً تناول الأعمال . كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإيمان بضع وستون – أو بضع وسبعون – شعبة . أعلاها قول لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » .

وفى الصحيحين أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس « آمركم بالإيمان بالله . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ماغنمتم » .

وإذا ذكر مع « الإسلام » كما فى حديث جبريل أنه « سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام ، والإحسان » ففرق بينهما . فقال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . والبعث واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » وقال له « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت – الخ » .

وفى المسند عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب »

فلما ذكرهما جميعاً جعل « الإيمان » فى القلب ، و « الإسلام » مايظهر من الأعمال .

وإذا أفرد « الإيمان » أدخل فيه الأعمال الظاهرة . لأنها لوازم مافى القلب ، وأنه متى ثبت الإيمان فى القلب ، والتصديق بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم : وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة . فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه . فإذا ثبت التصديق فى القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه ألبتة . ولا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ، ولا يكون لها أثر فى الظاهر . ولهذا ينفى الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه . فإن انتفاء اللازم يقتضى انتفاء الملزوم . كقوله تعالى (٥ : ٨١ ولو كانو يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله (٥٨ : ٢٢ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر

يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ، أو عشيرتهم . أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه . و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله . ألا إن حزب الله هم المفلحون) ونحوها.

فالظاهر والباطن متلازمان ، لا يكون الظاهر مستقيما إلا مع استقامة الباطن . و إذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد كله ، و إذا أفسدت فسد لها الجسد كله . ألا وهى القلب » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمن رآه يعبث فى صلاته « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » .

وفى الحديث « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه » .

فلهذا كان الظاهر لازماً للباطن من وجه ، وملزوماً له من وجه . وهو دليل عليه من جهة كونه ملزوماً ، لا من جهة كونه لازماً . فإن الدليل ملزوم للمدلول عليه . يلزم من وجود الدليل وجود المدلول ، ولايلزم من وجود الشيء وجود مايدل عليه . فالدليل يطرد ولا ينعكس . بخلاف الحد . فإنه يطرد و ينعكس .

وتنازعوا فى العلة : هل يجب طردها ، بحيث تبطل بالتخصيص والانتقاض ؟ .

والصواب : أن لفظ « العلة » يعبر به عن العلة التامة . وهو مجموع مايستلزم الحكم . فهذه يجب طردها . و يعبر به عن المقتضى للحكم الذى يتوقف اقتضاؤه على ثبوت الشروط وانتفاء الموانع . فهذه إذا تخلف الحكم عنها ـ لفوات شرط ، أو وجود مانع ـ لم تبطل ، بل النقص بالفرق ، و إن تخلف عنها لغير ذلك : بطلت .

وكذلك تنازعوا فى انعكاسها . لجواز تعليل الحكم بعلتين .

وقيل : يجب الانعكاس . لأن الحكم متى ثبت مع عدمها لم تكن مؤثرة فيه ، بل كان غنياً عنها . وعدم التأثير مبطل للعلة .

وكثير من الناس يقول : بأن عدم التأثير يبطل العلة .

ويقول : بأن العكس ليس بشرط فيها .

وآخرون يقولون : هذا تناقض .

والتحقيق فى هذا : أن العلة إذا عُدمت عدم الحكم المتعلق بها بعينه ، لكن يجوز وجود مثل ذلك الحكم بعلة أخرى . فإذا وجد ذلك الحكم بدون علة أخرى : علم أنها عديمة التأثير ، وبطلت .

وأما إذا وجد نظير ذلك الحكم بعلة أخرى : كان نوع ذلك الحكم معللا بعلتين . وهذا جائز . كما إذا قيل فى المرأة المرتدة : كفرت بعد إسلامها . فتقتل ، قياساً على الرجل . لقول النبى صلى الله عليه وسلم « لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً فيقتل بها » .

فإذا قيل له : لا تأثير لقولك « كفر بعد إسلامه » فإن الرجل يقتل بمجرد الكفر . وحينئذ : فالمرأة لاتقتل بمجرد الكفر .

فنقول : هذه علة ثابتة بالنص . وبقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه »

وأما الرجل : فما قتلته لمجرد كفره . بل لكفره وجرأته . ولهذا : لا أقتل من لم يقاتل لقوله صلى الله عليه وسلم - لما وجد امرأة مقتولة فى بعض مغازيه - « ما كانت هذه لتقاتل » ولهذا لا أقتل من كان عاجزاً عن القتال ، كالشيخ الكبير الهرم ونحوه .

وأما الكفر بعد الإسلام : فعلة أخرى مبيحة للعدم . ولهذا أقتل بالردة من كان عاجزاً عن القتال ، كالشيخ الكبير . وهذا قول مالك وأحمد .

وإن كان ممن يرى أن مجرد الكفر يبيح القتل - كالشافعى - قال : الكفر وحده علة ، والكفر بعد الإيمان علة أخرى .

وليس هذا موضع بسط هذه الأمور . وإنما ننبه عليها .

والمقصود هنا : أن لفظ « الإيمان » تختلف دلالته بالإطلاق والاقتران . فإذا أطلق مع العمل : أريد به أصل الإيمان المقتضى للعمل . وإذا ذكر وحده : دخل فيه لوازم ذلك الأصل وكذلك إذا ذكر بدون « الإسلام » كان « الإسلام » جزءاً منه . وكان كل مسلم مؤمنا .

وإذا ذكر لفظ « الإسلام » و « الإيمان » تميز أحدهما عن الآخر . كما فى حديث جبريل . وكما فى قوله تعالى (٣٣ : ٣٥ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) .

ولهذا نظائر . كلفظ « المعروف » و « المنكر » و «العدل» و « الإحسان » وغير ذلك ففى قوله تعالى (٧ : ١٥٧ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يدخل فى لفظ « المعروف » كل مأمور به . وفى لفظ « المنكر » كل منهى عنه .

وفى قوله تعالى (٢٩ : ٤٥ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) جعل « الفحشاء » غير « المنكر » والبغى . وفى قوله (١٦ : ٩٠ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) جعل الفحشاء : غير المنكر والبغى .

وإذا قيل : هذا من باب عطف الخاص على العام ، والعام على الخاص : فللناس هنا قولان .

منهم من يقول : الخاص دخل فى العام ، وخص بالذكر . فقد ذكر مرتين .

ومنهم من يقول : تخصيصه بالذكر يقتضى أنه لم يدخل فى العام .

وقد يعطف الخاص على العام . كما فى قوله تعالى (٢ : ٩٨ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وقوله (٣٣ : ٧ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى ، وعيسى ابن مريم) .

وقد يعطف العام على الخاص . كما فى قوله تعالى (٣٣ : ٢٧ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها) .

وأصل الشبهة فى الإيمان : أن القائلين بأنه لايتبعض ، قالوا : إن الحقيقة المركبة من أمور ، متى ذهب بعض أجزائها : انتفت تلك الحقيقة ، كالعشرة المركبة من آحادها . فلو قلنا : إنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها .

فيقال لهم : إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب ، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء .

والإيمان المؤلف من الأقوال الواجبة ، والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة : هو المجموع الواجب الكامل . وهذه الهيئة الاجتماعية تزول بزوال بعض الأجزاء . وهذه هى المنفية فى

الـكتاب والسنة بمثل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » .

وعلى ذلك جاء قوله تعالى (٤٩ : ١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ـ الآية)

ولـكن لايلزم أن تزول سائر الأجزاء ، ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تـكون من الإيمان بعد زوال بعضه . كما أن واجبات الحج من الحج الواجب الكامل ، وإذا زالت زال هذا الكمال ، ولم يزل سائر الحج .

وكذلك الإنسان الكامل يدخل فى مسماه أعضاؤه كلها ، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الإنسان ، وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل فى الاسم الكامل .

وكذلك لفظ « الشجرة » و « الباب » و « البيت » و « الحائط » وغير ذلك : يتناول المسمى فى حال كمال أجزائه . و بعد ذهاب بعض أجزائه .

وبهذا تزول الشبهة التى أوردها الرازى ، ومن اتبعه ـ كالأصبهانى وغيره ـ على الشافعى فإن مذهبه فى ذلك مذهب جمهور أهل الحديث والسلف .

وقد اعترض هؤلاء بهذه الشبهة الفاسدة على السلف .

والإيمان يتفاضل من جهة الشارع . ومن جهة العبد .

أما من جهة الشارع ، فليس ما أمر الله به كل عبد هو ما أمر به غيره . والإيمان الذى يجب على كل عبد يجب على غيره . بل كانوا فى أول الإسلام يكون الرجل مؤمناً تام الإيمان مستحقاً للثواب إذا فعل ما أوجبه الله عليه ورسوله ، وإن كان لم يقع منه التصديق المفصل بما لم ينزل من القرآن ، ولم يصم رمضان . ولم يحج البيت . كما أن من آمن فى زماننا هذا إيماناً تاماً ، ومات قبل دخول وقت صلاة عليه ، مات مستكملا للايمان الذى وجب عليه ، كما أنه مستحق للثواب على إيمانه ذلك .

وأما بعد نزول ما نزل من القرآن ، و إيجاب ما أوجبه الله ورسوله من الواجبات ، وتمكن العبد من فعل ذلك : فإنه لا يكون مستحقاً للثواب بمجرد ما كان يستحق به الثواب قبل ذلك

فلذلك يقول هؤلاء : لم يكن هذا مؤمناً بما كان مؤمناً به قبل ذلك . وهذا لأن الإيمان الذى شرع لهذا أعظم من الإيمان الذى شرع لهذا . وكذلك المستطيع للحج يجب

عليه ما لايجب على العاجز عنه . وصاحب المال يجب عليه من الزكاة ما لايجب على الفقير . ونظائره متعددة .

وأما تفاضله من جهة العبد : فتارة يقوم هذا من الإقرار والعمل بأعظم مما يقوم به هذا .

وكل أحد يعلم أن مافى القلب من الأمور يتفاضل . حتى إن الإنسان يجد نفسه أحيانا أعظم حباً لله ورسوله ، وخشية لله ورجاء لرحمته ، وتوكلا عليه ، وإخلاصاً له منه فى بعض الأوقات .

وكذلك المعرفة والتصديق يتفاضلان فى أصح القولين . وهو أصح الروايتين عن أحمد .

وقد قال غير واحد من الصحابة ، كعمرو بن حبيب الخطمى وغيره « الإيمان يزيد وينقص . فإذا حمدنا الله ، وسبحناه ، وذكرناه : فتلك زيادته . وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا : فذلك نقصانه »

وعلى هذا : سنّ الاستثناء فى الإيمان . فإن كثيراً من السلف من الصحابة والتابعين استثنوا فى الإيمان ، وآخرون أنكروا الاستثناء فيه . وقالوا : هذا شك .

والذين استثنوا فيه ، منهم من أوجبه . ومنهم من لم يوجبه ، بل جوز تركه باعتبار حالين . وهذا أصح الأقوال .

وهذان القولان فى مذهب أحمد وغيره .

فمن استثنى لعدم علمه أنه قائم بالواجبات كما أمر الله ورسوله : فقد أحسن . وكذلك من استثنى لعدم علمه بالعاقبة .

وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله . لا شكا .

ومن جزم بما هو فى نفسه فى هذه الحال ـ كمن يعلم من نفسه أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ فجزم بما هو متيقن حصوله فى نفسه : فهو محسن فى ذلك .

وكثير من منازعات الناس فى مسائل الإيمان ، ومسائل الأسماء والأحكام : منازعات لفظية . فإذا فُصّل الخطاب ، زال الارتياب . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(يتبع)

الرسالة المقدسية والكلمات القدسية

للإمام المحقق شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر

ابن قيم الجوزية

رحمه الله ورضى عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

الحمد لله كاشف الكربات ، ومنزل البركات ، ومقيل العثرات ، ومجيب الدعوات ، وغافر الخطيآت ، الذى بنعمه تتم الصالحات ، و بفضله ونعمته تستجلب الخيرات ، الذى لايأتى بالحسنات إلاهو ، ولايذهب بالسيئات إلا هو (١٠ : ١٠٧ و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاهو ، و إن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفورالرحيم)

فرق سبحانه بين مايقضيه من الشر وما يقضيه من الخير ، فقال فى الخير « و إن يردك بخير » وقال فى الشر « و إن يمسسك الله بضر » وهذا فيه أمران :

أحدهما : أن الخير والشر كل بقضائه وقدره ، والخير يضاف إليه إرادة ومحبة ورضا .

وأما الشر : فلا يضاف إلا إلى مفعولاته . لا يضاف إلى صفاته ، ولا إلى أفعاله ، ولا إلى أسمائه وصفاته . فصفاتها كلها صفات كمال ، لا نقص فيها بوجه ما . وأفعاله كلها لاتخرج عن الحكمة والرحمة ، والمصلحة والعدل ، لاتخرج عن هذه الأقسام . فليس فيها شىء هو عبث ولا مفسدة ولا شر . ولوكان فى أفعال الله سبحانه شر لاشتُقّ له منه اسم ، لكن أسماؤه كلها حسنى ، كما قال سبحانه (٧ : ١٨٠ ولله الأسماء الحسنى) فليس فيها اسم سيىء بوجه ما . كما أنه ليس فى أفعاله فعل قبيح ، ولا شر ، ولا عبث .

ومن فهم هذا عرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم ، فى الحديث الصحيح « والشر ليس إليك » وأن المعنى أجل مما فسره به من فسره بأن الشر لايتقرب به إليك ، ولا يصعد إليك . فإن هذا ـ و إن كان حسنا ـ لكنه لا يتضمن من الثناء عليه سبحانه ، والتعظيم

والتنزيه له : مايتضمنه تنزيهه سبحانه عن الشر فى أفعاله و إرادته ، وحكمته وعدله ، وأنه يستحيل إضافة الشر إلى شىء منها .

فإن الشر سببه : إما جهل ، أو حاجة ، أو نقص فى الطبيعة ، مرجعه إلى الحاجة . فيستحيل إضافته إلى الْغَنِيّ الحيد الذى له الغنى المطلق التــام ، والعلم المحيط بكل شىء والـكمال الذى لا كمال فوقه . فمن أين يضاف إليه الشر ؟ .

وأيضاً : فإنه سبحانه له الحمد كله . فهو مستحق لجميع أنواع المحامد . فليس فى الإمكان حمد إلا وهو أهله ومستحقه ، ومن كان هكذا استحال أن يضاف إليه شر .

فقوله صلى الله عليه وسلم « والشر ليس إليك » فى التنزيه : نظير تنزيهه نفسه سبحانه عن الظلم بقوله (٤١ : ٤٦ وما ربك بظلام للعبيد) .

ومن تأمل طريقة القرآن فى مثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) عرف كيف أضاف النعمة إليه ، وحذف فاعل الغضب ، و بين فعله للمفعول ؟ مع أن غضبه سبحانه ليس بشرٍ قائم به . بل هو عدل وحكمة ، فهو خير وكمال من هذه الجهة .

وأما بالنسبة إلى المغضوب عليهم : فهو شر لهم . ومع هذا فقال « غير المغضوب عليهم » ثم قال « ولا الضالين » فأضاف الضلال إلى محله القائم به وهو المباشر له ، المتصف به .

ونظير هذا : قول الخضر لموسى عليهما السلام (١٨ : ٧٩ أما السفينة : فـكانت لمساكين يعملون فى البحر . فأردت أن أعيبها) وقال فى إصلاح الجدار (١٨ : ٨٢ وأما الجدار : فـكان لغلامين يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما . وكان أبوهما صالحاً . فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، و يستخرجا كنزهما . رحمة من ربك) فأضاف عيب السـفينة إليه ، وأضاف بلوغ الأشـد من الغلامين ، واستخراجهما كنزهما ، إلى ربه . وقال فى الغلام الذى قتله (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة) . فإنه باشر قتله بيده . فأراد أن يبدلهما الله خيراً منه . وهذا التبديل خارج عن محل قدرته . وليس متولداً من السبب المباشر ، بل التبديل مراد لله عز وجل ، الذى يخلق بدله . فلم يخص نفســه بإضافة ذلك إليه . ولما باشر السبب

الذى يُفضى إلى التبديل بيده : كان مريداً له ولمسبِّبه . فقال (فأردنا أن يبدلهما ربهما) والله أعلم بأسرار كلامه .

ونظير هذا : قول خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم لقومه (٢٦ : ٧٥ ـ ٨٠ أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ؟ فإنهم عدوٌّ لِي ، إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى و يسقين . و إذا مرضت فهو يشفين) فأضاف الخلق ، والهداية ، والإطعام والسقيا ، والشفاء إلى ربه للنعم بذلك . وأضاف المرض إلى نفسه . وليس هو من جنس النعم المتقدمة . تأدباً مع ربه أن يقول « و إذا أمرضنى » تأدب المحب مع حبيبه .

ومثل هذا قول مؤمنى الجن (٧٢ : ١٠ وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشداً ؟) فحذفوا الفاعل فى إرادة الشر ، تأدباً مع الله ، وأضافوا إرادة الرشد إلى ربهم .

و يبلغ هذا إلى ما هو ألطف وأدق، كقوله تعالى (٢ : ١٨٧ أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم) وقوله (٤ : ٢٤ أُحِلَّ لكم ما وراء ذٰلكم : أن تبتغوا بأموالكم) فحذف الفاعل عند ذكر « الرفث » وهو الجماع . وصرح به عند إحلال العقد .

وقال تعالى (٥ : ٣ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به) فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور . وقال (٦ : ١٥١ قل : تعالوا أتْلُ مَاحَرَّمَ ربكم عليكم : أن لا تشركوا به شيئاً ، و بالوالدين إحساناً) وقال (٢ : ٢٧٥ وأحل الله البيع وحرم الربا) ونظائر ذلك كثيرة فى القرآن .

والأمر الثانى : محض التوحيد ، و إفراد الرب سبحانه بالخلق ، والأمر . وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه هو الذى يصيب عبده بالخير والشر . وأنه لا دافع لما أصاب به العبد من الشر ، ولا صارف له ، ولا كاشف له سواه . وهذا يوجب على العبد إيمانه وتصديقه به : أن لا يخاف غيره ، ولا يخشى سواه ، ولا يبقى فى قلبه خوف من مخلوق أصلا . و يوجب عليه : أن لا يعلق رجاءه بغيره أصلا . فإن الذى يرجوه العبد و يخافه : إنما يرجوه لكشف ضُرّه ، والإحسان إليه ، ولحفظ نعمته به . فإذا تيقن العبد أنه لا يكشف السوء

إلا الله ، ولا يأتى بالحسنات إلا هو ، ولا يطيق أهل السموات والأرض أن يردوا فضله الذى يسوقه إلى عبده . فأى معنى لخوفهم ورجائهم بعد ذلك ؟ .

فهذان الأصلان يوجبان للعبد حقيقة التوحيد ، ويرميانه على طريق المحبة ، ويسوقانه إلى ربه وهو نائم على فراشه . ولا يزال أثرهما وموجبهما يقوى عنده حتى يصير سائراً إلى ربه فى نومه ويقظته ، وقيامه وقعوده ، وحركته وسكونه . كما قال بعض السلف : حبذا نوم الأكياس ، وفطرهم . كيف يقيسون به سهر الحمقى وصومهم ؟ .

وفى مثل هذا قيل :

ومن لى بمثل سيرك المدلل تمشى رويداً وتجىء فى الأول

وما لم يباشر القلب روح المحبة ، وحلاوة الإيمان بالله ، والسكون إليه ، والطمأنينة بذكره : فهو القلب المعذب ، الذى لاراحة له ولا نعيم ، ولا لذة أصلا . وإن ظن أن ماهو فيه خير ولذة ، وسرور وبهجة ، فهو غالط من وجوه عديدة .

منها : أن ذلك القلب محشو بالآلام ، والحسرات ، والهموم ، والغموم . وإنما يباشر تلك المروحات ليدفع بها عنه ماهو فيه من الكرب والغم . وهو لايندفع بها . وإنما يتوارى ويستتر . فإذا أقلعت عنه تلك اللذة ـ التى هى لذة ساعة ـ طلعت جيوش الأحزان والهموم ، واستولى سلطانها عليه ، فسعى فى إزالتها بنظير ماباشره أو مثله ، أو مايقوم مقامه ، فلا يزال فى هم وغم حتى يحصل له ذلك . فإذا حصل فهو خائف من ذهابه . وهو لا يدوم . فإذا ذهب فهو حزين على فقده ، فلا يزال مغموراً بواردات الهموم والغموم ، والمخاوف ، والأحزان ، كلما برىء من داء منها ظهر به داء آخر . كما قيل :

إذا بَلَّ من داء به ظن أنه نجا ، وبه الداء الذى هو قاتله

ولا تزال هذه الحالة حاله ، حتى إنه يجعل تناول اللذات والشهوات من باب التداوى . فلا يجد بها لذة ، كما يحصل لمدمنى الخمر وغيره . فإن أحدهم إذا ترك ذلك أقبلت جيوش الهم والغم إلى قلبه من كل جانب ، فيداويها بالمعاودة على كُرْه ، أوعلى غير شهوة . كما قال قائلهم فى ذلك :

وكأس شَرِبْتُ على لذة وأخرى تداويتُ منها بها

ثم يقوى ذلك إلى أن تصير تلك المـآرب نفسها عذاباً حاضراً فى قلبه ، لا يجد منه انفـكاكاً . وقد صدق القائل الخبير بذلك فى قوله :

مآرب كانت فى الشباب لأهلها عِذَابا . فصارتِ فى المشيب عَذَابا

ولا خلاص من هذا ، ولا انفكاك ، إلا بقرة العين بالله ، والإنابة إليه ووجدان حلاوة محبته ومعرفته ، والأنس به ، وصرف نوازع القلب وجواذب الإرادات إليه . فذلك قرة العيون ، وسرور القلوب ، ونعيم الروح وكمالها ، الذى لا كمال لها سواه ، ولا فلاح لها بدونه أصلا .

قال بعض السلف « من قرت عينه بالله ، قرت به كل عين . ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات » .

فالروح والريحان ، والسرور واللذة ، والنعيم كله فى الأنس بالله ، والإقبـال عليه ، والانقطاع إليه .

قال بعض السلف « فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة » .

ومن فهم هذا فهم معنى قوله صلى الله عليه وسـلم ـ وقد نهى عن الوصال ـ فقالوا : « إنك تواصل » فقال « إنى لست كهيئتـكم . إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى »

وليس هو كما ظنه بعض الغالطين : أن هذا طعام وشراب يؤكل ويشرب بالفم ، وينزل إلى المعدة ، لوجوه عديدة .

منها : أن هذا لو كان كما ظنه من ظنه لم يكن وصالا .

ومنها : أنه لا يكون صائماً أيضاً فإنه قال « أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » و«ظل» إنما هى للفعل النهارى دون الليل .

ومنها : أن الطعام والشراب ـ الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إنما هو ما يفيضه الله سبحانه على روحه الـكريمة من المعارف والأحوال ، والتنزلات التى لا ينبغى مثلها لغيره . وهى توجب من قوة البدن وعيشه ، وعيش الروح ولذتها : أضعاف ما يوجبه الطعام والشراب .

وإذا كان الوجود شاهداً بأن العاشق الذى قد بلغ فى العشق غايته : إذا ظفر بمعشوقه ،

وحصل عليه ، وفاز بقربه . فإنه تغيب عنه شهوة الطعام والشراب . ولا يكاد يحس بألم ذلك . بل ولا بألم الحر والبرد والتعب ، لتغذى قلبه وروحه بوصال محبوبه ، مع ما يقترن به من الآفات ، والأنكاد والمخاوف ، وقصوره عن استغناء الروح به الاستغناء التام .

فما الظن بمن اتخذه الله خليلا ، وكرمه تكريما ، واصطفاه على العالمين ، وخصه من قربه وكرامته بما لم يعطه بشراً سواه ؟ .

ومعلوم أن ما يفتحه الله على قلبه الكريم من الأحوال السنية ، والمعارف القدسية الإلهية ، التى تليق به صلى الله عليه وسلم : هى من أعظم الغذاء للقلب ، والبدن .

وقد قيل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام ، وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضىء به ومن حديثك فى أعقابها حادى

إذا اشتكت من كلال السير أنعشها روح القدوم ، فتحيى عند ميعاد

ومن هذا يفهم قول النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمن يأكل فى مِعىً واحد . والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » فإن مافى قلب المؤمن من حلاوة الإيمان ، وبهجته وفرحه به ، وامتلاء قلبه من محبة الله والأنس به : يغنيه عن كثرة الأكل . فإذا خلا قلبه من ذلك : لم يبق له شغل سوى الأكل والشرب ، واتباع الشهوات .

وكذلك فى الشاهد : إذا امتلأ قلب الرجل من المحبة والعشق ، قل أكله ، حتى كثر على ألسنتهم ذم العاشق البَطِين . كما قال قائلهم :

فلو كنت عذرىّ الصبابة لم تكن بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل

والمقصود : أن صلاح القلب ونعيمه وكماله ، فى أن يكون الله وحده هو معبوده وإلهه ، وغاية مقصوده . وأنه لايزال معذباً حتى يصل إلى هذا . فإنه هو كماله الذى خُلق له ، وحياته التى لا سعادة له بدونها . فما لم يحصل عليها فهو معذب .

ولكن هذا العذاب قد لا يظهر إحساسه به لاشتغاله بشهواته ومألوفاته . فإذا زالت عنه تلك الشواغل ، والمألوفات والشهوات بالمفارقة المحضة : ظهرت تلك الآلام ، وتجردت . فيبقى فى عذاب دائم . من وجوه ثلاثة :

أحدها : مفارقته لشهواته ولذاته ، وكونه قد حيل بينه و بينها .

الثانى : التفاته إليها وتعلقه بها .

الثالث : حسرته على مافاته من النعيم واللذة والسرور الدائم الذى لا نظير له .

هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من العذاب الذى أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ومعلوم : أن لذة هذا آخرها ، وهذه البلايا عصارتها ، بأن تُتَوَقّى وتجتنب أولى منها بأن يُسْتَعَى لها وتُؤْثر ، ويُنْفَق فيها نفائس الأوقات .

ولقد أحسن الحسن بن هانىء ـ أبو نواس ـ فى وصف هذا بقوله :

ولقد نهزت على الغواة بدلوهم　　وأَسَمْتُ سَرْحِ اللهو حيث أساموا

و بلغت ما بلغ امرؤ بشبابه　　فإذا عصارة كل ذاك أثام

و يكفى فى هذا قوله تعالى (٢٦ : ٢١٣ فلا تدع مع الله إلٰها آخر فتكون من المعذبين) .

فكل من عبد غير الله ، وتعلق قلبه بذلك الغير : لا بد وأن يكون معذباً فى هذه الحياة ، وفى البرزخ ، وفى دار الجزاء .

فإن من تعلق قلبه بغير الله فهو فى عذاب حاضر بحسب ذلك التعلق .

فإن تلك المحبوبات : إما جاه ورياسة ، وإما صور ، و إما مال .

فهذه الثلاثة من أصول محبوبات الدنيا . وما عداها فتبع لها . وعلى كل واحد منها من الآفات مالا يحصيه إلا الله .

فأما الجاه والرياسة : فمشاقهما أتعب خلق الله ، وأشغلهم قلوباً ، وأقلهم راحة ، وأنكدهم عيشة . تسرهم الكلمة . وتسوءهم الكلمة . وهم أغراض لسهام البلاء من كل جانب . ولا يمكنهم إرضاء الخلق كلهم . فإن ذلك جمع بين النقيضين . فإن رضا هذا يسخط هذا . فلا بد أن يرضوا واحداً و يسخطوا مَنْ هو أكبر منه ، أو أقوى . وحينئذ فتنشأ العداوة . ولا يزال الشيطان يسعى فى إفساد حالهم بحسب إمكانه .

فأى عيش لمن أفكاره مشغولة بأعدائه ، مستعد لحلول البلاء بساحته بينهم صباحاً

ومساء ؟ هذا مع اشتغاله بحز به الذين قيام رياسته بهم ، وفكرته فى مصالحهم ، ومحاربة من يحاربهم ، واستعتاب من قصر منهم ، ومعاشرتهم على قدر أخلاقهم و إرادتهم .

وأيضاً ، فإن كل أحد يحب أن يكون هو الرئيس للغير ، وأن يكون كل من سواه تحت قدرته ، وتصرفه وحكمه . وكل من سواه يسعى فى إبطال رياسته ، وهدمها و إعدامها . وهو يسعى فى دفعها هذا الدفع و إعدامه . فلا تزال نفسه تعيش دائما فى المحاربة .

وأما أعوانه وأنصاره الذين يساعدونه فى قيام رياسته : فإنهم إنما يساعدونه عند عجزهم عن نيل تلك الرياسة .

فأما إذا استشعروا قدرتهم عليها ، فإنهم ينازعونه إياها . فهو دائماً بين محاربتهم ، إن استشعر منهم المنازعة ، وبين حمد كلهم واحتمالهم إن لم ينازعوه .

وأيضاً ، فإن طالب الرياسة إنما يطلبها لتزيل عن نفسه ألم العجز والذل ، وقهر عدوه له . فإذا حصل له نوع منها : ازداد طلبه لتمامها ، واستشعر حاجته منها لأكثر مما حصل له . فيشتد طلبه وحرصه . وتكثر الموانع والعوارض .

وأيضاً ، فإنه لا يمكنه الترؤس على كل أحد . بل لا بد أن يذل لكثير من النفوس ، رغبة فى إقامة رياسته ، ورهبة من معاندة مرءوسيه . وطالب الرياسة أذل الناس للناس . معاقبة من الله له بنقيض قصده .

وأيضاً ، فإن كون الرجل خادما للرئيس ، ذليلا تابعا له : أمر مؤلم جداً . لا يصدر من العاقل إلا لغرض يحصله بتلك الخدمة ، يكون آثر عنده من دفع مفسدة عبوديته وخدمته . ولا ريب أن قلبه كاره لتلك الحال . إذ هى منافرة لطبعه . والرئيس المخدوم يستشعر ذلك ، ويحسه من نفسه . وهذا يوجب دوام الوحشة والخوف منهم فى قلبه .

وأيضاً ، فإن الشىء كلما كان ألذ كانت الرغبة فى تحصيله أتم . وكان دفع المعارض له أقوى . فحصول الرياسة لغير هذا الساعى فيها من أعظم العوائق عن تمام رياسته . فسعيه فى دفعها من أقوى السعى . وكذلك غيره معه . وهذا يوجب أشد العداوة ، ويستدعى النفوس إلى إعدامه ، أو سلبه رياسته .

ومن تأمل أحوال الملوك والرؤساء ، والولاة والأمراء ، وعلم كيف تزول رياستهم وقدرتهم ، ويُسعى فى إعدامهم : عرف حقيقة الأمر . وتبين له أن ضررها أضعاف أضعاف نفعها . كما قيل :

قايست بين جمالها وفعالهـــا فإذا الملاحة بالقباحـــة لاتفى

فنعمت المرضعة . و بئست الفاطمة .

و بالجملة : فضرر هذا المطلوب وألمه ، وتعبه أضعاف أضعاف لذته ، والألم الحاصل من الفراغ منه والإعراض عنه دون الآلام التى تحصل فى نشوئها وقبلها و بعدها .

ومما يبين ذلك : أن الله سبحانه طبع النفوس البشرية على أنها متى استشعرت من بعضها محبة الترفع عليها ، وقهرها ، و إدخالها تحت طاعته : أبغضته على ذلك . ونفرت منه . فيبقى بين حالين : إما أن لا يحصل له مقصوده من ذلك . فيبقى بينهم بغيضاً ممقوتاً عاجزاً . وهذا غاية الألم والهم والغم . و إن حصل له مقصوده : فهو يستشعر منهم بغضهم له فيعاملهم معاملة البغيض لبغيضه . وهو لا يقـدر على التشفى منهم . فلا بد أن يبشّ فى وجوههم و يداهنهم ، وقلبه يلعنهم و يبغضهم . وكذلك قلوبهم معه .

ولا ريب أن المعاشرة على هذا الوجه هى إلى أن تـكون عذابا و بلاء أقرب منها إلى أن تـكون راحة ولذة ونعمة . والواقع شاهد بهذا .

وأيضاً ، فلا بد لطالب ذلك أن يشغل فـكره وقلبه بمصالح من تقوم رياسته بهم ، و بعداوة من يسعى فى هدم رياسته . فلا يبقى فيه فضلة للفـكر فى مصلحة قلبه وروحه ، وسعادتهما وكمالها . بل يعرض عن ذلك بالـكلية إلى ما هو بصدده . فينسى نفسه وراحته ونعيمه وحياته . وهذا غاية الشقاء والبلاء .

وأيضاً ، فإن طالب ذلك مضطر إلى مدح من يستوجب الذم رغبة أو رهبة . و إلى ذم من يستحق المدح كذلك .

وهذا كما أنه بهت وكذب وزور يوجب تسلط النفوس عليها . فهو رياء ، وكتمان للحق وإبطال له ، وإخفاء للمحاسن ، وإزراء بها و بأهلها . وكذلك نهاية الجهل والظلم . (يتبع)

٣٣

الاختيـــــــــار
أو
حرية الإرادة فى الإســـلام

رسالة وضعتها بالفرنسية سيدة جليلة من فضليات نصيرات السنة المحمدية

ونقلهـــا إلى العربية

الأستاذ أبو الوفاء محمد درويش

مقـــدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد ، فهذه رسالة « الاختيار » أو « حرية الإرادة فى الإسلام »

كتبتها سيدة مسلمة صالحة من كرائم العقائل الصالحات ، القانتات ، الحافظات للغيب بما حفظ الله .

جمعت بين ثقافة غربية واسعة عميقة ، وإحاطة بما كتبه المستشرقون ، والمتعصبون ضد الشرق من رجال الدين الغربين ـ جند الاستعمار الغربى الصليبى ـ فى الإسلام وعقائده ، وشرائعه وتحريفها عن جهل ، وسوء قصد ، ووقوف على مادوّن فى كتب الدين المتداولة بين أهل الكتاب ، وعلم غزير بنصوص الشريعة الإسلامية ، وآراء علمائها على اختلاف مذاهبهم ، وتباين آرائهم ، وبخاصة فى هذا الموضوع ، الذى أنفقت من حياتها النافعة ثمانى حجج فى بحثه ودراسته . حتى خرجت منه بهذه الرسالة القيمة ، التى أقدم اليوم ترجمتها إلى قراء العربية .

ولم تشأ السيدة الفضلى أن تعلن اسمها ، تواضعاً لله تعالى ، وحرصاً على أن يكون عملها

خالصاً لوجهه الكريم . لاتريد من أحد جزاء ولا شكوراً . و إنما تبغى ثواب عملها عند الله الذى لايضيع أجر من أحسن عملا .

بعث إلىّ أستاذى الجليل ـ صاحب الفضيلة الشيخ محمد جامد الفقى ـ بهذه الرسالة لأطلع عليها ، وأبدى رأيى فيها ، وأرى : هل حوت شيئاً يخالف العقيدة الإسلامية السليمة التى جاء بها كتاب الله تعالى ، والصحيح من سنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟

ولما أتاحت لى الأقدار المسعدة فرصة قراءتها رأيتنى مأخوذاً بروعة أسلوبها ، وسلامة عباراتها ، وما فيها من عمق الفكرة ، وصحة الاستدلال ، وسلامة المنطق ، وقوة الحجة ، واستقامة المعانى . ولم أجد فيها شيئاً يخالف مايعتقده المسلمون المستنيرون ، الذين وقفوا على أسرار كتاب الله ، وروح الشريعة الإسلامية التى بينها الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، فيما نصح به لأمته . بل وجدت فيها دعوة جريئة إلى العمل ، والاضطلاع بالتبعات ، وتحمل المسئوليات ، ومكافحة عنيفة للأفكار المضللة ، التى نفثت سمومها فى المسلمين طائفة الكسالى المتصوفة الذين قعدوا عن العمل النافع ، معتمدين على صدقات المحسنين ، معطلين لما منحهم الله من قوى لو استعملت لأنتجت خيراً كثيراً ، ودفعت شراً مستطيراً .

ومما أثار عجبى ، و إعجابى ودهشتى فى هذه الرسالة أمران :

أولهما : إجادة المؤلفة للغة الفرنسية إجادة مكنتها من التعبير عن أدق المعانى الفلسفية بعبارة سليمة سهلة واضحة ، يحسدها عليها كبار الكتاب من فلاسفة الفرنسيين أنفسهم .

الثانى : سلامة عقيدتها الإسلامية ، على الرغم من السنين الطوائل التى قضتها فى مدارس البنات الفرنسية ، التى مردت على أن تفرض دروسها الدينية الصليبية فرضاً على تلميذاتها جميعاً على اختلاف عقائدهن ، فيخرجن منها متشبعات بعقائد لايرضى عنها الإسلام .

عرفتُ تلميذة مسلمة فى الخامسة عشرة من عمرها ، كانت ابنة موظف كبير قضت عليه ظروف قاهرة ، وخطوب قاسية : أن يدخلها مدارس البنات الفرنسية فى الطفولة الباكرة . عهد إلىّ أن أعلمها الدين الصحيح واللغة العربية . فلما شرعت ألقى عليها دروس الدين تنكرت لها ، وأجفلت منها . لأنها ــ كما قالت ــ تخالف ماعرفت طول حياتها من « التاريخ المقدس » الذى تلقته فى المدرسة الفرنسية .

ولقد لقيت أشد النصب فى محاولة إقناعها ، و إسلاس قيادها ، وتطويعها للعقائد الإسلامية حتى أذعنت بعد لأى ، ولا أدرى : هل كان إذعانها اقتناعاً ورضا ، أو نفاقا ومجاملة ؟

اطلعت على هذه الرسالة فى أصلها الفرنسى ، فعزّ علىّ أن يحرم قراء العربية مما انطوت عليه من غذاء روحى دسم شهى . فاستأذنت المؤلفة الفضلى ـ شكر الله لها ـ فى نقلها إلى العربية . فتفضلت بالإذن مشكورة ، وأتاحت لى شرف الإسهام فى خدمة الإسلام .

ولا يفوتنى أن أشكر للسيدة الفضلى تنويهها بمحاضرتى فى القضاء والقدر ، واعتبارها مرجعاً من مراجع رسالتها القيمة .

والله أسأل أن ينفع بأصلها الفرنسى من أرادت المؤلفة الفضلى أن ينتفعوا به ، من غير قراء العربية ، وأن يهديهم إلى الصواب فيما يعتقدون ، كما أرغب إليه تعالى أن ينفع بترجمتها العربية الناطقين بلغة القرآن ، حتى يهتدوا بها ، و يصححوا عقائدهم على ضوئها .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .

أبو الوفاء محمد درويش المحامى

سوهاج فى ٣ رجب سنة ١٣٧٤ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٥

مقدمة المؤلفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، و إمام المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإنى قد وضعت هذا الكتاب للغربيين ، الذين يجهلون ما فى ديننا الحنيف من روعة وجمال ، وللمسلمين الذين يعرفون من لغة الفرنجة ما لا يعرفون من لغة القرآن .

وقد استقيت كل ما جاء به ـ مما يتصل بالمسيحيين ـ من التعاليم المسيحية ، ومن تاريخ الكنيسة ، ومن معجم لاروس للقرن العشرين .

المؤلفة

مواد الكتاب

مقدمة

هذا الكتاب ثمرة سهر طويل ، وبحث متصل ، وعمل مضنٍ طوالَ ثمانى حجج .

ولقد كان هذا العمل فوق طاقتى ، ولكنى صممت على أن أنجزه مهما تكن العوائق .

ولقد وطنت النفس ، وصححت العزم ـ مخلصة ـ على النجاح فى أن أردَّ عن الإسلام كل افتراء .

وقد حقق الله العليم بذات الصدور ما صح عزمى على الوصول إليه ، وأنار لى السبيل ، وهدانى إلى سواء الصراط ، وأتاح لى الظفر بالكتب التى ألهمتنى ، ويسر لى الوقوف على الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، التى تقوّى حجتى ، وتعضد برهانى .

ولقد انتصرت على كل الصعوبات بما أفرغ الله علىّ من صبر . والله مع الصابرين .

وإنى لأشكر الله - بكل قوى نفسى - على هذه النعمة التى أضافها إلى نعمه التى لا تحصى علىّ ، والتى تتوالى وتتتابع بغير انقطاع فى كل ساعة من ليل أو نهار . وإن قلبى ليفيض بالشكر ، وإن قلمى ليعجز عن الإعراب عما أنا مدينة به منه للكريم الوهاب جل ثناؤه .

* * *

هذا الكتاب مُوَجَّهٌ إلى الغربيين ، وإلى أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - الذين حكموا على الإسلام بما رأوا من آراء المستشرقين ، أو بما قرءوا من ترجمات غير صحيحة للقرآن الكريم .

وإلى المسلمين الذين لايلمون بلغة القرآن إلماماً يمكنهم من فهم كتابهم الكريم ، وأحاديث رسولهم الأمين ؛ وإلى هؤلاء الذين نشئوا فى بيئة غير إسلامية ، فى المدارس الأجنبية ، واعتنقوا آراء ومذاهب أولئك الذين تولوا تربيتهم .

فهؤلاء المسلمون الذين يجهلون دينهم ، لا يعرفون الإسلام إلا معرفة سطحية خاطئة كالأجانب عنه .

وقد حان الوقت لهؤلاء الذين لم يدرسوا إلا إلهيات « برسويه ، وفينلون ، ولوثر ، والقديس أوجستين ، وفلسفة داروين ، وجال ، وكاباتيس ، وسقراط ، وليبنيز ، وباسكال » ليعرفوا أخيراً الإلهيات الإسلامية ، وفلسفة القرآن التى هى أسمى وأصدق وأقوى من كل الفلسفات الأخرى . لأن الفلسفة الإسلامية منزلة من عند الله واهب البلاغة والحكمة[1] ،

(١) الهدى : الفلسفة بكل صورها دخيلة على الإسلام . ولعل السيدة تريد معانى القرآن ومقاصده إلى إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع ، بما جعل الله منزله فيه من الهدى والرحمة والعلم والحكمة ، والشفاء مافى الصدور .

بينما الفلسفات الأخرى ليست إلا تجارب الذكاء الإنسانيّ الضعيف المحدود .

وإنى أرفع ـ بخشوع ـ عملى المتواضع إلى الله العلى الكبير ، وأرجو أن يتقبله من أمَتِه التى ليس لها غرض إلا أن تنال رضاه ، وأن تعمل على تمجيد الإسلام ، حريصة على أن يقدره الناس حق قدره ، ليسعدوا به .

ولا أعتقد أنى نهضت بجميع مايجب علىّ نحو دينى ، ولكنى اجتهدت ـ مخلصة ـ أن أفعل . والله الذى يعلم ما منحنا من القوى لا يكلفنا إلا وسعنا .

ولست مدينة بما فى هذا الكتاب ـ من أفكار سليمة صحيحة ، أو شروح موفقة ـ إلا لله وحده . فهو وحده الذى يعين ويلهم .

أمّا ما يبدو فيه من خطأ : فهو راجع إلىّ وحدى ؛ إذ لست إلا إنسانا ضعيفا ليس معصوما من الخطأ .

وإنى أبتهل إلى الله أن يغفر لى خطئى ، ويبارك عملى ، ويثيبنى بمجهودى تحقيق ما أرجو له من ثمرات .

أمة الله

١ — حرية الإرادة في الإسلام

نشأت عقيدة الجبر من قديم الزمان ؛ وقد جَدَّ الإنسان المحادُّ لله ولرسله ـ فى خبث ، واجتهد فى مكر ودهاء : أن ينكر حريته ، ليبرر كفره وخطاياه ، ونقائصه ، وإهماله ، وجرائمه ومعاصيه ، بدلا من أن يستعمل عقله وهدى ربه فى البحث عن الحقيقة والوصول إليها

ولقد ميز الإنسان الخير من الشر منذ أقدم العصور . ولكنه بدل أن يوجه جهوده للتغلب على أهوائه ، وللسير فى سبيل الخير والحق : آثر أن يتبع هواه ، ويشبع شهواته ، زاعماً أنه مجبر على أعماله ، وأن أفعاله لا تخضع لإرادته .

وإن التاريخ ليرشدنا إلى أن المنجمين ، وكل الشعوب الوثنية القديمة ـ كاليونان والرومان والعرب فى جاهليتهم ـ كانوا يؤيدون عقيدة الجبر المطلق .

ولقد جادل الفلاسفة ـ على اختلاف نحلهم ونزعاتهم ، سواء أكانوا وثنيين ، أم مفكرين

أحراراً ، أم يهوداً ، أم مسيحيين أم مسلمين ـ فى عقيدة الجبر والاختيار : واختار كثير منهم رأى الوثنيين الجبريين من وجهات نظر مختلفة .

فعند القدماء : كان أتباع المذهب الذى يقول « إن السعادة فى الفضيلة » كزينون ، ومنيكا ، وإبكتيت ، ومارك أريل — جبريين .

ثم ظهر فى القرن الثالث المسيحى : مذهب مانيس الجبرى ، الذى يقول بالنور والظلام ، وينسب الخلق إلى قوتين : قوة خيرة تخلق الخير ، وقوة شريرة تخلق الشر .

وقد اختلف الأحزاب من اليهود بين معتنق لهذه العقيدة ـ عقيدة الجبر ـ ومجاف لها .

وكانت عقيدة الفيلسوف الهولاندى اليهودى الشهير « باروخ اسبينوزا » (١٦٣٢ — ١٦٧٧) تمثل الجبرية العنيفة .

وعند المسيحيين : نجد أتباع كليفن ، وزوينجل ، ولوثر : قد دافعوا عن عقيدة الاصطفاء الأزلى ، كما نجد أيضاً كثيراً من الكاثوليك ، يؤمنون بالجبر ، وينكرون الاختيار .

ولا ينبغى أن ننسى مذهب جانسينيوس الذى اضطربت له أوربا وفرنسا والكنيسة قرنين كاملين من الزمان . وقد ظهر فى فرنسا مع القديس سيران فى سنة ١٦٤٠ ، واختاره معتزلة بور روايال .

ومن بين الآخرين : أرنولد ، ولانسيلو ، ونيكول ، ودساسى وغيرهم .

وقد قاوم الجزويت عقائدهم وكتب بسكال رسائله الإقليمية الشهيرة ، ليرد على الجزويت فى تلك المدة .

وقد أثر دفاعه تأثيراً قوياً فى آراء المثقفين .

وقد انقسمت الكنيسة الفرنسية بين أتباع جانسنيوس ، وأتباع مولينا ، أو الجزويت .

وظل مذهب جانسينيوس محتفظاً بكثير من أتباعه إلى القرن التاسع عشر ، على الرغم من عدم موافقة البابا على هذا الرأى . وهم يكوّنون جماعة صغيرة فى هولندا إلى اليوم .

ومن الآراء التى تنكر الاختيار يجب أن نذكر أيضاً الرأى القائل بتأثير الظروف المادية الطارئة ، ذلك الرأى الذى قال به « جال » (١٧٥٧ ـ ١٨٠٨) و « كاباتيس »

(١٧٥٨ ـ ١٨٢٨) وكانا يريدان أن يجدا فى الخُلُق والطبع ، والتربية ، والجو ، والسن والبيئة ، والاستعداد الوراثى : أسباباً لـكل مايبدو منا من إرادة ، وعزم واختبار . ويعزوان كل تصرف لنا إلى قوة هذه الدوافع النفسية ، المتأثرة بهذه المؤثرات .

ومنها : ذلك المذهب الفلسفى الذى ينكر حرية الإرادة والاختبار ، ويعزو أفعال الإنسان إلى قوة الأسباب الطارئة .

وهناك أيضًا المذهب الذى يزعم أن الحرية الإنسانية لاتوافق سابق علم الله ولاحكمه ، ويسمى هذ المذهب بـ « مذهب القدر التوحيدى » .

وهو أكثر انتشاراً فى أيامنا هذه ، حتى بين المثقفين من اليهود والنصارى والمسلمين على السواء .

وفى الصدر الأول من العصر الإسلامى ـ حين كان المسلمون مؤمنين حقاً ، وحين كان الإيمان يملأ نفوسهم المطمئنة ـ لم يكونوا يبحثون فى القدر . لأنهم كانوا يدركون معناه حق الإدراك ، ويفهمونه تمام الفهم ، ويحرصون على أن يخلصوا دينهم لله ، ولا يريدون أن يضلوا فى الخصام والمراء . ولـكن حين دخل فى الإسلام المنافقون ، وأسفَّت النفوس ـ مع شديد الأسف ـ بدأ الصراع الشديد بين المعتزلة الذين يقولون بالاختيار المطلق ، والجهمية الذين يقولون بالجبر المطلق ، والذين بسببهم اتهمنا بأننا جبريون . لأنهم يزعمون أن الإنسان يعمل على الرغم منه ، وأنه بين يدى الله تعالى كالريشة فى مَهَبٍّ العاصفة ؛ فالله خالق كل شىء ، ولايستطيع أحد غيره أن تخلق ـ وهم يعتبرون كل عمل خلقان ـ ويقولون : ليس للانسان حرية ولا إرادة ولا اختيار .

وقد قال الشيخ محمد عبده : إن هـذه الطائفة المتطرفة من الجبرية لم يعد لها وجود بعد القرن الرابع الهجرى ، أى منذ القرى الحادى عشر الميلادى .

وظهرت من بعدهم عقيدة أبى الحسن الأشعرى (توفى سنة ٣٣٠ هـ ـ ٩٥٢ م) المختفة التى حاولت التوفيق بين الحزبين .

وهذه العقيدة تقرر أن من بين أفعالنا أفعالا نختارها ، وأخرى نحن مرغمون على فعلها ، ولـكنه لم يوضح مدى هذا الاختيار ، أو حرية الإرادة الإنسانية .

وأخيراً ظهر ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) وأراد أن يقرب بين الرأيين باتخاذ عقيدة تعترف للإنسان بإرادة ، ولكنها إرادة محدودة بالأسباب الخارجية ، أو العلل الفعالة .

ونرى فى هذه العقيدة تشابهـا بعقيدة ليبنيز[1] التى ظهرت بعد ذلك بخمسة قرون ، والتى تقرر أن أفعال الإنسان منوعة ، وليست صادرة عنه بالضرورة ، كما يصدر الضوء عن الشمس ، والعبير عن الزهرة . بل لها أسباب تقتضى وجودها ، أى مجموعة من الأسباب الفعالة النهائية التى تسبب وجودها . فهى توجد لهذه الأسباب ، لا لشىء آخر .

ومع ذلك فإن الجهمية والمعتزلة كانوا جميعاً مخطئين .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله - وهو من مشهورى أهل السنة - : إن الجهمية ردوا بدعة المعتزلة ببدعة أخرى . فإن هؤلاء أنكروا الحكم الإلهى ، وتأثير الهداية والتوفيق . وأولئك لم يريدوا أن يعترفوا بأن الإنسان قادر على أن يريد ، وعلى أن يفعل مايريد . اهـ .

ولايزال بين الفلاسفة المعاصرين والمستشرقين من يعتقد - قليلا أو كثيراً - فى الجبر ، ولكن السواد الأعظم من المسلمين - إلا العناصر التى لايعتد برأيها - يعتقدون حرية الاختيار

* * *

كل هذا يبرهن على أن الإنسان يميل دائما إلى أن يؤمن بهذه العقيدة الخاطئة - عقيدة الجبر التى اعتنقتها العامة فى كل العصور - لأنهـا تجعلهم - فى نظر أنفسهم - غير مسئولين عن أعمالهم ، وتبسط عذرهم حين يقترفون مالا يحل ولا يجمل ، وتوهمهم أنهم ليسوا أحراراً فى أن يفعلوا ما يريدون .

ومن البيّن أن الإنسان لايحب أن ينسب الخطأ إلى نفسه ، فهو يتعزى بأن ينسب خطأه إلى الحظ والقدر ، ويعتذر بأنه مجبر على أفعاله ، ليس له فيها إرادة ولا اختيار .

ومن اليسير على الإنسان أن يقول : إن أفعاله تتوقف على قوة سامية فوق الطبيعة تحدد أفعاله مقدماً بدون مراجعة ولا تعقيب .

والنظرة الناقدة الفاحصة تكشف عن سوء نية المستشرقين الذين يحكمون علينا بمجرد

---

(١) فيلسوف شهير ، وعالم ألمانى ولد . فى ليبزج وهو مؤلف « الموضوعات الحديثة »

النظرة السطحية الخالية من التعمق ، و يعزون الجبر إلى المسلمين وحدهم ، متخذين سنداً من بعض الآيات التى لم يفهموها ، أو التى شرحوها طوعاً لأغراضهم وأهوائهم .

ومع ذلك فالقرآن مرشد حكيم ، ورائد أمين . يقنعهم بحكمته ، و ينير أمامهم السبيل .

قال الله تعالى : (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ٩٤ . النحل .

أى إن رحمة الله اقتضت أن تنير بالقرآن الطريق للمؤمنين. فعليهم أن يقتدوا بهداه حتى لايضلوا .

ولكن المستشرقين ـ وهم يستعدون للحكم على ديننا ـ اجتهدوا فى أن يجعلوا آياته بحيث يعارض بعضها بعضا ، ليبرهنوا على أنها متناقضة .

على أنهم لو نظروا بغير تحيز . واجتهدوا فى أن يفسروا بعض الآيات على ضوء بعض : لاقتنعوا بمنطقها الذى يزيد الإيمان ، ويثبت القلوب . و يرغم العقل على أن يعتقد ، وأن يُعجَب كل الإعجاب .

قال « برو يير : إن السرور بالنقد ينتزع منا الإعجاب بالشىء الجميل .

والعجب لهؤلاء المستشرقين ! كيف يعتبرون أنفسهم علماء مع هذا التحيز البالغ الغاية الذى يعميهم عن رؤية الحقيقة ؟ »

وقالت مدام دار كونفيل : الجاهل يؤكد ، والعالم يشك ، والحكيم يفكر ، ثم يؤجل إصدار الحكم .

لو لم يكن هؤلاء المستشرقون سيىء النية لاجتهدوا أن يقفوا على حقيقة أفكار المسلمين المستنيرين ، أو آراء الصحابة الذين كانوا متصلين بالرسول صلى الله عليه وسلم كعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب مثلا ، بدلا من تعقيد الأمور بقراءة كتب التفسير التى لانهاية لها ، أو علوم اللاهوت التى لايفهمون شيئاً منها ، أو سؤال أشخاص بعيدين كل البعد عن فهم حقائق الدين ، لايعلمون عن روح دينهم شيئاً ؛ لكى يستنبطوا أن الإسلام يدعو إلى الجبر المطلق .

والتاريخ يحدثنا : أن عمر بن الخطاب ، ثانى الخلفاء الراشدين ، رضى الله عنهم أجمعين

كان قد أزمع السفر إلى الشام . فلما بلغه انتشار الطاعون هناك أمر بالترحل عن الأمكنة الموبوءة . فلما قال له أبو عبيدة « أتفر من قدر الله ياأمير المؤمنين ؟ قال : نعم : أفر من قدر الله إلى قدر الله »

وهذا تفكير حكيم عادل جدير بالتقدير .

وهكذا تخرج الحقيقة من فم عمر الذى كان من خير المسلمين ، وأشدهم غيرة على الإسلام وكلماته تشهد بأنه كان يعتقد بحرية الإنسان فى اختياره وعزمه وتصميمه .

ولم يتأثر عمر رضى الله عنه بفلسفة أخرى غير ما فهم من مقاصد القرآن والسنة .

وقد ظهر عمر قبل فلاسفتهم ، وقبل علمائهم اللاهوتيين ، الذين يقولون بحرية الإرادة والاختيار ، إذ أنه عاش فى منتصف القرن السابع الميلادى .

ومعنى جواب عمر رضى الله عنه : أنه يفر من قدر الله فى الشام ـ أى من الطاعون أو المرض أو الموت ـ إلى قدر الله فى المدينة ، أى إلى الصحة والحياة .

وفوق ذلك فإن الله عاب عقيدة الجبر ، تلك العقيدة الوثنية ، ورد على القائلين بها . إذ قال تعالى : « سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شىء . كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون ١٤٨ قل : فلله الحجة البالغة . فلو شاء لهداكم أجمعين ١٤٩ » سورة الأنعام .

ومن هاتين الآيتين الكريمتين تدرك أن العرب فى جاهليتهم كانوا جبريين ، وقد تمكنت هذه العقيدة منهم ـ كشأن كل جاهل وثنى ـ ورسخت جذورها فى أنفسهم حتى إنها استمرت بعد الإسلام عند كثير منهم .

فإذا قال العربى : هذا مكتوب . فهو يعنى : أنه يتصرف مجبراً بغير إرادة ولا اختيار فليس الدين هو الذى ألهمه ذلك أو أوحى به إليه ، ولكنه استمر يقول ما كان أسلافه يقولون فى جاهليتهم ، وما كانت تقوله الأمم والشعوب الجاهلية التى سبقته ، أولئك الذين أعرضوا عن طاعة الله ، وآثروا أن يرضوا أهواءهم وشهواتهم ، ويوفروا لها الجهود التى كان

ينبغي أن تبذل في مقاومتها و ينحّوا عن أنفسهم الملامة باحتمائهم في عقيدة الجبر ، و يتخذوا نصائح الرسل و إرشادهم وتوجيههم هزوًا ، و يتهموهم بالكذب والرياء . ولهم في ذلك منطق عجيب .

والقرآن ينكر أشد الإنكار هذا الرأى و يعارضه أشد المعارضة ، و يرد على اعتراض الوثنيين . و يقول : إنهم ليسوا أول من ضل وقع في هذا الضلال . ولم يتغير الناس ، بل هم يتبعون آثار أسلافهم ، ولكن لما كانت هذه العقيدة كذبًا دنيئًا ، و إلحادًا في عدل الله وحكمته ، استحق أصحابها عقاب الله ، واستوجبوا غضبه .

ولو كان الأمر كما يدعون ، ولو صح أنهم لم يفعلوا إلا ما أجبروا على فعله ، و إلا ما لم يستطيعوا أن يجتنبوه : لكانوا معذورين ، وما استوجبوا عقابًا . لأن عدل الله يأبى ذلك . وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

يطالبهم الله تعالى في القرآن الكريم بالبرهان الذى أقاموا على أساسه حكمهم ، وأنى لهم هذا البرهان ؟ .

وما داموا لم يثبتوا دعواهم بالبرهان ، فما هم إلا كاذبون مفترون . إن يتبعون إلا الظن و إن هم إلا يخرصون .

ولو رجعوا إلى أنفسهم ، وحرروا عقولهم من سلطان الهوى ، لأيقنوا أنهم مخطئون فيما يزعمون ، وأن أحكامهم لاتقوم على أساس سليم ، ولا يقبلها عقل حكيم .

وقد أقام الله تعالى الدليل القاطع على كذبهم ، وأثبت أنهم أحرار مختارون بحجة بالغة ، و برهان منطقى قاطع ، سالكًا طريق الاستدلال التى سلكوها في بلاغة رائعة ، وهدم اعتراضاتهم الزائفة الخادعة في سهولة و يسر ، وقال لهم : إن الأمر على النقيض مما تدعون . فلو كانت أعمالكم بأمر الله لكانت كلها خيراً لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ولو كان يرغم الناس على أعمالهم لأرغمهم على الخير ، ولم يكن من أفعالهم الشر .

والله يطالب إليهم أن يعتقدوا في الحقائق العليا ، وأن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، وألا يعبدوا معه أو من دونه أحداً .

ولماذا لم يهدهم على الرغم منهم ، وهو القادر على كل شيء ؟ .

-أليس ذلك لأنه ترك لهم حرية الاختيار بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والهدى والضلال ، والكفر والإيمان ، والطاعة والفسوق والعصيان ؟ ! ! .

فهل للجبريين برهان آخر ينصر رأيهم ، وتعتمد عليه عقيدتهم ؟ كلا . إن الحق غير ما يزعمون .

وهيهات أن يجدوا حجة مقنعة تعزز آراءهم ، أو تؤيد عقائدهم .

قال تعالى : (وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم . فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ؟ ٣٥ : النحل) .

هل فى وسع الرسل ، أم هل يجب عليهم أن يهدوا الناس على الرغم منهم ؟ لا . فما على الرسل إلا البلاغ المبين . وينحصر واجبهم فى أن يبشروا الناس وينذروهم ، ويبلغوهم شرائع الله التى أنزلها إليهم . والناس ـ بعد هذا ـ أحرار يفعلون مايشاءون .

وقد اتضح مما تقدم : أن الله تعالى ينكر الجبر فى القرآن الكريم ، ويلوم العرب على اعتقاده .

ولو كنت سيئة النية ـ مثل هؤلاء المستشرقين ـ لنسبت عقيدة الجبر إلى دينهم . ففى وسع كل من يريد النقد أن يجد فى كتب العهد الجديد ينبوعاً غزيراً من العبارات التى يسهل شرحها طوعاً للهوى ، ولكنى لا أهدف إلى هذا . وإنى لموقنة أن المسيحية الصحيحة تنسب إلى الإنسان حرية الإرادة كالإسلام . ولأضرب مثلاً واحداً أثبت به أن من اليسير أن يهاجم كتبهم من يسعى سعيهم ، وينظر بمنظارهم . ففى الأناجيل الأربعة ينبىء المسيح بأن واحداً من تلاميذه سيخونه .

فى إنجيل متى (٢١ ـ ٢٥ : ١٧)

وفى إنجيل لوقا (٢١ ـ ١٢ : ٢٢)

وفى إنجيل مرقس (١٨ ـ ٢١ : ١٤)

وفى إنجيل يوحنا (١٨ ـ ٢٠ : ١٣)

فالأناجيل كلها متفقة على تقرير هذا . وليس ذلك الأمر موضع نزاع فيها .

ويسرنى أن أورد هنا ما قاله إنجيل متى فى الإصحاح السادس عشر . وها هو ذا بلفظه .

« وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم : إن واحداً منكم يسلمنى . فحزنوا جداً ، وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو يا رب ؟ فأجاب ، وقال : الذى يغمس يده معى فى الصفحة هو يسلمنى . إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه : ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلَّم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مُسْلِمه وقال : هل أنا هو ياسيدى ؟ قال له : أنت قلت » .

ينبىء المسيح ـ كما رأيتم ـ أن أحد تلاميذه سيخونه ، ولأن هذا مكتوب وجب أن يحدث ولقد مضى فى إخباره حتى عين يهوذا ، ولكنه شكا قائلاً « ويل لهذا الرجل الذى يخون ابن الإنسان ، وكان خيراً لهذا الرجل ألا يكون قد ولد » .

هذا البائس الذى يعتبره المسيحيون أكفر وأشقى المجرمين ، هذا الخائن العجيب القاتل ـ لإلهم بزعمهم ـ الذى لايستحق الشفقة ، والذى يستحق أن يقاسى أشد ألوان العذاب فى جهنم ـ كان مكتوباً عليه أن يقع فى هذه الخيانة ، ومن أجل أن ذلك مكتوب عليه وجب أن يحصل .

إذاً لم يكن حراً فى إرادته ، ولا فى عزمه ولا فى تصميمه . بل هو مرغم على كل هذا لأنه مكتوب عليه .

ولما كان من غير الممكن أن يجتنب هـذه الخيانة ؛ فكيف يكون مسئولاً عما فعل ؟ إذ مادامت أفعاله محدودة مقدماً ، فليس من الممكن دفعها .

أليس هذا من الجبر المطلق ؟ ابحثوا فى القرآن كله ، وحتى فى الآيات التى لم تفهموها وحدثونى : هل تستطيعون أن تجدوا فى آية منها مثل هذا ؟ .

نسبة هذه العقيدة إلى المسيحيين ، مع الاحتجاج بالأناجيل : أيسر وأسهل من أن يتهموا بها المسلمين ، وليس فى كتابهم الكريم ـ وهو القرآن العظيم ـ أقل دليل عليها .

نستطيع أن نجد فى القرآن كثيراً من الآيات التى تنقض عقيـدة الجبر ، وتعلن بكفر معتقديها ، وتهددهم أشد التهديد . ولن تجد فى الأناجيل نصاً يستطيعون أن يبرهنوا به على حرية الإنسان فى إرادته واختياره .

خطبة منـــــــــبرية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، البر التواب الرحيم ، الرؤوف الودود . الذى يتودد إلى عباده ـ وهو غنى عنهم ـ بنعمه وآلائه وفضله ، لعلهم إليه يرجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا يستحق العبادة سواه ، ولا يليق بالإنسان العاقل المقدر لنعم الله وإحسانه عليه ، أن يدعو غيره ، أو يسأل أحداً من دونه فى شدة أو رخاء ، ليتخذهم شفعاء ووسطاء إليه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون الجاهلون علواً كبيراً .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا تبارك وتعالى بالدين القيم الذى يضمن للبشرية سعادة الدنيا والآخرة ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون ، فيشاقون الله ورسوله ، ويتبعون غير سبيل المؤمنين ، فكانوا مع الهالكين . ونبينا صلى الله عليه وسلم قد ترك الأمة على الحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة . وإن الله سبحانه وتعالى يقول (له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء ، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال . ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً ، وظلالهم بالغدو والآصال . قل : من رب السموات والأرض ؟ قل: الله . قل : أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ؟ قل : هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليه ؟ قل : الله خالق كل شىء ، وهو الواحد القهار . أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع

زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) .

يقول ربنا تبارك وتعالى : إن كل دعاء أو نداء لغيره باطل ، وأن الدعاء الحق له وحده سبحانه . فإذا سألت غيره ، ودعوت أو ناديت مَن دونه ، فإن عملك يكون فى ضلال وشرك وخسران .

وهل من أدب العبد من سيده ، أن يعاهده فى صلاته (إياك نعبد ، و إياك نستعين) أى لا أعبد سواك ، ولا أستعين بغيرك . ثم ينقلب على عقبيه ، فينادى و يدعو : ياسيدى فلان ياست فلانة أغثنى أدركنى ؟ إن ذلك عين الحماقة والجنون .

ولذلك يشبه الله سبحانه وتعالى فيما تلوته عليكم من آى الذكر الحكيم من كان شأنه كذلك من دعاء ونداء غير الله أن مثله كمثل الذى يكون عطشاناً فيقف على شاطىء النهر ينادى الماء ليأتى و يدخل إلى فمه . إن ذلك لن يكون ، ولو وقف ألف سنة . وكذلك من يدعو الموتى ، فإنهم لن يسمعوا دعاءه ، ولن يستجيبوا له . لأنهم موتى قد قهرهم الله بسنته الكونية فصاروا ترابا . كما قال تعالى للناس جميعاً من غير أن يستثنى منهم أحداً . (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

فكيف يسمع من تعطل سمعه وحواسه كلها بالموت الذى قهره الله تعالى به ؟ فجميع المخلوقات تخضع له سبحانه وتسجد طوعاً وكرهاً ، لأنه سبحانه القاهر فوق عباده . فالذين آمنوا بالله وخضعوا له طوعاً باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، سعدوا فى الدنيا والآخرة ، والذين تمردوا على الله وعلى أوامره وشرائعه ، يقهرهم الله و يخضعهم رغم أنوفهم بالمرض والصحة ، والجوع ، والشبع ، والنوم واليقظة ، والموت والحياة . يقهرهم سبحانه بسننه الكونية فى أنفسهم وفى الآفاق ، ثم يكون مصيرهم شقاء الدنيا والآخرة . والعياذ بالله .

يسأل الله سبحانه هؤلاء الذين تمردوا على أوامره وشرائعه : مَن رب السموات والأرض ؟ أى من الذين خلقها وأوجدها و يدبرها ؟ أليس هو الله ؟ فلماذا تتخذون من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ؟ .

إن هؤلاء الأولياء ممن خلقهم الله ، و يدبرهم الله ، ممن خضعوا لله فقهرهم بسننه ،

فأحياهم ثم أماتهم حتى عادوا ترابا . لقد قهرهم ربهم بالموت ، فغسلتموهم بأيديكم ، ورأيتم بأعينكم أنهم فقدوا كل حركة ، فقلبتموهم يميناً وشمالا ، ثم كفنتموهم وحملتموهم على أعناقكم ، ودفنتموهم وأحكمتم على قبورهم الأغلاق حتى لا يتأذى الأحياء من روائحهم . فإذا قيل لكم بعد ذلك : أنهم يفعلون و يتصرفون ، و ينفعون و يضرون ، صدقتم شياطين الإنس والجن ، وكذبتم حواسكم . إنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملكون لكم ؟ .

إن مثل الذى يعتقد هذه العقيدة الوثنية : كمثل الأعمى الذى لا يرى ، لأنه فقد آلة الإبصار . أو لم يفقدها ، ولكنه أحاط نفسه بظلمات . فلم يستطع أن يرى شيئاً ، فهو والأعمى سواء .

أما المؤمن بالله وآياته وسننه : فإنه يعلم بما يرى فى نفسه وفيما حوله : أن الذى يموت قد أفضى إلى ربه بخيره وشره ، لا يمكن أن يكون له صلة بدنيانا ، فلا يمكن أن يسمع أو يبصر ، أو يستطيع شيئاً . ويعلم أن الله هو السميع البصير ، المجيب القريب . فيدعوه ويخلص الدعاء والعبادة له وحده ، ولا يشرك به شيئاً . فذاك مثل الأعمى ، والذى فى الظلمات ، وهذا مثل البصير الذى يسير على نور من ربه .

لماذا يتخبط الإنسان هكذا فى الظلمات ، وقد أنار الله الرحمن الرحيم له الطريق ، وأظهر له معالم الصراط المستقيم ؟ .

إنك ترى بنفسك كل يوم آثار قدرته ورحمته ، وأنه الخالق لكل شيء . فلماذا تتوجه لغيره بشيء من الخوف أو الرجاء أو التوكل ؟ .

لماذا تنادى غيره ، وتستعين بسواه ؟ هل خلق أحد ممن تدعوهم وتناديهم شيئاً حتى يستحقوا منك الدعاء والنداء و يتشابه عليك الأمر ؟ .

لا . إن أحداً منهم لم يخلق شيئاً ، بل لن يستطيعوا ذلك أبداً (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ماقدروا الله حق قدره ، إن الله قوى عزيز) إن الله سبحانه وتعالى ، هو خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار الذى يخضع لقهره مَن فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً

فلماذا تجعل فى قلبك محلا لمعبود آخر تخافه وتخشاه ؟ ، ألا تعلم أن الدعاء بقولك (ياسيدى فلان) أو (ياست فلانة) عبادة ؟ . لقد ذكر الله فى كتابه أن الدعاء عبادة فقال سبحانه وتعالى (أرأيتم ماتدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ؟ إئتونى بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون ، و إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فجعل الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : ماضل من ضل من الأمم السابقة ، إلا بما زين لهم الشيطان من التوسل إلى الله بالأولياء والصالحين . وقد بيَّنَ الله سبحانه وتعالى لنا ذلك أتم بيان وأوضحه فى كتابه الكريم . اسمع لقوله تعالى (و يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ، فيقول : أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء ، أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا) .

فهؤلاء الصالحين الذى عبدهم الضالون ، يتبرءون منهم ويقولون : إنهم ما كانوا يتخذون من دون الله أولياء . فكيف يرضون أن يتخذهم الناس أولياء ؟ ثم يذكرون سبب ضلالهم ، وهو أنهم وآباءهم اترفوا فى الحياة فجهلوا العلم الصحيح ونسوا الذكر حتى أقحلت عقولهم وصارت كالأرض البور التى لا تنبت لأنها حرمت غيث السماء .

اللهم فقهنا فى ديننا ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم وفقنا إلى فهم كتابك ، والعمل به ، ووفقنا إلى التأسى برسولك واتباع سنته ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شىء ، وهدى ورحمة وشفاء للمؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله : العلى الكبير ، الولى الحميد . الذى تعنو لعظمته الوجوه ، وتخضع لكبريائه القلوب . لا يذل من والاه ، ولا يعز من عاداه .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الخلق بالله ، وأتقاهم لله . أرسله ربنا بهذا الكتاب الكريم ليخرج به الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، فبلغه وبينه وأقام به الحجة على الناس جميعاً حتى تقوم الساعة . صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن هذا القرآن الذى أنزله ربنا على نبيه صلى الله عليه وسلم شبهه ربنا سبحانه وتعالى بالغيث الذى ينزله من السماء ، فكما أن المطر يحيا به ميت الأرض كذلك تحيا بالقرآن القلوب . وكما أن معدن الأرض يختلف اختلافاً كبيراً من طينية خصبة إلى رملية جدبة إلى صخرية صلدة . ويكون انتفاعها بالماء حسب نوعها واستعدادها ، كذلك القلوب يكون انتفاعها وتقبلها للقرآن حسب فطرتها ونوعها واستعدادها . فمنها قلوب خصبة تنتفع بالقرآن وتنفع به ، ومنها قلوب رملية مائعة لا تكاد تمسك به فلا تنتفع بالقرآن ولا تنفع غيرها ، ومنها قلوب متحجرة قاسية لا تقبله ولا ينفذ إليها وقد تمسكه لغيرها ينتفع به . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل ما بعثنى الله به ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً . فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعمل . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) .

ومن القلوب يا إخوانى قلوب واسعة تحوى العلم الكثير فتكون للناس إماما ، ومنها قلوب ضيقة تأخذ من العلم بقدرها . ومنها قلوب رقيقة طيبة على الفطرة التى خلقها الله عليها فتنقاد إلى ما أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم مستسلمة طيعة بمجرد أن تسمعها . ومنها قلوب فسدت بالتقليد والشهوات والشبهات لا تعود إلى الله ورسوله إلا بالتهديد والإنذار والوعيد . فذلك قوله تعالى : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) .

فكما أن الوديان تأخذ من السيل بقدرها كذلك تأخذ القلوب من القرآن بقدرها .

وكما أن زبد الوديان يأخذه السيل فيطرحه بعيداً ، كذلك يأخذ القرآن من القلوب ما فيها من الجاهلية والتقاليد فيطرحها بعيداً . وكما أن النار إذا سلطت على المعادن الشديدة القاسية تنفى عنها زبدها وخبثها ، كذلك وعيد القرآن وتهديده يخرج من القلوب القاسية شهواتها وشبهاتها وضلالها .

ثم يكون البقاء والخلود للأصلح ، فإن الزبد وهو الباطل لابد وأن يزهق ويبطل ، وإن ما ينفع الناس وهو الحق فإنه يبقى ويكون له العلو والنصر مهما حاول المبطلون أن يجعلوه أسفل . والحق هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والباطل هو ما يأفكه الدجالون من الأوراد والقصائد ليصرفوا بها الناس عن القرآن وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام . فالله الحق الذى أنزل كتابه الحق ، هو الذى تكفل بحفظه وإظهاره على الدين كله ولو كره الكافرون .

أيها المسلمون :

عاهدوا الله على العودة إلى كتابه وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم وأن تستمسكوا بعروته الوثقى ، وأن تتأدبوا بأدبه وتتخلقوا بخلقه ، وأن تأتمروا بأوامره وتنتهوا عن نواهيه لتنالوا سعادة الدنيا وعزها ، وسعادة الآخرة والفوز فيها .

فوالله إنه لن يصل أحد إلى راحة النفس وطمأنينة القلب والسعادة الكاملة فى الدنيا والآخرة إلا إذا سلك صراط القرآن المستقيم على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللهم حقق لنا ذلك .

اللهم إنا نسألك ضارعين إليك أن تهدينا إلى تلاوة كتابك حق تلاوته ، وتدبره حق تدبره ، والعمل به فى كل شئوننا : فى بيوتنا وأعمالنا وأنفسنا وأزواجنا وأبنائنا وجيراننا .

اللهم وفق جميع المسلمين لذلك .

اللهم خذ بأيدينا وقلوبنا ونواصينا وقلوب ونواصى رؤساء المسلمين وسادتهم إلى طريق الفلاح والرشاد والسداد . وانصرهم يارب بالحق وانصر الحق بهم . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهبنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

لا إكراه فى الدين !

لصاحب الفضيلة الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

أساس الدين العقيدة .

والعقيدة ماوقر فى القلب ، ورسخ فى النفس ، وانطوى عليه الوجدان ، وتغلغل فى أطواء الضمير .

والعقيدة من الأمور الغيبية التى لايدرك كنهها ، ولا يعلم حقيقتها ، ولايحيط بها بعد صاحبها إلا علام الغيوب . العليم بذات الصدور .

والعقيدة نوعان : عقيدة صحيحة ، وعقيدة فاسدة ، فالعقيدة الفاسدة ما كانت وليدة مما كان للآباء والأجداد بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أو ماتسللت إلى النفس منذ الطفولة الأولى مما يسمع الطفل من البيئة التى عاش فيها ونشأ بين جنباتها كالعقائد التى كانت سائدة فى الجاهلية الأولى ، وكالكثير من عقائد الأمم والشعوب التى لاتدين بالإسلام الصحيح . أما العقيدة الصحيحة فهى ما نشأت وتكونت عن اقتناع بالدليل الصحيح والحجة القاطعة أو خبر المعصوم .

و إذا كانت العقيدة تصديقا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر سميت إيمانا .

أما أعمال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد فقد تكون ثمرة العقيدة وتلبية لندائها ، وقد تكون طاعة واستجابة لأمر ، وقد تكون رياء ونفاقا . فإن كانت ثمرة العقيدة ، وتلبية لندائها ، فهى مصداق الإيمان ، وأمارته الدالة عليه كما قال الحسن عليه الرضوان : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل » .

وللعبد ثوابها وثواب الإيمان الذى يصححها .

و إن كانت استجابة لأمر الله ورسوله بغير إكراه ولا إلزام . و بدون أن يتغلغل الإيمان

فى القلب ، و يبلغ مبلغ العقيدة . كما كان من الأعراب فى صدر الإسلام ، فهى إسلام ، والعبد مأجور عليها . قال تعالى فى سورة الحجرات : (قالت الأعراب : آمنا . قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ، و إن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا . إن الله غفور رحيم ١٤ .)

أما الرياء والنفاق فالباعث على الأعمال التى تصدر عنهما إما الخوف ، و إما طلب المنفعة العاجلة ، ولا ثواب على الأعمال التى يبعث عليها الرياء ، والنفاق ، وعلى أصحابها وزر ريائهم ونفاقهم . ولهم ما أعد الله للمرائين والمنافقين من العذاب المهين .

* * *

لايمكن أن يكون الإيمان ثمرة إكراه و إلزام ، بل هو ثمرة الاقتناع بعد إعمال الفكر ، و إجالة النظر ، ورضا الضمير قال تعالى فى سورة هود : (قال : ياقوم ، أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم . أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ٢٨) .

قد تغل الأيدى والأعناق ، وتقيد الأرجل ، وتضرب الأجساد وقد يرغم الإنسان على أن يقول مالا يحب من القول ، أو على أن يعمل مالا يرضى من العمل . أما القلوب فهيهات أن يكون لأحد عليها سلطان ، وليس فى وسع إنسان مهما تبلغ قوته أن يرغم آخر على أن يعتقد عقيدة لا يقتنع بصحتها .

* * *

أشاع أعداء الإسلام أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وجاراهم فى ذلك سليمو النية من علماء المسلمين ، والحق أن الإسلام لم ينتشر إلا بالإقناع والحجة والبرهان قال تعالى فى سورة البقرة : (لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، الانفصام لها . والله سميع عليم ٢٥٩)

وقال تعالى فى سورة يونس (ولو شاء ربك لآمَنَ مَنْ فى الأرض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ٩٩)

دعا سبحانه إلى الإيمان بوحدانيته ، فأقام الدليل المقنع على ذلك . قال تعالى فى سورة الأنبياء : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ٢٢)

ودعا إلى الإيمان بالبعث والنشور ، فأتى بالبرهان القاطع الذى لايرتاب معه مرتاب . قال تعالى فى سورة الحج : (يا أيها النـاس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقنا كم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقةلنبين لـكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لـكيلا يعلم من بعد علم شيئاً . وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ٥ ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شىء قدير ٦ وأن الساعة آتية لاريب فيهـا ، وأن الله يبعث من فى القبور ٧)

ودعا إلى الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجاء بالحجة القاطعة . قال تعالى فى سورة العنكبوت : (وقالوا : لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل : إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين ٥٠ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الـكتاب يتلى عليهم . إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ٥١)

* * *

السيف لايثمر إيماناً وإنمـا يثمر نفاقاً ، وضرر النفاق شر من ضرر الـكفر ، وفساد المنافقين أبشع من فساد الصرحاء من الـكافرين .

إن من أكره على الإيمـان وصدره منشرح بالـكفر لا يكون مؤمناً ، كما أن من أكره على الـكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لايكون كافراً . قال تعالى فى سورة النحل (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولـكن من شرح بالـكفرصدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ١٠٦)

* * *

أما القتال الذى وقع من المسلمين فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان لرد

عدوان الكافرين ، و إزاحتهم عن طريق دعوة الحق ، حتى تستمتع بحريتها الكاملة ، وتأخذ سمتها إلى قلوب العقلاء الذين يتقبلونها ، ولو أن الكافرين كفوا أيديهم ، ولم يقاتلوا المؤمنين ولم يصدوهم عن سبيل الله ، ولم يتصدوا للدعوة ، ماقاتلهم المسلمون ولا شهروا عليهم سيفاً ، ولا أشرعوا رمحا ، ولا سددوا سهماً . قال تعالى فى سورة البقرة : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لايحب المعتدين ١٩٠)

وقال تعالى فى سورة البقرة أيضاً : (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ١٩٣)

فقد أمر سبحانه بالقتال لدفع الفتنة وهى محاولة الكافرين إعادة المؤمنين فى ملتهم ، بعد إذ نجاهم الله منها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوه عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » فإن الناس الذين أمر صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم ، هم الذين أمر أن يقاتلهم فى الآية السابقة وهم المحاربون المعارضون لدعو الحق .

ولما مالأ المشركون بعضهم بعضاً وأصبحوا يداً على المسلمين ، أمر المسلمون بقتالهم جميعاً لأنهم محاربون معتدون . قال تعالى فى سورة التوبة : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين ٣٦)

وبهذا يثبت ماقررته آنفاً ، وهو أن الناس لا يكرهون على العقيدة إكراهاً ، ولا يرغمون على الإيمان إرغاماً لأن الإيمان اقتناع وتصديق ، ولا يكون إلا بعد إعمال الفكر وإجالة النظر . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

آفة الجماعة الإسلامية

نفاق العمل – ٣ –

للأديب عبد السلام رزق الطويل

تحدثت مع قراء المجلة فى المقالين السابقين عن آفة النفاق فى الدنيا ، وآفة النفاق فى الدين ، وحينما تحدثت فى المقال السابق عن النفاق فى الدين ، كان حديثى مقصوراً على النفاق فى العقيدة من حيث نشأته وتطوره ، والأسباب التى نمّته ؛ ثم انكماشه ؛ ثم ظهوره مرة أخرى ، وشرحت ما كان للمنافقين من مواقف مع الإسلام ورسوله . وفى هذه المرة سأتحدث إلى القراء عن النفاق فى أعمال الدين . فأقول : وبالله التوفيق .

لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه ، حسناً فى قصده ، نزيهاً عن الرياء ، بريئاً من النفاق ، بعيداً عن لوثة الإشراك ، كما قال الله فى كتابه مخاطباً رسوله : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص) وأيما عمل يعمله صاحبه لا يرجو منه جلال الطاعة ، وعظمة العبادة ، وتطهير النفس ، وسمو القلب ، وتهذيب الوجدان ، ونقاء الضمير ، ورضوان المولى ، بل يبغى شهرة ذائفة ، وسمعة كاذبة ، وثناء براقا ، ، وإعجابا ضالا . وخداعا للخلق ، وتمويها على البشر ، فذلك عمل لاخير فيه ، ولا نفع يرجى منه ، فهو سراب خداع ، وغيم جهام ، وسحاب ليس فيه ماء ، لا يقدم ، بل يؤخر ، ولا ينفع بل يضر . ينقلب حسنه إلى أسوأ ، ونافعه إلى أضر ، وخيره إلى شر ، فهو عمل حابط ، وجهد ضائع ، ولهذا جاء فى الحديث القدسى : « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى ، فأنا منه براء ، وهو للذى أشرك » .

فالصلاة التى يداخلها الرياء ليست بصلة ، وكأين من رجل يصلى ، وهو شارد الذهن ، مشتت الفكر ، مشغول البال فى أمور دنياه ، لا يفكر فى جلال من يخاطبه ، وعظمة من

يناجيه ، فيخرج منها كما دخل فيها ، مازادت حسناته شيئاً ، بل حملته أوزاراً وأوضاراً إذ الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس للمرء من صلاته إلا ماعقل » وكان هذا لأنه دخل فيها كسولا ، فخرج منها مخذولاً ، فتحقق فيه قوله تعالى : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) .

والذى يدفع هؤلاء لهذا ، هو الظهور بمظهر الطاعة ، والاتسام بسمة الخشوع والعبادة ، ولكى يقول الناس عنهم ، إنهم يصلون ويتحدثون عنهم كما يتحدثون عن العباد المخلصين ، وكانت هذه الصلاة المصحوبة بهذا القصد حابطة لأنها فشلت فى أداء رسالتها ، وعجزت عن تطهير النفس وتزكيتها ، وقرنت بسوء النية ، وخبث الطوية ، وتفاهة القصد ، وحقارة الغرض ، وقبح الرياء ؛ وكأين من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، لأنه قد دفع إلى هذ الصيام دفعاً وحمل عليه حملاً ، لأنه خشى لوم الناس ، وتأنيب الصائمين ، ولهذا تراه يصوم ولا يصلى ، مع أنه لافائدة للصيام بدون الصلاة ، والعبادات ، كل لا يتجزأ ، وعقد نظيم لو سقطت منه حبة اختل نظامه ، وشاه جماله ، وذهبت روعته ، وذوت حليته ، وتراهم إذا صاموا فجاعوا ، وأحسو بشىء من الظمأ ، ضاقت أخلاقهم ، وساءت طباعهم ، واختل توازنهم ، فيسبون ويشتمون ، مع أن الصيام شرع لغرس مكارم الأخلاق ، وتراهم يقضون أيام الصوم فى نهش الأعراض ، وهتك الحرمات ، واغتيال الناس ، فصاموا عما أحل الله ، وأفطروا على ماحرم الله . فضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ومن أبرز صفات الصلاة الكاذبة ، والصيام الخادع أن مؤديهما لا يدفع الزكاة وهو موسر ، ويمنعها وهو قادر ، ويضن بها على أصحابها من عباد الله ، غير مفكر فى أن ماهو فيه من خير إنما هو من عند الله ، وأن الفضل بيد الله ، قال شوقى :

عجبت لمعشر صلوا وصاموا ظواهر خفية ، وتقى كذابا
وتلفاهم حيال المال صماً وبكماً ، إذا داعى الزكاة بهم أهابا

على أن الزكاة المفروضة حق معلوم للسائل والمحروم ، ومانعها متجرد من ثوب الإيمان غير موقن بثواب الواحد الديان ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ألم يقل الله تعالى : (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) ؟ .

ومن أداها حفظ لنفسه إيمانها ، وصان لها إسلامها ، أسر أم جهر ، كتم أم أظهر ، بل لو أظهر لكان خيراً لا رياء فيه ، حتى يقتدى به الأغنياء ، وينافسه الموسرون . وأما صدقة التطوع فالإسرار بها أفضل ، لأن روح الامتنان فيها أظهر ، وهذه بخلاف الأولى لأن الأولى حق مقدر ، ولذا قال الله تعالى : (إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها ، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « صدقة السر تطفىء غضب الرب » ، وقال فيما رواه البخارى فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

فإذا شفعت بالمن ، وقرنت بالأذى ، خسر صاحبها المال الذى أنفقه ، والثواب الذى يرتجيه كما قال المتنبى :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى   فلا الحمد مكسوبا ، ولا المال باقيا

وقد ضرب القرآن الكريم مثلين من أروع الأمثلة وأسماها ، وأبلغها وأعلاها للصدقة الخالصة ، والتى دنسها إثم الرياء . فانظر كيف صور صدقة المخلص فقال تعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير) فهى على الحالين مثمرة ، وعلى الحالين فيها خير كبير ، وما أجمل قوله تعالى : (جنة بربوة) إنها ليست كسائر الجنان ، بل هى جنة بمكان عال حيث تحسن الجنات وتجود الزروع ، وتتضاعف الثمار ، والعرب تضرب المثل بزهر الربا ، وتلك نظرية أقرها علماء النبات .

وبهذا التصوير الدقيق أيضاً صور القرآن صدقة الرياء . فقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ؛ كالذى ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله ، واليوم

الآخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين) فهو مجرد من الثواب تجرد الحجر الأملس من غباره بعد هطول الوابل عليه .

والحج قصد كريم إلى بيت كريم ، و بقاع مقدسة ، وأماكن مباركة فى أشهر حرم ، فإذا داخله رياء ، أو شابه نفاق ، فسد القصد ، وتلوث الغرض ، إذ الحج رحلة روحية يجب أن تنفعل لها النفس ، ويحس بها القلب ، ويتأثر لمشاهدها الوجدان ، ويهتز لمناسكها الضمير حتى تثمر ثمرتها ، وتؤتى أكلها ، ويرجع صاحبها كيوم ولدته أمه ، مبرءاً من ذنبه مجرداً من خطاياه ، أما إذا ابتغى اللقب ، واتخذه ثوبا يكسوه بين الناس هيبة ويخلع عليه تقوى وورعاً فذلك هو الضلال البعيد : والعمل الحابط ، والعبادة الكاسدة .

وهكذا نرى أن الإخلاص هو روح العبادة ، وشرط قبولها ، ودليل على صلاح العمل وآية على خيريته ، وأمارة على نزاهته ، ألم يقل الله تعالى لرسوله فى القرآن : (فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص) ؟ .

إن الرياء يفسد العمل ، ويحبط العبادة ، بل ويقلبها خطيئة ، ويحيلها إلى رذيلة تودى بصاحبها إلى جهنم ، وبئس المصير . وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المصير حين صور حال المرائين يوم الدين فقال : « فيما رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول رجل يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت . ولكن قاتلت أن يقال : جرىء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى يلقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال : ماعملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم . وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها

إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ، فألقى فى النار ، رواه أحمد ومسلم ، ونحوه فى سنن الترمذى » فانظر كيف انقلبت الطاعات إلى معاصى ، واستحال البر إلى إثم ، وأمسى الخير شراً ، كل هذا لفساد النية ، وخبث الطوية ، وموت الضمير ، وأى عمل يؤديه صاحبه رياء يكون دائماً ـ كما نرى ونشاهد ـ ناقصاً مختلا بعيداً عن القصد والاستقامة ، وعلى هذا يكون قبيح الثمرة ، هزيل القطاف لأن للأخلاص دخل كبير فى اتقان الأعمال والله يحب المحسنين والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ولا أدل على قدر النية فى قبول العمل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى تجارة أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

هذا ما أردت أن أقوله فى هذه الآفة القاتلة ، وهذا الداء المضال ، آفة النفاق بجميع فروعها وأقسامها ، سواء أكان فى الدنيا أم فى الدين ، فى العقيدة أم العبادة ! ! وأرجو أن أكون قد وفيت ، فصورت هذا الداء تصويراً يبين خطره ، ويحدد ضرره ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمنى ومن الشيطان ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

تربيـــة النشء

للأديب سعد صادق محمد

النشء هو سند الوطن وسواعده القوية الفتية التي تحميه من كل معتد غادر . وعينه الساهرة على راحته وأمنه . وقلبه النابض الذي يرسل إليه دماء الحياة والطمأنينة ، ويبعث فيه السعادة والكرامة . ولذلك عنى الإسلام أشد العناية بتربية النشء وتلقينه مقومات الحياة والمبادىء السامية ، من حث على عمل الخير والأمر بالمعروف واجتناب المنكر وحب الوطن والتضحية والفداء . وهكذا حمل الإسلام للنشء على لسان نبي الهدى ورسول الخير محمد صلوات الله وسلامه عليه من الاهتمام والعناية نصيباً موفوراً وقسطاً غير منقوص بما يكفل له تربية صحيحة سليمة تؤهله للحياة ، وتجعله قوياً عاملا نافعاً .

ومن أهم العوامل التي يجب أن تراعى في تربية النشء هي (البيت) فالبيت هو أول شيء يفتح النشء عليه عينيه ويجده أمامه فيحبه ويألفه ، ويتبوأ نظره مافيه من المرئيات . والبيت هو المسئول عن النشء ، فهو أول شيء يتأثر به لما يأخذه منه من طبائع ويحوطه من خصال ولما يتلقنه من تعاليم . فالنشء إن وجد في بيته تقاليد وعادات متغلغلة تسود البيت آمن بها ومشى وراءها وكبر في ظلها وتطبّع بها . وإن وجد في بيته فساداً وانحلالا وتدهوراً في كل ماياتيه البيت وبدع من الأمور ، اعتنقها واغترف منها وحرص على الأخذ بها وعاش فيها . وإن وجد النشء في بيته مبادىء سامية وتعاليم حكيمة وأدباً ، فإنه يشب عليها ويترعرع بين أحضانها ويتربى تحت سمائها .

والبيت مدرسة إن إخلص في تربية النشء أو تحرى الصلاح وجادّة الطريق نحوه ، أعدّ جيلا قوياً صالحاً يؤمن بالله وبوطنه وبنفسه . والبيت تقع على عاتقه مسئولية اختلاط النشء بغيره ممن فسدت أخلاقهم وضاعت منهم مقومات النشأة الصالحة وعوامل التربية الصحيحة .

وهكذا نجد أن البيت هو صاحب المسئولية الأولى فى حياة النشء واتجاهه ولا نستطيع أن نبدل حياته التى ألفها وكبر عليها ، ولا يمكننا كذلك أن نغير من هذا الاتجاه مهما حاولنا بشتى الطرق ومختلف الوسائل ، أن نغرس فى نفسه شجرة جديدة لحياة جديدة تخالف مانشأ عليه .

والبيت المؤمن بحق أولاده والمؤمن بواجبه نحوهم ، لايمكن أ ن يخرج للوطن أبناء معوجين فاسدين لاتدل سلوكهم وأحوالهم على معنى واحد من معانى الجد والاستقامة والرشاد إننا نرى اليوم أكثر الناس يمنحون أبناءهم جانباً كبيراً من العطف والحرية ويفرطون فى الحب والرفاهية فيتركونهم لما يحبون و يجلبون لهم مايشاءون دون أن يكون هناك إلى جانب ذلك نوعاً من القيد الذى يحد من تماديهم فى سلوكهم المعوج ويكبح جماحهم ويكون مانعاً بينهم و بين كل مايحملهم يخرجون عن دائرة الأدب والحياء ويجرهم إلى كل شىء غير مستساغ ومعقول . نرى ذلك كثيراً عند أكثر الناس وخاصة عند من فتنوا بالمال ، فإذا كبر الأبناء عل هذا الحال فقدوا السيطرة عليهم كما يفقدوا إرادتهم التى تصبح عندئذ أضعف من خيط العنكبوت . وقد يصل تمادى بعض الأبناء فى سلوكهم المعوج إلى حد إهانة أهليهم والاعتداء عليهم . لقد فقد النشء التربية الصحيحة وانحرف وحاد عن الطريق المستقيم . فرأيناه يتسكع فى الطريق ليعاكس النساء بادياً بمظاهر كاذبة زائفة خادعة . يبدد وقته هباء ويقتل ساعاته فى لهو ومجون وعربدة . وشاهدناه أيضاً فى حركات مائعة ، وقد انقلب إلى شخصية هازلة لايعرف معنى الرجولة والخشونة . رأيناه كذلك لا فراغ يستغله لما فيه النفع والخير ، ولا وقت يقدر و يوزن بميزان دقيق بحيث لايجب إضاعة شىء منه إلا فى ميدان الخير والعمل والإنتاج . ولاتقدير لتبعات المستقبل ومسئولياته يكون لها نصيب من الاهتمام . فيخرج النشء فاقد الشخصية جاهلا بالمسئولية معتمداً على غيره فى تدبير شئون الحياة .

ثم يأتى بعد ذلك دور المدرسة التى تضطلع بالناحية الثانية فى حياة النشء ويقوم على عاتقها الشطر الآخر المكمل لهذه التربية وهو دور (التربية الثقافية العلمية) وهذا الدور يجب أن يكون قائماً على أساس من العلم الصحيح والمعرفة الحقة والإرشاد إلى الفضيلة ، والشعور بالواجبات والحقوق .

والبيت والمدرسة هما عنصران مرتبطان ببعضهما البعض يساهم كل منهما بنصيبه فى تربية النشء وتعليمه ولكننا إن وجدنا أن البيت والمدرسة قام كل منهما بواجبه على قدر المستطاع رأينا هذه عقبة تقف فى سبيل تحقيق ما نرجوه للنشء من الخير والصلاح . رأينا عالما آخر يعيث أهله فى الأرض فساداً . عالم يعيش فيه الاباحى والمتحلل والملحد والوجودى . خليط من كل دين ضال ، وعناصر هوى وفساد تنفث سمومها فى الصغير وفى الكبير . نجد هذه العقبة وقد برزت وعاشت فى هذا العالم فى شكل صحف ومجلات تدعو إلى الدعارة السافرة والخلاعة الظاهرة ، وإلى مناجاة الشيطان بما تنشره دون حياء ولا خجل من صور لنساء عاريات فى أوضاع تثير الغرائز الجنسية . ومؤلفات وكتب تنبعث من بين سطورها رائحة الرذيلة والفجور وتفتح على النشء أبواب الاثم والكفر . ودور ملاهى لا تأتى إلا بالحب ، والهيام وأعمال اللصوصية والإجرام ، عاش النشء مع كل هذا فكان معاول هدم له وتحطيم لمقومات الحياة الصحيحة فيه . فكان لابد أن ينحرف ويحيد وتسرى فيه روح التفكك والضعف حتى أصبحنا نرى اليوم شباباً نخجل أن نسميهم (رجالا) ونبرأ (آسفين متألمين) أن نجعلهم فى عداد المتعلمين المثقفين . لقد نادى وينادى كثير من المصلحين بضرورة حماية النشء من شرور هذه الملاهى والكتب والصحف وذلك عن طريق فرض رقابة قوية حازمة على كل ماينشر ويكتب ويعرض ولكن ! ! ! . . . مازال هناك قوم تجردوا من الدين والضمير جرياً وراء عرض زائل وربح مادى ضائع وأشباع شهوات خبيثة دنيئة على حساب مقومات الأمة وعلى حساب الفضيلة والحياء .

وهؤلاء القوم لديهم من وسائل الفن الصحفى وأمامهم من ميادين الأعمال الشريفة وطرق معالجة أمراض المجتمع والإصلاح الاجتماعى بطريقة نبيلة سامية بريئة لديهم من كل ذلك مايغنيهم عما يأتونه من هذه المهلكات والمحطمات لمقومات الأمة ومعنوياتها .

إن النشء تبعة كبرى من تبعات الحياة ، وهى غصون غضة طرية يجب أن نتعهدها بالرعاية الصحيحة والاهتمام فنقومها قبل أن تجف وتيبس وتستعصى على التقويم .

إننا نرجو مخلصين أن يكون لنا نشء ينبذ العادات الضارة ويبتعد عن مواطن الانحراف والإنحلال ومهاوى الفساد والطيش ويؤمن بإنسانيته وبوطنيته فيتجه إلى العمل والمستقبل حتى يكون للأمة منه مجتمع سليم .

اقرأ معي من :

– ٤ – لغة القـــــرآن

مفردات فى اللغة العربية مجموعة من كتاب « تهذيب الصحاح »
واقتصرت فيها على ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

محمد رشدى خليل

البِدْعة : الحَدَث فى الدِّين بعد الإكمال .

الباعُ : قدر مدِّ اليدين .

بعتُ الشيء أبيعه بيْعاً و بِعتُه أيضاً : اشتريته ، وفى الحديث : « لا يَبِع الرَّجلُ على بَيع أخيه » يعنى لا يشترِ على شراء أخيه ، فإنَّ النَّهى يقع على المشترى لا على البائع .

تبعتُ القوم ، إذا مشيت خلفهم . وأتْبَعتُهم ، إذا كانوا قد سَبَقُوك فلحقْتَهم .

والتَّبيع : الذى لك عليه مالٌ . وقوله تعالى (ثُم لا تَجِدُوا لكم علينا به تَبِيعاً) أى ثائراً ولا طالباً .

جُمّاع الناس : أخلاطُهم وهم الأُشابة من قبائلَ شتَّى . ويقال للمزدلِفة « جَمْع » لاجتماع الناس بها .

وأجمعتُ الأمر وعلى الأمر ، إذا عزمتَ عليه .

وجماعُ الشَّىء : جمعه . يقال الخمرُ جِماعُ الإثم .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم » يعنى القرآن الكريم وما جمع الله عز وجل له من المعانى الجمة فى ألفاظ قليلة .

الخُشوع : والخُضوع . و « خشوع » الكواكب دنوها من الغروب . والخشوع التواضع .

وخَشَع ببصرِه ، أى غَضَّه . ومكان خاشع : لايهتدى له . والخاشع : الراكع .

الخُضوع : التَّطامُن والتَّواضُع .

وقوله تعالى : (يَرْجِعُ بعضهم إلى بعضٍ القَوْل) . أى يتلاوَمُون . وفلانٌ يؤمن بالرَّجْعة ، أى بالرُّجوع إلى الدُّنيا بعد الموت .

والرجعة : مذهب قوم من العرب فى الجاهليـة معروف عندهم ، ومذهب طائفة من أولى البدع والأهواء ، يقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان . ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون : إن علي بن أبى طالب رضى الله عنه مستتر فى السحاب ، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينـادى مناد من السماء : أخرج مع فلان » ومن خرافات الباطنية أن الرعد صوت علي رضى الله عنه .

الرَّقِيع : السَّماء الدنيا ، وكذلك سـائر السموات . وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ حين حكم فى بنىَ قريظة : « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » .

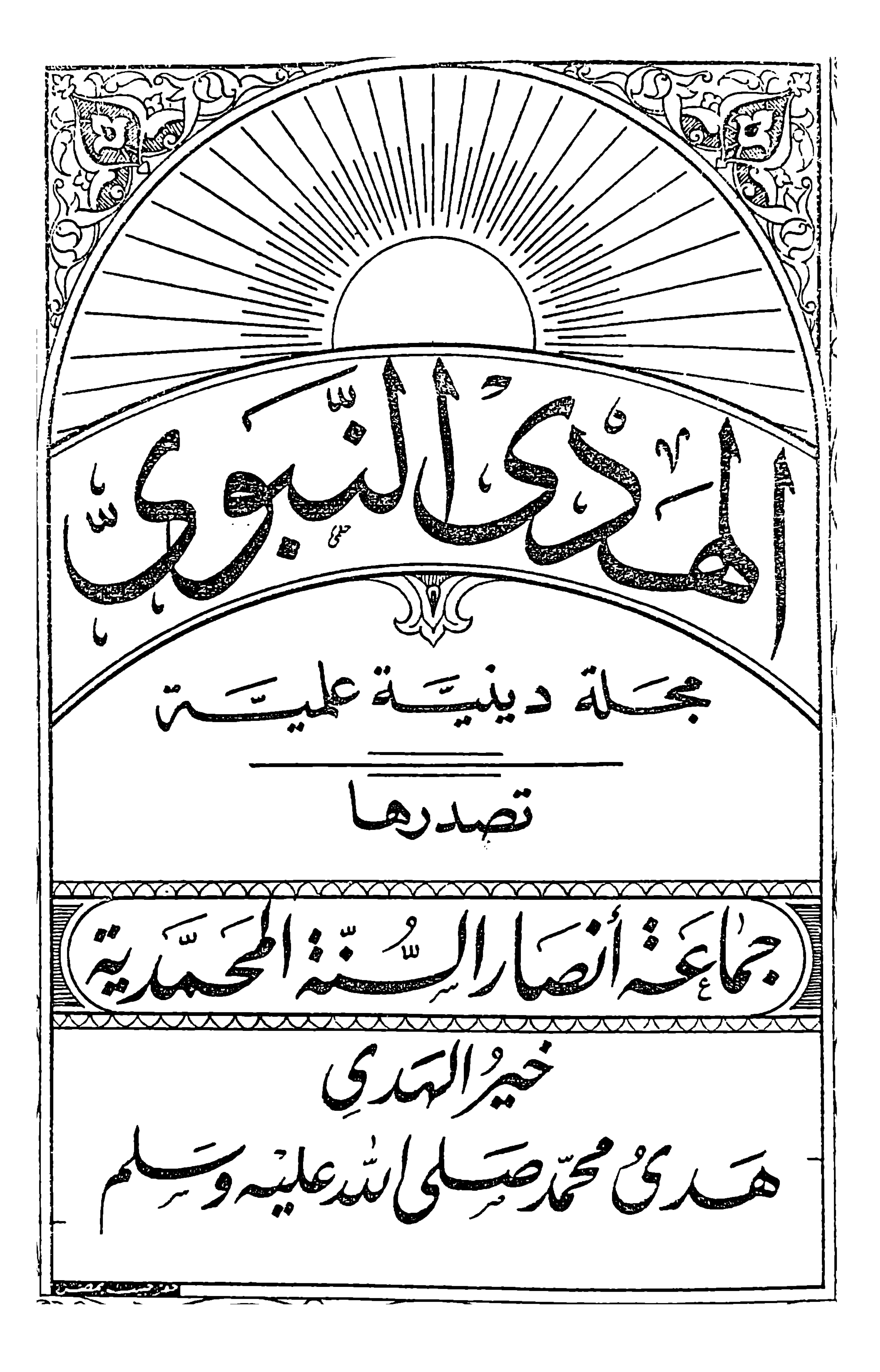
والرَّقيع : الأحمق ، وقيل « الذى يتمزق عليه عقله » .

الرُّكوع : الانحناء ، ومنه ركوع الصـلاة . و « ركع » فلان أى أفتقر بعد غنى وانحطت حاله . (يتبع)

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

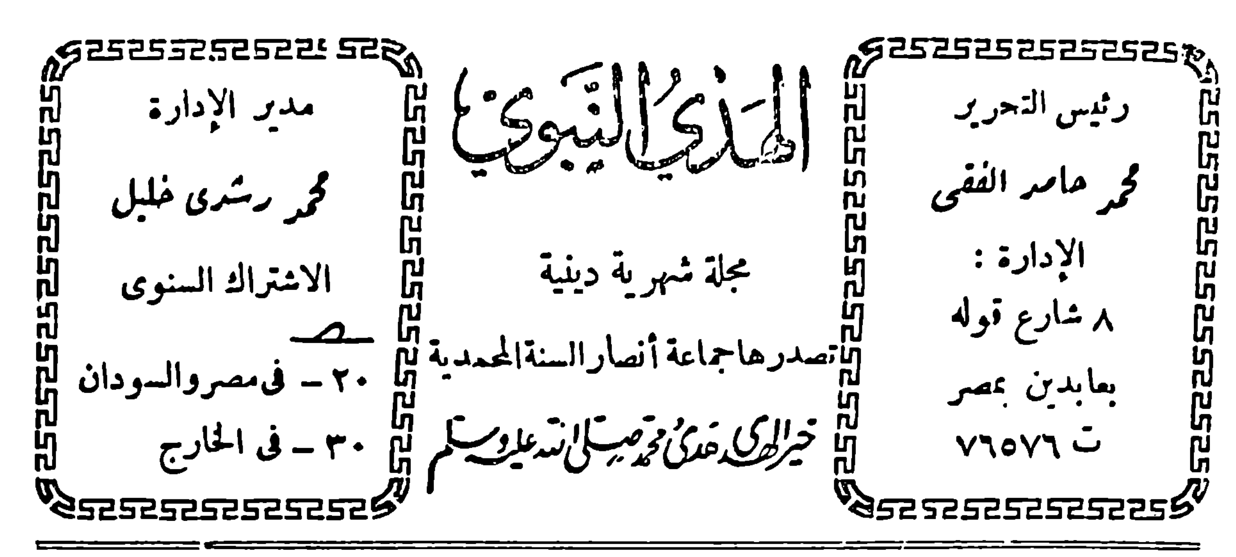
ت ٧٩٠١٧


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

الثمن ٤٠ مليما



الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

محمد حامد الفقى

الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة

محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى

صـ

٢٠ – فى مصر والسودان

٣٠ – فى الخارج

المجلد ٢٢ — شعبان – شوال سنة ١٣٧٧ — ٨ – ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة بنى إسرائيل

وتسمى « سورة الإسراء »

وآياتها إحدى عشرة ومائة آية . مكية

روى البخارى – فى تفسير سورة بنى اسرائيل – بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال – فى بنى إسرائيل ، والكهف ، ومريم – « إنهن من العِتاق الأُوَل . وهن من تِلادى » .

ورواه فى تفسير سورة الأنبياء ، وزاد فيه « الأنبياء » .

قال الحافظ ابن حجر فى تفسير سورة بنى إسرائيل « العتاق » بكسر المهلة وتخفيف المثناة ، جمع « عتيق » وهو القديم ، أو هو كل ما بلغ الغاية فى الجودة . وبالثانى : جزم جماعة فى الحديث . وبالأول : جزم أبو الحسن بن فارس . وقوله « الأول » بتخفيف الواو . وقوله « تلادى » بكسر المثناة وتخفيف اللام ، أى مما أحفظ قديماً . و « التلاد » قديم الملك . وهو بخلاف « الطارف » .

ومراد ابن مسعود رضى الله عنه : أنهن من أول ما تعلم من القرآن ، وأن لهن فضلا ،

لما فيهن من القصص ، وأخبار الأنبياء والأمم . وسيأتى الحديث فى فضائل القرآن بأتم من هذا السياق إن شاء الله تعالى .

يعنى الحافظ الحديث الثانى فى باب تأليف القرآن ـ بالسند الذى رواه به البخارى فى تفسير سورة بنى إسرائيل ، وتفسير سورة الأنبياء ـ عن عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول ـ فى بنى إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ـ « إنهن من العتاق الأول . وهن من تلادى » .

وقال الحافظ ابن حجر فى تفسير سورة الأنبياء : زاد فى هذه الرواية ما لم يذكره فى تلك ـ يعنى التى فى سورة بنى إسرائيل .

وحاصله : أنه ذكر خمس سور متوالية . ومقتضى ذلك : أنهن نزلن بمكة . لكن اختلف فى بعض آيات منهن .

أما فى « سبحان » فقوله تعالى (ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ـ الآية ٣٣) وقوله تعالى (وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّونك من الأرض ليخرجوك منها ، وإذاً لايلبثون خلافك إلا قليلا . سُنَّةَ من قد أرسلنا قبلك من رُسلنا . ولاتجد لسنتنا تحويلا ـ الآيتين ٧٦ ، ٧٧) وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم ـ الآية ١٠١) وقوله تعالى (وقل : رب ، أدخلنى مُدْخَل صِدقٍ وأخرجنى مُخْرجَ صدق ـ الآية ٨٠) .

وفى « الكهف » قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية ٢٨) وقيل : من أول السورة إلى قوله تعالى (أحسن عملا ـ الآية ٣٠) .

وفى « مريم » قوله تعالى (وإنْ منكم إلا واردها . كان على ربك حَتْماً مَقْضِيّا ـ الآية ٧١) .

وفى « طه » (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ـ الآية ١٣٠) .

وفى « الأنبياء » (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ؟ ـ الآية ٤٤) .

قال : ولايثبت شىء من ذلك . والجمهور على أن الجميع مكيات . وشذ من قال خلاف ذلك . انتهى كلام الحافظ ابن حجر فى الجزء الثامن من فتح البارى .

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ١ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لِنُرِيَهُ من آياتنا . إنه هو السميع البصير) .

« سبحان » أصله مصدر نحو غفران . وفعله « سَبَحَ » .

قال فى الصحاح : « السباحة » العوم . و « السَّبْح » الفراغ ، والتصرف فى المعاش . قال قتادة فى قوله تعالى (٧٣ : ٧ إن لك فى النهار سَبْحاً طويلا) أى فراغا طويلا . وقال أبو عبيدة : منقلباً طويلا . وقال المؤرج : هو الفراغ والجيئة والذهاب . و « سَبْح الفرس » جريه . و « التسبيح » التنزيه . و « سبحان الله » معناه : التنزيه لله . و « الله » نصب على المصدر . كأنه قال : أبرىء الله من السوء براءة . والعرب تقول « سبحان من كذا » إذا تعجبت منه . قال الأعشى :

أقول ـ لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر

يقول : العجب منه إذ يفخر .

وإنما لم ينون لأنه معرفة عندهم . وفيه شبه التأنيث اﻫ . باختصار .

قال شارح القاموس : وقال ابن برى : إنما امتنع صرفه للتعريف ، وزيادة الألف والنون . وتعريفه : لكونه اسماً علماً للبراءة . كما أن « نزال » اسم علم للنزول و « شتان » اسم علم للتفرق . قال : وقد جاء « سبحان » فى الشعر منونا . قال أمية بن أبى الصلت :

سبحانه ، ثم سبحاناً يعود له وقبلنا سبح الجودى وَالْجُمُد

وقال ابن جنى « سبحان » اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه ، بمنزلة «عثمان» و «حمران» . اجتمع فى « سبحان » التعريف والألف والنون . وكلاهما علة تمنع من الصرف .

ومال جماعة إلى أنه معرف بالإضافة المقدرة ، كأنه قيل : سبحان الله من علقمة الفاخر .

وقال الرضى « سبحان » هنا للتعجب .

والأصل فيه : أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه تعالى . ثم كثر حتى

استعمل فى كل متعجب منه . اهـ باختصار . ونحوه فى لسان العرب .

وقال أبو علي الفارسي فى مقاييس اللغة « التسبيح » تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء .

و « التنزيه » التبعيد ، والعرب تقول : سبحان من كذا ، أى ما أبعده .

والسابح من الخيل : الحسن اليدين فى الجرى . اهـ . باختصار .

وقال ابن الأثير فى النهاية : أصل « التسبيح » التنزيه ، والتقديس ، والتبرئة من النقائص . فمعنى « سبحان الله » تنزيه الله . وهو نصب على المصدر بفعل مضمر . كأنه قال : أبرِّىء الله من السوء براءة .

وقيل : معناه : التسرع إليه والخفة فى طاعته .

ويقال أيضاً للذكر ، والصلاة النافلة : « سُبحة » . و « السُّبحة » من « التسبيح » كالسخرة من التسخير . اهـ باختصار .

وقال فى القاموس : « سبح » بالنهر ، وفيه : كمنع سَبْحاً وسباحة ـ بالكسر ـ : عامَ وهو سابح وسَبُوح من سُبَحاء ، وسَبَّاح من سباحين ـ إلى أن قال و « السوابح » الخيل لسبحها بيديها فى سيرها ، و « سبحان الله » تنزيهاً لله من الصاحبة والولد ، معرفة .

قال شارحه السيد مرتضى الزبيدى ، قال شيخنا[1] : يريد أنه علم جنس على التسبيح كبَرَّة على البِرِّ ، ونحوه من أعلام الأجناس الموضوعة للمعانى .

قال الزجاج فى قوله تعالى (سبحان الذى أسرى) نصب على المصدر ، أى على المفعولية المطلقة . ونصبه بفعل مضمر متروك إظهاره ، تقديره : أسبح الله تسبيحاً . قال سيبويه : زعم أبو الخطاب أن « سبحان الله » كقولك « براءة الله » أى أبرىء الله تعالى من السوء براءة . وقيل : قوله « سبحانك » أى أنزهك يارب من كل سوء وأبرئك .

قال شيخنا : ثم نزل « سبحان » منزلة الفعل ، وَسَدَّ مَسَدَّه ، ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها إليه المشركون ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً .

---

(١) يعنى به : أبا عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسى المولود بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ .

وقال النضر بن شميل : رأيت فى المنام كأن إنساناً فسر لى « سبحان » فقال : أما ترى الفرس يسبح فى سرعته ؟ وقال : « سبحان الله » السرعة إليه والخفة فى طاعته . اهـ

وقال الراغب فى المفردات « السبح » المر السريع فى الماء والهواء . يقال : سبح سَبْحاً وسِباحة . واستعير لمر النجوم فى الفلك . نحو (وكلٌّ فى فَلَكٍ يسبحون) ولجرى الفرس نحو (والسابحات سَبْحا) ولسرعة الذهاب فى العمل . نحو (إن لك فى النهار سبحاً طويلا) و « التسبيح » تنزيه الله تعالى . وأصله : المر السريع فى عبادة الله . وجُعل ذلك فى فعل الخير ، كما جُعل الإبعاد فى فعل الشر . فقيل : أبعده الله . وجعل التسبيح عاماً فى العبادات قولاً كان ، أو فعلاً ، أو نية . اهـ

وقال شارح القاموس : قال شيخنا ـ نقلاً عن بعضهم ـ و « سبحان الله » إما إخبار قصد به إظهار العبودية ، واعتقاد التقدس والتقديس . أو إنشاء نسبة القدس إليه سبحانه وتعالى . فالفعل للنسبة ، أو لسلب النقائص ، أو أقيم المصدر مقام الفعل ، للدلالة على أنه المطلوب . أو للتحاشى عن التجدد ، و إظهار الدوام . ولذا قيل : إنه للتنزيه البليغ ، مع قطع النظر عن التأكيد .

وفى العجائب ـ للكرمانى ـ من الغريب ماذكره المفضل : أن « سبحان » مصدر « سَبَح » إذا رفع صوته بالدعاء والذكر . وأنشد :

قَبح الإلهُ وجوه تغلب كلما سبَح الحجيج وكبروا إهلالاً

قال شيخنا : قلت : قد أورده الجلال السيوطى فى الإتقان عقب قوله : وهو ـ أى « سبحان » ـ مما أميت فعله . وذكر كلام الكرمانى متعجباً من إثبات المفضل لبناء الفعل منه . وهو مشهور . أورده أرباب الأفعال وغيرهم . وقالوا : هو من « سَبَحَ » مخففا كشكر شُكرانا . وجوز جماعة أن يكون فعله « سبّح » مشدداً ، إلا أنهم صرحوا بأنه بعيد عن القياس . لأنه لا نظير له ، بخلاف الأول . فإنه كثير ، وإن كان غير مقيس . وأشاروا إلى اشتقاقه من السبح : العوم ، أو السرعة ، أو البعد ، أو غير ذلك .

أقول ـ ومن الله أستمد العون والتوفيق ـ نخلص من هذا كله بأن معنى « التسبيح »

أن يلاحظ المسبح : أنه يسبح ويعوم فى بحر هذه الحياة المائج بالفتن والبلاء ، وأن الله سبحانه قد أعطاه ما أعطاه من النعم والسنن ـ فى نفسه وفى الآفاق ـ ليتخذ منها آلات لسبحه وعومه لينجو بها من الفتن والمحن ، وينجح بها فى الإبتلاء ،حتى يصل إلى بر الحياة الآخرة سليما معافى . ولذلك يقول ربنا (فسبح بحمد ربك) أى بآثار تجليه عليك بأسمائه الحسنى ، التى يحمد بها ويثنى عليه بها . لأنها كلها جميلة وخير ونفع لك ، ويقصد بها ربك المحمود بكل المحامد أن يربيك ، ويعليك ، ويرفعك على مدارجها إلى أعلى درجات الكرامة مع الأبرار فى عليين .

فلو أن المسبح فى الصلاة وغيرها كان حاضر القلب ، فقيهاً فى دينه ، عربى الفكر والعقل والقلب واللسان يسبح بقلبه وعقله وجوارحه وأعماله مع لسانه ، لنال من هذا التسبيح كل أسباب القوة والنجاح ، كما نجح به ـ وبغيره من هدى القرآن ـ سلفنا الأولون رضى الله عنهم .

و «السُّرَى» سير الليل . يقال : سريت وأسريت . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

حيٌّ النضيرة ربَّة الخِدْر   أسْرَت إليك ، ولم تكن تَسْرِى

وقال الراغب : وقيل : إن « أسرى » ليست من لفظة « سَرَى يَسْرِى » وإنما هى من « السَّراة » وهى أرض واسعة ، وأصله من الواوى . ومنه قول الشاعر ـ وهو ابن مقبل ، كما فى المقاييس لابن فارس ـ :

بَسَرْوِ حِمْيَرَ ، أبوالُ البغال به   أنَّى تَسدَّيتِ وَهْناً ذلك البينا

فأسرى ، نحو : أجْبَل وأتْهَم وأنجد . وقوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » أى ذهب فى سَراةٍ من الأرض . وسراة كل شىء أعلاه . ومنه سراة النهار ، أى ارتفاعه . اهـ

وقال الزمخشرى : فإن قلت : الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل ؟ قيل : أراد بقوله « ليلا » بلفظ التنكير : تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة . وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية . ويشهد لذلك قراءة عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما « من

الليل » أى فى بعض الليل ، كقوله تعالى (١٧ : ٧٩ ومن الليل فتهجد به نافلة لك) يعنى الأمر بالقيام فى بعض الليل اهـ .

و « عبده » هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأصل « عبد » المعبد والمذلل لغيره ، إما بالملك والقهر . والكل - بهذا المعنى - عبيد لله لأنه هو الذى خلقهم . وهو الذى يدبر كل أمرهم (وهو القاهر فوق عباده) قال الله تعالى (١٩ : ٩٣ إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) .

و إما أن يكون العبد هو الذى أذل نفسه وعبّدها . فيكون جمعه عُبّاداً . فهو إما عبد للطاغوت . وهو المشرك الوثنى الذى يعبد الموتى ، و يتخذ الأنداد من دون الله . وهو فى الواقع عبد للشيطان . كما قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه (١٩:٤٤ يا أبت ، لا تعبد الشيطان . إن الشيطان كان للرحمن عصيا) وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « تعِسَ عبد الدرهم . تعس عبد الدينار . تعس عبد الخميصة والقطيفة » .

والعبد الكريم الناصح لنفسه : هو الذى عرف لنفسه قدرها ، فعرف لمن يذلها ويخضعها . فتكون بيذلها وخضوعها له عزيزة كريمة . فعبّدها لله وحده . والمؤمنون فى ذلك درجات . أعلاهم المرسلون . وأعلاهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم كان لقب « عبد الله » أحب لقب إلى قلبه . وعلّم المسلمين أن يقولوا فى صلاتهم « عبد الله ورسوله » .

وهو الذى حقق العبودية بكل معانيها خالصة لربه . إذ - عرف من دونهم - الربوبية وجلالها ، وعظمتها وكبرياءها ، وحقوقها ، بآثار أسماء ربه وصفاته فى نفسه وفى الآفاق التى عاش فيها قبل النبوة إنساناً كريماً ، يقظاً أشد اليقظة ، شاكراً لأنعم ربه فيما آتاه وأكرمه به ، من السمع والبصر والفؤاد ، وما يحس بكل ذلك ، من آيات وسنن كونية ، رآها فى كل شىء وفى كل ناحية حل بها واضطرب وسار فيها ، محمد المصطفى : راعياً للغنم ، وعاملا فى التجارة ، وتاجراً مستقلا ، عازفاً بنفسه الكريمة أن تعيش عالة على الجاهليين الذين انتكسوا شر انتكاس . فزعموا التقليد الأعمى طريق رشد ، والموتى تحت أطباق الثرى آلهة

وزعموا الكسل والخمول سيادة وشرفاً ، والتقاليد الجاهلية المظلمة علماً وهدى ، والتعظم بالفخر والانتساب إلى الآباء والأجداد : كرامة وعزا .

عزفت نفس محمد – الأبية الكريمة السامية – عن كل ذلك . وذهب يضرب فى الأرض راعيا للغنم ، يبتغى من فضل الله . فآتاه الله من فضله أطيب الرزق وأوسعه لجسمه ومعناه . فكان ينفق منه ويحسن إلى الناس كبيرهم وصغيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فيصل الرحم ، ويَقْرِى الضيف ، ويحمل الكَلّ ، ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق .

يصدر فى كل ذلك عن قلب سليم بالفطرة ، عرف الربوبية . فأخلص لها العبودية . فكان رحيما بَرًّا شفوقاً ، يعمل جاهداً – بكل ما أوتى من قوة – فى تجنيب أهله وذوى قرباه من أهل مكة – ولم يكن بيت فى مكة إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قربى – أسباب الشر والشقاق . ويحرص على أن يوفر لهم سعادة العيش ، وطيب الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وكان – بعبوديته الشاكرة الصابرة هذه – يزيده ربه معرفة به ، ونور بصيرة ، وهدى وحكمة ورشداً ، ورحمة وشفقة بالناس . فيزداد عبودية ، وحباً لربه ، ورضى به رباً ، ورضى بسننه وتدبيره له فى كل شأن ، وشكراً لعطائه وفضله ، وفهما لسننه ، واستقامة على ماتقتضيه حتى كان هو العبد المعَبَّد قلبه حقيقة لربه . فكان الذى يقدر وحده من دون أهل الأرض جميعاً على حمل الأمانة العظمى عن ربه سبحانه ، ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور ، من الجاهلية الجهلاء وظنونها وريبها ، وضلالها وفسادها ، وكفرها وفسوقها وعصيانها ، إلى هدى الرسالة الرشيدة ، وعلمها المنزل من الحكيم الخبير ، شفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة تطمئن القلوب به إلى ربها ، وفى إخلاص العبادة له ، والاستقامة على سننه الكونية وشرائعه التى تهدى المتبع لها إلى أقوم سبيل وأهداها فى بلوغه كل غاية حميدة ، يوفر الله له بها أسباب السعادة ، والعيش الرغد الهنىء ، والحياة الطيبة فى الأولى والأخرى .

و « عبده » هنا تدل على أن الله سبحانه إنما أعطى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ما أعطى – من المنح والعطايا التى لا يعلم قدرها ، وعظيم فضلها إلا الله معطيها ، والحبيب الكريم معطاها ، فى هذا الإسراء وما وراءه من العروج إلى مافوق السموات السبع العلى ،

الذى مانالَه أحد من السابقين . ولن يناله أحد من اللاحقين ـ إلا لأنه الذى عَبَّد قلبه لربه وفاطره وحده فى هذه البيئة الجاهلية الوثنية ، التى عبدت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فكان ذلك مكافأة من الله الرب الشكور للعبد الكريم الشاكر الذى صدق فى عبوديته لربه ومولاه صدقاً انفرد به عن جميع المرسلين ، حتى أعطاه العليم الحكيم ماأعطاه .

فلقد كانت قريش قد بالغت فى أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد موت عمه أبى طالب ، وخديجة الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها ـ وقد كانا يمنعان قريشاً ويدفعان شرها ، فتحنق قريش ، ويشتد غيظها وحنقها ، حين تجد منهما سداً منيعاً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفع شرهم عنه ، ويمنعه منهم ـ فلما أراد الله ما أراد ببالغ حكمته موتهما فى أسبوع واحد ، انطلقت قريش كالوحوش الضارية الكاسرة ، مندفعة بكل ما كانت تنطوى عليه نفوسها من حقد وضغن مكبوت ، حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقد ضاقت عليه مكة ـ إلى الطائف يعرض على سادة ثقيف وأشرافهم ـ عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ـ أن يؤوه وينصروه ، حتى يبلغ رسالة ربه ، ويعدهم على ذلك فلاح الدنيا والآخرة . فردوه أشنع رد وأقبحه ، وأغروا به سفهاءهم يرجمونه بالحجارة ، ويقذفونه من أفواههم النجسة بما كان وقعه فى نفسه الكريمة أشد عليه صلى الله عليه وسلم من وقع الحجارة ، ومازالوا يطاردونه حتى كلوا وأعيوا ، فعادوا أدراجهم ، فجلس على الحال التى وصفها صلى الله عليه وسلم فى قوله لعائشة رضى الله عنها « إن أشد مالقيتُ من قومك يوم قرن الثعالب » وكان به صلى الله عليه وسلم من الهم والحزن مايصوره دعاؤه الذى ناجى به ربه ، إذ يقول « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلني ؟ إلى قريب يتجهمنى ـ وفى رواية : إلى بعيد ـ أم إلى عدو مَلَّكته أمرى ؟ إن لم يكن بك سخط عليَّ فلا أبالى ؛ ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل عليَّ سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ، ولاحول ولا قوة إلا بك » .

وكان جلوسه أمام بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة ، ألد أعدائه وأعنف المشركين فى

أذاه بمكة . فلما رآياه كذلك رقق الله قلباهما ، وأرسلا إليه صلى الله عليه وسلم غلامهما النصرانى عداس ، بقطف من عنب ، فحين مَدَّ رسول الله يده يتناوله سمى الله ، فقال له عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت ياعداس ؟ فقال : من نينوى ، فقال له : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عداس، فى لهفة ودهشة : ومايدريك مايونس بن متى ؟ فقال له : ذاك أخى . كان نبياً وأنا نبى . فأكب عداس يقبل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه وقدميه . فلما عاد إلى سيديه عتبة وشيبة ، قالا له : مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ احذره أن يفتنك عن دينك . فدينك خير من دينه. فقال : ياسيدىَّ مافى الأرض خير من هذا . لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبى .

ثم بعث الله إليه ـ استجابة لشكاته ودعائه ـ جبريل ، ومعه ملك الجبال . فقال له ملك الجبال : مرنى فيهم بما شئت . مرنى أن أطبق عليهم الأخشبين ـ الجبلين اللذين بينهما وادى مكة والطائف ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده » .

ثم عاد إلى مكة . وفى طريقه صرف الله إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن ـ وقد قص الله نبأهم فى سورتى الأحقاف ، والجن ـ ولو أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يقتلوا أهل مكة لقتلوهم فى ساعة . ولكنه صلى الله عليه وسلم صرفهم لينذروا قومهم .

فلما دنا من مكة ذهب مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى المطعم بن عدى ، فسأله أن يصحبهما فى دخول مكة ، ليدفع عنهما أذى أهل مكة ، الذين حرشهم وزادهم شراً ما بلغهم من فعل سفهاء أهل الطائف بهم . ولم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رد إليه جواره مشكوراً ، وأبى إلا جوار الله ربه القوى العزيز ، البر الرحيم .

من تدبر هـذا وغيره من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تجلى له السر الجليل فى حبه الشديد لما لقَّبه الله به فى أشرف المواطن ، وأحبها إلى الله وإلى رسوله . إذ يقول ربنا سبحانه « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ويقول: (٢ : ٢٣ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) ويقول (٨ : ٤١ إن كنتم آمنتم بالله وما

أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) ويقول (١٨ : ١ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) ويقول (٢٥ : ١ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ويقول (٥٣ : ١٠ فأوحى إلى عبده ما أوحى) ويقول (٥٧ : ٩ هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) ويقول (٧٢ : ١٩ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدًا) .

ففى أمسية هذا اليوم ـ الذى رد فيه جوار مطعم بن عدى ـ جاءه جبريل يبلغه دعوة حبيبه الأجل الأعلى سبحانه ، ليناجيه مناجاة الحبيب حبيبه الصفى ، الذى انخلع من كل نفسه البشرية وكل انفعالاتها انخلاعاً كلياً ، حتى ينسى كل مالقى من قريش ، ومن ثقيف وسفهائهم ، فلا يذكر نفسه ولا آلامه ولا أحزانه . ولكن يذكر ربه الذى حمله أمانة الرسالة يبلغها لعباده ، وأعطاه الشفاء والرحمة ليدفعهما إليهم ، ويعمل جهده حتى ينتفعوا بهما ، لينالوا عافية وسعادة الأولى والأخرى . فيقول لملك الجبال ، وقد تبرأ من أن يغضب لنفسه ، بل من أن يحس بها ، ويرى لها حقاً ، أو شيئاً مع ربه « دَعْهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده » أى من يسعد بهذه الرسالة ، فيتناول من رحمة الله بها وشفائه مايعرف به نعمة الله عليه فى الإنسانية الكريمة ، فيقدرها قدرها ويشكر الله عليها ، فينقذ نفسه من براثن الجاهلية العمياء وتقاليدها المظلمة ، ووثنيتها السافلة المنحطة ـ التى تذل صاحبها وتحقره أشد التحقير ، فتجعله عبداً ذليلا لميت تحت التراب ـ ويسمو على درجات العلم الرشيد المنير من هذه الرسالة إلى عزة وكرامة العبودية الخالصة الكريمة لله العلى الأعلى ، الحى القيوم ، الذى بيده الخير . وهو على كل شىء قدير .

ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم البراق ، ومشى جبريل وميكائيل فى ركابه من المسجد الحرام ـ مسجد مكة ـ إلى المسجد الأقصى بيت المقدس . ثم عرج كذلك إلى فوق السموات العلى . وقد أعد الله فى كل سماء من خير أهل الأرض من الأنبياء ، ومن أهل السماء من يتلقون عبد الله ، ورسول الله وحبيب الله محمداً صلى الله عليه وسلم « مرحباً به . ولنعم المجىء جاء » ، « مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح ، أو الابن الصالح » حتى رفع إلى سدرة المنتهى . فرأى جبريل على صورته الملكية العظيمة التى خلقه الله عليها .

ثم تقدم وتقدم وتقدم حتى كان حيث لايعلم إلا الله وحده حيث يسمع صريف الأقلام .
وكان له صلى الله عليه وسلم من ربه ما أذهب عن قلبه الهم والحزن ، وشرح صدره أوسع الشرح . وثبت قلبه أتم التثبيت بأن العاقبة له ، والنصر معقود بلوائه .
وما قيمة قريش وثقيف الأخرى . بل ماقيمة من فى الأرض كلها لو غضبوا عليه وحاربوه متناصرين . وهذا جبريل سيد الملائكة ورئيسهم ، وسفير رب العالمين يمشى فى ركابه ، ويفتح له أبواب السموات ، ويقدمه إلى من أعدهم الله فيها لاستقباله « مرحباً به . ولنعم المجىء جاء » وهؤلاء خير أهل الأرض ، وصفوة الله من خلقه ، وخيرة المرسلين ، يتلقونه « مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح » وهذا رب العزة ـ سبحانه وجل ثناؤه وتباركت أسماؤه ـ يحبه هذا الحب ويرضى عنه هذا الرضى ، ويحييه التحية التى لايعلمها إلا الله وعبده حبيبه ، سيد أولى العزم عليه الصلاة والسلام .
ثم كانت خلعة الوصل والمحبة ، وآية الحب الدائم حتى يرتفع إلى الرفيق الأعلى ، والمنحة الكريمة ، والعطية السنية من الحبيب للحبيب ، فى هذه الليلة الكريمة : هى الصلاة ، التى هى الصلة بين العبد وربه . والتى كانت قرة عين عبد الله ورسوله الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم .

حديث الإسراء والمعراج

روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن مالك بن صعصعة رضى الله عنه حدثه : أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينما أنا فى الحطيم ـ وربما قال قتادة : فى الحجر ـ مضطجعاً إذ أتانى آت ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط ، بين الثلاثة . قال : فأتانى ، فقدّ ـ سمعت قتادة يقول : فشق ـ ما بين هذه إلى هذه ـ وقال قتادة : فقلت للجارود ، وهو إلى جنبى : مايعنى ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قَصته إلى شعرته ـ قال : فاستخرج قلبى . قال : فأُتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة . فغسل قلبى . ثم حُشِى . ثم أعيد . ثم أُتيت بدابة ـ دون البغل وفوق الحمار ـ أبيض . قال فقال الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم . يقع خَطْوه عند أقصى طَرْفه . قال : فحُمِلت عليه . فانطلق بى جبريل ، حتى أتى بى إلى

السماء الدنيا . فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . فقيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت ، فإذا فيها آدم .فقال : هذا أبوك آدم . فسلم عليه . فسلمت عليه . فرد السلام. ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد ، حتى أتى السماء الثانية . فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت . فإذا عيسى ويحيى . وهما ابنا الخالة . قال : هذان يحيى وعيسى . فسلم عليهما . قال : فسلمت . فردا السلام . ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد ، حتى أتى السماء الثالثة . فاستفتح ،فقيل له : من هذا ؟ قال: جبريل . قيل : ومن معك؟قال : محمد. قيل:أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت فإذا يوسف . قال : هذا يوسف . فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة . فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح لنا . فلما خلصت فإذا إدريس . قال : هذا إدريس فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة . فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل: ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به،ولنعم المجيء جاء . ففتح لنا . فلما خلصت فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . قال : فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة . فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . ففتح لنا . فإذا أنا بموسى . قال : هذا موسى ، فسلم عليه . قال : فسلمت ، فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : فلما جاوزته بكى . قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . قال : ثم

صعد حتى أتى السماء السابعة . فاستفتح . فقيل : من هـذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجىء جاء . قال : ففتح لنا .فلما خلصت ، فإذا إبراهيم . فقال : هذا إبراهيم . فسلم عليه . قال : فسلمت عليه . فرد السلام . ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح . قال : ثم دفعت إلى سدرة المنتهى . فإذا نَبِقها مثل قِلال هجر . وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . فقال : هذه سدرة المنتهى . قال : وإذا أربعة أنهـار . نهران باطنان ، ونهران ظاهران . فقلت : ماهـذا ياجبريل ؟ قال : أما النهران الباطنان : فنهران فى الجنة . وأما الظاهران : فالنيل والفرات . قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه رأى البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً . ثم لايعودون إليه .

ثم رجع إلى حديث أنس . قال : ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل . قال : فأخذت اللبن . قال : هذه الفطرة . أنت عليها وأمتك . قال : ثم فرضت علىَّ الصلاة ـ الحديث » .

وهناك روايات كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنة تفيد التواتر المثبت قطعاً لمعجزة الإسراء والمعراج .

واعلم بأن هذا إنما هو من علم الغيب ، الذى نؤمن به كما ورد وثبت ، ولا نجادل فيه ، ولا نقيس عليه . فلا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له فى تلك الليلة حالة خاصة بها تم له ما أراد ربه من هذه المعجزة ، ولقى من لقى من الملائكة والمرسلين من حيَّاه ورحب به هذا الترحيب . وأن جبريل استفتح أبواب السموات . ووجد فى كل سماء رسولا من السابقين . والله أعلم كيف كان ذلك . لايعلم كنهه إلا الله وحده .

ولا نقول : هل أحيى الله أولئك المرسلين قبل البعث ؟

ونؤمن أن أصل النيل والفرات والمياه العذبة على الأرض من الجنة . والله أعلم بذلك .

وقد جاء الخبر الصادق به عن عيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا نقول شيئاً إلا ما قال الصديق وإخوانه من المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولا نمارى فيما أراه ربنا من آياته الكبرى لنبينا صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة الكريمة . كما مارى كفار قريش وكما يمارى خلفهم اليوم من الملحدين الجاهليين الكافرين

ونسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن يطهر قلوبنا من أرجاس الشكوك والريب والأهواء والشهوات . وأن يشرح صدورنا بما طهر به وشرح به صدور الصحابة والتابعين .

فإذا أردت أن تظفر بسعادة الأولى والأخرى وفلاحهما ، وتذوق حلاوة الإيمان الذى يشرح الله به صدرك . فاقرأ ــ مؤمناً صادق الإيمان ، متفقهاً متفهماً ، حاضر القلب والروح ــ سيرة هذا العبد الكريم . والرسول الحبيب الأمين . واحرص على الاهتداء بهداه ، والاقتفاء لآثاره فى أشد الحذر واليقظة ، أن تسلم من أعدائه من شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . وشمر بكل عزم وهمة فى اللحوق به صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وقول الله تعالى « بعبده » يدل دلالة واضحة أتم الوضوح لمن شرح الله صدره للإسلام وعرف هذا العبد الكريم من صحيح سيرته ، وهدى رسالته صلى الله عليه وسلم ــ أن هاتين المعجزتين ــ الإسراء والمعراج ــ كانتا بجسمه صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما ، بقدر الله القوى الكبير المتعال ، الذى يسخر السموات والأرض ومن فيهما ، ولا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض . وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن . فيكون .

فإن « العبد » يدل على مجموع الجسم البشرى والروح ، وأنه إنما رحل هذه الرحلة الكريمة متلبسا بحال العبودية الصادقة التى كان ــ ومازال ــ هو المثل الكامل الأعلى لها .

وإنما ضل من ضَلَّ ــ بزعم : أن هذا كان بالروح ، أو فى المنام ــ بما ران على قلبه من ظلمات الجهل والهوى ، والريب والشكوك ، التى نفث سمومها أعداء الله وأعداء رسوله ، وأعداء الإسلام والمسلمين ، فى القديم والحديث . وبالأخص فى عصرنا الذى ضرب الشيطان فيه بجرانه ، ونصب سرداقه على القلوب ، إلا ما شاء الله . بما رمانا به من أعوانه وحزبه المستشرقين الخاسرين ، الذين سلكوا أضل الطرق وأعوجها وأغواها إلى استغلال البلاد الإسلامية ، وتخريبها بامتصاص خيراتها ودماء أهلها ، سلكوا مازعموه طريق العلم والبحث

والفلسفة ، وهو ـ والله لو فقه الناس وعقلوا ـ طريق التبديل والتحريف ، وطمس الحقائق وترويج الأكاذيب والأباطيل فى ثياب مهلهلة من العبارات المزخرفة ، راجت على البعيدين عن رسالة وسنة وسيرة رسول الرحمة ، والهادى إلى صراط العزيز الحميد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأصبح أكثر المسلمين اليوم جغرافيين ، لا علميين حقيقيين ، يرددون ما روجه أولئك المخربون المفسدون فى شرائع الإسلام وعقائده ، وفى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة سلفنا الصالح رضى الله عنهم ما أبعد الشباب ـ إلا من شاء الله ـ عن توقير الله وتوقير شرائعه[1] ورسالاته ورسله ، وما أنزله هدى ورحمة للناس ، وشفاء لهم من كل ما يشكون منه من أمراض مجتمعاتهم إلى قيام الساعة . ولا حول قوة إلا بالله . وماظلموا إلا أنفسهم . وما ضروا إلا أنفسهم (فلا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا) (فذرهم فى غمرتهم حتى حين . أيحسبون أن ما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات ؟ بل لا يشعرون) .

ومن الأدلة الواضحة البينة على صحة وقوع المعجزة ـ الإسراء والمعراج بالجسم والروح يقظة ـ قول الله تعالى فى سورة النجم (٥٣ : ١٣ ـ ١٨ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة مايغشى . مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فإنه لا يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته الملكية العظيمة ، التى خلقه الله عليها ـ الرؤية الثانية ـ عند سدرة المنتهى التى عندها جنة المأوى ، إلا وهو فوق السموات العُلى ، بجوار سدرة المنتهى ، التى رأى عندها

---

(١) ولقد روج أعداء الإسلام وأعداء الله وأعداء رسوله ، وأعداء الإنسانية ـ روجوا ـ تسمية « شرائع الإسلام » بكلمة « تعاليم الإسلام » وهى كلمة كنسية لاتعرفها العرب ، فضلا عن الإسلام والمسلمين السالفين . وأصبح كل الكتاب ـ حتى من شيوخ الدين ـ يكتبونها ويقولونها وهم يشعرون أو لايشعرون . وإنما قصد المستشرقون الخبثاء إلى تهوين هذه الشرائع الحكيمة ـ التى عزبها المسلمون الأولون ، وكانوا ـ حين اعتصموا بعروتها الوثقى ـ خير أمة أخرجت للناس . فنشروا العدل والرحمة والأمن والطمأنينة ، وأدوا إلى كل ذى حق حقه ـ حتى يهجرها المسلمون ، ثم يكرهونها ، ثم يحاربونها فيهنوا ويضعفوا . ليبلغ أعداؤهم منهم مايريدون ، كما وقع ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مارأى - فيها وفى غيرها - من عجائب خلق الله فى السموات والأرض ما هو من آيات ربه الكبرى .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل مرة أولى على الأرض ، على صورته الملكية ، حين كان صلى الله عليه وسلم فى غار حراء . ورآه ما لا يحصى من المرات على الهيئات التى كان يجىء فيها بالوحي .

وقد أشار الله إلى أول مجىء جبريل فى سورة النجم ، حيث يقول (٥٣ : ١-١٢ والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القُوَى . ذو مِرَّةٍ فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى ؟) يفسر ذلك ويشرحه حديث « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه حين ذهب إلى غار حراء يتحنث . رأى جبريل فى النوم ، وهو فى الأفق يناديه « يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل » ثم أصبح فرآه يقظة فى موضعه من الأفق الأعلى . وسمعه يقول له « أنت رسول الله ، وأنا جبريل » ثم رآه فى الليلة الثانية كذلك ، وقد دنا منه قليلا . ورآه فى الصباح يقظة كذلك وقد دنا قليلا . وسمعه يقول له مثل الأمس . وما زال جبريل يدنو ويتدلى كل ليلة ويوم أكثر من الذى قبله ، حتى كان - فى آخر الستة الأشهر - قاب قوسين أو أدنى . فدخل عليه الغار . وأوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى ، وأقرأه ما أقرأه .

وكذلك استفتاح الله الحديث عن هذه المعجزة بتسبيحه وتنزيهه عما لا يليق به وعما لا ينبغى له مما ينسبه إليه عبيد الأهواء الجاهلية ، والشبهات الاستشراقية التخريبية ، ودعواهم الكاذبة الفاجرة : أنه سبحانه لم يمنح عبده الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم رسالة ولا معجزة . ولم يعطه مثل ما أعطى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من المعجزات ، لأن محمداً - عندهم - لم يكن رسولا ، بل لم يكن أهلا لهذه الكرامة التى يعطيها ربنا سبحانه لمن يحب ويصطفى من عباده المرسلين . فنزه الله سبحانه نفسه عن تلك الفرية الكاذبة الفاجرة الآثمة .

وزاد تأكيداً بتلك النسبة الكريمة التى أضاف إليه هذا العبد الكريم ، فقال : « عبده » الذى حقق معنى العبودية ، إذ عرف الربوبية المعرفة الصادقة ، التى أعطاها بها حقها من العبودية الخالصة الصادقة .

وزاد ربنا ذلك تأكيداً – لمن يعقل ويفهم ممن شرح الله صدره للإسلام – فقال « لنريه من آياتنا » كما قال فى سورة النجم « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ثم قال ربنا سبحانه « إنه هو السميع البصير » اسمين يتضمنان التهديد والوعيد للذين يفترون عليه الكذب سبحانه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ممن لا يرجون لله وقاراً ، فينفون عنه صلى الله عليه وسلم كل مزايا الرسالة . إذ يزعمون أنها إنما كانت صادرة عن عبقريته وقوة تفكيره ، أو أنها كانت رؤى ومنامات ، لكثرة ما كان يفكر – بزعمهم – فى حال قومه العرب ، وما وصلوا إليه من الانحطاط والتأخر ، وما السبيل إلى إنقاذهم مما هم فيه . ومن ثم فقد أدت هذه الرسالة مهمتها ، وانقضى زمانها من العصور الوسطى التى كانت صالحة لها . وأصبح الناس فى أشد الحاجة إلى غيرها ، بل أصبحت غير صالحة مطلقاً أن تماشى ما زعموه من الحضارة والمدنية ، التى هى فى حقيقة الأمر الانحلال من كل عناصر الإنسانية الفاضلة الكريمة ، والاندفاع بتهور وسفه فى طاعة الهوى والشهوات – الجامحة أشد الجموح وأعنفه – بما جلب على الإنسانية كل شقاء ، وعرضها لأشد الأخطار ، وحرمها طيب العيش ، والأمن والعافية والسلام .

وزاد ربنا ذلك التأكيد بثبوت – هذه المعجزة الصريحة – فى أن عبد الله ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : هو خير المرسلين وخاتمهم ، وأن شريعته ورسالته هى الباقية ، المهيمنة على كل ماجمع ويجمع البشر ، ويؤلفون من كتب ونظم ودساتير ، وأنها هى فضل الله ورحمته ، التى هى خير لهم من كل ما يجمعون .

وأن الله سبحانه ذكر بعدها مباشرة شأن بنى إسرائيل المفسدين فى الأرض أشد الفساد تحذيراً للناس من الاغترار بزخارف قولهم ، وكيدهم ومكرهم ، وأنهم إنما يعملون للفساد والإفساد ، الذى هو شر شىء وأضره على كل مجتمع إنسانى رشيد يسعى لخير الإنسانية ، وتوفير أسباب العيش الهنىء والحياة الطيبة لها .

فالإسرائيليون هم أشد الناس عداوة للإنسانية ، وأحرص الناس على تمزيق مجتمعاتها

كل ممزق . لتتهيأ لهم أسباب العيش الوحشى الخسيس على هذه الأشلاء وامتصاص الدماء ، والتمتع والتلذذ بشفاء غيظهم المكبوت ، وحقدهم المتوارث على الانسانية كلها - بنكدها وشقائها و بؤسها وعذابها .

وقول الله تعالى فى صفة المسجد الأقصى « الذى باركنا حوله » البركة : هى زيادة الخير ودوام النفع به .

والمراد بها هنا : خصب الأرض وطيبها ، وطيب جوها ومناخها ، وكثرة المياه والأنهار التى تجرى بها ، والتى يمكن أن تستغل أحسن استغلال . فيعود منها أكثر النفع وأوسع العيش وأرغده إذا عقل الناس ، وعملوا بسنن الله فى تكثير بركات الأرض بحسن استغلالها وتقدير نعم الله عليها فيها ، وشكرها .

ولكن - مع الأسف - غفلوا عن ذلك ، وعموا عن سنن الله وعن شرائعه بما أوحى إليهم أعداؤهم - الصهيونيون المغضوب عليهم ، والمخربون من الصليبيين ، ومن الصوفية الجاهلية - فزعموها بركة يتمسحون بترابها وجدرانها وأحجارها ومياهها وتمادت بهم هذه الغفلة حتى كاد أولئك الخبثاء الصهيونيون ينتزعونها من أيديهم مرة ، بلى ، قد نجسوا بعضها بمحاولة اتخاذها وطناً قوميا ، ومعقلا للشر والسعى بالفساد فى الأرض ، ومعاونة كل مجرم وفاجر وشرير ومتوحش .

ولكن قريباً جداً - إن شاء الله - سيردهم الله خائبين خاسرين ، مرتكسين فى حظيرة الذلة والصغار الذى ضربه الله عليهم - بأيدى عباده المؤمنين اليقظين الذين يؤمنون بسنن الله وآياته وكتبه ورسالاته . ويأخذون سبيلهم فى الحياة على هدى و بصيرة ، لا على تقليد أعمى وغفلة .

والله المرجو والمسئول من فضله : أن يعجل بسرادق الذلة والصغار والمسكنة يضرب على اليهود الإسرائيليين وأعوانهم بكل اسم ولون - بيد وجند رئيسنا القوى الحازم ، الرئيس جمال عبد الناصر. مكن الله له من رقابهم ومن رقاب كل عدو للمسلمين ولنبيهم ورسالة نبيهم .

وجعلنا الله من جنده المجاهدين الصابرين لإعلاء كلمة الله . وإرغام أنوف أعدائه .

وصلى الله وسلم و بارك على عبده الكريم ورسوله الأمين محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقي

إنما الأعمال بالنيات (٣)

شرحه هذا الشرح الممتع

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله ورضى عنه

فصـــل

وقوله صلى الله عليه وسلم « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » ليس هو تحصيلا للحاصل ، لكنه إخبار بأن من نوى بعمله شيئاً فقد حصل له ما نواه ، أى : من قصد بهجرته الله ورسوله ، حصل له ما كان قصده . ومن كان قصده الهجرة إلى دنيا ، أو امرأة : فذلك هو الذى يحصل له وليس له إلا ذلك .

فهذا تفصيل لقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ولما أخبر أن « لكل امرىء مانوى » ذكر أن لهذا ما نواه ، ولهذا مانواه .

و « الهجرة » مشتقة من الهجر .

وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والمجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله » كما قال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » .

وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم لكمال مسمى هذا الاسم . كما قال « ليس المسكين بهذا الطواف ، الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان . ولكن المسكين : من لا يجد غنًى يغنيه ، ولا يُفْطَن له فيُتَصَدَّق عليه ، ولا يسأل الناس إلحافا » .

وقد يشبه هذا قوله صلى الله عليه وسلم « ما تعدون المفلس فيكم ؟ قالوا : من ليس له درهم ولا دينار . قال : ليس هذا المفلس ، ولكن المفلس من يأتى يوم القيامه بحسنات أمثال الجبال . فيأتى وقد ضرب هذا ، وشتم هذا ، وأخذ مال هذا . فيعطَى هذا من حسناته

وهذا من حسناته . فإذا لم يبق له حسنة : أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » .

وقال « ما تعدون الرّقوب فيكم ؟ قالوا : من لا يولد له . قال : الرقوب من لم يقدم من ولده شيئاً » .

ومثله قوله « ليس الشديد بالصُّرَعة . إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

لـكن فى هذه الأحاديث : مقصوده أن يبين ما هو أحق بأسماء المدح والذم مما يظنونه . فإن الإفلاس حاجة . وذلك مكروه . فبين أن حقيقة الحاجة[1] المكروهة إنما تكون يوم القيامة .

وكذلك عدم الولد تكرهه النفوس ، لعدم الولد النافع . فبين أن الانتفاع بالولد حقيقة إنما يكون فى الآخرة لمن قدم أولاده بين يديه .

وكذلك الشدة والقوة محبوبة . فبين أن قوة النفس أحق بالمدح من قوة البدن . وهو أن يملك نفسه عند الغضب .

وقوة النفوس تكون بأن يملك الإنسان نفسه عند الغضب . كما قيل لبعض سادات العرب : ما بال مماليككم أصبر منكم عند الحرب وعلى الأعمال ؟ فقال : هم أصبر أجساداً ونحن أصبر نفوساً .

وأما قوله فى اسم « المسكين » فهو من جنس قوله فى « المسلم » و « المؤمن » و « المهاجر » و « والمجاهد » .

وهذا مطابق لما تقدم من أن الشارع لا ينفى مسمى اسم شرعى إلا لانتفاء كماله الواجب فإن هجر مانهى الله عنه واجب ، وسلامة المسلمين من عدوان الإنسان بلسانه ويده واجب . وأمن الناس للمؤمن على دمائهم وأموالهم لا يكون إلا إذا كان أميناً ، والأمانة واجبة . والمسكين الذى لا يسأل ، ولا يعرف : هو أحق بالإعطاء بمن أظهر حاجته وسؤاله . وإعطاؤه واجب .

(١) وفى نسخة بهامش الأصل : الحاجة الحقيقية .

وتخصيص السائل بالعطاء دون هذا لا يجوز ، بل تخصيص الذى لا يسأل أولى وأوجب وأحب .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا هجرة بعد الفتح . ولكن جهاد ونية . وإذا اسْتُنْفِرْتُمْ فانفروا له » وقال « لاتنقطع الهجرة ماقوتل العدو » . وكلاهما حق .

فالأول : أراد به الهجرة المعهودة فى زمانه . وهى الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب . فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب وكان الإيمان بالمدينة . فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة لمن قدر عليها . فلما فتحت مكة ، وصارت دار إسلام ودخل العرب فى الإسلام صارت هذه الأرض كلها دار إسلام . فقال « لاهجرة بعد الفتح » .

وكون الأرض دار كفر ودار إيمان ، أو دار فاسقين : ليست صفة لازمة لها ، بل هى صفة عارضة بحسب سكانها .

فكل أرض سكنها المؤمنون المتقون ، فهى دار أولياء الله فى ذلك الوقت . وكل أرض سكنها الكفار فهى دار كفر فى ذلك الوقت . وكل أرض سكنها الفساق فهى دار فسوق فى ذلك الوقت . فإن سكنها غير من ذكرنا ، وتبدلت بغيرهم : فهى دارهم .

وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة ، أو صار دار فسق ، أو دار ظلم ، أو كنيسة يشرك فيه بالله تعالى ، كان بحسب سكانه .

وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها ، إذا جعلت مسجداً يعبد فيه الله عز وجل كان بحسب ذلك .

وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقاً ، أو الفاسق يصير صالحاً ، أو الكافر يصير مؤمناً أو المؤمن يصير كافراً . ونحو ذلك . كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال .

وقد قال الله تعالى فى ذلك (١٦ : ١١٢ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان . فكفرت بأنعم الله . فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) .

نزلت فى مكة لما كانت دار كفر ، وهى مازالت فى نفسها خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، وإن كان سكانها إذ ذاك كفاراً[١] .

فقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال - لمكة وهو واقف بالحزورة « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن قومى أخرجونى منك لما خرجت » وفى رواية « خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلىّ » .

فبين أنها أحب أرض الله إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ومقام من معه من المؤمنين بها : أفضل فى المقام من مقامهم بمكة لأجل الهجرة والجهاد . وذلك أفضل الاعمال . ولهذا كانت دار هجرتهم التى اختارها الله لهم .

ولهذا كان الرباط بالثغور أفضل من المجاورة بمكة والمدينة . كما ثبت فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه . ومن مات مرابطاً مات مجاهداً ، وأجرى عليه عمله ، وأجرى عليه رزقه من الجنة ، وأمِنَ الفَتّان » .

وفى السنن عن عثمان رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه « لأن أرابط ليلة فى سبيل الله أحب إلىّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود » .

ولهذا كان أفضل الأرض فى حق كل إنسان : أرضاً يكون فيها أطوع لله ولرسوله .

وهذا يختلف باختلاف الأحوال .

فلا تتعين أرض أن يكون المقام فيها أفضل فى حق كل إنسان . وإنما يكون الأفضل فى حق كل إنسان بحسب حاله فيها من التقوى والطاعة ، والخشوع ، والحضور ، والخضوع لله عز وجل .

---

(١) والاصح أنها عامة فى كل بلد لا تشكر نعم الله عليها ، فلا تدين دين الحق . ولا تقبل هدى الله .

وقد كتب أبو الدرداء رضى الله عنه إلى سلمان « هلم إلى الأرض المقدسة » فكتب إليه سلمان « إن الأرض لاتقدس أحداً . وإنما يقدس العبدَ عملُه » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان وأبى الدرداء رضى الله عنهما .

وكان سلمان أفقه من أبى الدرداء فى أشياء ، من جملتها هذا .

وقد قال تعالى لموسى عليه السلام (٧ : ١٤٥ سأريكم دار الفاسقين) وهى الدار التى كان بها أولئك العمالقة . ثم صارت بعد هذا داراً للمؤمنين . وهى الدار التى دل عليها القرآن : من الأرض المقدسة ، وأرض مصر التى أورثها الله بنى إسرائيل .

فأحوال البلاد كأحوال العباد .

فيكون الرجل تارة مسلما ، وتارة كافرا ، وتارة مؤمنا ، وتارة منافقا ، وتارة براً تقيا ، وتارة فاسقا عصيا ، وتارة فاجراً شقيا . وهكذا المساكن بحسب سكانها .

فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصى إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة . وهذا أمر باق إلى يوم القيامة .

وقال الله تعالى (٨:٧٥ والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) قال طائفة من السلف : هذا يدخل فيه كل من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة .

وهكذا قوله تعالى (١٦:١١٠ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) يدخل فى معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه أو أوقعه فى معصية . ثم هجر السيئات . وجاهد نفسه وغيرها من العدو ، أو جاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك ، وصبر على ما أصابه من قول أو فعل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

فائدة : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم . والله أعلم .

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف المرسلين وإمام المتقين . وآله أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

من يجب هجره فى الله
وحدود الهجر

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الإمام العالم العلامة والبحر الفهامة ، أبو العباس ، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى رضى الله عنه وأرضاه : عمن يجب أو يجوز بغضه أو هجره ـ أو كلاهما ـ لله سبحانه وتعالى .

وماذا يشترط على الذى يبغض و يهجر لله تعالى من الشروط ؟

وهل يدخل ترك السلام فى الهجران أم لا ؟

و إذا بدأ المهجور للهاجر بالسلام ، هل يجب الرد عليه أم لا ؟

وهل يستمر البغض والهجران لله عز وجل ، حتى يتحقق زوال الصفة المذكورة التى أبغضه وهجره عليها ، أم يكون لذلك مدة معلومة ؟ فإن كان لها مدة معلومة . فما حدها ؟

أفتونا مأجورين .

أجاب الشيخ رضى الله عنه :

الهجر الشرعى نوعان :

أحدهما : بمعنى الترك للمنكرات .

والثانى : بمعنى العقوبة عليها .

فالأول : هو المذكور فى قوله تعالى (٦ : ٦٨ و إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . و إمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشيطان فلا تقعد ـ بعد الذكرى ـ مع القوم الظالمين) وقوله تعالى (٤ : ١٤٠ وقد نزَّل عليكم فى الكتاب: أن إذا سمعتم آيات الله يُكفَر بها ، ويُستَهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديثٍ غيره . إنكم إذًا مثلهم) .

فهذا يراد به : أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة ، مثل قوم يشربون الخمر لا يجلس عندهم . وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم . وأمثال ذلك ، بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم . أو حضر بغير اختياره . ولهذا يقال : حاضر المنكر كفاعله .

وفي الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » .

وهذا الهجر : من جنس هجر الإنسان نفسه لفعل المنكر . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ومن هذا الباب : الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان . فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به .

ومن هذا قوله تعالى (٧٤ : ٥ والرُّجْزَ فاهجر) .

النوع الثاني : الهجر على وجه التأديب ، وهو هجر من يُظهر المنكرات ، يهجر حتى يتوب منها ، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثةَ الذين خُلِّفوا حتى أنزل الله توبتهم[1] حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر . ولم يهجر من أظهر الخير ، وإن كان منافقا .

فهذا الهجر هو بمنزلة التعزير .

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات ، وفعل المحرمات . كتارك الصلاة والزكاة ، والمتظاهر بالمظالم والفواحش ، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع .

وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ولا يصلى خلفهم ، ولا يؤخذ عنهم العلم ، ولا يناكحون . فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا .

---

(١) وهم كعب بن مالك من بني سلمة ، ومرارة بن الربيع العمري من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية الواقفي رضي الله عنهم وأرضاهم .

ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية . لأن الداعية أظهر المنكرات ، فاستحق العقوبة . بخلاف الكاتم . فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ، ويَكِلُ سرائرهم إلى الله ، مع علمه بحال كثير منهم .

ولهذا جاء في الحديث « إن المعصية إذا خفيت : لم تَضُرَّ إلا صاحبها ، ولكن إذا أعلنت ، فلم تُنْكَر : ضرت العامة وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الناس إذا رأوا المنكر ، فلم يغَيِّرُوه ، أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها وتغييرها ، بخلاف الباطنة . فإن عقوبتها على صاحبها خاصة .

وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين ، في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم .

فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ، ورجوع العامة عن مثل حاله .

فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة ، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفته : كان مشروعاً . وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك . بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته : لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر . والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف أقواما ، ويهجر آخرين .

وقد يكون المؤلفة قلوبهم أشر حالا في الدين من المهجورين ، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم ، لما كان أولئك سادة مطاعون في عشائرهم . كانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم . وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنون سواهم كثيرون . فكان في هجرهم عز الدين ، وتطهيرهم من ذنوبهم .

وهذا كما أن المشروع في العدو : القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة . وكل ذلك بحسب الأحوال والمصالح .

وجواب الأئمة : كأحمد وغيره ، في هذا الباب : مبنى على هذا الأصل .

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التى كثرت فيها البدع ، كما كثر القَدَرية فى البصرة ، والتجهّم بخراسان ، والتشيع بالكوفة . وبين ما ليس كذلك . ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم .

وإذا عرف مقصود الشريعة : سلك فى حصوله ، أوصَل الطريق إليه .

وإذا عرف هذا ، فالهجرة الشرعية هى من الأعمال التى أمر الله تعالى بها ورسوله صلى الله عليه وسلم . والطاعات لابد أن تكون خالصة لله ، وأن تكون موافقة لأمره ، فتكون خالصة لله صوابا .

فمن هجر لهوى نفسه ، أو هجر هجراً غير مأمور به : كان خارجاً عن هذا .

وما أكثر ماتفعل النفوس ماتهواه ، ظانة أنها تفعله طاعة لله .

والهجر لأجل حظ الإنسان لايجوز أكثر من ثلاث . كما جاء فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

فلم يرخص النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الهجر أكثر من ثلاث . كما لم يرخص فى إحداد غير الزوجة على ميت أكثر من ثلاث .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس . فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شَحْناء . فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحان » .

فهذا الهجر لحق نفس الإنسان حرام . وإنما رخص صلى الله عليه وسلم فى بعضه . كما رخص للزوج أن يهجر امرأته فى المضجع إذا نَشَزَت ، وكما رخص فى هجر الثلاث المخلّفين .

فينبغى أن يفرق بين الهجر لحق الله ، وبين الهجر لحق نفسه .

فالأول مأمور به . والثانى : منهى عنه . لأن المؤمنين إخوة .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « لاتقاطعوا . ولا تدابروا . ولا تباغضوا . ولا تحاسدوا . وكونوا عباد الله إخوانا » .

وقال صلى الله عليه وسلم ، فى الحديث الذى فى السنن « ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : إصلاح ذات البين . فإن فساد ذات البين هى الحالقة . لا أقول: تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

وقال فى الحديث الصحيح « مثل المؤمنين فى توادِّهِمْ وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعَى له سائر الجسد بالحمى والسَّهَر » .

وهذا لأن الهجر هو من باب العقوبات الشرعية . فهو من جنس الجهاد فى سبيل الله . وهذا إنما يفعل لأجل أن تكون كلمة الله هى العليا ، ويكون الدين كله لله .
والمؤمن عليه أن يعادى فى الله ، ويوالى فى الله .

فإذا كان هناك مؤمن . فعليه أن يواليه وإن ظلمه . فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى (٤٩ : ٨ ، ٩ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تَبْغِى حتى تَفِيءَ إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة) .

فجعلهم إخوة مع وجود الاقتتال والبغى . وأمر بالإصلاح بينهم .

فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين . فما أكثر مايلتبس أحدهما بالآخر .

ولتعلم أن المؤمن تجب موالاته ، وإن ظلمك واعتدى عليك . والكافر تجب معاداته ، وإن أعطاك وأحسن إليك . فإن الله سبحانه بعث الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله . فيكون الحب له ولأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه . والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه .

فإذا اجتمع فى الرجل الواحد خير وشر ، وبر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير . واستحق من المعاداة والعقاب بحسب مافيه من الشر .

فيجتمع فى الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة . فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير ، تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال مايكفيه لحاجته .

هذا هو الأصل الذى اتفق عليه أهل السنة والجماعة .

وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه . فلم يجعلوا النـاس إلا مستحقاً للثواب فقط . أو مستحقاً للعقاب فقط .

وأهل السنة يقولون : إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه ، ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له فى الشفاعة ، و بفضل رحمته . كما استفاضت بذلك السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وسلم .

صلاة العيــــد

ستؤدى جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة عيد الفطر المبارك بميدان الجمهورية كعادتها السنوية كل عام . أعاده الله على المسلمين بالعزة والنصر على الأعداء . بقيـادة الرئيس العظيم بطل العروبة السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة أدام الله توفيقه .

الولاية فرض على كل مؤمن ومؤمنة

لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

إى ، وربى إنه لحق !

إنه لحق وإن جهله الجاهلون ، وجحده المكابرون ، وتنكر له الغافلون .

إنه لحق أقرّ به السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ووطنوا نفوسهم على النهوض بأعبائه ، والاضطلاع بتبعاته .

ما الولاية ؟

الولاية مجموع أمرين اثنين لا ثالث لهما : هما الإيمان والتقوى . ولا شيء وراء هذا ، فمن آمن واتقى فهو الولى . لا شك فى هذا ولا مراء .

دليل هذا قول الله تعالى فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . قال تعالى فى سورة يونس : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ٦٢ الذين آمنوا وكانوا يتقون ٦٣ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . لا تبديل لكلمات الله . ذلك هو الفوز العظيم ٦٤) .

* * *

والناس أمام الولاية ثلاث طوائف : طائفة آمنوا واتقوا ، وهم الأولياء .

وطائفة آمنوا ولم يتقوا وهم الفاسقون : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض . وليس بين هؤلاء الفاسقين وبين الولاية إلا التوبة النصوح ، فإذا تابوا وأنابوا إلى ربهم ، وأخلصوا دينهم لله ، وعملوا الصالحات ، واجتنبوا السيئات صاروا أولياء بمجرد التوبة الصادقة بغير إمهال .

والثالثة : طائفة من لم يؤمنوا ولم يتقوا ، وهم الكافرون ، وليس بينهم وبين الولاية إلا الإيمان والتقوى ، فأن هم آمنوا واتقوا أصبحوا من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

الولاية إيمان وتقوى !

والإيمان فرض . قال الله تعالى فى سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً : ١٣٦)

هذا أمر ، والأمر يقتضى الفرضية .

والتقوى فرض .

قال الله تعالى فى سورة آل عمران : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن وإلا وأنتم مسلمون : ١٠٢)

وقال تعالى فى سورة المائدة : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ٣٥)

وقال تعالى فى سورة الحشر : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ١٨) .

فنى هذه الآيات الكريمات أمر بالتقوى والأمر فى أصله يقتضى الفرضية ، وبذلك تكون التقوى فرضاً .

وما دام ركنا الولاية وهما الإيمان والتقوى مفروضين كانت الولاية المؤلفة منهما فرضاً لا يمارئ فى ذلك إلا من سفه نفسه ، وغبن رأيه وألغى عقله وضل ضلالاً بعيداً .

* * *

ولقد طالبنا الله صراحة بالولاية فى سورة الصف . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ١٤) .

ونصرة الله هى ولايته ، فأنصار الله أولياء الله ، فمطالبة المؤمنين بأن يكونوا أنصار الله هى مطالبتهم بأن يكونوا أولياء الله .

* * *

من لم يكن ولياً لله تعالى كان واحداً من اثنين :

فإما أن يكون فاسقاً ، إن آمن ولم يتق . و إما أن يكون كافراً ، إن لم يؤمن ولم يتق .

ولا ثالث لهما .

فلينظر المسلمون أين يضعون أنفسهم .

ليس من شروط الولاية أن يكون الولى مجذو باً أو معتوهاً أو سائل اللعاب ، أو ممزق الإهاب ، أو رث الثياب ، بل الأولياء يبرءون من هذه العاهات ، منزهون عن هذه الوصمات .

كما أنه ليس من شروطها إبراز الكرامات ، و إظهار خوارق العادات .

* * *

زعم الذين غلبت الغفلة والجهالة على عقولهم أن الولاية منحة تنزل من السماء ، ومن تصادفه يكن وَلِيًّا أيًّا مايكن ، ولو كان من غير المؤمنين ، بل ولو كان من غير البشر .

اجتمع فريق من المتصوفة فى مولد من موالد بعض من يسمونهم أولياء حول النصب الذى ينصبونه ليجمعوا حول البله والمجانين والمحتالين والدجالين ، و إذا بكلب يثب فى بهرة الحلقة ، فتصدى لهم بعضهم يريد أن يطرده ، ولكن شيخهم انتهر ذلك الذى حاول أن يطرد الكلب قائلاً له فى صرخة مزعجة :

دعه : خشية أن يكون منهم ! ! .

* * *

لا جرم أن هؤلاء القوم ينكرون حكمة الحكيم سبحانه ، ويعتقدون أنه يوزع الولاية جزافاً ، ويفرقها عبثاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

نضر الله امرءاً وعى مقالتى هذه فعمل بها وحقق الولاية فى نفسه ودعا إخوانه إلى أن يحققوها فى أنفسهم حتى يكونوا من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

خطبة منـــــــــبرية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة فى الدنيا والآخرة للمتقين ، والفوز والنجاح والعزة للمؤمنين ، والخيبة والخسران على المشركين الكافرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة أرجو بها رضاه ، وأسأله ولا أسأل سواه . لا أتخذ من دونه الأولياء ، ولا أتقرب إليه بالوسطاء ، ولا أتوسل إليه بالشفعاء . فهو سبحانه السميع القريب المجيب ، وقد أنزل فى كتابه (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) وقال سبحانه (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا بشيراً ونذيرا ، فبشر وأنذر ، بشر المؤمنين الذى اتبعوه وأطاعوه بالجنة والرضوان ، وأنذر الكافرين الذين خالفوا عن أمره بالنار والعذاب والهوان . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

ويقول الله سبحانه وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ، ورزق كريم) صدق الله العظيم . هذه يا إخوانى بعض الآيات التى يذكر الله سبحانه وتعالى فيها صفات المؤمنين

يقول الله تبارك وتعالى إن هؤلاء المؤمنين الذين يكون نصيبهم الفلاح فى الدنيا ، ووراثة الفردوس يوم القيامة . يكون من أبرز صفاتهم المحافظة على الصلوات ، والخشوع فيها ، وأدائها كاملة الأركان ، كاملة الاطمئنان . أما الذين يؤدونها نقرا كنقر الغراب ، فلا يمكن أن يكونوا من الخاشعين المحافظين عليها . ومن صفاتهم أنهم للزكاة فاعلون ، فينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته . والمال كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه محك الإيمان ، فإن له فى النفوس مكانة عظيمة ، وهو شقيق الروح ، ولا يمكن أن يخرجه سمحة به نفسه إلا من كان فى قلبه دافعاً أقوى منه وهو الإيمان . أما من كانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ـ نسأل الله أن لا يجعلنا منهم ـ فإن الله سبحانه وتعالى يعاقبه بأن يجعل الفقر بين عينيه ـ والعياذ بالله ـ فلا تزال نيران الجشع والطمع والحرص والبخل مشتعلة فى قلبه حتى تفسد عليه حياته كلها ، فتجده يمنع حق الله ، وحق الأرحام ، بل حق نفسه وامرته .

ومن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم يعرضون عن اللغو والباطل وسفاسف الأمور ، ويكون همهم دائماً الحق والهدى ومعالى الأمور . إنهم دائماً يسعون لرفعة الأمة أكثر مما يسعون لأنفسهم ، إن نفوسهم تكون مطبوعة على الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الإسلام هى العليا . إنهم آمنوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله) فاتخذوا قوله شعاراً لهم فى الحياة ، فهم فى جهاد دائم وسعى دائب لاخراج الناس من ظلمات الجهل والجاهلية ، إلى نور العلم والإيمان ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومن صفات المؤمنين أنهم يغضون أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، خصوصا فى هذا الزمان الذى امتلأ فيه الدنيا كلها بأسباب الفتنة والتبرج . فى هذا الزمان الذى انقلبت فطر الرجولة فيه من الغيرة على الأعراض إلى التفريط فيها . إن الآباء والأزواج والأخوة أصبحوا لا يخجلون من دفع أعراضهم من البنات والأزواج والأخوات إلى التبرج . بل وتقديمهم

وتعريفهم بالأجانب عنهم من الذئاب . لقد صرنا إلى أيام تعير فيه بالجمود والرجعية والتخلف عن ركب الحياة ، والتأخر إذا حاولت أن تتمسك بالمثل والأخلاق الإسلامية ، لقد كثر أعوان الشر من شياطين الإنس والجن ، وعدم الأعوان على الخير والصلاح والتقوى . لقد أصبحنا فى الزمن الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من ورائكم أياماً الصابر فيهن المستمسك بدينه كالقابض على النار ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم . قلنا : منا أم منهم يا رسول الله ؟ قال بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون على الخير أعواناً) .

ومن صفات المؤمنين أنهم لأماناتهم وعهدهم راعون ، وذلك ليقظة ضمائرهم ، وحياة قلوبهم ، وأنهم يتأسون فى كل شئونهم بالمثل الكامل للإنسانية الكريمة ، رسولنا وقدوتنا عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فقد كان من أبرز صفاته عليه السلام الأمانة حتى لَقَّبَه قومه (بمحمد الأمين) من قبل الرسالة .

والأمانة تكون فى كل شيء ، تكون فى الأفعال والأعمال يؤديها على أحسن الوجوه ، واضبطها سواء كان عملاً للدين أو للدنيا ، وتكون الأمانة فى الأقوال ، فلا يكذب ولا ينافق ولا يرائى ، إنما الصدقَ والحقيقة لايبالى مايكون بعدهما ، وتكون الأمانة فى كل حركة وسكنة وحال ، فلا يغمز خائناً ، ولا يستمع متلصصاً ، ولا يسعى غادراً ، ولا يبطش فاجراً . بل إنه لايهمز ولا يفخر ولا يكون فى أى شأن من شئونه إلا أميناً صادقاً . ذلك كله فوق أنه أمين على مايسترعى ويستأمن من أموال الناس وودائعهم وما يحرصون عليه .

ومن صفات المؤمنين أنهم يوفون بالعهد ، فلا يغدرون ولا ينكثون ، لا يحلفون بالله ولا ينقضون الميثاق . أما الذين يحلفون و يغدرون فهم المنافقون الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم إذا وعدوا أخلفوا ، و إذا عاهدوا غدروا .

ومن صفات المؤمنين : تقوى الله فى السر والعلن ، وأنهم يقدمون أوامره ومحابه وما يرتضيه ، ولو كانت مخالفة لما تهوى أنفسهم ، و يحبها أهلوهم ، وترضى عشيرتهم .

فإذا ذكر الله وجلت قلوبهم خوفاً ورجاء ، ورغباً ورهباً ، وخشية وخشوعاً . و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً .

وكذلك القرآن ياإخوانى يفعل فى نفوس المؤمنين ويؤثر فيها ويملؤها إيماناً وهدًى وخيراً . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » فكيف لايزداد من يتلو كتاب الله إيماناً ، وذلك شأنه . كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم ، يدعو بعضهم بعضاً لتلاوة كتاب الله ، فيقول أحدهم للآخر : تعالوا نؤمن ساعة . فكانوا يسمون تلاوة القرآن : إيماناً . وإنه من غير المعقول أن يؤمن إنسان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر إلا إذا قرأ القرآن وتدبره وفهمه وفهم بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

اللهم إنا نسألك أن توفقنا وتهدينا إلى ذلك ، وأن توفق المسلمين جميعاً إليه ، اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الليل والنهار ، وجعل الظلمات والنور ، لتكون للناس آيات بينات واضحات ليخرجهم من الجهل إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى . وهو الذى أنزل كتابه الكريم آيات مفصلات لمن أراد أن يذكر ويهتدى إلى صراط الله المستقيم .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى طريق الهدى والرشاد ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وأول المسلمين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الإيمان بضع وسبعون شعبة . أعلاها :قول لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » والإيمان يضعف ويقوى ، ويزيد وينقص . فكلما زادت معرفتك بالله وآياته وسننه وآلائه : زاد إيمانك ، وكلما نقصت المعرفة نقص الإيمان ، وكلما قوى اتصالك بكتاب الله ، وهدى رسول الله ، وقوى

مخالطتك لجماعة المسلمين : قوى إيمانك ، ومن هجر كتاب الله ، ونبذ هدى رسول الله ، وفارق الجماعة : نقص إيمانه ، إن لم نقل إنه يتلاشى .

فأعلا شعب الإيمان (لاإله إلا الله) وهى الكلمة الطيبة التى شبهها الله بالشجرة الطيبة ، لأنها إذا نبتت وترعرعت فى القلب أثمرت أطيب الثمرات عملاً صالحاً فى الجوارح ، فأعمال الناس دائماً دليل على مافى قلوبهم ، وكلمة (لاإله إلا الله) كفر وإيمان : كفر بالطاغوت وإيمان بالله ، (فلا إله) كفر بكل ما اتخذ الناس قديماً وحديثاً من آلهة باطلة ، (وإلا الله) إيمان بالله : الخالق ، البارىء ، المصور الذى له الأسماء الحسنى .

ومن صفات المؤمنين أن لايقدموا شيئاً بين يدى الله ورسوله ، فلايقدموا على أمرالله ، ونهيه ، وقوله ، وهدى رسوله أمراً لا نهياً ولا قولاً لأحد كائناً من كان . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أن يكون حبه وما تهوى نفسه مع ماجاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله الحكيم الخبير .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » والإنسان بطبعه وفطرته يحب الخير والسعادة لنفسه ، ويحب الله سبحانه وتعالى من المؤمن أن يحب الخير والسعادة للبشرية جميعاً ، وأن يكون قلبه محلا للسلامة والحب لإخوانه من بنى آدم ، ولا يحب منه أن يجعل قلبه مباءة للكراهية والحسد والبغضاء :

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه » أى أذاه بالقول أو بالعمل : لا يحسده ، ولا يحقره ، ولا يغتابه . ولا يتجسس عليه .

ويقول عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليحسن إلى جاره » .

وليس الإيمان دعوى ندعيها ، ولا شقشقة لسان نتشدق بها ، إنما الإيمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، وأما الذين يتيهون فى الأوهام ، ويتخبطون فى ظلمات الجهل والضلال ، ويتشبثون بالأمانى ، ويتمنون إيماناً كإيمان العجائز ، وأنهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام بدون علم ولا عمل ، وأنهم المسلمون بالولادة والوراثة والبيئة ، وأنهم

فى حسب فلان أو فلانة من الموتى أو الأحياء ، كل ذلك وهم وضلال وباطل لا يغنى عن الحق شيئاً و إيمان فاسد كاذب .

أما الإيمان الصادق ، فهو الإيمان المبنى على أساس من العلم بكتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الإيمان الصادق : هو الذى يغرس فى القلب حب الله وحب رسوله ، ويقدم حبهما على حب ماله وولده وزوجه ونفسه التى بين جنبيه .

الإيمان الصادق : هو الذى يثمر الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة الكريمة .

لا أدرى ، كيف يفهم بعض الناس أنه قد يكون إيمان بغير عمل ؟ .

ألم يفهموا قول الله تعالى فى آيات كثيرة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ؟ .

وقوله تعالى (إن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا) ؟ . أى آمنوا بالله واستقاموا على العمل الصالح . كما أمر و بَيَّن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد سأل أحد أصحابه مرة قل لى يارسول الله فى الإسلام قولاً لا أسأل بعده أحداً أبداً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل : آمنت بالله ثم استقم ». وفى هذه الكلمة الجامعة ضم الرسول عليه الصلاة والسلام طرفى الإسلام : الإيمان ، والعمل . فلا يمكن أن يكون فى القلب إيمان بالله واليوم الآخر ثم لا يبعث صاحبه على العمل بأوامر الله ، راغباً فى عفوه ورحمته ، ومغفرته ورضوانه وجنته ، راهباً من عقوبته ، وشديد عذابه ، ونكاله ، والعياذ بالله .

اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا ، وتستر عيوبنا ، وتيسر لنا أمورنا . اللهم ارزقنا إيماناً صادقاً ، ووفقنا للعمل الصالح ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . اللهم وفق المسلمين جميعاً لذلك، اللهم خذ بنواصينا وقلوبنا ، ونواصى وقلوب رؤساءنا وقادتنا إلى ماتحب لنا ولهم من العمل الصالح ، والفلاح فى الدنيا والآخرة ، إنك ياربنا سميع مجيب .

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم) اللهم اختم لنا بخاتمة الإيمان . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

آفة الجمـــاعة الإسلامية

التفرق والاختلاف — ١ —

للأديب عبد السلام رزق الطويل

« يسرني أن أبدأ هذه السلسلة ، وقد بزغت شمس الوحدة العربية واستضاء بنورها مصر وسورية ، بقيادة بطلين : شاب شهم شجاع ، وشيخ مضح نبيل . نرجوا أن يجتمع العرب تحت لوائها فهم — برغم كيد الاستعمار — أمة واحدة » .

قبل أن أتحدث عن هذا الموضوع كآفة حلت بالجماعة الإسلامية ، يجدر بي أن أقدم بين يدي بحثي هذا نظرة مجلي ، أتناول فيها الروابط التي تربط بين بني الإنسان في مختلف الأزمان والأعصار ، مهما تباعدت بهم الديار ، واشتطت الأمصار .

غريزة الاجتماع ومزيتها : سنة الله في البشر ، وحكمته في بني الإنسان أن جعل الاجتماع سبيل سعادتهم ، ومعراج رقيهم ، وسلم فلاحهم ، فلا يصلون إلى مجد ، ولا يرتقون إلى حضارة ولا يكسبون مدنية إلا إذا كانت وسيلتهم اجتماعا ، والتئاما ، واتفاقا . فبالاجتماع تتلاقى الكفايات ، وتجتمع مصادر الخير ، وتتوحد منابع القوة ، فيعمل الساعد الفتي بإرشاد العقل الذكي لإسعاد الجماعة التي ينضوي تحت لوائها الجميع ، ولهذا جعل الله تعالى حب الاجتماع غريزة في الإنسان يميل إليها بطبعه ، ويهفو إليها بفطرته ، ويفر إلى بني جنسه فرار الظبي إلى كناسه ، والطير إلى وكره حتى أثر عن علماء الاجتماع القدامى « الانسان مدني بالطبع » وذلك لأن حب الجماعة مغروس فيه ، مركوز في جوانحه ، لأنه لا يستطيع أن يقضي جميع شئونه بنفسه ، ويحقق — فريدا — رغبات عيشه ، ومطالب فؤاده ، فلابد من تلاقي الجماعة ، وتكاتفها لتحقيق مطالب الجميع وإسعادهم .

تحدث الله تعالى عن هذه الرابطة الإجتماعية الأولى حين قال : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وحين قال : (كان الناس أمة واحدة) ونلمسها فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس إن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب » وفى قوله : (يد الله مع الجماعة) .

أثر الإجتماع فى الأفراد : لكن الجماعة إذا سارت على ضوء عقلها ، واهتدت بهدى أفكارها لن تصل إلى غايتها لأن عقول البشر ـ مهما ذكت ـ كليلة ، وأفكارهم ـ مهما نضجت ـ عليلة ، لأنها إن أبصرت المحسوس لن تبصر المعقول ، وإن أدركت شيئاً من عالم الشهادة عزب عن إدراكها كل شىء من عالم الغيب ، فتهيم فى متاهات الخرافات ، وتضل فى بيداء الشرك وعبادة الأوثان ، وتنطبع هذه الاتجاهات للجماعة فى نفوس أفرادها ، فما يكاد يبرز فى بيئتها طفل حتى تسارع إلى صقله بصقالها ، وطبعه بطابعها ، يبين أثر الجماعة فى الفرد أجلى بيان قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ فطرة الله التى فطر الناس عليها ،لاتبديل لخلق الله » ثم ينقادالفرد للجماعة ، ويذعن للعقل الفردى ، للعقل الجماعى ، ويفقد شخصيته فقداناً كاملاً ، ويذوب فيها ذوباناً تاماً ، وهذا من آفات الجماعة ، لأنه إن صلح فى نواحى البذل والإيثار ، فسيكون ضرره أبلغ فى نواحى الفكر والعقائد ، وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هذا الانقياد فى الفرد محذراً له من فقدان الشخصية ، وحافزاً له على الاستقلال الفكرى ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « لايكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت . ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » وعقل الجماعة ، وتفكيرها الشخصى ، وحكمها يصدر غالباً بدون روية وإمعان مجرداً فى معظم أحواله عن الثبات والاتزان ، قائماً فى جل أمره على الارتجالية والاندفاع ، ولذلك يقول الله تعالى : (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) ، وحين جاء الرسول صلى الله عليه وسلم منذراً إلى قومه ، سارعت الجماعة الطائشة

الهائمة فى بيداء الضلال إلى تكذيبه واتهامه ، والتغلب على صوت القرآن يتلوه لهم بأصواتهم الجشة العتيدة ، لذلك دعاهم الرسول إلى التفكير ملياً ، والتأمل فردياً ، و الهدوء شيئاً ما ، والكف عن الضجيج والعجيج ، وأن يناقشوا بهدوء وجه الحق حتى يتضح ، و يبحثوا بتمعن عن طريق الخير حتى ينكشف . فيقول تعالى : (قل : إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) .

رابطة الدين : ومن هذا يتجلى لنا أن هذه الغريزة وحدها لا تصلح بحال أن تكون أساساً لإسعاد البشر . لأن عقل الإنسان لم يصل إلى درجة من القوة تجعله يستطيع التوفيق بين العقل الفردى ، والعقل الجماعى ، كما أن عقل الإنسان كما ذكرنا لا يستطيع أن يخترق حجب الغيب ليصل إلى ما وراءه من آثار كبار ، وملك عظيم ، إذا لابد من الدين ، ولابد أن يكون من عند الله العليم بذات الصدور ، والخبير بطوايا النفوس ، واللطيف الذى يدرك مكنون الضمير ، إذ هو وحده الذى يضع العلاج الشافى ، والدواء الناجع لهذه الجماعة الهائمة ، ويخط الطريق السوى لتلك الفئات الضالة الشاردة،فكان إرسال الرسل ليكونوا دعاة للحق فى الأرض ، ورواداً للتوحيد بين الناس ، يحملون من عند الله كتبا هى قانون الجماعة الذى تتحاكم إليه ، وتلجأ إليه فى اختلافها ليفصل فيه ، ولهذا نرى القرآن الكريم يرتب بعثة الأنبياء على وحدة الأمة حيث يقول : (كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) . إذا الدين هو أصدق رابطة ، وأوثق عروة يرتبط بها بنى الإنسان ، وكان الدين فى كل زمان مخرج الجماعات من أزماتها ، ومنقذها من ضلالها ، وهاديها إلى سواء السبيل ، وكانت هذه البعثات المختلفات ، والرسالات المتنوعات ، ماهو إلا محاولات ناجحة لإصلاح شأن الجماعة فى أحيان فسادها ، وأوقات خلافها ، وكانت كومضات النور فى الليل البهيم ، وأشعة الضوء فى دياجير الظلام ، حتى يطمس معالمها البشر ، وتفسدها يد الناس ، فتلحقها شريعة أخرى تحى مادرس ، وتكمل مانقص ، وتزيد مايلائم البيئة ، وما يتفق وأحوال الأمة المرسل

إليها ، وهى مع هذا كله متفقة الأصول ، متحدة فى الاتجاهات العامة ، متتامة ، متكاملة غير متنازعة ، ولا متشاكسة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » بمعنى أن الاختلاف كان فى فروع التشريع التى تختلف طبيعتها باختلاف الأزمان والعصور .

دين الإنسانية : وكانت هذه الشرائع كلها لتربية الإنسانية وتعهدها فى دور صباها ، وتبلغ رشدها وتستعد لتلقى الرسالة الكبرى العامة الشاملة ، الخاتمة لرسالات الرسل ، الخالدة الباقية ، تلك الرسالة التى جمعت وسائل الفلاح ، وحملت صنوف الأدوية تعالج بها أسقام الحياة فى مناحيها المختلفة ، وفى جوانبها المتعددة ، من عقيدة وعبادة ، وأخلاق واجتماع ، وسياسة واقتصاد ، فهى قد تعرضت لصفات الجماعة المثلى ، والأمة الراقية ، وهى بهذا تدل أبلغ دلالة على صلاحيتها لهداية الإنسان فى كل عصور نهضته ، وفى جميع أماكن إقامته يدل على الارتباط الوثيق بين الرسالة المحمدية والرسالات السابقة أن من مبادىء الدعوة الإسلامية الإيمان بكل من أرسل الله من رسله ، وما أنزل من كتب ، لأنها كانت عوامل فعالة لتهيئة الإنسان لتلقى الرسالة الكبرى ، فيقول تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله) ، (ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً مبينا) . كما يصور لنا هذه الرابطة ، ويبين لنا منزلة هذه الرسالة مما قبلها ، قوله عليه الصلاة والسلام : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فقال الناس : ما أحسن هذا البيت ! ؟ لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

هذه الأدلة كلها تشير إشارة صريحة إلى أن الرسالة المحمدية فى قمة الرسالات ، وأنه عند نزولها أصبح البشر على استعداد لتلقى القانون الخالد ، وأنهم بها سيصلون إلى ذروة التحضر والارتقاء ، إذا عملوا بها ، وقاموا على حدودها ، ونصبوا من أنفسهم حراساً على مبادئها .

دين العالم : ونرى هناك دلالة قوية على هذا التقارب منبثة فى كثير من آيات القرآن تفيد ترابط الأديان ، وشمول الإسلام لها كلها ، حيث إن هذا الاسم كان علماً على دين إبراهيم وأبنائه من قبل ، فيقول تعالى (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يابنىّ إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق إلهاً واحداً ، ونحن له مسلمون) .

كما تشير الآية الأخيرة من سورة الحج إلى اصطفاء الله تعالى لهذه الأمة ، وارتباطها بملة إبراهيم ، وإطلاق هذا الاسم عليها منذ قديم ، فيقول تعالى : (وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

إن الإسلام منتهى ما كسبه البشر من وحى السماء ، وقمة ماوصل إليه الإنسان من هداية الله . ولذا فلن يقبل الله من بشر أن يدين بسواه ، أو يلتمس علائم الهدى من غيره معرضاً عن سواه . قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) ، كما قال تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ، كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لايهدى القوم الظالمين) .

أجل ، إنه منتهى ظلم الإنسان لنفسه ، أن يحجبها عن الهدى ، ويكفر بالبينات الواضحه ، ويعرض عن أم الشرائع ، شريعة الإسلام .

أما أثر الإسلام فى العالم ، وجمعه لشتات الشعوب ، وسموه بالعالم ، ثم ظهور بذور الشقاق ، وسريان نار الاختلاف فيه ، ثم الحديث عن أسباب ذلك ، فذلك موضوع المقالات المقبلة إن شاء الله .

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبتها

ا — الأسئلة :

السيد الأستاذ أبو الوفاء محمد درويش

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم . وبعد فنرجو أن تجيبوا عن الأسئلة الآتية ولكم من الله حسن المثوبة :

س ١ — قرأنا فى بعض الكتب أن الماء المستعمل فى الوضوء أو الغسل يجوز استعماله مرة أخرى ، أى يصح الوضوء والغسل به . فما رأيكم فى هذا الحكم ؟

س ٢ — سمعنا شخصاً من المنسوبين إلى العلم يقول : إن سنن الصلاة ترقيع لفروضها ، وأن سنن الصلاة بمثابة الترقيع للثوب . فما مبلغ هذا القول من الصحة ؟

س ٣ — هل يجوز الاقتداء بالمسبوق فى الصلاة ؟

ورجاؤنا أن تكون الإجابة على صفحات مجلة الهدى النبوى الغراء لتعم بها الفائدة .

والسلام عليكم ورحمة الله . من قراء المجلة بسنهوت . مينا القمح . شرقية

متولى محمود . على السيد على . إبراهيم يس

ب — الأجوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

جـ ١ — اختلف أهل العلم فى حكم الماء المستعمل فى قُربة ، أو رفع حدث :

أهو طاهر مطهر ، أم طاهر غير مطهر ، أم نجس .

أما أبو حنيفة ، فقد اختلفت الرواية عنه : فروى عنه الحسن أنه نجس نجاسة غليظة . وروى أبو يوسف أنه نجس نجاسة مخففة . وروى محمد أنه طاهر غير مطهر . وهذا هو الرأى المعتمد عند الحنفية كما فى شرح الكنز للزيلعى .

وأما الإمام مالك فقد قال : إنه طاهر غير مطهر ، ولـكن يجوز منه الوضوء عند عدم وجود غيره .

وقال الشـافعى وأحمد : إنه طاهر غير طهور فلا يجزىء منه الوضوء ولا الغسل (انظر الروضة الندية)

وقد اختلفوا كذلك فى تعريف الماء المستعمل اختلافا لا أجد فى إيراده كبير فائدة .

ولم أر أحداً من أصحاب هذه الأقوال أورد نصاً من السنة يؤيد قوله .

وقال الإمام ابن حزم : إنه طاهر طهور يجوز الوضوء والغسل به . ونقل هذا القول عن الحسن البصرى ، وإبراهيم النخعى ، وعطاء بن أبى رباح ، وسفيان الثورى وغيرهم .

وقد استدل على إباحة استعمال الماء المستعمل فى الوضوء والغسل بما جاء فى سنن أبى داود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : مسح رأسه من فضل ماء كان فى يده وقد رواه الدارقطنى بلفظ : توضـأ ومسح رأسه ببلل يديه . كما استدل بأن الصحابة كانوا يتمسحون بوضوئه صلى الله عليه وسلم إذا توضأ ، وبأنه صلى الله عليه وسلم سقى إنساناً ذلك الوضوء ، وبأنه توضأ وصب وضوءه على جابر بن عبد الله .

وقد كتب ابن حزم فى تعزيز رأيه والرد على مخالفيه مايزيد على سبع صفحات من كتابه « المحلى »

وعندى أن جميع ما استدل به لايثبت إلا طهارة الماء المستعمل ، ولـكنه لايثبت جواز استعماله فى إزالة الحدث مرة أخرى .

فحديث مسح الرسول صلى الله عليه وسلم رأسه ببلل يديه لايدل على أن الماء المستعمل يجوز استعماله مرة أخرى ، لأن البلل القائم باليد لايعتبر ماء مستعملا لاشتراطهم فى المـاء المستعمل أن يكون منفصلا عن العضو ، وهذا لم ينفصل . ورواية أبى داود لاتدل على أن الماء الذى كان بيده مستعمل .

وكذلك تمسح الصحابة بوضوئه صلى الله عليه وسلم وسقيه الإنسان ، وصبه على جابر بن عبد الله . كل هذا لايثبت إلا طهارته فقط .

ولم أقف فيما بين يدى من كتب السنة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم توضأ وجميع

ماتقاطر من الماء من أعضــاء الوضوء فى إناء ثم عاد فتوضأ منه مرة أخرى ، كما لم أجد أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل فى إناء ثم عاد فتوضأ من الماء الذى تساقط من جسده الشريف أو اغتسل به مرة أخرى أو أذن فى الوضوء أو الاغتسال منه ، أو أقر أحداً على ذلك .

وإذا راعينا بعد هذا كله ، أن الماء المستعمل استعمل فى المضمضة وقد يكون فى اللثة أو الأسنان بعض الأمراض ، وفى الاستنشاق وقد يكون الشخص مزكوم ، وفى غسل الوجه والعينين وقد تكونان مصابتين ببعض الأرماد . وفى غسل عرق أصابع القدمين . إذا راعينا كل هذا مع عدم ورود مايدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمله أو أذن فى استعماله . ترجح لدينا عدم جواز استعماله . والله أعلم .

* * *

جـ ٢ — لم أقف فى كتب السنة التى اطلعت عليها على عبــارة كهذه العبارة . ولعل قائلها يقصــد : أن النوافل جوابر لما يقع فى صلاة الفرض من إخلال ببعض سننها أو مستحباتها ، لأن الحسنات يذهبن السيئات . وهــذا المعنى سائغ وإن كان اللفظ شنيعاً . وإن كان يقصد غير ذلك ، فلا معنى لهذا القول ، لأن أركان الصلاة إذا ضيعت لا تجبرها السنن . والله أعلم .

* * *

جـ ٣ — اختلف الفقهاء كذلك فى شأن الاقتداء بالمسبوق ؛ فقال المالــكية : من اقتدى بمسبوق أدرك مع إمامه ركعة : بطلت صلاته ، سواء أكان المقتــدى مسبوقا مثله أم لا .

وقال الحنفية : لايصح الاقتداء بالمــبوق ، سواء أأدرك مع إمامه ركعة أم أقل منها .

وقال الشافعية : لايصح الاقتداء بالمأموم مادام مأموماً . فإن اقتدى به بعــد أن سلم الإمام أو بعد أن نوى مفارقته (ونية المفارقة جائزة عندهم) صح الاقتداء به فيا عدا الجمعة .

وقال الحنابلة : لايصح الاقتداء بالمأموم مادام مأموماً ، فإن سلم إمامه وكان مسبوقا : صح اقتداء مثله به إلا فى صلاة الجمعة .

ويرى الإمام ابن حزم : أن الأفضل للمسبوقين الذين يتمون مافاتهم أن يقضوه بإمام

يؤمهم منهم لأنهم مأمورون بالصلاة جماعة . وقد استدل بما رواه عن ليث ، قال : دخلت مع ابن سابط فى أناس المسجد والإمام ساجد ، فسجد بعضنا وتهيأ بعضنا للسجود . فلما سلم الإمام قام ابن سابط فصلى بأصحابه ، فذكرت ذلك لعطاء فقال : كذلك ينبغى ، فقلت : إن هذا لا يفعل عندنا . قال : يفرقون « أى يخافون » ثم قال : هذا يبين أن الناس مضوا على أعمال سلاطين الجور المتأخرين .

وأضاف قائلا : وعن معمر عن قتادة : فى القوم يدخلون المسجد فيدركون فيه مع الإمام ركعة . قال : يقضون ما بقى عليهم يؤمهم أحدهم وهو قائم معهم فى الصف .

و يبدو لى أن هذا الاستدلال صحيح ، و إنما يتم ذلك إذا كان المسبوقون يعرفون هذا الحكم . والله أعلم .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧

في أي مكان تجده يتألق ويزهو



أنه الكرسي النموذجي

في المتانة ودقة الصناعة المصرية آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليـــات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكي شارع الخديوي إسماعيل

حسن علي حماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندي سجل تجاري ٤١١٠١

الأمانة حسن المعاملة الجودة

بمحلات

الحـــــاج زكير علي

تاجر عموم أصناف الخيش والحبـــــال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والجيوش والشركات

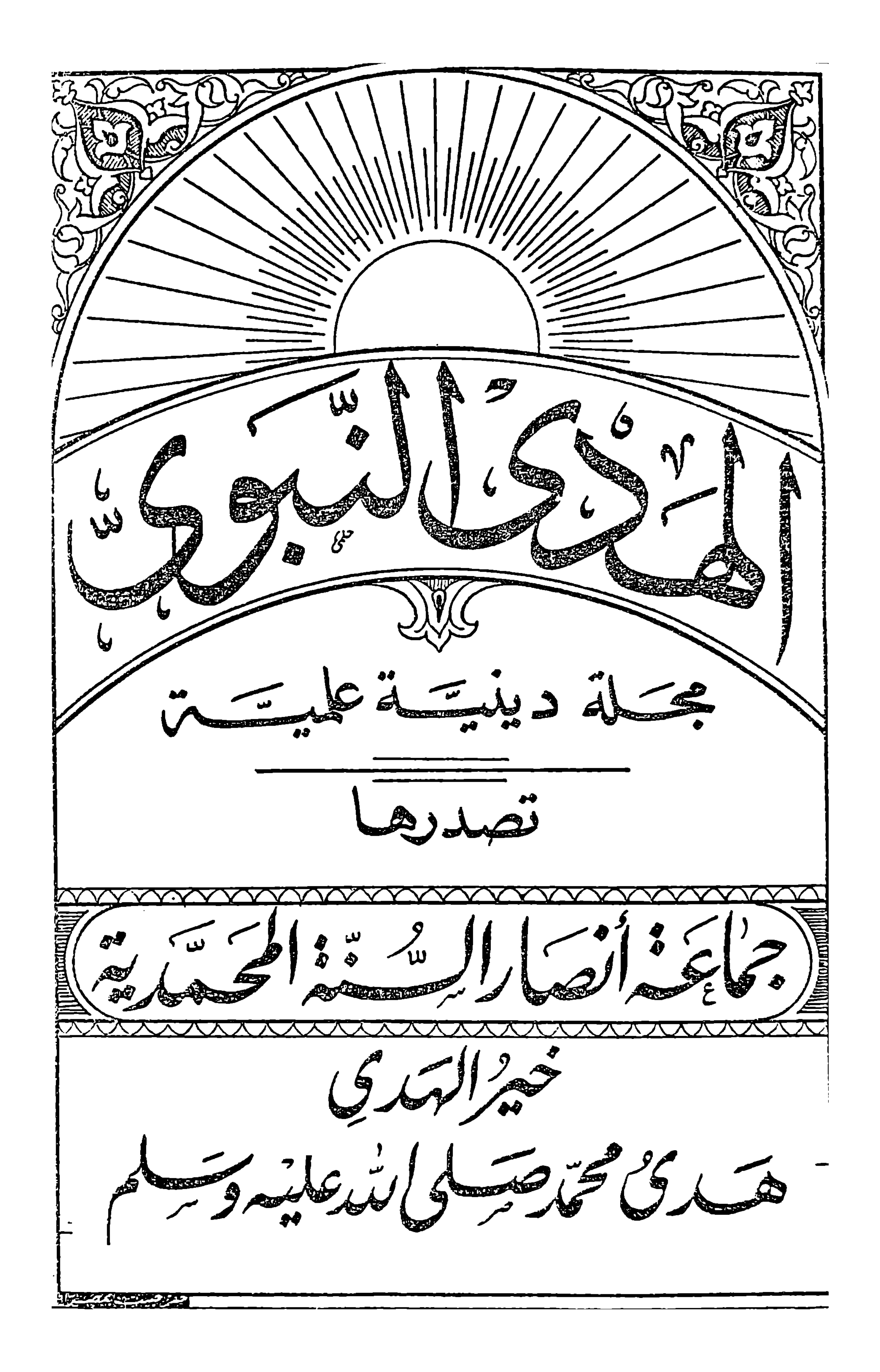
---

٥ شارع التمبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

---

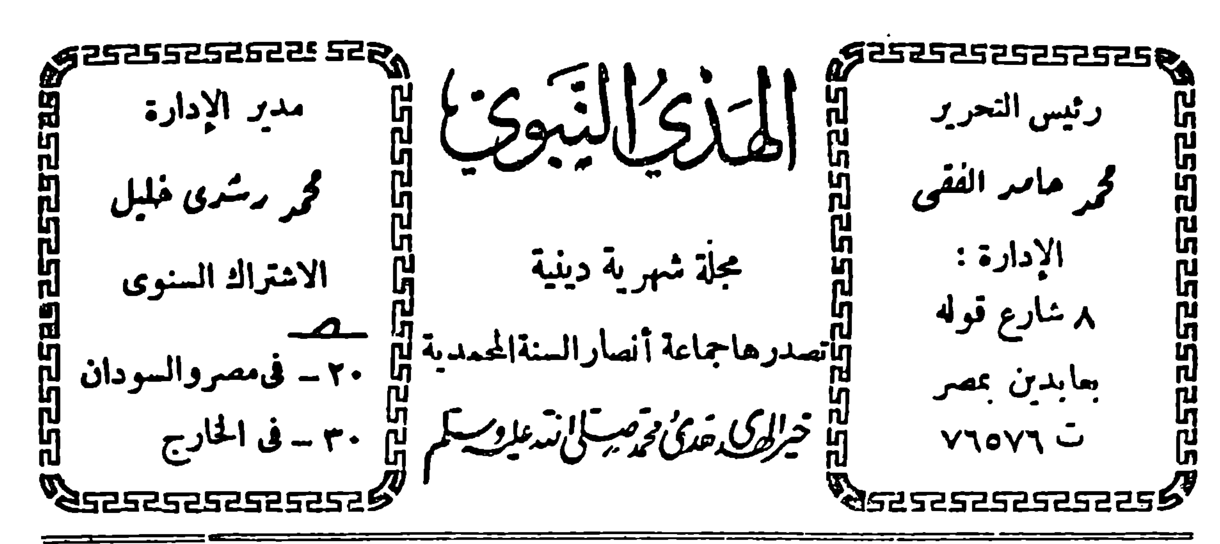
١٠ شارع الحمزاوي بوكالة مذكور تليفون ٥٤٣٦٨

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

الثمن ٢٠ مليما



المجلد ٢٢ — ذى القعدة – ذى الحجة سنة ١٣٧٧ — ١١ ، ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام دين واسع الأفق

للأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

من السمات البارزة التى يمتاز بها الإسلام من الدين كله أنه دين كريم سخى سمح صريح ، واضح القسمات ، بين المعالم ، لا غموض فيه ولا إبهام ، لا يضن بالسعادة على من يبتغيها بأسبابها ، وليس فيه أسرار خاصة يجود بها على قوم ، ويخفيها على آخرين ، يرحب بالإنسانية كلها ، ويدعو الناس جميعاً للانضواء تحت لوائه ، والتفيؤ فى ظلاله ويفتح باب الرحمة لمن فى الأرض كلهم جميعاً إذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات : يقول الله تعالى فى سورة البقرة : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٦٢) .

إن من شرع الإسلام هو من شرع ما سبقه من الدين ، وإن مرسل رسول الإسلام هو مرسل من تقدمه من المرسلين ، ومن أجل نجد الإسلام لايضيق بأحد من الناس يسير الجادّة ، ويسلك الصراط السوى ، ويساير فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وإنما ينعى على

المنحرفين الذين يمشون مكبين على وجوههم ، ناكبين عن سبيل الحق والخير والجمال ، داعين إلى التفرق والاختلاف . قال تعالى فى سورة الشورى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ، ويهدى إليه من ينيب ٣٣ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب : ٣٤) .

هذه دعوة صريحة واضحة ، تدعو البشرية كلها إلى الاجتماع على كلمة سواء ، وإلى إقامة الدين ، ونبذ التفرق فيه . هذا التفرق الذى هو من آثار قصر النظر ، وضيق الفكر ، والبلادة والجمود ؟ إذ ما دام البشر جميعاً قد خلقوا من ذكر وأنثى فلِمَ يتفرقون ويختلفون فى عبادة من خلقهم ؟ ولماذا لا يدينون ديناً واحداً وهو الدين الذى شرعه لهم وأوصى به رسله وأنبياءه . قال تعالى فى سورة المؤمنون : (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، إنى بما تعملون عليم ٥١ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ٥٢) فقد جعل سبحانه البشرية كلها من أتباع الرسل أمة واحدة لأنهم مجتمعون على الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات .

جواز الدخول فى رحمة الله الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الخير ، والإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل وعدم التفريق بين أحد من الرسل . قال تعالى فى سورة البقرة : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون : كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير : ٢٨٥) ؛ فقد فسر رب العزة جل شأنه ، إيمان الرسول والمؤمنين بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وعدم التفريق بين أحد من رسله . .

وقال تعالى فى سورة الأعراف : (ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ١٥٦ الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون : ١٥٧

والعقل والمنطق يشهدان بأن الذى لم يؤمن بجميع رسل الله لا يكون مؤمناً بالله . فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض لم يكن مؤمناً بالله لأنه ينكر قدرته تعالى على إرسال الرسول الذى كفر به ، وعلى تأييده بالآيات التى تشهد بصدق رسالته وتقوم مقام قوله تعالى : « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » .

من أجل ذلك أخذ الله ميثاق النبيين ليؤمنن بمن يأتيهم من الرسل مصدقاً لما معهم قال تعالى فى سورة آل عمران : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ؟ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا : أقررنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٨١ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون : ٨٢) .

ومصداق هذا أن المسيح عليه السلام بشر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى سورة الصف : (وإذ قال عيسى بن مريم ، يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين : ٦) .

* * *

وبعد فها نحن أولاء نرى أن دعوة الإسلام دعوة واسعة شاملة جامعة تدعو الإنسانية كلها إلى الدخول فى حظيرته ، والتفيؤ فى ظلاله ، وتنعى على المختلفين والمتفرقين من الأمم والشعوب فكيف يسوغ لأبناء الإسلام أن يتفرقوا فيما بينهم ، وأن يختلفوا طوائف ومذاهب وطرائق ؟

قال تعالى فى سورة آل عمران : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على

شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون : ١٠٣) .

* * *

ويقينى أنه عندما ترتقى الإنسانية كلها وتبلغ غاية نضجها ونهاية كمالها ستجتمع كلها على الإسلام ، لأنه الدين الذى يساير العقل ، ويرضى الشعور ، ولا يصادم العواطف الإنسانية ويدعو إلى التسامح والتسامى ومعالى الأمور ، ويكره الإسفاف والجمود ، ويدعو المؤمنين إلى الدخول فى السلم كافة ، ولا يمكن أن يسود السلام الذى تحلم به الأمم إلا إذا اتخذوا الإسلام ديناً ، وحرصوا على التمسك بآدابه ورعاية أحكامه . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

أبو الوفاء محمد درويش

٧

خطبة منبرية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، البر التواب الرحيم ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا نعبد إلا إياه ، ولا نسأل سواه . فله سبحانه تعنو الوجوه ، وله سبحانه يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرها .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أعرف الخلق بالله ، وأتقاهم لله ، وأهداهم إليه سبيلا . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن الله سبحانه وتعالى شرع لنا وأوجب علينا الحج إلى بيته الحرام ، وجعله ركناً من أركان الإسلام . فقال سبحانه وتعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) . فجعل الله سبحانه من حقه على الناس حج البيت ، وتلطف بهم رحمة منه سبحانه ، فقيّده بالاستطاعة ، ثم تهدد المستطيع الذى يهمل هذا الركن من الإسلام فسلكه فى زمرة الكافرين الجاحدين لأنعم الله ، العاصين لأوامره .

والاستطاعة تنحصر فى أمور ثلاثة : النفقة ، والقوة البدنية ، وأمن الطريق . فإذا توفرت هذه الأسباب فليس لمعتذر أن يعتذر بعمل أو غيره من الأعذار التى يتشبث بها من ضعف فى قلوبهم دافع الإيمان ، وقوى فيها حظوظ الشيطان من الحرص على الدنيا ، وحب الترف والتنعم .

ذكر الله سبحانه وتعالى الحج فى مواضع كثيرة من القرآن ، وحببه إلى المؤمنين بأساليب متنوعة كقوله تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ، واتخذوا من مقام إبراهيم

مصلّى ، وعهدنا إلى إبراهيم و إسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) .
وكقوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئاً ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ، و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات ، على مارزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليَطّوفوا بالبيت العتيق . ذلك ، ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه . وأحلت لكم الأنعام إلا مايتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خَرَّ من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق . ذلك ، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم محلها إلى البيت العتيق . ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا ، و بشر المخبتين . الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمى الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها ، وأطعموا القانع المعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم ، و بشر المحسنين) .

فالذى بوأ لإبراهيم مكان البيت ــ أى هيأه وخطه له ــ هو الله سبحانه وتعالى ، فأكرم به من بيت يحدد مكانه رب السموات والأرض لخليله عليه الصلاة والسلام ليكون خالصاً له سبحانه لايعبد فيه سواه ، مطهراً من كل رجس ووثن ، يستضيف فيه من يصطفيهم من عباده كل عام ، و يملأ قلوبهم شوقا إليه ، فيأتوه راجلين وراكبين ، يحدوهم الأمل فى مغفرته ورضوانه . ما أسعدهم إذ يقضون تفثهم و يوفون نذورهم ، و يطوفون ببيت ربهم . وما أبهجهم إذ يستلمون الأركان ، و يعظمون شعائر الرحمن ، و يسعون بين الصفا والمروة . وما أهنأهم إذ يخرجون إلى منى ، ثم إلى عرفة ملبين ، مكبرين ، مهللين ، قد تجردوا من زخارف الدنيا وزورها وبهتانها .

إخوانى : إننا هنا وفى كل بلد إسلامى نقف فى صلواتنا متجهين إلى الكعبة مركز دائرة الإسلام ، وقلوبنا تهفو أن تراها رأى العين ، فأول ماتقع عينك عليها يستولى عليك شعور روحى يملك عليك أقطار نفسك حتى لاتكاد تحس بشىء إلا روعة البيت وعظمته ، فينطلق لسانك بالدعاء وتنهمر الدموع من عينيك ، مقبلا على ربك بكل قلبك ترجوه وتستعطفه أن يكتبك فى المقبولين وأن يمحو ماقدمت من الأوزار والآثام فى سالف الأيام ، وتتوب توبة خالصة أن لاتعود لمعصية أبداً ، مستشعراً نفسك كأنها فى مصيدة من حبائل الشيطان وأنت تجرى طائفاً حول البيت ، ترغب جاهداً أن تخرج من تلك المصيدة ، فإذا أتممت الطواف سبع مرات فزعت إلى الصلاة فى مقام إبراهيم ـ وهو المكان الذى كان يصلى فيه عليه السلام ـ فيدخل إلى قلبك الاطمئنان والسكون . ثم تخرج إلى الصفا لتسعى بينها وبين المروة ، متأسياً بهاجر عندما تركت وليدها إسماعيل فى مكان البيت يموت عطشاً فصعدت الصفا لعلها تجد مغيثاً ، ثم هبطت مهرولة إلى المروة فصعدتها لعلها تجد المغيث من الجهة الأخرى . وظلت كذلك تجرى بين الصفا والمروة ، وهى فى كل مرة تقطع حبلا من حبال الأمل فى غوث الأرض ، حتى إذا ماسعت سبعة أشواط انقطع كل الأمل إلا فى غوث السماء . فتوجهت إلى الله بقلب خالص لايشو به رجاء فى مخلوق ، فما أن وصلت عند وليدها حتى وجدت الماء قد نبع عند قدميه ـ فكان زمزم ـ فسقته وشربت .

وهكذا ينبغى لمن قصد بيت الله حاجًا أن يتخلص من جميع العلائق التى كان يتخبط فيها من علائق الشرك ، وعبادة المخلوقين ، من الموتى والأحياء ، وأن يخلص دينه وقلبه لله رب العالمين . ولذلك تجدون أن الله يأمرنا اجتناب الرجس من الأوثان ، ويأمرنا أن نكون حنفاء له غير مشركين به ، ويدعونا إلى تعظيم شعائره ، وأن لانتخذ إلهًا نعبده ونعظمه ونسلم له سواه . كل ذلك فى ثنايا آيات الحج ومناسكه .

ولكن واأسفاه على المسلمين ، مَن منهم اليوم يخلص دينه كله لله ؟ إنه اليوم من أندر النادر ، وأقل القليل ، يخرج الواحد منهم إلى الحج وكأنه ذاهب إلى مولد من تلك الموالد التى يقيمونها فى بلادهم لأوليائهم ومعبوديهم ، لايفقه للحج معنى ، ولا لمناسكه حكمة ، ولا

لشعائره فى نفسه حرمة . يدفع هذا ، ويؤذى هذا ، ويثور لأتفه الأسباب ، ويكثر من الشغب والسباب . ولا يذكر قول الله تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب) وينسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج ولم يفسق ولم يرفث ، عاد كيوم ولدته أمه » .

أيها المسلمون : لقد فرض الله سبحانه وتعالى علينا الحج لنشهد منافع لنا ، ومن أعظم تلك المنافع ، إخلاص الدين لله وحده ، فلا نشرك به أحداً من خلقه ، فى تعظيم أو رجاء أو خوف أو ذكر ، فلا يجرى على لساننا ياسيدى فلان ، وياست فلانة أبداً . بل يكون كل ذكرنا لله وحده من تلبية وتهليل وتكبير ، ودعاء ونداء واستعانة واستغاثة . فقد حذرنا الله من الشرك أشد التحذير فى آيات الحج التى تلوناها فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) ثم لايجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ينقذه ، إلا أن يتوب إلى الله فيجد الله توابا رحيما ، ويجده نعم المولى ونعم النصير .

ومن منافع الحج وفوائده ، أننا نتعود على ترك الأهل والأولاد والأحباب ، ونغيب عنهم فترة من الزمن ، ونتعود على تحمل المشاق والمتاعب وخدمة أنفسنا بأنفسنا ، ونتعود على تغيير نظام الحياة التى تعوناها وألفناها ، ونترك بعض عاداتنا وأخلاقنا . ونتعلم كيف نعاشر الغرباء عنا ، وكيف نعاملهم ، وكيف نعاون الناس ونساعدهم ، ونتعرف على أحوال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونحاول أن ننفعهم وننتفع منهم ، وندرس شئونهم ونعرفهم شئوننا . ونعمل على أن نوثق بيننا و بينهم الصلات ، وعلى أن نتحبب إليهم ونحببهم إلينا ، ونعلمهم ونتعلم منهم ، ونشيع بيننا و بينهم الأخوة الإسلامية من التعاطف والتراحم والتوادد . فالحج أيها المسلمون مؤتمر الإسلام والمسلمين فى كل عام ، فيتعارفون ويتعاونون و يتناصحون ويتناصرون ويتعاضدون ، و بذلك يكونون قوة متماسكة يرهبهم عدوهم ، ويكون لهم وزن واعتبار فى أعينهم . فما ضاع المسلمون وصاروا غثاء كغثاء السيل إلا من تفرقهم وشتات كلمتهم وهوانهم على أنفسهم .

اللهم إنا نسألك أن تجمع كلمة المسلمين وتوحد بين صفوفهم وتقوى شوكتهم إنك على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم و بارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبـــة الثانيـة

الحمد لله العلى الكبير الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد .

وأشهد أن لا إله الله ، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهوعلى كل شيء قدير .

وأشهد أن أفضل خلق الله ، وا كرمهم على الله ، عبد الله ومصطفاه ، نبينا محمد عليه من الله أطيب الصلاة وأزكى السلام .

أما بعد : أخى المسلم ، يا من أ كرمك الله واختارك ووفقك لتكون من ضيوفه عند بيته المكرم . أنصح لك ولنفسى أن لا تضيع هذه الفرصة الذهبية التى هيأها لك الله ، فقد تكون فرصة العمر فاغتنمها . وطن نفسك من يوم أن تخرج من بيتك أن يكون عملك كله خالصاً لله ، لا تكن طالب لقب ، بل كن طالب مغفرة الله ورضوانه . لا تؤذى أحداً من رفاقك ، بل قدم له كل ما تستطيع من عون ومساعدة ، وأرشد من يكون فى حاجة إرشاد منهم فى رفق ولين ورحمة . حببه إليك بأدبك وخلقك ولين جانبك قبل أن تبدأه بوعظك و إرشادك حتى تضمن اصغاءه إليك .

أخى المسلم : إن أول ما تبدأ به من مناسك الحج (الإحرام) . فإذا أدركت الميقات اغتسلت ولبست الإحرام وصليت ركعتين ، ثم لايزال بعدهما لسانك رطباً بذكر الله . قد تجردت من زخرف الحياة وزينتها وغرورها ، فتشبهت بيوم ولدت ويوم تموت ، دخلت الدنيا عارياً لا تملك شيئاً فلففت فى قطعة قماش ، وستخرج منها عارياً ملفوفاً فى قطعة قماش وقد تركت ماخولك الله وراء ظهرك ، فيالها من عبرة لمن يعتبر ، ويا لهـا من ذكرى لمن يذّكر . فإذا استحضرت كل ذلك عند إحرامك تذكرت كيف دخلت الدنيا ، وكيف ستخرج منها ، فتهون الدنيا وزينتها ومتاعها وما كنت متشبثاً منها فى نفسك ، فتقبل على الله بكل قلبك صائحاً (لبيك اللهم لبيك) أى ها أنذا قد تركت كل استجابة لدعوتك وامتثالا لأمرك ، مخلصاً لك وحدك (لبيك لا شريك لك لبيك) فإنك وحدك المستحق

لاخلاص العبادة ، لانك وحدك المنعم المتفضل مالك الملك (إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك) ثم لا تزال كذلك لايفتر لسانك عن ذكر الله ، والتوجه إليه بقلب خاشع ونفس متطلعة إلى رضوان الله ومغفرته حتى تدخل مكة المكرمة خاضعاً متواضعاً متذللاً لله ربك ، فإذا دخلت المسجد الحرام ورأيت أمامك الكعبة المعظمة تسأل الله من فضله ورحمته ، وتسأله أن يزيد بيته تكريماً وتشريفاً حتى إذا حاذيت الحجر الأسود تدنو منه وتقبله إذا تيسر لك ذلك من غير مشقة أو إيذاء أحد ، وإلا فلك أن تشير إليه بيدك اليمنى وتقول (باسم الله ، الله أكبر) كما فعل رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ، ثم تطوف بالبيت سبعة مرات تسرع فى الثلاث الأولى وتدعو بما تحب سائلا الله خيرى الدنيا والآخرة وتمس بيدك الركن اليمانى الذى قبل الحجر الأسود مباشرة وتقرأ بينهما (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فإذا أتممت السبعة أشواط تتحرك إلى مقام إبراهيم بين زمزم وباب بنى شيبة فتصلى ركعتين . ثم تخرج من باب الصفا وتصعد عليها وتقف هنيهة مستقبلا الكعبة وتدعو بما تشاء ثم تنزل ساعياً إلى المروة وتصعد عليها وتستقبل الكعبة وتدعو أيضاً فهذا شوط واحد ، ثم تكمل السعى سبعة أشواط تهرول فى كل مرة بين الميلين وتدعو فى سعيك بما تشاء ، ثم تتحلل من إحرامك بحلق رأسك ولبس ملابسك المعتادة . وتبقى فى مكة كذلك متحللاً تفعل كل المباحات ، ثم تعود فتحرم يوم ثامن الحجة وتخرج إلى منى تدرك فيها الظهر فى مسجد الخيف وتبيت فيها ليلتك . وتخرج تاسع الحجة إلى عرفة فتجمع فى مسجدها نمرة الظهر والعصر تقديماً ، ثم تقف فى عرفة حتى قبيل المغرب . تدعو لنفسك وأهلك و إخوانك والمسلمين جميعاً دعاء تخلص فيه فهذا وقت الإجابة وموضعها وهذا هو أكبر شعيرة من شعائر الحج كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة) و ينبغى ألا يضيع لحظة من لحظات الموقف من غير دعاء وابتهال وصدق لجاء إلى الله لعل الله أن يقبلك فيتوب عليك و يمحو ذنوبك فتعود كيوم ولدتك أمك طاهراً مطهراً من كل ذنب ورجس ودنس .

وقبيل المغرب تفيض من عرفة موقناً أن الله قد حط عنك خطاياك وقبل توبتك فإذا وصلت إلى مزدلفة وقفت هنيهة عند المشعر الحرام ، تدعو الله بما يلهمك من الدعوات ،

ثم تصلى المغرب والعشاء تأخيراً وتبيت ليلتك بها . فإذا أصبحت جمعت فى يدك منها سبع حصيات بقدر حبة الفول ، وتنحدر إلى منى حتى تصل إلى العقبة الكبرى فترجمها بالحصيات السبع ، قائلاً مع كل حصيات (بسم الله ، الله أكبر) . ثم تنزل إلى مكة فتطوف بالبيت طواف الإفاضة ثم تعود إلى منى فتحلق وتذبح الفدية وتتحلل من إحرامك وتبقى بها يومين إن كنت متعجلاً أو ثلاثة إذا نويت التأخير وأيام منى دعاء وحبور وسرور ورجم . للجمرات الثلاث كل يوم مرة بسبع حصيات لكل جمرة ، وتتذكر عند الرجم أن خليل الرحمن إبراهيم عند ما أمره ربه أن يذبح ابنه إسماعيل ، أخذه وخرج به إلى منى ، وزوجه هاجر أم إسماعيل تتبعهما ، فجاء الشيطان يوسوس لها مرة ، ولاسماعيل مرة ، ولابراهيم مرة ، ليأمرهم بعصيان أمر الله ، فحصبته هاجر مرة ، وإسماعيل مرة ، وإبراهيم مرة حتى طردوا الشيطان وتهيأوا لتنفيذ أمر الله فى استسلام تام . فأكرمهم الله وفدى إسماعيل بذبح عظيم . وكذلك ينبغى لك أيها الحاج أن ترجم الشيطان متمثلاً فى تلك الجمرات معلنا أنك لن تطيع أمره وتقع فى شباكه وحبائله بعد اليوم .

فإذا انتهيت من أيام منى نزلت إلى مكة وتبقى فيها ماشاء الله لك تطوف بالبيت وتصلى فى المسجد الحرام ، حتى إذا آذنت بالرحيل والعودة إلى بلدك طفت طواف الوداع وعدت إلى بلدك بحج مبرور؛ وذنب مغفور ، وتجارة لن تبور .

أيها المسلمون : هكذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أمرنا أن نحج ونأخذ مناسكنا منه ، وهكذا ينبغى أن يحج كل مسلم يحب التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدى به حتى لايضيع جهده وماله وتعبه .

أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يوفق المسلمين جميعاً لذلك ، وأن يكتبنا من ضيوف بيته هذا العام ، وأن يغفر لنا ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، ويصلح أمورنا ، وأن يوفق الراعى والرعية إلى مايحب ويرضى ، وأن يجمع كلمة قادة المسلمين ورؤسائهم على البر ، والتقوى ، والتعاون ، والإيمان ، والعمل الصالح ، إنك سميع مجيب .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

اتفقت كلمة الشرائع جميعاً على الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وحده لاشريك له ، وامتلأ القلب يقينا بأنه موصوف بالكمال المطلق الذى لا كمال بعده . منزه عن جميع شوائب النقص ، برىء من كل نواحى العيب ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

على ذلك اتفقت كلمة الشرائع ، وعليه اجتمعت العقول السليمة التى برئت من الشوائب ، وخلصت من رق الأوهام .

وقد أوصي الله أنبيائه ورسله أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ، لأن شريعة الله واحدة ، وإن اختلفت فروعها باختلاف أزمان الأمم (إن الدين عند الله الإسلام) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) فكل دين سماوى صحيح فهو إسلام ، وكل متبع لدين سماوى صحيح لم تنسخ أحكامه فهو مسلم . قال تعالى « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » .

وقال تعالى (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى حكاية عن يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض وأنت وليي فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

وقال تعالى حكاية عن سحرة فرعون (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) .

وقد شرع الله لنا ماشرع للأنبياء من قبل ، وأوصانا بما أوصى به المرسلين .

قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

فأين منا هذه الوصية الحكيمة ، وكيف تلقينا هذه الحكمة البالغة ؟

لم يكد عليه الصلاة والسلام يلحق بالرفيق الأعلى حتى نجمت نواجم الفتنة وبدرت بوادر الفرقة ، ولكن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأرضاهم ، وبرد مضاجعهم وأكرم مثواهم ، تداركوا الأمر بالحزم والعزم ، وأخذوا الكتاب بقوة ، وساسوا الرعية كما ينبغى أن تساس أمة دخلت فى الإسلام بعد أن كانت مختلفة النزعات ، متفرقة المذاهب ، منوعة العقائد ، متعددة المعبودات ، لايجمعها دين ، ولا ترابطها نحلة .

سهر الخلفاء على التوحيد حتى لاتعبث به الأهواء ، وصانوا عمود الدين حتى لاتزعزعه البدع ، وحفظوا العقيدة الإسلامية حتى لاتذهب بها أعاصير الفتن ولا تطغى عليها الأباطيل التى امتلأت بها قلوب شعوب دخلت فى الإسلام ظاهراً لتصيب به عرض الحياة الدنيا وهى أبغض ماتكون للإسلام ، وأحرص ماتكون على أن تزلزل أركانه ، وتدك معاقله ، وتهدم حصونه .

ثم مضى ذلك العصر وطويت صفحته البيضاء ، وتوالت من بعده على الإسلام عصور كان الشر فيها أكثر من الخير ، والمنكر فيها أروج من المعروف ، والأباطيل أشهر من الحقائق ، والبدع أحب إلى القلوب من السنن ، وتفرق الأمر ، وتشتت الشمل ، وأصبح المسلمون أحزاباً وشيعاً وطوائف (كل حزب بما لديهم فرحون) .

فالمسلم الحريص على دينه ، الذى يؤمن بالله وكلماته ورسوله حق الإيمان ، ويرجو الدار الآخرة ، ويقتدى بهدى الكتاب الحكيم ويهتدى بنوره - ينبغى له أن يدع هذه الأهواء وتلك النزعات جميعاً ، ويستمسك بالحق الذى الذى بينه كتاب الله ودعت إليه سنة رسول الله . فمن يفعل ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها وإن قليلا من العلم النافع ينال به الإنسان الفوز والنجاة والظفر بالآخرة الطيبة ، والحلول فى دار المقامة ومستقر الرحمة

والكرامة ـ لخير من كثير يصرف عن الحق ويغرى بالباطل ، ويفضى إلى خسران الدنيا والآخرة .

يقول عليه الصلاة والسلام « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وما أغلاها من حكمة ! وما أسناها من وصية ! وما أجلها من موعظة !

لو أننا أخذنا بها وسلكنا سبيلها لأجدت علينا وأغنت عنا وربحنا من تجارتها أجزل الربح ، وجنينا من شجرتها أطيب الجنى وأشهى الثمرات .

القرآن الكريم لا يريب مؤمناً ولا مسلماً ، والحق الصحيح الثابت من سنة إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم لا يريب مؤمناً ولا مسلماً . فلِمَ ندعهما إلى غيرهما ؟ ولا ندع غيرهما من أجلهما ؟ والله سبحانه وتعالى يقول (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)

ويقول (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) .

ويقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) .

ويعلم كل من أوتى ذرة من العلم أن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى محكم كتابه الكريم ، والرد إلى رسوله هو الرد إلى الحق الثابت الصحيح من سنته (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

ويقول تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) .

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام قد التحق بالرفيق الأعلى ولا يتسنى لنا أن نتحاكم إلى ذاته الشريفة فكيف نحكمه فيما شجر بيننا ؟ .

الأمر واضح بين ، فلنتحاكم إلى القانون الواضح العدل المستقيم الذى تركه لنا ولنرض

بأحكامه ؛ ولا يكونن فى صدورنا حرج ولا فى أنفسنا ضيق من قضائه ، فإن فعلنا فنحن مؤمنون صادقون حقاً ، وإلا فكفى بالله علينا شهيداً .

قال عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » .

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله و بركاته .

لقد نبذ كثير من أمتك كتاب الله وسنتك وراء ظهورهم واشتروا بهما ثمناً قليلا فبئسما يشترون .

لئن سار الكتاب والسنة فى سبيل العيش ، وطريق الدنيا ، لنعمّا هما ، وأصدقْ وأعدِلْ بأحكامهما ، ولكن إن كان اتباعهما ، والعمل بهما والخضوع لأحكامهما يفوّت عليهم عرضاً فانياً من أعراض الحياة ، تنكروا لهما ، وقلبوا حماليقهم لمن يدعوهم إليهما ، وازدلفوا إلى الشيطان بالطعن فى دينه ، وتمزيق عرضه وقادوا العامة وراءهم إلى الهاوية .

رو يداً ياقوم ! اتقوا الله فى عامة المسلمين ، وأنيروا لهم الطريق ، وأرشدوهم إلى الحق ، لاتجعلوا الدنيا أكبر همكم ، ولا مبلغ علمكم ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين .

يقول الله تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فلم لا يسلك الناس صراط ربهم المستقيم الذى يفضى بهم إلى مرضاته . والظفر بجنته ورضوانه ؟ .

ولم يتبعون السبل التى تفرقت بهم عن سبيله وأفضت بهم إلى الضلال البعيد والعذاب الشديد ؟ .

سبيل الله واضحة بينة المعالم ، ظاهرة الأعلام ، فلم يتنكبها الناس ، ويسلكون الطرق المضلة المهلكة التى لايستبين منارها ، ولا تتضح صُوَاهَا ؟ .

ولم لا يجتمع الناس على كتاب الله وسنة رسوله ، والله سبحانه وتعالى يقول :

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وما حبل الله إلا شريعته المطهرة ، وكتابه المبين . الذى ينطق بالحق ، ويهدى إلى الرشد .

* * *

لِمَ يتفرق المسلمون طرائق قدداً ؟ ولم يختلفون فى دينهم ؟ وإلههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد ؟ .

لم يكون بينهم الأحمدى ، والبطائحى ، والبيومى ، والدسوقى ، والشاذلى ، والميرغنى ، والتيجانى ، والسعدى ، والنقشبندى ، وغير هؤلاء من الفرق والطرائق التى أقل مايقال فيها : إنها فرقت المسلمين ، وجعلتهم أحزاباً وشيعاً . والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

ألم يكفهم أن يكونوا مسلمين يتبعون كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين ؟ .

لم نرى بين المسلمين من يدعو غير الله ، ويستعين غير الله ، ويضرع إلى غير الله ، وينذر لغير الله ؟ .

لِمَ نرى بين المسلمين من يتبعون ماتشابه من كتاب الله ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وهم يعلمون أن الله تعالى يقول وقوله الحق (وما يعلم تأويله إلا الله) ؟ .

ولم لا يكونون كالراسخين فى العلم الذين (يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا) .

هل أمرهم الله بالتأويل فأطاعوه ؟ أم هل سن لهم الرسول الأمين طريقة التأويل فكان لهم فيه أسوة حسنة ؟ .

لم لا يسكتون عما سكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأخيار ، وهم أعلم الناس بكتاب الله ؟ وأشد الناس تعظيما لله .

لقد كثر ماقالوا : « إن طريق السلف أسلم » فما لهم لا يسلكون سبيل السلف وهم يؤمنون بأنها طريق السلامة التى لاعوج فيها ولا التواء ؟ .

وما لهم يدعون إلى الفتنة ، ويؤرثون نارها ، ويثيرون شرارها ويرمون المعتصمين

بحبل الله المتمسكين بسنة رسوله باعتقاد التجسيم والتشبيه . وهم يتلون كتاب الله و يؤمنون بقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

انهم يخاطرون بدينهم و يجازفون بعقائدهم حين يتهمون المتمسكين بطريقة السلف الصالحين بما يتهمونهم به لأنهم يرمون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه التهم أيضًا ، و يلصقونها بهم إلصاقاً من حيث لا يشعرون .

يرمون بها صحابة رسول الله الذين شهد الله لهم بقوله (وكلا وعد الله الحسنى) . وكفى بالله شهيداً ، وقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) .

دعوا المراء ياقوم فليس فيه خير ، و إنما يفضى إلى شر وتفرق ، واجتمعوا على كتاب الله ففيه الخير كله .

ألم يأتكم قول الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ماجتمعت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » ؟ لقد بلغ من حرصه عليه الصلاة والسلام على ضم صفوف المسلمين واجتماع كلمتهم على أن أمرهم أن يقوموا عن القرآن إذا اختلفوا فيه حتى لايؤدى هذا الخلاف إلى الفرقة والانقسام ، وفيهما البلاء كله ، وفيهما الخذلان المبين .

ماأصاب المسلمين ماأصابهم من الضعف والهزيمة وفقدان الحرية والاستقلال وخروج الأمر من دينهم ، وغلبة الأعداء عليهم إلا من هذا الطريق المردى ، طريق التفرق والانقسام .

فلنعد إلى حظيرة الإسلام جميعاً ، ولننزع مافى صدورنا من غل ، ولنكن إخواناً متحابين متآلفين متعاونين متناصرين متآزرين ، وليسعنا ما وسع النبي وصحابته ، ولنقل ماقالوا ، ولنسكت عما سكتوا عنه ، وليكفنا القليل من العلم النافع ولندع المراء الذى لاخير فيه ، وليغننا الحق المنجى عن الباطل المردى .

أبو الوفاء محمد درويش

التفرق والاختلاف — ٢ —

آفة الجماعة الإسلامية

للأديب عبد السلام رزق الطويل
بكلية اللغة العربية

(إشارة موجزة) كنت قد تحدثت فى المقال السابق عن الرابطة الدينية كوثاق متين وآصرة قوية تضم أشتات الجماعة ، وتلم شعث الشعوب ، وأشرنا إلى أن غريزة الاجتماع مهما قويت شوكتها ، ونشطت فى أداء وظيفتها فلا تستطيع النهوض بذلك العبء وحدها ، ولذا أرسل الله رسله يحملون مشاعل الأديان ليهدوا الناس إلى سواء السبيل ، ويجمعونهم على كلمة الإيمان وشهادة التوحيد .

(المجتمع الإنسانى قبل الإسلام) والإسلام كدين عالمى انتهى بظهوره حديث السماء إلى الأرض حيث أخذت كفايتها من وحى السماء ، وتلقت بنزول القرآن إلى الأرض قانوناً ثابتاً لاتضل بعده — إن تمسكت به — أبداً ، وكسبت من رسوله ذخيرة من الهداية كانت تفسيراً صادقاً لما أجمل فى ذلك القانون الحكيم .

هذا الدين الذى كان آخر زاد تزودت به البشرية فى رحلتها الشاقة ، غمر ضياءه البرايا وكان العالم إذ ذاك أشبه بمخمور تربو فترات سكره على فترات صحوه ، أو بمحموم غاب عنه فى سورة الألم وعيه ، فهو يهذى ولا يدرى .

كان البشر فى خلاف دائم ، وخصام متواصل ، ونزاع مستمر ، بين الشرق والغرب ، بين الفرس والروم ، وتحت نير هؤلاء أمم ترسف فى أغلال ظلمهم ، وتئن تحت ربقة استعبادهم ، وتذوق نكال حروب لا ناقة لنا فيها ولا جمل .

واليهودية والنصرانية عبثت بهما عقول البشر ، فذهبت معانى القدسية منهما واختلطت أفكار البشر بوحى السماء فاختلط الأمر وضل الناس السبيل ، وأصبح التماس الهدى منهما كالتماس النور من مصباح أصابه القار ، إن نفذ منه شىء فهو شعاع خافت ضئيل ، هذه هى

الحال فى بلاد تتمتع بالحضارة والدين ، فما بالك ببلاد تعيش فى الشوارع الخلفية من العالم ؟! محجوبة عن حضارته ، محجوبة عن جدله وفلسفته . تعيش على الفطرة ، وفى فطرتها جفاء وغلظة ، إذ هى فطرة جهالة موروثة لا فطرة إيمان وكرامة ، ووراء الجهالة آفات وآفات ، أخلاق ذميمة ، وخصال قبيحة ، وعادات مستهجنة كانت كلها نتاجاً لشجرة خبيثة وثمار الغرس ذميم ، هو غرس الشرك وشجرة الوثنية ، وإذا اتصلت بالعالم الخارجى لاتجنى منه إلا شره ، ولا تصيب منه إلا ضره ، واتصالها به بين الفينة والفينة هو الذى جرَّ عليها بلاء الوثنية الذى طغى على دين إبراهيم وإسماعيل[1]

ولعل بعدهم عن الحياة الجدلية فى العالم هو الذى رشحهم لأن يكون منهم منقذ البشر وقائد الإنسانية ، إذ من المتعذر أن يقبل أهل المراء دين الفطرة أو يدعو الناس إليه ، وقد أصابت عقولهم لوثة الجدل والسفسطة .

وأى تصوير لحالة العالم فى ذلك الحين أصدق من قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ثم أرسل رسوله رحمة للعالمين » .

أجل أرسل رسوله رحمة للعالمين ، فكانت نسمة قدسية وروحاً إلٰهية هبت على هذا العالم فكانت صبا داعب أجفان قوم طهرت قلوبهم وزكت نفوسهم فهم يتوقون إلى هذا النسيم ، وكانت دبوراً صفع وجوه قوم مردوا على الضلال ، وألفوا حياة الفوضى واستمرءوا خصال البغى والطغيان ، فمرت عليهم غيوث الهداية مرور السلسبيل على الصفوان ، فلم يخشع منهم قلب ، ولم تتهذب منهم نفس ، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم ، وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة فهم لايهتدون .

يصور لنا الرسول عليه الصلاة والسلام مدى استعداد القلوب إذ ذاك لتلقى رسالته ، ومدى ما بينها من تخالف فى المعدن ، وتفاوت فى الجوهر نتج عنه إيمان قوم وكفران آخرين

---

(١) فى كتاب الأصنام للكلبى : أن عمرو بن لحى الخزاعى أول من نقل الأصنام والتماثيل إلى بلاد العرب .

فيقول صلى الله عليه وسلم « مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منه نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وأصاب طائفة أخرى أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فَقُهَ فى دين الله فعلم وعلّم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى جئت به » .

رحمة الله تنقذ العالم

ألا ما أروع الغيث يهمى على الأرض الطيبة مشتاقة إليه فتهتز وتنمو وتربو وتنبت من كل زوج بهيج !! والإسلام ذلك الغيث الإلهى الكريم همى على قلوب طيبة فهفت إليه واجتمعت عليه ، واتحدت فى سبيل الانتفاع به ، ثم أخذت تعمل وتكافح داعية غيرها ممن أعرضوا عنه إلى الاغتراف من منهله ، والارتشاف من رحيقه ، سلاحها الإيمان ، والحجة والبرهان ، وقوة اليقين ، ونصوع الدليل ، فإذا بالعالم الشقى يستجيب لهم مبتغياً الأمن فى ظلال دعوتهم ، والطمأنينة فى نهج مسلكهم ، والحرية والأخاء والمساواة ، تلك المبادىء الثلاثة التى افتقدها العالم زمناً طويلا ، عثر عليها فى دينهم ، فلهذا فاءوا إلى دوحته يبتغون الراحة والأمان من وعثاء الشقاء والضلال .

والسيف الذى استل فى بعض لم يكن لإجبار أو إكراه أو لحمل الناس على مالا يريدون ولكن تأميناً للدعوة ودفاعاً عنها وحراسة لمبادئها الإنسانية ، لأن من حق كل دعوة أن تدافع عن نفسها ، حتى دعوات الإلحاد ترى لنفسها هذا الحق ، فما بالك بدعوة تحمل رسالة التوحيد والإيمان إلى القلوب ؟!

لقد كانت رسالة خلاص و إنقاذ ؛ ورحمة وأمان (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

إنها لمعجزة رائعة حقاً تلك الدعوة التى برزت للعالم ، وهو متشاحن متناحر غارق فى المادية المهلكة حتى « يثرب » دار الهجرة ، تلك الأرض الطيبة التى نما فيها زرع الإسلام واستوى على سوقه ، دخلها الإسلام وهى كأتون مستعر يصلى أهلها نار الخلاف ، وجحيم

الشقاق لايأمن المرء على نفسه أو على ماله ، بل يترقب الموت بين ساعة وأخرى ، إذا بروح الإسلام تنفخ فى ذلك الأتون فتخمده ، وتمسح بيدها على القلوب المتباغضة فيمسى أعداء الأمس أحباء اليوم ينهضون جميعاً وقد التصقت مناكبهم ، وتشابكت أيديهم ليستقبلوا رسول الإسلام الذى حقق لهم أعز أمانيهم وأعاد الأمن إلى بلدتهم .

وها هو القرآن الكريم يذكرنا بتلك المكرمة التى أنقذتنا من النار بعد أن كنا على مشارف الهوىٌ فيها فيقول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم . إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

إن جمع الأوس والخزرج على قلب رجل واحد ليس فى مقدور البشر ، وما كان لإنسان مهما كان أن ينهض به حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنها قدرة الله ورحمته التى تمثلت فى عقيدة الإسلام !! قال تعالى : (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألّف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم إنه عزيز حكيم) .

والدين الإسلامى الذى تمت على يديه تلك المعجزة ، ضم فى طيات تشاريعه دعائم الوحدة ، وأسباب الألفة ، وأسس الاستقرار .

دعائم الوحدة فى التشريع الإسلامى

(١) عقيدة التوحيد : حين نتحدث عن دعائم الوحدة نلمح أولى هذه الدعائم وأقواها ممثلة فى العقيدة التى جمعت الأهواء المختلفة ، والقلوب المتنافرة ، والميول المتباينة ، واتجهت بها جميعاً نحو الإله الواحد الذى خلقها وبرأها ، تصبو إليه مخلصة فى دعائها ، وتلجأ إليه وحده فى استغاثتها ، وتهرع إليه دون سواه فى كروبها ، وتختصه بحلفها وأيمانها . فيالها من وحدة رائعة !! شاملة جامعة !! توحيد فى الألوهية ، وتوحيد فى الربوبية ، فما أروع عقيدة الإسلام !!

إن من دلائل السمو فى هذه العقيدة أن أثرها لا يظهر إلا فى مجال العبودية وفى محيط القلب والضمير فحسب ، بل تنطبع صورتها على المجتمع المؤمن بها الحريص عليها ، إنها تجمع المعتقدين بها على كلمة سواء ، وباسم الإيمان والعقيدة يدعو القرآن المجتمع إلى أسباب الخير والفلاح ، إذ الإيمان الحق والعقيدة القوية من أهم العوامل فى تكييف الاتجاه وتحديد السلوك ، ولذا نرى الرسول عليه الصلاة والسلام حين يتحدث عن الإيمان يذكر له علامات من وجدت فيه لمس ثمرته ، وذاق حلاوته ، وخالطت قلبه بشاشته . فيقول :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار » .

ولو نظرت إلى ثانية هذه العلامات لوجدتها الوحدة الإسلامية ولكن فى صورة منظمة ، والأخوة الإيمانية ولكن فى وضع مهذب حيث ربطها الرسول صلى الله عليه وسلم بمقياس ثابت هو العقيدة ومرجعها إلى أساس متين هو الإيمان ، فتحابيهم لله ، وتباغضهم لله بهذا يسير المجتمع المسلم على طريق - للوحدة - قويم أساسه الإيمان ، ومنهجه المحبة ومظاهره إخوة وتراحم وتعاون وإيثار .

وإنه لرائع حقاً أن ترى الاتجاه الوترى فى بعض عبادات الإسلام كأثر أو نتيجة للوحدة فى العقيدة ، فالرجل الذى يقوم ليله ، ساجداً لربه ، شاكراً أنعمه عابداً متهجداً ليكن ختام سجوده وهجوده رمزاً لتلك الوحدة فى العقيدة ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً » .

والرجل الذى يخرج إلى مصلاه صباح عيد الفطر بعد قيام وصيام ليفطر أولاً ، وليكن مايفطر به تمراً ، وليكن وتراً ، ونرى من توجيهات الرسول العملية « إن الله وتر يحب الوتر » ! ! .

وهكذا حتى يتغلغل معنى الوحدة فى دماء المسلمين ، وفى أعمالهم وسلوكهم بعد ثبات الحقيقة الواحدة فى قلوبهم .

و بمقدار قوة العقيدة وحماستها وصلابتها بمقدار ما يكون بين المعتقدين بها من ترابط وتماسك وانسجام ، و بمقدار مايظهر فى جماعتهم من تضحية و إيثار .

والفيلق القوى الذى حفظ للمسلمين وحدتهم ، وأبقى لهم جماعتهم فى حياتهم الأولى كان هو العقيدة ولا شىء غيرها ، تلك القوة التى وحّدت بين المسلمين فى النظرة والاتجاه ، فلم يختلفوا فى أصل من أصول الدين ، ولا فرع من فروعه إلا بمقدار مايريد المختلفان أن يصلا إلى الحق الذى يبغيه الجميع ، و يعثرا على الطلبة التى اختلفوا من أجل الوصول إليها ، والخلاف على هذا الوضع ، أى الذى كرمت غايته ، وسلمت وسيلته خلاف يسمو بالمجتمع ولا يرديه[1] .

وكانوا حريصين على وحدتهم لم يجرهم للخلاف نص متشابه فى التنزيل ، بل كانوا مؤمنين مذعنين يجدون فى صفات الله فى القرآن تصويراً لعظمته و بياناً لقدرته ، وشرحاً لمظاهر ألوهيته وربوبيته ، وما كان للمؤمنين أن يتخذوا من هذه الآيات موضوعاً للجدل الكلامى ، والنظر الفلسفى ، والمنطق الأرسطى الذى كان سبباً فيما بعد فى تفريق جماعتهم ، وانقسام وحدتهم ، ورمى بعضهم بعضاً بالكفران والخروج عن الدين .

يقول الباحثون فى تاريخ التفكير الإسلامى[2] « واللحظة التى تصون فيها الجماعة مصدر العقيدة عن المناقشة والتفهم ، وترتفع بها دائماً عن مقاييس المعرفة الإنسانية هى دائماً الفترة الأولى للعقيدة ، فترة الإيمان القوى الذى يؤخذ فيها الإنسان بما اشتملت عليه من مبادىء ومثل دون تلكؤ فى الطاعة ، ودون ترف فى التخلص من تبعة عدم المتابعة ودون أن يدخل شخصه فى تحديدها .

فموقف الجماعة الإنسانية من عقيدة اعتقدتها يتمثل دائماً فى مظهرين متواليين : فى مظهر الإيمان القوى ، ثم فى مظهر التفهم والتعقل ، وكلما خفت حرارة الإيمان فى

---

(١) كاختلاف الصحابة فى موت الرسول ، واختلافهم فى قتال مانعى الزكاة وحرب المرتدين ، إذ سرعان ماكان يرجع المختلف إلى الحق و يعود إلى الصواب .

(٢) الجانب الإلهى من التفكير الفلسفى ـ للدكتور محمد البهى ص ٣٩ ج (١) .

القلوب كلما برزت ناحية التفهم للعقيدة فى الأذهان ، و بالأحرى كلما برزت ناحية الاختلاف فى فهمها » .

ويقول ابن القيم[1] « قد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المسلمين وأكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات مانطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلاً ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدو لشىء منها إبطالاً ، ولا ضربوا لها أمثالاً ، ولم يدفعوا فى صدورها و إعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإجلال والتعظيم » . « يتبع »

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ١) ص ٥٥ . طه منير الدمشقى) .

أخبار الجماعة

اجتمعت الجمعية العمومية للمركز العام مساء يوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٧٧ الموافق ٣١ مايو سنة ١٩٥٨ برئاسة فضيلة الأستاذ الرئيس العام وتم انتخاب مجلس الإدارة على الوجه الآتى :

الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وكيل أول — الحاج سيد محمد رضوان وكيل ثان

السيد سيد محمد متولى سكرتير أول — السيد عبد المحسن حسين الجندى سكرتير ثان

« سليمان محمد حسونه أمين الصندوق — السيد محمد سليمان فضل مساعد لأمين الصندوق

« رشاد الشافعى مراقبا

السادة : سليمان رشاد محمد ، ومحمد رشدى خليل ، والحاج إبراهيم محمد قنديل ، وأحمد طه نصر ، ومحمد صالح سعدان ، وصابر أحمد إبراهيم ، وشريف عكاشة (أعضاء) .

كما تم اختيار الأستاذ مصطفى عبد الجواد مراقباً مالياً للجماعة

رد على كتاب

وصلنى كتاب من أحد قراء المجلة لم يذكر فيه اسمه ، يعترض فيه على بعض عبارات وردت فى مقالى المنشور فى العدد الأول من مجلة الهدى النبوى ، ولما لم أقف على عنوانه ، آثرت أن يكون الرد على صفحات المجلة لينتفع به الكاتب وغيره من القراء ؟

أبو الوفاء محمد درويش

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

إلى السيد الموحد من قراء المجلة :

سلام عليكم ، و بعد

فقد وصلنى كتابكم الكريم ، وأستغفر الله مما كاد يساور نفسى من غرور بما أغرقتم فى الثناء على شخصى الضعيف .

أما ماروّعكم من قولى : (وحرمانها مما أودعت الطبيعة أرضها الطيبة من ينابيع الثروة) إذ لم أقل مما أودع الله .

فلو أنكم أديتم حق الفصحى عليكم بدراسة مناحى بلاغتها ، والوقوف على أسرارها والإحاطة بما فيها من استعارة ومجاز وكناية ، ماروّعكم قولى .

وهل رَوّعكم قول النبى صلى الله عليه وسلم : « شيبتنى هود وأخواتها » إذ لم يقل عليه الصلاة والسلام شيبنى الله ، لأن المشيب على الحقيقة هو الله ، و إسناد التشيب إلى هود وأخواتها من باب المجاز العقلى ، والمجاز العقلى مما يلم به الشادون فى طلب العلم .

فكيف خفى أمره على السيد ؟ .

والمجاز العقلى : هو إسناد الفعل ، أو مافى معناه إلى غير ماهو له عند المتكلم فى الظاهر لملابسته مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقى .

والعلاقة فى الحديث السببية لأن هوداً وأخواتها بما فيها من قوارع وزواجر سبب شيبه

(البقية على صفحة ٣٢)

هذه البدع

للأديب سعد صادق محمد

لايعدو الحقيقة من يقول إنه لم يسيء إلى مبادىء الإسلام السمحة شيء كما أساءت إليها تلك البدع التي بلغت من شدة خطرها وقوة تأثيرها على البسطاء والدهماء (والجهلة من المتعلمين) أن أصبحت أخطبوطاً تلتف أذرعته حول خلايا العقول فتختلط عليهم تفكيرهم وتدخل الشك فى نفوسهم ، ووحشاً ضارياً ينهش إنسانيتهم فيقبح جمال معتقداتهم و يشوه حسن إسلامهم .

ولقد كان ـ مع الأسف ـ من الممكن أن تجد هذه الملايين من المسلمين صاحب صيحة حق أو غيور على دين الله يذبُّ عن حياض الإسلام و يدافع عن كيانه من أخطر آفة تشوب جماله وتشوه جلاله وتجعل دعوته السليمة الحقة مبتورة معكوسة . . نعم من كان من الممكن أن تجد هذه الملايين من المسلمين فى شتى بقاع الأرض من يرفع الصوت عالياً ليجهر بدين الله الحق خالياً من هذه البدع ونقياً من تلك الخرافات التى دخلت فى قلب الإسلام بواسطة الدجاجلة المموّهين ورمته بسهامها لتمزقه وتفسده ولتحدّ من تفكير أهله بل وتشحن هذا التفكير بمعتقدات خاطئة وتملأه بأفكار سفيهة وتجره إلى اتباع سبل باطله وأعمال كلها زيف دائم . وتمكن لكل ذلك فى الأذهان المحدودة التفكير حتى ليصبح الدخيل الغث هو الحق فى اعتقادهم . والحديث المرذول هو الصحيح الأقوى عندهم وكل عمل مشى عليه الجميع (ولو كان باطلا) هو دينهم وعبادتهم ، أعمال لابرهان لها إلا التقليد وأقول لادليل يحملها تنهض على قدميها إلا (قول الأكثرية وما كان عليه الأولين) .

ومع أن الله سبحانه وتعالى شدّد النكير على التقليد ووصف المقلدين بأنهم (شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون) إلا أن الناس افتتنوا بمن لايعرفون من العلم إلا أداء الوظيفة الرسمية فمشوا وراءهم مقلدين دون بحث ولا تنقيب ، وخدعوا بهؤلاء الذين

دفعهم الجهل والجحود فأكثروا من الخلط والتخبط فى دين الله غير مبالين بما يصيب العقول من التضليل ولا حاسبين حساباً لو خيم العواقب وسيء النتائج . فالتبس الأمر على الناس وخفيت عن بصائرهم معالم العلم الصحيح وتعطلت الآذان عن الاستماع إلى الرأى السديد النافع والأفئدة عن الفهم والتدبر .

وهناك فئة دخيلة ممن بُلِيَ بهم الإسلام ، وشرذمة خبيثة من دعاة الباطل وأنصار الضلال تدعى لنفسها ظلما العلم بالدين والمعرفة بالإسلام سموا أنفسهم (بالصوفية) يطلعون على الناس ببدع ليس فيها خلق رضى ولا هدى إلى طريق سويّ ولا عمل فيه دليل من كتاب أو برهان من سنة . بدع لايذكر فيها اسم الله إلا مع دف وطبول أو مزمار وأرغول ، رقص فى الأضحيات والأسحار ، خلاعة فى المواسم والأذكار ، مظاهر خادعة من ملابس بالية ومسابح طويلة ولحى كاذبة وأصوات منكرة ترتفع بالأناشيد الماجنة والكلمات المزيفة . والله يعلم إنهم لكاذبون .

وهذه مساجد ملأت ساحاتها البدع وزخرت رحباتها بالضلالات .

مساجد لاتخلو من صنم يُعْبَدُ من دون الله ، ومن ضريح يستنجد بصاحبه عند الشدئد ويُشَدُّ إليه الرحال فى الأعياد . بل لقد أصبحنا نرى فى كل ركن وكل جهة أضرحة وقباباً لأشخاص خلع الناس عليهم لقب الولاية ، وأنزلوهم من أنفسهم منزل التقديس والتبجيل وجعلوا لهم من قلوبهم مكانة عظيمة حتى أصبح هؤلاء وأولئك يشار إليهم بالبنان وكانت لهم الموالد تقام فيها أسواق الفجور والإثم وساحات تجرح فيها الفضيلة وتهتك فى ظلها أستار الحياء والأدب وتسلب فيها الأموال ، موالد تقام لتبعث المدن إليها بفساقها وتقذف البلاد إليها بمجرميها ليعيثوا تحت إسم الدين وليعربدوا ويفسدوا باسم الموالد (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) الآية .

وهكذا أصبحنا نشاهد الإسلام صوراً مزرية تدعو إلى التقزز والأذى ، ومناظر سيئة منكرة تجرح الصدر وتؤلم الفكر يأتى بها المضللون المتعطلون ومن مشى على دينهم من الجهلة أمام الناظرين وفيهم (الأجانب) ليعطوهم عن الإسلام صورة مشوهة زائفة تبعدهم

عن الفهم عن أن يكون الإسلام دين الروعة والجمال ، وأنه السبيل القويم إلى الهدى والرشاد .

كل ذلك أمور مستحدثة فى الدين ، ودخيلة عليه . هى ظلم للشريعة الغراء ، وافتراء على عقيدة التوحيد . هى تمزيق للإسلام ، وكذب على الله ، ومحاربة لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد ظلت هذه المستحدثات ، ولا تزال تجد لها أرضاً خصبة تحيا فيها وتصول فى رحابها ، وهى لاتزال أيضاً تجد لها أنصاراً من أهل الزور وأرباب الشهوات تساندها وتأخذ بيدها يدافعون عما يشرعون وما يدعون بكل مايدخرون وآخر مايملكون احتفاظاً بمكانتهم عند الناس وبقاء على مراكزهم عندهم ، ولتظل خزائنهم مسقطاً لوابل النذور ومجلباً للأموال الحرام تمرح بها جنباتها وتمتلىء بالسحت أركانها .

لقد صيع الناس هدى الإسلام وأحكامه التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للسابقين ، فأخرج بها الناس من ظلمات الشرك وغياهب الوثنية وجعلها تستروح أنفاس التوحيد وتستظل بشجرة النور والحق ، وتحظى بالقوة والبأس .

لقد ضاعت الدرة العزيزة الغالية التى تهدى الضال ، وتغنى الفقير وتقنع الغنى ، وتحمى الضعيف ، وتكسر شوكة الظالم ، وتهدم معاقل البغى والكفر وتناوىء الطغيان ، وتدفع الإنسانية إلى فعل البر والخير ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتدخل السكينة والرحمة فى القلوب ، وتشفى ماتحمله الصدور من الضغائن والأحقاد ، وتحقق المساواه والعدل والحرية . وتسمو بالإنسانية إلى مراتب العزة والإباء والسيادة (قد جاءكم من الله نو وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

لقد ضاع النور الذى أضاء بشماعه أركان الدنيا والذى بهر الأبصار وأخذ بالألباب ، والآن القلوب التى كانت قاسية متحجرة . تلك القلوب التى كانت تدين فى فجر الإسلام بالخرافات والبدع وتقف منه موقف العداء والشر جعلها هذا النور متعطشة إلى معين الإسلام الصافى ومتشوقة إلى معرفة الدين الحق الذى يدعو إلى عبادة الله وحدة والاتجاه إليه سبحانه فى كل شأن من شئون الحياة ، و إلى نبذ الباطل وترك العقائد الفاسدة .

نعم . لقد ضاع النور الذى أضاء للصدر الأول الطريق إلى حياة الإيمان الصادق والعمل الصالح ، ودفعهم إلى الجهاد وقوّى سواعدهم للدفاع عن دينهم و بنى الإسلام ، على أيديهم مجده التليد ، فكان بهم قو ياًمنفذاً ، وكانوا هم به أعزة منصورين وسادة مرهو بين فى جميع أقطار الدنيا ، بل كانوا خير أمة أخرجت للناس . ولكن ؟ ! . . خلف من بعدهم خلف أضاعوا كتاب الله وتنكروا له ، وهجروا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتمردوا عليها واستبدلوا بها بدعاً موروثة وأباطيل مستحكمة وأموراً مخترعة متغلغلة ماأنزل الله بها من سلطان ، ثم ادعوا بعد ذلك الانتساب للإسلام ، ولكننا عند ماننظر إلى أعمالهم وأحوالهم نظرة مجردة من التعصب ، نظرة نرجو منها معرفة الحق من الباطل . نجد بعدهم عن كتاب الله واضح ، وضلالهم عن هدى رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهر ، نجدهم يعيشون فى دنيا الأوهام والخرافات ، ويدينون بدين هو شر من دين الجاهلية الأولى ، ففسد حياة الفرد كما فسدت حياة مجتمعهم ، إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو ردٌّ » ويقول : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » فأين هم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يدعون أنهم على سنته ، وأنهم مطمئنون إلى رضى الله ونصره لأنهم من (أمة محمد) صلى الله عليه وسلم .

حقاً إنها (لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

وعجيب كل العجب ، أن يكون هذا حال المسلمين ، وأن يكون الدين الذى يدين به أكثر الناس اليوم ليس هو دين الله الحق الذى جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليرشد الناس إلى العلم الصحيح والمعرفة الحقة و إلى طريق الله المستقيم . بل وعجيب أن يجرى هذا كله عياناً جهاراً تحت أسماع وأبصار القائمين على الدين الداعين إليه وليس فيهم من يعمل لرفع هذا المنكر ومحاربة هذه الضلالات ، وتطهير الإسلام من هذه الرواسب ! . .

إذن من الحق أن نعترف أن موجة قوية جارفة قد طغت على العقول والأفكار فى غفلة من الزمن ، وفى غرور من أمم الإسلام وانغماسهم فى الترف والمفاسد واتباع الشهوات ، وحين قامت مبادىء ودعوات وظهرت نظم واتجاهات نافست دعوة الإسلام فى نفوس أبنائه ، وزاحمت شرائعه أفكارهم . فهيأ لهم ذلك من الأسباب مادفعهم فى غفلة إلى هذه

الظلمات والضلالات التى أبت إلى أن تدخل عليهم من كل باب وأن تحتل منهم كل مكان وتحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم .

ومن الحق أيضاً أن نعترف بأننا بعدنا عن هدى الإسلام ، وصرنا بمنآى عنه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس ويصلحون ماأفسد الناس » ولاشك أن الله تعالى لايرضيه أن يشاهد المسلم المؤمن هذه الخرافات والأباطيل وهى تعمل مخالبها وأنيابها فى الإسلام لتأتى على البقية الباقية من مظاهره وأن ينظر إلى هؤلاء الدجالين والمارقين بعين الرضا والارتياح ليمعنوا فى ضلالهم ويمضوا فى دجلهم فلا يحرك ساكناً ولا يظهر خافياً فيعمل على تطهير الإسلام من هذه البدع ، والقضاء على المنكرات التى يأباها الدين ويمقتها الإسلام ولا يقبلها الحق .

إننا نرجو مخلصين أن يكشف هذا الزيف والبهتان ، حتى تعود للمسلمين حقائق الإسلام وصفاء عقيدته . والحمد لله رب العالمين .

رد على كتاب

(بقية المنشور على صفحة ٢٧)

عليه الصلاة والسلام ، والقرينة عقلية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم خير الموحدين وهو يخاطب الموحدين .

وفى قولى (أودعت الطبيعة) مجاز عقلى كذلك ، لأن فيه إسناد الإيداع إلى الطبيعة وهو فى الحقيقة لله تعالى لأنه المودع على التحقيق .

فإسناده للطبيعة مجاز عقلى علاقته السببية وقرينته عقلية ، لأن الكاتب موحد يخاطب موحدين يعلمون أن مودع ينابيع الثروة هو الله جلت قدرته .

والمتنبى قصيدة عصماء يخلق بالموحدين من قراء المجلة أن يقرأوها فى عناية وتدبر وتفقه وهى القصيدة التى مطلعها :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

وأسأل الله أن يتقبل لى دعواتكم الصالحات كما أسأله أن يتجاوز لكم عما بهله من تعريض ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيد احمـــــد الفقى

في فجر يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة عام ١٣٧٧ والمؤذن يدعو المؤمنين فى السحر إلى الفلاح صعدت روح الأخ سيد احمد الفقى إلى بارئها .

إنه نجل الإمام المجاهد الصابر المحتسب الشيخ محمد حامد الفقى الرئيس العام لجماعات أنصار السنة المحمدية .

إنه الشاب الذى نشأ فى طاعة الله ، فى البيت الذى انبثق منه التوحيد فى هذا العصر ، ـ ولا يزال ـ بحمد الله ـ يشع منه نور الإسلام ، فاستضاء به خلق كثير أخرجهم الله به من ظلمات الجاهلية والشرك إلى نور السنة النبوية المطهرة .

لقد كان رحمه الله مهندساً بوزارة الأشغال ، ولقد عرفته عن قرب معرفة أخوة ، وصداقة منذ عشرين عاماً .

وقد اختلف فيه إخوانه و إخوانى من أنصار السنة المحمدية اختلافاً على قدر صلتهم ومعرفتهم بطباعه وأخلاقه .

وما أكثر مايحكم الناس على الناس بأهوائهم أو لحاجة فى نفوسهم .

وقد يكون مرجع ذلك إلى ما كان يتصف به ـ رحمه الله ـ من الصراحة التامة الكاملة ، وصدق القائل : لم تترك لى الصراحة صديقاً .

كانت الصراحة من أبرز صفاته ، غير أن بعض النفوس ـ إن لم تكن أكثرها ـ تضيق من الصراحة ، ولا يؤمنون بأن صديقك من صَدَقَكَ لامن صَدَّقَكَ . كان ـ رحمه الله ـ لا يبالى أن يقول الحق مهما كان مؤلماً .

قلت له مرة : يا أخى كثير من إخوانك يلومون عليك صراحتك ويعدونها غلظة وجفوة ، فقال : وأنت ، قلت : إنى أحمدها لك ، ولكنى أبلغك رأى الآخرين .

فقال ـ رحمه الله ـ إنى لأرجو أن أكون عند الله مخلصاً ، وبماذا ينفعنى رضى الناس إذا أسخطت ربى بالمداهنة والمراءاة .

فقلت : ألا يسعك ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل : « إنا لنبش لقوم وقلوبنا تلعنهم » فقال : لم يكن ذلك لأصحابه المؤمنين ، بل كان للمنافقين والكافرين ، ولماذا لانكون لإخواننا كما قال عليه الصلاة والسلام « المؤمن مرآة أخيه »

كان يضيق أحياناً بالجدال والمماراة إذا زادا عن حدهما ، ويضيق بمن يراه حاد عن الطريق السوى فى قول أو عمل ، ويضيق بمن يخلف الوعد ولو قيد شعرة – كان رحمه الله – يريدها حياة جادة مستقيمة صارمة ، حتى إنه لم يكن يعطى لنفسه راحة أبداً ، كان يريدها عملاً دائباً ، وجهداً متصلا ، وهكذا كانت حياته حتى أصيب بداء الكبد ، فألزمه الفراش قرابة شهر بذل له فيه من الطب والعلاج والدواء مابذل ، ولكنه الأجل المحتوم لايستطيع أن يدفعه طب ولا علاج (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

رحمه الله أوسع رحمة ، وأوسع له فى قبره ، وجعله له روضة من رياض الجنة ، ورزقه داراً خيراً من داره ، وأهلا خيراً من أهله ، كما نسأله تعالى أن لا يحرمنا من أجره ، ولا يفتنا من بعده .

ومما يبشر بحسن الخاتمة : أن روحه فاضت مع أذان الفجر ، وفى يوم الجمعة ، ثم أن قيض الله له اجتماع مئات من إخوانه للصلاة عليه والدعاء له .

وكان من آيات الله ، أنه أنزل على قلب والده السكينة ، وجمله بلباس الصبر الجميل ، فخطب خطبة اتعظ فيها ووعظ ، فذرفت الدموع وعلا النشيج ، وهو ثابت ثبوت الراسيات . حتى إذا فرغ طلب من المصلين الانتظار حتى يجيء إليهم بأخيهم ليصلوا عليه ، فلم يغادر منهم أحد إلا من رأى منهم أن يتبع الجنازة من البيت إلى المسجد ، ثم صلى بهم عليه ، فدعا ودعوا ماشاء الله لهم أن يدعوا .

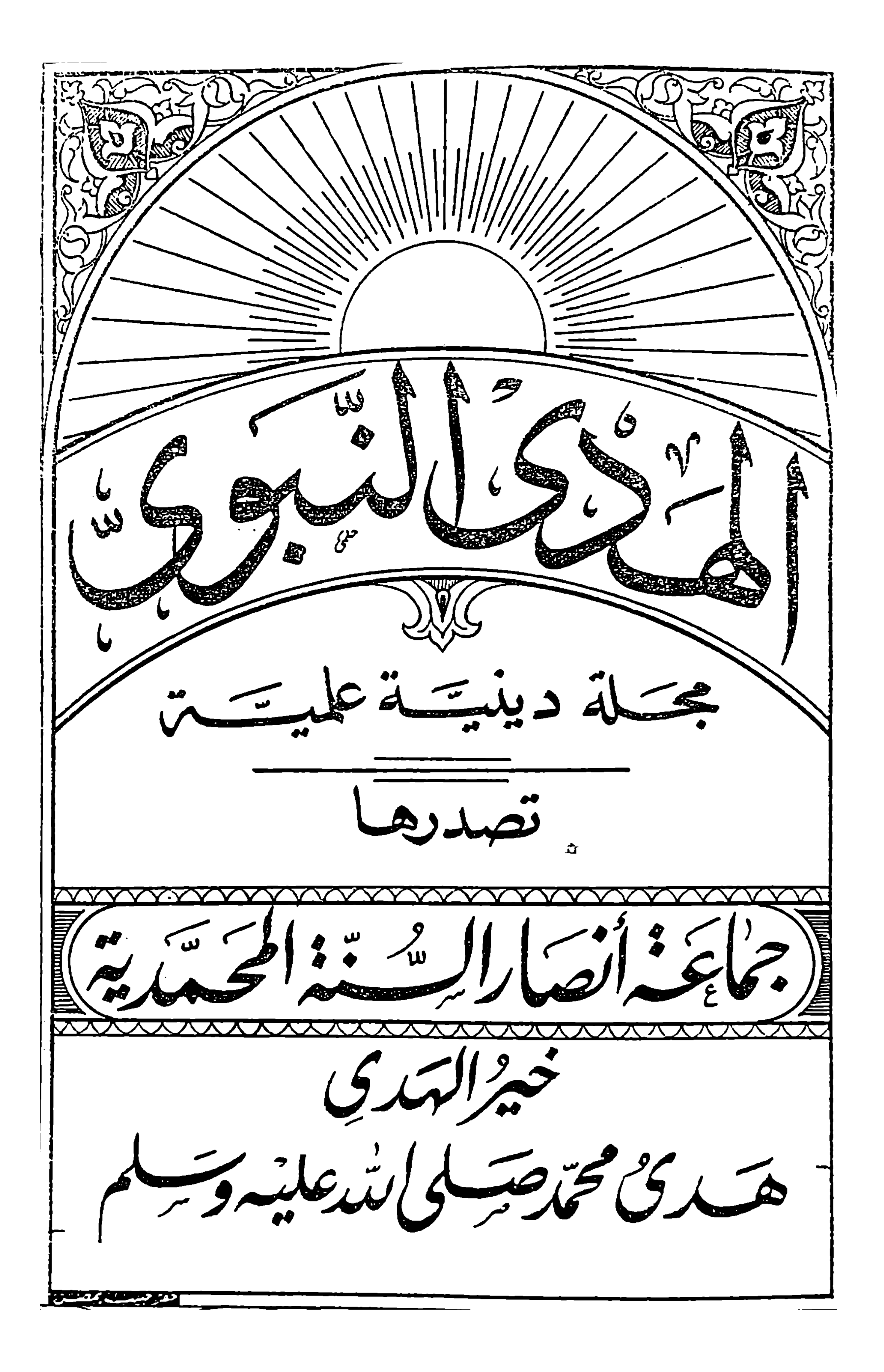
غفر الله لنا وله ، وألحقنا به على الإيمان والتقوى ، والعمل الصالح . وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

سليمان رشاد محمد

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٦٠١٧


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

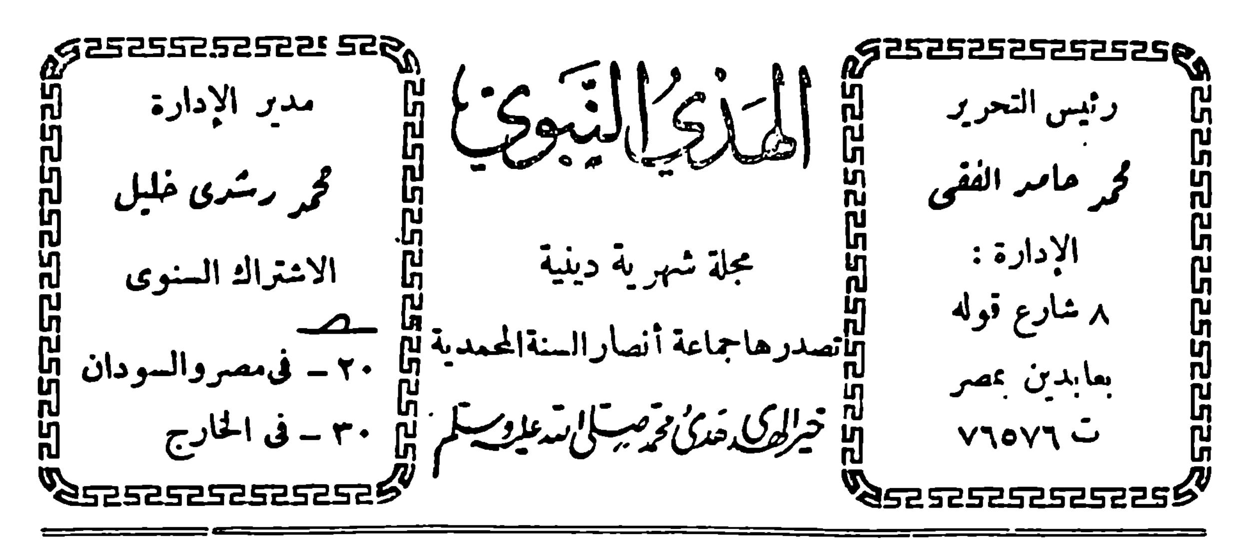
صفحة

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين لإرسال مابعهدتهم . ولهم جميعاً الشكر .

تهنئة

تهنىء جماعة أنصار السنة المحمدية وإدارة مجلة الهدى النبوى جميع المسلمين بالعام الهجرى الجديد ، أعاده الله عليهم باليمن والإقبال والسعادة والعز والنصر



المجلد ٢٣ — المحرم سنة ١٣٧٨ — العدد ١

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله نفتتح العام الثالث والعشرون من مجلة (الهدى النبوى)

لقد أنشئت هذه المجلة عام ١٣٥٦ هجرية لتكون مناراً للتوحيد ، والسنة النبوية المطهرة ، ولا تزال بحمد الله ترفع لواءهما عاليا خفاقا فى العالمين وبها وصلت دعوة التوحيد إلى آفاق بعيدة ، و بلاد نائية ، وأصبح لها قراء وعشاق كثيرون فى جميع البلاد الإسلامية .

ولها كذلك أعداء من الصوفية والمبتدعة وعباد القبور ، لأنها دأبت على تبديد الظلمات التى يضربونها على الناس ، والجهالات التى ينشرونها عليهم .

و إدارة المجلة تشكر السادة الكتاب الذين يمدونها بذوب قلوبهم ، وعصارة أفئدتهم ، ونتاج قرائحهم : من كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . إبتغاء مرضاة الله ، مدخرين أجرهم عند الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، فشكر الله لهم ، وجزاهم خير الجزاء وآتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

كما تشكر إدارة المجلة السادة المشتركين والقراء وتقدر لهم تشجيعهم وحبهم وتلهفهم عليها إذا تأخرت عنهم – عن غير قصد ولا إرادة ، ولكن لأسباب قاهرة – فهى المجلة الوحيدة التى تترجم عن عقيدتهم فى التوحيد فى وسط بحر لجى من الضلال والفسوق والإلحاد والإباحية والفجور .

(البقية على ص ٢٧)

نظرات فى مجلة الصوفيـــة

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

(١)

قيل لى : لقد صدرت للصوفية مجلة . قلت : مرحباً بها سلاحاً يقضى على مبتدعه ، واعترافاً صريحاً يجعل المترددين يؤمنون بأن خلف الصوفية عين سلفهم ، وأنهم يدينون بدينهم ، ويدلجون سراةً حيارى فى نفس التيه السحيق العميق !! وأنهم يبذلون جهد الدين والدنيا فى سبيل صون تراثهم ، هذا التراث الذى يحق له أن ينتسب إلى كل شىء إلا شيئاً واحداً تسامت بهداه الإنسانية ، وبنت به أمجادها فوق قمة الخلود ، ذلك هو الإسلام .

إن اسم المجلة نفسه يحمل طابع المغايرة بين الإسلام و بين التصوف ، فاسمها « مجلة الإسلام والتصوف » إن المشرفين على المجلة اختاروا لها هذا الاسم ، توكيداً لما يدينون به وهو أن الإسلام غير التصوف ، وإلا فما معنى عطف التصوف « بالواو » على كلمة الإسلام، وأظنهم لايجهلون أن العطف يقتضى المغايرة !!

وقرأت فى المجلة مقالاً للأستاذ الكبير أنور السادات ، واستوعبت المقال جيداً ، ثم ابتسمت . ذلك لأن مقاله ليس تأييداً للصوفية كما أحب أصحاب المجلة تصويره للقراء . وإنما هو نقد حكيم فيه جرأة الثورة ، وقوة الحق ، لأنه ثورة على الصوفية ، وحَقٌّ يَجْبَهُ الصوفية بالمروق عن الدين الحق ، إنه دَمْغٌ للصوفية بكل خصائصها ومقوماتها منذ نشأ شىء اسمه التصوف !! إنه يهتك عن سرائر الصوفية ومعتقداتها القناع ، فتبدو كما هى فى قلوب معتنقيها ، لا كما يحبون هم أن يتراءوا بها أمام الناس ، وأن يفتنوا الدهماء عن بواطنها . إنه حكم عدل سجلوه بأنفسهم فى مجلتهم يحكم عليهم بأنهم فئة نابذت الإسلام ، وكانت عوناً للمستعمر عليه !!

اقرأ له وهو يعدد طوائف الدخلاء على التصوف ، ومن ثَمَّ تؤمن بأنه لايعدد الدخلاء ، وإنما يعدد نفس شيع التصوف ونحلها منذ نشأت ، وإلى أن تبيد .

يقول : « ولكن بعض الدخلاء على الصوفية اتخذوها مطية للشهوات ، ومورداً للكسب والارتزاق ، فأصبحوا يشترون بآيات الله وإيمانهم ثمناً قليلا ، ويقبلون على موائد الحكام والطغاة » أوَلِنَ أن هذا القول يشير بدلالاته القوية إلى الصوفية المعاصرة أبلغ دلالة ، ونحن لاننسى ، وأنور الثائر لاينسى لياذ الصوفية بفاروق . وقد خشعت بين يديه خشوع الكهنة تحت أقدام الصنم ، وشيخهم الأكبر يقول لفاروق « بك نستضىء ، ومن هديك نسترشد ، ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى[1] » إن الصوفية لم تكتف بقولها « نستضىء بك ، ونسترشد من هديك » بل أبت إلا أن تؤكد أن رب هداها ورشدها هو فاروق وحده لا شريك له[2] . ثم اقرأ قول الثائر « واتجه بعض الدخلاء على الصوفيه إلى الطقوس وارسوم والمظاهر المادية القائمة على لبس المرقعات والزهد فى الطيبات والانغماس فى القذارات وإطالة الشعر وحمل المسابح ، والإكثار من الأحجبة والتعاويذ وجر السيوف الخشبية » ويقيني أن هذه الصور بواقعيتها المخزية ، وتجسدها المقيت يؤذى ناظريك فى غدوك ورواحك ، وأنت ترمق من بعيد العاكفين على القباب واللائذين بالأضرحة والمعربدين فى مباءات الدنس التى يسمونها « موالد » !!

أما دعوى الزهد . فيبشر بها كبار الشيوخ بين دراويشهم ، فحسب . ليحمل هؤلاء إلى شيوخهم ما كسبت أيديهم . وقصة الزهد مع الصوفية قصة قديمة ترجع إلى « مانى » ذلك المتنبىء المجوسى الذى ظهر فى فارس . وادعى أن الظلام امتزج بالنور وأن إله النور لن يستطيع الخلاص من الظلام إلا بعد فناء العالم . ولذا وصى بالزهد فى الحياة ، والصيام الطويل ، والامتناع عن الزواج . وظهر أثر هذه المانوية فى أحاديث موضوعة يرويها أبو طالب المكى شيخ الصوفية القديم ، ومصدر إلهام الغزالى فى كتابه الإحياء .

يقول أبو طالب ناسباً إلى النبى قوله . والرسول صلى الله عليه وسلم براء من هذا البهتان

---

(١) اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥

(٢) ذلك لأن تقديم الجار والمجرور فى قوله « بك نستضىء ، ومن هديك نسترشد » يفيد القصر . أى قصر استضاءتهم على فاروق ، وقصر استرشادهم على هدى فاروق !!

المفتضح : « لَأَنْ يُرَبِّيَ أحدكم جَرْوَ كلب خير من أن يربى ولداً » وقوله : « إذا كان بعد المائتين أبيحت العزبة لأمتى[١] » . ويقول الجنيد وهو شيخ الصوفية الذين يسمون أنفسهم معتدلين « أحب المبتدىء ألا يَشْغَل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله : التكسب وطلب الحديث ، والتزوج . وأحب للصوفى ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه[٢] » . إنها المانوية المجوسية نفسها . ولقد تلقفها المستعمر ، وذهب عنه الصوفية يبشرون بها فى الشرق . ليصبح أشباحاً هزيلة تترامى ظلالها الواهنة على تيه العدم !!

ثم يقول الكاتب الكبير « وهناك فريق ثالث من الدخلاء شوهوا التعاليم الصوفية عن جهالة أو سوء نية ، فأدخلوا فيها ضروب الألاعيب وشتى الأحابيل بما يشبه الكرامات . فهم يلتهمون النيران والزجاج ويأكلون الثعابين ويمشون على السيوف ، ويدقون الطبول ويقرعون الدفوف ويعزفون الموسيقى الصاخبة ، ويتمايلون على أنغامها فى حركات راقصة هستيرية لايقرها خلق ولا دين ولا قانون » . وهل أنت بحاجة إلى مَنْ يؤكد لك أن ماصوره الأستاذ الكبير إنما هو منتزع من الصوفية المعاصرة ، وما حلقات الذكر الوثنى التى يعربد فيها الشيطان إلا دليل صدق على مانقول . انظر ماتقترفه الصوفية فى أيام الجمع حول قباب الهامدين من آلهتهم !! وانظر ماتجترحه فى أعياد الأصنام الموسمية فى سرادقات السحت .

ثم يقول السيد أنور السادات ــ وهذا بيت القصيد ــ « وهناك فريق رابع من الدخلاء حاول مزج الدين بالفلسفة والسياسة بالشريعة : فزعم للدين ظاهراً وباطناً ، وادعى أن هناك شريعة للخاصة وأخرى للعامة ، وحاول إقحام التعاليم الهندوكية والفلسفة الإغريقية الوثنية . فعقد من الدين ماسهل ، وصعب منه ماوضح . وكاد يفتن الناس عن دينهم السمح القائم على الفطرة التى فطر الله الناس عليها (صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة) .

وعلى ماقال الأستاذ الكبير ، قام التصوف منذ نشأ شىء اسمه التصوف بل لايعتبر

---

(١) انظر ص ١٥٠ ج ٤ قوت القلوب ط ١٣٥١

(٢) ص ١٣٥ ج ٣ المصدر السابق واقرأ كتابى « هذه هى الصوفية » ففيه تفصيل لهذا الإجمال .

صوفياً إلا من آمن بأن للدين ظاهراً و باطناً ، وما قدست الصوفية من كهنتها إلا أولئك الذين مزجوا الدين بالفلسفة الإغريقية الوثنية و بالتعاليم الهندوكية . و إليك الدليل مما كتبه الأستاذ أبو الوفاء التفتازانى فى العدد الثانى من المجلة نفسها « إن بعض الصوفية الذين كان لهم نصيب وافر من دراسة الفلسفة والمعرفة بمناهجها واصطلاحاتها قد مزجوا التصوف بموضوعات الفلسفة ، وخرجوا لنا بنظريات هى مزيج من الذوق والفلسفة ، ولعل أبرز هؤلاء ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والصدر القونوى وعفيف الدين التلمسانى » .

وابن عربى عند الصوفية كما تنعته المجلة نفسها « شيخ الصوفية الأكبر » وابن الفارض هو ـ كما سمته المجلة : « شاعر الإلهام الأعظم » وقد حكم الأستاذ الكبير أنور السادات بأن من مزجوا الدين بالفلسفة قوم خارجون عن الدين . والمجلة نفسها تقول عن كبار شيوخهم أنهم مزجوا الدين بالفسلفة . وهؤلاء هم سادة الصوفية وأربابهم وآلهتهم . هذا يدعوك إلى الإيمان بأن الصوفية هى هى هذا الشىء الذى سماه الثائر البطل دخيلاً عليها ، إنه فى الحقيقة أراد أن يقول للصوفية : إن من يقوم بهذا ، ويفعل هذا فهو دخيل على الإسلام .

لقد فرح الصوفية بمقال الأستاذ الكبير ، وموهوا على الناس بأنه تأييد لهم . وما إخالك الآن إلا موقناً بأن الثائر بمقاله هذا إنما هدم أصنام الصوفية على رءوس كهنتها .

و إلى العدد القادم بمشيئة الله لنتابع بعونه نظراتنا فى مجلتهم .

حاشية : عاتبنى إخوانى ـ وأحبب بعتاب الحب والاخوة ـ لانى جنحت طويلا إلى التفريط فى حق قراء المجلة على . وأقول للعاتبين ـ ولهم الحق فى العتبى ـ أن مما يشفع لى أن هذا التفريط والتقصير غير متعمد ، وأضرع إلى الله أن يوفقنا إلى أداء الواجب ، وإلى القيام بما يفرضه علينا من الكفاح فى سبيل إعلان كلمة الحق .

اعلان

بعونه تعالى سيكون بين يدى القراء قريباً كتاب (تنبيه الأذهان) ، تأليف الأستاذ محمد صالح سعدان ، للرد على مفتريات الشيخ عبد ربه سليمان .

خطبة منبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والعاقبة للمتقين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، يضاعف الحسنات ، و يربى الصدقات .

وأشهد أن نبينا محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، أرسله ربنا بأكمل شريعة ، وخير دين ، يكفل سعادة الدنيا والآخرة . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل ضلالة فى النار . و إن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يأخذ زكاة المال ممن آمن به من المسلمين فقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم) وقال تعالى (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمر ربه تبارك وتعالى ، فكان يأخذ الصدقات من الأغنياء و يردها على الفقراء .

أيها المسلمون : إن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة ، بل هى الركن الذى يلى ركن الصلاة ولذلك يقرنهما الله فى القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) (و يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة) . (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة) (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) وغيرها من الآيات الكثيرة الدالة على مكانة الزكاة فى الإسلام .

إن للمال سلطانا على النفوس ، وهو محك الإيمان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإخراجه و بذله فى سبيل الله ومرضاته وأداء حقه ، دليل على أن سلطان الإيمان أقوى على القلوب من سلطانه . وقد أعظم الله سبحانه ثواب المزكين المتصدقين فى آيات كثيرة من القرآن ، من ذلك قوله تعالى (فأنذرتكم ناراً تلظى . لايصلاها إلا الأشقى . الذين كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى) وقوله تعالى (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الزكاة ووقتها ونصابها ومصارفها ، أكمل بيان وأعدل شرع ، راعى فيه مصالح أرباب الأموال ومصالح المساكين فى وقت واحد . وكان يوصى عماله بالرفق فى طلبها كما قال لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن فقال له « إنك ستأتى قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب » وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لمن يأتى بزكاته ويقول « اللهم صَلِّ على فلان » أو « اللهم صل على آل فلان » ويقول حاثاً على الانفاق « اللهم أعط كل ممسك تلفاً ، وكل منفق خلفا » .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الزكاة طهرة للمال وصاحبه ، وقيد النعمة بها على الأغنياء ، فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته ، بل يحفظه عليه وينميه له ، ويدفع عنه بها الآفات ، ويجعلها سوراً عليه ، وحصناً له وحارساً له . ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث أقسم عليهن: مانقص مال عبد من صدقة . ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزاً . ولا فتح عبد مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فى أربعة أصناف من المال ، وهى أكثر الأموال تداولاً بين الناس ، وحاجتهم إليها ضرورية . أحدها : الزروع والثمار . والثانى : بهيمة

الأنعام ، الإبل والبقر والغنم . الثالث : الجوهران اللذان بهما يقوم كل شيء فى العالم : الذهب والفضة . الرابع : أموال التجارة على اختلاف أنواعها . ثم إنه أوجبها مرة واحدة كل عام إلا زكاة الثمار والزروع فإنها يوم حصادها لقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) .

وحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل صنف النصاب الذى إذا بلغه المال وجب فيه الزكاة . من ذلك قوله « ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، ولا فيما دون خمس ذود صدقة ، ولا فيما دون خمسة أوسق صدقة » ثم أوضح ذلك فجعل نصاب الفضة مائتى درهم ، ونصاب الذهب عشرين مثقالا . وجعل للإبل خمساً وما يعادل ذلك فى البقر والغنم ، فجعل للبقر ثلاثين بقرة ، وللغنم أربعين شاة . وجعل نصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق . وهى خمسة أحمال من أحمال إبل العرب وقد قدرها الفقهاء خمسين كيلة (بالمكيال المصرى) أى كل وسق عشر كيلات .

كما حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقادير الزكاة وفاوت فيها بحسب سعى أرباب الأموال وتحصيلها وسهولة ذلك ومشقته . فأوجب الخمس فيما صادفه الإنسان مجموعاً محصلا مثل الركاز ـ أى الكنز ـ ولم يجعل له حولا . وأوجب ربع العشر فى الذهب والفضة وعروض التجارة . وجعل فى الزروع والثمار العشر فيما يباشر العبد الحرث والبذر ويسقيها الله من السماء . ونصف العشر فيما يتولى العبد السقى بالدوالى والنواضح . وربع العشر فيما كان النماء موقوفا على عمل متصل وجهد دائم .

أما الأنعام فقد جعل فى كل ثلاثين بقرةٍ بقرةً ، وفى كل أربعين شاةٍ شاةً . ولما كان نصاب الإبل لا يحتمل الإخراج من نوعه ، جعل فى كل خمس منها شاةً حتى تبلغ خمساً وعشرين وحينئذ يحتمل نصابها واحد منها ولكن من أقلها سناً ، وكلما زاد عدد الإبل زاد فى سن زكاتها ، حتى إذا بلغت مائة وجب عليها ناقة كاملة . ذلك أعدل خطة ، وأحكم طريقة ، وأقسط سنة . لا يجحف أرباب الأموال ، ولا يضيع حق الفقراء .

أما مصارف الزكاة : أى الذين يستحقون أخذها فقد ذكرهم الله تعالى فى قوله (إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين ،

وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم) فهؤلاء الثمانية أصناف هم المستحقون للزكاة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه لاحظ فيها لغنى ، ولا لقوى مكتسب » وكان يأخذها من أهلها ، ويضعها فى حقها . وكان يأمر بتفريقها على المستحقين الذين فى بلد المال ، وما فضل عنهم منها حُملتْ إليه فيفرقها هو بنفسه .

ولم يكن من هديه وسنته صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة من الخيل ولا الرقيق ولا البغال ولا الحمير ولا الخضروات ولا الفواكه التى لاتكال ولا تدخر ، إلا العنب والرطب فإنه كان يأخذ الزكاة منه جملة ، ولم يفرق بين مايبس منه ومالم يَيْبس .

وكان يبعثُ عماله يخرصون الرطب والعنب ، قبل أن تؤكل الثمار وتصرم . ويأمر الخارص - أى الذى يقدر قيمة الثمار - أن يترك لهم الثلث أو الربع ولا يدخله فى خرصه لما قد يعروها من التلف . وذلك حتى يستطيع أصحابها أن يتصرفوا فيها ويضمنوا قدر الزكاة .

أيها المسلمون : لقد استُحْدثت أنواع جديدة من الأموال فى عصورنا هذه ، ولكن رسولنا صلى الله عليه وسلم وضع القاعدة فلنلحق كل نوع بنظيره . فيلحق الماس والمعادن النفيسه والأحجار الكريمة بالذهب وتقاس عليه . وتلحق به أيضاً الأسهم والسندات وأوراق البنكنوت . وتلحق بالتجارة الدور والعمارات والأموال المودعة بالبنوك . والجاموس نوع من البقر يسرى عليها نصابها . وكذلك الأراضى التى تؤجر فإن على المستأجر وعلى المالك أن يخرجا الزكاة كلا مما يخصه حتى لايضيع حق الفقراء بينهما .

أيها المسلمون : لقد ضيعنا فيما ضيعنا من أحكام ديننا ، وأوامر ربنا ، وهدى نبينا هذه الفريضة المؤكدة - فريضة الزكاة . وهى فريضة كفريضة الصلاة والصوم والحج سواء ، فما بال الناس حتى الذين يؤدون الفرائض الأخرى ، يمسكون أيديهم عن هذه الفريضة ؟ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه ؟ ألم تقرأوا وعيد الله لمن يبخل بحقه بقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة . ولله ميراث السموات والأرض . والله بما تعملون خبير ؟)

نسأل الله العافية . كما نسأله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً لأداء حقوقه ، حتى يزول من بينهم الحسد والإحن والبغضاء ، وتسود بينهم المودة والمحبة التى كانت بين سلفهم ، يوم كان الغنى يعرف حق الفقير فى ماله ، فيؤديه إليه راضياً مسروراً طيبة بها نفسه وصلى الله وسلم و بارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبـــــة الثانية

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونسأله أن يقينا شح أنفسنا حتى نكون مع الفائزين المفلحين .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، الرزاق ذو القوة المتين . ونشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالدين الحق وأظهره على الدين كله ، فأكمل به الدين وأتم به النعمة . صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل جلاله فى الحديث القدسى أنه قال « وماتقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتي أحبه » والنافلة : هى الزائدة عن الفريضة . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة » والزكاة لهـا نوافل كثيرة ، فإذا أديت يا أخى ـ وفقنى الله و إياك ـ مافرض الله عليك من الزكاة فلتكثر من الصدقات حتى يحبك الله .

ولقد حبب الله إلى المسلمين التطوع فى الصدقات فى كثير من آى الذكر . وضرب لهم ولصدقاتهم الأمثال المشوقة ، والمواعظ التى تحنن القلوب وترققها . من ذلك قوله تعـالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم) وقوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير) وقوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هى ،

وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير) وقوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سراً وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى لاتكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم .

وإن الله سبحانه وتعالى كما يحض على البذل والانفاق والتصدق ، فإنه سبحانه يحذرنا من الأسباب التى لاتجعلها مقبولة عنده مثل إعطاء الخبيث حساً أو معنى . فالخبيث الحسى هو ما كان رديئاً فاسداً ، ولا ينتفع منه آخذه . والمعنوى ما كان من سرقة أو غصب ، أو دخل فيه ربا . فالله طيب لايقبل إلا طيباً . ولذلك يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد) يستطيع أن يغنى الناس جميعاً من خزائنه التى لاتنفد ، ولكنه سبحانه جعل الصدقات سبيلا وسلماً لنا لنرتقى فى مدارج الكرامة والشرف عنده .

ومما حذر الله سبحانه وتعالى منه أن يمتن الغنى على الفقير ، ويحاول أن يستذله بما يعطيه من الصدقات . وينسى أن المال مال الله جعله وكيلا عليه ليبتليه ويختبره به ، ويرى كيف يصنع فيما خوّله فيه ، واستخلفه عليه . ولذلك يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل ، فتركه صلداً ، لايقدرون على شىء مما كسبوا . والله لايهدى القوم الكافرين) ويقول تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم) .

أيها المسلمون : إن خير مايقدمه الإنسان لنفسه ، من حياته لموته ، هو البذل فى سبيل الله ، والتصدق على الفقراء ، وخصوصاً لذوى القربى واليتامى . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الصدقة تطفىء الخطيئة ، كما يطفىء الماء النار » وكل ابن آدم خطاء ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى من فضله هذه الصدقات الصغيرة التى نواسى بها ذوى

الحاجة سبيلا إلى تكفير الخطايا والذنوب . فأى إنسان عاقل لاينتهزها فرصة ، قبل أن يقدم إلى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون ، وإنه لابد قادم إليه . فلنبادر إلى إدراك مافاتنا ، عسى الله أن يكتبنا مع الذين قال عنهم (إن المصدقين والمصدقات ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً ، يضاعف لهم ولهم أجر كريم) .

أيها المسلمون : أيكم يتأخر إذا ماطلب منه كبير من كبراء الدنيا قرضاً . فما بالكم لاتستجيبون لداعى الله الكبير المتعال ، مالك الدنيا والآخرة ، الذى بيده مقاليد السموات والأرض ، والذى منه كل مافى أيديكم من المال ، والذى يستطيع أن يسلبكم إياه فى طرفة عين ، بل الذى بيده الموت والحياة ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاء ، والعز والذل ، إنه يدعوكم بالليل والنهار لتقرضوه ، لا لنفسه فهو الغنى . ولكن لإخوانكم فى البشرية ممن أخنى عليهم الدهر ، بل لأنفسكم ليدخرها لكم . فيقول سبحانه وهو الغنى ، فى هذا الأسلوب الذى يلين له الحديد ، ويرق له الصخر (مَن ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعف له ، وله أجر كريم) ويقول (مَن ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعف له أضعافاً كثيرة ، والله يقبض ويبسط ، وإليه ترجعون) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تصدق أحدكم بصدقة فإنما يضعها فى يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ فيربيها له كما يربى أحدكم فُلُوَّهُ ـ المهر الصغير ـ حتى تكون يوم القيامة كأمثال الجبال » ألا يكفى ذلك ، إذا كنا صادقين فى دعوى الإيمان بالله ، وبما أعده للمحسنين فى جنات النعيم ، أن نسارع بالبذل والإنفاق مما أفاء الله علينا مما قل منه أو كثر وخصوصاً لذوى القربى واليتامى ومن نعلم أنهم فى أشد الحاجة إلى أقل القليل ، ابتغاء مرضاة الله ورجاء ماعنده . وما عند الله خير للأبرار .

نسألك اللهم أن توفقنا وجميع إخواننا إلى ذلك ، كما نتضرع إليك ياربنا أن توفق المسلمين جميعاً للعمل بكتابك ، وهدى نبيك . اللهم أصلح ذات بيننا ، واغفر لنا ذنوبنا ، ويسر لنا أمورنا ، واسترعيو بنا . اللهم أصلح الراعى والرعية ، ووفق رجال حكومتنا الجمهورية ، وأصلح بهم شئوننا ، وانصرنا على أعدائنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الأحاديث النبوية

سألنا سائل عن أحاديث ثلاثة وردت فى صحيح البخارى أو فى صحيح مسلم أو فى كليهما وهى :

١ — حديث تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس فى ليلة المعراج .

٢ — حديث سحر الرسول .

٣ — حديث موسى عليه السلام مع ملك الموت .

فقلنا إنها أحاديث صحيحة رويت فى الصحيحين اللذين تلقاهما المسلمون خلفاً عن سلف بالقبول الحسن ولم يتكلم أحد فيهما وفى أى حديث روى فيهما . إلا فى بضع أحاديث تكلموا فيها من الناحية الفنية البحتة وهى ناحية المصطلح : أى الرواية . فقالوا إن فلاناً المحدث خالف شرطه فى هذا الحديث أو ذاك ، ولم يتعرض أحد منهم للطعن فى متن الحديث لأنه لايوافق رأيه . وفتنة تحكيم الرأى فى النصوص بدعة نجمت فى هذه الأيام ، لا يقصد منها التشكيك فى الأحاديث فحسب ، ولكنها خطوة إلى التشكيك فى كتاب الله نفسه . فالإنطلاق فى هذا المضمار لايقف عند حد ، ومتى فتح هذا الباب فلن يستطيع أحد أن يغلقه أبداً . فخير للمسلم أن يتهم رأيه وفهمه ومداركه من أن يتهم النصوص الصحيحة الصريحة . إما ردها جملة وتفصيلا ، و إما بتأويلها تأويلات فاسدة ملتوية .

ثم رأي وعقل مَن الذى يَحكم على النصوص ؟ إن لكل إنسان عقلاً ورأياً قلما يتفق فيهما مع غيره ، فإذا ترك الناس وعقولهم وآراءهم فسيكون لكل منهم دين خاص به حسب عقله ورأيه وفهمه . فينبغى أن يكون للناس موازين ومقاييس ، يرجعون إليها إذا اختلفوا ويثوبون إليها إذا تنازعوا . تلك الموازين والمقاييس هى نصوص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يقول الله تعالى (٤ : ٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون.

بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) فما بال بعض الناس يحاولون تحطيم مقاييس الإسلام وموازينه ؟

ثم نعود إلى الأحاديث موضوع السؤال : أما الحديث الأول : فقد روى فى الصحيحين ولفظ البخارى فى بعض طرقه أنه صلى الله عليه وسلم رجع من المعراج فمر على موسى عليه السلام فسأله : (بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة . قال : إن أمتك لايطيقون ذلك . إرجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . فالتفت إلى جبريل ـ كأنه يستشيره ـ فأشار : أن نعم إن شئت) ثم يمضى الحديث إلى آخره ، وأنه رجع إلى ربه فوضع عشراً ، ولم يزل يتردد بين موسى و بين الله عز وجل و يضع كل مرة عشراً حتى جعلها خمسا . ماذا ينكر فى هـذا الحديث ؟ تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس ، أم ينكر المعراج كله ؟ ما أظن إلا أنه المقصود . لماذا لانفهم من هذا التخفيف أنه تكريم وتشريف من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ؟ لماذا لانفهم من هذا التخفيف أنه من جملة نعم الله وفضله علينا فنزيد حمداً له وثناء عليه ، إذ جعلها خمساً فى العمل وخمسين فى الأجر كما ورد فى بعض الروايات . وما الفرق بين التخفيف فى الصلاة و بين التدرج فى تحريم الخمر الذى نزله الله فى كتابه ؟ اللهم لافرق ، ولا تبديل لأمره وحكمه .

أما الحديث الثانى : فقد روى فى الصحيحين أيضاً . وقد ظن من أنكره أن ينزه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يسحر ، وحسبه نقصاً وعيباً ، وليس كما زعم بل هو من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسم ، لافرق بينهما . ولا يقدح ذلك فى نبوته ، وليس فى هذا مايُدخل داخلة فى شىء من صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، و إنما هذا فيما يجوز طرؤه عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث لسببها ، ولا فُضِّل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر . فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها مالا حقيقة له ، ثم ينجلى عنه كما كان ، كما خُيل لموسى عليه السلام حبال السحرة وعصيهم أنها تسعى . ولافرق . وقد أبان عن هذا ، الإمام ابن القيم فى زاد المعاد بأوضح بيان .

أما الحديث الثالث : فقد رواه البخارى ويفهم من سياقه أن ملك الموت جاء إلى موسى فى صورة آدمى - لا فى صورته الملكى - فلم يعرفه موسى عليه السلام ، فغضب لما أخبره أنه جاء لقبض روحه - وكان فى موسى عليه السلام الحدة والغضب ، كما ورد فى كثير من آى القرآن - فلطمه وهو لا يعلم إلا أنه يلطم آدمياً يعتدى عليه . فلما علم الحق استسلم لأمر ربه ، بل تعجل إلى لقائه ولم يختر البقاء فى الدنيا سنين بعدد الشعر الذى يكون تحت يده من جلد الثور . وحضور ملك الموت إلى الناس فى صورة الآدمى فى الأمم السابقة ورد فى أحاديث كثيرة .

فى الحقيقة لانجد سبباً واحد يدعو إلى إنكار شىء من هذه الأحاديث ، فكلها معقولة جداً وليس فيها مايصادم العقول : عقولنا نحن وعقول من تلقوها قبلنا منذ مئات السنين بالرضا والتسليم . أما أصحاب تحكيم آرائهم فى النصوص فلا حيلة لنا معهم ، إلا أن ندعو الله لأنفسنا ولهم بالثبات والرشد .

التفرق والاختلاف — ٣ —

آفة الجماعة الإسلامية

الأديب عبد السلام رزق الطويل

بكلية اللغة العربية

الوحدة الإسلامية نابعة من صميم عقيدة الإسلام ، بادية فى مظاهر عبادته ، منبعثة من التوجيه الخلق والإسلامى فيه ، ولقد عاش المسلمون فى ظلالها زمنا طويلا ، يشملهم الأمن ؛ وتغمرهم السعادة ، وتبدو عليهم علامات الهناءة » .

(٢) الدعامة الثانية من دعائم الوحدة فى المجتمع الإسلامى : مظاهر العبادة فى الأسلام .

لو تأملنا مظاهر العبادة فى الإسلام من صلاة وصيام ، وحج وزكاة لوجدنا فيها دلائل قوية على هذه الوحدة ، وسماة واضحة على تلكم الرابطة ، ففى الصلاة تتراص المناكب وتتلاقى الأقدام ، وتلتصق الأجسام وتأتلف الأرواح متجهة إلى الله رب العالمين مبتغية الصلة به ، واللجوء إلى حماه ، وفى الصيام وحده فى الجوع ومقاساة الآلام ، ومصارعة النفس وشهواتها ، وفى الزكاة وحدة فى العاطفة والشعور حيث تنبسط يد الغنى بالعطاء للفقير ، وتمتد بالعون للمحتاج ، و بالتنفيس عن المكروب ، وفى الحج وحدة فى الاتجاه ووحدة فى الدعاء ، ووحدة فى التكبير والتهليل ، ووحدة فى أداء المناسك ، وتعظيم الشعائر ، ووحدة فى خلاص القلب وطرد الشيطان عن ساحة النفس ، ثم فضلا عن ذلك فهناك وحدة فى الملبس والمظهر ، والسمة ، والمنظر حيث يقف الجميع على تباين بلدانهم وتفاوت درجاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم فى مكان واحد بلباس واحد ، يشتركون جميعاً أغنياء وفقراء فى بساطة ، إنه مظهر للوحدة كريم ، وآية على ترابط المسلمين محكمة !!

فعبارات الإسلام إذن فى مظهرها وجوهرها تعد دعائم قوية لوحدة المجتمع الإسلامى ، وتماسك أجزائه ، وفى تكرار هذه العبادات فى أوقات معينة تنمية لهذه الوحدة ، وتوطيد لتلك الرابطة .

(٣) الدعامة الثالثة : التوجيه الخلقى والاجتماعى .

إن نظرة الإسلام إلى المجتمع والناس نظرة خاصة تمتاز بالعمق والتفهم والتدبير والخبرة الواسعة بطبائع البشر ونفوس الناس ، ولا عجب فهو من لدن حكيم خبير !! فهو يرى أن الناس إخوة ، وليس هذا القول جزافاً أو قائماً على عاطفة مبالغة ، وإنما يرجع إلى فلسفة عميقة الجذور ، ثابتة الأصول أنظر إلى قوله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير) ، ويوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » إذن أخوة الناس ثابتة ، وحقيقة واقعة ، له سند من الواقع وتأييد من التاريخ ، ومن هنا ساغ للقرآن أن يقول : (إنما المؤمنون إخوة ، فاصلحوا بين أخويكم) ، (فأصبحتم بنعمته إخواناً) ، ومن أجل ذلك أيضاً يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لايظلمه ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

ومن سياق تقرير مبدأ الأخوة يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام مبدأ المساواة ، إذ الأخوة ما داموا إخوة سواء فى الحقوق والواجبات ، ومن هنا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الناس سواسية كأسنان المشط » وفى النصوص التى تقرر مبدأ الأخوة تقرير من جهة أخرى لمبدأ المساواة ، والأخوة المعتبرة فى الإسلام ليس أخوة النسب والمصلحة لأنها أخوة مادية تافهة لا ثبات لها ولا قرار ، بل أخوة الإيمان والعقيدة التى على أساسها بنى الإسلام توجيهاته العمليه الاجتماعية والخلقية مثل : حق الجار على جاره ، وحق الضيف على مضيفه ، وحق الغنى على الفقير ، وحق الأب على بنيه ، وحق الإبن على أبيه ،

وحق الزوج على زوجته ، وحق الزوجة على زوجها ، وحق الحاكم على المحكوم ، وحق المحكومين على الحكام ، ومثل حث المسلمين على : غض البصر ، وكف الأذى ، وتحصين الفرج ، ورد السلام ، و إسداء النصيحة ، وقول الخير ، وانبساط الوجه والإصلاح بين المسلمين ، والإغاثة ، والإعانة ، والتنفيس ، والصدقات بمختلف صورها وأشكالها ، ومثل نهيهم عن : تكذيب بعضهم بعضاً ، وخذلان بعضهم لبعض ، وتحقيرهم لهم ، و إشاعة الفاحشة بينهم ، واستباحة الأموال والأعراض والدماء والنجش[1] ، والبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، والاغتياب والسعى بين الناس بالفساد .

ثم نرى بعد هذا كله أن الإسلام رجع هذه التوجيهات إلى الإيمان ، ور بطها بالعقيدة ، وأقامها على أمتن أساس وأقواه ألا وهو الأخوة فى الله ، فيالها من توجيهات كريمة فى مبناها ، سامية فى مغزاها ومرماها ، حرية بأن تعلى صرح الوحدة ، وتثبت دعائم الألفة ، وتحافظ على أسس المودة والمحبة بين المسلمين .

(٤) الدعامة الرابعة : العصبية الإسلامية .

كانت العصبية طبيعة راسخة فى نفوس العرب ، ولكنها كانت عصبية قبلية ذميمة لاتعرف الحق ولا العدل ولا المعروف كما يصورها شاعرهم إذ يقول :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   فى النائبات على ما قال برهانا

وقول الآخر :

وما أنا إلا من غزية إن غوت   غويت ، و إن ترشد غزية أرشد

ولما جاء الإسلام بسماحته وتشاريعه العالية السديدة كان موقفه من العصبية كموقفه من سائر غرائز الإنسان وطبائعه الفطرية ، أى أنه هذبها ، وسما بأهدافها ، وارتقى بمراميها ، فحطم العصبية القبلية الجاهلية ، وحذر من التمسك بها ، وجعل الدعاء بدعواها نكوصاً إلى الكفر ، ورجوعاً إلى الشرك ، وانغماسا فى الظلمات ، وأبدلها بعصبية أرقى ، وأسمى ،

---

(١) فى اللغة : تنفير الصيد من مكانه ليصاده ، والمعنى المراد هنا : أن يقول الرجل لصاحب السلعة : هل تبيعها بكذا وهو لايريد شراءها وإنما يريد أن يوقع غيره فيها .

وأشرف مرمى ، وأكرم مغزى ، هى التعصب للعقيدة والمبادىء والمقومات الإنسانية الكريمة ، وقد يهولك أن تسمع أن الإسلام حبذ هذه العصبية ورفع من شأنها ، ولكن ينقضى عجبك حين تعلم أن المراد بها ليس هو الرضا بالباطل لأنه جاء من بنى جنسك وأهل ملتك ، والإعراض عن الحق لأنه صدر عن قوم لاتربطك بهم رابطة ، ولا تصلك بهم وشيجة ، وإنما المراد بها الاعتزاز بما لك من دين ومبادىء وتراث إنسانى كريم ، والحرص على نشره ، والعمل على إذاعته حتى ينتفع به غيرك من بنى البشر ، وعدم القعود عن نصرته ، والتهاون فى شأنه . ذلك لأن الدين والتراث والمبادىء هى كيان الجماعة ومقومات وجودها وشرايين الحياة فيها ، فإذا لم تمايز عن غيرها ، وتتضح عن سواها ، فإنها ستذوب ، وتضيع الأمة تبعاً لذلك فى مهب الرياح .

فالجماعة الإسلامية جماعة متمايزة عن غيرها من الجماعات بما لها من عقيدة متينة ، وتشريعات سامية ، وتوجيهات حكيمة جعلت منهم أمة تكاملت فيها كل عناصر الأمة ، واستحقت بذلك أن تكون خير أمة أخرجت للناس كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم .

وقد حرص المسلمون على هذه العصبية الإسلامية فى عصورها الأولى ، فنشروا تحت لوائها دعوة الإسلام فى الأرض ، وأذاعوا مبادئه فى الناس ، ودهش العالم لهذه المبادىء الإنسانية العادلة ، وكانوا يرون أن دينهم هو الحق ، ولغتهم هى اللغة المثلى ، وأدبهم هو الأدب الرفيع . وقد غلوا فى هذا حتى جاوزوا الحد فى عهد بنى أمية إذ كانت دولتهم كما يقول الجاحظ : عربية أعرابية ، لم تستعن بغير العرب فى الولاية والإمارة والديوان ، ولم تستعن فى حياتها بغير علوم العرب ومعارفهم ، وهذا الاتجاه وإن حافظ على الوحدة الإسلامية من ناحية إلا أنه من ناحية أخرى وقف حائلا بين المسلمين وبين مجال التثقيف العام فى العلوم النافعة كالطب والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وغير ذلك من العلوم الكونية البشرية إلا أن ذلك كله يهون بجانب حياطة الدين وحفظه لشرائعه من الثقافات الفلسفية والجدلية ، والديانات الشرقية والوثنية التى سرت إلى العقيدة فيما بعد وشوهتها شر تشويه ، ولا أقول : إن المسلمين قبل ذلك العهد لم يختلفوا ولم يتأثروا بثقافات غيرهم ، ولكنهم اختلفوا وتأثروا بثقافات غيرهم ، ولكن بصورة ووضع ودرجة غير الصورة والوضع والدرجة

التى كانت لهم أو ستكون لهم حين عصر الترجمة فى عهد الدولة العباسية .

الاختلاف فى العصر الأول : اختلف المسلمون فى العصر الأول ، وكان اختلافهم حول أحداث مباشرة لوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد امتاز هذا الخلاف كما أشرنا إلى ذلك فى المقال السابق بحسن النية وتوافر الحرص للوصول إلى الحق ، ولهذا حينما كان ينجلى لهم وجه الحق فيما يختلفون فيه يلوذ كل منهم إلى ذلك الحق تاركا رأيه وهواه طارحاً هواجس نفسه وراءه ظهرياً .

فقد اختلفوا كما قال الشهرستانى فى الملل والنحل[1] فى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى حسم الحق أبو بكر رضي الله عنه ، واختلفوا فى مكان دفنه وانتهوا إلى أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون . واختلفوا فى الخلافة وانتهوا إلى اختيار أبى بكر . واختلفوا فى قتال المرتدين ، وكان بعض المسلمين وفيهم عمر رضى الله عنه يرى أن لا قبل للمسلمين بقتال العرب وليلازم المسلمون وخليفتهم دينهم ومسجدهم ، حتى قال أبو بكر قولته : والله لومنعونى عقالا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه .

ثم تطور الخلاف إلى شر ، وتحول إلى وزر ، وأمسى باطلا ظهرت فيه نية السوء وضعف الثقة ، ودوافع العدوان ، وظهر فى محيط المسلمين منافقون وطلاب رياسة ومبتغوا إمارة . وكانت بذرة الشر الأولى مقتل عمر الذى كان المثل الكامل للعدالة فى الإسلام . وحامى حمى الدولة الإسلامية وناشر لوائها ، وكان مقتله على يد أبى لؤلؤة فيروز المجوسى مولى المغيرة بن شعبة ، ثم تلتها القاصمة ، والفتنة الجائحة التى بددت الشمل وفرقت الجمع ، وبذرت بذور الفرق والأحزاب ، وهى مقتل عثمان ، وقيام الحرب بين على ومعاوية ، تلك الحروب التى أريق فيها من الدماء الزكية مايحز فى نفوس المسلمين الغيورين فى كل عصر وزمان .

عفا الله عنهم فقد كانوا قبل ذلك حماة الإسلام وحاملى دعوته والمجاهدين فى سبيله . وأما أسباب الخلاف ، وتطوره ، ونشوء الفرق والأحزاب من ورائه فذلك هو حديثنا القادم إن شاء الله .

---

(١) الجزء الأول ص ٢٣ ط صبيح سنة ١٣٤٧ هـ .

تراجم مختصرة لأئمة الحـــديث

البخـــارى

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى .

ولد ببخارى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

وتوفى ليلة السبت ليلة عيد الفطر ودفن يوم الفطر بعد الصلاة سنة ست وخمسين ومائتين بقرية خرتنك على فرسخين من سمرقند .

اشترط فى صحيحه أن يكون الراوى للحديث عاصر من يروى عنه وسمع منه بلاواسطة . وسمى كتابه الجامع الصحيح : سماه جامعاً لأنه جمع فيه جميع أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، فأتى فيه بأحاديث الأحكام ، والعقائد ، وأحاديث الرقاق ، وآداب الأكل والشرب ، وأحاديث السفر ، والقيام والقعود ، وأحاديث التفسير والتاريخ والسير ، وأحاديث المناقب والمثالب ، وأحاديث الفتن ، وأحاديث فى جميع الشئون والفنون ، وسماه صحيحاً لأنه اشترط أن لايدخل فيه إلا ماصح عنده من الحديث على شرطه بعد التحرى والتدقيق الشديد .

وصحيح البخارى أربعة آلاف حديث بإسقاط المكرر وبالمكرر سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً ، وقد عنى البخارى بتقسيم كتابه على أبواب الفقه ، واستنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث ، والترجمة بذلك لأبواب الكتاب فجاء كتابه آية من الآيات الدالة على علو مرتبته ، وسمو مكانته ، فى الفقه والعلم ، حتى أنه سمى بحق أمير المؤمنين فى الحديث ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

مســــلم

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى .

ولد سنة أربع ومائتين ، وتوفى لأربع بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين

اشترط فى صحيحه أن يكون الراوى معاصراً لمن يروى عنه ، ولم يشترط السماع .

وصحيحه يلى صحيح البخارى فى علو الرتبة ، ورفع الدرجة ، ويرى بعضهم أنه أعلى رتبة ، وأرفع درجة من صحيح البخارى .

قال الإمام النووى فى مقدمة شرح صحيح مسلم : وقد انفرد مسلم ـ أى عن البخارى ـ بفائدة حسنة ، وهى كونه أسهل متناولاً من حيث أنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به ، جمع فيه طرقه ، فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه ؛ بخلاف البخارى ، فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقة ، وكثير منها يذكره فى غير بابه الذى يتبادر إلى الفهم لدقيقة يفهمها البخارى ، ومما قيل فى تفضيل صحيح مسلم أنه لم يكثر فيه من التعليق ، كما فعل البخارى الذى جمع فى صحيحه بين الفقه والحديث ، وكان هذا العمل نفسه سبباً لتفضيله على مسلم عند آخرين .

وصحيح مسلم أربعة آلاف حديث أيضاً ، وبالمكرر ثمانية آلاف .

وبالجملة كان لصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، المنزلة العالية عند جمهور العلماء والفقهاء والأصوليين ، والنحويين ، والمتكلمين وغيرهم ـ وهم أهل الحذق والفهم فى هذه الفنون والعلوم ، دراية ورواية ، ومتناً وسنداً ـ وكان لهما تلك المنزلة ، وذلك الاحترام ، لأنهما اشترطا أن لا يوردا فى جامعيهما إلا الصحيح الذى لايستطيع أحد من أقرانهما أن يقدح فى صحته ، وقد وفيا بشرطيهما ، فكانا هما العمدة والصحيح والموثوق بهما ، إلا أن أهل الاتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث قالوا : إن كتاب البخارى أصحهما صحيحاً ، وأكثرهما فوائدومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخارى ، ويعترف له بأنه ليس له نظير فى علم الحديث ، وهو يشارك البخارى فى كثير من شيوخه .

فإذا علمت أنهما انتقيا صحيحيهما هذين ، من بين مئات الآلاف من الأحاديث التى

جمعاها لأنهما التزما أن لا ينقلا من الأحاديث إلا ما كان مجمعاً على ثقة نقلتها إلى الصحابى المشهور ، و بشرط أن يروى الحديث عن الصحابى راويان على الأقل ، وأن يروى عن كل راو راويان حتى يتصل إلى شيوخهما ، إذا علمت ذلك ، أدركت السبب فى تقديمهما واحترامهما ، وتلقيهما بالقبول ، ووضعهما فى المنزلة الثانية بعد كتاب الله تعالى .

أبو داود

هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدى السجستانى .

ولد سنة اثنتين ومائتين ـ وتوفى بالبصرة يوم الجمعة فى سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين .

وهو صاحب كتاب السنن ، جمع فيه الصحيح والحسن واللين الصالح للعمل ، ولم يذكر فيه حديثاً أجمع الناس على تركه ، وما كان منه ضعيفاً صرح بضعفه .

وتنقسم أحاديث سننه إلى ثلاثة أقسام .

١ ـ القسم الأول : الصحيح المخرّج فى الصحيحين .

٢ ـ القسم الثانى : صحيح على شرطه ، وهى أحاديث أقوام لم يجمع على تركها ، و إسنادها متصل من غير وقف ولا إرسال .

٣ ـ القسم الثالث : أحاديث أخرجها من غير قطع منه بصحتها ، وقد أبان علتها ، و إنما أودع هذا القسم فى كتابه لرواية قوم لها ، واحتجاجهم بها ، فما أوردها ، و بيّن سقمها إلا لتزول الشبه ، ولأنها عنده أقوى من آراء الرجال .

ومكانة كتاب سنن أبى داود بعد الصحيحين عند جمهور العلماء والفقهاء ، وعنى بها كثير منهم ، وقد اختصره الحافظ المنذرى وشرحه أبو سليمان الخطابى ، وكتب الإمام ابن القيم تهذيباً على مختصر المنذرى . وقد جمع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية هذه الكتب الثلاثة ـ مختصر المنذرى ، وشرح الخطابى ،

وتهذيب ابن القيم - فى كتاب واحد ، رتبه ورقم أحاديثه وعلق عليها - وأخرجه فى ثمانية أجزاء ، فى غاية من الجودة والإتقان .

النســـائى

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار الخراسانى النسائى ، ولد سنة خمس عشرة - وقيل خمس وعشرين - ومائتين وتوفى بمكة فى شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة .

وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه ، وكتابه الرابع بين كتب السنة الستة التى حازت القبول ، وتداولها فقهاء الأمصار ، وعليها المدار فى الاستدلال واستنباط الأحكام .

وينقسم كتابه إلى نفس الأقسام الثلاثة التى مر ذكرها فى سنن أبى داود .

ويقدمه بعضهم على سنن أبى داود من جهة التصنيف ، وإن كان الإجماع على خلاف ذلك . ولم يتعرض العلماء لشرحه أو التعليق عليه إلا القليل .

الترمـــذى

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمى الضرير الترمذى .

ولد سنة تسع ومائتين - توفى بترمذ ليلة الاثنين ثلاث عشر من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وهو صاحب كتاب السنن ، وقد قسمه إلى نفس الأقسام الثلاثة التى فى كتابى أبى داود والنسائى ، إلا أنه زاد عليهما فى كتابه قسما رابعاً ، أبان هو عن أحاديثه ، وهى الأحاديث التى عمل بها بعض الفقهاء ، وعلى هذا الأصل أخرج كل حديث احتج به محتج أو عمل به عامل ، سواء صح طريقه أو لم يصح ، وقد تكلم عن كل حديث بما فيه ، وإنما أورد هذه الأحاديث من باب الشواهد والمتابعات .

وكان لجامع الترمذى حظ وافر من اطلاع العلماء عليه ، والاعتناء بشرحه والتعليق عليه

ومما لوحظ أن الأجل حال بينه وبين من تصدى لشرحه الشرح الوافى الكافى فما تعرض منهم له أحد حتى تخطفته يد المنون قبل أن يتم شرحه أو التعليق عليه .

ابن ماجه

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجة الربعى .

ولد سنة تسع ومائتين . وتوفى لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

وكتابه من السنن الأربعة الصحاح . وفى عده من الصحاح خلاف بين أئمة الحديث . وهو فى الجملة دون الكتب الخمسة المتقدمة فى المرتبة ، ولم يُعَدّ فى السنن ، ويجعل سادساً للخمسة إلا عند المتأخرين .

وسبب نزول مقام كتابه عن مقام سنن أبى داود والنسائى والترمذى أنه خرَّج عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث . وروى فيه أحاديث لا تعرف إلا من جهة هؤلاء .

ولم يمتن العلماء بشرحه اعتناءهم بالصحيحين والسنن الثلاثة لأن ما انفرد به لا يخلو من خدش غالباً .

سليمان رشاد محمد

حاشية :ــ سنتبع هذه التراجم ، بتراجم مختصرة لبقية أئمة الحديث ، وأئمة المذاهب ، إن شاء الله .

(بقية الإفتتاحية)

ونرجو أن لا يأتى مثل هذا اليوم من العام القادم ، إلا وقد مَنَّ الله على العرب والمسلمين بالاتحاد فى دولة عربية إسلامية واحدة . دستورها القرآن ، وإمامها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشعارها لا إله إلا الله . تحت زعامة قوية تجدد لهذه الأمة أمر دينها ، فتتبوأ المكانة المرموقة بين الدول ، بل تكون قدوة لجميع الأمم فى المجال الإنسانى الكريم .

اللهم حقق لنا ذلك ، إنك على كل شىء قدير . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

تعليقـــات

- ١ -

كثر فى هذه الأيام أخذ أحاديث صحفية من بعض السادة العلماء ، ونشرها بعناوين مثيرة ملفتة للأنظار ، وحشوها بكثير من الغمز واللمز ، مما يقطع أن هؤلاء الصحفيين إنما يريدون السخرية من الدين وحملته .

من ذلك مانشر بالعدد الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٦/١٦ من مجلة روز اليوسف وفيه يتحدث عالم وصفوه بأنه إمام أهل السنة بالمغرب عن التمثيل والموسيقى ، وأم كلثوم وعبد الوهاب ، ويوسف وهبى وعبد الحليم حافظ ، ويأمه القمر على الباب ، والشيخ جمال الدين الأفغانى - الذى وصفه الشيخ أو الناشر لا أدرى - أنه جمال الطين ، وعن الشيخ محمد عبده - وقد وصفه أيضاً سامحه الله بأنه فاتح باب الضلال . وقد نشر الحديث فى صفحتين من المجلة مع الصور الكريكاتيرية المناسبة المقام فى خلط وتشويه عجيب . فبينما تجده يتكلم عن الصلاة فى النعال ، إذا به يقفز إلى أنه يود لو تذاع « يامه القمر على الباب » أربع مرات كل يوم .

ومن ذلك مانشر بالعدد الصادر فى ١٩٥٨/٦/٢٠ من جريدة الأخبار عن موضة الشوال ، ورأى عالم من كبار العلماء فيها . ووصفه لمن يسمح لزوجته أو بنته بارتداء الشوال ، بأنه كافر ، ولعل فضيلته لايعلم أن كلمة كافر لم تعد تفزع أحداً من هؤلاء ، وأنها فقدت مدلولها عندهم ، بل لعلهم يحبون أن يوصفوا بها . لأنها وأخواتها : ملحد ، فاسق ، إباحى وغيرها ، أصبحت ترادف عندهم متمدين ، متحضر ، مثقف ، وياليت فضيلته وصفهم بالدياثة وما شابها من الألفاظ التى قد توقظ فيهم الذكورة التى تحافظ وتغار على أنثاها .

لاأريد بهذه الكلمة أن ينصرف العلماء من واقع الناس وحياتهم إلى صوامع وكهوف وبروج عاجية ، بل أدعوهم إلى المزيد من مخالطة الناس ومعالجة أمراضهم الخلقية والاجتماعية وانحرافهم عن دين الله وصراطه المستقيم . ولكن فى حذر ويقظة حتى لايكونوا سبباً فى الهزء والسخرية بالدين ورجاله يمكنهم أن يعطوا للصحف والمجلات أحاديث مكتوبة ،

ويحظروا عليهم زيادة كلمة أو نقص كلمة منها ، ويمكنهم غير ذلك حتى يضمنوا وصول إرشادهم ووعظهم إلى الناس كما أرادوا من غير تشويه ومسخ يؤدى إلى عكس ماأرادوا .

— ٢ —

روى الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى (نحو النور) بجريدة الأخبار يوم ١٩٥٨/٦/٢٤ عن السيد مدحت أحمد ، أنه صلى الجمعة فى مسجد سوق التوفيقية ، وأن الخطيب استمر فى الخطبة أربعين دقيقة حتى فاته القطار . وأن فى مسجد الرفاعى إماماً لاتقل مدة خطبته عن ساعة ، وأن فى الأزهر خطيباً أمهم وظل يخطب أربعين دقيقة . ثم أخذ السيد مدحت يرغى ويزبد ويثور ويستعدى وزارة الأوقاف على هؤلاء الخطباء . ويقول أنه يعرف نفراً من المسلمين آثروا عدم التردد على المساجد يوم الجمعة حرصاً على وقتهم وحتى لاتتعطل أعمالهم .

أربعون دقيقة : كاملة ضيعها السيد مدحت هباء من وقته الثمين فى الإصغاء إلى خطيب يتكلم فى الدين . أربعون دقيقة تضيع كل أسبوع ، .إنها لإحدى الكبر . إنه لأعلم من خطباء المساجد جميعاً ، إنه لايذهب إلى المساجد يوم الجمعة إلا لأنه اعتاد على ذلك . أما أنه يذهب ليسمع علما ، ويزداد معرفة بدينه ، ويسمع وعظاً يذكره بما نسى ، وينبهه لما غفل عنه فذلك مالم يخطر على باله .

إن بعض الناس يحلو له أن يتكلم فى الدين كما يتكلم عن أى شىء آخر ، من غير تثبت ولا إطلاع ، ولا يدرى هؤلاء المساكين أن الدين قد أنزله رب السموات والأرض الذى بيده ملكوت كل شىء ، وأنه لاعمل فيه لنبى ولا إمام ولا أحد أبدا إلا التبليغ عن الله رب العالمين . فهل يستدرك هؤلاء على الله الذى أنزل فى كتابه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) فما هى تلك الأعمال والمواعيد وشئون الرزق التى يتشدق بها هؤلاء . نعوذ بالله من مرض القلوب .

ماذا يستفيد مثل السيد مدحت هذا من الصلاة أو الخطبة التى يسمعها وهو جالس على

أحر من الجمر : ضجراً ، سئما ، متبرماً يكاد ينشق غيظاً ، يتطلع إلى ساعته فى كل دقيقة مرتين . إنه لم يستفد منها شيئاً بل خرج بذنب عوقب عليه ـ كما ذكر فى كلمته ـ ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

بالله عليك ياسيد مدحت ألم يحدث أنك جلست ثلاث ساعات كاملة أمام شاشة السينما وأنت مسرور مبتهج بما ترى من الإثم والفجور ؟ ألم يحدث أنك جلست أمام المذياع ساعات تسمع إلى رواية من تلك الروايات التافهة التى تذاع ، محاولا أن يسود حولك السكون لاحتى لاتفوتك كلمة ؟ ألم يحدث أنك جلست على قهوة لعبت فيها (عشرتين طاولة) استغرقت منك ساعة أو أكثر فى لهو و باطل ؟ ألم يحدث أنك جلست فى الطريق تحملق فى المارة ساعات وساعات تُكتب عليك مع كل نظرة وزراً تحاسب عليه يوم القيامة (يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) .

لماذا لايشتكى النصارى ولا اليهود من طول المواعظ التى يسمعونها فى كنائسهم و بيعهم يوم الأحد والسبت ، مع أنهم يقضون الساعات الطويلة يصغون إلى كلام قد لايكون معقولا ولا مفهوما عند كثير منهم ، ولكنه احترام الدين ، والإبقاء على وازعه فى القلوب ، والضمائر . إذ بدون ذلك يكون الناس وحوشا ضارية .

إن على من ينشر مثل هذا الطعن فى الدين و يعلق و يحبذه كفل من الوزر ، خصوصاً إذا كان ممن نعلم أنه من الفاهمين لدينهم من أمثال الأستاذ محمد زكى عبد القادر . لقد تعود المسلمون منذ الفجر الأول للإسلام إلى وقتنا هذا أن يتفرغوا للصلاة والعبادة يوم الجمعة ، وأن يذهبوا إلى المساجد مبكرين ، وأن ينصتوا إلى المواعظ ، وأن يصغوا إلى الإرشاد ، وأن يتعرفوا إلى شئون إخوانهم المسلمين ، وأن يتعاونوا معهم على البر والتقوى ، وكيف يتأتى ذلك لمن يريد الصلاة وهو يجرى .

وكثيراً مانسمع عن التخفيف ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالتخفيف ، فما هو حد هذا التخفيف ؟ إنها مسألة نسبية ، فنصف الساعة أخف من ساعة ، والساعة أخف من

الساعتين ، ذلك أمر لا يحتاج إلى إيضاح ، فليترك كل إمام وتقديره ، وأهمية الموضوع الذى يعالجه .

(٣)

صدرت فى الآونة الأخيرة مجلة تزعم أنها ستعمل على تنظيف التصوف من الخرافات والخزعبلات والشعوذة والبدع ، ولا أدرى ماذا يبقى فى التصوف بعد ذلك ؟ ثم هى بعد ذلك كلمات متناقضة متخبطة ، ينقض كل كاتب كلام الكاتب الذى قبله ، بل يتناقض مع نفسه بين فقرة وأخرى ، وهكذا الباطل وأهله .

لقد اطلعت على العدد الثانى منها فلم أجد فيها مايستحق القراءة ، فكلها أباطيل سودت بها صفحات ممن تغذوا بمفتريات سلفهم ، وأنا على يقين من أنهم ـ مهما أعطوا أنفسهم من ألقاب ـ لا يدرون مما يقولون شيئاً ، و إن هى إلا تمويه ودجل ، وما صدرت هذه المجلة إلا لتعيد الطلاء على وجه التصوف الباهت بطلاء قد يجذب بعض البسطاء والسذج علهم يحيون موات طرقهم . و إن ربك لبالمرصاد . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون[1] .

(٤)

أفتى فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الأزهر ـ لمندوب الإذاعة بأن الأرباح التى يأخذها المتعاملون مع صندوق التوفير بالبريد حلال ، ولا يمكن اعتبارها ربا .

فأصدر فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن راشد رئيس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بمحرم بك ـ الأسكندرية رسالة فى أكثر من عشرين صفحة من القطع الكبير ، أورد فيها نص فتوى الشيخ شلتوت ، ثم رده عليها ، ثم بيان ربا النسيئة ، وربا الفضل ، والحكم فى بديلى الذهب والفضة من البنكنوت والعملات الأخرى ، والحكم فى الأموال المودعة بالبنوك وصناديق التوفير ، وما يجب على من ابتلى بأكل الربا ، ثم أورد فصلا فى فساد حجة من رد أحاديث الآحاد .

والرسالة مكتوبة بأسلوب مقنع وأدلة واضحة ، وهى تطلب من الأستاذ المؤلف وعنوانه : ٤٣ شارع المعز ـ محرم بك ـ اسكندرية وثمن الرسالة ثلاثة قروش .

(١) للأستاذ عبد الرحمن الوكيل كلمة قيمة عن مجلة التصوف بهذا العدد .

طـــــــرائف

(١)

كانت للفضيل بن عياض، إبنة صغيرة ، فوجع كفها . فسألها يوماً وقال : يابنية ما حال كفك ؟ قالت : يا أبت بخير ، والله لأن كان الله تعالى ابتلى منى قليلا ، فلقد عافى منى كثيرا ابتلى كفى ، وعافى سائر بدنى ، فلله الحمد على ذلك . فقال : يا بنية أرنى كفك ، فأرته ، فقبلها . فقالت : ياأبت ، أناشدك الله ، هل تحبنى ؟ قال : اللهم نعم فقالت : سوءة لك من الله ، والله ماظننت أنك تحب مع الله سواه . فصاح الفضيل وقال : ياسيدى ، صبية صغيرة تعاتبنى فى حبى لغيرك ، وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك .

(٢)

حكى الشعبى ، قال : أنفذنى عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم ، فلما وصلت إليه،جعل لا يسألنى عن شيء إلا أجبته . وكانت الرسل لاتطيل الإقامة عنده ، فحبسنى أياماً كثيرة ، حتى استحثثت خروجى . فلما أردت الإنصراف ، قال لى : من أهل بيت المملكة أنت ؟ فقلت : لا، ولكنى رجل من العرب فى الجملة ، فدفع إلىّ برقعة ، وقال لي إذا أديت الرسائل إلى صاحبك ، فأوصل إليه هذه الرقعة . قال الشعبى : فأديت الرسائل عند وصولى إلى عبد الملك ، وأنسيت الرقعة ، فلما صرت فى بعض الدار ، أريد الخروج ، تذكرتها فرجعت، فأوصلتها إليه . فلما قرأها ، قال لى : أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك ؟ قلت : نعم . قال لى من أهل بيت المملكة أنت ؟ قلت لا ، ولكنى من العرب فى الجملة . ثم خرجت من عند عبد الملك ، فلما بلغت الباب ، رددت . فلما مثلت بين يديه ، قال لى : أتدرى مافى الرقعة ؟ قلت ، لا قال : اقرأها ، فقرأتها ، فإذا فيها « عجبت من قوم فيهم مثل هذا . كيف ملكوا غيره ؟ » فقلت له : والله لو علمت مافيها ماحملتها ، و إنما قال هذا لأنه لم يرك قال : أفتدرى لم كتبها ؟ قلت : لا ، قال حسدنى عليك ، وأراد أن يغرينى بقتلك . قال الشعبى : فبلغ ذلك ملك الروم ، فقال : ما أردت إلا ماقال .

(٣)

روى الأوزاعى أنه أدخل على عبد الله بن على عم السفاح ـ وكان قد قدم الشام وقتل خلقاً كثيراً من بنى أمية ـ فسأله فقال : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير . قال : ماتقول فى دماء بنى أمية ؟ قلت : قد كان بينك و بينهم عهود ، وكان ينبغى أن يوفوا بها . قال : ويحك اجعلنى و إياهم لا عهد بيننا . فأجهشت نفسى ، وكرهت القتل ، فذكرت مقامى بين يدى الله تعالى ، فلفظتها ، فقلت : دماؤهم عليك حرام فغضب ، وانتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه . فقال لى : ويحك ، لم ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : ثيب زان ، ونفس بنفس وتارك لدينه » قال : ويحك ، أو ليس الأمر لنا ديانة ؟ قلت : كيف ذلك ؟ قال : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى لعلى ؟ قلت : لو أوصى إليه ، لما حكّم الحكمين ، فسكت .

(٤)

يحكى أن الرشيد قال يوماً للفضيل : ما أزهدك ! فقال له الفضيل : أنت أزهد منى . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى أزهد فى الدنيا ، وأنت تزهد فى الآخرة ، والدنيا فانية ، والآخرة باقية .

(٥)

مدح الكرم وذم البخل

قال النبى صلى الله عليه وسلم : اصطناع المعروف يقي مصارع السوء . وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق و يبغض سَفْسافَها .

وقال أكثم بن صيفى حكيم العرب : ذلّلوا أخلاقكم للمطالب ، وقودوها إلى المحامد ،

وعلموها للمكارم ، ولا تقيموا على خُلق تَذمُّونه من غيركم ، وصِلُوا من رغب إليكم ، وتحلّوا بالجود يكسبكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل ، فتتعجلوا الفقر .

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوّفه الفقر ، فردّ عليه : (الشيطانُ يَعِدُكم الفقرَ ويأمركم بالفحشاء والله يَعِدُكم مغفرةً منه وفضلا) وإنى أكره أن أترك أمراً قد وقع لأمرٍ لعله لايقع .

وقال أبو ذر : إن لك فى مالك شريكين : الحَدَثان ، والوارث ، فإن استطعت أن لا تكون أبخسَ الشركاء حظاً فافعل .

وقال بزرْجُمَهرُ الفارسى : إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فإنها لاتفنَى ، وإذا أدبرت عنك فانفق منها ، فإنها لاتبقى .

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لاتَبْخَلَنَّ بِدُنيـــا وهى مُقْبِلةٌ فليس يَنْقُصُها التَّبْذيرُ والسَّرَفُ
وإنْ تَوَلَّتْ فأحْرى أن تجود بها فالحمدُ مِنها إذا ما أَدْبَرَتْ خَلَفُ

وقال عبد الله بن عباس : سادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء .

وقال زياد : كفَى بالبخل عاراً أن اسمه لم يقع فى حمد قط ، وكفى بالجود مجداً أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

قال الشاعر :

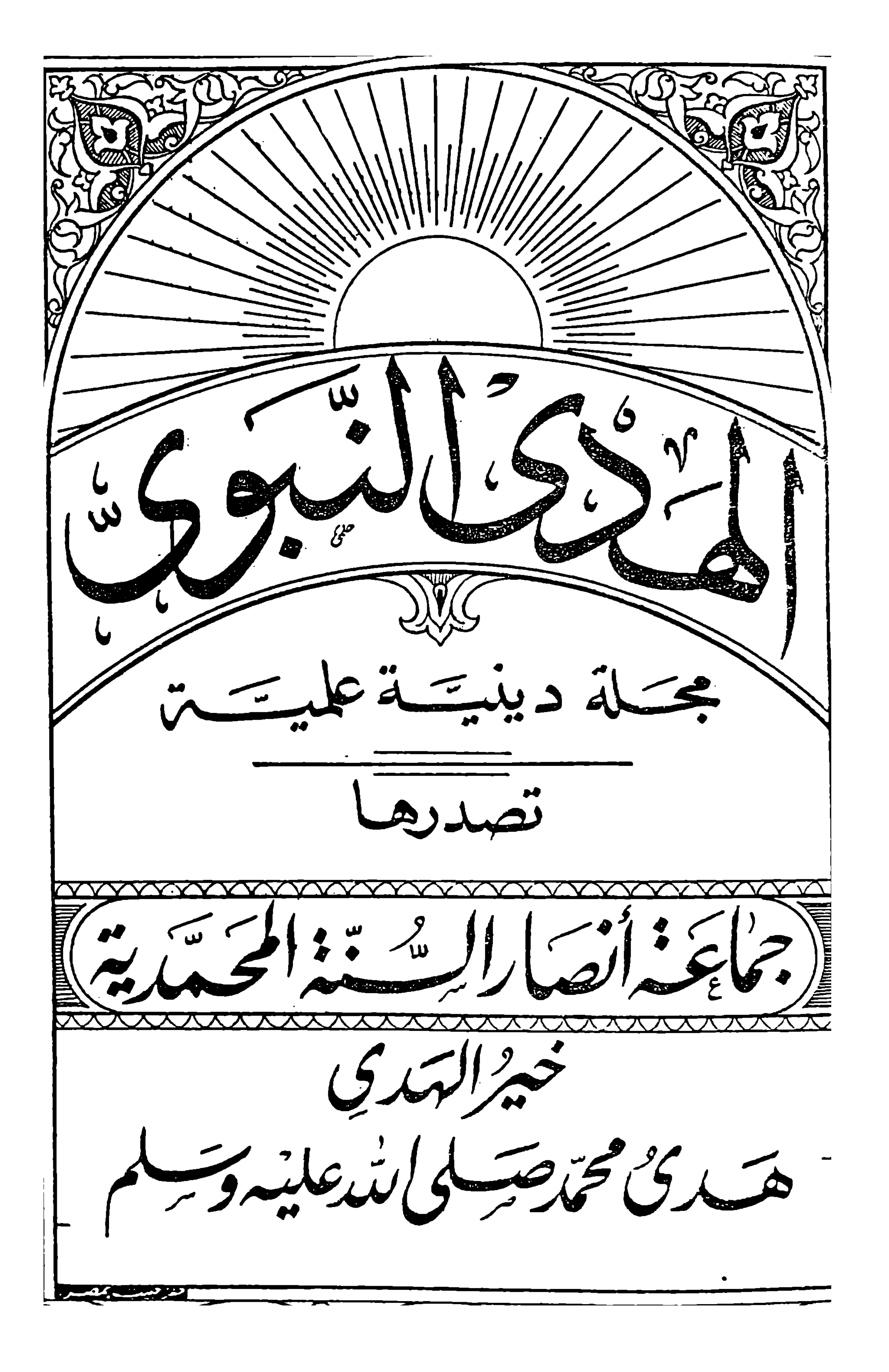
إن الحيـــاة مزارعٌ فازرعْ بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى ســوى آثارهم والعين تفقــد
أو ما سمعت بمن مضى هذا يذم وذاك يحمــد

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧



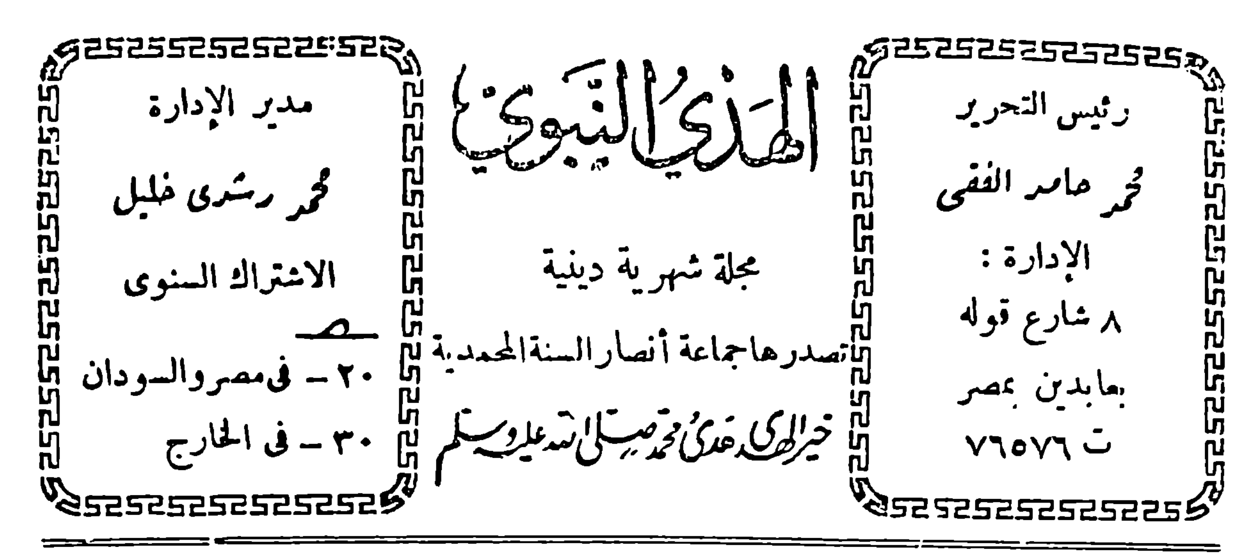
الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدي
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين لإرسال مابعهدتهم . ولهم جميعاً الشكر .



المجلد ٢٣ صفر سنة ١٣٧٨ العدد ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ٢ ، ٣ وآتينا موسى الكتاب . وجعلناه هدى لبنى إسرائيل : ألاَّ تتخذوا من دونى وكيلا . ذُرِّيَّةَ من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) .

« موسى » هو ابن عمران، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . وينطقه اليهود « موشى » بالشين . وهو مركب من كلمتين عبريتين « مو » بمعنى الماء . و « شا » بمعنى الشجر . يعنون الذى وجد بين الماء والشجر .

و « الكتاب » المراد منه هنا : التوراة . وأصل « الكَتْب » عند العرب : ضم أديم إلى أديم بالخياطة . يقال : كتبت السقاء ، إذا جمعت طرفى الجلد بالخياطة . فسمى العرب – من ذلك – المضموم من الحروف والكلمات إلى بعضها بالخط ، أو باللفظ ، ليؤدى معنى مقصوداً : كتاباً . وسماه الله أيضاً فرقاناً ، قال سبحانه (٢١ : ٤٨ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) .

و « الكتاب » فى الأصل مصدر . ثم سمى المكتوب فيه كتاباً ، وهو اسم للصحيفة مع المكتوب فيها من كلام .

و « جعل » الجَعْل : تصيير الشىء على حالة يوجد منه بها المقصود من هذا الجعل . فالله قد صيَّر التوراة – بما فيها من العلوم والحقائق والشرائع والإرشاد والبيان لما يصلح بنى إسرائيل وينقذهم من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم ، وينير لهم طريق الحياة القويم ،

فى العقائد والأعمال والأخلاق . ويعرفهم بربهم معرفة صادقة ، خالصة من تقاليد جهالات وظلمات أوهام وخرافات ووثنيات الصوفية . فلا يتخذون من دونه ولياً ونصيراً ، ولا حفيظاً ولا وكيلاً ولا وسيطاً ولا شفيعاً .

وإنما يتم ذلك ويحصل لمن يتلو الكتاب حق تلاوته ، ويفهمه حق فهمه ، ولا يكون مثل الحمار يحمل أسفاراً لا يعقلها ، ولا يفهم منها معنى ، فهذا المتدبر المتفقه هو الذى يعرف من فهمه للكتاب ربه منزل الكتاب بأسمائه وصفاته .

صير الله التوراة ـ بهذا كله وبغيره من الذكرى والعبر ـ ليهدى الله بنى إسرائيل ، وينير لهم طريق الحياة الآمنة الطيبة ، فيعرفوا نعم الله عليهم ويقدروها قدرها ، ويشكروها بوضعها مواضعها ، ويزكيهم ما استفادوا من الهدى والعلم ، ويطهرهم من الجاهلية وتقليد الآباء ، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً ، فترق قلوبهم القاسية وتلين ، فتتأثر بالعظات والعبر ، وتذوق سعادة التراحم والشفقة بأنفسهم وبغيرهم ، فيكونوا من المحسنين ، ويعرفوا لكل ذى حق حقه . فيعطوا الرب حقه من العبادة بجميع أنواعها . ويعطوا العبد حقه الملازم للعبودية والمناسب لها فلا يتخذوا عبداً ـ حياً ولا ميتاً ـ من دون الله وكيلا ولا ولياً ولا حفيظا ولا نصيراً .

و « الاتخاذ » افتعال من الأخذ . والأخذ هنا معناه الاختيار والتخصيص وقد يجرى مجرى الجعل .

و « الوكيل » فعيل بمعنى مفعول ، يعنى مُوَكَّل . وهو من تعتمد عليه وتُسند إليه القيام بأمرك . وتختاره نائباً عنك فى الحصول على ماتريد ، أو صيانته وحفظه ، لأنه يعجزك ويعييك القيام به على وجهه الأكمل . معتقداً أنه قادر على القيام به خير قيام ترجوه .

وذلك يقتضى ـ ولا بد ـ أن يعتقد الموكل عند الوكيل علماً تامًّا بهذا الأمر من جميع جوانبه ، وقدرة تامة على تحصيل هذا الأمر تحصيلا كاملا ، ودفع كل ما يعترضه من صعاب وتذليل كل مايقوم فى طريقه من عقبات ، حاضرة ومستقبلة . مشهودة أو غائبة . وكفايته فى حفظه وصيانته ، والقيام عليه .

ومن ذلك كان من معانى كلمة « وكيل » عنـد العرب : الحفيظ ، والقيِّم ، والمدبر ، والولي، والناصر ، والمدافع . و يوضح هذا اتخاذ الجاهليين ـ من قديم الدهور و إلى اليوم ـ أولياءهم من موتى القبور المقدسين ، وكلاء فى قضاء الحاجات ، وشفاء المرضى ، ورد الغائب والانتقام من الأعداء ، وغير ذلك ممـا يستغيثون بهم فيه . واذهب إلى أى قبر من القبور المقدسة المؤلهة ، تسمع ذلك صريحاً . أو اقرأ أى كتاب طبقات الأولياء تجد فيه : أن الولاية ـ عند أولئك الجاهليين ـ لا تتحقق إلا بأن يكون الميت متصرفا فى الأرزاق والآجال ، والخفض والرفع ، والعطاء والمنع ، والقهر والتحكم . واقرأ الطبقات الـكبرى للشعرانى .

و « ذرية » منصوب على النداء . أى يا ذرية من حملنا مع نوح ، أو منصوباً على البدل من « وكيلا » أو على التخصيص ، بتقدير « أعنى » .

و « الذرية » النسـل ، وهو مأخوذ من الذَّرة ، وهى أصغر شىء وأدقه . وسمى النسـل « ذرية » لأن الحيوان المنوى من الذكر و بويضة المرأة ، صغيران جداً جداً ، لا تمـكن رؤيتهما إلا بالمنظار الذى يكبر المرئى به آلاف الأضعاف .

و « عبد » هو الذى حقق معنى العبودية بتمام الذل والخضوع والإسلام الصادق لرب العالمين ومربيهم جميعاً بنعمه وفضله وآياته و إحسانه. لأنه عرف الربوبية معرفة صادقة ، من تفـكره وتأمله فى مظاهر ومجالى أسماء الرب وصفاته ، وآثارها فى الأنفس وفى الآفاق . ولا يتحقق له ذلك العلم وتلك المعرفة إلا بصبره ، ووقوفه ـ بكل يقظة وتنبه ، و بعقل وتفـكير ـ مع كل نعمة وآية ، يتأملها من جميع زواياها ، فيعرفها و يعرف بها نفسه الفقيرة العاجزة التى يلازمها الفقر الذاتى والحاجة ، حتى يغنيها و يعطيها ما تحتاجه الرب البر الرحيم . فيثمر ذلك الصبر : التقدير للرب ونعمه ، والعبد وما يلزمه من الشكر المتواصل .

و« شـكور » فعول ، صيغة مبالغة من الشـكر ، يعنى كثير الشـكر وعظيمه . لأنه شكر بعلم ومعرفة ، وهو شكر متصل وتقدير متصل لـكل نعمة فى كل حركة وسكنة ، كل واحدة منه مرتبطة بأختها حتى كان الشكر سلسلة متصلة الحلقات فـكان شكراً بليغا .

و « الشـكر » ضد « الـكفر » الذى هو العمى عن سنن الله وآياته وآثار تجلى أسمائه

٦

وصفاته ، وغمط النعمة التى تفضل بها الرب فى الإنسانية الكريمة العاقلة المفكرة المميزة ، فيخسر الكافر الظالم نفسه ، ويحقر ويهون ويرتد إلى أسفل سافلين فى ظلمات جاهليته الحقيرة المهينة .

وعلى ذلك : فالشكر معرفة النعمة بخصائصها ومزاياها وصفاتها ، ووقتها وكيفية الانتفاع بها ، ثم تقديرها قدرها . ثم حسن الأخذ لها والانتفاع بها على الوجه الجامع لخصائصها وصفاتها ووقتها وكيفيتها .

والعرب تقول : « ناقة شَكِرَة » إذا كانت صحيحة الجسم نشيطة ، تسعى بنفسها إلى المرعى الخصيب فترعاه . فتظهر أثارة لك سمنا وقوة وامتلاء ضرعها باللبن .

* * *

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله : يقول تعالى ذكره : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ، وآتى موسى الكتاب ، ورد الكلام إلى « وآتينا » وقد ابتدأه بقوله « أسرى » لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب فى نظائر ذلك : من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباه ذلك . وعنى بـ « الكتاب » الذى أوتى موسى : التوراة .

« وجعلناه هدى لبنى إسرائيل » يقول : وجعلنا الكتاب - الذى هو التوراة - بيانا للحق ، ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه .

وقوله « ألاَّ تتخذوا من دونى وكيلا » اختلفت القراء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة « ألا تتخذوا » بالتاء . بمعنى : وآتينا موسى الكتاب بأن لاتتخذوا يا بنى إسرائيل من دونى وكيلا .

وقرأ ذلك بعض قراء البصرة « ألا يتخذوا » بالياء ، على الخبر عن بنى إسرائيل . بمعنى : وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لا يتخذ بنو إسرائيل من دونى وكيلا .

وهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتان ، غير مختلفتين . فبأيهما قرأ القارىء فمصيب الصواب . غير أنى أوثر القراءة بالتاء . لأنها أشهر فى القراءة ، وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء

ومعنى الكلام : وأتينا موسى الكتاب هدى لبنى إسرائيل ألاَّ تتخذوا حفيظاً لكم

سواى . وكان مجاهد يقول : معناه ـ فى هذا الموضع ـ الشريك . وكأن مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئاً سوى الله مقامه : تشريكا منه له ، وتوكيلا للذى أقامه مقام الله . اهـ.

* * *

وقال أبو حيان : ولما ذكر الله تعالى تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم بالإسراء ، وإراءته الآيات . ذكر لشريف موسى بإيتائه التوراة . و « آتينا » معطوف على الجملة السابقة ، من تنزيه الله تعالى ، وبراءته من السوء ـ إلى أن قال ـ و« لا » نهى و « أن » تكون مصدرية تعليلا ، أى لأنْ لايتخذوا .

وقرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو ـ من السبعة ـ «يتخذوا» بالياء ، على الغيبة . وباقى السبعة بتاء الخطاب .

و « الوكيل » فعيل من التوكل . أى متوكَّلا عليه .

وقال الزمخشرى : ربا تكلون إليه أموركم .

وقال ابن جرير : حفيظا لكم سواى .

وقال أبو الفرج ابن الجوزى : قيل للرب « وكيل » لكفايته وقيامه بشئون عباده . لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط منزلة الوكيل . اهـ كلام أبى حيان .

* * *

وفى الدر المنثور : أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله « آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل » قال : جعله الله لهم هدى يخرجهم به من الظلمات إلى النور . وجعله رحمة لهم .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد ـ فى قوله « ألاّ تتخِذوا من دونى وكيلا » ـ قال : شريكا . اهـ كلام الدر .

* * *

وقال ابن جرير ـ فى قوله تعالى « ذرية من حملنا مع نوح . إنه كان عبداً شكوراً » يقول ـ تعالى ذكره ـ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وآتينا موسى الكتاب هدًى لبنى إسرائيل ، ذرية من حملنا مع نوح . وعنى بالذرية : جميع

من احتج ـ الله جل ثناؤه ـ عليه لهذا القرآن من أجناس الأمم ، عربهم وعجمهم ، من بني إسرائيل وغيرهم . وذلك : أن كل من على الأرض فهم من ذرية من حمله الله مع نوح فى السفينة .

ثم ساق بسنده عن قتادة « ذرية من حملنا مع نوح » والناس كلهم ذرية من أنجى الله فى تلك السفينة . وذُكر لنا : أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له وامرأته ، وثلاث نسوة . وهم : سام ، وحام ، ويافث . فأما سام : فأبو العرب . وأما حام : فأبو الحبش . وأما يافث : فأبو الروم .

ثم ساق ابن جرير ـ بسنده إلى مجاهد ـ قال : بنوه ونساؤهم ونوح . ولم تكن معه امرأته ، وقال : هو الصواب(١) .

* * *

وقال أبو حيان : وانتصب « ذرية » على النداء ، أى ياذرية . أو على البدل من « وكيلاً » أو على المفعول الثانى ليتخذوا . و« وكيلاً » فى معنى الجمع . أى لا تتخذوا وكلاء ذرية ، أو على إضمار : أعنى ذرية .

وقرأت فرقة « ذريةُ » بالرفع . وخُرِّج على أن يكون بدلاً من الضمير فى « يتخذوا » على قراءة من قرأها بياء الغيبة ـ إلى أن قال ـ وذكر من حملنا مع نوح تنبيهاً على النعمة التى نجاهم بها من الغرق .

وقرأ زيد بن ثابت ، وأبان بن عثمان ، وزيد بن على ومجاهد ـ فى رواية ـ بكسر ذال « ذرية » . وقرأ مجاهد أيضاً بفتحها . وعن زيد بن ثابت «ذَرِيَّة» بفتح الذال وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فَعِلَيَّة كمطية اهـ .

* * *

وفى الدر المنثور « ذرية من حملنا مع نوح » أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله « ذرية من حملنا مع نوح » ـ قال : هو على النداء . ياذرية من حملنا مع نوح .

(١) والقرآن صريح فى أنها وامرأة لوط كانتا كافرتين . فهلكتا مع الهالكين .

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن زيد الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذرية من حملنا مع نوح : ما كان من نوح إلا أربعة أولاد : حام وسام ويافث وكوش فذاك أربعة أولاد ، انتسلوا هذا الخلق » اهـ.

* * *

وقال ابن جرير : وقوله تعالى ذكره « إنه كان عبداً شكوراً » يعنى بقوله « إنه » إن نوحاً ، والهاء من ذكر نوح ، كان عبداً شكوراً لله تعالى .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى سماه الله من أجله شكورًا .

فقال بعضهم : سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه ـ ثم ساق بسنده إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه ـ قال « كان نوح إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً حمد الله ، فسمى عبداً شكوراً » وعن سعيد بن مسعود الثقفى قال « ما لبس نوح جديداً قط ، ولا أكل طعاماً قط إلا حمد الله . فلذلك قال الله تعالى : عبداً شكوراً » وعن مجاهد قال : إنه لم يجدد ثوباً قط إلا حمد الله . ولم يُبْلِ ثوباً قط إلا حمد الله . وإذا شرب شربة حمد الله . قال : الحمد لله الذى سقانيها على شهوة ولذة وصحة وعن عمران بن سليم قال « إنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذى أطعمنى . ولو شاء لأجاعنى . وإذا شرب قال : الحمد لله الذى سقانى . ولو شاء لأظمأنى . وإذا لبس ثوباً قال : الحمد لله الذى كسانى ، ولو شاء لأعرانى . وإذا لبس نعلا قال : الحمد لله الذى حذانى ولو شاء لأحفانى . وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه ، ولو شاء حبسه » وبسنده عن ابن أبى مريم قال « إنه كان إذا خرج البراز منه قال : الحمد لله الذى سوغنيك طيباً ، وأخرج عنى أذاك ، وأبقى منفعتك » وبسنده عن قتادة « أنه لم يستجد ثوباً قط إلا حمد الله . وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوباً أن يقول : الحمد لله الذى كسانى ماأتجمل به وأوارى عورتى ». اهـ.

وقال أبو حيان : ونبه على الشكر لأنه يستلزم التوحيد . إذ النعم التى يجب الشكر عليها هى من عند الله تعالى . فكأنه قيل : كونوا موحدين ، شاكرين لنعم الله ، مقتدين بنوح الذى أنتم ذرية من حمل معه . اهـ.

* * *

وفى الدر المنثور - زيادة عما ذكر ابن جرير - وأخرج ابن مردويه عن معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما سمى نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أمسى وأصبح قال : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشياً وحين تُظْهِرون » .

وأخرج ابن أبى شيبة عن على رضى الله عنه أنه قال « حق الطعام أن يقول العبد : بسم الله . اللهم بارك لنا فيما رزقتنا . وشكره أن يقول : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا » .

وأخرج ابن أبى شيبة والترمذى وابن ماجه والطبرانى - فى الدعاء - عن حاتم عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه « أنه لبس ثوباً جديداً . فقال : الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى ، وأتجمل به فى حياتى . ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من لبس ثوباً جديداً فقال : الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى . ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق ، فتصدق به : كان فى كنف الله ، وفى حفظ الله ، وفى ستر الله حياً وميتاً . قالها ثلاثاً » . اه

* * *

أقول - مستمداً من الله العون والتوفيق والهدى فيما أقول :

إن الله الذى أكرم موسى - عليه السلام - بكلامه ، وأعطاه التوراة فيها هدى ونور، وفيها فرقان لبنى إسرائيل ، ولمن أرسل موسى إليهم- من فرعون وقومه- أعطى عبده ورسوله محمداً خاتم رسله وصفوته من خلقه - صلى الله عليه وسلم - من الإكرام بالإسراء والمعراج . ليؤيده على عدوه ، ويطمئنه على أن العاقبة بالنصر والظفر له ولمن آمن به . والخيبة والخسران لعدوه . وأعطاه الكتاب العربى المبين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

والله الذى أرسل موسى لخير الناس وصلاح الناس وسعادتهم ، وليخرجهم من ظلمات الضلال والوثنية إلى نور الهدى والعلم والحكمة والتوحيد، والإيمان الذى يُعِزُّ به الله الإنسانية ويزيد فى كراماتها ويسمو بها إلى أعلى الدرجات ، حتى لا يذل الإنسان للإنسان ، ولا يطأطىء الإنسان رأسه للإنسان ولا يستعبد الإنسان الإنسان . بل يعز بالذل لرب الإنسان ، ويرتفع بالتواضع والركوع والسجود ، والخوف والرجاء ، لرب العالمين وحده لا شريك له .

وإنما يسعد الإنسان بذلك حين يبدد عن قلبه ظلمات الجاهلية وتقاليدها بما يقتبس من نور بتدبر الكتاب والفقه فى الكتاب ، بتلاوته حق تلاوته ، وإصغاء القلوب إليه فى يقظة وشديد رغبة إلى التعرف إليه وجنى ثمراته الطيبة .

فعندئذ يعلم أنه الحق المبين ، وأنه جاء بالحق ، ويعرف أن الحق لايتبدل ولا يتحول . بأهواء الظانين ، وغفلة وغرور الغافلين المغرورين . فيعرف الله ربه ثمرة علمه بهذه الحقائق الكونية ويعرفه بأسمائه وصفاته وآياته ، ورحمته وغضبه ، وآثارهما من الصلاح والنعيم والفوز بسعادة الأولى والأخرى للذين آمنوا به إيماناً صادقاً ، متفقهين فى كتابه ، متدبرين لآياته ، عاملين بها ، واقفين عندما أوقفهم ، متحرين الصدق ، مبتغين وجه ربهم ، مقتفين آثار رسولهم فى يقظة تامة ، وعلم يملك عليهم كل حواسهم ومشاعرهم ، ومن ضد ذلك للذين يخالفون عن أمر ربهم ، فاختلفوا فى الكتاب وخالفوا الكتاب ، إذ لم يتدبروا آياته ، ولم يفقهوا معانيه ، بل ولوا عنه مدبرين لانهم يدينون دين التقليد الجاهلى لا دين الحق العلمى اليقينى . فباءوا بسخط من الله وغضب ، وأحاطت بهم لعنته . وأذاقهم الله العذاب الأليم ، والخزى فى الدنيا والآخرة .

إن الله يعظنا ويحذرنا ماحل بمن سبقنا من الأمم الذين كفروا بالله وكتبه ورسله . نتيجة غفلتهم ، وغرورهم بدين الآباء والشيوخ ، وغرورهم بالتقليد الأعمى ، الذى خسروا به عقولهم وأفهامهم وأسماعهم وأبصارهم وأنفسهم .

فإن القرآن أبين من كتبهم بياناً . لأنه عربى مبين . أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير . وأيسر فهماً من كتبهم ، وأقوى أسلوباً وأحلاه من كتبهم ، وقد ضمن الله حفظه ، وضمن الله تيسيره للمتذكرين والمتدبرين والمتفقهين .

فلئن كان غضب الله على بنى إسرائيل شديداً ، وقد ضرب لهم الحمار مثلا ، وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة . لانهم لم يقيموا التوراة : فقهاً وعقيدة وعملا وحكما وشرعاً ـ وقد نال التوراة ما نالها من التحريف والتبديل ـ فكيف بمن حفظ الله لهم الكتاب المبين كما أنزله . وأقسم لهم أنه يسره لكل متذكر ومتدبر ،

١٢

وحضهم على فهمه . فقال (فهل من مدكر ؟) عدة مرات . ووبخ أشد التوبيخ من أعرض عن فهمه وفقهه ، واتخاذ الأسباب إلى العلم بمراد الله الذى يهدى به للتى هى أقوم ، ويشفى قلبه ونفسه ومجتمعه من كل ما يشكو من مرض هوى أو شهوة ، أو فسوق أو عصيان . فقال ربنا سبحانه (٤٧ : ٢٤ أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ؟ ! !)

ولقد قص علينا ربنا أحسن القصص وأبلغه فى القرآن ، لنتدبر ونعتبر ونخاف ونتبصر ونحذر . فهذا قصص نوح عليه السلام ، وقد لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يعانى أشد البلاء وأقسى ما يمكن قومه من الأذى . ثم كانت العاقبة هلاكهم جميعاً ، ونجاته ومن آمن معه فى الفلك المشحون ، وما آمن معه إلا قليل . ذلك لأنه كان عبداً شكوراً . فهذا حبل النجاة من الهلكة ، وهذا سبيل العزة والسعادة والحياة الطيبة فهل من مستمسك ؟

وكذلك ماقص علينا ربنا سبحانه من قصص موسى عليه السلام مع عدوه فرعون وآله . إذ نجى الله موسى وبنى إسرائيل وأغرق فرعون وآله أجمعين . ثم لما كفر بنو إسرائيل وفسقوا وعصوا عن أمر الله لعنهم الله ، على لسان داود وعيسى بن مريم . وضرب عليهم الصغار والذلة . وأذاقهم ألوان العذاب الأليم . وستحق عليهم إن شاء الله الكلمة ويذوقون على أيدى المسلمين والعرب أشد ألوان الخزى والهلاك . ويطهر الله منهم أرض فلسطين ، ويعيدهم فى أطراف الأرض مشتتين صاغرين .

أسأل الله سبحانه أن يهدينا بهدى رسله ، ويجعل فى قلوبنا من النور واليقظة مايحملنا على تحرى رسالة الله الحكيمة الرشيدة لاولئك المصطفين من عباده ، وعلى حسن التقدير لهم ، واخلاص حبهم ، والاقتداء بهم فى العلم والعقيدة والعمل والشرائع والأحكام والآدب والأحوال .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتمهم إمام المهتدين محمد وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

مقام إبراهيم

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف ؟

بقلم

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

أمين مكتبة الحرم المكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحاط بكل شىء علماً ، وأتقن كل شىء خلقاً وأمرا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فهذه رسالة فى شأن « مقام إبراهيم » وما الذى ينبغى أن يعمل به ، عند توسعة المطاف . حاولت فيها تنقيح الأدلة ودلالتها على وجه التحقيق ، معتمداً على ما أرجوه من توفيق الله ـ تبارك اسمه ـ لى . و إن قَلَّ علمى ، و كَلَّ فهمى .

فما كان فيها من صواب فمن فضل الله علىَّ وعلى الناس . وما كان فيها من خطأ فمنى . وأسأل الله التوفيق والمغفرة .

قال الله تبارك وتعالى ـ فى سورة البقرة الآية ١٢٥ (و إذْ جعلنا البيتَ مَثَابةً للناسِ وأمْناً ، واتَّخذوا من مقامِ إبراهيم مُصَلًّى ، وعَهِدْنا إلى إبراهيم ، و إسماعيل أنْ طَهِّرا بَيْتِيَ للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود) .

وقال سبحانه وتعالى فى سورة الحج ، الآية ٢٦ (و إذ بَوَّأْنا لإبراهيم مكانَ البيتِ أنْ لاتُشْرِكْ بى شيئاً . وطَهِّر بَيْتِيَ للطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود) .

جاء عن جماعة من السلف تفسير «التطهير» فى الآيتين بالتطهير من الشرك والأوثان .

وهذا من باب ذكر الأهم الذى يقتضيه السبب فإن إخلال المشركين بتطهير البيت كان بشركهم ، ونَصْبِهم الأوثان عنده .

ولا ريب أن التطهير من ذلك هو الأهم . لكن « التطهير » المأمور به أعم .

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد وسعيد بن جبير قالا « مِن الأوثان والرِّيَب ، وقول الزور والرجس » ذكره ابن كثير وغيره .

وقال البغوى : قال ابن جبير وعطاء « طهراه من الأوثان والريب ، وقول الزور » .

وأخرج ابن جرير عن عبيد بن عمير قال « من الآفات والريب » .

* * *

أقام إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ البيت على الطهارة بأوفى معانيها . فالأمر بتطهيره أمر بالمحافظة على طهارته ، وأن يُمنع ويزال عنه كل مايخالفها .

وقوله « للطائفين ـ الآية » يدل على أنه ـ مع أن التطهير مأمور به لحرمة البيت ـ فهو مأمور به لأجل هذه الفِرَق ـ الطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود ـ لتؤدى هذه العبادات على الوجه المطلوب .

وهذا يبين أن « التطهير » المأمور به لايخص الكعبة ، بل يعم ماحواليها ، حيث تؤدّى هذه العبادات ، وأن في معنى « التطهير » إزالة كل مايمنع من أداء هذه العبادات ، أو يُعَسِّرها ، أو يُخل بها ، كأن يكون في موقع الطواف مايعوق عنه ، من حجارة أو شوك أو حُفَر .

فثبت الأمر بأن تُهَيَّأ ماحول البيت تهيئة تُمكِّن الطائفين والعاكفين والمصلين من أداء هذه العبادات بدون خلل ولا حرج .

لم يحدد الشارع ما أمر بتهيئته حول البيتِ بمقدارٍ مسمًّى ، لكن لما أمر بالتهيئة لهذه الفرق على الإطلاق علم أن المأمور به تهيئة ما يكفيها ويتسع لهذه العبادات مع اليسر .

فلما كان المسلمون قليلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكفيهم المسجد القديم .

نعم كثر الحجاج في حجة الوداع ، لكن لم يكن منتظراً أن يكثروا تلك الكثرة ، أو مايقرب منها في السنوات التي تليها . وكانت بيوت قريش ملاصقة المسجد ، لاتمكن توسعه إلا بهدمها ، وهدمها ينفرهم . وعهدهم بالشرك قريب .

فلما كثروا فى زمن عمر رضى الله عنه ، وزال المانع : هدم الدور ، وزاد فى المسجد . وهكذا زاد من بعده من الخلفاء بحسب كثرة المسلمين فى أزمنتهم .

وادّخر الله تعالى الزيادة العظمى لصاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود . أيده الله ، وأوزعه شكر نعمه ، وزاده من فضله .

* * *

قدم الله تعالى فى الآيتين « الطائفين » على « العاكفين » و « المصلين » والتقديم فى الذكر يشعر بالتقديم فى الحكم . فقد بدأ النبى صلى الله عليه وسلم فى السعى بالصفا . وقال : « نبدأ بما بدأ الله به » و بدأ فى الوضوء بالوجه .

فيؤخذ من هذا أن التهيئة للطائفين أهم من التهيئة للعاكفين والمصلين .

فعلى هذا يقدم الطائفون عند التعارض ، ولا يكون تعارض عند إقامة الصلاة المفروضة جماعة مع الإمام . لأن الواجب عليهم جميعاً الدخول فيها . وإنما يمكن التعارض بين الطائفين و بين العاكفين والمصلين تطوعاً .

و إذ كان المسجد ــ بحمد الله ــ واسعاً وسيزداد سعة . فإنما يقع التعارض فى المطاف ، كما إذا كثر الطائفون ، وكان فى المطاف عاكفون ومصلون تطوعاً ، وضاق المطاف عن أن يسعهم جميعاً بدون حرج ولا خلل .

فإن قُدِّم بقرب البيت العاكفون والمصلون ، وقيل للطائفين : طوفوا من ورائهم ، كان هذا تأخيراً لمن قدمه الله . ولزم فيه الحرج على الطائفين ، لطول المسافة عليهم ، مع أن الطواف يكون فرضاً فى الحج والعمرة . و إذا خرج العاكفون والمصلون عن المطاف ، وأدّوا عباداتهم فى موضع آخر من المسجد : زال الحرج والخلل ألبتة .

* * *

منذ بعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يزل عدد المسلمين يزداد عاماً فعاماً . و بذلك يزداد الحجاج والعُمّار . ومع ذلك فقد توفرت فى هذا العصر أسبابٌ زاد لأجلها عدد الحجاج والعمار زيادة عظيمة .

منها : حدوث وسائط النقل الأمينة السريعة المريحة .

ومنها : الأمن والرخاء اللذان لا عهد لهذه البلاد بهما . ولذلك زاد عدد السكان والمقيمين زيادة لا عهد بها .

ومنها : الأعمال العظيمة التي قامت وتقوم بها الحكومة السعودية لمصلحة الحجاج ، بما فيها تعبيد الطرق ، وتوفير وسائط النقل ، والعمارات المريحة ، كمدينة الحجاج بجدة ، والمظلات بمنى ومزدلفة وعرفة ، وتوفير المياه ، وكل مايحتاج إليه الحجاج في كل مكان ، وإقامة المستشفيات العديدة ، والحجر الصحي ، الذي قضت به الحكومة السعودية على ما كانت بعض الدول تتعلل به لمنع رعاياها عن الحج أو تصعيبه عليهم ، والعمارة العظمى للمسجد النبوي ، والتوسعة الكبرى الجارية الآن[1] للمسجد الحرام ، وغير ذلك مما زاد في رغبة المسلمين من جميع البلاد في الحج .

فزاد عدد الحجاج في السنين الماضية . وينتظر استمرار الزيادة عاماً فعاما لذلك أصبح المسجد — على سعته — يضيق بالمصلين في كثير من أيام الجمع في غير موسم الحج ، فما الظن به فيه ؟ .

فوفق الله تعالى جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز — أطال الله عمره في صالح الأعمال — لتوسعته والعمل فيه جار .

وأشد مايقع الزحام في الموسم في المطاف ، وتنشأ عن ذلك مضار تلحق الأقوياء ، فضلاً عن الضعفاء والنساء . ويقع الخلل في هذه العبادة الشريفة ، وهي الطواف ، لزوال مايطلب فيه من الخشوع والخضوع والتذلل ، وصدق التوجه إلى الله عز وجل . إذ يهتم كل من وقع في الزحام بنفسه .

وقد يكون مع الرجل القوي — أو الرجلين — ضعيف أو امرأة ، أو أكثر . فيحاول القوي أن يدفع الزحام عن نفسه وعمن معه . فيدفع من بجنبه وأمامه ليشق له ولمن معه

(١) محرم سنة ١٣٧٨هـ

طريقاً على أى حال . فيؤذى بعضهم بعضاً . وربما وقع النزاع والخصام والضرب والشتم .

ويقع زحام الرجال للنساء . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » .

وقد رأينا من الناس من يسيء بغيره الظن ، وربما أدّى ذلك الإيذاء بالدفع والشتم ، وربما بالضرب .

ومن المعلوم : أن صحة الطواف لاتتوقف على أدائه فى المطاف . وإنما شرطه أن يكون فى المسجد ، لـكن جرى العمل على أن يكون فى المطاف ، ولو مع الزحام ، لأسباب : ـ

منها : أن خارج المطاف غير مهيأ للطواف فيه بغير حرج .

ومنها : أن غير الطائفين يقفون ويجلسون ويسلكون وراء المطاف وعند زمزم . فيشق على الطائفين تخلل تلك الجموع .

ومنها : أن من أهل العلم من يشترط لصحة الطواف فى المسجد أن لايحول بين الطائف والـكعبة بناء ونحوه . وممن ذكر صاحب الفروع (ج ٢ ص ٣٩٠) .

وإزالة هذه العوائق إنما تتم بتوسعة المطاف .

فلم يكن بدّ من توسعة المطاف . والعمل بذلك جار ولله الحمد .

إن أضيق موضع فى المطاف : هو مابين المقام والبيت . ويزداد ضيقه بالناس بشدة ، لقربه من الحجَر الأسود والملتزم ، حيث يقف جماعة كثيرة للاستلام والالتزام والدعاء .

وإذا كانت توسعة المطاف مشروعة ، فتوسعة ذلك الموضع مشروعة ، ومالايتم المشروع إلا به ـ ولا مانع منه ـ فهو مشروع .

يرى بعض أهل العلم أن هذا منطبق على تأخير المقام ، وأن التوسعة المطلوبة لاتتم إلا به .

فأمّا مايقوله بعضهم ـ من إمكان طريقة أخرى لتوسعة المطاف فى تلك الجهة أيضاً . مع بقاء « المقام » فى موضعه ، وذلك بأن يحدد موضع يكفى المصلين خلفه ، ويوسع المطاف من وراء ذلك توسعة يكون مجموع عرضها وعرض ما بين « المقام » والبيت مساوياً لعرض

المطاف بتوسعته فى بقية الجهات . فإذا كثر الطائفون سلك بعضهم أمام المقام كالعادة ، وسلك بعضهم فى التوسعة التى خلفه ، وخلف موضع المصلين فيه .

ففى هذه الطريقة خلل من أوجه .

الأول : أنها مخالفة لعمل مَنْ عملُه حجة .

فإن موضع « المقام » فى الأصل بلصق الكعبة . وسيأتى إثباته .

فلما كثر الناس فى عهد عمر رضى الله عنه ، وصار بقاء المقام بجنب الكعبة — ويصلى الناس خلفه — مظنة تضييق المطاف على الطائفين : أخره ليبقى ماأمامه للطائفين متسعاً لهم . ويخلو ماوراءه للمصلين . وأقره سائر الصحابة رضى الله عنهم . فكان إجماعاً . وهو حجة .

وقيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أخر « المقام » للعلة نفسها .

وأيًّا ما كان فهو حجة . وكان ممكناً حينئذ أن يبقى « المقام » بجنب الكعبة ، ويُحَجَّر لمن يُصلى خلفه موضع يطوف الطائفون من ورائه . ويوسع لهم المطاف من خلف .

وهذا نظير الطريقة الأخرى التى يشير بها بعضهم الآن ، وأبعد منها عن الخلل . وقد أعرض عنها من عمله حجة . واختار تأخير « المقام » عن موضعه الأصلى .

وإذا كانت الحال الآن كالحال حينئذ ، فالذى ينبغى هو الاقتداء بالحجة ، وتأخير « المقام » .

وإذا ساغ — لهذه العلة — تأخيره عن موضعه الأصلى فَلَأَنْ يسوغ لأجلها تأخيره عن موضعه الثانى أولى .

الثانى : أن تلك الطريقة لاتفى بالمقصود . لأن حاصلها : أن يكون للمطاف فى ذاك الموضع فَرْعٌ يُسلك وراء « المقام » وموضع المصلين فيه .

وهذا مظنة أن يحرص أكثر الطائفين على أن يسلكوا أمام « المقام » كالعادة ، واختصاراً للمسافة . ويحرص على ذلك المطوفون ، وخلف المطوف جماعة لايجدون بُدًّا من متابعته . فيبقى الزحام قريباً مما كان .

الثالث : أنه إن أحيط موضع المصلين خلف « المقـام » بحاجز : شق الدخول إليه والخروج منه . و إن لم يحجز كان مظنة أن يسلـكه بعض الطائفين اختصاراً للمسافة ، فيقع الخلل فى العبادتين .

و إنما كان يمنعهم من ذلك فيما مضى ـ مع بعد المسافة ـ توهمهم أن الطواف لايصح إلا فى المطاف .

وسيزول هذا الوهم عند توسعة المطاف من خلفه .

و بقيت أوجه أخرى ، كتقديم حق المصلين على حق بعض الطائفين وتطويل المسافة عليهم ، واحتمال أن يضيق الموضع الذى يخصصُ للمصلين خلف « المقام » لأنهم يكثرون فى بعض الأوقات ، و يحرص كثير منهم على المـكث هناك للدعاء وغير ذلك .

و بالجملة فلا ريب أنه إذا تحققت العلة ، ولم يـكن هناك مانع من تأخير « المقام » فتأخيره هو الطريقة المثلى .

هل هناك مانع ؟

يبدى بعض الفضلاء معارضات ، يرى أنها تشتمل على موانع .

وسأذكرها مع مالها وما عليها . وأسأل الله التوفيق .

المعـــارضة الأولى

يقول بعض الناس : ذكر جماعة من المفسرين مايدل على أن « المقـام » ليس هو « الحَجَر » فقط . بل هو الحجر والبقعة التى هو فيها الآن . وتأخير البقعة غير ممكن . فإذا نقل الحجر عنها ، فإما أن يفوت العمل بالآية . و إما أن يبقى الحـكم للبقعة لأنها موضع الصلاة .

وأقول : إن النظر فى هذا يقتضى بسط ما يتعلق بالمقام .

وسأشرح ذلك فى فصول .

الفصل الأول

ماهو المقام ؟

عامة ماورد فيه ذكر « المقام » من الأحاديث والآثار وكلام السلف والأئمة ـ ويأتى كثير منها ـ يبين أن « مقام إبراهيم » الذى فى المسجد هو الحجَر المعروف ، غير أن بعض من رُوى عنه هذا رُوى عنه فى تفسير « المقام » فى الآية بأنه الحج كله ، أو المشاعر .

وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما مايبين عدم الخلاف ، وأن من قال « الحج كله » أو « المشاعر » إنما أراد أن الآية ، كما تنص على شرع الصلاة إلى هذا الحجر الذى قام عليه إبراهيم لعبادة ربه عز وجل ، كما يأتى ـ فهى تدل على شرع العبادة فى كل موضع قام فيه إبراهيم للعبادة ، على مابينه الشرع . وذلك هو الحج والمشاعر . ولهذا جاء عنهم فى تفسير كلمة « مصلى » قولان .

الأول : « قبلة . يصلون خلفه ، أو يصلون عنده » .

الثانى : « مدعى » .

فالأول : بالنسبة إلى الحجر . والثانى ـ كما أفاده ابن جرير ـ بالنسبة إلى المشاعر . لأن الدعاء مشروع عندها كلها ، بل يجمع العبادات المختلفة المشروعة فيها . إذ المطلوب بتلك العبادات هو مايطلب بالدعاء من رضوان الله ومغفرته ، وخير الدنيا والآخرة ، فالدعاء عبادة والعبادة دعاء .

فأما ماذكر فى المعارضة من بعض المفسرين . فأولهم ـ فيما أعلم ـ الزمخشرى ، وتبعه بعض من بعده .

والزمخشرى ـ على حسن معرفته بالعربية ـ قليل الحظ من السنة . ورأى أنه لايكون الحجر مصلّى على الحقيقة ، إلا إذا كانت الصلاة عليه وذلك غير مشروع ، ولا ممكن . لأنه يصغر عن ذلك .

ولو وُفِّق الزمخشرى للصواب لجعل هذا قرينة على أن المراد بكلمة « مصلى » قبلة ،

كما قاله السلف ، أى : يصلى إليه . كما بينه النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمل به أصحابه فمن بعدهم .

ومن العلاقات المعتبرة فى المجاز : المجاورة ، وهى ثابتة هنا ، فإن الصلاة إذا وقعت إلى الحجر فهى بجواره .

ووجه آخر : وهو أن تكون كلمة « مصلى » اسم مفعول . والأصل : مصلى إليه . حذف حرف الجر . فاتصل الضمير واستتر . كما يقوله ابن جنى فى « مزمل » من قول امرىء القيس :

كأن أبانا فى عرانين وبله كبيرُ أناس فى بجاد مزمل

أن الأصل « مزمل به » فحذف حرف الجر . فاتصل الضمير واستتر . والنكتة على الوجهين : هى — والله أعلم — التنبيه على أن المزية للحجر لقيام إبراهيم عليه للعبادة . والمشروع لهذه الأمة التأسى به .

والقيام على الحجر لمثل عبادة إبراهيم لا يمكن إلا نادراً فعوض عنه بما يمكن دائماً ، وهو القيام للصلاة ، وهو يصغر عن الصلاة عليه . ودفنُه — ليتسع مع بعض ما حوله للصلاة — يؤدى إلى اندثاره .

ولماذا التكلف ؟ .

و إنما المقصود : أن يكون للقيام إلى الصلاة تعلق به . فشرعت الصلاة إليه .

وعبارة الزمخشرى « مقام إبراهيم : الحجر الذى فيه أثر قدميه ، والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه » .

و يبطل هذا القول — مع ما تقدم — أن المذكور فى الآية مقام واحد ، لا مقامان ، وأن وضع الرِّجْل على الحجر بدون قيام حقيقى : لا يكفى لأن يطلق عليه كلمة « مقام » على الحقيقة ، وأن الذى كان من إبراهيم على الحجر ، فسمى لأجله « مقام إبراهيم » قيامٌ حقيقى ، لا وَضْع رِجْلٍ فقط ، وأن الموضع الذى قام فيه على الحجر ليس هو موضعه الآن . وأن ، المقام كان أولا بلصق الكعبة ، وكان الحكم معه ، ثم حول إلى موضعه الآن . فتحول الحكم معه .

وسيأتى إثبات هذا كله فى الفصول الآتية إن شاء الله تعالى .

الفصل الثانى

لماذا سمى « الحَجَر » مقام إبراهيم ؟

أعلى ما جاء فى هذا : ماأخرجه البخارى وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ فى خبر مجىء إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام وأمه إلى مكة وما جرى بعد ذلك ـ وفيه فى ذكر بناء البيت « حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ، فوضعه له . فقام عليه وهو يبنى » .

وفى رواية أخرى «حتى إذا ارتفع وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على المقام » .

وعند ابن جرير ، بسند صحيح يلاقى سند البخارى الثانى « فلما ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة ، قام على حجر . فهو المقام » .

وفى فتح البارى : أن الفاكهى أخرج نحو هذه القصة من حديث عثمان ، وفيه « فكان إبراهيم يقوم على المقام يبنى عليه ، و يرفعه له إسماعيل . فلما بلغ الموضع الذى فيه الركن وضعه ـ يعنى الحجَر الأسود ـ موضعه . وأخذ المقام فجعله لاصقاً بالبيت . . . ثم قام إبراهيم على المقام ، فقال : ياأيها الناس ، أجيبوا ربكم » .

قال فى الفتح : روى الفاكهى بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قام إبراهيم على الحَجَر ، فقال : يا أيها الناس ، أجيبوا ربكم » .

وفى أول الخبر عند البخارى عن كثير بن كثير ، قال « إنى وعثمان بن أبى سليمان جلوس مع سعيد بن جبير ، فقال : ماهكذا حدثنى ابن عباس . ولكنه قال » .

وفى فتح البارى (ج ٦ ص ٢٨٣) بيان مانفاه سعيد بن جبير .

ذكر ذلك عن رواية الفاكهى والأزرقى وغيرهما .

وفيه : أنهم سألوا سعيد بن جبير عن أشياء ، قال « قال رجل : أحقٌّ ماسمعنا فى المقام ـ مقام إبراهيم ـ أن إبراهيم حين جاء من الشام حلف لامرأته أن لاينزل بمكة حتى يرجع . فقربت إليه امرأة إسماعيل المقام فوضع رجله عليه حتى لاينزل ؟ فقال سعيد بن جبير : ليس هكذا . . »

والخبر ـ وفيه قريب من هذا ـ عند الأزرق (ج ٢ ص ٢٤) وفى آخره « فلما ارتفع البنيان وشق على الشيخ تناوله، قرّب له إسماعيل هذا الحجر. فكان يقوم عليه ويبنى، ويُحوِّله فى نواحى البيت حتى انتهى إلى وجه البيت. يقول ابن عباس: فذلك مقام إبراهيم عليه السلام، وقيامه عليه ».

وقصة مجىء إبراهيم ولقائه امرأة إسماعيل قد ذكرها ابن عباس. وليس فيها ما يحكى من وَضع رجله على الحجر.

وكان مجيئه ذلك قبل بناء البيت.

فهب أنه ثبت وضعه رجله على الحجر وهو على دابته. فليس هذا بقيام على الحجر، ولا هو فى عبادة. فلا يناسب مزية للحجر. إنما القيام الحقيقى على الحجر الذى يناسب مزية له: هو ماوقع بعد ذلك من قيامه عليه لبناء الكعبة. ثم للأذان بالحج.

فهذا هو الثابت فى وجه تسمية الحجر « مقام إبراهيم ». « يتبع »

٢٤

كذب وافـــــتراء

للأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

تحت هذا العنوان كتب السيد حسن العمرى مصطفى أبو الفيط فى العدد الخامس من السنة العشرين من مجـلة الاعتصام الغراء رسالة إلى السيد الجليل رئيس تحريرها ، من محتوياته مايلى :

« و بعد فقد نشرت جماعة أنصار السنة المحمدية كلمة فى إمساكية شهر رمضان المعظم لسنة ١٣٧٧ تحت عنوان : الأوليـاء والصوفية جاء فيه أن الصوفية دخيلة أو غريبة عن الإسلام وأنها جاءت من الوثنية والهندوكية . . . . الخ .

ولما كان هذا افتراء وكذبا على الإســلام وعلى الصوفيـة مخالف (كذا) للواقع لجأنا لسيادتـكم وكلنا أمل فى أن تنشروا الرد التالى على هذا الافتراء الذى ماأنزل الله به من سلطان ، وما أراد أصحابه إلا تشهيراً بالصوفيـة وتفريقاً بين المسلمين . فأنتم معقد الآمال ومناط الرجاء فى أن تردوا كيد المعتدين ، وتـكذبوا أباطيل المفسدين » .

* * *

وأقول للسيد الأستاذ الكاتب : إذا كان التفريق بين المسلمين لايرضيك فـكيف أبحت لنفسـك أن تكتب صدر هذا المقال الذى هو دعوة صارخة إلى التفريق بين المسلمين ، ورمى لطائفة من المسلمين بالـكيد والاعتداء والإفساد ؟

ولقد كنت تستطيع أن ترد ، وأنت عف القلم ، نزيه البيان ، ليـكون ردك للحق ، و بالحق ، وليقبل المردود عليهم نصحك و إرشادك مادام خالصا لوجه الحق .

لاجرم أنك ياسيدى الأخ الـكريم تريد بردك على هذه الطائفة أن ترشدهم إلى الصواب الذى تعتقده فـكيف خفى على فطنتك أن العنف لايكون وسيلة من وسائل النصح ، ولا سبيلا من سبل الإرشاد ، ألم ينصح الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم

باصطناع الرفق فى كل الأمور ؟ ألم يقل عليه الصلاة والسلام : من يحرم الرفق يحرم الخير كله ؟

ألم يقل صلى الله عليه وسلم : إن الله رفيق يحب الرفق و يعطى على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطى على ماسواه ؟

ألم يقل الله تعالى فى محكم كتابه الكريم : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن . فإذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم ٣٤ وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ٣٥ : فصلت) .

فما بالك ياأخى تصدف عن الرفق إلى العنف ، بل تتجاوز العنف إلى السباب ، وما وراء السباب .

ولم يفوتك الدفع بالتى هى أحسن ، وأنت غيور على الإسلام ، وعلى الآداب الإسلامية والأخلاق النبوية ؟

إنك يا سيدى تقدس التصوف لأن قروناً طويلة مرت عليه والناس يعتنقونه بغير نظر إلى أصله ، ولا بحث فى مصدره ، ولو أن السيد الكاتب الكريم تحرر قليلا من آثار الماضى ، وأزال عن جوهر نفسه رواسب القرون لعرف التصوف على حقيقته ووضعه فى الوضع الذى يجب أن يوضع فيه ، فالحق قديم ، وهو أولى بالمجاملة ، وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال .

حدثنى ياسيدى الأخ : ما التصوف ؟

إن كان التصوف هو الإسلام ، وشريعة التصوف هى شريعة الإسلام ، وطريقته هى طريقة الإسلام ، وحقيقته هى حقيقة الإسلام فقد أغنانا الله بالإسلام عنه ؛ ففى الإسلام الذى جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مايغنينا عما سواه . فيه مايلزمنا من العقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، والآداب ، وما يُصَفِّى النفوس ، ويطهر القلوب ، ويعرُج بالأرواح إلى آفاق الطهر والقدس . قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة و بشرى للمسلمين ٨٩ النحل) .

وقال جل شأنه (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ، ولعلهم يتفكرون ـ النحل) .

وإن كان التصوف شيئاً غير الإسلام فكفى بالإسلام مرشدا وهادياً إلى سبيل السعادة (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ٨٥ : آل عمران) .

يقول تبارك اسمه : (إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ١٩ : آل عمران) .

ويقول عز من قائل : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ٣٠ المائدة) .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد .

وقال العلامة ابن خلدون فى مقدمته : إن علم التصوف من العلوم الحادثة فى الملة .

وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وإنى ياسيدى أتحداك ، وأتحدى كل صوفىّ فى الجمهورية العربية المتحدة ، وفى كل بلد إسلامى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، أن تدلونى على آية قرآنية من كتاب الله تعالى ، أو حديث نبوى صحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو عبارة لأحد الخلفاء الراشدين ، أو أحد الصحابة الأطهار السابقين ، جاءت فيها كلمة التصوف أو الصوفية أو المتصوفة أو غيرها من مشتقاتها !!!

وإنى أنظركم جميعاً عاماً كاملا يبدأ من يوم اطلاعكم على مقالى هذا لتبحثوا وتنقبوا وتراجعوا ، وتسألوا ، وتستشيروا . فإن ظفرتم بهذه الكلمة أو إحدى مشتقاتها فى هذه المراجع التى أومأت إليها ، اعترفت معكم بإسلاميتها وتقدمت إلى أنصار السنة أن يعترفوا معى ، وأن يصلحوا إمساكيتهم على ضوء المعارف العالية التى ستوافونهم بها . وإن لم

تظفروا ـ وما أظنكم ظافرين ـ وجب عليكم أن تعترفوا مع أنصار السنة أنها دخيلة، وليست إسلامية.

* * *

وليس أدل على أنها دخيلة وليست إسلامية من أنكم لاتعرفون أصلها، ولا تدرون مم اشتقاقها: أهو من الصوف أم من الصفة أم من الصفاء أم من . . . الخ

و إنى أدلك على أصلها لتكون على يقين من أنها دخيلة وليست إسلامية: جاء فى قاموس القرن العشرين ماترجمته:

« صوفى كلمة مشتقة من الكلمة الإغريقية (سوفوس) بمعنى الحكيم » فأصلها إغريقى أو يونانى قديم. وقد أقحمت فى اللغة العربية أيام أن عنيت الدولة العباسية بترجمة الكتب اليونانية فدخلت هذه الكلمة الإغريقية فى لغتنا بلفظها ومعناها، وفرح بها الذين يفرحون بالغريب الدخيل وألصقوها بالإسلام إلصاقاً بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، والإسلام من لفظها ومعناها براء.

ثم أتدرى مامعناها فى اللغه التى نقلت منها؟

جاء فى قاموس لاروس الفرنسى ماترجمته: الصوفى الراهب الفارسى، واسم قديم لشاه العجم.

ولكن قاموس القرن العشرين أوضح معناها إيضاحاً تاماً حيث يقول ما ترجمته: (التصوف شكل من أشكال عقيدة وحدة الوجود أى العقيدة التى تقرر أن الروح والمادة شىء واحد، وأنه ليس هناك إله منفصل عن طبيعة العالم، وأن كل شىء فى هذا الوجود يعتبر جزءا من الله أو مظهراً من مظاهر ذاته).

ومصداق هذا ماورد على ألسنة كبار الصوفية من قول بعضهم: سبحانى! وقول بعضهم: مافى الجبة إلا الله.

وقول بعضهم:

الرب عبد، والعبد رب   ياليت شعرى: من المكلف

إن قلت : عبد فذاك رب أو قلت : رب . أنى يكلف ؟

* * *

لا اعتراض لنا على قوم يعبدون الله حق عبـادته ، ويتقونه حق تقواه ، ويقفون عند حدود ما أنزل الله على رسوله . بل نسأل الله أن يوفقهم إلى اتباع شريعته ، وأن يجعلهم من أنصار دعوته . وكل مافى الأمر أننا نحب أن يتخذوا إسماً إسلامياً شرعياً صحيحاً بدل هذا الاسم الدخيل .

وإنما اعتراضنا على الذين يريدون أن يضيفوا إلى الدين ماليس منه ، وأن يعبدوا الله بغير ما أنزل الله .

حدثنى بربك : هل جاء فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة ذكر للفناء ، والبقاء ، والجمع والفرق ، وجمع الجمع ، والفرق الثـانى ، والوصل ووصل الوصل وغير ذلك من هذه العبارات التى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن القوم لايرون هداية القرآن كافية لهم ، ويلتمسون المزيد من غير القرآن ؟

إن الإسلام أغنانا عن كل ماسواه . فإن طلبتم الاستغراق فى العبـادة ، والتسامى فى الخلق فهناك مقام الإحسان الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » ولا أظن المتصوفة ـ مهما يجتهدوا ـ واصلين إلى مقام أسمى من هذا المقام . فلم لايسمون أنفسهم محسنين بدلا من صوفيين ؟ ؟

ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

* * *

نشرت مجلة الاعتصام هذا الرد وعلقت عليه بما يأتى :

إن كان الصوفية قد قصدوا من التصوف مايساوى الإحسان الوارد فى الحديث الصحيح ، فالشقة قريبة بين الفريقين ، ويكون هذا مجرد اصطلاح ولا مشاحة فى الاصطلاح . نعم الأولى أن نستعمل ماورد ونتمسك به . وفقنا الله جميعاً لخدمة الدين .

نظرات فى مجلة الصوفية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

– ٢ –

لسنا فى حاجة أبداً ـ ونحن نعمل لتحديد معانى القيم ، والدعوة إلى تمييزها عما يشوبها ـ إلى أن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، إلى أن نضع لروحانية الإسلام اسماً آخر ، ليست له فى النفوس القداسة الإلٰهية التى تطيِّب الروح بالنبل والسمو ، وليس له المعنى النبيل الذى يشرق بالسلام ، السلام النفسى بالعقيدة الخالصة ، والإيمان المطمئن ، السلام الاجتماعى بالإيثار الكريم ، والإخاء الوفى ، السلام الإنسانى العام بدعوة الإسلام الصادقة إلى التعاون المثمر مع الناس جميعاً ، ما لم يجدِّفوا بالحق ، أو يفتروا البهتان عليه ، أو يثيروا الحرب ضده ، أما الصوفية فلا تثير فى النفس إلا الغثيان ، و إلا ذكريات مازالت مناحاتها مُعْوِلَةً الجراح ومآسيها يضل فى تيهها فجر الأمل ، ذلك لأنها ـ أى الصوفية ـ السبب فيما عانى المسلمون وكابدوا من مهانة ومذلة على يد الطغاة الذين أججوا ضد الإسلام أحقاد المجوسية وثاراتها ، وكانت الصوفية مطية هؤلاء إلى بلوغ هذه الغاية الجامحة .

إن الصوفية أمشاج من كل الضلالات . وشوائب من كل الزندقات التى تَلَظَّى أوارها لتقضى على الإسلام إنها اسمٌ يُرادف الخمول والذلة والمسكنة ، يرادف الفرار الجبان من الحياة ، يرادف الخوف الرعديد من إشراق الحق ، يرادف الدجل والشعبذة والإلحادية الماجنة الغواية ، والتى تتراءى فى شفوف من سحر الخيال ونسيج الأوهام تسمى : روحانية ، و إلا فأتونى بصوفى واحد منذ نشأت هذه الصوفية عاش مع الله فى سلام ، أو جعل من كتاب الله الحجة والإمام ! ! .

قيل : إن الإسلام تعرض لموجات متتالية من الدخلاء والمتعصبين ، كما تسربت

إليه أكداس من الإسرائيليات ، وعقائد الأمم القديمة حجبت كثيراً من أضوائه ، وشوّهت كثيراً من صحائفه النقية ، فالتبس الحق بالباطل ، واختلط الضوء بالظلام .

فمن هم الذين اجترحوا ضد الإسلام هذه الجرائر ، ثم آووا إلى كهوفهم ومغاورهم يضجون على عويله الضحايا بطرقات حبات المسابح المرائيه ؟ .

إن الصوفية على رأس هذه القائمة السوداء التي تطفح بأسماء عدو الإسلام .

من هم الذين دعوا المسلمين وهم في عنفوان مجدهم وأوج قوتهم إلى العزلة عن الحياة ، واللياذ بالكهوف الداكنة ، وقضاء الليل في هينمات دونها أبواب السماء . إنهم الصوفية ؟ ليحيلوا قوة المسلمين ضعفاً ، وعزتهم ذلة ، ودأبهم المكافح الصبور في سبيل بناء الحياة خمولا يستنيم للحشرجة المحتضرة .

من هم الذين كدُّوا في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله ، إلى كتب أخرى نسجتهاعنا كب الأساطير ، وحشاها أصحابها بمايفسد العقيدة ، والخلق والفكر ، وزوروا فيها على النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ـ أحاديث تدعو إلى صرف الجهد لافي سبيل البناء ، بل في سبيل الهدم ، ولا في سبيل الحرية ، بل في سبيل الاستسلام إلى كل غاصب ، ولا في سبيل الفضيلة ، بل في سبيل اقتراف الرذيلة ، بدعوى أن في هذا طاعة للقضاء والقدر ؟ إنهم الصوفية .

من هم الذين قالوا للمسلمين لا تقولوا : يارب ، بل قولوا : ياصنم ؟ إنهم الصوفية .

من هم الذين صرفوا المسلمين عن بناء الحياة إلى بناء القبور ؟ إنهم الصوفية ! ! .

من هم الذين نقلوا المسلمين من سادة إلى عبيد ، ومن أعزاء إلى أذلاء ، ومن أقوياء بالحق والعدل إلى ضعفاء ، لا يقوون إلا حين يعدوا بعضهم على بعض ؟ إنهم الصوفية ! ! .

من هم الذين صرفوا المسلمين عن عبادة الحق إلى عبادة الباطل ؟ إنهم الصوفية .

من هم الذين جعلوا من كرامات الأولياء اقتراف الفاحشة ، وهتك السوءات ؟ إنهم الصوفية .

اقرأوا ماخلف الصوفية من تراث الوثنية ، وسوف تتهمونى بالتقصير لا بالْغُلُوِّ ، و بالتفريط ، لا بالإفراط .

مَنْ دعاة الزهد المانَوِىِّ ؟ أى مَنْ دعاة العزلة والفرار والجبن والخمول ؟ إنهم أقطاب الصوفية ومنهم أبو طالب المكى ، والجنيد ، والغزالى .

مَنْ دعاة العبودية للكهان والأحبار ؟ اسمع للقشيرى - وهو المعروف بالاعتدال فى صوفيته كما يزعمون - يقول وهو مؤمن بما يقول عن معروف الكرخى : « يستشفى بقبره يقول البغداديون : قبر معروف ترياق مجرب » و ينقل قوله الآنى فى إعجاب « إذا لك حاجة إلى الله ، فأقسم عليه بى[1] » .

يقسم على الخلاق بمخلوق . قولوا لصوفى : اذكر الله . وسترونه يستأذن وسائط ميتة كثيرة قبل أن يذكر الله ليأذنوا له ! ! .

إذ يوجب الصوفية على الذاكر قبل أن يذكر الله . . أن يستحضر شيخه ، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول : مددك يا أستاذى ، وأن يرى أن استمداده منه عين استمداده منه صلى الله عليه وسلم . فإنه الواسطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ، فيقول : دستور يا أستاذى ، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم ، وهم أهل السلسلة فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقدم[2] » . قبل أن يذكر الصوفى الله يجب عليه أن يستأذن الأصنام ! ! .

أهذا دين يسمو بالإنسانية ؟ أهذا دين يدعو إلى كرامة ؟ أهذا دين يدعو إلى تقويم النفس بالحق ، من دين الله ، حتى تكون لها الذاتية التى تشعر بواجبها وتعمل فى سبيل

---

(١) ص ٩ الرسالة القشيرية مطبعة التقدم .

(٢) ص ٢٨ وما بعدها من رسالة للأستاذ الصوفى أحمد عبد المنعم الحلوانى ، ص ٨٦ رسالة منحة الأصحاب للرطبى .

أدائه ؟ . « أم هذه صوفية تهفو بالإنسانية إلى حضيض الذلة والعبودية » . وإلى الإمحاء الكلى فى سبيل طاغوت أو وثن ؟ ! .

من الذى صرخ بهذه الحلولية الصليبية ؟

سبحان من أظهر ناسوته ... سِرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً ... فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[1]

إنه الحلاج الذى سمته مجلة الصوفية « شهيد التصوف الإسلامى[2] » شهيد !! هذا هو ميسم الصوفية العام . تضع للألفاظ غير معانيها ، وتسمى الأشياء بغير أسمائها ، وتضع للباطل اسم الحق ! !

شهيد وهو الذى يدعو إلى الحلولية الصليبية ، ويؤمن بها ، ويجاهد ــ وقد أفلح ــ فى سبيل أن يحول كثيراً من المسلمين إليها .

شهيد وهو يزعم أن هوية الذات الإلهية حالة فى كل إنسان . هذا العربيد فى حانات الإثم والغواية إله من آلهة الصوفية . أليس إنساناً فى باطنه إله ؟ ! هذا الفاتك الذى تعول دماء الضحايا على مشافره وهو يلعقها . إنه رب من أرباب الصوفية أليس إلهاً فى صورة إنسان هذا الظلام الذى يغتال حقوق الشعوب ؟ إنه إله من آلهة الصوفية .

أليس جسداً يحتوى على روح الإله ؟ ! .

من الذى صرخ بهذه الوحدة المادية ؟ .

«لا يُشَاهَد الحق ــ أى الله سبحانه مجرداً عن المواد أبداً ، فشهود الحقّ فى النساء

(١) الطواسين للحلاج ص ١٣٠ .

(٢) ص ٦٤ العدد الأول من مجلة الإسلام والتصوف .

أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة النكاح[1] » .

إنه ابن عربي الذي وصفته مجلة الصوفية « شيخ التصوف الأكبر » إله يتصل أزله بأبده ، وأوليته بآخريته ، وهو غير مجرد عن المادة ، حذارك لا تطأ هذا الحجر الأصم بمناسمك ، فإنه إله صوفى ! ! حذارك لاتبصق على هذه الجيفة المنتنه ، بل ارفعها فوق هامتك ثم سر بها هائما فى موكب من المشاعل . . إنها تستحق كل ذلك لأنها جزء من الإله الصوفى ، وهذه المرأة ترود بجسدها حانات الليل تبحث عن العرابيد هنالك ، وخبث الخمر يفوح من فمها الذى عربدت عليه الشهوات ، هنالك هنالك اسجد لها خاشعاً ، فإنها حقيقة الإله الصوفى الأكبر ! ! . هذا دين شيخ التصوف الأكبر ، وهذا هدف شيخ التصوف الأكبر . . فماذا تريد من الصوفية أن يقولوه غير هذا ؟ أليسوا صوفية ؟ ! .

بلى ، وحسبك إلى العدد القادم بإذن الله .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) ص ٢١٧ فصوص الحكم .

خطبة منـــــــــــبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله القوى المتين ، ذى البطش الشديد ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وعد المؤمنين بالنصر على الكافرين ، وندبهم لجهاد المشركين وأمرهم بقتال المعتدين الظالمين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آووه ونصروه وجاهدوا معه لإعلاء كلمة الحق والدين .

أما بعد : أيها المسلمون ـ هاهم أعداؤكم قد كشروا عن أنياب الغدر ، فماذا أعددتم لهم ؟ أفزعهم يقظة العروبة بعد طول سبات ، وأقلقهم هبة الشرق بعد طول غفلة ، وأحنقهم وثبة العرب للتحرر من أسر الاستعمار . لقد هالهم أن يخرج الشرق من أيديهم ، وأن يتخلص من براثنهم ، وأن يكون خيره لأهله ، وأمره لأبنائه ، لم تكفهم تلك السنين الطويلة السوداء التى امتصوا فيها دماءنا ، ونهبوا خيراتنا ، وفرضوا أنفسهم أوصياء علينا ، وأذاقونا لباس الجوع والخوف ، والذل والمهانة .

أيها المسلمون : إننا لم نعتد عليهم ، ولم نسلبهم حقًا من حقوقهم ، ولم نذهب إلى بلادهم ، لا نريد إلا أن نعيش أحراراً فى بلادنا ، ونستمتع بخيرات بلادنا .

لقد قيض الله لنا رجالا أقوياء من أنفسنا ، أنقذونا من الاستعمار وأعوانه ، ومن الدخلاء والخونة أذناب الاستعمار ، فماذا يريدون ؟ أيريدون أن يعودوا إلى بلادنا مرة أخرى ؟ لن يكون ذلك أبداً ـ إن شاء الله ـ مادام فينا عرق ينبض ، لقد ذقنا حلاوة

الحرية والاستقلال ، ولن يستطيع أحد بعد اليوم أن يستذلنا ، ويعيد القيد فى أيدينا ، والغل فى أعناقنا . إن حرارة الإيمان والإسلام التى تفزعهم قد اتقدت . ولن يستطيعوا أن يطفئوها أبداً . إن الشعلة فى أيد قوية مؤمنة بربها ، ومؤمنة بنفسها ، ومؤمنة بحقها ، وحق أمتها فى الحياة الكريمة العزيزة : فلن تستطيع قوة فى الأرض مهما هددت وتوعدت أن تخمدها بفضل الله وقدرته وعونه .

لقد ظهر منهم الشر والكيد والمكر السيء والتآمر علينا ، وما تخفى صدورهم أكبر ، فلنستعد لهم ، ولنعد لهم ما استطعنا من قوة ، ولنبع أنفسنا لله ، ولنشتر العزة بدمائنا وأرواحنا ، ولنكن وراء قادتنا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، ندافع عن أوطاننا ، ونحمى ذمارنا ، ونحافظ على أعراضنا ، والله معنا ولن يترنا أعمالنا .

قال الله تعالى فى كتابه الكريم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، وَمَنْ أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) ، ويقول سبحانه وتعالى (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) .

فهؤلاء الغربيون أولياء الشيطان ، عبدة الطاغوت ، يقاتلون طغياناً فى سبيل الشيطان الذى يملؤهم غروراً ، ويصور لهم أنفسهم أنهم السادة ، وأن عنصرهم أنقى من عنصر غيرهم ، وأنهم . . . وأنهم . . . وقد حكم الله عليهم وعلى شيطانهم بالضعف والخور .

فبيعوا أنفسكم لله الذى اشتراها منكم بأغلى الأثمان ، ووعدكم إحدى الحسنيين النصر والعزة أو الجنة والرضوان إن استشهدتم فى سبيله .

ليكن مفهوماً لدينا جميعاً أن هؤلاء الأعداء إنما يودون كبت الإسلام وخنقه حتى لا تقوم له قائمة ولا يعود له مجده ودولته ، فقتالهم هو الجهاد حق الجهاد فى سبيل الله ، وإعلاء كلمته ونصر دينه . وقد وعد الله بنصر من ينصره . فقال (إن تنصروا الله ينصركم

ويثبت أقدامكم) والنصر من عنـد الله ، لابكثرة عدد ، ولا بوفرة عتاد وَعُدَد . (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) .

إن خير مايتسلح به المسلم أولا وقبل كل شيء . هو الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى لا يتخذ له الأنداد ، ولا يتقرب إليه بالشفعاء والوسطاء ، ولا يتوسل إليه بالأموات من الصالحين والأولياء . إنما يجعل قلبه خالصاً لله رب العالمين ، لا يعبد سواه ، ولا يسأل غيره ، ولا يستعين إلا به . فهو وحده سبحانه الذى بيده الأمر كله ، يعز ويذل ، ويرفع ويخفض ، وينصر ويخذل . وكل مَنْ سواه ضعيف ، لا ينفع ولا ينصر ، ولا يملك شيئاً لنفسه ، ولا لغيره . ثم الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الإمام ، وأنه القدوة ، وأنه الأسوة ، وأنه المشرع ، وأنه لا ينبغى ولا يصح أن يقدم أمر أحد ولا قوله على أمره وقوله . ثم تقوى الله فى السر والعلن ، والإقلاع عن كل مايغضب الله ، ويغضب رسوله : من البدع وعبادة الموتى ، والشرك الذى تفشى فى الناس ، والفجور والعصيان والتبرج ، ومخالفة أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتعدى حدود الله ، والوقوع فى محارمه . فكل ذلك من أسباب الفشل وأسباب الهزيمة .

ويقول الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . كما أن الطاعة وتنفيذ أوامر الله وأوامر رسوله إيماناً وحبًا ورغبة وصدقاً . فى السر والعلن هو السبب إلى النصر والفوز إن شاء الله . وفى ذلك يقول الله (قل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولَّوْا فإنما عليه ماحُمِّلَ وعليكم ماحُمِّلْتم ، وإن تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

أرأيت ياأخى كيف رتب الله النصر على الطاعة ، وعبادة الله وحده ، وجعل عاقبة مخالفة أمر الله وعصيانه الهزيمة والعذاب الأليم . ألا فلنتسلح أولا بالإيمان والتقوى والطاعة والضمير الحى ، فينصرنا الله على الأعداء الكافرين ، وهو على كل شيء قدير .

أيها المسلمون : أرجعوا قليلا إلى الوراء لتنظروا وتعتبروا بما كان . أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليحرر الناس من ذل العبودية لغيره ، ومن استغلال الأقوياء للضعفاء ، ومن تحكم الأغنياء فى الفقراء . فلما قام عليه الصلاة والسلام يصدع بأمر الله ، ويدعو إلى دين الله ، وقف أولئك الطغاة البغاة فى وجهه ، وتصدوا له فى كبر وصلف . فهاجر من وطنه مكة إلى المدينة ، ثم آزره الله بالأنصار والمهاجرين ، وأذن له فى مجاهدة الطغاة الذين يقفون فى وجه تحرير الضعفاء والفقراء ، وكتب الله له وللمؤمنين معه النصر . ثم وجّه جهاده وحربه إلى مَن كان يستعمر العرب ويتحكم فيهم من الفرس والرومان ، ولم يكن هؤلاء أقل عدداً ولا قوة من خلفائهم المستعمرين اليوم ، فنصرهم الله عليهم . ثم كانت الدولة للعرب المسلمين الذين نشروا ألوية العدل والنور والحرية فى الخافقين ، فانكمش المستعمرون وانخذلوا ، حتى إذا دب بين المسلمين دبيب التفرق والتقاطع والتدابر ظهر الصليبيون يحاولون إعادة سلطانهم على العرب ، فانبرى لهم صلاح الدين الأيوبى وأضرابه من الأبطال فردوا كيدهم فى نحورهم ، وردوهم عن بلاد المسلمين مخذولين . ثم توالت الأيام فأصاب المسلمين ما أصابهم من الضعف والوهن على يد الحكام الفاسقين من الأتراك والمماليك والشراكسة ، فعاد الصليبيون فنفذوا إلى قلب الإسلام واستعمروا بلاده وأذلوا أهله . واليوم قام خلفاء صلاح الدين يطهرون بلاد العرب ووطن الإسلام من دنس المستعمرين ، ويخلصونها قطعة قطعة من مخالبهم ، وبفضل الله سيتم لهم النصر كما تم النصر لأسلافهم من قبل . فثقوا فى الله ، واسألوه التأييد والعون والنصر ، فهو القادر على أن يبعث على هؤلاء الأعداء عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، إنه سميع قدير مجيب .

أيها المسلمون : لقد جعل الله سبحانه وتعالى منازل المجاهدين فى سبيله أعلا المنازل فى الدنيا والآخرة ، وكان سيد المجاهدين ورأس المكافحين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فله أعلا المنازل واسما المراتب ، وله الفردوس الأعلا والمقام المحمود ، ومن بعده خاصة أصحابه وخلفائه الذين جاهدوا معه بالقول والعمل ، واللسان والسنان ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

وتفضل ربنا وتكرم علينا فوعدنا ـ ووعده الحق ـ أن يعطى من يسلك سبيلهم ويتبع طريقهم فى مجاهدة الكفار ، ورد كيدهم عن بلاد المسلمين من النصر والفوز ، والعزة والتمكين فى الأرض . قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين) فالمجاهدون فى سبيل الله هم المحسنون ، المحسنون لأنفسهم ولأوطانهم ولدينهم ، لأنهم باعوا أنفسهم لله حتى لايجعلوا للكافرين عليهم سلطانا . فلهم الحسنى فى الدنيا بالحياة الطيبة الآمنة المنيئة فى ظل الحرية والاستقلال والعزة والكرامة ، ولهم الحسنى فى الآخرة فى جنات النعيم فى أعلا المنازل ، وذلك هو سبيل الله الذى وعدهم ربهم أن يهديهم إليه فى الدنيا والآخرة .

الجهاد فرض على كل مسلم ، ولم يتمكن المستعمرون منهم ، ويتحكموا فى مقدراتهم إلا من يوم أن تركوا فريضة الجهاد وضيعوها . وقد قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله . قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » . فمن كره الموت ، وتشبث بالدنيا ليعيش فيها حياة ذليلة بغيضة مهينة ، لايهمه منها إلا أن يأكل ، وأن يلبس ، كما تعيش الانعام وتأكل ، فإنه يفقد كل مزايا الانسانية الكريمة التى تأبى الضيم ، وتأبى الدنية . ولا ترضى إلا بالحياة العزيزة الكريمة ، ولا ترضى أن يتحكم فيه إنسان مثله ، يسلبه إرادته ويسلبه كل عزيز مقدس عنده . ها هم أولاء أمم الغرب تدعو بعضها بعضا لافتراسنا وإعادة سلطانهم علينا ، فقوموا أيها المسلمون قومة رجل واحد ، وتدربوا على فنون الحرب والقتال الحديثة ، مؤمنين بنصر الله الذى بيده وحده النصر .

ربنا اغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا ، وانصرنا على القوم الكافرين . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، وجعل الأيام بين الناس متداولا وأشهد أن لا إله إلا الله ، مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ؛ بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وسيد المجاهدين . كمل فيه جميع مراتب الجهاد : جهاد النفس وأهوائها وجهاد الشيطان ونزغاته ووساوسه ، وجهاد الكافرين وعنادهم وشركهم ، وجهاد المنافقين ودسهم وتلونهم . بلغ فى كل ذلك أقوم منهج وأكمل غاية . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَن رضى بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، وجبت له الجنة . وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ، مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض . قيل : وما هى يا رسول الله ، قال : الجهاد فى سبيل الله » فدخول الجنة مرهون بالإيمان بالله ، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون العبد مسلما متبعا لشرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وأن يتحلى بكل صفة وخلق كريم ، ويتخلى عن كل صفة وخلق ذميم .

أما الجهاد فإنه المرقاة التى يرتقى عليها فى درجات الجنة حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » فانظروا ياإخوانى كيف رفع رسول الله شأن الجهاد ، وجعله ذروة سنام الأمر وإنه والله لكذلك فإنك إذا لم تجاهد الكفار وتتخلص من سلطانهم ، لا تستطيع أن تقيم شعائر دينك كما تحب وكما يأمرك ربك . بل لابد أن يخدش دينك ، وتثلم عزتك وكرامتك ولذلك كان شأن الجهاد عظيما وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليكاد يخرج من لم يجاهد فى سبيل الله من حظيرة الإسلام فيقول « من مات ولم يغز ، أو يحدث نفسه بغزو ، فقد مات ميتة جاهلية » كما فسر أبو أيوب الأنصارى وغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنهم . قوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

أنه ترك الجهاد . وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجنة تحت ظلال السيوف » وأنه قال « رباط ليلة فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » وأنه قال « مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم القائم » .

إن الإسلام لم يُعْلِ قدر أى فئة من الناس ، كما أعلى قدر المجاهدين فى سبيل الله . ذلك لأنهم قدموا أنفسهم فداء لأوطانهم ، وبذلوها لدينهم ، لم يرهبهم عدو ، ولم يُخِفهم عدد ولا عدة . ذلك لأنهم لم يكونوا معتدين على غيرهم ، ولا ظالمين لسواهم بل قاموا يردون الاعتداء والظلم والبغى ، واثقين من وعد الله ووعيده إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم اقرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) » .

أيها المسلمون : أعدوا أنفسكم دائماً وفى كل وقت جنوداً لله ، إن العدو يتربص بكم دائماً ، إنه مغيظ محنق من هذه الوثبة القوية ، وهذه الخطوات الجريئة التى تخطونها فى سبيل مجد الإسلام والعروبة وعزتهما . إنها دول قد شاخت وعفنت ، إنها تقوم على نظم أشبه ما تكون بنسيج العنكبوت فى ضعفها ووهنها ، وإن تراءت للناس أنها قوية متماسكة فلا ترهبوهم ، ولا تقيموا لهم وزناً ، ولا تظنوا أنهم أقوى منكم أبداً . والله سبحانه وتعالى يقول (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون) نعم نرجو من الله النصر والتأييد فى الدنيا ، والفوز والنجاة والرضوان وجنات النعيم فى الآخرة .

وقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نجاهد فى سبيله تملؤنا الثقة فيه ، وأن نطالب النصر بطاعته وتنفيذ أوامره ، سراً وعلناً وظاهراً وباطناً . وأن نجتنب كل مانهانا عنه من المعاصى والمنكرات ، فذلك ذكر الله الذى أمرنا به فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وذلك سبيل الفوز والفلاح والنصر .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء : أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « مَن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فهو فى سبيل » وأينا لا يحب من صميم قلبه أن تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الكافرين هى

السفلى ؟ كلنا ولا ريب يحب ذلك . فلنعمل لذلك ، فإنه لايدرك بالتمنى ، ولكن يدرك ببذل المجهود ، والعمل الدائب المستمر من كل فرد فى الأمة .

وليس جهاد المستعمر قاصراً على قتاله فى الميدان فحسب ، بل يمتد إلى حربه فى جميع ميادين الحياة . فينبغى أن ننبذ عاداته وخلقه وثقافته ونكرهها ونمقتها أشد الكراهية والمقت ، ونعود إلى عاداتنا وأخلاقنا وثقافتنا الشرقية الإسلامية . يجب أن ترتدع نساؤنا و بناتنا عن أزيائهم وتبرجهم وتهتكهم واستهتارهم ، وترجع إلى النظام الشرقى الإسلامى . ينبغى أن نحارب تجارتهم واقتصادياتهم ، ونقبل على صناعة بلادنا ومنتجات أوطاننا . يجب أن نتعصب لكل ما هو شرقى عربى إسلامى ، ونحارب كل ما هو دخيل أجنبى . ذلك هو السبيل السوى ، والخطة الحكيمة الرشيدة إلى الفوز والنجاح والانتصار على العدو . وَ إلاَّ فَخَبِّرُونى بربكم كيف نزعم أننا نحاربه ، أو نتحرر من آصاره وقيوده ، ونحن مقيمون على خلقه وعاداته ، معتمدون على صناعته وتجارته .

أيها المسلمون : لقد مَنَّ الله علينا بقادة مخلصين ، باعوا أنفسهم للوطن ، يواصلون الليل بالنهار فى عمل دائب وجهد مستمر ، يعرضون أنفسهم للمخاطر ، ويتقدمون الصفوف فى شجاعة و بسالة أذهلت العدو ، وأدخلت فى قلبه الرعب ، وقذفت فى نفسه الخوف . وقف العدو يرقب انتصاراتهم المتوالية مبهوتا وجلاً حيران ، لايدرى مايفعل . إنهم يكيلون لهم الضربات فى كل ميدان ، فيتراجعون أمامهم مخذولين مدحورين مهزومين . فاسجدوا لله شكراً . وارفعوا أكف الضراعة لله رب العالمين أن يحفظهم و يرعاهم و يسدد خطاهم ، حتى تتحقق الآمال ، فلا يبقى أثر لمستعمر فى الشرق الإسلامى كله . اللهم حقق لنا ذلك ، إنك أنت السميع القريب المجيب ، وأيقظ المسلمين جميعاً حيثما كانوا ليقفوا صفًّا واحداً ، و يداً واحدة ، وكلمة واحدة ، من وراء قادتنا الأوفياء المخلصين ، حتى يُسحق العدو و يخلص لنا الوطن الإسلامى .

نسألك اللهم ربنا أن تغفر لنا ذنوبنا ، وتكفر عنا سيئاتنا ، وتقوىَ عزائمنا ، وتنفخ فينا روح الشجاعة والإقدام ، وتقذف فى قلوب أعدائنا الجبن والرعب والخور ، وأن تثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن تهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . وصلى اللهم وسلم و بارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

تراجم مختصرة لأئمة المذاهب

أبو حنيفـــــة

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت .

ولد بالكوفة سنة ٨٠ ونشأ بها ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ .

أدرك بعض التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وأخذ عن الشعبى والنخعى والأعمش وأصحابهم .

و يسمى مذهبه (مذهب أهل الرأى) لأن الحديث كان قليلا بالعراق ، فاستكثروا من القياس ، و برعوا فيه . و بعد أن تم تدوين الحديث فى العصر الذى بعدهم ، تبين أن كثيراً من فقه الأحناف يعارض الصحيح الصريح من الأحاديث النبوية . و يلقى هذا المذهب قبولا عظيما عند الأعاجم من الأتراك والشراكسة ، لأنه يعتمد على الرأى والقياس أكثر من اعتماده على النصوص . وما أشق النصوص ومداركتها وفهمها على الأعاجم .

وأكبر أصحاب أبى حنيفة الذين نشروا مذهبه : أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، وزفر ابن الهذيل ، ومحمد بن الحسن .

وقد ولىّ هارون الرشيد أبا يوسف القضاء بعد سنة ١٧٠ ، فكان تولية القضاء فى يده ، فلم يكن يولى إلا من كان من أصحابه وعلى مذهبه فاشرأبت أعناق العلماء إلى المذهب طمعاً فى تولية القضاء ، واضطرت العامة إلى أحكامهم وفتاواهم . ففشا المذهب فشواً عظيما فى جميع البلاد التى كانت تحت يد العباسيين ، وهى بلاد الإسلام كلها ، خلا المغرب والأندلس التى بقيت فى حكم بنى أمية .

و ينتشر المذهب الآن فى أكثر البلاد الإسلامية ، إلا أنه الغالب على الأتراك ، والألبان وسكان البلقان و بلاد الأفغان وتركستان و بلاد القوقاز والهند ، وهو مذهب كثير من المصريين وخصوصا العلماء ، و بالأخص رجال الفتوى والقضاء الشرعى .

مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي ولد بالمدينة المنورة سنة ٩٣ وتوفى بها سنة ١٧٩ أدرك جملة من التابعين منهم : نافع مولى عبد الله بن عمر وابن شهاب الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى وغيرهم .

وله الموطأ وهو أول كتاب ألف في شرائع الإسلام . قال ولى الله الدهلوى فى كتابه (المسوى) إن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه ، وعمدة مذهب الشافعى وأحمد ورأسه ، ومصباح أبى حنيفة وصاحبيه ونبراسه . وهذه المذاهب كلها بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون .

وروى عنه الموطأ طائفة من الحفاظ والفقهاء : منهم الشافعى وعبد الله بن مسلمة القعنبى وعبد الله بن يوسف التنيسى ويحيى بن يحيى بن كثير الأندلسى ، ومن الخلفاء : المنصور والمهدى والرشيد .

ونقل البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، كل ما وافق شروطهم من الموطأ . فكل ما يتعلق بالفقه فى الكتب الستة تحوم حوله ، وتوصل ما أرسله ، وترفع ما أوقفه ، وتستدرك ما فاته ، وتذكر المتابعات والشواهد لما أسنده .

وثلاثيات مالك من أصح الأحاديث ، إلا أن مالكا لم يفرد الصحيح . بل أدخل فى الموطأ المرسل والمنقطع والموقوف ، وفيه البلاغات الذى يرويه بقوله (بلغنى عن الثقة عندى) ومن بلاغاته أحاديث لا تعرف ، ولولا ذلك لعد كتابه فى الصحاح . وقيل إن فى الموطأ نيفاً وسبعين حديثاً ترك مالك نفسه العمل بها .

ويسمى أصحابه (أهل الحديث) غير أنه اعتبر عمل أهل المدينة مصدراً من مصادر مذهبه . وقد انتشر مذهب مالك بالحجاز ومصر ، وزاد انتشاره فى المغرب والأندلس ، وخصوصاً فى زمن الحكم بن هشام . وكان يحيى بن يحيى بن كثير مكينا عنده ، فصار لا يولى القضاء إلا من أشار به ، فانتشر به مذهب مالك كما انتشر الحنفى بأبى يوسف فى المشرق .

وقال ابن حزم فى ذلك « مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان : الحنفى بالمشرق والمالكى بالأندلس » .

وقد نال الموطأ من عناية العلماء والفقهاء مالم ينله كتاب غيره ، فألفوا مئات الكتب فى شرحه . وتفسير غريبه والكلام على رجاله والتعليق عليه وتخريج أحاديثه المرسلة ، والموقوفة .

والمذهب المالكى ينتشر الآن فى مصر معادلا للمذهب الشافعى وخصوصاً فى الصعيد وهو المذهب الغالب فى مراكش والجزائر وتونس والسودان والصومال و إرتريا وَقَطَر والبحرين والكويت .

الشـــافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى القرشى .

ولد بغزة سنة ١٥٠ ، وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ ، وكان آية فى الفهم والحفظ ، وقد نشأ بمكة المكرمة ، وتعلم بها علومه الأولى . ثم رحل إلى المدينة وأخذ عن مالك ، ثم رحل إلى العراق بعد مالك ولقى بها أصحاب أبى حنيفة وأخذ عنهم ورد عليهم ما كانوا يأخذونه على مالك من العكوف على النصوص وعمل أهل المدينة ، وعدم الاعتماد على الرأى والقياس . وقيل : إنه عمل فى ذلك مذهبه القديم وهو كالدفاع عن منهج مالك ، ثم رحل إلى مصر ولقى الليث بن سعد وغيره من علماء مصر ، فأخذ عنهم .

وفى مصر عمل مذهبه الجديد ، ومزج فيه بين طريقة أهل الحجاز ، وطريقة أهل العراق ، وما وجده عند أهل مصر وأباح فيه القياس وارأى إذا لم يوجد النص .

و يقال لأصحابه (أهل الحديث) كالمالكية ، بل تنصرف هذه الصفة إلى الشافعية فقط فى بعض البلاد . ومن كبار أصحابه الربيع بن سليمان والمزنى اللذين رويا عنه كتبه . ووضع أبو عمرو محمد بن جعفر النيسابورى مسنداً أخذه من كتاب الأم وغيره ونسبه إلى الشافعى ، ولم يشتهر هذا المسند لأنه ليس من تأليف الشافعى .

والمذهب الشافعى ينتشر الآن فى بلاد كثيرة ، وهو الغالب على أهل مصر وخصوصاً فى الوجه البحرى وفلسطين و بلاد الأكراد وعلى السلبين من بلاد فارس وتركستان الصينية وجاوة ومسلمى سيلان والفلبين ، وسيام والهند الصينية والحجاز وأهل عسير والسنيين فى اليمن وعدن وحضرموت .

أحمد بن حنبل

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى .

ولد ببغداد سنة ١٦٤ ـ وقيل بمرو ، وحمل إلى بغداد رضيعًا ـ ومات بها سنة ٢٤١ .

وكان مثالا للصلاح والورع ، والتقوى ، ورأسًا فى الذابين عن علم الحديث ونصره حتى استحق لقب إمام أهل السنة والجماعة .

وكان من خواص أصحاب الشافعى ولم يزل يصاحبه ويأخذ منه حتى ارتحل الشافعى إلى مصر . وله كتاب (المسند) وهو أكبر موسوعة فى الحديث ، اشتمل على أربعين ألف حديث ، المكرر منها عشرة آلاف ، وقد رواه عنه ابنه عبد الله وابنى أخيه صالح وحنبل ، وأبو بكر القطيعى . وفى المسند أحاديث ضعيفة كثيرة ، و بعض الأحاديث الموضوعة ولم تكن الموضوعات فى أصل المسند ، إنما هى من زيادات القطيعى .

وقد انصرف العلماء والفقهاء إلى ترتيب رجال المسند ، أو وضع فهارس له أو تقسيمه على أبواب الفقه ، ولكن لم يوفق أحد إلى تهذيبه ، أوشرحه كما ينبغى ، أو إشباع الكلام على متونه أو إظهار مراتب أحاديثه : صحة وحسناً ، أو ضعفًا ووهناً ، أو وضعًا وكذبا .

وعمدة المذهب هو المسند ، وما دوّنه أصحاب أحمد فى كتبهم من أرائه المبنية على الأحاديث التى رواها فى المسند ، وكان يرى العمل بالحديث الضعيف أولى من القياس والرأى .

ولم يصادف مذهبه انتشاراً كبيراً لبعده عن الاجتهاد ، وكان ظهوره أولا بالعراق ثم انتشر فى بلاد الشام . و يغلب الآن على أهل نجد والإحساء و يوجد حنابلة بالشام و بلاد الأفغان .

(تعقيب)

ينبغى أن يكون معلومًا أن مدلول كلمة (مذهب) لم يكن عند السلف كما هو عندنا اليوم ، فإن الناس يفهمون اليوم أن معنى المذهب طريقة فى الدين يجب على المسلم أن يقلدها ويسير فى عباداته ومعاملاته على مقتضاها ولا يحيد عنها ، ولو كانت مخالفة للكتاب والسنة . أما مدلول الكلمة عند السلف : فإنه أراء الإمام ، أو الفقيه فى المسائل الفرعية حسب فهمه الخاص فى أمر من الأمور . ولم يكن أحد منهم يحمل الناس على اتباعه فيما يرى ويفهم ، بل نص كثير منهم على التحذير من تقليدهم من غير علم للأصل الذى أخذوا منه ، فمن ذلك قولهم :

١ ـ لا يحل لأحد أن يعمل بكلامنا ، إلا إذا عرف من أين أخذناه .

٢ ـ إذا رأيتم كلامى يخالف الحديث ، فاضربوا بكلامى عرض الحائط .

٣ ـ إذا صح الحديث فهو مذهبى .

٤ ـ كل واحد يؤخذ من قوله ويرد ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ لا يحل لأحد أن يقلد أحداً فى دينه .

وغير ذلك مما هو مستفيض عنهم ، وقد أبرأوا ذممهم من تبعة مَن يقلدهم . وكانوا أعرف الناس بقدر أنفسهم ، وكانوا من الإيمان والتقوى والصلاح بمكان لا يرضون أن ينصبوا أنفسهم مشرعين لدين أكمله الله ، و بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن التجنى عليهم أن نترك السنة الصحيحة لرأى ارتأوه ، لأن الحديث لم يكن قد بلغهم ، ولو بلغهم لما عدلوا عنه لرأيهم أبداً . فلم يكن متيسراً لأحد منهم أن يحيط بالأحاديث النبوية كلها لتفرق أصحاب رسول الله فى البلاد . ثم دُوِّن الحديث من بعدهم ، فأصبح التمييز بين صحيحه وسقيمه متيسراً لو أن عصرهم تأخر عن عصر جمع الحديث وتدوينه وتمييزه ، لما كان لأى مذهب مكان ولا وجود .

وقد علمت مما ذكرنا آنفاً من تراجم الأئمة أنهم أخذوا عن بعضهم ، ولم يظهر التعصب لكل إمام إلا من بعدهم ، رغم تحذيرهم الشديد . كما علمت أن أسباب انتشار تلك المذاهب كانت أكثرها سياسية من الأمراء والقضاة ، وكانت المذاهب أشبه بالأحزاب فى عصرنا ،

(البقية على ص ٥٠)

تعليقـــات

(١)

(النذر للمشايخ حرام كالنذر للأصنام)
(القبور لا تضر ولا تنفع آكل مال النذور يأكل سحتاً)

بهذا العنوان نشرت جريدة الأهرام فى ٢٨/٦/٩٥٨ فتوى لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ (على رفاعى) مفتش عام الوعظ بالأزهر ، قدمها فى مذكرة إلى لجنة الموالد بوزارة الشئون الاجتماعية . وقال فضيلته : عندما يقول المرء نذرت للشيخ فلان أو لسيدى فلان – حياً كان أو ميتاً – ذبيحة أو مالا ، فقد ارتكب حراماً قبل الوفاء بالنذر وعند الوفاء به . ويعتبر عمله هذا من أعمال الجاهلية الذين كانوا يعبدون الأصنام . وإن النذور المعروفة فى هذه الإيام للقبور والأموات ، لا كلام فى تحريمها فإن الناذر يعتقد فى صاحب القبر أنه ينفع أو يضر ، ويجلب الخير ويدفع الشر ويعافى المريض . وهذا هو الذى كان يفعله عباد الأوثان ، فيحرم كما يحرم النذر للأوثان . ويحرم قبض هذه النذور ، لأنها تقرير على الشرك ويجب النهى عنه ، وإعلان أنه من أعظم المحرمات ، وأنه من أخلاق عباد الأصنام ، وأن النذر للمخلوق حرام ، والذى يقبضه يأكل سحتاً .

وشكر الله لفضيلته صدعه بالحق ، فى زمن قل فيه نصراء الحق ، والهداة إلى الدين الصحيح وإنه لأمل كبير أن يقوم رجال الدين بواجبهم فى إنقاذ المسلمين من المهالك والضلال والجاهلية والوثنية والشرك الذى وقعوا فيه بعبادة الموتى من دون الله ، فيعيد الله لهم ما كان لسلفهم من الصولة والدولة ، والمكانة العالية ، والكلمة المسموعة ، فى شئون الأمة الإسلامية كلها .

(٢)

نشرت جريدة الأخبار بتاريخ ٣٠/٧/١٩٥٨ للسيد محمود حسين نصر كلمة بعنوان (سيكلوجية التقليد) تكلم فيها عن تهافت سيدات مصر على موضات وأزياء باريس ونيويورك . وأن ذلك طبيعى جداً . لأن التقليد (شعور بالدونية) ونحن دون الغرب الذى بلغ القمة فى الحضارة الآن ، فلا عجب أن تؤثر حضارتها فينا ، كما أثرت حضارتنا فيهم زمن العباسيين ـ إلى أن قال ـ وأولى بنا أن نسأل : ماسبب تأخرنا وتقدم الغرب . . . ؟ وسنجد فى النهاية أن الغرب قد تخلى عن المخلفات الثقافية القديمة ، واتجه إلى سيادة النظريات العلمية فى تفسير مظاهر الحياة . . . فما أحوجنا إلى ثورة علمية مماثلة .

ويظهر أن هذه الجملة الأخيرة هى بيت القصيد من كلمته ، وإنها لجملة مريبة ، فماذا يقصد بالمخلفات الثقافية القديمة التى يدعونا إلى الثورة عليها كما ثارت عليها الغرب ؟ .

هل يقصد الثقافة الإسلامية ، والتراث العلمى الإسلامى ؟ لاشك أنه يقصد ذلك . ولو أن الأستاذ تريث قليلا ، وحاول أن يفهم الثقافة الإسلامية الحقة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لما تورط هذه الورطة الشنيعة ، ولما سقط هذه السقطة القاتلة . ولقد حاول أن يستتر خلف الألفاظ ، فأبت الألفاظ إلا أن تبين عن دخيلة نفسه .

فليعلم السيد/محمود حسين وأمثاله ممن اشربوا فى نفوسهم حب الغرب ، وتقديس ثقافته ، أن الثقافة الإسلامية أقامت يوم أن كانت نقية نظيفة من البدع والخرافات التى ألصقت بها ، دولة كاملة الأركان ، متينة البنيان ، على أساس من الطهر والعدل ، وتكافؤ الفرص ، والعدالة الاجتماعية الحقة . ثم ضيعها ابناؤها بانحرافهم إلى ثقافة الفرس والرومان والأغريق والفراعنة ، فضاعوا بعدها .

أما الحضارة الغربية التى يتغنون بها ، فإنها تقوم على أسس من البغى والظلم ، والعدوان والفجور والاباحية . وكم ذقنا من بغيهم وظلمهم واضطهادهم وعدوانهم ولا نزال ، لأنها ثقافة مادية لا تقيم للقيم الإنسانية وزنا ، ولكن أين من يحس ويشعر ؟

إن الحضارة الحقة ، لا تقاس بالمخترعات ، وألوان الفنون والصناعات ، إنما تقاس بالجوانب الخلقية الروحية الإنسانية منها . فهل حققت الحضارة الغربية شيئاً من ذلك ؟ اللهم لا ، إلا فى نظر عباد الغرب المدلهين فى حبه ، المولهين فى غرامه ، لأن همهم من الحياة المتع والشهوات والترف التى تحققها لهم الحضارة الغربية . أما الخلق ، أما الحياة الإنسانية الكريمة ، أما التفكر فيما بعد الدنيا من النعيم أو العذاب ، فإنهم عنها غافلون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ونقول كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

(٣)

نشرت جريدة الأخبار يوم ١٩٥٨/٨/٧ كلمة للدكتور عمر مكاوى تحت (نحو النور) رداً على الأستاذ محمد زكى عبد القادر الذى قال فى عدد سابق أن الشكوى طبيعة فى الإنسان فقال فى رده (الشكوى ليست طبيعة إنسانية ، بل هى مرض نفسى ، هى صورة ناطقة للفشل والشعور بالعجز واليأس ، وهى أشياء مصدرها واحد : هو الإيمان بالغيبيات والقضاء والقدر والحظ والصدفة . . الخ) .

ياللهول ، ياالكفر الصريح ينشر فى بلد ينص دستوره على أن دينه الإسلام .

الإيمان بالغيبيات والقضاء والقدر مرض نفسى ..!!

الإيمان بالغيبيات والقضاء والقدر مصدر للفشل ، وسبب للشعور بالعجز واليأس ..!!

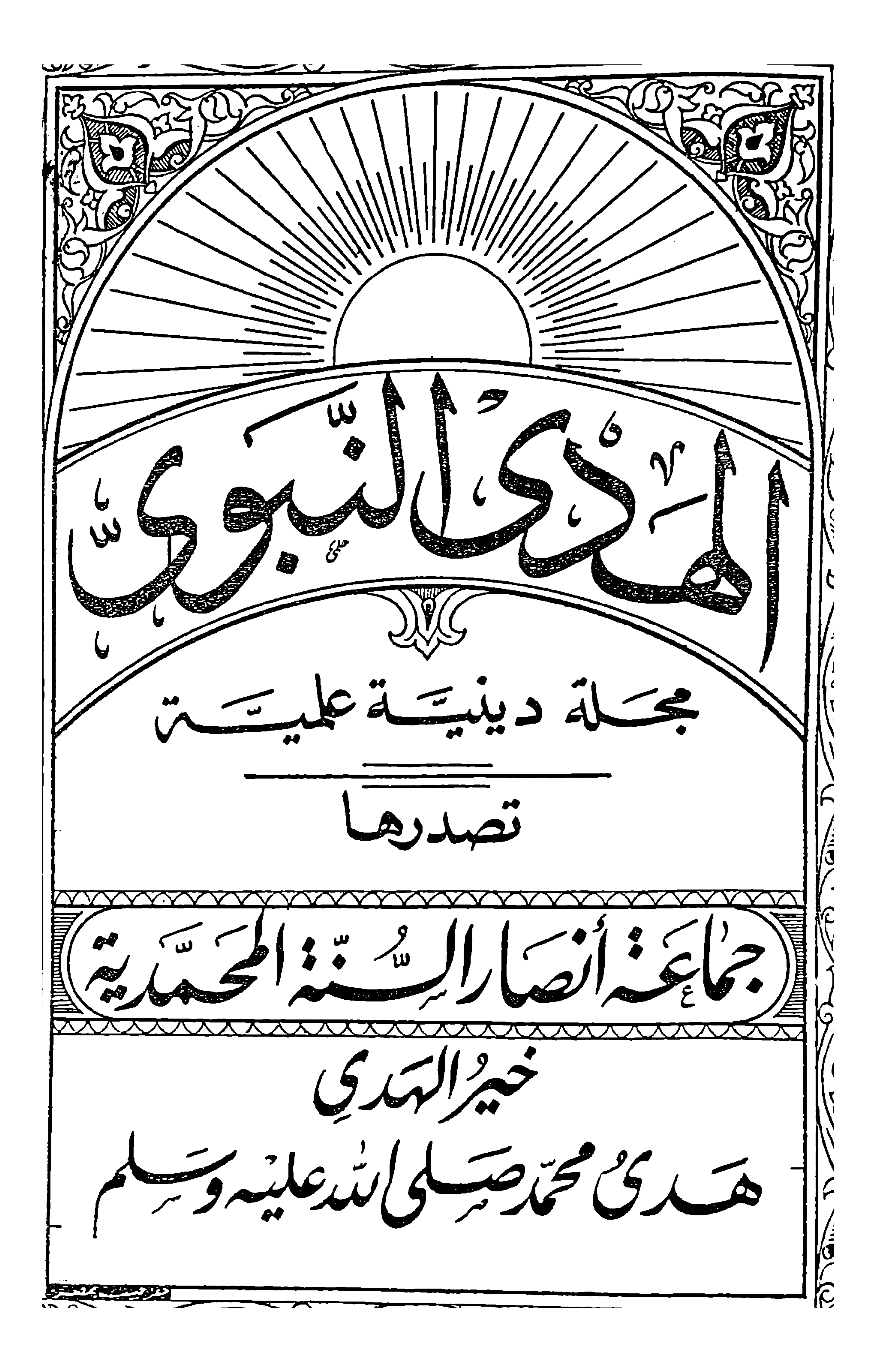
الإيمان بالغيبيات : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار ، وغيرها من الأمور المعروفة عند المسلمين بالضرورة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

والإيمان بالقضاء والقدر : هو الإيمان بأنه لا يقع شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا فى الأنفس ولا فى الكائنات إلا بتقدير العزيز الحكيم وقضائه وعلمه وتدبيره . فترتاح النفوس لما يصادفها من العوادى والآفات ، وترضى بها ، وتوقن بأنها خير لها . لأنها من تقدير وتدبير الله الرؤوف الرحيم .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧

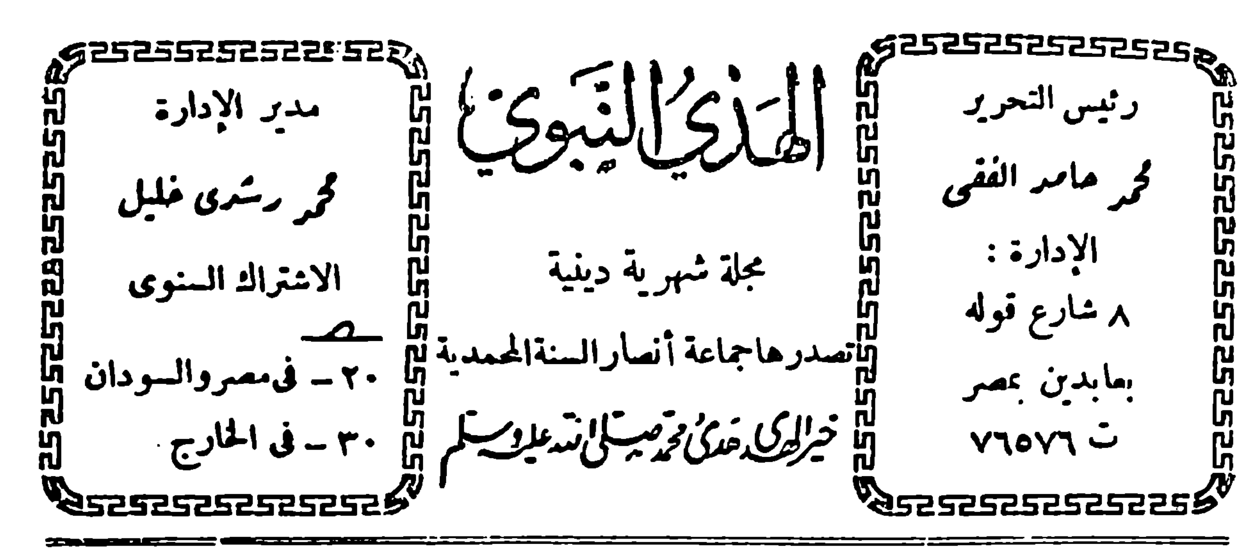

الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين لإرسال مابعهدتهم . ولهم جميعاً الشكر



المجلد ٢٣ — ربيع الأول سنة ١٣٧٨ — العدد ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ٤ – ٨ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب : لَتُفْسِدُنَّ فى الأرض مرتين وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولِى بأس شديد ، فجاسُوا خِلال الديار . وكان وعْداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الْكَرَّةَ عليهم . وَأَمْدَدْنَا كُم بأموال و بنين . وجعلنا كم أكثر نَفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، و إن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة لِيسُوءوا وجوهكم ، وَلِيَدْخُلُوا المسجد كما دخلوه أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا . عَسَى رَبُّكم أن يرحَمَكُم . و إن عُدْتُمْ عُدْنا . وجعلنا جهنم للكافرين حَصيراً) .

« قضى » قال أحمد بن فارس ، فى مقاييس اللغة : القاف والضاد والحرف المعتل : أصل صحيح ، و يدل على إحكام أمر و إتقانه ، و إنفاذه لجهته اهـ .

وقال ابن الأثير فى النهاية : قضاء الشىء إحكامه و إمضاؤه والفراغ منه . وقال الزهرى « القضاء » فى اللغة على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشىء وتمامه . وكلُّ ما أُحكم عمله وأُتِمّ ، وخُتم ، أو أُدِّىَ ، أوْ أُوجِب ، أو أُعلم ، أو أُنفِذَ ، أو أُمضِىَ : فقد قضى اهـ .

وقال الراغب فى المفردات : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » هذا قضاء بالإعلام والفصل فى الحكم ، أى أعلمناهم ، وأوحينا إليهم وحياً جزماً .

وقال ابن جرير فى تفسير قوله تعالى : (٢ : ١١٨ و إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كُنْ فيكونُ) إذا أحكم أمراً وحتَّمه .

وأصل كل قضاء أمر : الإحكام والفراغ منه . ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس : «القاضى» بينهم ، لفصله القضاء بين الخصوم ، وقطعه الحكم بينهم ، وفراغه منه به ، ومنه قيل للميت « قد قَضَى » يراد به : قد فَرَغ من الدنيا وفصل منها . ومنه قيل « ما ينقضى عجبى من فلان » يراد : ماينقطع منه . ومنه قيل : « تَقَضَّى النهار » إذا انصرم ومنه قول الله عز وجل (٣ : ٢٣ وقضى ربك : أن لا تعبدوا إلا إيَّاه » أى فصل فى الحكم فيه بين عباده ، بأمره إياهم بذلك . وكذلك قوله (١٧ : ٤ وقضينا إلى بنى إسرائيلَ فى الكتاب) أى أعلمناهم بذلك ، وأخبرناهم به . ففرغنا إليهم منه . ومنه قول أبى ذؤيب الهُذَلى :

وعليهما مَسْرودتان ، قضاهما داود ، أو صَنَعُ السوابغ : تُبَّع

و يعنى بقوله « قضاهما » أحكمهما . ومنه قول الآخر ـ وهو جَزء بن ضِرَار ـ فى مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قضيتَ أموراً . ثم غادرتَ بعدها بَوائق فى أكمامهــا لم تفتَّقِ

انتهى كلام ابن جرير .

و « الكتاب » يعنى به سبحانه : الكتاب المكنون ، وهو الذكر ، وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه ، الكتب والرسالات المنزلة كلها على الأنبياء والمرسلين جميعاً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : بما فيها من علوم وعقائد وشرائع ، وأوامر ونواهى ونُذُر وعِبر ، بالإخبار عن الماضين وعن عواقب المهتدين إلى الصراط المستقيم ، وعواقب المغضوب عليهم والضالين ، فى الدنيا والآخرة . وهو الكتاب الذى كتب الله فيه كل شىء هو كائن إلى يوم القيامة . وهو كتاب القدر الذى جاء فيه الحديث الذى رواه البخارى ـ فى أول كتاب بدء الخلق ـ عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان الله ، ولم يكن شىء معه ، وكان عرشه على الماء . وكتب فى الذكر كل شىء . ثم

خلق السموات والأرض ـ الحديث » وروى أحمد والترمذى ـ وصححه ـ من حديث عبادة ابن الصامت رضى الله عنه ـ مرفوعاً ـ « أول ماخلق الله القلم . ثم قال له : اكتب . فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

وقد ذكر الله هذا « الكتاب » فى مواضع كثيرة من آى القرآن . منها قوله سبحانه (٦ : ٥٩ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو . ويعلم ما فى البر والبحر . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس ، إلا فى كتاب مبين) و (١٠:٦١ وما يَعْزُبُ عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا فى كتاب مبين) و (١١ : ٦ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كُلٌّ فى كتاب مبين) و (١٣ : ٣٨ ، ٣٩ وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بأذن الله ، لكل أجل كتاب . يَمْحُ الله ما يشاء — يعنى من رسالة الرسول السابق ، مما انقضى الزمن الذى يناسبه — ويثبت ما يشاء — يعنى يثبت فى رسالة الرسول الحاضر من رسالة الرسول السابق ما يناسب الأمة المبعوث إليها — وعنده أم الكتاب) يعنى كل الرسالات ، كما نزلت ـ السابق واللاحق ـ عنده فى الذكر ، واللوح المحفوظ . وقال أيضاً (١٧ : ٥٨ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ، أو معذبوها عذاباً شديداً . كان ذلك فى الكتاب مسطورا) و (٢٠ : ٥١ ، ٥٢ قال ـ يعنى فرعون ـ فما بالُ القرون الأولى ؟ قال ـ يعنى موسى ـ عِلْمها عند ربى فى كتاب ، لا يضلُّ ربى ولا ينسَى) و (٢٢:٧٠ ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض ؟ إن ذلك فى كتاب . إن ذلك على الله يسير) و (٢٧ : ٧٥ وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) . و (٣٥ : ١١ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . وما يُعَمَّر من مُعَمَّر ، ولا يُنْقَصُ من عُمُره ، إلا فى كتاب . إن ذلك على الله يسير) و (٤٣ : ٤ وإنه ـ يعنى هذا القرآن ـ فى أم الكتاب لدينا لعلىٌّ حكيم) و (٥٦:٧٨ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون . لايمسه إلا المطهرون) يعنى الملائكة ، كما قال سبحانه فى تبيين « المطهرين » الذين يمسونه (٨٠ : ١٣ ـ ١٦ فى صحف مكرَّمة . مرفوعة مطهَّرة . بأيدى سَفَرة . كرام بَرَرَة) وقال

عن « الكتاب » أيضاً (٥٧ : ٢٢ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها . إن ذلك على الله يسير) .

* * *

أو أن ربنا سبحانه يعنى بالكتاب « التوراة » التى أنزلها على موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وقد جعل الله فيها من الهدى فى العقيدة والعبادة، والشرائع والأحكام والأعمال ، والوصايا والنذر ، والوعد والوعيد ، والعبر بعواقب الماضين – ممن اتبع سبيل الرشد وممن اتبع سبيل الغى – مايعز الله به من استقام عليها – علماً صادقا ، وعقيدة صحيحة ، وعملاً صالحا وحكماً ورشداً وأدباً . ويهديهم إلى أقوم الطرق وأهداها إلى الفلاح ، والقوة والتمكين فى الأرض ، وسعادة الأولى والأخرى ، على ما أرسل به ربنا سبحانه جميع رسله وأنزل به كل كتبه . فإن جميع الرسالات والكتب من عند الله العليم الحكيم ، لهداية الإنسان وخيره وسعادته ، والإنسان بطبائعه وجبلاته وزمانه ومكانه لا يتغير ، إلا تغيراً طفيفاً فى أسباب اكتسابه لمعايشه ، وما لها اكتشف واستحدث – بما علمه الله – من معادن وصناعات وغيرها . فلذلك اتفقت الرسالات والكتب فى العقائد وأصول الأحكام والشرائع « ألا تعبدوا إلا الله ، ولا تعبدوا الله إلا بما شرع وأحب وارتضى لكم من الدين » فهى لذلك يصدق بعضها بعضاً . وتدعو جميعها الإنسان إلى الاحتفاظ بما أكرمه الله ربه به من مزايا الإنسانية وخصائصها . وأهمها وأعلاها : أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ، وتجليات هذه الأسماء فى الأنفس والآفاق ، ويجدد هذه المعرفة وينميها دائماً بالتأمل فى سنن الله وآياته الكونية ، والتفقه فى شرائعه ورسالاته .

ولا سبيل له إلى هذه المعرفة : إلا إذا عرف نفسه عبداً لله ربه ، يربيه بنعمه وآياته ، وبره وإحسانه ، وأن كل أفراد الإنسان – أحمره وأسوده وأبيضه . ذكره وأنثاه ، فى جميع أزمانه وأمكنته ، وبكل أحواله وألوانه – كذلك مثله سواء عبيد لله ربهم ، لا صلة بين واحد منهم وبين الله إلا صلة عبد برب ، ورب بعبد : عبد مخلوق ضعيف ، عاجز بطبعه ، فقير فقراً ذاتياً ، ورب خالق قوى عزيز ، غنى حميد . يَرُبُّ عبده فيغنيه ، ويطعمه

ويسقيه . وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا جهل فهو يعلمه ، وإذا ضعف فهو يقويه . وإذا أخطأ فهو يقومه . وإذا أذنب واستغفر فهو يغفر له ويرحمه . وهو الذى أحياه ثم يميته ثم يحييه ، ثم يحاسبه ويجزيه الجزاء الأوفى . كل نفس بما كسبت رَهينة .

فيؤمن به على علم وبصيرة ، ويخلص عبادته وذله وحبه وإجلاله وتقديسه ، وخوفه ورجاءه لله وحده ، فيسمو بذلك على معارج الكرامة . ولا يطأطىء رأسه إلا لربه ، ولا يخشى إلا هو ، وقد آمن أن الإنسان كله عبد لرب العالمين ، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . وتأبى عليه كرامته الإنسانية العليمة الرشيدة الحكيمة ، وعزة عبوديته لله الذى بيده الخير كله وهو على كل شىء قدير : أن يتخذ من دون ربه أولياء وآلهة يقدسهم ويعتقد فيهم القوة والقهر ، وشديد البطش ، فيحبهم كحب الله ، ويرجوهم كرجائه لله ، ويخشاهم ويخافهم كخشية الله ، والخوف منه ، ويدين بأن فيهم من الذاتية المقدسة ما يجعل لهم من صفات الربوبية وخصائصها — التى يعبر عنها أولياء الشيطان بالسر ، و «النور» و « شىء لله » — فيعبدهم بالدعاء والالتجاء والاستغاثة ، والحلف والنذر ، ويقرب باسمهم تقرباً إليهم نصيباً مما رزقه الله رب العالمين ، واعتقاد قدرتهم على إعطاء البركات ، ويخاف سطوتهم وبطشهم . ويرجوهم ويتخذهم وسطاء وشفعاء يقربونه إلى الله زلفى ، وقد آمن : أن الله ربه ورب العالمين ، هو السميع العليم القريب المجيب ، البر الرءوف الرحيم الذى قال (٢ : ١٨٦ وإذا سألك عبادى عنى ؟ فإنى قريب . أجيب دعوة الداع إذا دعانى) وقال (٤٠ : ٦٠ وقال ربكم : ادعونى أستجب لكم) .

* * *

قال الله تعالى فى وصف التوراة ، وبيان ما فيها من الهدى ، وأنها فرقان بين الحق والباطل ، والشرك والتوحيد ، والمتقين والفجار (٣ : ٣ ، ٤ نَزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه . وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدًى للناس . وأنزل الفرقان . إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد . والله عزيز ذو انتقام) وقال (٧ : ١٤٥ وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء . فخُذْها بقوة وأْمُرْ قومك يأخذوا

بأحسنها) وقال (٢١ : ٤٨ ولقد آتينا موسى وهٰرون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) وقال (٢٨ : ٤٣ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ، بصائر للناس وهدى ورحمة ، لعلهم يتذكرون) .

* * *

وقد أكد ربنا سبحانه الوصية فى التوراة - كما أكدها فى كل كتبه ، وعلى لسان كل رسول من رسله - بأنه ماأنزل كل هذه الكتب وأرسل جميع الرسل إلا لخير الإنسان، وضمان الحياة الآمنة الطيبة ، والعيش الهنيء الرضى ، لمن استقام - على علم وهدى و بصيرة - على مارسم له ربه فى هذه الكتب والرسالات ، وأن من أعرض عنها - مستعيضاً بالتقليد الأعمى للآباء والشيوخ ، على غير هدى ولا علم ولا بصيرة - وغفل عن تذكيرها وعن سنن الله فى الأنفس والآفاق ، واتبع هواه ، فدان دين الجاهلية التقليدى : فقد كفر بالله وآياته وكتبه ورسله ، وانسلخ من آيات ربه وأتبعه الشيطان ، فكان لابد من الغاوين ، وكان كل أمره فُرُطا . وحقت عليه كلمة الله ، وحل عليه غضبه . فيكون من الهاوين فى الدرك الأسفل من الشقاء والعيش الضنك والعذاب الأليم فى الأولى والأخرى . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . وما ظلمهم الله شيئاً . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

قال الله تعالى (٢ : ٣٨ ، ٣٩ فإمّا يأتينّكم منّى هدًى : فمن اتّبَعَ هُداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال (٢٠ : ١٢٣-١٢٧ فإمّا يأتينكم منى هدى ، فمن تَبِع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضَنْكًا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رَبِّ لم حشرتَنِي أعمى ، وقد كنتُ بصيراً ؟ قال : كذلك ، أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تُنسَى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) .

* * *

هذا ، وجائز أن يكون ربنا قد عَنَى الكتابين جميعاً - الكتاب المكنون عنده فوق العرش ، والكتاب المنزل على موسى - فإن مافى التوراة من التفصيل لكل شيء ،

والهدى والرحمة ، والفرقان والتبيان ، والتفصيل لكل شيء ، والوعد والوعيد ، والوصايا والشرائع والأوامر ، والنذر والتخويف من الكفر والفسوق والعصيان عن أمر الله بذكر العواقب ، والتذكير والعبر - إنما نزل من الكتاب المكنون الذى سماه الله «أم الكتاب» أى الجامع لكل ما فى الكتب المنزلة ، وكتب الأعمال ، والذى كتب فيه كل شيء قبل خلق السموات والأرض ، كما أخبر ربنا بذلك فى قوله (١٣ : ٣٨ ، ٣٩ وما كان لرسول أن يأتيَ بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتاب ، يَمحُ الله ما يشاءُ ويثبت ، وعنده أُمُّ الكتاب) .

* * *

وقوله « لتفسدنّ » أصل « الفساد» فى لغة القرآن- لغة العرب - نقيض « الصلاح » والشيء يصلح حين يستكمل الصفات والشروط والأسباب ، التى باستكمالها يؤدى المقصود منه ، ويبلغ الغاية المرجوة . فالفساد : عدم حصول هذه الصفات والشروط والأسباب كاملة على الوجه المطلوب للشيء ، فلا يؤدى المقصود منه .

وهى فى كل شيء - الإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء وغيرها - بحسبه ، وبحسب خلقه ، وما خلق له .

فالمطعومات والمشروبات والملبوسات ، ونحوها مما خلقه الله لحاجة الإنسان ومعيشته : صلاحها باستكمال المواد والعناصر التى جعلها الله فيها ، على صفاتها ومقاديرها الطبيعية - لتكون صالحة لأداء المقصود منها للإنسان ، وليبلغ بها الغاية التى يحبها لنفعه وسعادة عيشه ، وبشروطها على الوجه الذى تقتضيه الحكمة والرشد فى الوقت والكمية والكيفية ، وحينئذ تكون نافعة للإنسان ، مؤدية له حاجته التى جعلها الله فيها بأصل الخلق والفطرة .

وفسادها : بأن تبطل منها عناصرها ومواد التغذية والنفع فيها ، ووقاية الحر والبرد ، أو تنقص بعضها ، ويتبدل من حاله الطبيعى الفطرى إلى حال آخر ، كتبدل عناصر التغذية فى الفواكه ونحوها ، وبطلان حقيقتها الفطرية ، بتخميرها حتى تغلب مادة الكؤول عليها .

فتكون خمراً خبيثة ، ويتعاطاها الإنسان الجاهلى الغبى الفاسق ، فتكون له أذى وضرراً ، وهلا كاً وقتلا فى أولاه وأخراه .

وصلاح الشجرة : بأن تستكمل كل الأسباب والصفات والشروط التى بها تنبت وتستوى على ساقها ، حتى تعطى غارسها الثمرة الطيبة التى من أجلها عانى غراسها ، وتحمل النصب والتعب من أجله . فلا بد له من العلم بطيب البذور والنوى وخبيثه ، وصالحه وفاسده . ولابد له من العلم بطبائع الزرع والشجر ، وما يصلحه وما يفسده : من الزمن والأرض والماء ونحو ذلك ولذا فلا بد له من انتقاء النواة ، واختيار الأرض الصالحة بخصوبتها ومناخها ، وتهيئتها بالحرث ، وتخليتها من النباتات الضارة لزرعه وغرسه ، وتحرى الفصل المناسب ، ثم تعهدها بالسقى فى الأوقات المناسبة ، وتقليم الأغصان وتهذيبها ، وانتظار النضج التام للثمرة . ثم يأخذ منها بعد ذلك الثمرة الطيبة التى قصد إليها عند غرس النواة ، وفى أول لحظة فكر فيها وأرادها ، ويحصل على مطلوبه النافع .

وفقدان ذلك ـ كله أو بعضه ـ يجعل الشجرة فاسدة ، أو الثمرة مؤذية آكلها ضارة به ، وهكذا صلاح كل شىء وفساده الحسى .

والإنسان اليقظ يحرص دائماً على تعهد الشجرة فى نموها . فإن وجدها بطيئة النمو بحث عن العلة : هل هى من أصل الأرض والتربة ، أو من مادة غريبة مانعة ، أو من نفس البذور والنوى ، أو من أى شىء آخر ؟ فإذا ماعرف العلة عالجها ، فإن أخذت الشجرة فى نموها المعتاد ، وإلا قلعها ، واستبدلها بغيرها . وكذلك يتعاهد ثمرتها كل موسم ، فإن وجد فيها تصور ؟ عما ينبغى : عالجها أو قلعها ، وهكذا الأعمال من صلاة وغيرها ، فإن لها ثمرات يؤتيها الله العامل . فإن صلحت على الوجه الذى أحبه الله ورضيه ، وجعل رسوله صلى الله عليه وسلم فيه القدوة : آتت الثمرة الطيبة النافعة ، وإلا كانت الثمرة خبيثة ضارة . ولكن أكثر الناس بالتقليد الأعمى عن ذلك غافلون . فالثمرة الطيبة للصلاة : أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر . يعرف هذا المؤمن اليقظ ، الفقيه فى دينه ، الرشيد فى كل شأنه .

فأما صلاح الإنسان : فإنما يتحقق كذلك باستكمال الصفات والأسباب والشروط التى

جعلها الله العليم الحكيم - بالفطرة و بالعلم والمعرفة من سنن الله الكونية ، أو من وحيه ورسالاته المنزلة - فإن الله سبحانه جعلها مؤدية بالإنسان إلى الصلاح والانتاج النافع والإثمار ، الثمار الطيبة الصالحة لجعل حياته طيبة ، تتوفر له فيها أسباب الفلاح والفوز ، والسعادة وطيب العيش . ورغده وتبعد عنه النكد والشقاء فى أولاه وآخرته .

وفساد الإنسان : بفقدان ذلك أو بعضه . فبفقده وتضييعه يثمر لنفسه ولمن حوله ثمرات فاسدة خبيثة ، وينتج نتائج ضارة له ولمجتمعه ، منغصة لحياته وحياتهم . فيشقى بذلك فى الأولى والأخرى .

وصلاح أعمال الإنسان وأخلاقه : باستكمال الأسباب والصفات والشروط التى تجعل أعماله وأخلاقه مثمرة له ولمجتمعه الثمرات الطيبة النافعة التى توفر لهم رضوان الله وتوفيقه وتسديده . وتؤدى للإنسان ما يرجوه بفطرته التى فطره الله عليها ، وما يسعى إليه - جاهداً وكادحاً - من الفلاح والفوز ببلوغه كل ما يؤمله و يتمناه ، من الخير والعافية والطمأنينة ، ويكون الإنسان الكريم الذى رضى عن ربه ، ورضى ربه عنه .

وذلك إنما يتم له بالعلم الصحيح بنعم الله عليه ، ومزاياها وصفاتها وأوضاعها ، وكيفية استعمال كل نعمة على وجهها وفى وقتها ، و بمقدارها ، للانتفاع بها والاستفادة منها ، وتقديره لهذه النعم - بعد هذا العلم ، الذى يجب أن يكون عن قصد وتفكر ، للعمل به والحاجة الضرورية إليه ، لا على أنه صناعة وحرفة لجذب لقمة العيش ، أو الجاه والسمعة ، وأخذ الشهادة الفنية به - و إحسانه الانتفاع بها - بالتحرى التام ، واليقظة الصادقة - فى وضع كل نعمة موضعها الذى خلقها الله ، وجعلها به نافعة صالحة ورحمة للانسان .

فلا بد له - لأجل ذلك - أن يكون حريصاً على إنسانيته الكريمة - العاقلة المفكرة المميزة السميعة البصيرة - التى كرمه الله بها ، وميزه ، وحريصاً أشد الحرص على العلم النافع اليقينى المقوم للنفوس والمحيى للقلوب ، من سنن الله ، ومن رسالات الله ، ليتم له الإحسان فى وضع كل نعمة موضعها على وجهها فيثمر ذلك الثمرات الطيبة له ولمجتمعه فى الأولى والآخرة .

وفساد أعمال الإنسان وأخلاقه : بأن يفقد ذلك أو بعضه بالتقليد الأعمى ، فينسلخ من آيات ربه ، ويتبعه الشيطان بالأهواء الجاهلية . فينفذ فيه سلطان عدوه بالهوى والشهوات البهيمية الشرهة ، فيضل عن طريق فلاحه وسعادته ، ويشقى بنعم الله عليه . إذ تتبدل - بعماه وغفلته وغروره - كفراً وفسوقاً وعصياناً ، ويحسب نفسه من المهتدين الذين يحسنون صنعاً . وهو من الأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم فى كل سبيل وكل عمل وكل عقيدة .

وصلاح المجتمع : باستكمال العناصر الصالحة ، والصفات والشروط التى جعلها الله العليم الحكيم مؤدية بالمجتمع إلى الصلاح والأمن والطمأنينة والعافية ، والقوة والعزة والتمكين فى الأرض ، ونفاذ السلطان . فيسعد المجتمع ، ويؤدى ما خلق له ، من الخير والنفع ، وصلاح الأرض التى استخلفه الله فيها ، فيزيده الله قوة وعزة ونفاذ سلطان ، ويمكن له دينه الذى ارتضاه له . كما وصف الله تعالى سلفنا الصالح رضى الله عنهم بقوله (٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) .

وانظر بعين بصيرتك ، وتدبر بقلبك السليم فى هذا الثناء الكريم من الله ربنا على سلفنا الصالح ، وفى ذم الله لأهل الكتاب وتقبيح فعالهم الفاسقة عن أمره ، الدالة على غلظ رقابهم ، وقسوة قلوبهم . فسلفنا كانوا خير أمة وأنفع أمة للناس ، وأرحم أمة بالناس . لأنهم يأمرون بما هو الخير والسعادة لهم : يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر . واليهود يأمرونهم بالجبت والطاغوت ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، بل وقتل الأنبياء وكل من يأمر الناس بالعدل والقسط والمعروف ، وينهاهم عن المنكر .

فبأى الفريقين نقتدى ؟ وبأيهما نهتدى ؟ وأى السبيلين أحق بنا سلوكه والسير فيه ؟

* * *

وإن من يتلو القرآن حق تلاوته ، ويتدبره حق تدبره ، بل ومن يقرأ تواريخ الأمم الغابرة ، ليجد حقاً أن سلفنا الصالح رضى الله عنهم - كانوا خير أمة أخرجت للناس فى فتوحهم ، وتقويضهم صروح البغى والكفر والفساد ، وإقامتهم صروح العدل والرحمة وصالح

الأعمال والأقوال والعقائد والأخلاق . ولقد كان الناس ـ على اختلاف مللهم وعقائدهم وألسنتهم وألوانهم ـ فى ظل سلطانهم الإسلامى أسعد عيشاً ، وأوفر طمأنينة وأمناً ، مما كانوا عليه فى ظل سلطان ذوى دياناتهم ومللهم ، بل أسعد مما كانوا عليه فى ظل أهليهم وذوى قرباهم .

ونجد أن بنى إسرائيل كانوا أشد خلق الله كفراً بأنعم الله ، وفسوقاً عن أمره ، وانتهاكا لحرماته ، وأبعد خلق الله عن الرحمة والعدل والإحسان ؛ فقد قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام ، وقتلوا غيرهما من أنبياء الله والذين يأمرون بالقسط من الناس . وكم آذوا موسى الذى جعل الله نجاتهم من ظلم فرعون وسوء عذابه على يديه وبرسالته ، حتى بلغ بهم البغى والبهتان أن اتهموه بما برأه الله منه ، وطلبوا إليه أن يجعل لهم إلهاً يعكفون عليه كصنيع أهل القرية التى مروا بها بعد عبورهم البحر . ثم عبادتهم عجل السامرى .

ولقد رموا عيسى رسول الله عليه السلام ، وأمه الصديقة رضى الله عنها بأفحش الفاحشة ، وأنكر المنكر ، واتهموها بالزنا مع يوسف النجار ، وأن عيسى ابن زنى ، وما أفكوا هذا الإفك العظيم إلا بعد بلوغ عيسى الأربعين من عمره ، وهو يعيش بينهم موقراً محترماً .

فلما أرسله الله إليهم ، ودعاهم إلى إقامة العمل بالتوراة ، وانتهاج نهجها القويم ، ليتخلصوا من الفساد والبغى ، وحياة البؤس والذلة: قام شيوخهم من الأحبار والرهبان بعدائه أشد العداء ، وافتروا عليه وعلى أمه الصديقة البتول هذه الفرية التى لا تليق إلا بهم ، وبرقابهم الغليظة وقلوبهم التى هى أشد قسوة من الحجارة . ولم يعبأ عيسى عليه السلام ، ولا العقلاء الذين اتبعوه بإشاعتهم هذه الفاحشة ، بل ثابر على الدعوة إلى ربه ، وبذل الجهد فى تخليصهم فلما رأوا أن تلك الفرية لم تَكُفَّ عيسى عن تبليغ رسالة ربه : سعوا بكل ما استطاعوا عند الملك الرومانى الوثنى حتى حكم على عيسى ابن مريم عليه السلام بالقتل والصلب ، ووكل إلى أحبارهم ورهبانهم تنفيذ هذا الحكم ، ليحملوا وزره .

ولولا أن الله طهر عبده ورسوله عيسى من أيديهم الأثيمة الرجسة ، ورفعه إليه ، وألقى شبهه على واحد منهم ، لنفذوا فيه الحكم القاسى أشد القسوة . وهم إلى الآن يعتقدون :

أن الذى قتلوه وصلبوه : هو عيسى رسول الله عليه السلام، ثم أغروا النصارى باعتقاد ذلك ، و باعتقاد قداسة قتله وآلة قتله ، والخشبة التى عذب عليها . فلا شك أنهم يحملون إثم قتل عيسى بما يعتقدون و يدينون به إلى اليوم و بعد اليوم ، كما يحمل قوم إبراهيم الذى نجاه الله من نارهم - بسبب خارج عن قدرتهم وما كانوا يريدونه و يحبونه لإبراهيم- إذ قال (٢١: ٦٩، ٧٠ يا نار كونى بَرْداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً ، فجعلناهم الأخسرين) .

فعاقبهم الله على كفرهم الشنيع ، و بغيهم الفظيع فى قتل زكريا و يحيى ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بأن سلط عليهم الأشوريين والكلدانيين مرة هؤلاء ومرة أولئك « فجاسوا خلال الديار » أى لم يتركوا مدينة ولا قرية إلا دخلوا قصورها ودورها ومعابدها يقتلون و ينتهكون الأعراض ، و يأسرون و يغنمون ، ولم يتركوا أرضاً زراعية ، ولا بستاناً ولا مصنعاً إلا خربوه وسلبوا مافيه من آلات ومنتوجات ، وقتلوا وأسروا من فيه .

« وكان وعداً مفعولا » حقق الله به ماوعدهم على كفرهم وفسوقهم وعصيانهم وتمردهم واستكبارهم على الله ربهم ، وعلى هداه وشرائعه ووصاياه ، فلم يغن عنهم أحبارهم ولارهبانهم ولا أموالهم ، ولا غرورهم بما كانوا يزعمون من علومهم التى فرحوا بها ، والتى بها حقروا رسالات الله وأبغضوها ومقتوها . فقد فعل الله بهم هذا العذاب ، بتسخير الكلدانيين والآشوريين وغيرهم ، تحقيقاً لوعده الذى لايتخلف .

ولم تنفعهم - ولن تنفعهم - ولا غيرهم من آلهم وأتباعهم فى كفرهم و بغيهم ، وقولهم أكذب الفِرى والكذب على الله ، فى دعواهم : أنهم أبناء الله وأحباؤه . لأنهم بنو إسرائيل ، الذى هو عندهم ، وفى عقيدتهم الصوفية الخبيثة : ابن الله البكر . لأنه النور الأول الذى فاض من الله ، وأنه لذلك أول خلق الله . وسبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيرا .

ولاتزال - ولن تزال - الذلة والصغار مكتوبان عليهم، ولازمان لهم ، إلى يوم القيامة ، إلا بحبل من الله ، لمن آمن منهم الإيمان العلمى الصادق ، وتاب وأناب وعمل عملا صالحا ، تنفيذاً لشرائع الله المرسلة ، المختتمة برسالة من بَشَّرَ به موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء الله .

وأخذوا عليهم العهد بالإيمان به واتباعه وطاعته ، ونصره وتعزيره ، واتباع النور الذى أنزل معه ـ : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بحبل من الناس . والناس أخيراً : هم نصارى أمريكا وانجلترا وفرنسا الذين قد آن اليوم ، بصرخة بطل العروبة الرئيس جمال عبد الناصر ـ أعزه الله ونصره على كل أعدائه ـ أن تحق عليهم كلمة الله فى إهلاكهم ، وإراحة الإنسانية منهم ومن شرورهم وشرور بنى إسرائيل ، التى أشقت الناس ونكدت عيشهم .

والله لاشك غاضب أشد الغضب على الصهيونيين الذين قتلوا المسيح عيسى ابن مريم ، بزعمهم واعتقادهم ، وصلبوه وأهانوه وعذبوه . وغاضب كذلك أشد الغضب على الناس الذين مدوا حبلهم للصهيونيين أعداء الإنسانية ، ليصنعوا لهم دولة فى عرين الأسود العربية المسلمة . والويل ثم الويل لهم قريباً . وإن ربك لبالمرصاد . وكان وعد الله مفعولا . وكان حقاً على الله نصر المؤمنين الذين يحمون حمى رسل الله وينصرونهم . ويعزرونهم ، ويعملون جاهدين لتعيش الإنسانية فى سلام وأمن وعافية من مكائد الصهيونية الأثيمة التى يبغضها الله ويمقتها أشد المقت ، لما يعلم من عدائها له ولرسله ولكل خير وطمأنينة يحبها للإنسان . لتبقى شمس رسالة الله مشرقة تهدى الإنسانية إلى الحياة الآمنة المطمئنة ، والعيشة الرضية فى الأولى والأخرى . والله عليم حكيم ، رحمن رحيم .

واقرأ قول الله تعالى فى كفر بنى إسرائيل بأنعم الله عليهم ، وتمردهم على شرائعه ووصاياه ، ونقضهم العهد والميثاق ، وغرورهم باستخذائهم للأحبار والرهبان ، واتخاذهم وإياهم أرباباً من دون الله ، وعبادتهم الطاغوت ، وتحريفهم القول عن موضعهم ، ومحاولتهم إطفاء نور الله فى رسالاته بأفواههم ، وترويجهم الربى لإشاعة العداء والكره بين كل الطبقات . فلما امتلأت القلوب بالبغضاء والحقد : قام الصهيونى كارل ماركس بتنفيذ وحى الشيطان فى القضاء على كل مزايا الإنسانية . وأشاع دينه المركسى البلوشفى الفاجر . وغير ذلك من جرائمهم التى يخطئها العد .

إذ قال ربك (٢ : ٤٠ ـ ٤٤ يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وإياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به . ولا تشتروا بآياتى

ثمناً قليلا . و إياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة . واركعوا مع الراكعين . أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ؟ أفلا تعقلون ــ إلى قوله ــ ٥٩ فبدَّل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم . فأنزلنا على الذين ظلموا رِجْزًا من السماء بما كانوا يفسقون ــ إلى قوله ــ: ٦٦،٦٥ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قِرَدة خاسئين . فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ــ إلى قوله ــ : ٧٤ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك . فهى كالحجارة أو أشد قسوة و إن من الحجارة لَمَا يتفجر منه الأنهار . و إن منها لما يَشّقق فيخرج منه الماء . و إن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون ــ إلى قوله ــ : ٧٩ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ــ إلى قوله ــ : ٨٥ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، و إن يأتوكم أسارى تُفادوهم ، وهو محرم عليكم إخراجهم . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خِزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يُرَدُّون إلى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون ــ إلى قوله ــ :٨٧ ، ٨٩ أفَكُلَّمَا جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ؟ ففريقاً كَذَّبتم وفريقاً تقتلون . وقالوا : قلوبنا غُلْف . بل لعنهم الله بكفرهم . فقليلا مايؤمنون ــ إلى قوله ــ : فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به . فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم : أن يكفروا بما أنزل الله ، بَغْياً ، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده . فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين ــ إلى قوله ــ : ٩٣ و إذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا : سمعنا وعصينا . وأُشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ــ إلى قوله ــ : ١٠٩ وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم، من بعد ماتبين لهم الحق ــ إلى قوله ــ:١٢٠ ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم ــ إلى قوله : ١٢٣ واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) .

وقال (٣ : ٢٠ ـ ٢٤ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس . فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والإخرة . ومالهم من ناصرين . ألم تَرَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ؟ يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ، وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون) .

وقال (٣ : ٩٨ قل : يا أهل الكتاب ، لم تكفرون بآيات الله ؟ والله شهيد على ماتعملون . قل : يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن ؟ تبغونها عوجاً وأنتم شهداء ؟ وما الله بغافل عما تعملون . ياأيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون ، وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدِى إلى صراط مستقيم) وقال (٣ : ١١٠ ـ ١١٢ كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم . منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . لن يضروكم إلا أذى . وإن يقاتلوكم يُوَلُّوكم الأدبار ، ثم لا يُنصرون . ضُربت عليهم الذلة أينما ثُقِفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وقال (٣ : ١١٨ ياأيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا بِطَانة من دونكم لا يألونكم خَبَالاً ، وَدُّوا ماعَنِتُّم . قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفى صدورهم أكبر . قد بَيَّنَّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) وقال (٣ : ١٨١ ، ١٨٣ لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء ، سنكتب ماقالوا ، وقتلَهم الأنبياء بغير حقّ ، ونقول : ذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) وقال (٤ : ٤٤ ـ ٥٤ ألم تر إلى الذين أوتُوا نصيباً من الكتاب ؟ يشترون الضلالة ، ويريدون أن تَضِلُّوا السبيل . والله أعلم بأعدائكم . وكفى بالله ولِيًّا . وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسْمَع ، وراعنا : لَيًّا بألسنتهم وطعنًا فى الدين . ولو أنهم قالوا : سمعنا

وأطعنا واسمع وانظرنا : لكان خيراً لهم وأقوم . ولكن لعنهم الله بكفرهم . فلا يؤمنون إلا قليلا . يا أيها الذين أوتوا الكتاب ، آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولا ـ إلى قوله ـ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ؟ يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله . ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً . أم لهم نصيب من الملك ؟ فإذن لا يؤتون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه . وكفى بجهنم سعيراً) وقال (٤ : ١٥٣ ـ ١٦١ يسألك أهل الكتاب : أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة . فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات . فعفونا عن ذلك . وآتينا موسى سلطاناً مبيناً . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم : ادخلوا الباب سجّداً ، وقلنا لهم : لا تعدوا فى السبت ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم . فلا يؤمنون إلا قليلاً . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما . وقولهم : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبّه لهم ـ إلى قوله ـ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم . وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . وأخذهم الربى وقد نهوا عنه . وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) وقال (٥ : ١٢ ، ١٣ ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً . وقال الله : إنى معكم ، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى ، وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسنا ، لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم . وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به . ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم) .

وقال (٥ : ١٨ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحبَّاؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق . يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) وقال (٥ : ٤١ ، ٤٢ من الذين هادوا سَمَّاعون للكذب سَمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه . يقولون : إن أوتيتم هذا فخذوه ، و إن لم تُؤْتَوْه فاحذروا . ومن يُرِد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً . أولئك الذين لم يُرِدِ الله أن يطهر قلوبهم . لهم فى الدنيا خِزْى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكَّالون للسُّحت) وقال (٥:٤٩-٥١ وأن احكم بينهم بما أنزل الله . ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنَّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . و إن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟! يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم . إن الله لايهدى القوم الظالمين) . وقال (٥ : ٥٩ - ٦٦ يا أهل الكتاب ، هل تَنْقِمُون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، وأن أكثركم فاسقون ؟ قل : هل أُنبِّئكم بشر من ذلك مَثو بة عند الله ؟ من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القِرَدة والخنازير وعَبَد الطاغوتَ . أولئك شَرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيل . و إذا جاءوكم قالوا : آمنا ، وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به . والله أعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السُّحْت . لبئسما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ؟ لبئسما كانوا يصنعون . وقالت اليهود : يَدُ الله مغلولة غُلَّت أيديهم ، ولُعنوا بما قالوا . بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء . وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً . وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . ويسعون فى الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين . ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكَفَّرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون) . وقال

(٥ : ٧٠ ، ٧١ لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم : فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون . وحسبوا أن لا تكون فتنة ، فعَمُوا وصَمُّوا . ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) .

وقال (٥ : ٧٨ ـ ٨١ لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئسما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتَوَلَّون الذين كفروا ، لبئسما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم . وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون) .

ولو أردنا سَوْق كل ما جاء فيما أحل الله ببنى إسرائيل عقاباً لهم ، وسقناه من القرآن ، لقلنا لك : اقرأ القرآن كله ، تقريباً .

وبالجملة فالقرآن ملىء بآيات توبيخهم وتقبيح فعالهم ، ومؤكد أن الله أعطاهم من النعم والإكرام كثيراً ، وآتاهم الملك والحكم ، وجعل لهم دولة عظيمة دخلت مصر وملكتها وملكت بلاد الآشوريين وغيرها . وامتحنهم الله بذلك وغيره ليشكروه ، وليحسنوا فيما آتاهم ، لكنهم كفروا أشد كفر وأطغاه وأشنعه . فسلط عليهم من جاسوا خلال ديارهم ، وتبَّروها تتبيرا ، فأهلكوا كل شىء ، وأخسروهم خساراً كبيرا . إذ قتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء ، وخربوا بيت المقدس ، وبعد فترة من الزمان ، امتحنهم الله ، فرد لهم الكرة عليهم ، وأمدهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيراً . أى أعطاهم من الصحة وقوة الأجسام وكثرة العدد والثراء والغنى ما جعل عدد جيشهم الذين ينفرون للحرب كثيراً ، يظن أنهم يغلبون عدوهم . وذكرهم ما صنع بهم كفرهم وبغيهم وفسوقهم ومعاصيهم فى الماضى ، وحذرهم العاقبة الوخيمة .

وقال لهم (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . وإن أسأتم فلها) أى إن أحسنتم أخذ النعمة ـ فى الغنى والقوة وأسباب الملك ، وفى الشرائع والوصايا ـ بقوة وحزم ، وقصد جازم إلى الشكر والانتفاع ، والاستقامة على السبيل السوى الذى رسمه الله لكم ، وتبتم عن فجوركم وبغيكم ، وذكرتم ربكم بالتفكر والتأمل فى آياته الكونية فى الأنفس والآفاق ، وبالتفقه

والتدبر لرسالاته وطاعتها ، وتحرى الاتباع لها : زكت نفوسكم ، وَرقت قلوبكم ، وكنتم خير الناس لأنفسكم وللناس ، فمكن الله لكم فى الأرض ، ومد فى نفوذ سلطانكم . وإلا فالله غنى عنكم وعن أعمالكم فلن تضروه بكفركم وإفسادكم فى الأرض شيئاً ، وان تنفعوه بطاعتكم وإيمانكم والله غنى عن العالمين .

(وإن أسأتم فلها) أى كما أسأتم وأفسدتم فى الأرض كما أفسدتم ، فسيسلط الله عليكم من هو أقوى وأشد بطشاً ، ويذيقكم من العذاب الدائم والذلة الملازمة : ما يسيء وجوهكم ، ويكسوها الخزى والذلة والمقت . وهو الذى سماه فى الآيات الأخرى « خزى الدنيا » « وليتبروا ما علوا تتبيراً » يعنى يخربوا بلادكم ويهلكوا دولتكم وسلطانكم أشد التخريب والإهلاك . فتخسرون كل شيء فى الأولى والأخرى .

فلم يحسنوا الانتفاع بنعم الله ، ولا فى أخذ شرائع الله ، بل بغوا وطغوا وفسقوا وعصوا ، وأساءوا أشد الإساءة . وأفسدوا فى الأرض أشد الإفساد . كما وصف الله ذلك فى كتابه ، واتبعوا أهواءهم ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فازدادت قلوبهم قسوة ، ونفوسهم رجساً ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وسلط عليهم مرة أخرى من صنع مثل صنيع الأولين وأشد .

* * *

ولا يزالون إلى اليوم وبعد اليوم فى التبار والذل والصغار . لأنهم لا يزالون أشد الناس إفساداً فى الأرض . فقد حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلقاء حجر رحى عليه من عل ــ وكان سبب غزوة بنى النضير وإجلائهم ــ ثم سموه فى خيبر . ثم فى خلافة عمر رضى الله عنه ــ وقد اتسعت الفتوح ، وأجلاهم عن جزيرة العرب ــ كونوا « الجمعية الباطنية » الإرهابية برياسة كعب الأحبار ، فاغتالت عمر رضى الله عنه . ثم ألَّبت على عثمان رضى الله عنه حتى قتلته ، ثم أغرت بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، حتى كانت وقعة صفين التى أريقت فيها دماء أربعين ألفاً من المسلمين ، وشغلتهم عن الفتوح الإسلامية ثم قتلت علياً ، ثم ابنه الحسين ، ثم عملت مع أبى مسلم الخراسانى حتى قضت على الدولة الأموية العربية ، وأتت بالعباسيين ، لتكون الدولة فى كفالة الفرس عبدة النيران ، وفى حضانة الفلسفة الفارسية ، واليونانية ، لتزيغ القلوب ، بعد أن تحجب عنها شمس القرآن .

ثم مازالت تعمل جاهدة حتى قضت على الخلافة العباسية بدسائس ابن العلقمى الذى كان وزير آخر خليفة عباسى وأحد أعضاء « الجمعية الباطنية » لمِلك التتار .

ومن قبل ذهب فرع منها إلى الغرب ، فكانت دولة بنى عُبيد ، الذين ادعوا أنهم فاطميون ، وكذبوا فما هم إلا يهود نسباً ، وعقيدة وعملا وحالا وعداء للإنسانية ، فضلا عن الإسلام بل كانوا أكفر من اليهودوالنصارى ، كما ذكر ذلك أبو بكر الباقلانى وغيره من محقق علماء المسلمين . ومازالت دولة العبيديين تقوى وتقوى فى غفلة الناس وجاهليتهم التقليدية وترفهم المفسد ، حتى ملكت مصر وأقامت فيها دعوة الوثنية والإلحاد ، الواضحة فى « رسائل إخوان الصفا» وغيرها وفيما أقامت من قباب على القبور ، وموالد وأعياد لعبادة المقبورين ، وأقامت من دور ومنابر تلعن فيها وعليها وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهما : الصديق رفيقه وأنيسه فى الغار أبا بكر ، والفاروق ، الذى أعز الله به الإسلام عمر . وتلعن الصديقة ابنة الصديق ، التى نزل جبريل بصورتها فى سَرَقَة من حرير للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له «هذهزوجتك» رضى الله عنها وعن أبيها وعن كل الصحابة

وما زالت كفرياتهم باقية فى أغلب البلاد ، وفى بعضها لا تزال الألسنة والأقلام الكافرة الفاجرة الحاقدة على الإسلام تلعن الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وتعلن على المنابر أن عائشة رضى الله عنها الزانية ، وقد برأها الله أعظم براءة ، فى آيات تتلى فى المحاريب . كفر بها أولئك الذين لايلعنون إلا أنفسهم .

ثم وسعت « الجمعية الباطنية » دائرتها ـ بعد أن ظفرت بما ظفرت به فى البلاد الإسلامية ـ فتسمت باسم « الجمعية الماسونية » وأخذت تعمل جاهدة لإقامة الدولة الصهيونية ببث أنواع الفساد ، وأسباب العداء ، بترويج الربى وأكل الأموال بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، بين البشر شرقاً وغرباً ، حتى أتيحت لها الفرصة ، فأوقدت نار الحرب العالمية الأولى ، وأمدتها بالحطب والوقود من خزائنها التى ملأتها من الربى وأكل أموال الناس بالباطل . وأخذت منها « وعد بلفور » الفاجر . ثم عملت جاهدة حتى أوقدت الحرب الثانية ، وأججتها وغذتها حتى خرجت منها بتخريب وتقتيل آلاف الدور وملايين البشر ، ما شفى غيظها ، وأرضى قلبها القاسى من الشعوب التى تمردت فلم تدن لإسرائيل بالعبودية .

وخرجت من هذه الحرب الثانية بإسرائيل التى لن تبقى ، ولا بد أن تزول قريباً ،

وتطهر البلاد الإسلامية منها . وتكون القاضية على الصهيونية المفسدة فى الأرض ، كلها ويستريح العالم من شرورها وإفسادها ، وإيقادها نار العداوة والبغضاء بين أفراد الأسرة الإنسانية ، والله لا يحب المفسدين .

وقوله «عسى ربكم أن يرحمكم» أى إنما عاملكم هذه المعاملة بعلمه وحكمته ورحمته لعلكم تتعرضون - بالتوبة ، وتطهير القلوب من أسباب الشرور والفتن - لرحمته ، وتتقون غضبه وسخطه ولعنته . ولكنهم عادوا وعادوا . ولا يزال شأنهم قسوة القلوب وغلظ الرقاب . يعتقدون زوراً وبهتاناً أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أحق الناس بالملك والسلطان . وأن من أشد الظلم لهم : أن لا تكون الأرض بمن فيها وما فيها ملكا لهم . حتى عاقبهم الله العقاب العادل الحكيم ، وحكم عليهم حكماً أبدياً لا نقض فيه ولا استثناء إلى يوم القيامة (٧ : ١٦٧ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . إن ربك لسريع العقاب . وإنه لغفور رحيم) .

* * *

وإنما حكم ربنا الغفور الرحيم ، العليم الحكيم ، هذا الحكم الأبدى على هذه الأمة الغضبية أمة القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، الأمة الصهيونية ، رحمةً منه بالإنسانية ولطفاً بخلقه . فإنه سبحانه يعلم أنهم لو تمكنوا وملكوا ، وكان لهم سلطان نافذ . فالويل كل الويل ، ونكد العيش الدائم والشقاء اللازم ، لمن يكون تحت سلطان قساة القلوب غلاظ الرقاب الذين يَسُبُّون ربهم أقبح السب ، ويغلظون القول له فى صلاتهم أيما إغلاظ ، ويعتقدون أن الخلق والشعوب كلهم إنما خلقوا ليكونوا عبيداً لهم ، يقتلون من يريدون ، ويستحيون من يريدون .

ولن يخلف الله وعده. ولو اجتمع الجن والإنس فلن يقدروا على نقض حكمه الذى تأذن به وأعلنه فى أهل السماء والأرض . وإنهم لم يستطيعوا أن يضعوا أقدامهم المجرمة فى أرض فلسطين إلا نتيجة غفوة من العرب والمسلمين، امتحاناً من الله وابتلاء . وهو العليم الحكيم . وهم لا بد مستيقظون ، بل قد استيقظوا ، وأخذوا فى أسباب القوة .

وقد بعث الله للعرب والمسلمين عبده «جمال عبد الناصر» أدام الله توفيقه وتأييده ونصره وتسديده - فأيقظه بصوت هذه الصدمة العنيفة فى فلسطين الجريحة ، ونفخ فيه روح العزة

الإسلامية والحمية العربية ، فصرخ صرخته بالقومية العربية - التى هى أساس الجامعة الإسلامية - التى هزت صروح الصهيونية ومن وصلوا بها حبالهم من الأئمة الفجرة ، وحوش البشرية ، لا بل حشراتها السامة .

* * *

وها هى الأحداث هنا وهناك تؤكد أن حبلهم قد رَسَّ ، وأن يد عبد الله « جمال عبد الناصر » تشتد وتشتد ، وتمتد وتمتد ، ومن ورائها الأمة العربية الإسلامية - وقد ربطها الله برباط القومية العربية ، ووثقه بأواصر الجامعة الإسلامية القوية - وقد ملأ كلتا يديه مما صنع من الحديد الذى جعل الله فيه البأس الشديد والمنافع للناس . ومن أبرز وأهم منافعه : تحطيم كل عناصر الصهيونية الخبيثة المجرمة ، الساعية فى الأرض فساداً ، والموقدة نيران العداوة والبغضاء بين بنى الإنسان فى كل زمان ومكان ، والمؤججة لحرائق الحروب .

وما أقرب ما ستتحقق منافع الحديد التى كان من أهم ما عنى به الرئيس « جمال عبد الناصر » نصره الله وأعزه - أن أقام له مصانع : صنعت ، وتصنع ماسيقطع الله به حبل أمريكا وإنكلترا وفرنسا وشيعتهم ، ويقطع به دابر الصهيونية من الأرض . ليستطيع الإنسان أن يهنأ بالعيش الآمن فى سلام ، ويطمئن فى سِرْبه ، وينام آمناً فى أهله ، وتعود العرب خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . والله غالب على أمره . وإن جند الله لهم الغالبون ، وإن حزب الله لهم المفلحون . وإن حزب الصهيونية - حزب الشيطان - لهم الخاسرون .

وما هى إلا أيام معدودات ، ورايات النصر ترفرف على ربوع العالم العربى كله ، وراية القرآن تظلل القلوب بهداها ، وتبعث من آياته وشرائعه فى النفوس والقلوب ، حياة جديدة مثل ما كان فى نفوس وقلوب الذين صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله ، فكان ويكون الفلاح .

وصلى الله وسلم وبارك على إمام المهتدين ، وأصدق الصادقين عبد الله ورسوله الخاتم محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

مقام إبراهيم

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف ؟

بقلم

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

أمين مكتبة الحرم المكي

(٢)

الفصل الثالث

أين وضع إبراهيم المقام أخيرا ؟

تقدم فى الفصل السابق من حديث عثمان رضى الله عنه « فجعله لاصقاً بالبيت » .

ومن حديث ابن عباس « فكان يقوم عليه ويبنى . ويحوله فى نواحى البيت حتى انتهى إلى وجه البيت » .

وقد ظهر أن منشأ مزيته وحصول الآية فيه ـ وهى أثر قدمى إبراهيم ـ هو قيامه عليه لبناء البيت » .

فالظاهر : أن يكون إبراهيم أبقاه إلى جانب البيت فى ذلك الموضع الظاهر ـ وهو عن يَمْنَة الباب ـ لتُشَاهَد الآية . ويُعرف تعلقه بالبيت .

وجاء عن بعض الصحابة ـ وهو نوفل بن معاوية الديلى رضى الله عنه ـ « أنه رآه فى عهد عبد المطلب ملصقاً بالبيت » وسنده ضعيف .

ويأتى « أنه كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ملصقاً بالبيت » .

ويأتى بيان أن ذلك فى الموضع المسامت له الآن .

وإقرار النبى صلى الله عليه وسلم له هناك ، يصلى هو وأصحابه خلفه بدون بيان أن له موضعاً آخر : يدل على أن ذلك هو موضعه الأصلى .

ولم أجد مايخالف هذا من السنة والآثار الثابتة عن الصحابة ، ولا ماهو صريح فى خلافه من أقوال التابعين .

إلا أن المحب الطبرى قال فى القِرَى (ص ٣٠٩) قال مالك فى المدونة : كان المقام فى عهد إبراهيم – عليه السلام – فى مكانه اليوم . وكان أهل الجاهلية ألصقوه إلى البيت خيفة السيل . فكان ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبى بكر رضى الله عنه . فلما ولى عمر رضى الله عنه رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أخروه وعمر هو الذى نصب معالم الحرم بعد أن بحث عن ذلك » .

هذا آخر كلامه فى المدونة فيما نقله صاحب التهذيب ، مختصر المدونة .

ولم أجد أصل ذلك الكلام فى مظنته من المدونة المطبوعة .

ثم قال المحب : « وقال الفقيه سند بن عنان المالكى فى كتابه المترجم بالطراز – وهو شرح للمدونة – وروى أشهب عن مالك قال : سمعت من يقول من أهل العلم : إن إبراهيم عليه السلام أقام هذا المقام ، وقد كان ملصقاً بالبيت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر رضى الله عنه وقبل ذلك . و إنما ألصق إليه لمكان السيل : مخافة أن يذهب به . فلما ولى عمر رضى الله عنه أخرج خيوطاً كانت فى خزانة الكعبة – وقد كانوا قاسوا بها مابين موضعه و بين البيت فى الجاهلية ، إذ قدّموه مخافة السيل – فقاسه عمر ، وأخره إلى موضعه إلى اليوم . قال مالك : والذى حمل عمر . . . . » .

إن بين سند بن عنان و بين أشهب نحو ثلاثمائة سنة . فإن صح عن مالك فهذا الذى أخبره بالحكاية لم يذكر مستنده . ولا أحسبه استند إلا إلى حكاية مجملة وقعت له عن تحويل عمر رضى الله عنه للمقام وما جرى بعد ذلك ، فقال ما قال .

وسيأتى – إن شاء الله – تحقيق تلك القضية بما يتضح به أن ليس فيها دلالة على ماذكر وعلى كل حال فهذه الحكاية المنقطعة لاتصلح لمقاومة ماتقدم من الأدلة . والله المستعان .

* * *

فالذى تعطيه الأدلة : أن إبراهيم عليه السلام وضع « المقام » عند جدار الكعبة فى الموضع المسامت له الآن .

الفصل الرابع

أين كان موضعه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؟

فى هذا ثلاثة أقوال .

الأول : أنه كان فى موضعه الذى هو به الآن . والأدلة الصحيحة الواضحة ترد هذا القول ، كما يأتى فى القول الثالث .

ولكنى أذكر ماجاء فى هذا ، مع النظر فيه ليعرف .

أخرج الأزرقى عن ابن أبى مليكة قال « موضع المقام : هذا الذى هو به اليوم هو موضعه فى الجاهلية ، وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر رضى الله عنه . فجُعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر . فرده بمحضر من الناس » .

سند الأزرقي رجاله ثقات ، وابن أبي مليكة من ثقات التابعين . لكن الأزرقى نفسه لم يوثقه أحد من أئمة الجرح والتعديل ، ولم يذكره البخارى ، ولا ابن أبى حاتم ، بل قال الفاسى فى ترجمته من العقد الثمين « لم أر من ترجمه » .

فهو ــ على قاعدة أئمة الحديث ــ مجهول الحال . وقد تفرد بهذه الحكاية . والله أعلم .

* * *

وقال الأزرقي أيضاً : حدثنى جدى حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وَداعة السهمى عن أبيه عن جده قال « كانت السيول تدخل المسجد الحرام ... ربما دفعت المقام من موضعه ، وربما نَحَّته إلى وجه الكعبة ، حتى جاء سيل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقال له : سيل أم نهشل . . . فاحتمل المقام من موضعه . فذهب به حتى وجد بأسفل مكة . فأُتى به فربط إلى أستار الكعبة فى وجهها . وكُتب فى ذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فأقبل عمر ــ رضى الله عنه ــ فزعاً . فدخل بعمرة فى شهر رمضان ، وقد عُمّى موضعه وعَفَّاه السيل . فدعا عمر بالناس ، فقال : أنشد الله عبداً عنده علم فى هذا المقام . فقال المطلب بن أبى وداعة السهمى : أنا

يا أمير المؤمنين عندى ذلك . فقد كنت أخشى عليه هذا . فأخذت قَدْره : من موضعه إلى الركن ، ومن موضعه إلى باب الحِجْر ، ومن موضعه إلى زمزم بمقاط ، وهو عندى فى البيت . فقال له عمر : فاجلس عندى . وأرسل إليها ؛ فأتى بها ، فمدها . فوجدها مستوية إلى موضعه هذا . فسأل الناس وشاورهم ، فقالوا : نعم هذا موضعه . فلما استثبت ذلك عمر رضى الله عنه ، وحُقّ عنده : أمر به ، فأعلم ببناء ربضه تحت المقام ، ثم حوله . فهو فى مكانه هذا إلى اليوم » .

جد الأزرقي ، وداود ، وابن جريج ، وكثير بن كثير : ثقات . لكن له عدة علل .

الأولى : حال الأزرقي كما مر .

الثانية : أن ابن جريج ـ على إمامته ـ مشهور بالتدليس ، ولم يصرح هنا بالسماع من كثير بن كثير .

الثالثة : أنه قد صح عن ابن جريج قوله « سمعت عطاء وغيره من أصحابنا . . . . » فذكر ما سيأتى فى القول الثالث ، على وجه يشعر باعتماده له .

الرابعة : أن كثير بن المطلب : مجهول الحال . ولا يخرجه عن ذلك ذكر ابن حبان له فى الثقات على قاعدته التى لا يوافقه عليها الجمهور .

وقد روى ابن جريج عن كثير بن كثير عن أبيه عن جده حديثاً . فذكر ابن عيينة : أنه سأل كثير بن كثير عنه ؟ فقال : ليس من أبى سمعته ، ولكن من بعض أهلى عن جدى .

وروى غير ابن عيينة عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن أبيه عن جده حديثاً قريباً من الأول ، ولعله هو . راجع المسند (ج ٦ ص ٣٩٩) فإن كان حديثاً واحداً فليس لكثير بن المطلب فى الكتب الستة والمسند شىء .

نعم أخرج ابن حبان فى صحيحه الحديث الثانى من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن كثير بن كثير . وفيه مايقتضى أنه حديث آخر ، لكن الوليد شامى ، ورواية أهل الشام عن زهير أنكرها الأئمة لأن زهيراً حدثهم من حفظه . فغلط وخلط .

الخامسة : أنه لما جرى ذكر المطّلب فى القصة ذُكر بما ظاهره أن الخبر غَيْرُه « فقال له المطلب بن أبى وداعة السهمى ... فقال له عمر ... » .

وهذا يريب فى قوله فى السند « عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة السهمى عن أبيه عن جده » و يشعر بأن الحكاية منقطعة .

وقال الأزرقى : حدثنى ابن أبى عمر قال : حدثنا ابن عيينة عن حبيب بن أبى الأشرس . قال « كان سيل أم نهشل قبل أن يعمل عمر رضى الله عنه الردم بأعلى مكة . فاحتمل المقام من مكانه . فلم يُدْرَ أين موضعه . فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل من يعلم موضعه . فقال المطلب بن أبى وداعة : أنا يا أمير المؤمنين ، قد كنت قدرته وذرعته بمقاط . وتخوفت عليه هذا : من الحجر إليه ، ومن الركن إليه ، ومن وجه الكعبة إليه . فقال : ائت به . فجاء به ووضعه فى موضعه هذا . وعمل عمر الردم عند ذلك » .

قال سفيان : فذلك الذى حدثنا هشام بن عروة عن أبيه « أن المقام كان عند سقع البيت . فأما موضعه الذى هو موضعه : فموضعه الآن . وأما مايقوله الناس : إنه كان هنالك موضعه : فلا » .

قال سفيان : وقد ذكر عمرو بن دينار نحواً من حديث ابن الأشرس هذا . لا أُميّز أحدهما عن صاحبه .

الأزرقي قد تقدم حاله .

لكن قال الفاسى فى شفاء الغرام (ج ١ ص ٢٠٦) : وروى الفاكهى عن عمرو بن دينار وسفيان بن عيينة مثل ماحكاه عنهما الأزرقي بالمعنى .

أقول : ليته ساق خبر الفاكهى . فإن الفاكهى - و إن كان كالأزرقى فى أنه لم يوثقه أحد من المتقدمين ، ولا ذكره - فقد أثنى عليه الفاسى فى ترجمته من العقد الثمين . ونزّهه عن أن يكون مجروحا . وفضل كتابه على كتاب الأزرقى تفضيلاً بالغاً ، ومع هذا فالأخبار التى يتفقان فى الجملة على روايتها نجد الفاسى - ومن قبله المحب الطبرى - يُعْنَيان غالباً بنقل رواية الأزرقى ، و يسكتان عن رواية الفاكهى ، أو يشيران إليها إشارة فقط .

وأحسب الحامل لهما على ذلك : حسن سياق الأزرقى . وقد قيل لشعبة رحمه الله : مالَكَ لاتحدث عن عبد الملك بن أبى سليمان ، وقد كان حسن الحديث ؟ قال: مِنْ حُسنها فررت:

ويريبني من الأزرقي حسن سياقه للحكايات وإشباعه القول فيها . ومثل ذلك قليل فيما يصح عن الصحابة والتابعين .

ويريبني أيضاً منه تحمسه لهذا القول ، فقد روى (ج ٢ ص ٢٣) عن ابن أبي عمر - بسند واهٍ إلى أبي سعيد الخدري - أنه سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذي في المقام . فقال « كانت الحجارة - وذكر الخبر . وفيه - في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : فصلى إلى الميزاب وهو بالمدينة ، ثم قدم مكة . فكان يصلي إلى المقام ما كان بمكة » .

وقد روى الفاكهي هذا الخبر كما ذكره الفاسي في شفاء الغرام (ج ١ ص ٢٠٦) ولم يسق الفاسي سنده ولا متنه بتمامه ، إنما ذكر قطعة منه ، هي بلفظها في رواية الأزرقي .

ثم قال : وفيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة من المدينة ، فكان يصلي إلى المقام ، وهو ملصق بالبيت ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

أسقط الأزرقي في روايته قوله « وهو ملصق بالبيت ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم » وجعل موضعها « ما كان بمكة » .

وقال في (ج ٢ ص ٢٧) حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا سليم بن مسلم عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر عن عبد الله بن صفوان . قال « أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن السائب العابدي - وعمر نازل بمكة في دار ابن سباع - بتحويل المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم . قال : فحوله . ثم صلى المغرب . وكان عمر قد اشتكى رأسه ، قال [عبد الله بن السائب] : فلما صليت ركعة جاء عمر فصلى ورائي ، قال : فلما قضى صلاته ، قال عمر : أحسنت . فكنت أول من صلى خلف المقام حين حُوِّل إلى موضعه ، عبد الله بن السائب القائل » .

ولم ترق الأزرقي كلمة « حول » فعقبه بقوله « حدثني جدي قال : حدثنا سليم بن مسلم عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر عن عبد الله بن السائب - وكان يصلي بأهل مكة - فقال » أنا أول من صلى خلف المقام حين رد في موضعه هذا . . . » .

هذا وأما بقية السند بعد الأزرقي : فشيخه ابن أبي عمر : سيأتي ، وسفيان بن عيينة

إمام . وحبيب بن أبي الأشرس ضعيف ، راجع ترجمته فى الميزان ولسانه . وعمرو بن دينار ثقة جليل . لكن لا يُدرَى ماقال . نعم يستفاد إجمالا : أنه قد ذكر مايتعلق بالتقدير .

فأمَّا ماذكر فى هذه الرواية من رأى ابن عيينة : فقد ثبت مايناقضه برواية ابن أبى حاتم الرازى وهو إمام ، عن أبيه ، وهو من كبار الأئمة المثبتين ، عن ابن أبى عمر شيخ الأزرقى ، عن ابن عيينة نفسه ، وسيأتى .

وأبو حاتم هو القائل فى ابن أبى عمر هذا شيخه وشيخ للازرقى « كان شيخاً صالحاً . وكان به غفلة . رأيت عنده حديثاً موضوعاً حدث به عن ابن عيينة . وكان صدوقاً » .

أقول : ابن أبى عمر ثقة فيما يرويه عنه أبو حاتم ومسلم ونحوهما من المتثبتين . لأنهم يحتاطون وينظرون فى أصوله . وإنما تخشى غفلته فيما يرويه عنه من دونهم ولا سيما أمثال الأزرقى .

القول الثانى

قال بعضهم : كان المقام لاصقاً بالكعبة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى أخره هو صلى الله عليه وسلم إلى موضعه الآن .

ذكر ابن كثير : أن ابن مردويه روى بسنده إلى شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب « يارسول الله ، لو صلينا خلف المقام : فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا » .

أشار ابن كثير إلى ضعفه .

وقال ابن حجر فى الفتح (ج ٨ ص٢٩) أخرج ابن مردويه بسند ضعيف ـ فذكره .

أقول : شريك من النبلاء إلا أنه يخطىء كثيراً ويدلس وإبراهيم بن مهاجر صدوق كثير الخطأ يحدث بما لا يحفظ فيغلط .

وقد صح عن مجاهد « أن عمر هو الذى حول المقام » كما سيأتى .

وفى شفاء الغرام (ج ١ ص ٢٠٦) ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه . قال موسى

ابن عقبة . . . « وكان ـ زعموا ـ أن المقام لاصق فى الكعبة . فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكانه هذا » .

موسى بن عقبة ثقة ، أدرك بعض الصحابة . لكن ذكروا : أنه تتبع المغازى بعد كبر سنه ، فربما يسمع ممن هو دونه . وقد قال « زعموا » .

القول الثالث

قال آخرون : كان المقام فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعده لاصقاً بالكعبة حتى حوّله عمر رضى الله عنه .

قال ابن كثير ، قال عبد الرزاق عن ابن جريج : حدثنى عطاء وغيره من أصحابنا قالوا « أول من نقله عمر بن الخطاب رضى الله عنه » .

وقال عبد الرزاق أيضاً : عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال « أول من أخر المقام إلى موضعه عمر بن الخطاب » .

وقال ابن حجر فى الفتح (ج ٨ ص ١٢٩) « كان المقام من عهد إبراهيم لِزْقَ البيت إلى أن أخره عمر رضى الله عنه إلى المكان الذى هو فيه الآن » أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره . وعن مجاهد أيضاً .

ونقل الفاسى عن كتب الأوائل لأبى عروبة ـ أراه الحرانى حافظ ثقة ـ عن سلمة ـ أراه ابن شبيب ثقة ـ عن عبد الرزاق ـ فذكر السندين اللذين ذكرهما ابن كثير . وقال فى متن الأول « إن عمر رضى الله عنه أول من رفع المقام ، فوضعه فى موضعه الآن ، وإنما كان فى قُبُل الكعبة » .

وقال فى الثانى عن مجاهد قال « كان المقام إلى جنب البيت ، وكانوا يخافون عليه من السيول . وكان الناس يصلون خلفه » .

قال الفاسى : انتهى باختصار لقصة رد عمر للمقام إلى موضعه الآن . وما كان بينه وبين المطلب بن أبى وداعة السهمى فى موضعه الذى حرره المطلب . فلا أدرى : أخبرٌ آخر

هذا عن مجاهد ، أم هو ذاك الخبر ؟ اختصره عبد الرزاق فى مصنفه . وحدث به سامة من حفظه ، أم ماذا ؟ .

وعلى كل حال : فالذى نقل ابن كثير وابن حجر عن مصنف عبد الرزاق ثابت . فيتعين حمل هذه الرواية على مالا يخالفه .

وفى الدر المنثور : أخرج ابن سعد عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب « من له علم بموضع المقام حيث كان ؟ فقال أبو وداعة بن هبيرة السهمى : عندى ياأمير المؤمنين ، قَدَرْته إلى الباب ، وقدرته إلى ركن الحجر ، وقدرته إلى الركن الأسود ، وقدرته ، فقال عمر : هاته : فأخذه عمر فرده إلى موضعه اليوم المقدار الذى جاء به أبو وداعة » .

لا أدرى ماسنده .

و بقية الروايات فى هذا تذكر المطلب بن أبى وداعة لاأبا وداعة نفسه .

وقال ابن كثير : قال ابن أبى حاتم : أخبرنا أبى أخبرنا ابن أبى عمر العدنى ، قال : قال سفيان - يعنى ابن عيينة . وهو إمام المكيين فى زمانه - « كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحوله عمر إلى مكانه ، بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، و بعد نزول قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال : ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا ، فرده عمر إليه » .

وقال سفيان « لا أدرى : كم بينه و بين الكعبة قبل تحويله » .

قال سفيان « لا أدرى : أكان لاصقاً بها أم لا ؟ » .

وقال ابن حجر فى الفتح (ج ٨ ص ١٢٩) أخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال « كان المقام فى سقع البيت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحوَّله عمر . فجاء سيل فذهب به ، فرده عمر إليه » قال سفيان « لا أدرى أكان لاصقاً بالبيت أم لا ؟ » .

هذا بغاية من الصحة عن سفيان بن عيينة ، كما تقدم أواخر الكلام على القول الأول .

(يتبع)

ماذا يفيدون من اشاعة الخرافات ؟

لفضيلة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش

إن للحق لجلالاً وروعة ، و إن له لسلطاناً قاهراً ، وحجة بالغة ، و إن له لنفاذا إلى القلوب ، وتولجا فى النفوس ، وطريقا إلى العقول . و إن كلمته لتعلوا حتى لا تعلوها كلمة ، و إن صوته ليقوى حتى ليتضاءل دونه الأصوات .

وإن الباطل لدموغ زاهق يتبدد أمام صولة الحق كما يتبدد الضباب إذا سطعت عليه أشعة الشمس (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق) .

. والخرافات كلها من الباطل الزاهق الذى لا بقاء له إلا فى النفوس المريضة ، والعقول المعطلة المشلولة .

والخرافة كل أمر لايقره الشرع ، ولا يؤيده العلم ، ولا يقبله العقل . وفى البلاد الإسلامية فريق من الناس يحاولون أن يخدروا العقول بإشاعة الخرافات حتى تقبل كل يأتونها به سواء أوافق الدين أم خالفه ، أطابق العلم أم ناقضه . أأرضى العقل أم أسخطه .

وهم حين يحاولون إشاعة الخرافات يحرصون على أن يضيفوها إلى مقام سام يتهيب الناس أن يردوا ما يعزى إليه ، أو يجادلوا فيما يقال : إنه يتصل به .

نشرت مجلة الإسلام والتصوف فى عددها الأول تحت عنوان (الطريقة الرفاعية) مقالا جاء فيه مايلى بالحرف الواحد :

(روى الإمام أبو الفرج الواسطى قال : حج السيد أحمد الرفاعى عام ٥٥٥ هـ فلما وصل إلى المدينة وتشرف بزيارة جده صلى الله عليه وسلم ، وقف تجاه الحجرة الشريفة ، ووقفنا خلف ظهره فقال : السلام عليك ياجدى ! فقال له : وعليك السلام ياولدى ! فتواجد لهذه النفحة وقال منشداً :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها   تقبل الأرض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من قبره الكريم فقبلها فى ملإ يقرب من ٩٠ ألف رجل .

ثم قال الكاتب : تلك رواية شاهد ثقة ، ومعجزاته صلى الله عليه وسلم لاتنقطع حيا ومنتقلا ا هـ

وأقول : هذه خرافة بغير شك ؛ فالشرع لايقرها ، والعلم لايؤيدها ، والعقل يرفضها .

فالشرع يقول : سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وقد مضت سنة الله أن ابن آدم إذا فارقه السر الإلهى انقطع عمله ، و بطلت حركته . فلا يمكن أن يمد يده ، أو يحرك قدمه . والقول بغير هذا تكذيب لهذا النص الصريح من القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وتكذيب لسنة الرسول الذى يقول ! إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .

والعلم يقرر أن الحياة إذا فارقت البدن انقطعت حركته ، وسكنت نأمته ، وزايلته كل مظاهر الروح وآثار الحياة .

والعقل الذى انضجته التجارب ، ولم يعطله أصحابه ، ولم تشله الخرافات لايقر هذه الأباطيل ، ولا يرضى هذه الترهات .

وتسمية هذه الخرافة معجزة غفلة عن حقيقة المعجزة ، فإن المعجزة إنما يجريها الله تعالى على يد النبى تحدياً للكافرين ، و إقامة للدليل على صدق الرسول ، لأنها تقوم مقام قول الله تعالى : صدق عبدى فيما يبلغ عنى . والتسعون ألفاً الذين قيل : إنهم كانوا بمسجده الشريف مؤمنون آمنوا بالله وصدقوا برسالة الرسول فما حاجتهم إلى المعجزة ؟ وما موضع التحدى فيها ؟

والقول بأن معجزاته صلى الله عليه وسلم لاتنقطع حياً ومنتقلا يحتاج إلى دليل يؤيده . فمعجزة الرسول الخالدة هى القرآن الكريم ،وأما غيرها إذا وقع بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فيحتاج إلى ما يثبته و يعوز القائلين به إقامة الدليل على صدقه .

الحقيقة أن ماقاله أبو الفرج الواسطى خرافة ، وأن شيئاً من هذا لم يحصل ، وأن اليد الشريفة لم تبرز من ضريحها ، ولم تغادر موضعها الذى استقرت فيه يوم وورى جسده الشريف فى جدثه الطاهر ، وأن هذا كذب بغيض روجه جهلة المريدين ، يزعمون أن ذلك يعلى من قدر شيخهم ، ويرفع من شأنه فيرتفعون بارتفاعه ويعتزون بانتمائهم إليه .

هذا كذب متعمد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : إن كذباً على ليس ككذب على أحد . من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ومن أصدق أدلة الكذب فى هذه الخرافة أن المسجد الشريف لذلك الحين لم يكن يتسع لتسعين ألفا ، ولا لتسعة آلاف .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ينهى عن تقبيل اليد فى حياته الشريفة فكيف يقبل أن تقبل يده بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب معالى الأمور ويكره سفسافها ، فكيف لم يرد على التحية بأحسن منها ؟ .

ومن نبه التسعين ألفا إلى أن حدثا كهذا الحدث سيحصل لكى يوجهوا جميعاً التفاتهم إليه ؟

وكيف يتسنى لتسعين ألفاً أن يشهدوا حادثا وقع فى بقعة صغيرة وهى جانب من الحجرة الشريفة ؟

هذه الخرافة يكذب بعضها بعضاً ، ويهدم آخرها أولها إن الخرافات التى كانت تقبلها عقول الناس فى القرن السادس لايمكن أن تقبلها عقول الناس فى أخريات القرن الرابع عشر بعد أن ارتقى الوعى الدينى بفضل جهود العلماء المخلصين الذى وقفوا حياتهم وجهدهم على تخليص العقول من أسر الأوهام وربقة الترهات .

ولا أدرى ماذا يعتبرون من إذاعة هذه الخرافات ، وإشاعة هذه الأباطيل والترهات .

والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الضلال والسلام على من اتبع الهدى .

تعليقـات

(١)

نشرت جريدة الأخبار بعددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢١ للأستاذ محمد زكى عبد القادر فى صفحة اليوميات ، كلمة حول موضوع (شباب اليوم) . وكان الأستاذ قد عقد فى عدد سابق من الأخبار مقارنة بين شباب اليوم وشباب الأمس ، انتهى منها إلى تفضيل شباب اليوم ، وأنه أحسن حالاً وأكثر رقياً . وعزا ذلك إلى الحرية التى يتمتع بها شباب اليوم ، وإلى الفرص التى أتيحت له بالاختلاط بالجنس الآخر ، وإلى قيام العلاقة بينه وبين أبويه على التفاهم والاقتناع لا على الطاعة والخوف كما كانت بالأمس ، ومن المعلوم أنه يقصد الشبان والبنات بكلمة الشباب .

فرد عليه بعض المثقفين ذووا التجارب والدراية بمشاكل الشباب ، منهم مراقب سابق بوزارة التربية والتعليم ومحامون وغيرهم ، ومنهم المسلم والمسيحى . وقد دللوا على فساد رأى الأستاذ زكى عبد القادر فى تفضيل شباب اليوم ، وذكروا ما أصابه من الفساد والتحلل والتقصى عن كل خلق كريم . وذكر أحدهم فى رده « أن فى كتاب الله آيات بينات لم ترسل لجيل دون جيل ولكن لكل زمان ومكان » وأشار إلى الآيات التى توجب على الأبناء طاعة الوالدين ، والتى توجب على النساء عدم التبرج ، وذكر قوله تعالى (وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

أفتدرى ماذا كان رد الأستاذ زكى عبد القادر عليه ؟ قال (ما أحسب أن الآية الكريمة وردت كحكم دائم لا يتغير ، ولكنها وردت بالمقارنة بين حياة الإسلام والجاهلية ، بدليل أنها قرنت الاستقرار فى البيت بعدم التبرج . فلو تبرجت المرأة وهى ببيتها فقد عدت أحكام الدين ، ولو خرجت دون تبرج لسارت طبقاً لأوامر الدين) .

أما أن الآية الكريمة وردت ـ شأنها فى ذلك كشأن جميع آيات القرآن ـ كحكم دائم لا يتغير ، فهذا مما أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم ، بل أقر بذلك كثير من غير المسلمين

ممن درسوا القرآن . حتى الأستاذ زكى عبد القادر نفسه يقر بذلك ، بدليل أنه تكلم عن حكم المرأة التى تتبرج إذا خرجت من بيتها والتى لا تتبرج إذا خرجت من بيتها ، فأجرى عليها أحكام الآية حسب فهمه لها .

أما قوله بأن الآية وردت بالمقارنة بين حياة الإسلام وحياة الجاهلية فهذا وحده يكفى للنفور من التبرج ، فإن الله سبحانه وتعالى إذا ذم خلقا من أخلاق الجاهلية فى كتابه الكريم ، فحرى بالمسلم أن يتجنبه ، ويفر منه ابتغاء مرضاة الله ، فهو سبحانه لا يرضى ولا يحب لعباده أن يتخلقوا بخلق كرهه وذمه فى كتابه .

ثم قال أن الآية قرنت الاستقرار فى البيت ، بعدم التبرج وقد أخطأ الأستاذ فإنها لم تقرن بينهما ، بل قابلت إحداهما بالأخرى . لأن (وقَرْن) أمر ، (ولا تبرجن) نهى ، فهما متقابلين لا مقترنين والله سبحانه وتعالى يأمر النساء أن يكون حالهن الغالب عليهن الاستقرار فى البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة ملحة و بقدر تلك الحاجة . فليس التبرج إظهار الزينة والمحاسن للرجال فحسب . بل مجرد خروج المرأة من بيتها إلى الشوارع والطرقات : تبرج . ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهن بالإلتصاق بالجدر ، وعدم توسط الطريق ، حتى لا تبرزن ولا تتبرجن . لأن التبرج مشتق من البرج وهو دائماً يكون بارزاً وظاهراً فوق البيوت فإذا برزت المرأة وظهرت فى الطرقات فقد تبرجت . ولذلك يقابل الله سبحانه الاستقرار بالتبرج فى الآية .

(٢)

نشرت مجلة آخر ساعة بعددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢٠ فضيحة مزرية لعباد القبور والصوفية ، ولكن لا حياة لمن تنادى ، وما أنت بمسمع من فى القبور . إن عباد القبور قد انسلخوا من آيات الله فى أنفسهم : بالسمع والبصر والفؤاد ، وانسلخوا منها فى السماء والأرض ، فاتبعهم الشيطان وركبهم فلم يعد ينفع فيهم إرشاد ولا وعظ ، ولا حتى صك فى وجوههم بالحقائق المحسوسة الملموسة .

أرادت مجلة آخر ساعة أن تفضح عملياً خرافة الأولياء ، وكرامات الأولياء . فتقمص

أحد موظفيها و إحدى موظفاتها شخصية أحفاد ولى من أولياء الله إسمه الشيخ (الدياصى) وأنه كان مدفوناً بالفيوم وأراد الانتقال إلى قرية كرداسة بمركز امبابة مديرية الجيزة . فذهب الحفيدان المزعومان إلى بلدة كرداسة وعينا المكان الذى قرر جدهما أن يكون ضريحه فيه بجوار ولى من أولياء كرداسة اسمه (الجندى) وفعلاً قاما على نفقة المجلة ببناء الضريح وعمل الكسوة والدعوة إلى مولد جدهم والاحتفال بقدومه إلى كرداسة . وفعلاً تم لهما ما أراد . وسرعان ما تناقل الناس كرامات الولى الجديد ومعجزاته ، وسرعان ما تطوع المشعوذون من أهل القرية ، لرواية الكرامات والرؤيا التى رأوها من حالاته وأفعاله . ثم عقبت المجلة على ذلك بقولها :ـ

« إن جميع أبناء كرداسة يؤمنون حتى الآن بالشيخ الدياصى ، و بكراماته التى ظهرت ولا يزالون يفدون إلى الضريح من كل مكان المرضى للشفاء ، والنساء العاقرات ليرزقن بالأطفال ، واللاتى فاتهن سن الزواج ليعثرن على ابن الحلال » ثم قالت « إن الأسطورة العجيبة التى تعيش فى عقول الناس عن المشايخ والأولياء يجب أن تنتهى . والخرافات التى لا حد لها وعمليات النصب التى تتم فى أرجاء الريف تحت قناع الدين ، يجب أن يوضع لها حل حاسم سريع التطهير ـ ٢٥٠٠ ضريح لأولياء الله فى مصر ، واللصوص وقطاع الطرق الذين يضحكون على عقول الفلاحين بالعمائم الخضراء والحمراء ، والأضرحة المبروكة ، والأحجبة والتعاويذ ، يجب أن يخرجوا من حياتنا ، و يعرفهم المخدوعون على حقيقتهم . إن آخر ساعة تقدم الدليل الواضح الذى لايحوطه أى غموض ، وتزيح الستار عن أسطورة الشيخ الدياصى ، ولى الله ، صاحب المقام الذى يشفى العلات ، ويقضى الحاجات ، فى قرية اسمها كرداسة . فقد قامت « آخر ساعة » بهذه التجربة العملية لكى تثبت حقيقة الخرافة الكبرى التى مازال يؤمن بها أهالى هذه القرية حتى هذه اللحظة . إنهم لايعرفون أن « آخر ساعة » هى التى بنت الضريح ، وغطته بالقماش الأخضر ، و إن محررى آخر ساعة هم الذين تقمصوا الشخصيات الخيالية لأحفاد الشيخ الدياصى صاحب المقام . وإن آخر ساعة هى التى وضعت برنامج المولد والزيارات . وقضاء الحاجات من صاحب الضريح وخليفته

المبروك . إن التجربة عمرها ثلاثة شهور ، بدأت فى مايو وانتهت فى أغسطس وسجلت بالصور من أول دقيقة لآخر دقيقة . ولكن هناك ٢٥٠٠ تجربة غيرها تعيش على الطبيعة فى أرجاء مصر ، وتختفى وراءها آلاف من النصابين واللصوص والمشعوذين الذين يسيئون إلى الدين » وقالت المجلة أيضاً « خرجت آخر ساعة من هذه التجربة بنتائج خطيرة لم تتوقعها على الاطلاق . لقد ظهر بوضوح مدى تعلق الناس بالدين ، واعتقادهم فى كرامات المشايخ على أنها من تعاليم الإسلام ، ولا يزال الريفيون حتى كتابة هذه السطور واقعين تحت سيطرة رجال الطرق الصوفية الذين يزينون لهم كثيراً من هذه الخرافات . كما تبين لنا أن شيخ الطريقة ، أو ولى عهد الشيخ ، له مكانة كبيرة فى نفوس الناس ، بل إن احترامه قد يصل أحياناً عند الأنصار والمريدين إلى درجة التقديس والعبادة » إلى غير ذلك من التعليقات والصور التى نشرتها المجلة لإيضاح هذه المخزية الماحقة للصوفية لو كانوا يشعرون ويحسون . ولكن هيهات ، فما لجرح بميت إيلام .

عالم متوحش

بقلم الأديب سعد صادق محمد

رجل يقضى على حياة آخر لنزاع بسيط ولأقل سبب ، وآخر يقتل زوجته أمام أولاده ويقطعها إلى ثلاث أجزاء بسبب ٢٠ مليما . وثالث يقتل أباه وزوجته وابنهما . ورابع يقتل أمه بسبب قرش . وخامس يباشر أخته مباشرة الأزواج .

وهذه تلك بعض من آلاف الفضائح المنكرة والجرائم البشعة التى نسمعها وتحمل لنا الصحف والمجلات أنباءها كل يوم تلك الجرائم التى تقشعر من هولها الأبدان ، وتهتز منها النفوس ألما وتبخع الإنسانية أسفاً .

لم يقف أمر هذه الجرائم التى تحمل طابع الفظاعة والغلظة وتدل على القسوة والوحشية عند حد من هم دون الأقارب والعشيرة . بل امتد إلى أولى الأرحام من الوالدين والأخوة وأبناء العمومة والخؤلة .

لقد انتزعت الرحمة من القلوب وضاعت الإنسانية من نفوس هؤلاء الآدميين ، فانقلبوا إلى وحوش ضارية كاسرة ، وانقلبوا يعملون أنيابهم فى القريب ، والبعيد ، دون النظر إلى رابطة الإنسانية الكريمة التى تربط الناس ببعضهم بل تجردوا من عاطفة الأبوة ، والأخوة وقطعوا وشائج الرحم وراحوا يقتلون ويذبحون ويفعلون الفاحشة ويأتون المنكرات فيمن تربطهم بهم أوثق الصلات .

إننا إذا نظرنا إلى هذه الجرائم التى تقع كل يوم بشكل مفزع مؤلم نجد أن هنالك سؤالا يتردد على لسان كل إنسان مشفق ماذا سيكون مصير هذه البشرية التى تأكل بعضها بعضا كالأسماك ؟

الواقع أن الجواب يثير فى النفس الألم والعجب ويبعث على الحسرة والدهشة فى وقت واحد .

إن أغلب هذه الحوادث إنما تقع لأسباب تافهة جداً . . أسباب صغيرة حقيرة لا تدعو

إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح وانتهاك ماحرم الله ونهى عنه وما يترتب على ذلك من خراب البيوت وتيتم الأولاد وترمل النساء إيجاد حالات من العجز والضعف والموت ثم تعرضهم لغضب الله وعذابه فى الدنيا وفى الآخرة .

إذا نظر هؤلاء الحمقى الطائشون مرتكبو هذه الجرائم إلى الأسباب التى تدعوهم إلى أفعالهم الشنيعة قبل ارتكابها ، من زاوية العقل والصواب والحكمة ، بل إنهم لو كانوا يأخذون العبرَ مما يقرءون ، والحذر مما يسمعون بقلوب واعية متدبرة ورءوس مفكرة فاهمة ، عن آلاف الحوادث التى تأتى أنباؤها فى الصحف وغيرها ، وعن عواقب مرتكبيها السيئة لو كانوا فعلوا كذلك ، لتبدل الموقف وتغير الجو ولأمكن الحيلولة دون هذه الحوادث التى كم دمرت من نفوس وحطمت من قلوب . وأحالت كثير من الناس إلى عذاب وآلام وجلبت لهم الشقاء والحرمان .

ماهذه النفوس الشريرة التى يقتل صاحبها نفسا لنزاع على قرش أو بسبب سجارة أو لأجل كوب من الشاى ؟! . . .

ماهذا الرجل الوحش الذى يزهق روح زوجته أمام أولاده ويقطعها أجزاء بسبب ٢٠ مليما ؟! . .

ماهذا الشاب الطائش الذى يستحل لنفسه قتل الناس بالجملة فيسفك دماء أبيه وزوجته وطفلهما ؟!

ماهذا الأب الذى ينقض كالوحش على ابنته أو طفله لينالها ويقضى على شرفها وهو أعز شىء عندها ؟! .

ماهذا الابن الذى يختلى بشقيقته ليأكل فاكهة محرمة عليه ؟! .

ماهؤلاء الذين تجردوا من إنسانيتهم وفقدوا عقولهم وراحوا يتخبطون فى الدنيا ذبحاً وقتلا ويعبثون فى الأرض فسادا وخرابا ؟! .

لقد انسلخ الإنسان من كل القيم الإنسانية الفاضلة وصار لايدعو إلا إلى الشر ،

ولا يسعى إلا إلى السوء ولا يعمل إلا للقطيعة والدمار ، وأمسى لايحمل فى قلبه إلا الحقد والكراهية والعدوان لأخيه الإنسان .

أصبح الناس لايعملون حساباً لآدمية غيرهم ، ولا يحترمون حقوق إنسانيتهم ، ولارابطة القرابة والرحم . فصار الرجل فى نظر أخيه فى الإنسانية كالفرخة قتله هين وذبحه سهل .

وصار الأب والأم فى نظر أولادهما غرباء فجهلوا ماهى الأم وماهو الأب بالنسبة لهم ، بل وكأن الله الرحيم لم يوصى فى كتابه الكريم بمعاملتهما بالحسنى والرحمة ، ولم يأمر لهما بالمنزلة الكريمة فى قلوب أبنائهما ، فكان إيذائهما وقتلهما أمر سهلا وغير مستحيل .

وصار الرجل فى نظر أخيه لايساوى شيئاً فيقضى عليه طمعاً وحسداً وكراهية .

وصار الأولاد وهم (فلذات الأكباد) عند الأب أو الأم حشرات يمكن أن يداس عليها بالأقدام ، فلا حنان أمومة ترعاهم ولا عطف أبوة يحول بينهما و بين قتل أبنائهما .

ولم يعد للأخت عند شقيقها سياج من ضمير يحفظها ، ولا مانع من دين يصونها فتتعدى حدود الله واستباح لنفسه جسدها واستحل ماحرم عليه .

نزل الناس من سماء الإنسانية العاقلة الكريمة ، إلى عالم متوحش خسيس ، وهووا إلى حضيض البهيمية السافلة ، بل إنهم والله لم يصبحوا فى عداد البهائم والحيوانات ، لقد غدوا فى مرتبة أقل من ذلك بكثير . فالحيوان حين يرى إنساناً أو حيواناً أجنبياً اقترب من عشه ، كشر عن أنيابه ووقف منتفضاً ليدفع الأذى عن صغاره ، وليبعد السوء عنها بدافع الحب والحنان الذى أودعه الله فيه .

لكن الإنسان الذى كرمه الله وفضله على سائر خلقه ، ومنحه العقل والتفكير ، تجرد من كل هذا ، وكفر بنعم الله ، و بأولاده و بأهله ، فأضاع حقوقهم ، وفقد الحب والبر والعطف نحوهم ، وانقلب إلى مفسد وسفاك للدماء ، وداع للخراب فى الأرض . فانظر إلى أى حد وصلت البشرية من الانحطاط والتدهور والكفر !! . . ماذا أصاب العالم ؟! . .

لقد امتد العدوان وتطاير الشرر إلى كل أرجاء الدنيا . .

ففى كل قطعة من بقاع الأرض نجد ناراً تتأجج فى النفوس ، وَاحِنًا تأكل القلوب ،

ولعنات يصبها كل واحد على الآخر ، كل فرد تدفعه أغراضه إلى الطمع والفتك والتحكم فى غيره . وكل دولة تريد أن تبتلع الأخرى بغية السيطرة والسيادة .

ماهذا الصراع المخيف الناشب فى العالم ؟ ! . . ماهذه الويلات التى عمت الأرض وشملت الدنيا ؟ ! . .

ماهذه الأساليب الوحشية ، التى أصبحت لغة التفاهم بين الناس ، فلا يلوحون ولا يتكلمون إلا بها ؟ ! . .

ماهذا التيار الملعون من الفتن والحزازات والاضطرابات التى لم تترك صغيراً ولا كبيراً إلا جرفته ، ولا أفراداً ولا جماعات إلا أصابتها . ولا شعوباً ولا دولاً إلا شملتها ؟! . .

ماسر هذا العذاب الذى يحيط بالبشرية . وهذا البلاء الذى نزل وبسط جناحيه على كل الناس ؟ ! . . إنه غضب الله وعذابه . . ونذره وتحذيراته . .

ولكن هل من مستيقظ وفاهم ؟ . .

هل من صاحب عقل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويخشى الله ؟ . .

هل من صاحب قلب واع يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ؟ . .

نرجو ذلك . .

التفرق والاختلاف — ٤ —

آفة الجماعة الإسلامية

للأديب عبد السلام رزق الطويل

حين تنهار دعائم الوحدة تسرى سموم الخلاف إلى المجتمع فتقطع أوصاله وتمزقه بددا ، وتقطعه أمما ، كل أمة تلعن أختها وكل حزب بما لديهم فرحون .

أسباب الاختلاف وبواعثه :

ما كنت لأريد الخوض مع القراء فى الحديث عن الخلاف بين على ومعاوية ، ولكن دفعنى إلى ذلك ، أن هذا الخلاف كان هو الشرارة الأولى التى أوقدت نار الفرقة ، وأن هذا الخلاف السياسى تبعه خلاف فى التفكير الدينى ترتب عليه ظهور الفرق والأحزاب ، ولكن برغم هذا سيكون حديثنا عنه خاطفاً عابراً لانعرض فيه بالتمحيص لموقف كل الطرفين وأيهما المخطىء والمصيب ، فما إلى هذا قصدت ، وإنما سيكون حديثى فيه بقدر ما يلقى على الموضوع الذى أنا بصدده من أضواء .

عرفنا أن الوحدة الإسلامية قامت على أسس وطيدة ، ونهضت على دعائم متينة ، وأنها بقيت قوية متماسكة مابقيت تلك الدعائم والأسس أى عصر كان يتولى الزمام رسول الإسلام وصاحباه من بعده ، ويوم كان شعار المجتمع الإسلامى إذ ذاك زهد فى الحياة الدنيا وجهاد فى سبيل الله .

ولكن ماذا حدث ؟ تهاوت هذه الأسس أساساً بعد أساس ، وانهارت هذه الدعائم دعامة بعد دعامة خفت موازين العقيدة ، وهدأت سورتها ، وسكنت حدتها ، ولم يعد لها دافعها القوى ، ووازعها الفتى إذ تهالك البعض فى حب الدنيا ، وأشربت بعض القلوب حب الرياسه ، وتحول الجهاد فى سبيل الله إلى جهاد فى سبيل الملك والسلطان ، وظهر فى

المجتمع الإسلامي خلق السياسة ، وإذا ولجت السياسة باباً دخل معها الغدر والكذب ، والخداع ، وتلاشت أو كادت الصراحة والصدق والوفاء .

والتوجيه الخلقي والاجتماعي لم يعد لها أثرها الأول ، وعبادات الإسلام لم تجد القلوب التي تقدرها ، وتفهم منها معاني الوحدة والالتئام ، والعصبية الإسلامية لم يعد لها فعولها وقوتها لقد أمست رسما ضئيلا وظلا خافتاً ، وضوء شاحباً بل استحالت في عهد الأمويين إلى عصبية جنسية محضة ، مضرية ، أو ربيعة ، عربية أو عجمية .

ولا ننسى ما للموالي من أثر في إشعال هذه النار ، و بث لهيبها في كل مكان .

وبجانب هذا كانت توجد بقية من الصحابة في قلوبهم إيمان ، وفي أعمالهم ورع وتقوى ، فابتعدوا عن هذا المحيط ، وتحاشوا ذلك الميدان ، ورنأوا بأنفسهم عن الخوض فيه ، وتركوا الرياسة لطلابها يجرون وراءها ، و يشقون في البحث عنها ، فترى سعد بن أبي وقاص يزجر عمر ابنه وقد جلد ليحرض على خوض ميدان الفتنة وأن يأخذ منها بنصيب فيعزف سعد عنها وقد ردعه قائلا : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد الغني الخفي التقي »[1]

تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الفتن

ولم يكن هذا البعض من الصحابة في ابتعاده وتورعه عن أتون الفتنة سلبيا في مجتمعه ، يتخلى عنه وقت شدته ، و يتركه يتلظى في محنته كلا ولكنهم عرفوا من الرسول عليه الصلاة والسلام أن مايحل بمجتمعهم كارثة ماحقه ، وفتنة ضاربة والمؤمن من يبتعد عنها ، و يفر من تبعاتها فيقول عليه الصلاة والسلام : «[2] يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن »

والتعبير بقوله : « يفيد قرب حدوث الفتن من عهد الرسول عليه الصلاة السلام كما تعلموا منه وعرفوا من أخباره الصادقة قوله « إنكم ستحرصون على الامارة و إنها ستكون ندامة ، فنعمت المرضعة ، و بئست الفاطمة .

(١) رواه الشيخان (٢) الدين والتكاليف

فهل بعد هذا يأتون مانهوا عنه ، و يقتحمون ماحذروا منه ، إن إيمانهم أعلى من ذلك وأجل .

ولعل القارىء يعجب إذ صورت حال المسلمين على هذا النحو السالف وهم حديثو عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكد يمضى على وفاته خمسة وعشرون عاماً ! ! ولكنى سأورد فى هذا الصدد حديثين لأبى حذيفة بن اليمان يؤيدان ماقررت ، و يؤكدان ماوضحت يتحدث فى كليهما عن كيفية ومدى تقلص ظل الوحدة الإسلامية عن ذلك المجتمع الأول .

وهاك نص الحديث الأول : عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : حدثنا رسول الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر : حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال[١] ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة[٢] فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت[٣] ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المَجْل كجمر دحرجته على رِجْل فَنَفَط فتراه مُنتَبِراً وليس فيه شىء[٤] ثم أخذ صلى الله عليه وسلم حصى فدحرجه على رجله[٥] فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد منهم يؤدى الأمانة حتى يقال : إن فى بنى فلان رجلا أميناً[٦] حتى يقال للرجل : ما أجلده ، ماأظرفه ، ماأعقله ، وليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ! ![٧] ، ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً ليردنه على دينه ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه[٨] وأما اليوم فلا أبايع إلا فلاناً وفلاناً[٩] .

---

(١) يراد بهذا الإيمان الفطرى بالخالق والاعتراف بربوبيته . (٢) النومة : الغفلة والإعراض . (٣) الوكت : الأثر اليسير فى الشىء المخالف للونه (٤) المجل والنفط : ما يصيب اليد من فقاقيع بيضاء من جراء العمل بشىء صلب كالفأس ، والانتبار : التورم. (٥) يريد صلى الله عليه وسلم أن يضرب لهم مثلا عملياً . (٦) وهذا تصوير أول لتقلص ظل الأمانة حتى يمس الأمناء أشخاصاً معروفين بصفتهم وأماكنهم وهذا دليل ندرتهم .

(٧) وهذا دليل على ضياع مقاييس الكرامة والفضل واختلالها فى المجتمع (٨) تصوير لما كانت عليه الأمانة فى أيام الإسلام الأولى من انتشار ظل الأمانة فى الناس حتى أن أبا حذيفة كان لايتخير من يعامله لثقته فى الجميع (٩) تصوير آخر لقلة الأمناء وندرتهم حتى يمكن عدهم

وقد يدور بخلد القارىء أن هذا التصوير للمجتمع الإسلامى يليق بعصرنا بل بعصر أكثر من عصرنا فساداً ، ولكنه تصوير لحالة ذلك المجتمع فى عصر شهد طرفا منه الصحابى الجليل أبو حذيفة بن اليمان .

والحديث الثانى مروى[١] عن أبى حذيفة أيضاً ، إذ يقول : كنا عند عمر فقال : أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وماله ؟ قالوا : أجل ، قال : فإن تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التى تموج كموج البحر؟ [٢] قال حذيفة : فأمسكت القوم ، فقلت أنا : فقال أنت ؟ لله أبوك ! قال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً[٣] ، فأىّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفاة[٤] فلا تضره فتنة ما بقيت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز ، مُجخِّيا لا يعرف معروفاً ولاينكر منكراً إلا ماأشرب من هواه » قال حذيفة : وحدثته[٥] أن بينك و بينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر[٦] قال : يكسر لا أبالك ، فلو أنه فتح لعله كان يعاد ؟ قلت : لا ، بل يكسر ، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت[٧] حديثاً ليس بالأغاليط[٨] ، قال أبو خالد ــ وهو راوى الحديث عن سعد أبى مالك ــ مستفسراً ، فقلت لسعد : ياأبامالك[٩]

---

(١) رواه مسلم (٢) أى الفتن الشاملة التى تدهم الجميع (٣) إشارة إلى تتابع الفتن وتلاحقها (٤) الصفاة : الصخرة الملساء ، والتعبير بالنكتة السوداء تصوير لأثر الفتنة فى القلب ، وأنه يكون يسيراً ثم يعظم . (٥) الضمير يعود على عمر .

(٦) هذا الباب هو مقتل عمر ، كما يشير لذلك باقى الحديث (٧) هو يؤكد ماقلناه (٨) الأغاليط : جمع أغلوطة ، وهى مايغالط بها ، والمراد حدثته حديثاً صادقاً ليس بالأساطير التى يشغل القصاص بها الناس (٩) أبو مالك : سعد بن طارق الراوى عن ربعى عن حذيفة .

ماأسود مرباداً ؟ قال : شدة البياض فى سواد ، قال : قلت : فما الـكوز مُجَخِّياً ، قال : منكوساً » .

وفى هذا الحديث أنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو الذى لا ينطق عن الهوى عن الفتن التى ستصيب المجتمع المسلم والتى تموج كموج البحر .

وللرسول صلى الله عليه وسلم من الأخبار فى هذا المضمار كثير ، وللصحابى الجليل أبى حذيفة اليد الطولى فى رواية هذه الأخبار ، ولم يسمع غيره من الصحابة - إلا القليل - منها مثلما سمع ، ولا روى من أخبارها مثلما روى .

أجل : إنها السياسة العليا للدولة ، لا يتلقاها إلا ذوو السابقة فى الإسلام ، وذوو البلاء فيه ، والفقيه فى شئونه كعمر وأبى حذيفة ، أما العامة فما كان لهم أن يعرفوا شيئاً منها حتى لا يهن منهم العزم ، ولا تضعف منهم القوة لو سمعوها ، ولذا نرى عمر رضى الله عنه حين أجابه الجميع بأنهم يعرفون خبر الفتن راجعهم فى ذلك مبيناً لهم مايريد .

* * *

العرض السياسى للخلاف :

أما وقد أشرنا إلى إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الفتن ، فلنتعرضها فى إيجاز كما أشرنا إلى ذلك فيما مضى .

تولى عثمان رضى الله عنه الخلافة بعد مقتل عمر إذا انتخبه الستة أصحاب الشورى الذين فوض إليهم عمر قبل موته هذا الأمر ، ورأى عثمان أن يستعين فى تدبير شئون خلافته بمن يعهد فيهم الكفاءة من أقاربه ، نقم عليه بعض المسلمين فى مختلف الأمصار هذا الاتجاه ، وأخذوا عليه بعض هيئات كلها محالة على بنى أمية ؛ أخذوا عليه نفيه أبا ذر إلى الربذة . ورده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، وكان يسمى طريد رسول الله ، ثم تزويجه مروان بن الحكم ابنته ، وإعطاؤه خمس غنائم

إفريقية ، وإيواءه عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد أن أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه إلى آخر ما نقموه عليه[١] .

وسواء أصحت هذه الاتهامات أو بطلت[٢] فإنها انتهت بمقتل عثمان رضى الله عنه ، وإشعال نار الفتنة التى لم تسكن بعد . وفى غمار هذه الفتنة بويع على بالخلافة ، وعزل ولاة عثمان الذين كانوا سبباً فى قتله ، ومن بين ولاته معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه الذى امتنع عن البيعة لعلي وتبعه أهل الشام ، وقد اتهم عليًا رضى الله عنه بأنه حرض على قتل عثمان ، أو على الأقل آوى القتلة فى جنده .

وظهرت بين بنى أمية ومن والاهم فكرة الأخذ بثأر عثمان ، ونشبت لأجل هذا الغرض معركتان كلاهما ضد على رضى الله عنه ، المعركة الأولى : قادها طلحة والزبير وعائشة ، وكانت فى الكوفة ، وانتهت بانتصار على ومقتل طلحة والزبير[٣] ، والمعركة الثانية : كانت بين على ومعاوية ؛ وكادت تنتهى بانتصار على لولا خدعه التحكيم التى تدل أبلغ الدلالة على تحول الخلق الإسلامى لبعض المسلمين إلى خلق السياسى يستعين بالدبلوماسية فى تحقيق المآرب دون التفات للمثل الأخلاقية والدينية[٤] ؛ ثم قتل على رضى الله عنه على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم ؛ ثم تنازل الحسن ابنه عن الخلافة لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين .

وانتهت بذلك أزمة الأمر لمعاوية عام ٤١ هـ الذى سمى عام الجماعة ، وتربع على عرش الخلافة بنو أمية ، وأما تطور الخلاف وتحوله إلى خلاف دينى فذلك موضوعنا القادم إن شاء الله .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٢٧ . (٢) للعلامة الأندلسى أبو بكر ابن العربى كتاب « العواصم من القواصم فى مواقف الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم » يرى فيه أن بعض هذه الاتهامات باطل ، وبعضها مبالغ فيه ، وهو يسير على هذا المنهج فى تبرير مواقف الصحابة الذين خاضوا الفتنة ، وهو جهد مشكور أزال الريب والشكوك التى قد تحوم حول أعلام الإسلام وحملة تراثه .

(٣) موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ (٤) موقعة صفين سنة ٣٧ هـ .

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧

فى أي مكان تجده يتألق ويزهو

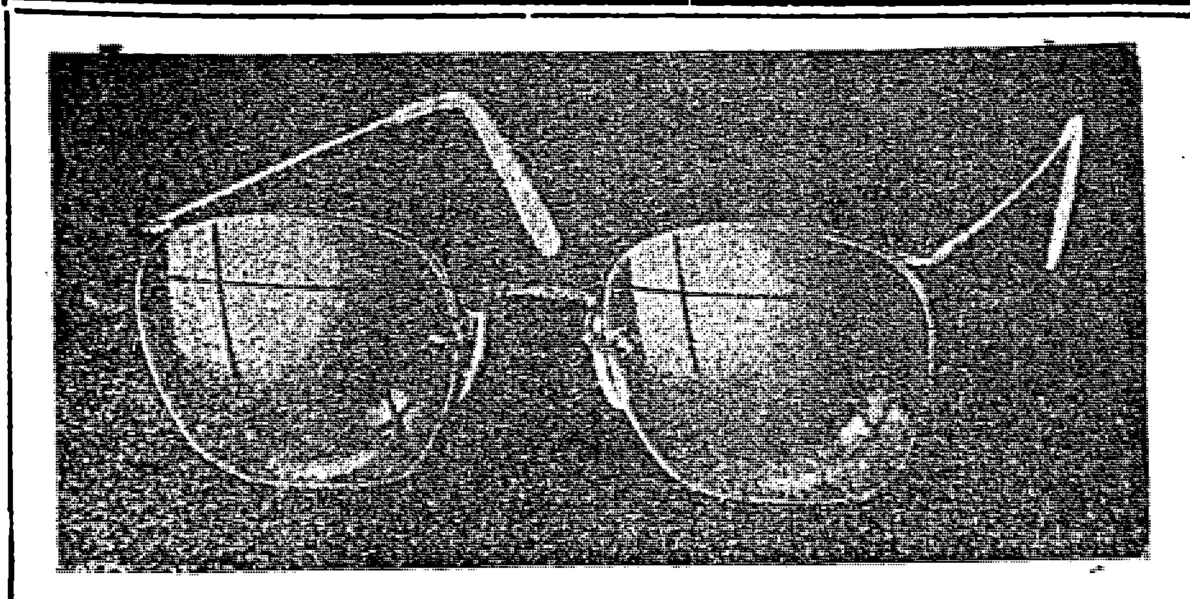


إنه الكرسي النموذجي

فى المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكى شارع الخديوى إسماعيل

حسن على حماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندى سجل تجارى ٤١١٠١



أحـــدث النظارات الرائعـة تجدها عند الأخصائى

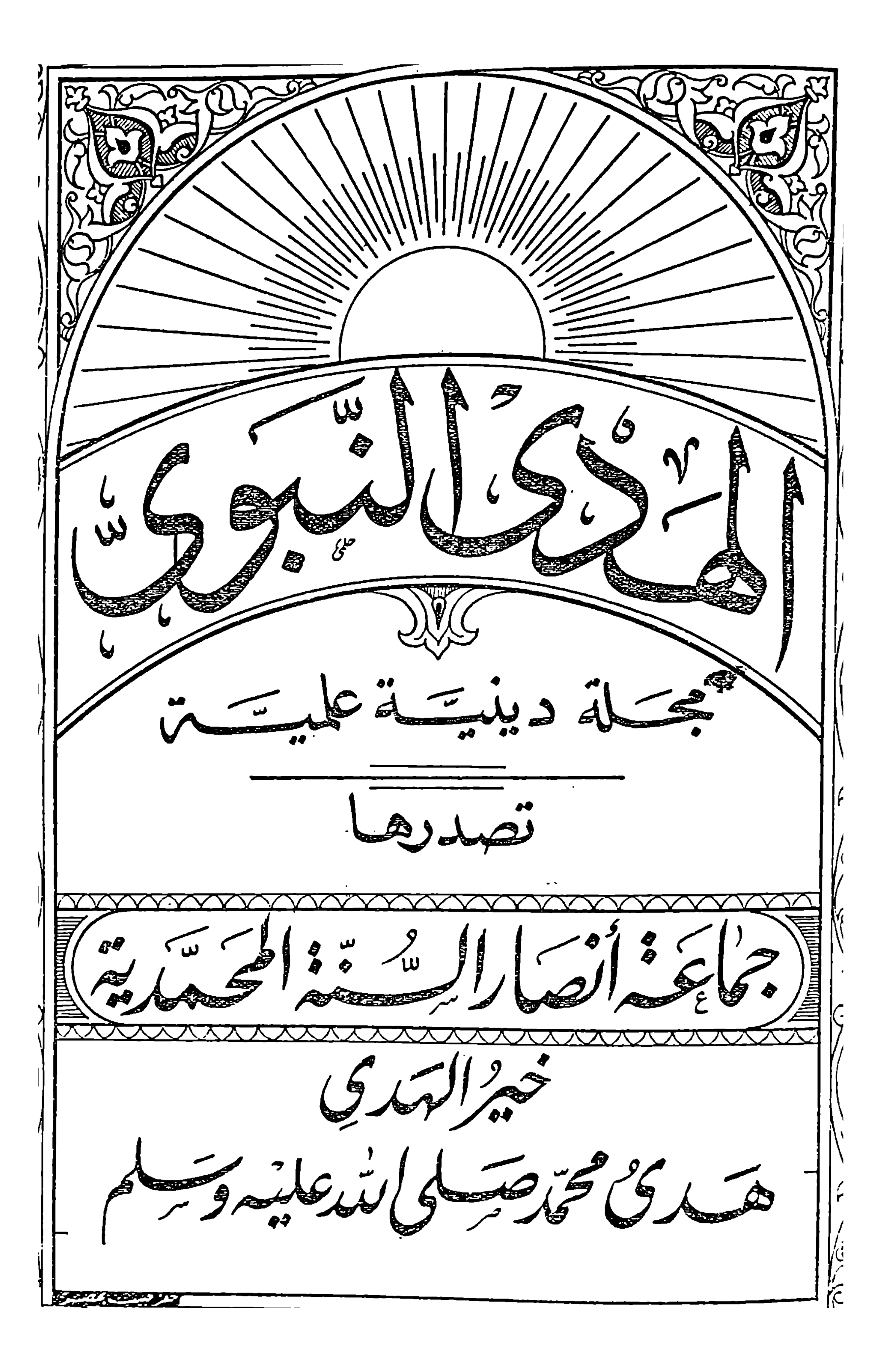
أحمد محمد خليـــــــــل

المصرى الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهرى

رقم ١ بميدان العتبة تليفون ٤١٢٦٢ س . ت ٢٣٤٥

مجموعة كبيرة من أحـــدث شنابر النظارات

عدسات من جميع الماركات العالمية . نظارات شمس . دقة . سرعة . أسعار فى متناول الجميع

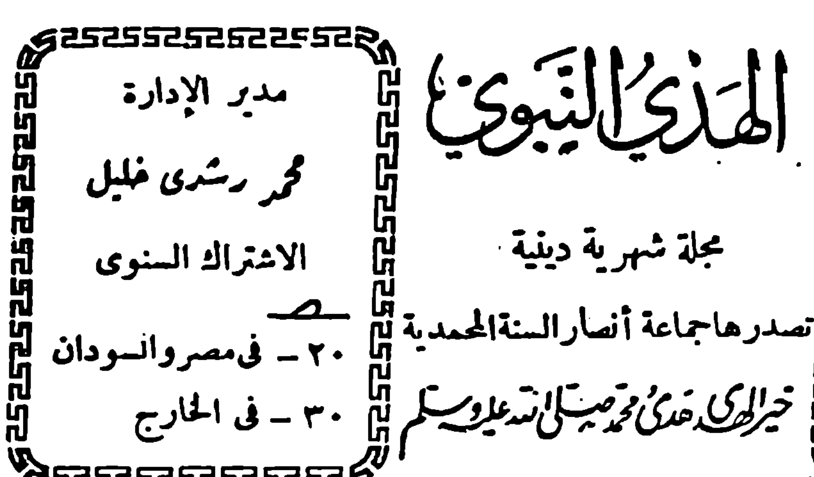

الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين لإرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين لإرسال مابعهدتهم . ولهم جميعاً الشكر



رئيس التحرير
محمد حامد الفقى
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٢٠ — فى مصر والسودان
٣٠ — فى الخارج

المجلد ٢٣ — ربيع الثانى سنة ١٣٧٨ — العدد ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ٩ ، ١٠ إن هذا القرآن يَهْدي لِلَّتِي هى أقومُ ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات : أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لايؤمنون بالآخرة : أعْتَدْنا لهم عذاباً أليما)

اسم « القرآن » من قولهم : قرأت الشيء : جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم « ماقرأتْ هذه الناقةُ سَلًى[1] قط » ، و « ماقرأت جنيناً قط » أى لم تضم رحمها على ولد . قال عمرو بن كلثوم :

ذراعَيْ عَيْطَلٍ ، أدْماء بِكْرٌ   هِجانُ اللون ، لم تقرأ جنينـا

يقول : لم تضم رحمها جنينا ، يعنى لم تحمل .

قال فى شرح القاموس : ومعنى « قرأت القرآن » لفظت به مجموعا ، أى ألقيته . وهو أحد قولى قطرب . وقال أبو إسحاق الزجاج فى تفسيره : يسمى كلام الله الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : كتابا ، وقرآنا ، وفرقانا . ومعنى « القرآن » الجمع . وسمى « قرآنا » لأنه يجمع السور ، فيضمها . وقوله تعالى (٧٥ : ١٧ إن علينا جمعه وقرآنه) أى جمعه وقراءته (٧٥ : ١٨ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى قراءته وقال ابن عباس رضى الله

---

(١) « السلى » الغشاء الذى يكون الجنين فيه .

عنهما : فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك . وروى عن الشافعى رحمه الله : أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين . وكان يقول « القران » اسم ، وليس بمهموز . ولم يؤخذ من « قرأت » ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل « التوراة » و « الإنجيل » ويهمز « قرأت » ولا يهمز « القران » وقال أبو بكر بن مجاهد المقرىء : كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز « القران » وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير . وقال ابن الأثير فى النهاية : تكرر فى الحديث ذكر « القراءة » و « الاقتراء » و « القارئ » و « القرآن » والأصل فى هذه اللفظة : الجمع . وكل شىء قرأته فقد جمعته . وسمى « القرآن » لأنه جمع القصص ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض . وهو مصدر كالفرقان . قال : وقد يطلق على الصلاة ، لأن فيها قراءة ، من تسمية الشىء باسم بعضه . وعلى القراءة نفسها . يقال : قرأ يقرأ قرآنا . وقد تحذف الهمزة تخفيفاً ، فيقال : قران ، وقريت ، وقار ، ونحو ذلك من التصريف . انتهى .

فنفهم من هذا : أن كتاب الله المنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، سمى « قرآنا » لأنه قد جمع الله فيه له ولأمته خلاصة الرسالات السابقة ، وزاده كل ما تحتاجه الإنسانية ـ لخيرها وصلاحها وأمنها وعافيتها ـ فى كل شئونها فى حياتها الباقية على الأرض وما سيحدث فيها من فنون وصنائع واختراعات ، وما يكشف الله لها من مكنوزات ومخبوءات تحت الأرض وفى أطباق الفضاء ، وما يكون من ذلك ـ بسنن الله فى طبائع الناس واختلاف ألسنتهم وألوانهم ، التى يجعل الله بها لكل فرد شخصيته المستقلة التى تأبى بالفطرة السليمة التقليد الأعمى ، وتحرص على كرامتها الإنسانية ، مقدرة لربها نعمته ، منتفعة بها ـ من تفاعلات فى النفوس وماينتج عنه من اضطرابات ، واختلافات وعلل فى المجتمعات ، وتبدل فى التفكير والنظر إلى الحياة ، وما تقوم عليه من أفراد وأعمال وشئون ، إلى أن تقوم الساعة ليتقى الناس ـ بما يعلمون من هذا القرآن ، وما يهديهم الله ـ ما يشقيهم وينغص حياتهم ، ويجلب عليهم الهم والحزن . ويسمون إلى ما يوفر لهم أسباب رحمة الله ورضوانه فيفوزوا بالفلاح والسعادة فى الأولى والأخرى ـ بالتعارف والائتلاف والتعاون على تحقيق الخير

للجماعة . لأن خير الفرد لايحصل على وجهه المحقق لسعادته إلا بأن يكون خيراً محققاً للجماعة فإن الفرد عضو فى جسم الجماعة الكل . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المسلمين ـ فى توادهم وتعاطفهم ـ كمثل الجسم ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » وقد أنزل الله تعالى العلاج المحقق لدرء شرور الخلاف ، وجعله فى الدائرة النافعة الصالحة فقال (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا) .

ولأنه قد جمع الله فيه كل علاج وشفاء للفرد والأسرة والمجتمع ، والدولة ، فى كل بقعة على وجه الأرض ، و بكل لون . من كل ما يحدث للناس بظلمهم لأنفسهم وجاهليتهم ، وتقاليدهم الغافلة الضالة ، من أى علة ومرض نفسى وخلقى ، يتخذه الشيطان وحزبه سبيلاً إلى إشقاء الإنسان وتنكيد عيشه ، وتنغيص حياته الأولى والأخرى .

ولأن الله ـ رب الإنسان ، ورب العالمين ، الذى خلق الإنسان و يعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ـ قد جمع فيه كل ما يغذى الإنسانية الكريمة ، و يربيها ، و يرفعها و يسمو بها إلى أعلى معارج الكمال الإنسانى ، الذى لا يكون إلا بسمو النفس وعلوها عن سفساف الأمور ، ورذائل الأهواء والشهوات . و يباعدها عن أسباب الانحطاط إلى الدرك الأسفل فى ظلمات الجهل والظلم ، وتغليب الظنون والسفه ، والأهواء وشهوات النفس الأمارة على الرشد والحكمة والعقل ، الذى تكون عاقبته التحاسد والتباغض ، ثم التقاطع والعداء ، ثم الحرب والشقاء ، فيكون الخسران الأكبر والحسرة الدائمة ، والندامة الملازمة .

قال الله تعالى : (١٢ : ١١١ ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال (١٤ : ١ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) وقال (١٦ : ٤٤ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) وقال (١٦ : ٦٤ وما أنزلنا عليك

الـكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال (١٦ : ٨٩ ونزلنا عليك الـكتاب تبياناً لـكل شىء ، وهدى ورحمة و بشرى للمسلمين) .

فقد جمع العليم الحكيم الرحمن الرحيم فيه كل مايحتاجه الإنسان ـ فى نفسه وفى الأسرة وفى المجتمع ـ من أسباب كرامته وقوته ، وفلاحه وحياته الطيبة الآمنة ، و بينه له ر به أوضح بيان ، وفصله أتم تفصيل وأكمله ، بحيث لا يحتاج أى إنسان فى أى بلد وأى زمن ـ إلى يوم القيامة ـ وبأى لون من الألوان ، ليفوز بهذه الحياة الآمنة لايخاف ولايحزن ، ولا يضل ولا يشقى ، إلا إلى الإيمان بهذا الـكتاب : أنه النور والهدى له من عند ر به ، وأن يفهمه الفهم العربى الصحيح الذى يعرف به مقاصده ، مستعيناً ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم المنزل عليه ليبينه للناس ، و يمكن لهم هذا البيان من التفـكر فيه وفى الآيات الـكونية ـ فى الأنفس والآفاق ـ فتستنير البصيرة و يصقل الفكر ، و يستقيم ميزان العقل ، و يؤتى الحـكمة . فيكون الإسلام له ، والإذعان والانقياد التام لهدايته وتوجيهه . ثم يكون الإحسان فى أخذ نعم الله بقوة وحزم على بصيرة نيرة ، ثم الإحســان بالصبر والوقوف مع حقائق النعم بالتثبت اليقظ ، الذى يحيط بجميع زواياها ونواحيها وخصائصها . ثم الإحسان فى وضعها على وجهها فى موضعها ، الذى أحبه الله ، فأنعم عليه بها لأجله . فيقيه الله فيها و بها ما يكره ، و يجنبه ما يخاف ، و يباعده عن الهم والحزن ، و يوفر له الطمأنينة وراحة البال ، والرضى والسـلام والعافية ، فى نفسه ودينه وماله وعرضه ومجتمعه . و يبلغ بذلك كل ما يرجو و يؤمل رشيداً يقظاً ، متحر ياً كل أسباب الفلاح ، على هدى ونور هذا الـكتاب الـكريم ، الذى فصل الله فيه كل شىء ، و بينه تبياناً أىّ تبيان ، فجعله آيات بينات ، و بيان رسوله الـكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى مارفعه الله إلى الرفيق الأعلى حتى أدى الأمانة حق الأداء ، و بلغ الرسالة أوضح وأقوى بلاغ ، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وهذه هى الطريق « التى هى أقوم » أى أكمل استقامة ، وأحق بأن يتحرى العاقل الناصح لنفسه معرفتها بنفسه و بفقهه ومعرفته معرفة صحيحة جيدة ، بمعالمها وآياتها وصواها ،

ويحرص على أن تكون كل خطوة فى سبيل الحياة عليها ، وأن تكون كل حواسه ومشاعره الإنسانية يقظة أشد اليقظة فى التثبت من ذلك ، وتجنب الزلل والميل عن الجادة القاصدة . حتى إذا ماغفل بعض الغفلة ،وأنساه الشيطان ذكر ربه، فاشتبهت عليه بعض المعالم والصوى : استيقظ عاجلا من غفلته ، وتنبه إلى أن الخطوة قد حادت عن الجادة ، مما وجد من الأثر والثمرة التى عرف بهدى الفطرة : أنها ليست هى المطلوبة من هذه الخطوة ، ومما سمع من واعظ الله وداعيه فى قلبه السليم ، وفى هذا القرآن الذى يهدى دائماً ، وفى كل خطوة ، إلى التى هى أقوم .

هذه هى الطريق « التى هى أقوم » وأقصد وأعدل وأحكم وأرشد ،كلما سعى فيها المؤمن الصادق الإيمان ، وجد من الهناء وسعادة العيش ما يملأ نفسه سروراً وفرحاً ، ويبدد من نفسه غياهب الخوف والحزن ، يجنى ذلك من ثمرات عمله الصالح الذى قام به وأداه ـ فى البيت والأسرة ، والمتجر والغيط ، وعلى مكتب العمل الحكومى أو غيره ، وفى المصنع ، ومع الأصدقاء ، وفى المسجد ـ بفقه وتدبر صحيح ، على يقين صادق ، وعلم صحيح ، اطمأنت إليه نفسه اليقظة النيرة بنور الفطرة وهداها ، والقائمة فى عملها ـ فى كل شأن وفى كل مكان ، قائماً وقاعداً ومضطجعاً ـ مقام العبودية لربها الرحمن الرحيم ، ترجو رحمته وتخاف غضبه . فحذر وحرص على أن اصطفى أصل عمله ونواته من بستان سنة صفوة الخلق ، وإمام المؤمنين المهتدين ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وسقاه من هدى الله ربه فى الفطرة ، وهدى العلم من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتوفيق والتثبت ، والحرص التام ـ فى أشد محبة وآكد خشوع ـ على شرف عبوديته لربه الرحمن الرحيم ، وشرف طاعته واتباعه لصفوة الخلق أجمعين . محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا أميناً ، وإماماً هادياً أنجح وأفلح هدى ، وقدوة أحسن وأكرم قدوة .

فيحقق الله بفضله ـ وإحسانه وشكره ـ له وعده الحق . ويجعل له من هذا العمل الصالح النافع ـ الذى أداه بعزم صادق ، وقوة فى نفسه وقلبه ، وعروج من روحه ويقين من

علمه ، وعبودية صادقة من كل نفسه ، يشعر أنه طريق فلاحه وفوزه لكل مايحب ويرجو ، قد آتاه الله من فضله ثمراته الطيبة ـ : فلاحاً وعزة وسمواً على درجات الكرامة الإنسانية ـ ـ غذاء طيباً جديداً نافعاً أحسن النفع لقلبه ولُبِّه الإنساني الكريم ، الفكر الواعي المتدبر المتأمل في خلق نفسه وخلق السموات والأرض ، فيكبر قلبه ، ويتسع ويصفو فكره ، وتزداد فطرته وبصيرته نوراً على نور ، ويزداد عقله رشداً وميزانه حكمة ، وتدنو له ثمار القرآن الكريمة ، فيجنى منها ما يزيده فقهاً وعلما صحيحاً ، وإيماناً وهدى ونوراً .

وحينئذ يتجلى له معنى كلمة « قرآن » فيعرف أن الله العزيز الحميد قد جمع له في هذا الكتاب (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) كل مايهديه إلى ما يسعده ، ويصل به في كل خطوة إلى قصد السبيل ، التي لا يضل سالكها ، ولا يشقى من يسعى فيها إلى غاياته وعاقبته المرجوة ، ويعطيه الله في كل خطوة منه الفلاح والأمن والعافية . (١٧ : ٨٢ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) (٤١ : ٤٤ قل : هو للذين آمنوا هدًى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقرٌ وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) .

فيتجلى له معنى آخر ، مع الأول : أنه الكتاب الذي ينبغي له أن يجعل تلاوته وتدبره وفهمه هِجِّيراه ، فإنه كلما تلا آية دعته ـ بعذوبة لفظها ، وبليغ معناها ، ورشيد هداها ، وطيب غذائها ، ونافع شفائها ـ إلى أختها التي تليها ، ثم تدعوه السورة كذلك إلى أخواتها ، ثم يجد نفسه ـ المؤمنة الرشيدة اليقظة ـ راغبة أشد الرغبة في الاستزادة من طيباته ، والعود إليه مرة أخرى . لأنها أفادت من الثانية علماً جديداً وإيماناً جديداً ، وأدباً جديداً ، وهدى جديداً ، ونمياً جديداً . فيعود وقد وجد أنه يدنو من الفواكه الطيبة في كل مرة ، وأنها تتدلى له ، وأنه يجد منها جديداً طيباً نافعاً غذاء وشفاء ، وقوة وعافية ، فتبقى إنسانيته المفكرة المميزة الرشيدة في نمو وكمال دائم ، ولُبُّه وقلبه السليم أبدا متنقلا في رياض جنات القرآن ونعيمها المقيم لا يشبع منه ، ولا يفارقه ولا يرضى عنه بديلا ، حتى يلقى ربه ، فيقول له « اقرأ وارْقَ ، اقرأ وارق » .

فهو « قرآن » جامع لـكل الخيرات والطيبات ، و « قرآن » داع بنفسه لاستدامة تلاوته وفهمه وتدبره ، تغذية للب والروح ولمداواتهما به أبداً ، وفى كل شأن ، وفى كل حركة ، فيكون مع الله منزله هدى ورحمة و بشرى للمسلمين (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث ، كتاباً متشابها مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم . ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء . ومن يضلل الله فما له من هاد) (٨ : ٢ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً . وعلى ربهم يتوكلون) (٥ : ١٥ ، ١٦ قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، و يهديهم إلى صراط مستقيم) (٣٨ : ٢٩ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب) .

* * *

وقوله « وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً » .

قد يفهم أكثر الناس : أن « الآخرة » هى الحياة التى تـكون بعد البعث. وفى طبيعة الإنسان حب الحياة ، والحرص على طولها ، وأكثر الناس أخلدوا ـ بالتقليد الجاهلى الأعمى ـ إلى أرض البهيمية بأهوائها الضالة ، وشهواتها الجامحة ، وغفلتها الغافلة ، وظنونها الآثمة ، وأمانيها الـكاذبة فاهتموا لحياة الحيوان السافلة ، وغفلوا عن حيـاة الإنسان الـكريمة السامية ، وتمادى هذا بهم حتى ركزوا كل اهتمامهم وتفـكيرهم وسعيهم وكدحهم لحياة الحيوان ، فى إشبـاع البطون والفروج ، ثم تحـكمت فيهم ، وغلب سلطانها عليهم ، حتى شغلت عقولهم وكل تفـكيرهم ، فتعلموا بها ولها ومن أجلها ، حتى علوم دينهم ، وعملوا بها ولها ومن أجلها ، حتى عباداتهم وأعمالهم التى يعملونها باسم الدين . فهزلت إنسانيتهم ، ثم اعتلت ومرضت ، ثم ماتت وتحجرت فـكانوا من الهالـكين .

وكان من ثمرات ذلك ـ ولا بد ـ أن تطول آمالهم فى هذه الحياة ، وأن تبعد فى نظرهم البهيمى المـادى القاصر الحياة التى بعد البعث ، و بوسع الأمل الطويل ـ فى الحياة الدنيا ومتعها وزينتها الزائفة ، وشهواتها الطائشة ، ومطامعها الشرهة ـ المسافة بينهم و بين الحياة

الآخرة التى بعد البعث ، بل وسع طول الأمل الكاذب المسافة بينهم و بين الموت وحسابه القبر وما فيه من الحياة البرزخية ونعيمها وعذابها .

فدخلت شياطين الإنس والجن إلى قلوبهم الميتة القاسية فى هذه المسافة البعيدة الاتساع ، وعملت بالخرافات والتقاليد الجاهلية ، والأمانى الكاذبة ، والغرور والأوهام ـ التى هى أثر حتمى من آثار الدين التقليدى الجاهلى ـ حتى قطعت الصلة تماماً بينهم و بين الحياة الآخرة التى بعد البعث من القبور ـ الحياة الحقيقية التى وصفها الله ووصف ما سيكون فيها من سؤال وحساب وجزاء عادل العدل المطلق بقوله الحق (٢١ : ٤٧ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فلاتظلم نفس شيئاً . و إن كان مثقال حبة من خردل: أتينا بها . وكفى بنا حاسبين) وبقوله (٣: ٣٠ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا . وماعملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمداً بعيداً . و يحذركم الله نفسه . والله رءوف بالعباد) و بقوله (٢ : ١٢٣ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً . ولا يقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة . ولاهم ينصرون) و بقوله (٧٠ : ١٠ـ١٥ ولا يسأل حميم حميا . يُبَصَّرُونهم . يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبته وأخيه . وفصيلته التى تؤويه . ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا) وقوله (٥٣ :٣٨ـ٤١ ألاّ تزِرُ وازرة وِزْرَ أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يُرى . ثم يُجزاه الجزاء الأوفى) وقوله (٨٠ : ٣٣ ـ ٣٧ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته و بنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) و بقوله (٨٢ : ١٧ ـ ١٩ وما أدراك ما يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين ؟ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . والأمر يومئذ لله) (٢ :١٦٥ـ ١٦٧ ولو يرى الذين ظلموا إذا يرون العذاب ـ أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ، ورأوُا العذاب . وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبَعُوا : لو أن لنا كَرَّة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وماهم بخارجين من النار) (٦ : ٢٢ ـ ٢٤ و يوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للذين أشركوا : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم . وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٦: ٩٣ ، ٩٤ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة

باسطوا أيديهم : أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء . لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) .

والقرآن كله — بل جميع الرسل وكل الكتب والرسالات المنزلة — إنما جاءت من عند الله لتعريف الناس هذه الحياة الآخرة فى يوم الدين والجزاء ، وتبصيرهم وهدايتهم السبيل القاصد الذى يصل بهم إلى جناتها ونعيمها الدائم ، ويجنبهم طريق المغضوب عليهم والضالين الذى يصل بسالكيه — ولا بد — إلى عقابها الشديد وعذابها الأليم ، ونارها التي وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وأنه ليس إلى هذه الحياة الآخرة — بجناتها ونارها ونعيمها وعذابها — سبيل إلا هذه الحياة الدنيا ، التى يتجر فيها وبها الناس ، ويكسبون ما يجعلهم من المفلحين الفائزين بجناتها ونعيمها وسرورها وحبورها ، الذى تبيض له وبه وجوههم ، أو يكسبون ما يجعلهم من الخائبين الخاسرين ، الدائمى الحسرة والندامة ، الذين لا محل لهم فيها ، ولاجزاء إلا العذاب الأليم الدائم ، والخزى الذى تسود به وجوههم .

* * *

وكان أول وأفظع وأشنع ما كاد به شياطين الإنس والجن الناس ، حتى جهلوا حقيقة يوم الدين والجزاء : هو صرفهم بالدين التقليدى الجاهلى الأعمى عن الاستضاءة بنور الرسالات والاهتداء بهداها ، الذين لا يمكن أن يتحقق على وجهه الصحيح إلا بفهم نصوص الرسالة والرجوع إلى مصادرها المنزلة من عند الله رب الناس ، وإلى بيان الرسول الذى أنزلت عليه . وأمره الله ببيانها للناس ، وهو أعرف بها ، وأحرص على العمل بها واتباعها .

وهذه المصادر هى التى يشع منها نور العلم الصحيح ، ليعرف المهتدى بهداها الحق فى كل شىء — فى نفسه وفى الآفاق — وكلما قوى الإيمان بأنها الهدى الحق من عند الله ، واشتدت وتوثقت أواصر الاتصال بها ، وقوى فى النفس الحرص على الأخذ لنصوصها والجد فى أخذها ، والحرص على الفهم والفقه لها ، ومعرفة مراد الله منها : كلما قوى نور هدى

الفطرة،وازداد نور العلم والفقه إشعاعاً واتساعا،وكلما كان التأهل لإرادة الله الخير للعبد ، ففقهه في دينه ، وزاده بصيرة وهدى ورشداً وحكمة في كل أمره ، وثباتاً وسداداً ، واستقامة بالحق وعلى الحق في كل شيء ، وفي كل عمل ، وعلى كل حال . فيصبغ الله نفسه وروحه وقلبه وأدبه وخلقه وكل تصرفاته بصبغته التي لا تحول (٢ : ١٣٨ صبغة الله . ومن أحسن من الله صبغة ؟)

وحينئذ يكون « البرّ » الثمرة المباركة الطيبة ، الذي لن يكون أبدا ثمرة للدين الجاهلي التقليدي الأثيم ، الذي لايقوم إلا على التقليـد الأعمى للآباء والشيوخ ، وعلى الخرافات والعقائد الوثنية والتقاليد والبدع والظنون الجاهلية ، والأوهام والأماني الكاذبة (٢:١٨٧ ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب . ولكن البر : من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . وآتَي المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأسا والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) اللهم اجعلنا من هؤلاء الصادقين المتقين بفضلك ورحمتك و إحسانك يا أرحم الراحمين .

* * *

ولقد نجح أعداء الرسل ــ أعداء الإنسانية ــ من شياطين الإنس والجن في كل أمة ، في محاربة رسالات الله لهدى الإنسانية ، وفلاحها وراحتها وأمنهـا في حياتها الأولى ، وسعادتها وفوزها برضوان الله ونعيم الجنات في الحياة الآخرة في القبر و بعد البعث والنشور ، بما أوحوا من زخرف القول وغروره ، فأصغى إليهم أكثر الناس ، حينما انسلخوا ــ بالتقليد الأعمى ــ من آيات ربهم ، وأخلدوا إلى أرض البهيمية وظلمها وظلماتها ؛ إذ ذهبوا ــ في ظلمات هـذا التقليد ــ ينصاعون في غباوة إلى ما يوسوس به و يزوره . أولئك الشياطين ، فيتخذون من دون الله قُرباناً آلهة من أوليائهم ، يحبونهم كحب الله ، و يخافونهم كخوفه ، و يعطونهم من القداسة الذاتية ماجعلهم يقدمون طاعتهم على طاعة الله ، و يقدمون أقوالهم التي لايقبلها إلا عقولهم البهيمية . و يسلكون طرقاً لايرضى سلوكها إلا المقلدون الذين ضرب الله لهم المثل ــ الذي يعقله العالمون و يتقون أشد التقوى أن ينطبق عليهم ــ (٢:١٧١ كمثل

الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . صم بكم عمى . فهم لايعقلون) فاتخذوا الموتى من دون الله أنداداً ، وزعم لهم أولياؤهم ـ من شياطين الإنس والجن ـ أنهم يستجيبون للداعى إذا دعاهم ، ويقضون كل حاجة يطلبها القريب والبعيد منهم ، وأنهم بعد الموت أقدر منهم على ذلك وهم أحياء ، وأنهم شركاء لله فى تدبير أمر الدنيا والآخرة ، وأن ربهم يعطى وليهم من الحياة الدائمة كحياة الله ، والقدرة التامة كقدرة الله ، والبطش الشديد كبطش الله ، وعلى الجملة يعتقدون أن كل ماللرب من صفات ، فإنها لوليهم الذى مات وغسلوه وكفنوه ودفنوه ، وأهالوا عليه التراب ، وأحكموا سد قبره ، لئلا يؤذيهم ريح رمته ، ومن ثم عبدوهم كما يعبد الله ، فاتخذوهم وسائط وشفعاء فى الدنيا والآخرة . وقد تغلغلت هذه العقائد الوثنية فى نفوس المقلدين من كل أمة ، وفى كل زمان ، بما يروج لها شياطين الإنس والجن فى كل أمة ـ من يوم نوح إلى اليوم ـ من بناء المساجد لقبورهم وبناء القباب وتشييد المقاصير عليها ، واتخاذها أعياداً و إقامة الأعياد والموالد الشركية ، يأفكون فيها ولها من الزور ، والإفك العظيم مايزعمونه للدهماء كرامات ، وينسكون فيها ولها مثل ماينسك المؤمنون فى حج بيت الله ويهتمون لها وبها أكثر مما يهتمون لبيت الله (١٦ : ٥٦ ويجعلون لما لايعلمون نصيباً رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون) (٢٢ : ٣٠ ، ٣١ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا مايتلى عليكم . فاجتنبوا الرجس من الأوثان . واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به . ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريحُ فى مكان سحيق) (٤٢ : ٦٧ ـ ٧٤ لكل أُمَّة جعلنا مَنسكاً هم ناسكوه . فلاينازِعُنَّكَ فى الأمر . وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك ، فقل : الله أعلم بماتعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ـ إلى قوله ـ ويعبدون من دون الله مالم يُنَزِّلْ به سلطاناً ، وما ليس لهم به علم . وما للظالمين من نصير ـ إلى قوله ـ ما قدرُ الله حقَّ قدره ، إن الله لقوى عزيز) (١٠ : ١٧ ، ١٩ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو كذب بآياته ؟ إنه لا يفلح المجرمون ، ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤُلاء شفعاؤُنا عند الله . قل : أتنبئُون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون . وما كان الناس

إلا أمة واحدة) (٣٩ : ٣ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدى من هو كاذبٌ كفار) .

وكم تسمع منهم ، وتقرأ لهم فى منـاقب أوليائهم وكراماتهم : هذا القطب الذى جاء بالأسرى من بلاد الـكفر بحديدهم . وها هم يسيرون فى موكب المولد فى ركب الخليفة . هذا الذى ضمن له النبى أن يموت كل من حضر مولده ـ مهما أتى من فاحشة ومنكر ـ على توبة نصوح . هذا الذى حمل أمه وهو رضيع على صدرها ، فطاف بها السموات والأرض ، وأطلعها على الجنة والنـار ، وقال : إنى قادر أن أطفىء النار . . . . هذا الذى لجأت إلى قبره امرأة خطف التمساح رضيعها ، وذهب به فى أعماق النيل البعيدة ، فأخرج لهـا ولدها من بطن التمساح حياً ، وجاءها به وما كادت تفرغ من شكواها حتى وجدته بين يديها بجوار النصب « المقصورة » . هذه الولية التى ترؤس ديوان الأوليـاء ، الذين يدبرون أمر الناس والخلق ، وصاحبة الشورى التى لا يبرم أمر فى السماء والأرض إلا بمشورتها ، هذا الولى الذى قال :

إذا كنت فى هم وغم فنادنى ... أيا فلان ، أنجيك من كل شدة

هذا الولى الذى قال : كل من كانت له حاجة ـ أى حاجة ـ فليأت قبرى ، ويسألنى إياها ، أقضيها له . فإن الرجل كل الرجل هو الذى لا يحول بينه و بين قاصديه ذراع من التراب . هذا الولي الذى يجلس يوم القيامة على العرش مع ربهم ، ويأمر بمريديه إلى الجنة ، بلاسؤال ولاحساب . هذا أحد الأقطاب الذين يتصرفون فى الكون و يدبرونه

فأما الكرامات الفردية ـ من قضاء الحاجات ، وتفريج الكروب ، وشفاء المرضى ، و إحبال العقيم ، و إهلاك حرث ونسل من لم يف بالنذر ، ونفخ بطن ، وقصم ظهر من اعترض ، أو من حلف بالله صادقاً ، وحاف بالولى كاذباً ـ فذلك لا يحصيه العد ، وكل كتبهم ، و بالأخص كتب عبد الوهاب الشعرانى بحار تموج بهذا الإفك والرجس الأثيم .

ففى كتاب « لواقح الأنوار القدسية ، فى العهود المحمدية » الذى يقول فى مقدمته : ضمنته جميع العهود التى بلغتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل المأمورات وترك المنهيات ... فأخذتنى الغيرة الإيمانية عليهم ـ على الذين شغلوا بالتفتيش على ما نقص من

دنياهم عن التفتيش على ماتقص من أمور دينهم ــ وعلى دينهم . فوضعت لهم هذا الكتاب المنبه لكل إنسان على ماتقص من أمور دينه .

قال ــ تحت عنوان (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد لوقوف عرفة الخ) بعد أن ذكر حكاية الخواص : أن أحد علماء مصر أخبر سيده علي الخواص : أنه يريد الحج فنهاه وقال له : ستمقت . فلما وصل مكة ، وكان فى صلاة الجمعة : رأى أن العدد غير محقق لشرط صحة الجمعة عند الشافعية ــ وهو الأربعون رجلا مقيما ــ فنادى فى الناس : إن الجمعة باطلة . فلما عاد من الحج أخبره الخواص : أنه قد مقت ، ورأى على وجهه المقت الذى عرفه سيده علي الخواص من الأقطاب والأولياء من رجال الغيب الذين كانوا حاضرين لأن لله رجالاً يسمعون كلام من بينهم و بينه مسيرة ثلاثين ألف سنة . وذكر الشعرانى : أنه كان يسمع كلام من فى أقطار الأرض من الهند والصين وغيرها . قال : حتى كنت أسمع كلام السمك فى البحار المحيطة . ثم ذكر حكاية عن سيده يوسف الحريثى ملخصها : أن مجلس الأقطاب عقد خلف مقام إبراهيم بالحرم . ثم ولّى مكان من مات من الأوتاد واحداً آخر اسمه حسن الخلبوص ــ والخلبوص الذى يتخذه الناس سخرية و يضحكون منه ــ وأن سيده يوسف لما رجع من الحج ذهب يبحث عن هذا الولى العظيم فوجده فى محل المومسات ، وقد ركبته عاهرة وأخذت تضربه على قفاه . ثم حكاية عن سيده علي الخواص : أن أصحاب الحاجات ــ وما أكثرهم ــ كانوا حين يطلبون إليه قضاء حاجاتهم ، يأمرهم أن يذهبوا يوم الأربعاء إلى مسجد الملك الظاهر فى صلاة العصر ، وأن يسقوا شجرة النبق التى فيه ، ويقولوا : يا أولياء الله اقضوا حاجتى ، تقضى حاجتكم ، وأن أحد العلماء أنكر ذلك ، وقال : إيش خلّى هذا لعباد الأوثان ؟ فحل به المقت لإنكاره عبادة الأوثان . ثم ذكر عن شيخه الخواص : إن لله رجالا إذا سلموا على العصاة أمن الله العصاة من غضبه وعذابه ، ورجالا يسقون الناس الماء على الطرقات . فكل من مر بهم وشرب منهم ملأوه مدداً . ولله رجالا يحملون عن الناس مايقدره الله عليهم من المحن والبلايا قبل أن تنزل . وكان الشعرانى منهم . ثم ذكر أن أولياءهم إنما يكونون من ذوى المنزلة الحقيرة السافلة فى المجتمع ، كصبيان الحواة والقرداتية والحشاشين ،

ومن إليهم . وذكر دليلاً على ذلك : أن سيده محمد بن هرون ـ الذى كان يعلم مافى أصلاب الرجال . لأنه أخبر بسيده إبراهيم الدسوقي وهو فى ظهر أبيه ـ أنه اعترض على طفل كان يفلى ثوبه مادا رجليه فى طريق الشيخ . لأنه لم يلتفت إلى الشيخ ولم يقبض رجليه، والناس جميعاً يقومون له ويقبلون يديه . فسلبه هذا الصبى إيمانه وعلمه . فرجع يستغفر الصبى فلم يجده . ثم ذهب يبحث عنه مطوفا فى البلاد البعيدة ـ من الاسكندرية إلى القاهرة ـ حتى وجده فى الرميلة ـ ميدان قَرَهْ ميدان بالمنشية ـ مع أستاذه القرداتى . فما زال يرجوه حتى قال له : اذهب إلى الموضع الذى كنت أفلى ثوبى فيه . وناد : يا فلانة ، تخرج لك سحلية من الشق ، فتقول لها : بأمارة ماوضع لك قريعزار لباب الخبز على باب الشق ردى لى حالى ففعل . فنفخت فى الشيخ وردت إليه إيمانه وعلمه . ثم حكى : أن الشيخ سراج الدين البلقينى ـ الإمام الجليل ـ اعترض على حشاش كان يبيع الحشيش فى باب اللوق ، فسلبه إيمانه وعلمه . حتى الفاتحة وبقى ثلاثة أيام لا يعرف شيئاً ، حتى جاءه فقير وقال له : اذهب استغفر الحشاش ، فاشترط عليه الحشاش : أن يذبح أربعة خرفان سمينة ويشويها ويأتى بأربعمائة رغيف ، ويجلس بجوار بائع الحشيش وكلما باع قطعة حشيش أعطى المشترى رطلا ورغيفاً . فلما فرغ من توزيع اللحم والخبز قال له الحشاش : اذهب إلى سطح مدرستك تجد ديكا اذبحه وخذ قلبه . فقد وضعنا علمك فيه . ففعل الشيخ . فعاد إليه إيمانه وعلمه . وتاب من الاعتراض على الحشاشين . وحكى حكايات أخرى من هذا اللون البديع ، ثم قال ـ وما أشنع وأرجس وأفظع ما قال ـ إن الله أعطى أرباب الأحوال فى هذه الدار : التقديم والتأخير ، والولاية والعزل ، والقهر والتحكم على الله ، الذى هو الإدلال عليه ، ونفوذ الأمر فى كل ما أرادوه فإياكم والإنكار على أحد منهم . انتهى (ج ١ ص ٩٣ ـ ٩٧) .

هذا . وأنت تعرف يا أخى منزلة عبد الوهاب الشعرانى ، ومنزلة كتبه ، ومنزلة سلفه وخلفه ، فى قلوب أكثر الناس ، وأنهم يدينون بكل ما يقولون ويوحون من هذا الإفك الذى قتل الإنسانية ومقوماتها ـ من العقل والفكر والتمييز ـ فأصبحوا كما قال الله ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ (٧ : ١٧٩ لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها . ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) وقال (٢٥ : ٤٤

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ، أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام . بل هم أضل سبيلا)
فهم مهما قرأوا القرآن أو سمعوه ، لا يزيدهم إلا ضلالا وخساراً ، لأنهم إنما يقرءون
و يسمعون ، وعلى قلوبهم أكنة وحجب من هذا الزور والإفك الذى ملك قلوبهم . وهو
أبداً يناجيها ، و يحول بينها و بين هدى القرآن ومقاصده . فهم كما قال الله (١٧ : ٤٥-٤٧
و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا . وجعلنا
على قلوبهم أكِنَّةً أن يفقهوه ، وفى آذانهم وَقْراً ، وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده :
وَلَّوْا على أدبارهم نفورا . نحن أعلم بما يستمعون به . إذ يستمعون إليك ، و إذ هم نَجْوَى)
أى تناجيهم تلك العقائد والمعلومات الشركية الخرافية من قلوبهم التى ملكتها ونفذ سلطانها
فيها ، فتقول لهم : هذا كلام عن المشركين والكافرين الماضين ، إذ كانوا يعبدون
حجارة . أما نحن فإن نتخذ أولياءنا من عباد الله الصالحين ، شفعاء ووسائط عند الله ، حباً
لهم وتعظيما و إكراماً . وعلماً يقينيا بأن الله يحبهم و يقبل وساطتهم ، كشأن كل ذى سلطان
مع حِبِّه ووليه . يضربون لله الأمثال بخلقه لأنهم يعتقدون أنهم النور الفائض من الله .
فهم بذلك الفيض : ولَدَ الله كما قال عنهم (١٨ : ٤ ويُنْذِر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ،
ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً)
(١٦ : ٧٣ ، ٧٤ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً
ولا يستطيعون . فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) وسبحان الله ربنا
وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا الذى قتل عقول أكثر الناس ، وقضى على ميزة الإنسانية فيهم ، من التفكر
والتأمل والفهم للأمور بأنفسهم ، وجعلهم أضل من الأنعام سبيلاً ، بل جعلهم موتى
فى صور الأحياء ، كما قال الله تعالى (٥٧ : ٨٠ ، ٨١ و ٣٠ : ٥٢ ، ٥٣ إنك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء ، إذا وَلَّوْا مدبرين ، وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم ، إن تسمع
إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) والآيات هنا هى الآيات الكونية فى الأنفس والآفاق ،
وأهمها الميزة التى كرم الله بها الإنسانية - من الفهم والعقل والتفكر والتمييز التى بها يقدر

الإنسان العواقب والآخرة ـ والتقليد الجاهلي تكذيب بهذه الآيات وكفر بها ، وخسران لها ، والتقليد الأعمى ـ هذا القتل للإنسانية المميزة المفكرة العاقلة : هو الذى خدعهم الشيطان به ، وصور لهم فى ظلماته للحياة الآخرة بعد البعث ـ كما عكس كل الحقائق فى تصوراتهم فأصبحت كلها وهما وباطلا ـ صورة وهمية خرافية لا حقيقة لها بمقتضى الواقع ، ولا بمقتضى سنن الله التى لا تتبدل فى أنفسهم ، وفى الآفاق ، ولا بمقتضى أسماء الله وصفاته ، ولا بمقتضى شرائعه ورسالاته . ثم هون عليهم الشيطان : أن ينطلقوا وراء البهيمية الغافلة ـ فى عمايات هذه الأوهام والاباطيل وغمراتها ـ يخوضوا بحور الشرك والفسوق والعصيان والآثام المنكرة والفواحش الفاجرة . فَيَشْقَوْن بذلك أشد الشقاء فى الأولى والآخرة .

ولو أنهم عرفوا أن « الآخرة » هى الحالة التالية للتى هم فيها ، والتى هى « الدنيا » أى القريبة ، أو الدنية ـ بمعنى الحقيرة : ـ لكانوا يتبصرون ويبحثون كل حالة فى كل حركة وسكنة ، ويعرفون ماذا أعطاهم الله منها ثوابًا عاد عليهم ، فيعرفون : هل هو من الحسنى أو من السوأى ؟ فيتداركون تفريطهم فى أمرهم أولا فأول ، ويتحرون الصواب والحق فى كل خطوة ، فكانوا من المنيبين التوابين المتطهرين . حتى إذا ما انتهت به هذه الخطوات إلى القبر ، ثم إلى ما بعد البعث والنشور : وجدوا ما عملوا من خير كثير عظيم صالح محضرا ، فكانوا من المحسنين الفائزين المصلحين سعداء الأولى والأخرى .

أسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يوفقنا للعلم النافع الذى يصلح به قلوبنا وأعمالنا وأخلاقنا وأن يتم لنا نورنا الذى قبسناه من هدى نبينا محمد . صلى الله عليه وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان ، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وبقية الخلفاء الراشدين ، والعشرة المبشرين المكرمين ، والأئمة المهتدين إلى يوم الدين ـ وسلم تسليما كثيراً ؟

وكتبه أسير ذنوبه وأخطائه ، وفقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقي

مقام إبراهيم

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف ؟

بقلم

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

أمين مكتبة الحرم المكي

(٣)

تمحيص هذه الأقوال

قد يُنتصر للأول بأن عمر رضى الله عنه ، لم يكن ليخالف النبي صلى الله عليه وسلم .

وما معنى تقدير المطلب وتحرى عمر ؟

فالظاهر : أن المقام لم يزل بموضعه اليوم . فقدره المطلب منه . فذهب به السيل . وطمس موضعه . فجُعل بجنب الكعبة حتى يقدم عمر فقدم وتحرَّى وردَّه حيث كان .

وكأن هذه القضية بلغت بعض الناس مجملة ـ أنه كان بجنب الكعبة ، وأن عمر نقله إلى موضعه اليوم ـ فتوهموا أنه كان بجنب الكعبة منذ قديم . فراحوا يخبرون بذلك .

* * *

و ينتصر للثانى بأن أولئك الأئمة لم يكونوا ليتوهموا بدون أصل ، فلعل النبي صلى الله عليه وسلم حوَّل المقام أخيراً ، ولم يبلغهم ذلك . وثبت عندهم أنه قد كان فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم بجنب الكعبة فاستصحبوا ذلك والباقى كما مر .

* * *

و ينتصر للثالث بأنه قد يقع من عمر رضى الله عنه ماهو فى الصورة مخالفة ، وهو فى

الحقيقة موافقة بالنظر إلى مقاصد الشرع ، واختلاف الأحوال . وقد يخفى علينا وجه ذلك ، ولكننا نعلم أن الصحابة رضى الله عنهم لايجمعون إلا على حق .

وتقدير المطالب ، وتحرّى عمر ــ إن صح ــ فقد يخفَى علينا سببه .

وإذا كان ذلك محتملا ، فليس لنا أن نجعل جهلنا به حجة على توهيم أولئك الأئمة . وهم هم . ومنهم : عطاء وقدَمه ، وفضل علمه بالمناسك ، ومجاهد وقدمه ، وفضل علمه بالتفسير ، ومالك ، وابن عيينة . وهما هما .

ولم تكن قضية المطلب لتخفَى على أئمة مكة ــ عطاء ، ومجاهد ، وابن عيينة ــ بل قد ذكرها الأخيران فيما روى عنهما ، والمخالف لهؤلاء ليس مثلهم ، ولا قريباً منهم . فهو أحق بالوهم .

* * *

أقول : قد أغنانا الله ــ وله الحمد ــ عن هذا الضرب من الاحتجاج بثبوت النقل عمن لايمكن أن يظن به التوهم .

أخرج البيهقى من طريق أبى ثابت ــ وهو محمد بن عبيد الله المدنى ، ثقة من شيوخ البخارى فى صحيحه ــ عن الدراوردى عن هشام بن عروة عن عائشة رضى الله عنها « أن المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزمان أبى بكر رضى الله عنه ، ملتصقاً بالبيت ، ثم أخّره عمر رضى الله عنه »

ذكره ابن كثير فى تفسيره بسند البيهقى . ورجالُه ثقات .

وقال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح .

وذكره ابن حجر فى الفتح . وقال : بسند قوى .

وذكر الفاسى فى شفاء الغرام : أن الفاكهى روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب . قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال عبد العزيز : أراه عن عائشة « أن المقام كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى سقع البيت » .

يعقوب بن حميد متكلَّم فيه . ووثقه بعضهم . والاعتماد على حديث أبى ثابت .

وقال البخارى فى صحيحه فى أبواب القبلة « باب قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ثم ذكر حديث ابن عمر رضى الله عنهما لما سئل عن رجل طاف بالبيت للعمرة ولم يطف بين الصفا والمروة ، أيأتى امرأته ؟ فقال « قدم النبى صلى الله عليه وسلم . فطاف بالبيت سبعا . وصلى خلف المقام ركعتين . وطاف بين الصفا والمروة ـ الحديث » .

ثم حديث ابن عمر وحديث ابن عباس رضى الله عنهم فى دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة .

وفى الأول « ثم خرج فصلى فى وجه الكعبة ركعتين » .

وفى الثانى « فلما خرج ركع ركعتين فى قُبل الكعبة . وقال : هذه القبلة » .

والقدوم الذى ذكره ابن عمر فى حديثه الأول : كان فى عمرة . لأن ابن عمر أجاب به السائل عن العمرة ، وأراها عمرة القضية .

وفى المسند (ج ٤ ص ٣٥٥) من حديث ابن أبى أوفى « اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وطفنا معه . وصلى خلف المقام وصلينا معه . . . »

وسنده بغاية الصحة .

وقد أخرجه البخارى مختصراً فى « باب عمرة القضية » من المغازى .

وذكر ابن‌حجر هناك مَنْ صرح فيه بقوله « فى عمرة القضية » وسياقه واضح فى ذلك .

ولفظ « وجه الكعبة » ورد فى عدة أخبار تقدمت[1] .

وفى القِرَى (ص٣١٥) عن ابن عمر « البيت كله قبلة . قبلته وجهه » نسبه إلى سعيد ابن منصور .

والمراد به فى تلك الأخبار ـ كما يقضى به سياقها ـ تارة جدارها المقابل لموضع المقام الآن . وتارة ما يجانب هذا الجدار من المطاف .

والأخبار التى أطلقته على هذا تبين أنه ليس منه موضع « المقام » الآن . بل هو الموضع الذى كان فيه « المقام » قبل أن يحوّله عمر رضى الله عنه إلى موضعه الآن .

(١) راجع فى هذه الرسالة ص ١٧ سطر ١٥ وص ٢٢ سطر ١٠ وص ٢٥ سطر ١٥ .

ولفظ « قُبل الكعبة » فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما هو أيضاً ذاك الموضع .
وابن عباس إنما سمع هذا الحديث من أسامة رضى الله عنه ، كما بينه ابن حجر فى الفتح . وراويه عن ابن عباس عطاء ، يرويه عطاء تارة عن ابن عباس عن أسامة . وتارة عن أسامة نفسه .

وقد تقدم[1] قول عطاء « إن عمر رضى الله عنه أول من رفع المقام فوضعه فى موضعه الآن . وإنما كان فى قُبل الكعبة » .

بل ثبت فى حديث عطاء عن أسامة ـ عند النسائى بسند رجاله ثقات ـ « ... ثم خرج فصلى خلف المقام ركعتين ، وقال : هذه القبلة » .

ويؤيد ذلك ما فى السيرة عن ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله ابن عبد الله بن أبى ثور عن صفية بنت شيبة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف على راحلته ، يستلم الركن بمحجن فى يده . فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة . فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها . . . »

محمد بن جعفر وعبيد الله : من رجال الصحيح . وابن إسحاق : حسن الحديث .

فهذا الخبر يدل على أن صلاته صلى الله عليه وسلم ، بعد خروجه كانت ركعتى الطواف .

ومن سنته صلى الله عليه وسلم : أن يصليهما خلف المقام .

فأما صلاته فى الكعبة ـ على القول بها ـ فهى تحيتها .

* * *

ثبت بما تقدم أن صلاته صلى الله عليه وسلم عقب خروجه من الكعبة خلف المقام ، وأن المقام حينئذ كان عند جدار الكعبة .

* * *

لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة كان ابن عمر غائباً . فبلغه ذلك ، فأقبل « يركب أعناق الرجال » المسند (جـ٦ ص ١٣) فجاء وقد خرج النبى صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) ص ٣١ ، السطر الرابع .

وبلال فى الكعبة لمّا يخرج . فكان همّ ابن عمر أن يزاحم ليسأل بلالا : ماذا صنع النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ؟

وفى تلك الأثناء صلى النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ خارج الكعبة .

فكأن ابن عمر اشتغل بالمزاحمة والمساءلة . فلم يحقق : أإلى المقام صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، أم عن يساره ، أم عن يمينه ؟ فاقتصر على قوله « فى وجه الكعبة » .

فأما مافى أكثر روايات حديث أسامة رضى الله عنه « فى قبل الكعبة » فيظهر أن ذلك مراعاة لقوله عقب ذلك : وقال « هذه القبلة » .

خشى أن يتوهم أن الإشارة إلى المقام ، مع قول الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فعدل إلى قوله « فى قُبل الكعبة » ليعلم أن الإشارة إليها ، أو إلى ذلك الموضع منها ، كما يأتى .

* * *

فى صحيح مسلم عن جابر ـ فى حجة الوداع ، بعد ذكر الطواف ـ « ثم نفذ إلى مقام إبراهيم . . . فجعل المقام بينه و بين القبلة » .

هكذا فى عدة نسخ من الصحيح وكتب أخرى . وذكره الطبرى فى القرى (ص ٣١٠) بلفظ « ثم تقدم » وكذا نقله الفاسى عنه .

وزعم الطبرى : أنه يشعر بأن المقام لم يكن حينئذ ملصقاً بالكعبة . ولم يصنع شيئاً .

* * *

أما كلمة « تقدم » ـ إن صحت ـ فدلالتها على الملاصقة أقرب . لأنه كان فى الطواف ، فأنهاه عند الركن . فإذا واصل مشيه بعد ذلك إلى يمنة الباب ، فهذا تَقَدُّم ، ولو كان المقام حينئذ فى موضعه الآن لكان المشى إليه مشياً عن الكعبة . فكان حقه أن يقال « تَأَخّر » .

* * *

وأما قوله « فجعل المقام بينه و بين الكعبة » فلا يخفى أن المصلى إلى المقام إذ كان بلصق الكعبة : إما أن يكون عن يمينه ، أو يساره ، أو خلفه . فإذا كان خلفه فقد جعله بينه و بين الكعبة .

فقد ثبت بما تقدم ـ لاسيما حديث عائشة رضى الله عنها ـ صحة القول الثالث الذى عليه أئمة مكة ـ عطاء ، ومجاهد ، وابن عيينة ـ مع أن الإنصاف يقضى بأن قولهم مجتمعين يكفى وحده للحجة فى مثل هذا المطلب . والله أعلم.

الفصل الخامس

١

لماذا حول عمر رضى الله عنه « المقام » ؟

قد تقدم أول الرسالة ماتقدم .

علم عمر رضى الله عنه : أئمة المسلمين مأمورون بتهيئة ماحول البيت للطائفين والعاكفين والمصلين ، ليتمكنوا من أداء عباداتهم على الوجه المطلوب بدون خلل ولاحرج .

وعلم أن هذه التهيئة تختلف باختلاف عدد هؤلاء .

وعلم أنهم قد كثروا فى عهده ، وينتظر أن يزدادوا كثرة . فلم تبق التهيئة التى كانت كافية قبل ذلك كافية فى عهده .

ورأى أن عليه أن يجعلها كافية . فإن كان ذلك لايتم إلا بتغيير يتم به المقصود الشرعى ، ولا يفوت به مقصود شرعى آخر ، فقد علم أن الشريعة تقتضى مثل هذا التغيير . فليس ذلك بمخالفة للنبى صلى الله عليه وسلم بل هو عين الموافقة . وشواهد هذا كثيرة . وأمثلته من عمل عمر رضى الله عنه وغيره من أئمة الصحابة رضى الله عنهم معروفة .

فهذه حجة بينة لعمر رضى الله عنه .

هذه الحجة لا تبيح له من التغيير إلا مالابد منه .

وللمقام حقوق .

الأول : القرب من الكعبة .

الثانى : البقاء فى المسجد الذى حولها[1]

الثالث : البقاء على سمت الموضع الذى هو عليه .

---

(١) مازيد على المسجد القديم فله حكمه ، كما يصح فيه الطواف وغير ذلك .

فقد تقدم فى حديث ابن عباس وأسامة رضى الله عنهم قول النبى صلى الله عليه وسلم – بعد صلاته إلى المقام – « هذه القبلة » .

قال ابن حجر فى الفتح « الإشارة إلى الكعبة .

أو الإشارة إلى وجه الكعبة ، أى هذا موقف الإمام . » .

وفى المسند (جـ ٥ ص ٢٠٩) فى حديث أسامة « ثم خرج فأقبل على القبلة ، وهو على الباب ، فقال : هذه القبلة ، هذه القبلة – مرتين أو ثلاثاً » .

فقد يجمع بين الروايتين بأنه قال هذه الكلمة « هذه القبلة » عند خروجه ، ثم قالها عقب صلاته .

فتكون الأولى : إشارة إلى الكعبة . والثانية : إشارة إلى موقف الإمام .

وهذا الثانى محمول على الندب – كما فى الفتح . وهو ظاهر .

وجرى العمل على اختيار وقوف الإمام على ذاك الا ت : إما خلف المقام ، وإما أمامه .

و بعد كثرة الناس وتضايق ما خلف « المقام » بقى العمل على اختيار وقوف الإمام قدام المقام .

وفى المسند (ج ٧ ص ١٤) فى ذكر موضع صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة « وجعل المقام خلف ظهره » .

وذكر المحب الطبرى فى القرى (ص ٣١٢) وما بعدها والفاسى فى شفاء الغرام (ج ١ ص ٢١٩) أخباراً وآثاراً تتعلق بذاك الموضع .

منها : من سنن سعيد بن منصور عن ابن عباس أنه قال – وهو قاعد قبالة البيت والمقام – « البيت كله قبلة . وهذه قبلته » .

وقد تقدم فى الفصلين – الثانى والثالث – مايدل على أن إبراهيم عليه السلام انتهى إلى ذلك الموضع فى قيامه على « المقام » لبناء البيت . وقام عليه وهو فيه للأذان بالحج .

فالبيت الذى بناه إبراهيم عليه السلام قبلة ، والجانب الذى كان القيام فيه – وهو ما بين الحِجْر والحجر – خاص فى ذلك .

ندوة الإســـــلام والتصوف

أخطاء يجب إصـــــلاحها

بقلم فضيلة الأستاذ أبى الوفاء محمد درويش

فتحت مجلة الإسلام والتصوف بين أبوابها باباً سمته « ندوة الإسلام والتصوف » وقد اطلعت على ماجاء فى هذا الباب فى العدد الثانى من هذه المجلة ؛ فلاحت لى أخطاء أهاب بى صوت الواجب أن أدعو إلى إصلاحها . وهأنذا أقوم بهذا الواجب مستعيناً بالله وحده .

— ١ —

خطأ فى الاســـتدلال

قال رأس هذه الندوة فى الاستدلال على أن التقوى من الطرق المؤدية إلى الفيوضات الربانية والعلوم الباطنية « والله سبحانه وتعالى يقول : واتقوا الله ويعلمكم الله . ويقول : عبدا من عبادنا آتيناه من لدنا علما » .

وأقول : إن الآية الأولى (واتقوا الله ويعلمكم الله) لاتدل على ماذهب إليه القائل لا بلفظها ولا بفحواها ، لا بعبارتها ولا بإشارتها لأن الله تعالى لم يقل : واتقوا الله يعلمْكم الله بجزم الفعل يعلمّ » ليكون فعل التعليم واقعاً فى جواب الأمر كأنه جواب لشرط محذوف أى إن تتقوا الله يعلمكم الله ؛ فيكون التعليم مترتباً على التقوى ، ولكن الله تعالى يقول : واتقوا الله ويعلمكم الله ، وهاتان جملتان أولاها طلبية والثانية خبرية ليست واقعة جوابا لها ولكنها متصلة بها بالمواد التى ليست للمعية لأن الفعل بعدها مرفوع . وإنما هى للاستئناف أو للحال على رأى وقد نقل المرحوم السيد رشيد رضا عن الأستاذ الإمام عليه الرحمة مايأتى :

(اشتهر على ألسنة المدعين للتصوف فى معنى هاتين الجملتين (واتقوا الله ويعلمكم الله) أن التقوى تكون سببا للعلم ، وبنوا على ذلك أن سلوك طريقتهم وما يأتونه فيها من الرياضة ، وتلاوة الأوراد ، والأحزاب ، تثمر لهم العلوم الإلٰهية وعلم النفس وغير ذلك من العلوم بغير تعلّم . وهذا الزعم فتح للجاهلين الذين يلبسون لباس الصلاح دعوى العلم بالله وفهم القرآن والحديث ومعرفة أسرار الشريعة من غير أن يكونوا قد تعلموا من ذلك شيئاً . والعامة تسلّم لهم بهذه الدعوى وتصدّق قولهم : إن الله هو الذى تولى تعليمهم ، ويسمون علمهم هذا بالعلم اللدنى ويُرَدّ استدلالهم بالآية على ذلك من وجهين : أحدهما أنه لايَرْضَى به سيبويه ، وله الحق فى ذلك ؛ لأنه عطف (يعلمكم) على (اتقوا الله) ينافى أن يكون جزاء له ومرتباً عليه ، لأن العطف يقتضى المغايرة ولو قال يعلمكم بالجزم لكان مفيداً لما قالوه . وكذلك لو كان العطف بالفاء واتصل الفعل بلام التعليل . والثانى أن قولهم هذا عبارة عن جعل المسبب سبباً ، والفرع أصلا ، والنتيجة مقدمة ، فإن المعروف المعقول أن العلم هو الذى يثمر التقوى ، فلا تقوى بلا علم ؛ فالعلم هو الأصل الأوّل وعليه المعول . اهـ) انظر تفسير المنار .

لست أنكر أن الجهاد فى الله وسيلة إلى الهداية لسبل الله ، وأن الاهتداء وسيلة إلى زيادة الهدى يقول الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) .

ولكنى أنكر دلالة هذه الآية التى استدل بها المتكلم فى الندوة على المعنى الذى أراده لأن قواعد اللغة لاتؤيده ولا تساعد عليه والمعنى لايستقيم معه .

— ٢ —

خطأ فى لفظ الآية

أما قول المتكلم : (عبداً من عبادنا آتيناه من لدنا علما) وإسناد هذا القول إلى رب العزة فهو خطأ ، اذ ليس فى القرآن الكريم آية بهذا اللفظ بل اللفظ الوارد فى سورة

الـكهف هو : (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علما : ٦٥) .

وكان لزاماً على أعضاء الندوة ماداموا غير حافظين للقرآن أن يراجعوا الآيات فى المصحف قبل كتابتها فى المجلة حتى لا يوقعوا المسلمين فى الخطأ

— ٣ —

خرافة العلم الباطنى

ثم قال المتكلم : (وقصة موسى والخضر توضح لنا بأبلغ لسان ، العلمين الظاهر والباطن فموسى الرسول يقوم على العلم الظاهرى ، والخضر يمثل العلم الباطنى) .

وهذا خطأ ظاهر إذ لافرق بين علم موسى ، وعلم الخضر ، فكلما هما من عند الله لأن موسى رسول مرسل بشريعة يعمل بها و يعلمها ، والخضر نبى أوتى شريعـة يعمل بها فى خاصة نفسه . ولـكنها على كل حال وحى من الله تعالى .

واعتراض موسى على الخضر سببه أنه رآه يأتى مايخالف شريعة موسى ، ولو كان موسى يعلم أن الخضر يتصرف طوعاً للشريعة التى أوحى الله بها إليه ما اعترض عليه . ومن أجل ذلك أوضح له الخضر بعد ذلك سبب تصرفه ثم قال له : (وما فعلته عن أمرى) أى أن ذلك الفعل الذى رأيته مخالفاً لشريعتك كان بأمر الله وتنفيذاً لأمر الوحى الخاص الذى أوحاه الله إلىّ .

وما دام العلمان : علم موسى وعلم الخضر ـ صادرين من ينبوع واحد ، فلا داعى إلى التفرقة بينهما وتسمية أحدهما العلم الظاهرى والآخر العلم الباطنى .

— ٤ —

الغزالى وتعليم الملائـكة

وحكى المتكلم عن الغزالى أنه قال (و بيان هذا يوجد فى قصة آدم عليه السلام والملائكة ، فإنهم تعلموا طوال عمرهم ، وحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات ،

وأعرف الموجودات . . .) وأقول : إن هذا كلام ينقضه التحقيق العلمى ، فإن الملائكة فطرهم فاطر السموات والأرض على ماهم عليه ، فلم يحاولوا أن يتعلموا غير ماعلمهم الله ولم يحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم .

والملائكة من عالم الغيب ولا نعلم عنهم إلا ماعلمنا الله تعالى فى كتابه أو أخبرنا به الرسول الأمين فى سنته وليس فى القرآن ولا فى السنة ما يفيد أن الملائكة تعلموا طوال عمرهم أو حصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم ، ومن ادعى غير ذلك فعليه البرهان . «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» . والملائكة لايعلمون إلا ماعلمهم الله تعالى . قال سبحانه (قالوا : سبحانك ! لاعلم لنا إلا ماعلمتنا . إنك أنت العليم الحكيم : ٣٢ . البقرة) .

— ٥ —

غـــلو فى الدين

وجاء فى كلام لبعض أعضاء الندوة بعد أن ذكر أن العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه قال :

(الصوفية رجال تطوعوا لله مقاماً فوق هذا · تطوعوا فوق الفرائض والنوافل ، وترقوا فى هذا التطوع حتى تكونت لديهم حساسية إيمانية أو طاقة تعبدية ، تكاد تدخل فى نطاق المعجزة . . .)

وأقول : وماذا فوق الفرائض والنوافل ؟

ليس فوق الفرائض والنوافل إلا الغلو فى الدين وقد نهى عنه رب العالمين : قال تعالى : (قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً . وضلوا عن سواء السبيل ٧٧ ـ المائدة) .

ليس فوق الفرائض والنوافل إلا التنطع الذى قال فى شأنه صلى الله عليه وسلم : «هلك المتنطعون » يكررها ثلاثاً .

والمتنطعون هم المتشددون فى الدين فى غير موضع للتشدد .

والدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه .

ولا ينبغى أن ننسى نصيحة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم لصحابته الذين بلغه أن بعضهم اعتزم أن يصوم ولا يفطر ، و بعضهم قرر أن يقوم ولا ينام ، و بعضهم صمم على ألا يتزوج ، فقال لهم : إنه يصوم و يفطر ، و يقوم و ينام ، و يتزوج النساء ، و إن ذلك من سنته ، ومن يرغب عن سنته فليس منه .

* * *

هذه ملاحظات عجلى على بعض مافى هذه الندوة من أخطاء وقد أعود إلى مناقشتها فى شىء من التفصيل إن لم يكن هذا الإجمال مغنيا .

وخير ماأختم به هذه العجالة قول الله تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ١٥٣ : سورة الأنعام)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

باب الكتب :

كتاب العلاقات الزوجية

للأستاذ عبد السميع المصرى

ألف هذا الكتاب الأستاذ عبد السميع المصرى ، وهو أديب شاب واسع الاطلاع ، له جولات موفقة فى الأبحاث الدينية والإجتماعية والأدبية . وهو حريص على أن يعرِّف بالإسلام من يجهله ، وعلى أن يرد مطاعن الطاعنين واعتراض المعترضين . وضع باللغة الإنجليزية كتاباً عن الإسلام ، وآخر عن نبىّ الإسلام . ورسائل فى قواعد الإسلام نشرت فى بلاد الملايو إجابة لرغبة زعمائهم الدينيين ، فتقبلوها بقبول حسن ، وأنزلوها المنزلة الجديرة بها .

وكتاب « العلاقات الزوجية » الذى أقدمه اليوم إلى القراء ، بحث قيم من هذه الأبحاث التى عرف بها المؤلف ، والتى دفع بها مطاعن الذين يأخذون على الإسلام إباحته للطلاق وتعدد الزوجات . وقد استطاع أن يرد عليهم بأدلة مقنعة ، وحجج دامغة ، تلقمهم الأحجار ، مستشهداً بأقوال كتابهم وباحثيهم ، مشيراً إلى المراجع التى استند إليها من كتبهم .

وهذا الكتاب القيم ثمرة تجارب شخصية وأبحاث علمية ، واطلاع واسع على نصوص الشريعة الإسلامية ، وعلى آراء كتاب الغرب الذين تحترم شعوبهم آراءهم ، ويرجعون إلى أقوالهم .

شرح المؤلف فى كتابه دفاع الإسلام عن حقوق المرأة ، وكيف رفع الإسلام شأنها ، ومنحها حرية التصرف فى مالها ، فى حين أن شرائع الغرب لا تزال ترى أن مال المرأة ملك خالص لزوجها ، وقد ضرب المؤلف لذلك شتى الأمثال . وشرح الغاية الصحيحة من الزواج ، وأوضح عواقب الانحراف ، وسوء مصير المنحرفين .

كما تكلم فى عقد الزواج ، وما رخص الاسلام فيه من رؤية الرجل خطيبته ، لكى تتم الألفة الروحية بين الزوجين . كما شرح حق المرأة فى رفض من يُختار لها إن لم يقع من نفسها الموقع الذى يرضيها ، والذى تحس معه بالسكون إلى زوجها ، والسعادة فى ظل الحياة معه .

وتحدث عن البغاء ، وسوء أثره من النواحى الاجتماعية والصحية والدينية .

وعالج موضوع إعراض الشباب عن الزواج ، وموضوع تبرج النساء وموضوع الطلاق وتعدد الزوجات مؤيداً كلامه بالأدلة القاطعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأحداث التاريخ الإسلامى وآراء الباحثين من علماء الإسلام ،وأحرار كتاب الغرب الذين لم يعم التعصب أبصارهم ، ولم تطبع عداوة الإسلام على قلوبهم .

وكل ذلك بأسلوب طلى شائق جذاب يستهوى القارىء ، و يسترعى انتباهه ، و يملك عليه مشاعره ، ويجعله يشعر أنه كسب كسبا موفوراً ، من الساعات التى أنفقها فى مطالعة هذا الكتاب القيم .

ولا يسعنى قبل أن أختم هذه الكلمة إلا أن أهنىء المؤلف بتوفيقه فى إخراج هذا الكتاب .

أبو الوفاء محمد درويش

إصطناع المعروف :

قالوا : للمعروف خصال ثلاث : تعجيله وتيسيره وتستيره ، فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه ، وسقط عنه الشكر .

وقيل لمعاوية : أى الناس أحب إليك ؟ قال : من كانت له عندى يد صالحة . قيل : فإن لم تكن له ؟ قال : فمن كانت لى عنده يد صالحة .

طـــــــرائف

(١)

قال يحيى بن سعيد سمعت على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب يقول : يأيها الناس ، أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام . فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا .

ومما أثر عنه أنه قال : إنى لأستحى من الله أن أرى الأخ من إخوانى ، فأسأل الله له الجنة ، وأبخل عليه بالدنيا . فإذا كان غداً ، قيل لى : لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل وأبخل .

(٢)

قال أبو عمرو الشعبى فى ذم القياس ، واتباع الرأى :

إذا سئلت عن مسألة فأجبت فيها ، فلا تتبع مسألتك « أرأيت » إن الله تعالى قال فى كتابه : (أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلا ؟)

وقال : إذا سئلت عن مسألة ، فلا تقس شيئا بشىء ، فربما حرمت حلالا ، أو حللت حراما . وإذا سئلت عما لاتعلم ، فقل : لا أعلم ، وأنا شريكك .

وقال : إياكم والمقايسة ، فوالذى نفسى بيده ، إن أخذتم بالمقايسة لتحلن الحرام ، ولتحرمن الحلال ، ولكن ما بلغكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظوه .

وقال : إنما هلكتم حين تركتم الآثار ، وأخذتم بالمقاييس .

وقال : يوشك أن يكون الجهل علماً ، والعلم جهلاً ، قالوا : وكيف يكون هذا يأبا عمرو ؟ قال : كنا نتبع الآثار ، وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ، فأخذ الناس فى غير ذلك ، وهو القياس .

وقال : لقد بَغّض إلى هؤلاء القوم هذا المسجد ، حتى لهو أبغض إلىّ من كناسة دارى »
قالوا : من هم يا أبا عمرو ؟ قال : هؤلاء الآرائيون : أرأيت ، أرأيت .

(٣)

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا : سالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن كعب القرظى ، ورجاء بن حيوة ، وقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي .

فقال له سالم بن عبدالله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك فيها على الموت .

وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين لك أباً وأوسطهم لك أخاً ، وصغيرهم لك ولداً . فبر أباك، وارحم أخاك ، وتحنن على ولدك .

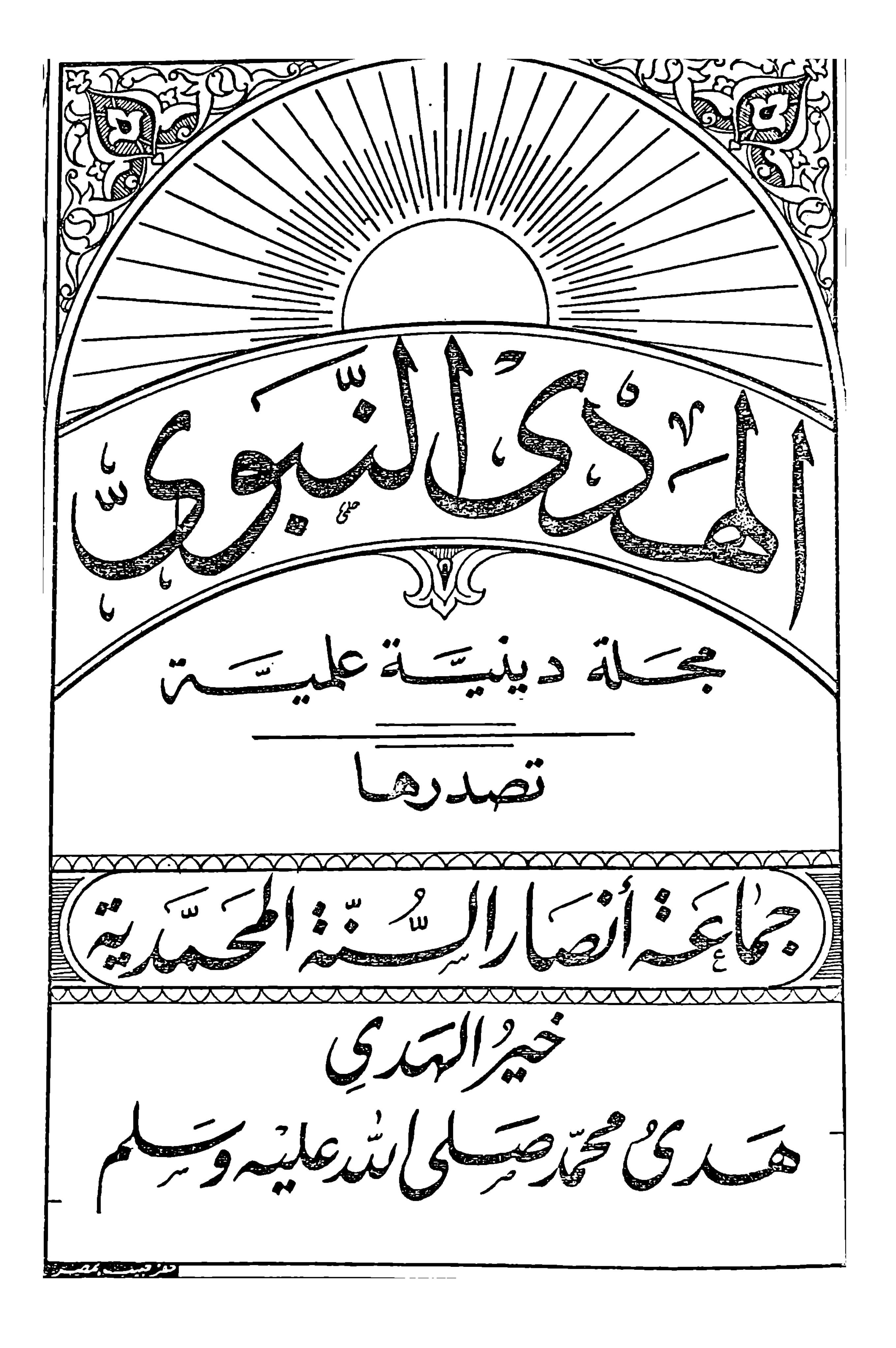
وقال رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ماتحب لنفسك ، واكره لهم ماتكره لنفسك . ثم متى شئت مت .

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

٥ ٧٦٠١٧


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

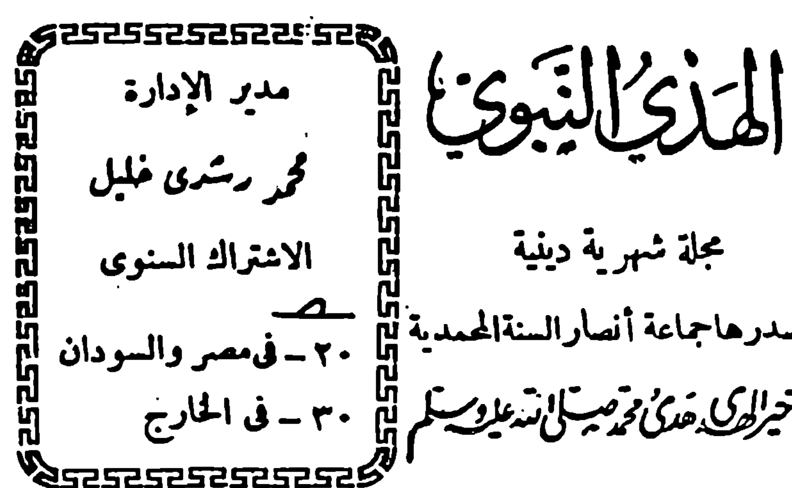
الفهرس

صفحة

نبشر قراءنا أنه فى العدد الآتى إن شاء الله . سيقرءون المقالات القيمة للسيدة الجليلة الأخت نعمت حرم أخينا الدكتور محمد رضا . رحمة الله عليه

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين إرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين إرسال مابعهدتهم . ولهم جميعاً الشكر .



الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
محمد حامد الفقى

الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى
٢٠ – فى مصر والسودان
٣٠ – فى الخارج

المجلد ٢٣ — جمادى الأولى وجمادى الثانية سنة ١٣٧٨ — العدد ٥ و ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٧ : ١١ ويَدْعُ الإنسانُ بالشر دعاءه بالخير . وكان الإنسانُ عَجولا . وجعلنا الليلَ والنهار آيتين . فمَحَونا آية الليل . وجعلنا آية النهار مُبصرةً ، لِتبتغوا فضْلاً من ربكم ، ولتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ . وكلَّ شيء فصَّلناه تفصيلاً) .

« الدعاء » كما يكون بالقول « يارب » يكون بالعمل الصادر عن القلب المحتاج ، فيتوجه العبد بالعمل والسعى ، مريداً قاصداً إلى تحصيل مايحتاجه .

قال ابن فارس فى المقاييس : الدال والعين والحرف المعتل : أصل واحد . وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك .

وفى لسان العرب : دعانى إلى الإحسان إليك إحسانك إلى .

وداعية اللبن : مايتركه الحالب فى الضرع ليدعو به مابعده من الحلبة الأخرى .

وتقول : ماالذى دعاك إلى هذا الأمر ؟ أى ماالذى جرَّك إليه واضطرك .

ويقول ناشد ضالته : من دعا إلى الجمل الأحمر : أى من وجده ؟

وفلان يدَّعِى بكرم فعاله : أى يخبر عن نفسه بذلك .

وفلان فى خير ماادعى : أى ماتمنى .

ودواعى الدهر : صروفه .

وقوله تعالى فى صفة النار (٧٠ : ١٦ تدعو من أدْبَرَ وتوَلّى) أى تفعل بهم الأفاعيل المكروهة .

وقوله تعالى (١٩ : ٩١ أن دَعَوْا للرحمن ولداً) أى جعلوا .

وتداعَى البناء ــ والحائط ــ للخراب : آذن بالانهدام .

وداعيناها عليهم من جوانبها : هدمناها عليهم .

وتداعى عليهم العدو من كل جانب : تألّب وأجلب عليهم بخيله ورَجْله .

ومنه الحديث « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم : كمثل الجسم ، إذا اشتكى منه عضو تداعَى له بقية الأعضاء بالحمى والسهر » .

وتداعت السحابة : إذا أبرقت وأرعدت مؤذنة بالمطر .

وقال أبو عدنان : كل شىء فى الأرض إذا احتاج إلى شىء ، فقد دعا به .

ويقال للرجل ــ إذا أخلَقَ ثيابه ــ قد دعت ثيابك ، أى احتجت أن تجددها بغيرها من الثياب اه .

ويقول الله تعالى (٢ : ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات حتى يُؤمنَّ . ولأمَةٌ مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم . ولا تُنكِحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم . أولئك يدعون إلى النار . والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه) .

يقول ــ سبحانه ــ إن المشركين والمشركات يدعون أزواجهن وأزواجهم ــ بدينهم الباطل بشركهم ووثنيتهم ، واتخاذهم الأنداد من دون الله ، والحرص على ذلك ، وعلى مشاركتهم فى أعيادهم الجاهلية ومناسكهم الوثنية ، ومراسم صوفيتهم وكفرهم ــ إلى مشاركتهم فى كفرهم و باطلهم المؤدى ــ ولابد ــ إلى النار وعذابها . فإنهم وإن فرض أنهم لايدعونهم باللسان ، لكن معاشرتهم الزوجية ، التى تخالط الزوجين ــ جسمياً ومعنويا ــ خلطاً تاماً فى الأخلاق والأعمال والأحوال حتى يُكَوِّنا الأسرة ، لابد أنها تحمل على السير معهم إلى غضب الله وسخطه المستوجب لنكد الحياة ، والشقاء وعذاب النار ، بل ذلك أشد فى الدعوة من القول باللسان . والله سبحانه يدعو ــ بهدى الفطرة ، وهدى رسله وكتبه ، بما أنزل من العلم والنور ، وبتوفيقه المؤمنين الصادقين ــ إلى صراطه المستقيم ، المضمون لمن سلكه ــ على هدى و بصيرة ــ أن يسعد برضوان الله و بجنات النعيم فى الأولى والأخرى .

وكذلك يقول ربنا سبحانه (١٠ : ٢٥ والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فدعوته سبحانه إلى دار السلام : هى دعوته إلى الجنة والمغفرة .

وقوله تعالى (٨ : ٣٥ فلا تَهِنوا وتَدْعُوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون ، إن كنتم مؤمنين) يبين أن دعاء المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله ، لتطهير الأرض من الجاهلية والوثنية القاتلة للانسانية ، ولإخراج الناس من ظلمات الدين التقليدى الوراثى الإبليسى المفسد للأرض ومن فيها ، الذى يدافع عنه ويحارب لنصره أعداء الله وأعداء رسله وأعداء الإنسانية ، إلى نور الدين الحق الذى أتم الله به النعمة على الإنسانية ، ورضيه لها دينا ، تسعد به فى حياته الأولى والأخرى - دعاء المجاهدين هذا إلى السلم : إنما هو بالوهَن والجبن والتخاذل ، وعدم إعداد العدة ، وعدم اتخاذ الأسباب المؤدية إلى نصر الهدى ودين الحق ، والتهيؤ لإعلاء كلمة الله التى رضيها الله لإسعاد الإنسانية ، وضمان عيشتها الراضية ، وحياتها الآمنة فى الأولى والأخرى . وهذا الوهن والتخاذل ، والقعود عن الجهاد فى سبيل الله : دليل عدم الإيمان بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر .

وقوله تعالى (٣٦ : ٥٧ لهم فيها فاكهة . ولهم مايدَّعون) يريد : أن أصحاب الجنة يجدون فيها كل ما كانوا يعلمون من وحى الله ووعده الحق . ويؤمنون به ويعملون له ، مؤمنين بالله ، وكتابه الحق ، ورسوله الحق . واليوم الآخر .

ومثل هذا قوله لأوليائه (الذين قالوا : ربنا الله . ثم استقاموا) (٤١ : ٣١ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم . ولكم فيها ما تدَّعون ، نُزُلا من غفور رحيم) .

ومن هذا يتبين - لمن يتلو كتاب الله حق تلاوته - أن دعاء الإنسان - الجاهل العاجز الغافل ، المعرض عن هدى الفطرة وهدى القرآن - هنا بالشر دعاءه بالخير : هو رغبته وحرصه على سعيه إلى تحصيل ما يحتاجه ويعتقده خيراً ونافعاً له ، وموفراً له أسباب الحياة الهنيئة ، والعيشة الراضية ، وفراره وهروبه مما يعتقده سوءاً وشراً وضاراً به ، ومؤذياً له ، ومنغصاً لحياته ، ومنكداً لعيشته . فإنه يرغب ويحرص على السعى إلى الشر حرص المؤمن

العالم العلم النافع المهتدى بهدى الفطرة وهدى القرآن ، الذى يتحرى الطريق التى هى أقوم ، فهو يمشى على بصيرة ونور من ربه ، بخلاف المقلد تقليدا الأعمى الجاهل السفيه الذى يتبع هواه ، ويجرى وراء أمانيه الكاذبة الخادعة . فإنه فى الواقع بما يرغب ويحرص ويسعى جادا فى الشر الذى يؤذيه ويهلكه . لأنه على غير هدى من الفطرة ولا من القرآن ، بسبب عدم إيمانه بالآخرة ، وعدم تقديره للعواقب والنتائج . إذ فقد القدرة على ذلك بتقليده الأعمى الذى قتل إنسانيته العاقلة المفكرة المميزة ، وذهب يسعى فى ظلمات بعضها فوق بعض ، مكبا على وجهه مستسلما لهواه وشهوته ، فهو لا يزال بهواه يهوى إلى أسفل سافلين ، ويظن نفسه راقيا صاعداً ، وهو بشهواته يحترق ، وكلما أحس بألم الحريق ذهب ينغمس مجولاً فى بحر الشهوات ، ظانا ـ فى ظلمات جاهليته ـ أنها تزيل آلامه . وهكذا يعيش حياته مجولاً وراء الهوى والشهوات ، زين له الشيطان سوء عمله ، وصده عن السبيل فهو لا يهتدى .

و « الإنسان » واحد الأناسى . قال ابن فارس : الهمزة والنون والسين : أصل واحد . وهو ظهور الشىء . وكل شىء خالف طريقة التوحش .

وقال الراغب : الأُنْسُ : خلاف النفور . ويقال لكل من كثر أُنْسه . ولكل مايؤنَس به . ولهذا قيل : إنسِيُّ الدابة ، للجانب الذى يلى الراكب ، وإنسِيُّ القوس : للجانب الذى يقبل على الرامى . والإنسى من كل شى : مايلى الإنسان ، والوحشى : مايلى الجانب الآخر . وسمى « الإنسان » بذلك لأنه خُلق خلقةً لا قوام له إلا بأن يأنس بعضهم ببعض ، ولا يمكنه أن يقوم وحده بجميع أسبابه .

وقيل : هو إنْعِلان ، وأصله إنسيان ، سمى بذلك لأنه عهد إليه فنسى . اهـ .

أقول : فهو إما من الأُنس ، لأن الله فطره آنِساً لغيره ، ومحتاجاً إلى الأُنس ببنى جنسه ، ليكون ذلك أدعى إلى تعارفهم وتآلفهم وتعاونهم . ومن ثم كان أنسه بزوجه مستوجباً لنفسه تمام الراحة والسكون ، ولقلبه سعادة الأمن والاطمئنان ، وأنه لا يزال قلق النفس ، مقلقل القلب ، حتى يتزوج ، فيجد السكون والمودة والرحمة ، سواء فى ذلك الذكر والأنثى ، لأن كل واحد منهما من نفس الآخر فى الخلق والفطرة ، وسبيل الحياة الحسية

الحيوانية والمعنوية الإنسانية . وتلك سنة الله التى لا يمكن أن تتبدل ، مهما حاول التعامى عن ذلك الجاهليون الذين لا يعلمون ، ولا يعقلون ولا يتفكرون ، فلا يؤمنون ولا يأمنون ، وهم فى الشقاء والنكد دائماً يتقلبون..

وإما من النسيان : لأنه لا بد له من ترك أشياء تقع عليه ومنه فى خطوات حياته ، وابتلاءاته فيها ونسيانها لها ـ أو على الأصح نسيان آثارها ـ من الألم والهم والحزن . ولو دام ذاكراً لها لجعلت حياته كلها هماً وحزناً ، أو بغضاً وغيظاً وحقداً ونكدا . فمن رحمة الله به أن جعل له هذا النسيان ليهنأ بالعيش ، وينعم بالأهل والولد ، والإخوان والأعوان . فيطمئن قلبه ويصفو جوه ، وتهدأ أعصابه ، ويتوفر بذلك على السعى فى حياته وأعماله بنفس هادئة ، وروح نشيطة ، وفكر رائق ، يعرف مواضع خطوه فى تأن وتثبت ، فينجح ويصل إلى غايته التى يسعى إليها . لا يضل سعيه ، ولا يخيب ولا يخسر .

والمراد من « الإنسان » هنا : الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لأنهم أعرضوا عن هداية القرآن للتى هى أقوم ، فاتخذوه مهجوراً ، واتخذوا آياته سخرية وهزؤاً ـ باتخاذه أغانى ، أو حجباً وتمائم ، أو جعله للموتى والمقابر ـ فمثلهم (كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لا يهدى القوم الظالمين) فإن هؤلاء حين خسروا أنفسهم بالتقليد الأعمى ، حرموا من الانتفاع بقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم الإنسانية ، وغفلوا عن نعمة الله فى إنسانيتهم ، فكفروا بها وظلموا أنفسهم ، كما قال الله فى شأنهم (٧ : ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) فإنهم لا يزالون محسوبين من « الإنسان » وإنهم لا يزالون مسئولين عن قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ، وكل حواسهم : لأنهم لا يزالون قادرين على الانتفاع بقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، إذا هم استجابوا لدعوة الله ربهم فى هدى الفطرة ، وفى هدى القرآن .

و « الشر ، والخير » فالخير : مايختاره الإنسان ، ويحبه ويرغب فيه ويختاره لاعتقاده أنه

النافع المفيد ، الذى يوفر له أسباب رخاء البال ، وهناء العيش ، والراحة والاطمئنان ، والسعادة والفوز بالفلاح ، والسرور والحبور .

والشر : ضد ذلك . فهو ما يكرهه الإنسان ، وينفر منه ، ويتجنبه ، لاعتقاده : أنه السوء والفحشاء والمنكر ، والفساد والظلم ، والمكروه ، والضار المؤذى ، الذى يجمع أسباب القلق ، والمتاعب ، والخسران والشقاء ، والحسرة والندامة ، والتنغيص ، ونكد العيشة .

قال ابن فارس : الخاء والياء والراء : أصله العطف والميل ، ثم يحمل عليه . فالخير خلاف الشر . لأن كل أحد يميل إليه ، ويعطف على صاحبه .

وقال — فى الشر — : الشين والراء : أصل يدل على الانتشار والتطاير من ذلك ، والشر خلاف الخير .

والشر : بسطك الشىء فى الشمس . والشرارة — والجمع الشَّرار والشَّرَر — ماتطاير من النار ، الواحدة شَرَرَة وشرارة اهـ .

وقال الراغب : « الخير » مايرغب فيه الكل ، كالعقل — مثلا — والعدل والفضل ، والشىء النافع . وضده « الشر » اهـ .

ونظر الناس إلى الخير والشر يختلف اختلافاً كثيراً بحسب العلم النافع ، والعقل الراجح والرشد والحكمة ، واليقظة ونور البصيرة ، وحياة الإنسانية المميزة المفكرة ، وبحسب عدم ذلك بعضه ، أو كله . فكم من الناس من يرى السوء والفحشاء والمنكر خيراً ، ويدعو به ، ويسعى إليه متعجلاً . فهل يكون هذا إنساناً رشيداً ؟ .

وقد جاء « الخير » فى القرآن أسماً لما يجمع الفضل والرحمة : من العلم والإيمان ، والفلاح والعزة ، والنصر والتمكين للدين الحق فى الأرض باستخلاف أهله وقوتهم ونفاذ سلطانهم بالعدل والرحمة . قال الله تعالى (٢ : ١٠٥ مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ، ولا المشركين : أن يُنَزَّل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل العظيم) .

وجاء أسماً لما هو ضد الفتنة . قال تعالى (٢٢ : ١١ ومن الناس من يعبد الله على

حرف . فإن أصابه خيرٌ اطمأن به . وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين) .

وجاء أسماً لما فى بهيمة الأنعام ونحوها من المنافع . قال تعالى (٢٢ : ٣٦ والبُدْن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير) .

وجاء أسماً لكل عمل صالح نافع . قال تعالى (٢ : ١١٠ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وقال (٧٣ : ٢٠ وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً وأعظم أجراً) وقال (٢ : ١٩٧ وماتفعلوا من خير يعلمه الله) وقال (٣ : ١١٤ ، ١١٥ يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات . وأولئك هم المفلحون . وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه . والله عليم بالمتقين) وقال (٤ : ١٣٠ لا خير فى كثير من نَجْواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) وقال (٢ : ١٥٨ ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) .

وجاء أسماً لإطعام أكثر من مسكين لمن يفطر فى رمضان وهو مطيق للصيام . قال تعالى (٢ : ١٨٤ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيراً فهو خير له) وقال (٦ : ١٥٨ يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) .

وجاء أسماً للحكمة ، التى هى إصابة الحق والعمل به (٢ : ٢٦٩ يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتِيَ خيراً كثيرا) .

وجاء أسماً لما يقابل الضر والسوء . قال تعالى (٦ : ١٧ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير) وقال (١٠ : ١٠٧ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله) وقال (٧ : ١٧٨ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وما مَسَّنى السوء) .

وجاء أسماً للمال . قال تعالى (٢ : ٢٠٥ ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين . وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) وقال (٢ : ٢٧٢ وما تنفقوا من خير

فلأنفسكم . وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يُوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون) .

وجاء أسماً لما يخلف الميت من نقد ودور وعقار وغيرها . قال تعالى (٢ : ١٨٠ كُتب عليكم إذا حضر أحدَكم الموتُ ، إن ترك خيراً : الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) .

وجاء أسماً لما يشمل الصحة والقوة والثراء والغنى ، قال تعالى (١١ : ٨٤ وإلى مدين أخاهم شعيباً ، قال : ياقوم ، اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، ولا تَنقُصُوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير . وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) .

وجاء أسماً للفلاح ونجاح السعى ، وحصول المأمول بالاستقامة على العدل والسبيل القاصد قال تعالى (١٦ : ٧٦ وضرب الله مثلاً : رجلين ، أحدهما أبكَمُ لا يقدر على شيء . وهو كَلٌّ على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير) .

وجاء أسماً لما يحتاجه الإنسان الغريب من المأوى والمؤنس ، والاطمئنان على النفس . قال الله تعالى فى قصص موسى وعلى نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقد فر من مصر طلباً للنجاة ، ووصل إلى مدين (٢٨ : ٢٤ فسقى لهما . ثم تولى إلى الظل ، فقال : رب ، إنى لما أنزلتَ إلىَّ من خير فقير) .

وجاء أسماً لما يشمل الاستقامة والقوة على الكسب . قال تعالى (٢٤ : ٣٣ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم : فكاتبوهم ، إن علمتم فيهم خيراً) .

وجاء أسماً لما قد يرى الزوج من زوجه من بعض ما يكره فى معاشرتها . قال تعالى (٤ : ١٨ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعلَ الله فيه خيراً كثيرا) .

وجاء أسماً للبذل مما آتى الله من فضله ضد البخل . قال تعالى (٣ : ١٨٠ لايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم . بل هو شر لهم سَيُطَوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وجاء أسماً للتثبت والتروى فى نقل شائعات السوء ، والثقة ببراءة من عُرف بالتقوى . وخصوصاً إذا كان من أسرة عظيم فى الدين ، كزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال

الله (٢٤ : ١٢ لولا إذ سمعتموه - يعنى حديث الإفك - ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً . وقالوا : هذا إفك مبين ؟) .

وجاء أسماً لامتحان الله وابتلائه ، ليكون النجاح النافع المحتاج إليه الإنسان الممتحَن فى مستقبل حياته ، والكشف عن حال من يجب أن يتقى شره . قال تعالى (٢٤ : ١٠ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم) .

وجاء أسماً للاحتفاظ بهدى الفطرة ، وشكر نعمة الله فيه بحسن الانتفاع به فى التفكر فى آيات الله الكونية ، والاستماع والتدبر لآياته القرآنية . قال الله (٨ : ٢٣ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .

وجاء أسماً لما يكون فى القلوب من نعمة الإيمان الصادق الذى يدفع إلى الجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله . قال الله (٨ : ٧٠ ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى : إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخِذَ منكم) .

وجاء ضدًّا للشر . قال تعالى (١٠ : ١١ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) وقال (٢١ : ٣٥ ونَبْلُوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) وقال تعالى (٤١ : ٤٩ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير . وإن مَسّه الشر فيئوس قَنوط) .

وجاء أسماً لتدبير الله خلقه ، وفعله لهم وبهم فى الرفع والخفض والعزل والتولية ، والإعطاء والمنع ، وقبض الرزق وبسطه . قال تعالى (٣ : ٢٦ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير . إنك على كل شىء قدير) .

وجاء أسماً للعلم النافع والعمل الصالح ، وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالى (٣ : ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)
وجاء أسماً لما يستفاد من الغنيمة . قال تعالى فى شأن المنافقين المعوِّقين عن الجهاد والمخذِّلين

للمؤمنين عن القتال. قال الله (٣٣ : ١٩ فإذا ذهب الخوف سَلَقوكم بألسنةٍ حِداد. أشِحَّةً على الخير. أولئك لم يؤمنوا).

وجاء أسماً للخيل المعدة للمجاهدين فى سبيل الله . قال تعالى على لسان رسوله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (٣٨ : ٣١ ، ٣٢ إذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصافناتُ الجياد فقال : إنى أحببت حُبَّ الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب[1]).

وجاء أسماً عاماً شاملا لكل نافع وصالح وطيب ، لصاحبه وللناس. قال تعالى (٥٠ : ٢٤ ، ٢٥ ألقِيا فى جهنم كل كَفّار عنيد . مناع للخير معتد مريب) وقال (٦٨ : ١٠ – ٢٢ ولا تُطِع كُلَّ حَلّافٍ مهين . هَمّازٍ مَشّاءٍ بنميم . مناع للخير معتدٍ أثيم) وقال (١٠٠ : ٧ ، ٨ إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه لحب الخير لشديد) . وقال (٢٢ : ٧٧ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

* * *

و « عجولا » صيغة مبالغة من العَجَلة . وهي شدة التسرع فى المضى إلى الأمر بدون ترو ، ولا تفكير ولا تثبت ، نتيجة الضجر والجهل وعدم الصبر . والعرب تقول : أعجلت

---

(١) يعنى سليمان عليه السلام : أن أحب هذه الخيل ، التى هى خير ، إذ عرضوها عليه بعد شرائها ، أو بعد عودها من مرعاها ، أو من ميدان الجهاد الذى انتصروا فيه على الأعداء . فإنه ما اقتناها رياء ولا خيلاء ، وإنما أعدها للجهاد فى سبيل الله . فكان حبه لها حباً ناشئاً ومتولداً عن ذكره لربه الذى أنعم عليه بالملك والسلطان والخيل المسومة ، ليشكر ربه باستعمال كل ذلك فى إعلاء كلمة الله وتبليغ رسالاته . ولذلك قال – بعد أن فرغوا من عرضها ، وذهبوا بها إلى اصطبلاتها حتى توارت عن نظره ، واختفت وراء الجدران – (ردوها على ، فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) سروراً بها ، وتقديراً لنعمة الله ، فأخذ يستمتع بها ويمسح بيده على سوقها وأعناقها ، التى جعل الله قوة الخيل وجمالها فيها ، إذ تحمل الجندى ، وتصول به وتجول فى ميدان الجهاد . والقول بأن تاء « توارت » للشمس التى غربت ، وأنه عرقب الخيل وذبحها بالسيف : بعيد عن أسلوب الآية . فإنه لم يجر ذكر للشمس فيها ، فضلا عن أنه بعيد جداً عن إيمان المرسلين وتقديرهم وشكرهم لنعم ربهم عليهم .

الناقةُ ، فهى مُعْجِل ومِعْجال : إذا ألقت ولدها لغير تمام . والعُجالة : مايتعجل به للضيف المَجول قبل نُضْج الطعام .

قال الراغب : العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه . وهى من مقتضى الشهوة . فلذلك صارت مذمومة فى عامة القرآن . و (خلق الإنسان من عَجَل) يعنى أن ذلك أحد الأخلاق التى رُكِّب عليها ، لايتعرى عنها اهـ .

وقال النيسابورى : « عَجولا » يتسرع إلى طلب كل مايقع فى قلبه ويخطر بباله ، معتقداً أن خيره فيه . وإن كان ذلك ـ عند التأمل ـ مضراً به اهـ .

والمعنى : أن الإنسان قد جعل الله له من القدرة على السرعة : مايستطيع به أن يحصل من الخير النافع مايوفر له أسباب عيشته الراضية ، بحيث لايفوته شيء منها فى أوانه ، إذا عقل تلك السرعة بعقال العلم ـ من تفكره فى سنن الله ، ومن تجاربه فيما يقع له من حوادث ومما يستفيده من علم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الكتاب المنزل عليه ـ فإذا هو لم يعقل طبيعة السرعة فيه بعقال العلم والتفكر : ذهب مندفعاً فى سرعة شديدة ـ فى غير تروٍّ ولا تثبت ـ وراء هواه وشهواته البهيمية ، وأمانيه الكاذبة الخادعة ، جاهلا وصايا الله تعالى فى كتابه ، ونصائح رسوله صلى الله عليه وسلم ، غافلا عن سنن الله فى نفسه وفى الآفاق ، مغروراً بجهله وسفهه ، معتقداً عقيدة ضالة : أنه قد عرف الخير ـ وهل يعرفه وهو جاهل مغرور ، يجرى وراء هواه وشهوته لايقيم وزنا للعقل ، ولا يفكر فى الرجوع إلى سنن الله وإلى تجارب الحياة فى حوادثها ، التى طالما آتته الخيبة والخسران فى كل سعى سعاه ـ فيذهب بهذا كله يريد الخير ، ويطلبه ويسعى إليه سعيا حثيثاً ، ويدعو به ويقربة منه بكل قواه . فإنه لابد أن يضل سعيه ، ويسلك غير السبيل القاصد ، سبيل الغى الذى يدفعه إليه هواه وشهوته التى لا تدفع إلا إلى الشرور والآثام ، فيصل إلى أسوأ العاقبة . ويجد يديه قد ملئتا بالخيبة والخسران ، وموجبات الحسرة والندامة . فيعود يسعى مرة أخرى ومرات ، جاهلا مغروراً كذلك سفيهاً باغياً فى تصميم وعناد وإصرار ، وإخوانه من شياطين الإنس والجن يمدونه فى الغى ولا يُقْصِرون ، فيجد النتيجة البغيضة هى النتيجة ، والعاقبة السوأى هى العاقبة .

و « جعلنا » الجَعْل : هو تدبير أمور وترتيب أسباب تنتهى بقول الله تعالى للشىء « كن » فيكون المجعول الشىء ، من الليل والنهار وغيرهما من السنن الكونية فى الخلق كله : أرضه وسماواته ، بما فيهما من كل المخلوقات ، وما رسم الله لها من طريق جعله الله ــ كذلك ــ سبيلا إلى نهايتها الحتمية ، وعاقبتها التى لامحيص لها عنها ولا مَحال . لأن الله القاهر فوق عباده هو الذى سن السنن ، وسبب الأسباب ، وأرادها أن تصير إلى تلك العواقب والنهايات لايقدر الجن والإنس مجتمعين أن يبدلوا شيئاً من سنن الله أو يحولوها.

والله سبحانه وتعالى قد دبر ــ من خلق الشمس والقمر والأرض ، ومن دورانها حول نفسها وفى مداراتها ، ومن ارتباطها مع غيرها من الكواكب فى مجموعة واحدة ، سماها الفلكيون « المجموعة الشمسية » ــ قد دبر ربنا سبحانه من كل ذلك النظامَ القوى الحكيم ، وما وضع له من سنن فى سيره السريع ودورانه وتنقله من حال إلى حال ، وتنقل الإنسان وما سخر له ربه على الأرض من حيوان ونبات حال الليل وما جعل من الظلمة فيه ليهنأ الإنسان بالنوم الذى جعله له ربه سباتاً ، لتهدأ أعصابه وأعضاؤه وتستريح ، وليستروح وينعم بالسكون مع زوجه وأولاده . فيصبح فى يومه الثانى الذى يسلخه الله منه ، ويكرر نهاره على الليل ، بحياة جديدة ، وقوى جديدة ، وروح فرحة نشيطة ، بما أنعم الله عليها فى الليل ، يذهب بتلك الحياة الجديدة والقوى والروح فى ضوء النهار وتحت أشعة الشمس التى يزيده الله بها نشاطا وقوة حركة ، ويزيده بها سروراً بما يرى من آثارها فى نضج زروعه وثماره . فيزداد يقظة وعلما بسنن الله وآياته ، ويقينا فى إيمانه وعقيدته ، وإخلاصاً فى عمله وطاعته وعبادة ، وكل عمله وكدحه وسعيه عبادة ، وذل وخضوع ، وإجلال لربه وتسبيح بحمده ، فكله تقدير . وشكر لربه ــ العلى الكبير ، الغفور الودود ــ على جزيل نعمته ، وعظيم فضله ، وكريم إحسانه وبره .

و « الآية » هى العلامة الواضحة الظاهرة لكل من يرى ويسمع ويحس من بنى الإنسان .

قال فى اللسان : الآية العلامة . وزنها فَعَلَة ، فى قول الخليل . وذهب غيره إلى أن أصلها أَيَّة فَعْلَة . فقلبت الياء ألفاً لانفتاح ماقبلها . وهذا قلب شاذ . وأصل « آية » أَوَيَة بفتح

الواو ـ وموضع العين واو . والنسبة إليه أَوَوِىّ وقيل : أصلها آيِيَة فاعلة . فذهبت اللام منها أو العين تخفيفاً . وتأيّي الشىء : تعمد آيته . وهى شخصه . أى قصد إليه اه .

وقال ابن فارس فى مقياس اللغة : الهمزة والياء والياء أصل واحد . وهو النظر . يقال : تأيّي يتأيّي تأييًا ، أى تمكث . قال :

قف بالديار وقوف زائرْ وتأىَّ ، إنك غير صاغر

وقال ابن الأعرابى : تأيَّيْتُ الأمر ، انتظرت إمكانه ، ويقال : ليست هذه بدار بِتئِيَّة ، أى مقام .

وأصل آخر : وهو التعمد . يقال : تآييت ـ على تفاعلت ـ وأصله : تعمدت آيته وشخصه .

وقالوا : الآية العلامة . وهذه مأياة . كقولك : علامة مَعْلَمَة ، وقد أيَّيْتُ .

قالوا : وأصل آية أأْيَة ، بوزن أَعْيَة ، مهموز همزتين . خففت الأخيرة فامتدت .

قال الأصمعى : آية الرجل شخصه . ا ل الخليل : خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم . ومنه آيات القرآن ، لأنها جماعة حروف . والجمع آىٌ .

وأياة الشمس ضوؤها . وهو من ذاك . لأنه كالعلامة لها اه .

وقال الراغب : والآية : العلامة الظاهرة وحقيقته لكل شىء ظاهر هو ملازم لشىء لا يظهر ظهوره . فمتى أدرك مدرِك الظاهر منهما : عُلِم أنه أدرك الآخر الذى لم يدركه بذاته ، إذ كان حكمهما سواء . وذلك ظاهر فى المحسوسات والمعقولات . فمن علم ملازمة العَلَم للطريق المنهج ، ثم وجد العَلَم : علم أنه وجد الطريق . وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً : علم أنه لابد له من صانع

واشتقاق « الآية » إما من « أى » فإنها هى التى تبين أيًّا من أىّ . والصحيح : أنها مشتقة من التأيِّي ، الذى هو التثبت والإقامة على الشىء .

ويقال لكل جملة من القرآن دلت على حكم : آية ، سورةً كانت ، أو فصولا ، أو

فصلا من سورة ، ويقال لكل فصل كلام منه منفصل بفصل لفظى : آية اه .

وقوله تعالى « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموساً لشدة ظلمته وسوادها ، لا يستبان فيه شيء ، كما لا يستبان مافى اللوح الممحو ، وجعلنا آية النهار مضيئة إضاءة شديدة ، حتى كأنهـا هى التى تبصر الأشياء وتدعو إليها الإنسان وتهديه وتدله عليها .

كما وصف ربنا تعالى « الآية » نفسها و « النهار » بذلك فى قوله (١٧ : ٥٩ وآتينا ثمود الناقة مبصرة) وفى قوله (٢٧ : ١٣ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) وفى قوله (١٠ : ٦٧ وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) وفى قوله (٢٧ : ٨٦ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً ؟ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) وفى قوله (٤٠ : ٦١ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ؟ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) .

وقال أبو حيان : الظاهر أن « الليل والنهار » مفعول أول لـ « نجعل » بمعنى : صَيَّر . و « آيتين » مفعولها الثانى ، ويكونان ـ الليل والنهار ـ فى أنفسهما آيتين ، لأنهما علامتان للنظر والعبرة . وتكون الإضافة فى « آية الليل » و « آية النهار » للبيان . كإضافة العدد إلى المعدود ، أى فمحونا الآية التى هى الليل ، وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة ـ إلى أن قال ـ فمحو آية الليل : عبارة عن السواد الذى فيه ، بل خلق أسود من أول حاله . ولا تقتضى الفاء تعقيباً . وهذا كما تقول : بنيت دارى فبدأت بالأساس ـ إلى أن قال ـ وقال ابن عيسى : جعلناها لا تُبْصر المرئيات فيها ، كما لا يُبْصَر مامحى من الكتاب . قال وهذا من البلاغة الحسنة جداً . وقال الزمخشرى « فمحونا آية الليل » أى جعلنا الليل مَمْحُوَّ الضوء مطموسه مظلماً ، لا يستبان فيه شيء ، كما لا يستبان مافى اللوح الممحو « وجعلنا النهار مبصراً » أى تبصر فيه الأشياء وتستبان . وقيل « مبصرة » أى مضيئة . وقيل : هو من باب أفعل التفضيل . والمراد به غير من أسند أفعل إليه ، كقولهم : أجْبَن الرجل ، إذا كان أهله جبناء ، وأضعف : إذا كانت دوابه ضعافا ، فأبصرت الآية إذا كان أصحابها بُصراء .

وكذلك ذكر ابن جرير قولا نحو هذا عن طائفة فى « مبصرة » .

ولعل الأظهر فى هذا ـ والله أعلم ـ أن « الآية » لشدة وضوحها هى نفسها تهدى الناس وتدلهم ، كالدليل البصير الهادى إلى الطريق يُبَصِّر السالكين بمعالمها وصُواها . ويدلهم عليها .

وقوله تعالى « لتبتغوا فضلاً من ربكم » أى لتسعوا طالبين رزقكم ، لامن عند الناس وفضلهم ، بل من فضل الله « ربكم » الذى يربيكم ويربى جميع العالمين بنعمه وفضله . فهو الذى يربيكم بما تكفل لكم من رزق لأجسامكم ، وهو الذى يربيكم بما أعطاكم من الإنسانية الكريمة العاقلة المميزة ، وبما جعل فيكم من الاستعداد الفطرى للتفكير فى آياته الكونية ، وفى تدبيره لكم فى جميع الشئون والأحوال ، ويربيكم بما أنزل لكم على من يصطفى منكم من الرسل كتبا فيها الهدى والرحمة والعلم والحكمة ـ لتزكية نفوسكم ـ وتغذية ألبابكم ، لتربو فيكم هذه النعم ، ولتربوا أنتم بها . وترتفعوا وتسموا على درجات الكرامة ، حتى تبلغوا منازل الأبرار فى عليين .

و « لتعلموا عدد السنين والحساب » الذى أنتم بأشد الحاجة إلى علمه فى عبادتكم وزروعكم ، وجميع أعمالكم وأعماركم . ، وذلك العلم إنما تثمره لكم معرفة دورة الأرض حول نفسها ، فيكون الليل والنهار . ودورتها حول الشمس . فتكون الفصول الأربعة : الشتاء والصيف والربيع والخريف ، ودورة القمر ونزوله فى منازله ، فتكون الشهور الهلالية . وهي أضبط وأدق الشهور .

قال تعالى (٦ : ٩٦ فالق الإصباح . وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا . ذلك تقدير العزيز العليم) وقال (٧ : ٥٣ يُغْشِى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وقال (١٠ : ٥ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ماخلق الله ذلك إلا بالحق . يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال (١٣ : ٢ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى . يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) وقال : (١٤ : ٣٣ ، ٣٤ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ماسألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار) وقال (٢١ : ٣٣

وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر . كُلٌّ فى فلك يسبحون) وقال (٣١ : ٢٩ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر، كل يجرى إلى أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير ؟) وقال (٣٥ : ١٣ يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل . وسخر الشمس والقمر، كل يجرى لأجل مسمى : ذلكم الله ربكم له الملك . والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) وقال (٣٦ : ٣٧ - ٤٠ وآيةٌ لهم الليل نسلخ منه النهار . فإذا هم مُظْلِمون . والشمس تجرى لمستقر لها . ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالعُرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار . وكل فى فلك يسبحون) يعنى كلا من الأرض والشمس والقمر . فإن الليل والنهار إنما يتكونان من دورة الأرض حول نفسها . فحين يواجه نصفها الشرقى الشمس يكون النهار . والليل فى النصف الآخر المقابل الغربى . وقال (٣٩ : ٥ خلق السموات والأرض بالحق . يُكَوِّر الليل على النهار و يكور النهار على الليل . وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى . ألا هو العزيز الغفار) وقال (٥٥ : ٤ والشمس والقمر بحُسْبان) .

وقوله تعالى « وكل شى فصلناه تفصيلا » يقول ربنا سبحانه : إنه قد أجمل الأشياء كلها ، وجمعها جمعا يتيسر للانسان معه أن يلم بها علما ، ثم يتيسر له أن ينتفع بها كلها مجموعة لأن الله ربه سخر له كل مافى السموات والأرض . ثم أخبر أنه سبحانه فصلها ، وميز كل شىء بخصائصه وصفاته ، وفرق بينه و بين غيره بفوارق ، يسهل على الإنسان - الكريم المحتفظ بهدى الفطرة والمؤمن المستضىء المستمسك بهدى الوحى المنزل على رسله - أن يعرف كل شىء بحقه وميزته وخصائصه فيعطيه حقه ، فيحسن تناوله واستعماله والانتفاع به ، أو اجتنابه والبعد عنه واتقاءه . بحيث إن جميع الأشياء : مما يحتاجه الإنسان ، و يفتقرون إليه فى أى شأن من شئونه الدينية والدنيوية ، مما أنعم عليكم به ربكم العليم الحكيم ، الرءوف الرحيم ، قد فصلناه و بيناه تفصيلا بيناً واضحاً ، و بياناً شافيا كافياً ، بما جعل ربنا سبحانه . فلأسمائه سبحانه وصفاته ، وأفعاله وتدبيره وخلقه ، وسننه فى الأرض والسموات خصائص ، وجعل ربنا لنفسه العلية سبحانه ، بمقتضى هذه الأسماء والصفات التى هو بها

(٤٢ : ١١ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) حقوقا : هي أن يخلص الإنسان له سبحانه الإلهية والعبادة بكل أنواعها وأن لايعبد إلا بما أحب وشرع . وجعل للانسان حقوقا مفصلة لذكره وأنثاه ، ولكل واحد منهم على الآخر ، كل بحسب وضعه في مجتمعه ، وعمله الذي يؤديه بما أعطاه ربه من حقائق في خلقه ، وبما خصه من خصائص وميزه من مزايا ، كما أنه فصل وفرق وميز بين الجماد والحيوان ، والنبات والهواء والماء ، والبحار والجبال ، وجعل خصائص ومزايا لكل عقيدة صحيحة ، ولكل عقيدة باطلة ، ولكل حكم وشريعة ، ولكل باطل ، ولكل حق ، ولكل ضلال ، ولكل هدى ، وللكفر وللإيمان، وللطاعة وللعصيان ، ولما يحب ربنا ويرضى ، ولما يكره ويسخط ، وللأنبياء ، وأتباعهم على هداهم ، وللأحبار والرهبان والطواغيت القائلين على الله وفي الله بغير علم ـ ولحزب الله المفلحين ، ولحزب الشيطان الخاسرين ، وللذكر والأنثى ، وللانسان وللحيوان ، ولكل مطعوم ولكل مشروب ، ولكل ملبوس ولكل شيء مما يضطرب فيه الإنسان ويستعمله في شئون معاشه لدنياه وآخرته ـ قد جعل ربنا سبحانه وبحمده لكل شيء وفي كل شيء من الصفات والأحوال ما يتيسر لكل إنسان ـ عاقل رشيد ، مؤمن بالله وآياته شاكر لفضله وأنعمه فيما آتاه في نفسه وفي الآفاق ، وفيما أنزل له من الهدى والفرقان ـ أن يفرق بينه وبين غيره . قد بيّن ربنا ذلك وأوضحه جيداً بمقتضى السنن الكونية ، وبهدى الفطرة ، وبما جعل لها وفيها من حواس ظاهرة وباطنة ، وبما أنزل ربنا من كتب ، وبما أرسل من الرسل مبشرين ومنذرين ، يهدون الناس إلى التي هي أقوم ، ويخرجونهم بإذن ربهم من الظلمات إلى النور . لئلا يكون للناس على الله حجة . وكان الله عزيزاً حكيما .

وبعد ، فإن من يتتبع أحوال الناس في أوروبا وأمريكا ومقلديهما والدائرين في فلكهما الباغي المفسد ـ وبالأخص من يزعمون شرف الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يرى ويسمع ويعلم : أنهم تتايعوا في التعجل إلى الشرور والآثام ، حتى أصبحوا وحوشاً ، بل شراً من وحوش الغاب ، فإن وحش السباع يفترس ليشبع ويسد جوعه . فإذا ماشبع ذهب إلى جحره ينام ويستريح حتى يهضم ماافترس ، فتذهبت الحيوانات الصغيرة سارحة آمنة من بطشه . لأنه قد قضى حاجته . أما هؤلاء ، فإنهم قد غلبهم سلطان الهوى

والغرور ، والغى والشرور ، وتحكم فيهم السفه والطيش والرعونة الخرقاء فأسرعوا عَدْوًا بها يكدحون الليل والنهار فى شحذ مخالبهم وأنيابهم ، وتزويدها بالقنابل الذرية التى تفتك بمئات الآلاف ; فهل ذلك عن جوع كجوع وحش السباع ؟ فيالهول هذا الجوع !

وهم لذلك قد ضربهم الله بسوط هذا الجوع ، الذى هو شر من جوع وحوش السباع . آلاف المرات ، وضربهم بسببه بسوط الخوف الشامل الذى نكد الله به عيشهم . وننغص عليهم كل لحظة من حياتهم . فذهبوا يحاولون تسلية أنفسهم ليتناسوا ، أو ليتغافلوا عن هذا الخوف ، فزينت لهم شياطين الشهوة الجائعة ـ جوعاً لا تشبع منه أبدا ـ اللهو الفاسق الفاجر واللعب الداعر ، وزين لهم شيطان الهوى والغرور أن هذه فنون راقية ، من ثمرات الحضارة والمدنية الحديثة ، التى ترقى بالإنسان وتبوؤ مكانه السعادة والفلاح ، والتى ولدتها عقولهم الجبارة ، فسبقت و بزت بها الأمم الغابرة التى كانت فى حياتها متأخرة .

ولا شك أنهم يعتقدون أن كل هذا هو « الخير » فيدعون به ، و يطلبونه و يستعجلونه استعجالهم للخير الحق ، و يسعون إليه بكدحهم الدائب فى التكثير من أسبابه وآلاته المدمرة الفاجرة المفجرة ، التى يزعمون بها أن يماجزون ، وهم إنما يستعجلون شديد عذابه وهم لذلك يزعمون أنهم قد عرفوا حقوق الإنسان ، وكونوا لها جماعة تحفظها ، وتدعو ـ زعمت ـ إلى حفظها والمحافظة عليها فى ظل هذه المدمرات ، و بين مخالب و براثن وأنياب أولئك الأغوال الباغين المجرمين ثم ليؤكدوا هذا التخاون لأنفسهم الغارقة فى بحار الضلال والغى والعمه والمغرورين بهم العمى الذين لايبصرون ، جمعوا جماعات سموها « مجلس الأمن » و « الأمم المتحدة » على غرار أختها ـ أو على الأصح أمها ـ التى ذهبت إلى الجحيم « وعصبة الأمم » أو على الأصح عصبة الوحوش الخائنين الغادرين الفاجرين .

أقول ـ ومن الله أستمد المعونة ، وأسأله العافية للعرب والمسلمين من هذه الشرور التى يسميها الأغوال الفاجرة سلما وأمنا ، وحفظاً لحقوق الإنسان ، وخيرا للإنسان ـ إن من يتتبع أحوال الناس ، ثم يتلو قول الله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير . وكان الإنسان عجولا) و يجمع إليها ماورد فى القرآن الكريم من أخواتها وأشباهها ، و بالأخص قول الله تعالى (١٠ : ١١ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم ـ إلى ـ يعمهون) . يتضح له و يعلم أيقن العلم وآكده : أن هؤلاء الغواة الفجرة ـ أراح الله الإنسانية منهم

ومن شرورهم ـ إنما زين لهم الشيطان سوء أعمالهم الشريرة والفاجرة ، وزعموها خيراً لهم وللناس ـ إن صدقا ، وإن كذبا ـ فى غمار كفرهم بالله وآياته وكتبه ورسله ، وفى ظلمات تقاليدهم الجاهلية الغافلة العمياء أشد العمى عن سنن الله الكونية فى الأنفس والآفاق وفى شدة بلادتهم المميتة التى نزلوا بها أحط من دركات الحير ، وظنوا بكل ذلك أنهم وحدهم هم الذين يعرفون الخير ، ويفرضونه على غيرهم ، وأنهم وحدهم هم الذين يعرفون السلم ويقدرونه قدره ويفرضون سلمهم هذا على غيرهم ، وأنهم وحدهم هم الذين يعرفون للإنسان حقوقه ، ويقدرونها قدرها ، ويفرضونها على غيرهم ! ! فما أغباهم ، وما أضلهم وأشد عماهم ، وما أغفلهم وأشد بلادتهم ! !

إنهم لو كانوا يعقلون لرجعوا عن غيهم ، وثابوا إلى رشدهم ، وعادوا إلى أنفسهم وأهليهم يبحثون لهم ـ من سنن الله وآياته وكتبه الحقة ، ورسالاته الصادقة ـ عما يكبح جماح أهوائهم الباغية ، ويطفىء نيران شهواتهم المشتعلة ، ليأمنوا من شرور أنفسهم ، ويسلموا من سيئاتهم وسوء أعمالهم وفجورهم ، الذى قضى على كل مزايا الإنسانية فيهم ، وردهم شراً من وحوش السباع وأجرأ على الفواحش والمنكرات منها .

إنهم لو كانوا يعلمون ويفقهون لرجعوا عن غيهم ورعونتهم وطيشهم ، وعرفوا مما صنع الله فى الشرق الإسلامى العربى من يقظة وحيوية جارفة ، قد استيقظت ، ونفضت غبار الغفلة الطويلة المدى عنها ، وحطمت عملاءهم ، ووطئتهم تحت النعال . ثم وقفت وقفة الرجل الكريم الذى غمرته الحمية الإسلامية ، والشهامة العربية ، تستعد وتأخذ كل الأهبة ، وتهيىء جميع الأسباب ـ مستعينة بالله ربها الذى أعطاها الحياة العزيزة الكريمة ، والذى ـ بفضله وعزته وحكمته ـ أيقظها ، والذى بعزته وقوته وحكمته وتأييده ونصره يؤيدها ويمدها . وهى ساعية سعيها ـ بتوفيق الله وتأييده وتسديده ـ إلى البطش بأولئك المغرورين الأشرار ، الذين يسعون فى الأرض فساداً (وإذا قيل لهم : لاتفسدوا فى الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون) (والله لايحب المفسدين) فلا يمكن أن يبقى على إفسادهم . وقريباً جداً سيبطله الله (١٠ : ٨١ إن الله لا يصلح عمل المفسدين) وسيرد كيدهم الخائن فى نحورهم (١٢ : ٥٢ وأن الله لايهدى كيد الخائنين) فهم أبغض الخلق عند الله ، وأمقتهم

لديه ، لأنهم أخون الناس ، وأحرصهم على الخيانة ، وأسرعهم جرياً إليها (٨ : ٥٩ إن الله لا يحب الخائنين) .

وأنها قد عقلت فانكشفت لها حقيقتهم ، وأنهم أكدُّ أعدائها وأفجر خصومها . وأنهم لا يألوننا خبالا ، ويودون أشد الود ضرنا وضر الإنسانية كلها ليشبعوا جوعتهم الوحشية . ولقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم . والله بما يعملون محيط .

* * *

نفعنى الله وإياكم بما فى القرآن من الآيات والذكر الحكيم ، وجعلنا من الذين يتلونه حق تلاوته ويفهمونه حق فهمه ، ويعرفون مقاصد منزله سبحانه منه ، وعرّفنا ماأراد لنا من إجمال كل شيء ، ثم تفصيله . وآتانا من فرقان القرآن مانفرق ونميز به بين الخير والشر ، والطيب والخبيث ، والنافع والضار ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، والنور والظلمات ، والحكمة والسفه ، والرشد والغى ، والتوحيد والشرك ، والإيمان والكفر ، والتقوى والفجور ، والطاعة والعصيان ، وأسباب القوة والعزة ، والرقى والسمو ، على معارج الكرامة ، وأسباب الضعف والتدهور ، والتسفل فى دركات اللهو والفسوق والانحلال الخلقى ومحاربة سنن الله العليم الحكيم .

وأسأل الله سبحانه ـ وهو القادر على أن يعجل بالإجابة ـ أن يعجل الدمار على أعداء الإنسانية الطغاة الغواة فى كل مكان ، وأن يجمع كلمة العرب المسلمين شعوباً ورؤساء على مايحب ويرضى لهم من الخير والرشد ، والسداد والنصر العاجل على جميع الأعداء ، وأن يجعل الخير والحق والرشد والحكمة على قلب ولسان عبده الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن يَشُدَّ سلطانه ، ويؤتيه الحكمة وفصل الخطاب . وأن يرفع على يده الموفقة راية الإسلام ، ويعلى بقوة ساعده رءوس العرب والمسلمين ، وأن يجعلنا من جنده المجاهدين فى سبيله وابتغاء مرضاته لإعلاء كلمته ، ويعيذنا من الفتن ماظهر منها وما بطن ، ويتوفانا على صادق الإيمان وصالح الأعمال .

وصلى الله وسلم وبارك على خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ، عبده ورسوله الخاتم محمد ، وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين ، وأن يجعلنا من آل هذا الرسول وحزبه المفلحين فى الدنيا والآخرة .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

٢٣

أخطاؤنا . . . ومحاسبة النفس

الأديب سعد صادق محمد

كم من أيام انقضت والإنسان فى هذه الدنيا من يوم أن خلقه الله وأهبطه على الأرض يضرب ويسعى من أول النهار إلى آخر الليل ، ويصارع الحياة فى سبيل الرزق ومطالب العيش ، ويتقاتل مع غيره من الناس قتالاً مريراً من أجل المال ، وفى سبيل معركة الأمانى والطموح والمستقبل ، ويزاحم هذا وذاك ليحصل على مايريده من المتاع والقوة والمكانة فى المجتمع .

إن أعمالنا كلها مليئة بالأخطاء ، وأحوالنا لا تخلو من العيوب ، وحياتنا زاخرة بالثغرات ، فهل فكر كل منا فى أن يحاسب نفسه ويراجعها ؟ ! . .

هل فكر كل منا فى أن يخلو فى نهاية يومه إلى نفسه ليستعرض مافعله ولينظر ماقدمت يداه . ثم يزن أفعاله بميزان دقيق ليرى هل كانت خيراً فيحمد الله عن نعمه وفضله وإحسانه ويشكره على أن رزقه التوفيق والقوة والسداد ، ويطلب منه المزيد من الرشاد والهداية والصواب . . . أو ليرى هل كانت شراً وسوءاً فيستغفر الله لذنبه ويتوب إلى رشده ويرجع عن طريق الغواية ، ويرجوه أسباب اليقظة والحذر والتبصر ويدعوه أن يجنبه طريق الزلل والخطأ وأن يهديه صراطه المستقيم .

ولا يستطيع أحد أن يقول : إن الإنسان بعيد عن مواطن الخطأ ، أو هو معصوم من الزلل ، بل هو سريع النسيان كثير الغفلة ، يرتكب الخطأ بطبعه ويذنب بفطرته (لأنه بشر) وهذا مايقرره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » .

فالإنسان لا بد أن يخطىء ، ولابد أن يكون الخطأ وتوجد العثرات وتكون الزلات حتى يأخذ المرء منها الدروس والعبر لحياته ، ويحفظ نفسه فى المستقبل من عواقب أخطائه ونتائج تصرفاته ، فلولا الخطأ ما كانت معرفة الطريق إلى الصواب ، ولولا الشر ماعرف

الخير ولا استطاع المرء أن يميز بينهما ، ولا كان الدافع على تجنب سبيل الشر والسير فى طريق الخير ، وهذه حكمة إيجاد (الضدين) .

لكن ليس معنى ذلك أننا نسمح لأنفسنا بأن نمشى بتخبط فى شئوننا ، وأن نطلق العنان لأعمالنا وتصرفاتنا لنعمل فى حقل الغفلة والجهل ، وأن نتغفل عن فلتات الألسنة ، وزلات الأقدام اعتماداً على أن الإنسان مجبول على الخطأ ، مفطور على النسيان دون أن نقاوم النوازع التى توقعنا فى السوء ومجاهدة الدوافع التى تجلب لنا الشر ، ولنقرأ قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى خطبة له عند مايقرر أنه غير بعيد عن الخطأ ، وأنه غير معصوم من هفوات البشرية ، ثم يعود سائلاً الله أن يلهمه العمل بما يرضيه ، وأن يرزقه البر والتقوى ، وأن تكون تصرفاته عن خشوع ويقين ، يقول عمر : « اللهم إنى كثير الغفلة والنسيان ، فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين ، اللهم إنى ضعيف عند العمل بطاعتك ، فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات[1] ، والحذر من الشبهات[2] ، اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك مابقيت ، إنك على كل شىء قدير » .

عمر رضى الله عنه ، على قدر ماتفضل الله عليه من نعمة الحكمة والتقوى . يتضرع إلى الله أن يرزقه « الحياء منه » لأنه المانع من المضى فى كل عمل لا يهدف إلى الخير والنفع والحائل بين المرء وتصرفاته الدنيئة .

وأن يثبته « بالتقوى » لأنها الأساس الذى يجب أن يرتكز عليه كل عمل صالح . (٨ : ٢٩ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم) .

---

(١) إصلاح أوقاتى واستعمالها فى النافع المفيد .

(٢) الاحتراس من الشكوك .

« وأن يلهمه ذكره على كل حال » لأن ذكر الله دائماً ، إنه سميع بصير ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، يبعث على الخشية والحذر والوقار ويوجه الإنسان إلى كل ما يرضى الله .

« وذكر الموت فى كل حين » فهو أعظم مذكر للمرء بيوم الحساب ، وعرض أعماله وتحثه على عدم التكالب على حطام الدنيا الفانى ، والعمل لما يجعله الله أهلا لنعيم الآخرة . ولهذا أباح الرسول الكريم زيارة القبور لما فيها من العبرة وما تجنيها من التذكرة ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » . والآخرة هى التى تشير إليها الآية الكريمة الآتية تبينها للإنسان بأهوالها ، ومدى عظمها ومسئوليتها الجسيمة ، وتحذيراً له من أن يجرفه تيار الفتن ويأخذه غرور الدنيا فينسى الآخرة « يوم الحساب » يوم وزن الأعمال يوم العدل ، (٣ : ٣٠ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء ، تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) .

وأن يرزقه « المحاسبة لنفسه » حتى يعرف خطأه ويتضح له ماقصر فيه وما أداه من الواجبات الملقاة على عاتقه . لقد كان عمر رضى الله عنه يرى أن حكم البلاد أكبر من أن يترك بلا حساب ، وأن دفة هذا الحكم أعظم من أن تدار كيفما توجهها الأهواء ، كأن يعتبر نفسه مسئولاً لا حاكما ، وهذا يستلزم الحساب دائماً ، فهو « راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » وهذا مادعى أحد المسلمين فى ذلك الوقت أن يرد على عمر بقوله : « والله لو علمنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » وذلك حين خطبهم قائلا : « هل رأيتم فىّ اعوجاجاً » .

ولعل هذه الناحية المهمة الحساسة تبرز لنا لوضوح شعور السلف الصالح رضى الله عنهم بمسئولية (الحاكم) الكبرى أمام الله وأمام الناس عن أى خطأ يجعله موضع انحراف ومؤاخذة .

وآية ذلك قول عمر « لو زلقت بغلة بالعراق لعلمت أنى محاسب عليها» فهو ليس مسئولاً

ومحاسباً عمن فى المدينة ومقر الخلافة . وما يجاورها من القرى فحسب ، بل هو مسئول عمن فى العراق التى تبعد عن المدينة بآلاف الأميال أيضاً .

وأن يعينه على « التفكر والتدبر لما يتلوه لسانه من كتاب الله والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك » وكيف لا والقرآن هو الدستور الذى ضمن الله لمن تمسك به واتبعه سعادة الدنيا وفلاح الآخرة (٩ : ١٧ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) و يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله » .

وعمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم ، هم الرعيل الأول من المسلمين الذين يجدر بنا أن نتخلق بأخلاقهم ونتأدب بأدبهم ، ونتخذ حياتهم سراجاً لنا ، امتثالا لقول الرسول الكريم « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » ولكننا لا نحاول أن نقرأ سيرة سلفنا الصالح ولا أخبارهم لنترسم خطاهم ، بل تركنا سنتهم ونبذناها ، واتبعنا سنة مصدرها الأهواء وسبيلا منبعه الأغراض واحتكمنا إلى الطواغيت .

لقد كان الواحد منهم إذا ما أخطأ أو ارتكب ذنباً أسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه معترفا بخطيئته معلناً أنه أتى سيئة و يطالب إقامة الحد عليه و إنزال العقاب الذى يستحقه به .

كانت العبر تحذرهم وأخطاء الماضى تنفعهم والخشية من غضب الله تنبههم . لكننا اليوم لا نعترف بالذنب إذا اكتسبناه و إذا ثبتت الجريمة وأمسكت بتلابيبنا نحاول أن نخفى معالمها وتبذل الجهود لطمس الحقائق والتعمية والتضليل . وعلى قدر ما نجنيه من ثمار الغفلة والفساد لا نتعظ بالنكبات ولا نعتبر بالفضائح والجرائم التى تملأ كل جوانب حياتنا ولا ندرى ماذا كان من أخطاء الماضى وسيئاته ولا نحاول أن نجنى فائدة من أخطاء الغير وما ترتب عليها من مآسى مؤلمة ونهايات محزنة .

يظلم الإنسان نفسه بما يرتكبه من المنكرات ويقترفه من السيئات وينسى أن الله مسجل عليه كل أعماله ومحاسبه عليها (وما تكون فى شأن وما تتلوه منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم . شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال

ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ١٠ - ٦١)
وقد ذكر الله كلمة (عمل) منكرة لتشمل كل عمل فى الحياة سواء أكان هـذا العمل يتصل بالدين أم يتصل بالدنيا .

وقد يرجع الإنسان عن طريق الغواية ويعلن التوبة عندما يحس بالألم ويرى نتائج أعماله الوخيمة ولـكنه سرعان مايغرر به الشيطان وينفث فيه روح الشر والرذيلة ، وينسى كل ماحدث بالأمس فيسرع الخطى نحو دنيا الغىّ ويرجع إلى حياة الجهل والهوى والهلاك .

وهكذا يعود سيرته الأولى دون أن تكون لنتائج جهله ومجونه أثراً ولا أن يجنى من فيئته نفعاً (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ٢ - ١٦) .

والإنسان يستطيع أن يضلل الإنسان وأن يخدع القانون ويستطيع أن يهرب من وجه البوليس وأن يفر من ساحة العدالة . . ولـكنه لايستطيع أن يهرب من نفسه . . لايستطيع أن يفر من سلطان النفس المؤنبة اللوامة .

كما أنه لن يستطيع أن يخادع ضميره ، فلا بد للضمير أن يصحو وينتصر والشخص الخير بفطرته إذا انحرف واعوج وحاد عن الطريق السوىّ كان له من ضميره خير ضابط ومن ذكر الله وخشيته له خير محاسب وأعظم ملاذ فيعود إلى طبيعته الخيرة من جديد (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ٧ - ٢٠١) .

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ٣ - ١٣٥)

أما الشرير فإن انتصار الضمير عليه من لون آخر فهو يحطمه ويقتله ويحيله إلى كتلة من الأعصاب الواهية المتداعية فيضر نفسه قبل أن يضر غيره . ولأجل أن نتجنب هذه الشرور ونقى أنفسنا آلام هذه المتاعب التى تحيط بنا جميعاً . فليحاسب كل منا نفسه إذا ما انتهى من يومه لـكى نعرف مالنا وما علينا وتتبين أخطاءنا وزلاتنا ونتعود الحساب أولا بأول ونأخذ من هذا الحساب ونتعلم من هذه اليقظات ، والمراجعة الدائمة وقاية مما نـكره ومناعة مما نبغض فلا نتعود الأخطاء ولا تتكرر المشاكل والمآسى وتـكثر الجرائم وبذلك يمكننا القيام بكل عمل لا خطأ فيه . . . عمل منتج مثمر يعود علينا جميعاً بالخير والطمأنينة والسلام .

التفرق والاختلاف — ٥ —

آفة الجماعة الإسلامية

للأديب عبد السلام رزق الطويل

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتى أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » أقول هذا دفعاً لشك قد يطرأ حول تعبير قلته فى العدد الماضى ، فهم منه بعض الاخوان معنى لا أقصده ، ولا أريده ، وأنى لمسلم أن يفضل عصرا أيا كان على عصر الصحابة ؟

كيف تطور الخلاف السابق إلى خلاف فى الرأى والعقيدة ؟ ! .

كان لما حل بالمجتمع الإسلامى الأول من فتن متلاحقة ، وحروب دامية استعرضناها فى مقالنا السابق أثر بالغ الخطورة فى دينه وعقيدته ، إذ هزت هذه الأحداث المجتمع الإسلامى هزة عنيفة ، فاختلفت أنظار المسلمين نحو طرفى النزاع منهم واختلفت أنظار المختلفين أنفسهم بعضهم إلى بعض ، وكسب المجتمع الإسلامى - إن صح هذا التعبير - ظهور طائفة من الفرق والأحزاب حملت ألوية هذا الخلاف إلى الآن ، وازداد اختلافهم استعاراً بمرور الزمن .

نظرة المجتمع إلى المختلفين : أخذ المسلمون يكيفون هذه الأحداث الجُلّى التى كانت بدايتها مقتل عثمان رضى الله عنه فكان يحز فى نفوسهم ، و يجرح عواطفهم أن يقتل عثمان وهو صحابى جليل ، له ماض مجيد فى الإسلام ، مملوء بالتضحية والفداء ، ثم هو خليفة انعقدت له البيعة من جميع المسلمين ، وقاتلوه قوم شذوا عن الجماعة الإسلامية .

كما كانوا ينظرون إلى الحرب بين على ومعاوية نظرة إشفاق وألم من تلك الحروب المرة التى أراقت دماء المسلمين بسيوفهم ، وجعلت بأسهم بينهم بعد أن كان على عدوهم .

ظهور الخوارج : لكن قلة من المسلمين كانت لهم إذ ذاك نظرة قاسية للمختلفين ، ولعثمان وقتلته أيضاً فعثمان فى رأيهم كافر لأنه فعل كذا وكذا من الأفعال التى أشرنا إليها ، و بينا حقيقتها فى مقال سابق ، وزعموا أنه حكم بغير ما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ؛ وأما قتلته فهم أبرار لأنهم سعوا لتخليص المجتمع الإسلامى منه ، وساروا على هذا النحو فى تكييف بقية الحوادث ، فعلي أيضاً فى نظرهم ارتكب من الكبائر مايبرر كفره ، ومعاوية وعَمْرُو بن العاص كذلك ارتكبا من الكبائر مايبرر كفرهما ، ولهذا حاولوا اغتيال الثلاثة الذين كانوا سبباً فى تفريق صفوف المسلمين ، ونجحوا فى قتل علي[1] وأخفقوا فى قتل معاوية وعمرو بن العاص .

هؤلاء كانوا يمثلون فرقة الخوارج ، وهى أول حزب ظهر فى الإسلام برأى خاص يخالف الجمهور ، ولم يعرفوا بهذا اللقب إلا بعد فشل التحكيم حيث خرجوا عن طاعة علي لقبوله التحكيم ، مع أنهم هم الذين حملوه قبل ذلك على قبوله .

« وليس بلازم أن توجد التسمية لمسمى منذ اللحظة التى وجد هو فيها ، بل كثيراً ماتكون التسمية - وبالأخص إذا كانت رمزاً لمعنى خاص يعد تمييزاً للمسمى - متأخرة عن وجود المسمى نفسه[2] » .

الشيعة : وإذا كان الخوارج يرمون علياً بالكفر ، ويرون أن الإمامة حق لكل مسلم متى كان كفؤاً ، ويختاره أهل الحل والعقد من المسلمين ، فقد قامت طائفة من المسلمين ونصبوا أنفسهم للدفاع عن علي وتبرير موقفه ، وتخطىء الطرف الآخر ، ثم بينوا رأيهم فى الخلافة وأنها بالنص لا بالانتخاب ، لأن الخلافة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، بل هى أصل من أصول الدين يجب التنصيص عليه من الخليفة . وهؤلاء كانوا يمثلون حزب الشيعة الذين كانوا يشايعون علياً رضى الله عنه ، ويدافعون عنه[3] وقد تضخم هذا الحزب

(١) وكان قتله على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ .

(٢) الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى (ج ١) ص ٤٦ .

(٣) كان من كرام الصحابة من يتشيعون لعلى رضى الله عنه بمعنى تأييده فى طلبه الخلافة وأحقيته لها ، ولكن لم يسيروا على طول الخط مع الشيعة الذين تحدثنا عنهم .

وتعددت فرقه وطوائفه ، واختلفت آراؤهم وتباينت مذاهبهم ، حتى شذ كثير منهم عن الصواب بما لهم من تعاليم لا تتمشى مع الإسلام الصحيح .

أول مشكلة عالجها المجتمع : أمام هذا التنابز القوى بين الشيعة والخوارج ، وظهور كلمة الكفر بينهم فى هذا المجتمع ، وترامى بعض المسلمين من الشيعة والخوارج بها ، كان يحز فى نفوس بعضهم شيوع هذه الكلمة بينهم ، وهم الذين كانوا لا ينطقون بلفظ الكفر أو الإثم أو المعصية بله يفعلونها أو يرمون أحداً منهم بها ، ومن هنا وجدوا أنفسهم مضطرين لعلاج هذه المشكلة التى شغلت أذهانهم ، وهى أول مشكلة أثير حولها جدل كلامى فى المجتمع الإسلامى . وهى : حكم من ارتكب الكبيرة ، وعلى ضوء هذا الحكم تتحدد نظرتهم إلى المختلفين أنفسهم ، وقد عرفنا فيما مضى رأى جمهرة المسلمين فى قتل عثمان ، وفى الخلاف الذى نشب بين على ومعاوية كما عرفنا رأى الخوارج فى هذا الموضوع .

مرجئة الخوارج : لكن الذى أريد أن أقوله : هو أن بعض المسلمين رأى شقة بعيدة وبوناً شاسعاً بين رأيى الشيعة والخوارج ، فأرادوا أن يتوسطوا ويلطفوا الجو الخلافى بينهما ، ويقللوا من أثر تلك الهوة الشاسعة . فقالوا : مرتكب الكبيرة لا نحكم عليه بكفر ولا إيمان ، ولكننا نرجىء الفصل فى أمرها إلى الله تعالى ، وكان رأيهم فى الإمامة يتمشى مع رأى الخوارج ، ويخالف ما كان يراه الشيعة ، ولهذا سموا مرجئة الخوارج لأنهم يرجئون أمر هؤلاء المختلفين إلى الله ، فلا يصدرون عليهم حكما فى الدنيا وأضيفوا للخوارج لأن رأيهم فى الخلافة وكونها حقاً للجميع هو رأى الخوارج .

وكانت أهداف هذا الحزب محاولة القضاء على لفظة الكفر والترامى بها فى هذا المجتمع حتى يسع المخالف فى الرأى من خالفه فى رأيه ولا يرميه بالجحود والكفران ، فهم حاولوا أن يكونوا همزة وصل بين الطرفين تقريباً لوجهتى النظر .

أبو الحسن البصرى : ثم جاء أبو الحسن البصرى رضى الله عنه ، وأخذ يعالج هذه المشكلة علاجاً عاماً بصرف النظر عن شخصية المختلفين وأيهم المخطىء والمصيب ، فناقش

حكم من ارتكب الكبيرة وقال : إن مرتكب الكبيرة أيا كان منافق[١] ، ثم تخلص من هذا إلى الحديث عن تحديد عن معانى الإسلام والإيمان والكفر ، وزيادة الإيمان ونقصه ، ونحو هذا من المشاكل الأولى التى حدثت فى المجتمع الإسلامى ولم تكن لتخطر على بال الرعيل الأول من المسلمين لأن إيمانهم القوى بالله ، وشغلهم الشاغل بالجهاد فى سبيله صرفهم عن الخوض فى أمثال هذه الأمور .

وفى مجلس من مجالس الحسن البصرى ظهر تلميذه واصل بن عطاء ، ومعه عمرو بن عبيد برأى جديد فى مرتكب الكبيرة ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين . وهو لا يختلف كثير عما ذهب إليه الحسن البصرى وإن عدّا معتزلين لمجلسه ، ومنهما كانت النواة الأولى لجماعة المعتزلة .

إذن لم يكد ينتهى القرن الأول من الهجرة إلا وقد ظهر فى المجتمع الإسلامى فرق أربع : الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، ونواة المعتزلة بن الواصلة والعَمْرية .

وكان محور الخلاف بين هذه الفرق هو مرتكب الكبيرة ومصيره ، وما يتصل بهذه المشكلة من تحديد معنى الإيمان والإسلام والكفر والنفاق ، وكان منهج هذه الفرقة هو الاستظهار بآيات القرآن ، واتخاذها دعامة لتأييد مذهبهم ولو ركبوا مركب التأويل ، وامتطوا متن التعسف ، المهم أنهم كانوا يحاولون أن يربطوا مبادئهم بالدين ، ويؤيدوها بنصوصه وإلا قضت هذه الفرق بأيديها على نفسها .

وكانت هذه المشكلة وما اتصل بها هى نواة علم الكلام الذى نما وترعرع فيما بعد حين . اتصل التفكير الإسلامى بفلسفة الإغريق .

ومن هنا نرى كيف تحول التسليم والإذعان لنصوص القرآن اللذين كانا سمة السابقين إلى جدل عقلى ، ونقاش منطقى ، وتدخل الناس بأفكارهم فى نصوص القرآن لتوجيهها وجهة تؤيد مذهبهم ، وتنصر وجهتهم .

---

(١) مستدلا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف » .

عصر الاختلاط والترجمة : وإذ أشرق على العالم أحداث القرن الثانى ، وفى مستهلها قيام دولة بنى العباس سنة ١٣٢ هـ . وقد قامت على أكتاف الفرس ، وشبت تحت رعايتهم ، وصنعت على أعينهم ، ومن أجل ذلك تقلدوا أكبر المناصب فى الدولة وفيهم حنين إلى إعادة ثقافتهم الدارسة ، ومجدهم الغابر ، ولم يكن الخلفاء العباسيون كسابقيهم فى النظرة إلى التراث العربى والإسلامى ، فلم يجدوا مانعاً من ترجمة منطق اليونان وفلسفتهم ، وفلسفة الفرس ، وحكمة الهنود وآدابهم بل كانوا يقدمون الجوائز السنية والهبات الجمة للمترجمين حتى زاد إقبالهم على الترجمة والنقل طمعاً فى عطايا الخلفاء ، وأقبل كثير من علماء المسلمين على دراسة هذه الكتب ، ولا سيما كتب الفلسفة والمنطق . وخدعوا بها ، فكانوا بين شارح لها وموفق بينها وبين عقيدة الإسلام ، يجذب مرة نصوص الإسلام ويحملها حملا على التمشى مع الفلسفة ، ومرة يجذب نصوص الفلسفة ويحملها على التمشى مع الدين ، وفى كلا الحالين يسلكون سبيل التأويل ، ويمتطون متن الشطط .

وكان فى مقدمة هؤلاء ، الكندى والفارابى ، وابن سينا وابن رشد وغيرهم من فلاسفة الإسلام المشائين[١] الذين أضاعوا صراحة الدين ، ووضوحه وهدايته فى متاهات الفلسفة والتواءاتها .

يقول الدكتور محمد البهى مشيراً إلى هذا المعنى: « ولو درى فلاسفة الإسلام المشائين قيمة الفكر الإغريقى ، وأنه لم يخلص تماماً من الشعر والخيال لآثروا أن يكون لهم منطق خاص بهم ! !

ولو علموا نتائج قبولهم آراء أفلاطون وأرسطو فى شرح العقيدة على العقيدة من حيث هى عقيدة لتركوا للقرآن الكريم وحده ـ كما هو ـ الطريق إلى قلوب المصدقين ، وعقول الخاصة من الناس »[٢] .

ثم نرى الغزالى ينبرى للرد على الفلسفة الأغريقية ، وعلى الفلاسفة الموفقين بين الدين

---

(١) أتباع أرسطو .

(٢) الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى (ج ٢) آخر صفحة .

والفلسفة فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ويكفرهم فى مسائل ثلاث ، وإن كان متأثراً بهم فى كثير . بينما يقوم ابن رشد فى الاندلس ليرد على الغزالى فى كتاب « تهافت التهافت » منتصراً للفلسفة .

وهكذا غزا تيار الجدل الفلسفى المجتمع الإسلامى ، ووجدت آراء اليونان فى الطبيعة والإله من ينتصر لها ، ويدافع عنها ، بل ويتعصب لها حتى نرى من المسلمين من يكاد يزعم نبوة أرسطو[1] .

تأثر الفرق الإسلامية بالفلسفة : والفرق الإسلامية التى جدت فى القرن الأول ، وتحدثنا عنها آنفاً أقبلت هى الأخرى على دراسة الفلسفة والمنطق ، والاستعانة بهما على صوغ أدلة عقلية يؤيدون بها فرقهم ، ويناهضون بها الفرق المخالفة لهم ، وإذا اتسع نصيب العقل فى الاستدلال ـ والعقول مختلفة فى الإدراك والتقدير ـ ترى الفرقة الواحدة تنقسم على نفسها فرقاً متعددة ، ولهذا نرى فى المعتزلة ، عمرية وواصلية ـ وجاحظية ، وهذلية ونظامية ، ونرى فى الشيعة : سبأية[2] . وإمامية ، وبابية ، وإسماعيلية ، واثنا عشرية وهكذا ! .

والذى يجب أن نلاحظه ، ونشير إليه أن الشيعة منذ أن حمل لواءها عبد الله بن سبأ الذى أسلم بعد تهود نراها لا تكاد تلتقى مع الإسلام إلا فى القليل ، ومع ذلك تخالفه فى الكثير ، بل إن من فرقها من هم مخالفون لبديهيات الإسلام بعيدون عما علم منه بالضرورة كالباطنية والاسماعيلية .

والفرقة التى كانت سائدة بمبادئها فى العصر العباسى هى المعتزلة بفروعها ، والسبب مناصرة الخلفاء لها ، وحمل الناس اعتقاد مبادئها ، وكان منهجها الاستعانة بالفلسفة فى تأييد

---

(١) يروى فى سبب ترجمة كتب الفلسفة أن الخليفة المأمون رأى أرسطو فى النام فأرشده إلى أسباب الخير وفى مقدمتها كتبه .

(٢) نسبة إلى عبد الله بن سبأ وهو يهودى أسلم ، وله اليد الطولى فى انحراف كثير من فرق الشيعة عن منهج الإسلام الصحيح .

قضايا الدين وظلت لها السيادة حتى عهد الخليفة المتوكل فى منتصف القرن الثالث للهجرة تقريباً .

أهل السنة : وفى مقابل المعتزلة نرى فرقة كبيرة عرفت فى العالم الإسلامى باسم أهل السنة وهؤلاء ظلوا مضطهدين طيلة عصر سيادة المعتزلة حتى ناصرهم الخليفه المتوكل ومن أتوا بعده .

وهؤلاء و إن خالفوا المعتزلة فى كثير ، وتمشوا مع النصوص إلى حد ما إلا أنهم كانوا مثلهم فى خلط أفكار الفلاسفة وشطحاتهم بنصوص الدين الناصعة الواضحة ، ولم يكونوا فرقة واحدة بل كانوا منقسمين إلى أشعرية وماتريدية .

ومن هنا ، ومن أجل هذا الاختلاف الشاسع بين الفرقة ، وذلك الجدل العقيم الذى شقى به المجتمع الإسلامى شقاء مرا فيما مضى ، ولا يزال يشقى به للآن نرى اختلافا فى صفات الله بين مشبهة ومعطلة ، وفى القضاء والقدر بين جبرية وقدرية ، وفى رؤية الله تعالى بين مثبتة ومانعة وكذا فى الصلاح والأصلح ، والتوفيق والخذلان ، والكسب والاختيار . بل تحدثوا فى السمعيات ، وأطالوا فيها ، واختلفوا أيضاً ، وما كان لهم أن يختلفوا فى شيء من عالم الغيب .

علم الكلام : وتمخض هذا كله عن علم الكلام الإسلامى الذى يعطيك صورة واضحة عن هذا الجدل ولا يمكن أبداً لو قرأته أن تخرج منه بالعقيدة الإسلامية الصحيحة التى فهمها الصدر الأول من آيات القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واقرأ إن شئت فى هذا الصدد جوهرة التوحيد والمواقف للنسفى ، والسنوسية ، وغيرها من الكتب التى تصور الجدل فى هذا العصر ، ومن الغريب أن بعض هذه الكتب يدرس فى الأزهر لصغار الطلاب على أنها التوحيد الإسلامى وهى مع ذلك لا تصور قدرة الله ، ولا تكشف عن عجيب صنعه ، وأملنا كبير فى أن يتخلص الأزهر من مناهج علم الكلام الذى نشأ ربيب الجدل والمراء ، و يعدل عنها إلى مناهج أخرى لعلم التوحيد مستقاة من القرآن ، ومن القرآن وحده ، ومن صحيح سنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

« يتبع »

حول ندوة الإسلام والتصوف

لفضيلة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش

> « لايحقرن أحدكم أن يرى أمراً لله فيه مقال ، فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : مامنعك أن تكون قلت فى كذا وكذا ؟ فيقول: مخافة الناس ! فيقول الله : إياى أحق أن تخاف » .
>
> حديث شريف

— ١ —

أصل البلاء

ليس من شك فى أن الذى أفسد الديانات منذ أشرقت أنوارها على الأرض ، إنما هو البدع ومحدثات الأمور .

يأتى الرسول أمته بدينه نقياً خالصا لاتشوبه شائبة ، ويبلغها رسالة ربه فى سماحتها وصفائها فتتبع شريعته حينا من الدهر ، ثم يوسوس الشيطان لمفتون من الأئمة بعد أن يلحق الرسول بالرفيق الأعلى . فيأتيها بجديد يوهمها أنه يزيدها قربا من الله ، فيفتتن به طغام الأحلام ، وضعاف العقول ، فيعملون به ، ثم يأتى مفتون آخر بجديد آخر فيتبع ، وهكذا حتى يسرى الفساد فى الدين ، وتضيع رسالات الأنبياء بما أدخل عليها من البدع ومحدثات الأمور .

روى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجُرّ قُصْبَه فى النار ! كان أول من سيّب السوائب » .

لا جرم أن عمرو بن عامر لم يكن (متحجر الفكر ، ولم يكن يريد الحجر على الحياة الدينية ، ولم يكن يريد حبسها داخل قالب ضيق لاتمتد أقطاره ، ولا يتسع أفقه[1]) .

بل كان يريد أن يطور الدين تبعاً لتطور الحياة ، وقد رأى أن شريعة إبراهيم وإسماعيل تنقصها شعائر العمل الحر يزيد العاملين بها تقربا إلى الله فأحدث هذه البدعة ، ولكن

---

(١) من عبارات الندوة .

الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم أخبرنا « أنه رآه يجر أمعاءه فى النار » جزاء بما أحدث فى دين الله ، بتسييب السوائب ، وإفساد شريعة إبراهيم وإسماعيل .

— ٢ —

بدعة الدين وبدعة الدنيا

إن الفريق من الناس الذين تضمهم الندوة (بالفهم الضيق الخاطىء ، وباستغلال كلمتى السنة والبدعة استغلالا سيئا يترك أثراً ضاراً بالمجتمع الإسلامى ، وبتطور الحياة الإسلامية) أقول : إن هذا الفريق من الناس يفرق بين البدعة فى الدين ، والبدعة فى الدنيا ويحكم على كل منهما بما أنزل الله أى بالحكم الذى تقتضيه نصوص الشريعة المطهرة .

— ٣ —

بدعة الدنيا

أما بدعة الدنيا : فيقولون فيها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما دام الأمر لا يتصل بعقائد الناس ولا بعباداتهم ، فلهم أن يبتدعوا فى دنياهم ماشاؤا ، ويسايروا التطور وتقدم العمران .

إنهم يقولون : تطوروا فى دنياكم ما شئتم : استضيئوا بالكهرباء ، واستخدموها فى جميع ماتستخدم فيه من شئونكم وأغراضكم ، استعملوا المذياع والرادار ، وأعدوا لأعدائكم القنابل الذرية والهيدروجينية . امتطوا القطار والباخرة ، والسيارة والطيارة والمنطاد والدراجة البخارية وغير البخارية ، سايروا التطور العلمى والفنى ، وانتفعوا بكل المخترعات والمستحدثات ، وسابقوا الأمم فى جميع ميادين التقدم ، ولا تألوا جهداً فى الانتفاع بجميع ثمار العلم ، ونتاج العقل ، ولا تدخروا وسعاً فى استعمال ماتبتكره الأفكار الواسعة ، وتهتدى إليه القرائح النيرة ، مادمتم واقفين عند حدود ما أنزل الله على رسوله ، متقين للشبهات .

— ٤ —

موازنة ! !

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى فحوى كلامه « كل محدثة بدعة » ويسوّر هذا الحكم بالسور الكلى كما يقول أصحاب المنطق ، ولا يستثنى من البدع شيئاً « والمحدثة » هى

الجديد من الأمر الذى لم يكن عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أمر صحابته ، ولا أمر خلفائه الراشدين المهديين من بعده ، والرسول صلى الله عليه وسلم إذا تحدث عن « محدثات الأمور » وعن « البدع » فإنما يعنى — بلا مراء — المحدثات فى الدين ، والبدع فى الدين ، لأن الدنيا قد بت الحكم فى محدثاتها بقوله الحكيم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وبذلك تكون كل محدثة فى الدين بدعة ، وكل بدعة فى الدين ضلالة .

— ٥ —

تنـــــذر

والمعنى الذى يفهمه كل من أوتى ذروًا من عقل : أن كل عبادة من العبادات لم تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعملها أحد من الصحابة رضوان الله عليهم ، فهى مردودة على فاعلها لا يقبلها الله ، ولا يثيب عليها ، بل يعاقب عليها ، كما عاقب عمرًا الخزاعى الذى كان أول من سيب السوائب ، لأنها من محدثات الأمور التى أخبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنها بدع وضلالات ، وأنها شر الأمور ، ونهى عنها . وشدد النكير على فاعليها .

— ٦ —

ما البدعة ، وما السنة ؟ ؟

البدعة — كما قال المحقق الجليل الإمام الشاطبى — فى كتابه القيم (الاعتصام) هى طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها زيادة التقرب لله تعالى .

هذه هى حقيقة البدعة . وهذا هو تعريفها ؛ فهى طريقة مخترعة فى الدين . وليست فى الدنيا ، هى طريقة مخترعة فى العبادة ، وليست فى العادة ، فإن الدين قد أكمله الله ، فلا داعى لاختراع المزيد فيه ، فقد كفى العباد مئونة ذلك .

أما السنة : فهى الطريقة التى سلكها فى الدين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وخلفاؤه الراشدون المهديون من بعده رضى الله عنهم .

فالأمر الذى لم يكن عليه أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا أمر صحابته ولا أمر خلفائه من بعده من أمور الدين والعبادة : فليس بسنة . وإنما هو البدعة التى نهى عنها الرسول الأمين عنها ، وحذر المؤمنين فعلها .

جاء في الصحيح من حديث العرباض بن سارية « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي . تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

— ٧ —

من سن سنة حسنة

أما حديث « من سن سنة حسنة فله أجرها . . . الخ) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل من ابتدع بدعة حسنة ، وإنما قال « من سن سنة حسنة » والسنة الحسنة هي الطريقة الشرعية المعروفة التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليها أصحابه .

فقد جاء في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء ، متقلدي السيوف . عامتهم ـ بل كلهم ـ من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآهم عليه من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا ، فأذن وأقام فصلى ، ثم خطب فقال : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ـ الآية) والآية التي في سورة الحشر : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه من صاع بره ، من صاع تمره حتى ، قال : ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت . قال : ثم تتابع الناس : حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مُذَهَّبة فقال رسول الله : من سن في الإسلام سنة حسنة ـ الحديث » .

فالسنة الحسنة التي يريدها الرسول : هي مافعله ذلكم الأنصاري السخي الكريم ، الذي جاء بالصرة التي عجزت كفه عنها ، وبذلك فتح باب الصدقة لإخوانه ، فسلكوه معه ، وتصدقوا بما سخت به أنفسهم . والصدقة مشروعة باتفاق . وبذلك يتضح لكل ذي مسكة من عقل : أنه ليس معناه من اخترع سنة لم تكن ثابتة ، بل أتى أمراً معلوماً من سنة الرسول تركه الناس ، فجدده ودعاهم إليه ، كما في هذه الحادثة .

— ٨ —

الدين أكمله العليم الحكيم

والدين قد أكمله رب العزة الحكيم العليم فى حياة رسوله الأمين . ولم يحوج الناس إلى أن يبحثوا عن مزيد فيه ، أو يطوروه مع تطور الزمن ، أو يفتحوا فيه (أرحب الآفاق اللازمة للحركة والتطور) .

قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) . وروى الطبرانى بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماتركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه » .

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم » .

وعن ابن الماجشون ــ من أصحاب مالك رضى الله عنه ــ قال : سمعت مالكا يقول : من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة . لأن الله تعالى يقول: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم دينا .

— ٩ —

الاحتفال بالموالد

ولماذا لايحتفلون بالموالد ؟ .

إن كانوا يريدون بذلك زيادة التقرب إلى الله والمبالغة فى التعبد فتلك هى البدعة ولا حياء فى الحق ولا مجاملة ولا محاباة .

وإن كانت مظهراً من مظاهر الدنيا ، وزينة من زينة الحياة ، فمن ذا الذى يحرم زينة الله التى أخرج لعباده ؟ .

— ١٠ —

حكمة الحج

يقول النادون : للراد بالحج تعظيم الإسلام فى نظر خصومه ، وهذا كلام لا يمت إلى الحقيقة بسبب قريب ولا بعيد . فإن خصوم الإسلام لا يرون المسلمين وهم مجتمعون فى عرفات ، ولا هم يسعون بين الصفا والمروة ، ولا هم يطوفون بالبيت ، ولا وهم يرمون الجمار ، وجميع شعائر الحج تقع فى أماكن يحرم على المسلمين أن يمكنوا من دخولها أعداء الإسلام ، فكيف تكون حكمة الحج تعظيم الإسلام فى نظر خصومه ؟ .

وليس فى الموالد تعظيم الإسلام فى نظر خصومه ، بل على النقيض من ذلك ، فيها إظهار الإسلام بمظهر الدين الخرافى ، الذى هو إلى اللهو واللعب أقرب منه إلى العبادة والتقوى فهل المخازى والمساخر التى تقترف فى الموالد منذ كانت الموالد ، مما يعظم الإسلام فى نظر خصومه ؟ ولكن الذى لايعتقد أن كلامه من عمله ، يقول مايملى عليه هواه .

— ١١ —

يعملون بالكتاب والسنة

إنهم يعملون بالكتاب والسنة ، والكتاب يقول وهو يخاطب أشرف الخلق (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ويقول الله تعالى مخاطباً موسى وهٰرون حين يأمرهما بدعوة فرعون إلى الهدى ودين الحق (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) .

والسنة تقول ماقررة الصادق الأمين « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ، ولا بذىء » .

فكيف لا يحول العمل بالكتاب والسنة دون هذه الكلمات التى رعفت بها أقلام السادة المنتدبن ، أو نطقت بها ألسنتهم ، وهم صفوة المتصوفة وكبارها ؟ ! .

جاهل ، دعىّ ، لايوجد فى بلد آخر من الأدعياء ، كما يوجد فى بلادنا ، الذين لايرجون لله وقاراً ، يجب أن يحارب بقوة وقسوة . . . . الخ .

ما أشد حاجة الإنسان إلى التفكر قبل الإقدام

فإنه بالتفكر والتروى والتثبت يعرف مايضره و يؤذيه و يشقيه ، فيتقيه و يتجنبه و يهرب منه . و يعرف ماينفعه و يريحه و يسعده ، فيقدم عليه ، و يسعى فى تحصيله بكل جد ونشاط ، ثم يكون حذراً فى طريق سعيه إلى ما ينفعه ، ودفع ما يضره ، حريصاً على العلم والمعرفة بالطريق الموصل إلى كل مما يخاف و يرجو . لأنه إن غفل ضل الطريق . فذهب بعيداً عما يقصد . فإن تمادى فى الغفلة وصل إلى أشد ما يكره و يخاف . ولا ينجيه من ذلك إلا يقظة التفكر واستدامته ، وشدة حرصه على الاستضاءة دائما - وفى كل لحظة وخطوة وحركة - بنور العلم الصحيح من سنن الله تعالى ، وهدى كتابه الحكيم ، بيان رسوله صلى الله عليه وسلم .

فما سعد من سعد إلا بالعلم الصحيح ، والتفكر فيه - و به - تفكيراً يدفعه إلى العمل الصالح بقوة عزيمة ، وصادق إرادة ونية . وما شقى من شقى إلا بالجهل والكسل والاستهانة بالأمور واستصغارها ، وعدم التفكر فى العواقب والمصائر .

قال الحسن البصرى : إن أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر ، و بالفكر على الذكر ، و يناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة .

وذلك : لأن التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد من التفكر . فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور ، وظهورها له ، وتمييز مراتبها فى الخير والشر ، ومعرفة مفضولها من فاضلها ، وأقبحها من قبيحها ، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها ، وما يقاوم تلك الأسباب و يدفع موجبها ، والتمييز بين ما ينبغى السعى فى تحصيله ، والأخذ فى أسبابه ، و بين ماينبغى السعى فى الهروب منه ، ودفع أسبابه .

والتفكر والتروى والتثبت بيقظة ، مع الاستضاءة بنور العلم الصحيح : هو الذى يكشف الفرق بين الوهم والخيال ، وبين الواقع من الحقائق الثابتة ، فى المقدمات والنتائج . فإن أكثر الناس ضلالا فى سعيهم : هم الذين ركبوا مطية الوهم والخيال ، والأمانى الكاذبة ، نتيجة تحكيم أهوائهم وشهواتهم ، وتغليب سلطانهما فى ظلمات الجهل ، وفى ظل الكسل والخمول ظناً - بجهلهم - أن فيها راحة للنفوس من عناء البحث والعلم والتفكر ، وتعجلا إلى المنفعة التى ظنوا - بجهلهم - أن التروى والتفكر والتثبت يضيعها ، أو يؤخرها . فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين الوهم والخيال ، و بين السبب الحقيقى المانع لما يخافون و يتقون . أو المؤدى لما

يودون و يطلبون . فاشتغلوا بالوهم والخيال ، وانصرفوا عن الأسباب الحقيقية الواقعية . فما قطع العبد عن كماله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة ، قاطع أشد ولا أفظع ، من الوهم الغالب على النفوس الجاهلة الجزعة الهلعة ، والخيال الذى هو مركبها ، بل بحرها الذى لا تنفك سابحة فيه .

و إنما يقضى على هذه الأوهام والخيالات ــ الناتجة من الجهل والغى والاستعجال ــ بالعلم الصحيح ، والفكر الصادق اليقظ ، والعزم القوى ، والإرادة الحازمة الرشيدة . فإن بالعلم الصحيح والفكر اليقظ ، والإرادة الحازمة الراشدة ، والعزم الثابت : يميز الإنسان العاقل الحكيم ، بين الوهم والخيال والأمانى الكاذبة ، و بين الحقيقة الثابتة فى نعم الله عليه ، بمزاياها وأوضاعها ، والأمل الصادق فى الانتفاع بها على مايحب ربنا و يرضى له . فيسعى سعيه إلى أمله على بصيرة وهو مؤمن ، فيناله و يحصل عليه ، وقد فاز وأفلح فى سعيه ، واتقى كل ما يكره ، واقتحم بصبره وثباته كل عقبة . فظفر بالمأمول الصالح واكتسب قوة جديدة فى تفكره . وهكذا المؤمن العاقل الصابر الشاكر ، إذا فكر فى عواقب الأمور ، وتجاوز ــ بتفكيره ــ مبادئها ومقدماتها ، إلى نتائجها وعواقبها : وضعها مواضعها ، وعلم مراتبها فى النفع والضر ، والخير والشر ، و الإسعاد والإشقاء . فاتقى الشر ، وسارع إلى الخيرات .

فإذا ورد عليه وارد الذنب ، وما فيه من متعة ولذة عاجلة مزعومة ، تجاوز لذته ومتعته الوهمية ، وفرح نفسه البهيمية به ، إلى سوء عاقبته ، وما يترتب عليه من التسفل والصغار ، والسقوط من عين الله ربه ، والوقوع فى براثن عدوه وشبكته ، ومايتولد عن ذلك فى القلب من ظلمة وقسوة ، وما يجلب له من خيبة وحسرة ، وتأخر عن ركب أولياء الرحمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فإنهم تخلصوا من معوقات البهيمية ، وأعانهم الله بهدى الفطرة ، وهدى الكتاب العزيز ، والسنة النبوية على اتخاذها مطية هينة طيعة . والذنب إنما يقدم عليه من لم يحسن الانتفاع بهدى الفطرة ، وهدى الكتاب والسنة ، فيُغَلِّب بهيميته الطينية على إنسانيته الكريمة التى نفخ الله فيه روحها منه . ومن ثم سمى « ذَنْبـاً » لأن الذنَب هو أبرز خصائص البهائم ، وأظهر صفاتها . وكلما كثرت الخطوات الضالة وتتابعت ، كلما كان منها « الخطايا » التى تدسى المذنب الخطّاء فى غمار البهيمية ، وتمكن لسلطان العدو المضل المبين ، وجنده من الهوى والشهوة والنفس الأمارة .

وكذلك إذا ورد عليه وارد التهاون فى طلب العلم النافع : من كتاب الله وتدبر آياته ، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما حاول عدوه أن يهون عليه ذلك ، بإيهامه أن فى ذلك مشقة وتعباً ، وتعرضاً للمخاطر ، وشغلاً عن السعى إلى المعاش وحظوظ النفس ، وأنه ليس بسبيل ذلك ، ولو حاول ، فالطريق طويل طويل ، والشقة بعيدة بعيدة .

وكذلك إذا ورد عليه وارد التكاسل عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقوق العبادة والعبودية ، بما حاول عدوه من شياطين الإنس والجن تهوين ذلك وتزيين التكاسل عنه ، وعن فعل الخيرات : بقلة المشاركين ، وأنهم ـ مع قلتهم ـ من الطبقات الدون ، وأنهم يتكلفون من المشاق والمتاعب فى أجسامهم مما يصيبهم من نظر الطبقات المتمدنة إليهم نظرة الازدراء والتنقص ، ومما يسمعون منهم من الهزء والسخرية ، مما يكون له أثر ، أو آثار ، على أسبابهم المعيشية .

وإذا ورد عليه وارد وسوسة من عدوه من شياطين الإنس والجن ، من احتقاره نفسه وتصغيرها ، وأصغت إليها نفسه الأمارة : أن فى الدعوة إلى إخلاص الدين والعبادة ـ بجميع أنواعها ـ لله وحده ، والكفر بكل معبود سواه والبراءة منه ، والطاعة لله ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الدعوة من مخالفات الناس ، والخروج على المألوف الموروث عن الآباء والأجداد من أزمان غابرة طويلة ، وأن فى ذلك من التعرض لمقتهم وكيدهم ما لعله يصل إلى القتل دفاعاً عن دينهم وعقائدهم وآلهتهم التى يحبونها كحب الله ، ويبذلون فى نصرها النفس والنفيس ، وقد صنعوا بإبراهيم وإخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ما سجله الله فى كتابه العزيز . وأين أنت من أولئك المصطفين الأخيار ، الذين كان الله معهم يؤيدهم وينصرهم ، ويدفع عنهم كيد عدوهم ، حتى يبلغوا رسالاته ؟ فمالك ولهذا البلاء الشديد ؟ عليك بخويصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة ، فلو شاء الله لهداهم .

وهذه الواردات ـ وغيرها كثير ـ لا بد أن يغزو بها العدو المضل المبين وحزبه النفوس الأمارة ، ويدخل بها إليها من طريق الهوى والشهوة ، ما دامت الحياة بفتنتها وامتحانها . ولا عاصم منها ، ومن تزيين الشياطين بها ، إلا بالاعتصام بحبل الله المتين ، والاستمساك بعروته الوثقى ، فى كل وقت وحين ، وفى كل نَفَس وحركة وفى كل سكون ، لتستيقظ وتقوى نفسه اللوامة ، ويحيى ويسلم قلبه ولبه ويقوى ، فيتحكم سلطانه العادل على النفوس

والجوارح كلها ، فيأخذها بالعدل والقسط ، ويؤدى كل منها عمله نافعاً له ولإخوانه ، معيناً للجميع على الصبر والشكر . ويكون العبد بذلك وسطا ، كما أحب الله تعالى له .

فإن المؤمن الصادق الإيمان ، الناصح لنفسه ، الصبار الشكار ، لايخطو خطوة إلا بعد التفكر اليقظ ، وتطبيق علمه الصحيح ـ من هدى الله فى آياته الكونية ، وآياته القرآنية ، ومن هدى رسوله وسيرته ـ ويربط خطوته الحاضرة بخطواته الماضية ، وبخطوته الآخرة ، وبالتثبت ـ على نور العلم والهدى ـ فيما ستكون عليه هذه الخطوة ، وماستأخذ من الأولى ، وما ستعطى الآخرة ، حتى تنتهى به إلى الآخرة الأخيرة ، إلى السؤال الشديد ، والحساب العسير ، والجزاء الأوفى . يوم توَفَّى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون . فيكون من الآمنين

و « الفكر » هو إحضار علمين فى القلب يثمران له علما ثالثاً .

مثال ذلك : إذا أحضر فى قلبه العاجلة ومتاعها المنقطع ، ولذتها الناقصة ، وزوالها العاجل (وما أُوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) ثم أحضر الآخرة ونعيمها الذى هو أبقى وأدوم (وما عند الله خير وأبقى ، أفلاتعقلون ؟) وجزم بهذين العلمين ، وأيقن بهما يقيناً لا يخالجه شك ، ولا يحوم حوله ريب : أثمر له ذلك علماً ثالثاً ، هو أن الآخرة : خير وأبقى . وأن الأولى له ، والأحرى به : أن يركز همه كله وسعيه كله إلى الآخرة ، ويجعل أولاه ودنياه قنطرة يعبر عليها إلى هذه الآخرة. وهذا هو شأن العاقل الرشيد الناصح لنفسه .

ثم له فى الآخرة حالتان . إحداهما : أن تأتيه هذه المعرفة عن طريق التقليد والسماع من غيره . فلايباشر قلبه برد اليقين بها ، ولايفضى قلبه إلى مكافحة حقيقة الآخرة والاطمئنان إلى أنها وعد حق لا محالة واقع ، بل هو مقلد لغيره ، يقول مثل مايقولون ، بلافهم ولاتعقل فتداخله الشكوك ، وتغلب عليه الأمانى الكاذبة (ليس بأمانيكم ولاأمانيّ أهل الكتاب) وهذا حال أكثر الناس . وفى غمرته دخلت العقائد الزائفة والأوهام والخرافات والخيالات التى لن يكون لهـا حقائق ولا وجود ، واتخذوا الشفعاء والأنداد من دون الله ، ولعب الدجاجلة لعبتهم التى أغرقت القلوب فى خضم الأوهام والخيالات والخرافات ، ودفعتهم بقوة جارفة إلى القول على الله بلا علم ، وإلى سوء الظن بالله فجعلوا له من الصفات ما يكرهونه لأنفسهم ومن حكامهم ، وسبحان وتعالى عن ظنهم . وعندئذ يتجاذب القلب داعيان .

أحدهما : داعى الدنيا العاجلة وإيثارها . وهوأقوى الداعيين عنده . لأنه مشاهد له محسوس بكل حواسه البهيمية النّهِمة .

والثانى : داعى الأخرى الآجلة . وهو أضعف الداعيين عنده ، لأنه عن تقليد وسماع ، لم يباشر علمه ومعرفته قلبه ، فلم يباشر قلبه برد اليقين به ، ولا كالحه حقيقته العلمية الواقعية ، فلم يذق حلاوة الإيمان به ، ولم يطمئن قلبه إليه ، و إلى ما وعد الله تعالى فيه ، وعندئذ يغفل عن الآخرة ، ويتهاون بها ، و يَـكِلُها إلى ماخدعه به الخادعون من أولياء الشيطان ، مما قعد بأكثر الناس عن السعى للآخرة فى الطريق الذى رسمه الله تعالى فى كتابه ، و بينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ودعا إليه على بصيرة ، وحذر أشد التحذير من الزيغ عنه . فقد أخرج الإمام أحمد ، والنسائى ، والحاكم - وصححه - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده . ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما . ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله . ثم قال : وهذه السبل ليس منهاسبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السُّبُل فتفرق بكم عن سبيله) » فإذا ما حاد عن هذه الجادة . وسلك غير هذا السبيل القاصد : أوهمه شيطانه وحزبه ، بل وأوهمته نفسه : أنه ترك معلوماً لمظنون ، أو متحققاً لموهوم ، وأنه بذلك قد اختار لنفسه ماهو أنفع لها ، وأجدى عليها .

وهذه الآفة : هى التى قعدت بأكثر الناس عن العلم النافع والعمل الصالح ، وصدتهم عن السعى إلى الآخرة على السبيل القاصد والصراط المستقيم . فكانوا من الأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الحالة الثانية : أن يعلم علماً صحيحاً ، بحواسه هو وفهمه وبما يتفكر فى سنن الله وآياته ، و بما يتدبر و يتفقه فى كتابه ببيان رسوله صلى الله عليه وسلم ، و يباشر قلبه هذا العلم الصحيح النافع لحياة قلبه وغذائه ودوائه وعافيته وقوته ، فيباشر قلبه برد اليقين ، و يذوق حلاوة الإيمان بوعد الله الحق : أنه إنما خُلق فى هذه الدار ليعبر منها إلى الدار الأخرى ، وأنه إنما يصل سالماً معافى ، سعيداً : إذا خطى خطواته فيها على هدى وعلى بصيرة ، وربط كل خطوة بالأخرى ، موقناً بأنه يخطو كل خطوة إلى الدار الآخرة ، وأن كل حركة وسكنة ، ولحظة ونَفَس محسوبة مسجلة عليه ، سيجزى بها وعليها الجزاء الأوفى . فيثمر له هذا العلم إيثار الأخرى على الأولى ، فيستعد لها استعدادها ، و يسعى لها سعيها . فيكون من السعداء المفلحين .

جعلنا الله و إياكم منهم بمنه وكرمه ، وتوفيقه وتسديده وهداه . وصلى الله وسلم و بارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

دراسات فى التصوف الإشراقى

البوادر الغيبية فى النوادر العينية

للشيخ عبد الكريم الجيلى (١)

يقول الشيخ الجيلى فى كتابه « الإنسان الكامل » « مثل العالم مثل الثلج ، والحق ـ سبحانه وتعالى ـ الماء الذى هو أصل الثلج ، فاسم تلك الثلجة على ذلك المنعقد مُعَارٌ ، واسم المائية عليه حقيقة . وقد نبهت على ذلك فى القصيدة المسماة : بالبوادر الغيبية فى النوادر العينية . وهى قصيدة عظيمة لم ينسج الزمان على كُمِّ الحقـائق مثل طِرازها ، ولم يسمح الدهرُ بفهمها ؛ لاعتزازها (٢) » .

وقد بحثنا طويلا عن هذه القصيدة التى يقول عنها صاحبها « لم ينسج الزمان على كم الحقائق مثل طرازها » حتى أذن الله سبحانه ، فعثرنا عليها (٣) . وأخذنا ندرسها بعناية

(١) ولد سنة ٧٠٧ هـ . وهو من « جيلان » الواقعة جنوبى بحر قزوين ، ومن أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلانى الصوفى الذى مزج بين الرسوم والإشراق فى تصوفه . وقد عاش عبد الكريم فى اليمن وتتلمذ على أستاذه إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى . ورحل إلى كثير من البلدان ، فعب من ثقافات شتى . ثم توفى سنة ٨٢٦ بعد أن خلف وراءه تراثاً ضخماً من كتب التصوف ، وتعتبر إشراقية الجيلى امتداداً لإشراقية ابن عربى وابن الفارض .

(٢) ص ٣٠٣ جـ ١ ط ١٩٢٣ هـ ، ويريد الجيلى بهذا : أن يجعل النسبة بين الحق سبحانه والخلق ، كالنسبة بين الماء والثلج ، فالثلج عين الماء فى حقيقته وماهيته ، مغاير له فى اسمه ومظهريته ، فالغيرية بين الماء والثلج صورية لا حقيقيـة . وكذلك الحق والخلق : فالخلق عين الحق فى هويته وذاتيته ، ولـكنه غيره فى اسمه فحسب . الثلج هو هو الماء ، وما أطلق على ذلك اسم الثلج إلا مجازاً . والخلق هو هو الحق ، وما أطلق عليه اسم الخلق إلا مجازاً ، فالخلق والحق مظهران ، أو اسمان ، أو صفتان سميت بهما حقيقة واحدة هى االذات الإلهية .

(٣) سمع الأخ الـكريم عبد الحـكم حسين هندى بحثنا عن هذه القصيدة ، فتفضل ـ مشكوراً ـ بإهداء هذه القصيدة إلينا مكتوبة بخطه الواضح الجميل ، وقد فرغ من نسخها لنفسه سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م . فأثبت بهذا حرصه الـكريم على المشاركة فى الذياد الحق عن السنة المطهرة . ويسعدنى أن أثبت له هنا عظيم تقديرى ، وطيب ثنائى وجميل شكرى .

دراسة واعية ، نستهدف من ورائها شيئاً واحداً ، هو الوصول إلى الحقيقة ، حقيقة مايقصده الجيلى القطب الصوفى الكبير .

فنحن الآن فى عصر يبحث عن القيم النبيلة ، وينشد أرفع المُثُل ، عصر يبنى الحياة من جديد ، والحياةُ الطيبة إشراق من الدين الطيب ، والمثلُ التى تتسم بالنبل والقداسة والرفعة إنما هى سلسبيل صاف من نبع الدين الحق .

فنحن - إذن - لانبحث بحثاً نظرياً لا هدف له . وإنما نبحث ، لنضع على الطريق معالم الهداية للسالكين ، ولنؤكد للذين ينشدون الحقيقة : أن القرآن والسنة الصحيحة - وحدهما - هما النبع المقدس ، والمنار الخالد للهداية الإلٰهية ، فلسنا فى حاجة إلى هدى أو حقيقة إلا من هذا الذكر الحكيم ببيان من نزل على به الروح الأمين قلبه صلى الله عليه وسلم .

فهل ما سطره الجيلى فى قصيدته يتصل بأسباب الهداية القرآنية ؟

وهل مادعا إليه الجيلى يصلح أن يكون سبيلا يسلكه الإنسان ؛ ليصل منه إلى الحقيقة ؟

وهل أتى الجيلى فى هذه القصيدة بشىء جديد ؟ أو هو يسير فى نفس الطريق الذى سلكه شيوخه من قبل ؟

وهل هذا الطريق يصل بسالكه فى نهايته إلى رضوان الله سبحانه ، وسعادة الأولى والأخرى ؟

هذه أسئلة أقدم بها لهذا البحث . وأرجو أن يجد القارىء فيما نكتب أجوبة صادقة صحيحة ، مدعمة بالأدلة القاطعة عن هذه الأسئلة .

ونحب أن نؤكد لمن يتعصبون للجيلى أو لغيره ، أننا لن نُحَمِّل ألفاظه غير ما أراد لها الجيلى نفسه من معنى ، وأننا سنقارن[1] بين ما دان به الجيلى ، ودعا الناس إلى أن يدينوا به ، و بين دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونحب أن نؤكد كذلك لهم : أننا لانتعصب أبداً لغير الحق المشرق من هداية القرآن العظيم ؛ و بيان السنة الصحيحة الصريحة .

---

(١) سيرى القراء أن الأمر فى غير حاجة إلى المقارنة ، إذ يكفى مجرد تصور دين الجيلى فى ثبوت بطلانه وزيفه ، بيد أننا نريد أن نذهب إلى أبعد مدى فى البر بالحقيقة .

قصيدة الجيلى فى صورتها الأدبية

جيدة السبك فى بعض أبياتهـا ، مفكـكة فى بعضها الآخر . وقد استغل فيها المحسنات اللفظية استغلالا فاحشاً « كالجناس ، والمقابلة ، والتورية » مما جعلها أشبه ماتـلون بالزنجية المثقلة بالأصباغ والحلى . هذا إلى ماامتلأت به من أخطاء نحوية كثيرة .

وأجود مافى القصيدة من أبيات : هى تلك التى يتغزل فيهـا الشاعر ، ويكشف فيها عن لوعة الحرمان وظمأ العشق . وولَه الصبابة ، وإن كان يزعم أنه إنمـا يتغزل فى الذات الإلٰهية . ولـكننا سنعرض عليك غزله . وثمت نحكم بأنه إنما يتغزل فى امرأة شغفته حباً ، ثم تركته لسهد الحب وليالى حرمانه ، وأسحار أرقه وشَجْوه ودموعه .

وهكذا كان شيوخه من قبل .

فابن عربى الحاتمى استعصت عليه ابنة الشيخ مكين الدين ، فغازلها وقدم إليها قربانه الأدبى « ترجمان الأشواق » ولـكنها أبت أن تستجيب للهفته ، أو أن تؤمن — كما صورها — بأنها هى الذات الإلٰهية فى صورة امرأة جميلة .

ثم إن الجيلى يسطو على معانى غيره ممن سلـكوا نفس طريقه من قبل ، ويصوغها صياغة جديدة . ليس فيها الجمال الأدبى الموجود فى الأدبيات التى صيغت بها من قبل .

والذين سرق منهم : هم ابن عربى ، وابن الفارض ، وما نسب لرابعة العدوية .

فاسمع إليه يقول متغزلاً :

وبى من مريض الجفن سُقْمٌ مُبَرِّحٌ ولى فى عَصِىٍّ القلب دمع مطاوع

إن « مريض الجفن » و « عصى القلب » يكشفان لك — فى غير ما خفاء — أن الجيلى إنما يخاطب امرأة تنام أجفانها على الإغراء والفتنة ، ويأبى قلبها القاسى أن يحنو على وجيعة الجيلى العاشق .

أما سرقته من ابن الفارض : فتتجلى لك واضحة فى قوله :

فكنتُ أنا هى ، وهى كانت أنا وما لها فى وجود مفرد من ينازع

وابن الفارض يقول :

وما زلت إياهـا ، وإياىَ لم تزل ولا فـرق . بل ذاتى لذاتى أحبَّتِ

وأما سرقته من ابن عربي ، فنى قوله :

وإياكَ والتــنزيه ، فهو مُقيِّــد   وإياك والتشبيه . فهو مخــادع

أخذ عن ابن عربي قوله :

فإن قلت بالتشبيه : كنت محــددا   وإن قلت بالتنزيه : كنت مقيــدا

وأما سرقته من رابعة ، فنى قوله :

أحبك ، لا لى ، بل لأنك أهــله   وما لى فى شىء سواك مطامع

أخذه عن قول المفتونة رابعــة « ماعبدتك طمعاً فى جنتك ، ولا خوفاً من نارك ، وإنما عبدتك لذاتك » وأما أخطاؤه النحوية ، فما أكثرها . مثل :

فــكل بهــاء فى ملاحة صــدره   على كل قَدٍّ شابه الغصنَ يانعُ

ومثل قوله :

فعينك شاهدها بمحتد أصلهــا   فإن عليهــا للجمال لوامعُ (١)

وأما استغلاله للمحسنات اللفظية ، فنى مثل قوله :

ويرفع مقــدار الوضيع جــلاله   إذا لاح فيــه فهو للوضع رافع

قابل بين ضدين فى هذ البيت ، وفى قوله :

فليس لنفسى غير حالة وقتهــا   وقد فات ماضيها وغاب مضــارع

ورَّي فى كلمتى «ماض» و «مضارع» وضمَّن البيت مصطلحات نحوية «حال ـ وقت ـ ماض ـ مضارع » . فليس فى شعره الصوفى من جمال ، اللهم إلا إذا هتك القنــاع عن الشعور المحترق من لهفته على جسد ملأ دنيا صباباته وهيامه .

يتبع

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) رفع كلمة « يانع » فى البيت الأول ، وحقها أن تكون مجرورة . إذ هى صفة لكلمة « قد » ورفع كلمة « لوامع » فى البيت الثانى . وحقها أن تكون منصوبة . لأنها اسم مؤخر لإن .

قد تم بحمد الله طبع الجزء الثانى عشر من كتاب

الإنصاف

في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل

تأليف شيخ الإسلام العلامة الفقيه المحقق

علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي

الحنبلي تغمده الله برحمته

وبه تم الكتاب ، والحمد لله أولا وآخرا

وثمن كل جزء ١٠٠ مائة قرش مصرى

وقريباً بمشيئة الله تعالى يتم طبع الجزء الرابع من كتاب

التحفة اللطيفة

في تاريخ المدينة الشريفة

للحافظ السخاوى

طبع على نفقة معالى وزير الدولة

السيد حسن الشربتلي

متقربا به إلى الله سبحانه ، وحبًّا في جده منور المدينة ومشرفها : خاتم رسل الله ومصطفاه ، محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، دائماً أبداً على الدوام

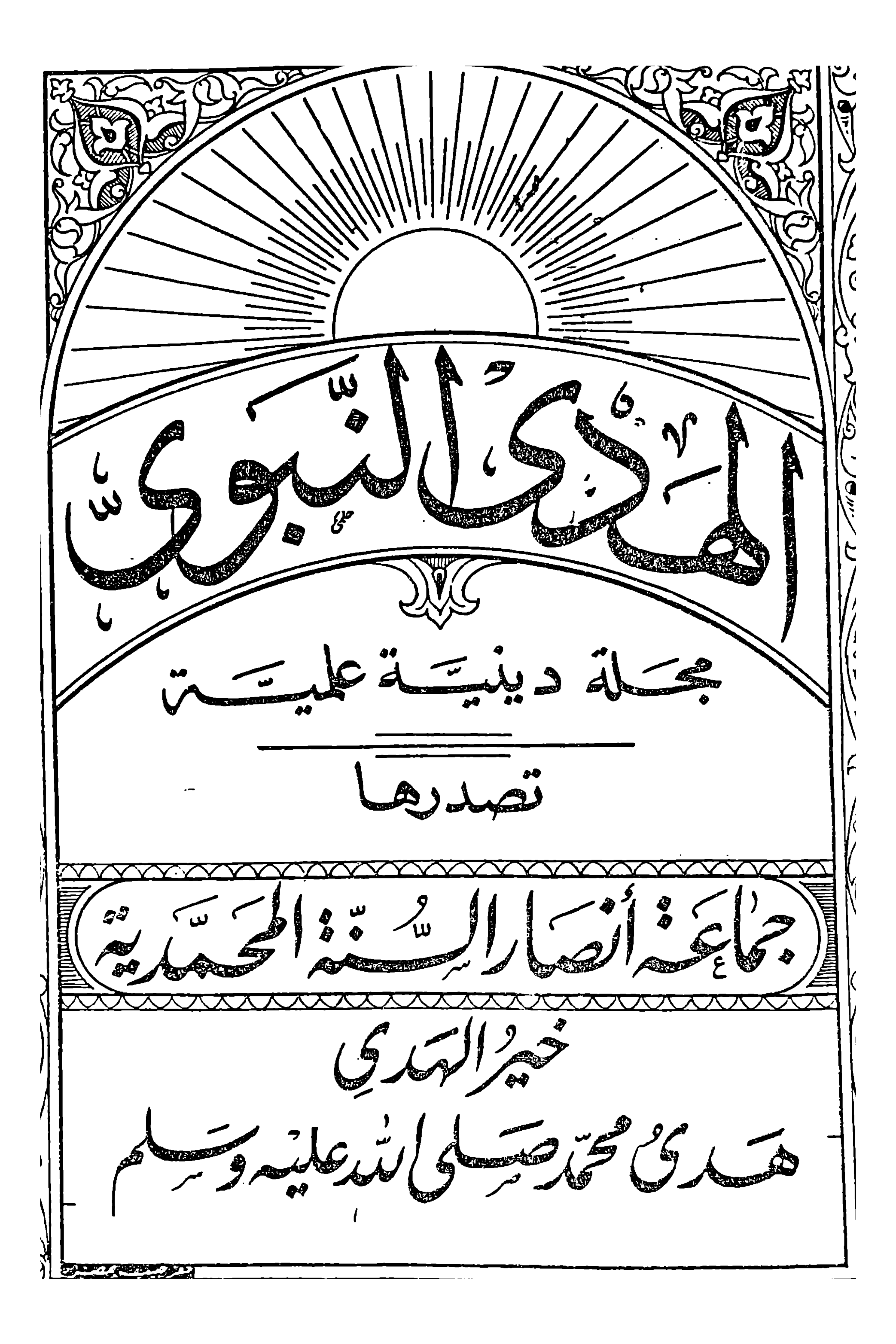
أدام الله توفيق السيد حسن لفعل الخيرات ، وعمل الصالحات

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٦٠١٧


الهدى النبوي
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل
الاشتراك السنوي
ص
٢٠ — في مصر والسودان
٣٠ — في الخارج

المجلد ٢٣ — رجب وشعبان سنة ١٣٧٨ — العدد ٧ و ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم لن يموت عهدنا معك »

قال جل ذكره : (٣ : ١٤٤ – ١٤٨ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ[١] من قبله الرسلُ . أَفإنْ مات ، أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم[٢] ؟ ! ومن ينقلبْ على عقبيه ، فلن يضرَ اللهَ شيئاً ، وسيجزى اللهُ الشاكرين[٣] وما كان لنفس أن تموتَ إلا بإذنِ الله

---

(١) يقال : خلا الزمان أى ذهب ومضى ، والمعنى : لقد ذهب الرسل الذين كانوا من قبل محمد ، فقتلوا أو ماتوا وسيذهب محمد مثلهم لأن بشريته من بشريتهم . فيقتل ، أو يموت .

(٢) أى ارتددتم عن دينكم الحق ، فبدلا من أن تسيروا قدما لتحقيق أنبل الغايات تعودون إلى الوراء ، إلى جمود الرجعية المشركة ، وظلام الجاهلية الكافرة .

(٣) الشكر ثلاثة أضرب شكر القلب . وهو تصور النعمة وتطامن القلب لرب النعمة ، وشكر اللسان : وهو الثناء على المنعم . وشكر سائر الجوارح : وهو مكافأة النعمة بما يمكن كل جارحة أن تكافىء به المنعم . وسيجزى الله الشاكرين الذين يشكرونه بكل نوع من أنواع الشكر . ولا يغنى شكر عن شكر . بل لابد من أن تشكر الله بالقلب واللسان والجوارح كلها . وقد ترك الله الجزاء مطلقاً غير مقيد تفخيماً لشأن الجزاء ، وليعم كل ما أعد الله من جزاء لمن يحبهم ويحبونه .

كتابا مؤجّلا[١] ، ومن يُرِدْ ثوابَ[٢] الدنيا نُؤْتهِ منها ، ومن يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نؤتِه منها ، وسنجزى الشاكرين . وكأيّنْ مِنْ نبيٍّ قاتل معه رِبّيُّونَ[٣] كثيرٌ ، فما وَهَنوا[٤] لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما اسْتكَانُوا[٥] ، والله يحب الصابرين[٦] . وما

---

(١) أى كتب للموت كتابا مؤقتا له أجل معلوم ، لا يتقدم ولا يتأخر والأجل هو المدة المضروبة للشىء ، وقد أجلت الشىء جعلت له أجلا .

(٢) الثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء . ويقال فى الخير وفى الشر . وإن كان المتعارف استعماله فى الخير أكثر .

(٣) كأين اسم مركب من كاف التشبيه وأى المنونة ، وهى تفيد التكثير غالباً كما فى هذه الآية والربيون جمع رِبِّى نسبة إما إلى الرب الذى هو المصدر . ويكون معناه الذى يرب العلم ، أو يرب نفسه به . وإما إلى الرب سبحانه ، فيكون معناه الذى ينتسب إلى ربه بالإيمان الحق والتوحيد الصحيح والعمل الصالح . وقال فى اللسان الربى والربانى الحبر « العالم الكبير » ورب العلم . وقيل الربانى الذى يعبد الرب زيدت الألف والنون للمبالغة فى النسب . وقال سيبويه : زادوا ألفا ونونا فى الربانى إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم . وقيل الربانى العالم العامل المعلم أو هو العالى الدرجة فى العلم . وأقول: كلها متقاربة ، غير أن بعضهم جاء بجزء من المعنى ، فالكلمة تجمع كل هذا الذى ذكر .

(٤) الوهن بسكون الهاء : الضعف فى العمل والأمر وكذلك فى العظم ونحوه « اللسان » وقال الراغب : الضعف من حيث الخلق « بسكون اللام » والخلق « بضم اللام » أما الضعف فقد يكون فى النفس وفى البدن وفى الحال . فيكون معنى « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا » أى ما لانت لهم عزائم ، ولا جبنت نفوس ؛ ولا مستهم شكوك ، ولا تخلفوا عن عمل ينصرون به دين الله ، ولا تغير حالهم .

(٥) الاستكانة الخضوع والتخشع عن ذلة . فما استكانوا أى فما خضعوا ولا ذلوا لغير الله ، وما سكتوا عن دعوة ، ولا جبنوا عن قتال ، ولا مست قلوبهم خشية إلا من الله .

(٦) الصبر الإمساك فى ضيق قال الراغب : الصبر لفظ عام ، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه . فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبراً لا غير ، ويضاده الجزع . وإن كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن ، وإن كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده =

كان قولَهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافَنا[1] فى أمرنا ، وثبِّت أقدامَنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثوابَ الدنيا وحُسْنَ ثوابِ الآخرة والله يحب المحسنين[2]) .

= الضجر وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتماناويضاده الذل والإفشاء. انتهى كلام الراغب والله يحب الصابرين الذين يجمعون بين أجمل أنواع الصبر ، فلا يجزعون عند المصيبة ، ولايضجرون عند النائبة ، ولايفرون من معركة ، ولايفشون مااتمنوا على كتمانه من المؤمنين ، ولاينطلقون مع أهواء النفس ، بل يحبسونها على طاعة الله .

(١) السرف هو مجاوزة الحد فى كل فعل يفعله الإنسان . وقال فى اللسان : أسرف فى ماله عجل من غير قصد ، والسرف الذى نهى الله عنه هو ماأنفق فى غيرطاعة قليلا كان أو كثيراً « لأنه تجاوز به الغاية منه » والسرف بالشىء الجهل به . وقال الراغب عن السرف : إنه يقال تارة اعتباراً بالقدر «أى قدر ماينفق» وتارة بالكيفية « أى كيف ينفق » ولهذا قال سفيان : ماأنفقت فى غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلا. انتهى . والأمر: الشأن . وقدجأر هؤلاء الربيون إلى الله يدعونه : أن يثبت أقدامهم . فلا يمسهم جبن عن قتال ، ولا تهلكهم ردة عن الدين ، وأن ينصرهم على الكفار . وقد مهد هؤلاء لما سألوا أجمل تمهيد فيه تزكية للنفس وتطهير لها ، وإظهار لما انطوت عليه من خوف ومذلة وخضوع وخشية ، وفيه طرق بالضراعة والاعتراف لأبواب الاستجابة فقد أقروا عن خشية بذنوبهم وسألوا الله مغفرتها ، فعلوا ذلك قبل أن يطلبوا النصر ، وأقروا بإسرافهم فى شئونهم . وسألوا ربهم غفرانه . فعلوا ذلك أيضاً قبل أن يطلبوا تثبيت الأقدام والنصر ليمهدوا لدعوتهم الرقى إلى معارج القبول والاستجابة . ونلاحظ أن اعترافهم بالإسراف جاء مطلقا غير مقيد إلا بأنه فى أمرهم ، ليعم كل إسراف فعلوه وهم يعلمون أنه إسراف ، أو فعلوه وهم يجهلون أنه كذلك؛ وليعم كل إسراف مادى أو أدبى ، حسى أو معنوى .

(٢) الإحسان ضد الإساءة ويقال على وجهين ـ كما يقول الراغب ـ أحدهما : الإنعام على الغير ، والثانى الإحسان إحسان فى فعله . وذلك إذا علم علما حسنا ، أو عمل عملا حسناً . والإحسان فوق العدل ، لأن العدل هو أن تعطى ما عليك ، وأن تأخذ ماهو لك ، أما الإحسان فهو أن تعطى أكثر مما عليك ، وأن تأخذ أقل ماهو لك ، فتحرى العدل واجب ، وتحرى الإحسان ندب وتطوع . وقال صاحب اللسان :والفرق بين الإحسان والإنعام أن الإحسان يكون لنفس =

= الإنسان ولغيره، والإنعام لايكون إلا لغيره . وأقول : لقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم الإحسان بقوله :«أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» . وهذا هو الإحسان فى عبادة الله ، وهو من شرعة الإسلام لا من طقوس الصوفية كما يهولون على الناس . وقد وعد الله المحسنين بحبه . وفى التعبير بالحب هنا وفى كل مواردها إعجاز إلهى فى الإنعام ، وإشارة بعجز البيان البشرى عن الإحاطة بمعناها الأسمى ، ولكننا نؤمن بأن الله يحب ، بيد أن حبه ليس كمثله حب . ثم إن الله وصف هؤلاء الذين يحبهم بأنهم محسنون . أى للتصفون بكل مايقال عنه فى الشرع واللغة إنه إحسان . فالوصف به مطلق غير مقيد ، ليفيد أنهم محسنون فى كل شىء وبكل شىء يمكن أن يحسنوا به وفيه .

قالوا معللين لنزول تلك الآيات : رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد بما كسر به رباعيته وشج وجهه ، ثم مضى ـ أى ابن قمئة ـ صائحا : قتلت محمداً وتجاوبت بصيحته الكاذبة أهواء المشركين ، فشاع فى الناس ما افتراه ابن قمئة ، ووجدت هذه الشائعة سبيلها إلى قلوب المسلمين . فإذا الحزن الساجى ، والوهن المسيطر والإحجام القلق عن القتال . وقالوا أيضا : إن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه . فقال : يافلان ، أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ؟ فقال الأنصارى : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم .

ثم يروون رواية صدق وحق موقف أبى بكر وتذكيره بهذه الآيات يوم وفاة الرسول : أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح « بضم السين وسكون النون إحدى محال المدينة وهى منازل بنى الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة . وكان بها منزل أبى بكر » حتى نزل ، فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة ، فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى بثوب حبرة « على وزن عنبة وهو ثوب يمانى » فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه ، وقبله ، وبكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى . والله لايجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك ، فقدمتها ، ثم خرج . وعمر يكلم الناس ، فقال أبو بكر : اجلس ياعمر ، ثم قال أبو بكر : أما بعد : فمن كان يعبد محمدا ، فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حيٌّ لايموت ، قال الله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ـ إلى قوله سبحانه ـ وسيجزى الله الشاكرين) قال ابن عباس فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها ، وقال عمر : والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعرقت ، حتى ماتقلنى رجلاى ، وحتى هويت إلى الأرض . ذاك ماقيل ـ مختصرا ـ عن سبب نزول الآيات ، وهذا ماحدث يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وسجل التاريخ أن أبا بكر كان أثبت الصحابة جنانا ، وأن هول المصاب لم ينسه أبدا هدى الله ، وأنه بنور هذه الآيات بدد عن النفوس الحور واليأس .

٧

آيات تشرق منها الحكمة الهادية التي تفيض على النفس سكينة الإيمان ، وعلى القلب طمأنينة اليقين . آيات تغمرنا بالتأسية الفياضة بالرحمة ، وتوجب على كل مؤمن أن يكون إيمانه بالله إيماناً لاينتسب إلا إلى الحق ، ولا يرتبط إلا به ، ولا يدور فى فلكه السماوى إلا معه ، فما يزلزل قوةَ إيمانه ، أو ينكص به أن يموت من دعاه إلى الحق ، أو كان سبباً إنسانياً سخره الله لهدايته إليه .

إن الإيمان حياة و بصيرة وهدى وعزة وقوة وجهاد .

و إن الكفر موتٌ وعمى وضلالةٌ وذلةٌ وضعف وجبانةٌ ترعشها نأمةٌ حَيْرى .

الإيمان حياة تشرق على القلب من هداية الحى القيوم وحده ، وتعمل له وحده ، وتستمد أسباب سموها منه وحده ، وتتوجه إليه وحده بكل ما يعتمل فيها من مشاعر وأحاسيس وعواطف ، لأنها تجد السعادة التى تنشدها فى أن تبلغ رِضاه .

فلا يرعش إيمانَ المؤمن مصابٌ فادح يَبْغَتُه على غِرَّة ، أو خطب مُدْلهِمٌ يأخذ ظلامُه بكل ماحوله ، لأن المؤمن لايؤمن بالموتى آلهة ، ولكنه يؤمن بالله الذى خلق الموت والحياة ، وله ملك الأولى والآخرة .

نعم تهيم فى عينيه الدموعُ الخواشع ، وترْمِضُ قلبَه الأحزانُ المُتَفَبِّرة ، بَيْد أنك تجد دموعَه تعبيرا رقيقا عن الإيمان الرضىّ ، وتجد أحزانَه بيانارحيما عن الإخبات التقىّ . تجد فى شَفَق الأحزان على مُحَيَّاه ، وفى حيرة الدموعِ بين عينيه دليلاً قوياً على الإيمان الذى يثبت دائماً ــ إذا ألمّ بالقلب ما يُريب أو يُحْزن ــ أنه هو القوة الإلهية التى تثب به إلى القمة ، والروحُ الربَّانى الذى يستعلى بالإنسان عن أن يَهِنَ ، أو يرتابَ أو ينكصَ على عقبيه ، وأنه هو النورُ الذى يبدّدُ عن آفاق النفس ظلام اليأس ، ويهدى سبحاتها إلى حيث تطمئن إلى الرجاء ، ويشيع فى دنياها مباهج الأمل فى رحمة الله ونصره .

ونحن أنصارَ السنة ــ وقد دهمنا خطب قاصم ، وعصفت فى حياتنا نكبة رَعْناء بوفاة إمام التوحيد فى العالم الإسلامى المعاصر المغفور له بإذن الله والدنا الشيخ محمد حامد الفقى ــ نجعل من تلك الآيات الهادية نبراسا يضىء لنا فيما ادْلَهَمّ من خطب ، ومناراً

يهدينا فيما تَدَجَّى من مصاب ، فلا يستبد بنا جزع ، فيميل بنا إلى اليأس ، ولا يهولنا خطب ، فيعطف أعنتنا إلى الوراء ، ولا يغلبنا الحزن على أمرنا ، فنتهافت على الطريق قبل أن نصل إلى الغاية ، ولكننا ـ بإذن الله و باستمداد القوة منه والرعاية ـ نخوض الْهَوْل ، ونقتحم العقبات ، ونجاهد فى حميـة الحق فى غير هوادة ولا تواكل ، ومن أعماق القلوب نهتف . وتهتف دموعنا الخاشعة ، وأحزاننا المستعبرة : « إنا لله ، وإنا إليه راجعون » وفى محاريبنا نجـدد العهد بين يدى الله ضارعين « اللهم قونا حتى لايموت عهدنا معك . قَوِّنا حتى نحتمل الصبر كُلَّه ، وندعو إليك على بصيرة » .

لقد ظل ـ رحمه الله ـ أكثر من أربعين عاماً يجاهد فى سبيل الله ، ظل يجالد قوى الشر الباغية فى صبر مارسَ الْغَلَب على الخطوب وعزم اعتاد النصر على الأحداث وإرادة تتزلزل الدنيا حولها ، وترجف الأرض من تحتها ، فلا تميل عن قصد ، ولا تجبن عن غاية ، ولا تنحرف عن سواء السبيل . ظل يفعل هذا عن بصيرة مشرقة بنور الإيمـان ، ووعى نفذ إلى روح الحقائق ، وإدراك لا يزيغه أبداً شبهة ساحرة ، أو ريبة ماكرة .

هذا لأنه فهم حقيقة الإيمان ، وجعلها فى الحياة مقياسه الذى يقيس به الأشياء ، والقيمة الحقة التى يقوِّم بها حقائق ماحوله ، والروح التى بها يعمل ويفـكر ويتدبر .

لقد آمن بأن كتاب الله هو الحق ، وأن محمـداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، فـكشف الله له بهذا الإيمان كل رانٍ عن بصيرته ، وكل دَخَل عن سريرته ، ففقه القرآن فقهاً صحيحاً لا ينزع به عن الحق الجلىِّ هوى عاصف ، أو هَوْل راجف ، أو رِيَبٌ تتخذ سطوتها من التقليد الموروث ، أو ممن يزفونهـا اليوم فى صور جديدة فاتنة الألوان ، واتخذ الشيخ ـ غفر الله له ورحمه ـ سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله ، الدعوة إلى تصفية القلوب من أدران الشرك ، ونوازغ الوثنية ، حتى تخلص للحق وحده ، فتعمل عن إيمان صادق ، وتحب لله ، وتبغض لله . لقد عرف ـ رحمه الله ـ الداء ، وهداه الله إلى الدواء فهب فى حماس متقد ، لم يَخْبُ أبداً أُوَارُه حتى وهو على فراش مرضه الأخير . هب يدعو الناس جميعاً إلى التوحيد الخالص وإلى اتخاذ القرآن إماماً ، وسنة الرسول سبيلا .

٩

كان يلين حين يرى اللين مجدياً ، و يغلظ حين يرى ألا بد من هذا ، مقتدياً بقول ربه (٦٦ : ٩ يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغلُظْ عليهم) . كان يسمى كلّ شيء باسمه الذي هو له ، فلا يُدْهِن فى القول ، ولا يداجى ، ولا يمالىء ، ولا يعرف المجاملة أبداً فى الحق أو الجهر به ، إذ كان يسمى المجاملة نفاقا مداهنا . و يسمى السكوت عن قول الحق ذُلاً جبانا . وقال رُوّادُ النفاق ، وأدعياء الدعوة ، وموالى النـاس ، وخدمُ شهواتهم ، وعَبَدَ الطاغوت : غلظة خشنة جافية ! وَدَوّى صوت الحق يصك أسماعهم : شجاعة موفورة ، وصراحة مشكورة مبرورة .

لم يكن ــ رحمه الله ــ فى دعوته هذه يعرف الخوف من الناس ، أو يلوذ به ؛ إذ كان الخوف من الله وحده آخذاً بمجامع قلبه ، مسيطراً على دنياه ، قهاراً لسرّه وعلانيته . كان فى دعوته هذه لايتعصب لمذهب ما ، بل كانت عصبيته وحميّته للحق وحده ، وكان عدو المذهبية و يراها ــ عن بينة و إيمان ــ أنها الخطر الداهم على الجماعة الإسلامية ، و يردد قول الله تعالى : (٦ : ١٥٩ إن الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) .

وما زال بهم يجادلهم حتى انتصر . لقـد عرف ــ رحمه الله ــ لذة النصر حينما انتصر على هواه ، فـكيف لايعرف النصر على أهواء سواه ؟! .

عاش رحمه الله للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشىء آخر . كان يؤمن بالحياة ، و يؤمن بالموت ، وأنه مَعْبرٌ إلى الحيـاة الأبدية الخالدة ، فعاش يشيّد الحياة حتى يحييه الله عنده . عاش بالإيمان الحق يُسخِّر دنياه لدينه ، و يحكِّم دينَه فى دنياه ، فلم يخمله الدين ، ولم تُطغه الدنيا .

عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته ، كانت آلام المرض القـاسى تشد إحساسه بها ، فينساها وهو بيننا يذكرنا بآيات الله . كان عذاب السقم يستحوذ على جسمه ، فيأبى إلا أن يسعى إلى دار الجماعة ، والليل قرٌّ عاصف يلفح الوجوه بالثلوج ، ثم يتخذ مجلسه المعتـاد وعلى وجهه السمح إشراق الرضا ، وعلى شفتيه تلك الابتسامة العذبة الحنون التى تعبر عن صفاء قلبه ، ثم يستغرق فى التذكير بآيات الله بصوت فيه قصف الرعد ، وعذوبة الرحمة ،

ورقة الخشية ونُبل الإخلاص فلا يشعر الحشد الهائل من تلاميذه بما يعانى الشيخ من داء وبيل، ولا يصدقون ـ وهذا صوتُه القوى الراعد المنذر المخوِّف من غضب الله ـ أنه مريض حتى لقد ظن الكثيرون أن مرضه الأخير دهمه فجأة، بَيْدَ أنه كان يعانيه من زمن دون أن يشعر به سوى نفر قليل من الأدنين من ذوى رحمه. كان بعض المشفقين من أهله يناشدونه أن يشفق على صحته من الجهد العنيف الذى يبذله فى سَمُومِ الصيف، وزمهرير الشتاء، ولياليه المدوِّى بالأعاصير، ولكنه كان يقول لهم دائماً : لا يا أحبّة ، فإن الله سائلى يوم القيامة عن هذه الدعوة.

كان فى دعوته ـ رحمه الله ـ يمثل التطابق التام بين الداعى ودعوته ، فهو فى سره وعلانيته وهو فى بيته وفى المجتمع، وهو بين الناس، وبين تلاميذه ، وهو فيما يأمر به من معروف، وينهى عنه من منكر، كان فى كل أحواله هذه المؤمن الذى يلتزم بما يدعو إليه ويطبقه تطبيقاً صحيحاً فى كل معاملاته.

وكان رحمه الله مُحِبًّا للقراءة، فيعكف الساعات الطوال على الكتب ينقب ويبحث ويقارن.

يقرأ كل شىء باسم الله؛ ليستخلص العبرة، وليدل على الحق ويدعو إلى تأييده، وليبين الباطل فيما قرأ، ويحذر منه. كان لقراءته غاية واحدة هى خدمة دعوة الحق.

وكان رحمه الله خطيباً لسناً مصقعاً، يمتاز بصدق التعبير وجزالة الأسلوب، وقوته وفصاحة المنطق، فتخالط دعوتُه شغافَ القلوب، وتلمع فكرتُه أمام العقل غير مشوبة بإيهام ولا شبهة.

وكان رحمه الله محباً للتراث الإسلامى، ينقب عنه، ويسعى جاهداً فى سبيل نشره.

وكان كريماً سمحاً جواداً مضيافاً، تشعر وأنت فى بيته كأنه ضيفك، وأنت مضيفه.

وكان لطيف المعشر، موطأ الأكناف، باراً كل البر بأصدقائه وإخوانه.

وكان فى بيته مثلاً أعلى فى الرعاية والتطبيق الصحيح لحسن المعاملة، تراه مثلا مكباً على مكتبه منقباً باحثاً، فيأتى الصغار من أحفاده يعتلون ظهره وكتفيه، ويعبثون بما أمامه،

فلا ينفرهم منه حتى سمة زائفة من غضب ، أو بادرة متوهمة من تأفف ، وتنظر إلى عينيه وإلى محياه ، فإذا السرور لامع الإشراق ، وإذا البشر فياض العبير ، وإذا الحنو الدافق جيّاش النبع ، خرجت مرة معه من المسجد فلقى حفيده الصغير « محمد مرور » لحمله على كتفيه وحذاء الصغير ملوّث ببعض الأوحال ، فقلت للشيخ باسماً : جلبابك الأبيض يا أستاذ ، فقال فى دعابته الأبوية : « وانت مالك ياأخى هيّه هدومك ؟ » .

وكان صبوراً جَلْدًا على الأحداث ، نكب فى ابنين عزيزين فما رأى الناس منه إلاّ مايرون من مؤمن قوى أسلم لله قلبه كله .

وكان صفوحاً ، فلم يتسرب مرة إلى قلبه حقد أو غل أو كراهية ، كان يسبق بالعفو إساءة المسىء ، و بالعفو ذنبه ، و بالحلم بوادر الطيش الغاضب منه ، و يلقاه بعد هذا ، وقد نسى كل شىء . أذكر مرة أن جماعة ثوّروا عليه بهتاناً يحاولون به النيل من مقامه ، وافتروا لهذا مفتريات دنسة النسب ، بينة الكذب ، فعلوا هذا لا غيرة على حق أو فضيلة ــ كما تراءوا لذوى الضحالة فى الفهم ــ وإنما هو الحسد المحموم لنجاح الشيخ فى دعوته ، وعلوّ مكانته .

وأذكر أنى دخلت عليه بعد نقاش عاصف منهم ، وهادىء وقور سمح منه ، فماذا سمعت ؟ وماذا رأيت ؟ سمعته يبتهل إلى الله أن يشفيهم من أحقادهم ، وأن يعفو عنهم ، ورأيت على مخايل وجهه بشائر الصفح والمغفرة ، وكان يعلم تلاميذه الجرأة فى قول الحق ، ويدعوهم فى حرارة الصدق وتلهب الحماس إلى مناقشته الحساب العسير إن أخطأ .

وأذكر مرة أنه نقد رأياً للإمام الجليل ابن تيمية وتلميذه العظيم ابن القيم ، ثم رأيته بعد هذا حزيناً ، وسألته ، فأجاب : لقد رأيت عدم الرضا فى وجوه بعض أبنائى ، وسمعت من بعض الشيوخ الذين نعتز بأخوتهم أنهم ينقمون منى هذا النقد ، وهذه إثارة يا بنىّ تدل على أن هؤلاء لم يتطهروا بعد من كل شوائب التعصب لغير الحق . والتعصب يا بنى للأشخاص مَسْرَبٌ خفى من مسارب الوثنية ، ونحن أنصار السنة يابنى لانتعصب إلا للحق وحده ، نعرف الرجال بالحق ، ولا نعرف الحق بالرجال .

عاش رحمه الله للإسلام ، فأحب كل مسلم ، لهذا كان له فى كل بلد إسلامى تلاميذ وأصدقاء ، وكان لهذه التلمذة والصداقة أثر عظيم فى انتشار الدعوة ، وإنشاء فروع لها حتى وصلت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

لقد كان الشيخ رحمه الله ، يذكر دائماً أن العالم الإسلامى وحدة ، ويعمل دائماً لهذه الوحدة فى جميع مايكتب أو يخطب .

هكذا كان الشيخ ــ رحمه الله ، وغفر له ــ وكان فوق ماذكرت ، فما هى إلا لمحات من جهاده ، أما تاريخ حياته المفصل ، فسيكتبه هنا فضيلة الشيخ شيبة الحمد الفقى شقيق الشيخ رحمه الله ، فاللهم إن حامداً توسل إليك بالإيمان الحق بك ، والجهاد فى سبيل إعلاء كلمتك ، فاللهم اغفر له ، وهب له جود رضوانك ، وأنزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء ، وألهمنا الصبر الجميل بعده .

أما نحن أنصار السنة : فبعون من الله سنواصل الكفاح بعده فى عزم مصمم ، وتضامن قوى ، ووحدة شاملة تضمنا جميعاً على الحب والصدق والإخلاص والإيثار ، لن نهادن البدعة ، ولن نعطف على الخرافة ، ولن نجامل فى الحق .

نحن نؤمن بالله ، ونوقن أنه مع المؤمنين ، ونوقن بصدق وعده فى الدفاع عن المؤمنين به . ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إنّ الله بالغ أمره .

نحن نعلم أن الفرحة الساجية تغمر قلوب الحاقدين ، وتهتف بها ألسنتهم ، وتلتمع بها كوهج النار فى عيونهم ، ولكنها فرحة الشريد بالسراب ، وفرحة اليائس بكذب الأحلام على القمم الشوامخ . وفوق الذرى التى تلامس قبة النجوم ، مكانةُ الدعوة أيها الحالمون بتعاسة المصير . تعالوا اليوم وانظروا إلى الجنود المجندة من أنصار السنة ، لقد احتشدوا بإيمانهم القوى ، وعزائمهم التى لا تعرف التخاذل أو التواكل . ليفتدوا بأرواحهم دعوة الحق ، وليجعلوا السلطان الأكبر لدعوة الحق ، فلقد نبههم موت الشيخ المفاجىء إلى واجبهم لحظة وفاته ، فهبوا سراعا يذرفون الدموع ويصقلون العزائم المواضى ويتخذون العبرة من الموت ؛ ليجِدُّوا فى الحفاظ على الحياة ، حياة الدعوة التى لن تموت

بإذن الله . مات بطلهم الأول ، فأحيا موتُه فى قلوبهم الحماس والحمية الثائرة التى لا تخمد لها ثورة على أعداء الدعوة . إن فى مصر فى سورية ، فى السعودية ، فى السودان ، فى العراق ، فى لبنان ، فى شرق الأردن ، فى ليبية ، فى مراكش ، فى الجزائر ، فى تونس ، فى الصومال ، فى أرتيريا ، فى كل بلد عربى أو إسلامى لدعوة الحق جنودا بررة ، تتجمع اليوم قواهم كالطوفان القوى ، ولكنه الطوفان الذى يجرف أمامه كل ما خلفت القرون المظلمة من أساطير ، ليعود هذا الدين الحق ، كما كان فى عهده الأول مسيطراً على القلوب ، مهيمناً على الضمائر موجها للحياة . فإذا الدنيا سلام ورحمة ، و إذا المجتمع محبة وتعاون و إيثار .

إن المسجد اليوم لا يتسع للمصلين ، ودار الجماعة على سعتها تموج بجنود الدعوة ، لقد شعر كل منهم أن الشيخ وحده كان أُمَّة ، كان سداً منيعاً ، كان قوة مكنها الله من قهر أعداء الدعوة والظفر بهم ، فما أن حُمَّ قضاء الله فيه حتى آمن كل جندى من أنصار السنة بأنه يجب عليه أن يُمِدَّ نفسه للفداء ، وأن يذر كل شىء ليفرغ لأعداء الدعوة . وأن يجند نفسه وماله وولده وكل جهده للدعوة وحدها .

لقد أنسانى هول المصاب ما فى قلوب أنصار السنة من حماس جياش متدفق ، فخشيت ولكن ما إن رأيتهم ، وقد ملأوا دار الجماعة ، بل تكدسوا فيها حتى امتلأت نفسى ثقة و يقينا وطمأنينة ، وقلت لإخوانى : كان الشيخ وحده بما وهب الله له من قوة وعزم وعلم ومهابة وحكمة . كان وحده يصد الطوفان ، طوفان الشرك والزندقة والإلحاد ، فما لم نحتشد جميعاً ، لنقف حيث كان يقف ، فسيهز منا الطوفان ونمضى مع التيار المجنون . . و إذا بى ألمس أنهم جميعاً يشعرون بما هو أعمق من شعورى ، و إذا بهم يثبتون فى خطر المحنة ، أن هذه المحنة ستزيدهم ثباتاً على الجهاد ، وقوة فى الجلاد ، وتصميما على النصر بإذن الله .

يا أنصار السنة فى كل مكان ، إننا نجاهد فى سبيل الله ، ونعمل على إعلاء كلمته ، فاطمئنوا إلى عون الله ونصره .

يا أنصار السنة : لن تغيب شمس دعوة تستمد نورها من القرآن .

يا أنصار السنة : لن تهزم دعوة تقتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(البقية على ص ١٥)

إلى زعيم العروبة العظيم

الرئيس جمال عبد الناصر

تفضلتم بما فطركم الله عليه من بر كريم ، وإيمان قوى بالله ، فواسيتمونا فى فقيد الإسلام العظيم رئيس الجماعة . وإنا ـ أنصار السنة فى العالم الإسلامى كله ـ نرفع أخلص الشكر وأصدق الثناء على هذا العطف الكريم السابغ ، ونضرع إلى الله سبحانه بقلوب وفية مخلصة أن يهب لكم العمر المديد المبارك فيه ، وأن يحقق على يديكم وحدة العالم العربى والإسلامى ، ونؤكد عهدنا مع الله أن نكون ما حيينا جنود الحق ، وأن نعمل ما أمكننا العمل فى سبيل بعث الأمجاد الإسلامية الخالدة ، وفى سبيل أن تكون كلمة الله هى العليا .

سنعمل معك يازعيم العروبة فى سبيل البناء والهدم . بناء صروحنا شامخة الذرى . وهدم ما خلف الاستعمار من تراث ، ليخلص العالم العربى والإسلامى لأهله يحكمونه بما أمر الله سبحانه .

هذا عهدنا مع الله يا زعيم العروبة . وأنت القائد الملهم الموفق . وكلنا ضراعة إلى الله ، أن يحقق على يديك القويتين وفى عهدك الكريم ، أمل العروبة ورجاء الإسلام ، وفقكم الله ، وأيدكم فى جهادكم ، وسلك بكم السبيل السوى الهادى إلى غايتكم الكبرى . الوحدة الشاملة للعرب والمسلمين .

تلك كانت دعوة رائد الدعوة الأول وبطلها على منبره لكم ، وبينه وبين الله . وما نرتاب فى أن الله قد استجاب ، لأنها دعوة مؤمن صادق الإيمان . ألهمكم الله السداد والتوفيق .

جماعة أنصار السنة المحمدية

الى جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز

جماعة أنصار السنة المحمدية ـ وقد شفى من حزنها الأليم التعزية الكريمة السامية ، ـ ترفع إلى جلالتكم أخلص ماتنطوى عليه قلوبهم من شكر ، وأصدق ماتلهج به ألسنتهم من ثناء ، إذ تفضلتم ياصاحب الجلالة بتعزيتنا فى فقيد الإسلام العظيم الإمام الجليل المغفور له الشيخ محمد حامد الفقى .

و إننا فيما بيننا و بين الله نجأر إليه سبحانه أن يهب لجلالتكم طول العمر المبارك فيه .

ولن ننسى ياصاحب الجلالة أنكم أمددتم الراحل الكريم بالعون العظيم ، الذى استطاع به أن يطبع و ينشر تراث سلفنا الصالح .

أمدكم الله ياصاحب الجلالة بخير مايمد به الصالحين الطيبين البررة من عباده ، وأيدكم بتأييدكم لدعوة الحق ، وشرعة الإسلام .

اللهم لن يموت عهدنا معك

(بقية المنشور على ص ١٣)

يا أنصار السنة : إن أعداء الدعوة أكثر منكم عدداً ومالا . ولكنكم أشد منهم قوة ، وأعظم غنى ، لأنكم تؤمنون بالقوى الذى بيده خزائن السموات والأرض .

يا أنصار السنة : سيحاولون أن يشغلوكم عن دعوتكم بما ليس لهم أن يتحدثوا فيه ، وبما لا ينتسب إلى أصل من أصول الدين ، فافتحوا عيونكم جيداً ، وكونوا على حذر ، فألد أعداء الدعوة المنافقون ، وألد أعداء الدعوة الطامعون ، وألد أعداء الدعوة الانتهازيون ، ولهؤلاء قبل غيرهم نحن متيقظون .

والله أسأل ، و إليه أجأر أن يغمر الشيخ العظيم بشآبيب رحمته ورضوانه ، وأن يعوضنا عنه خيراً ، وأن يثبت قلوبنا على الصبر واليقين .

عبد الرحمن الوكيل

عزاء ونصيحة الى أنصار السنة

من فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز :

حضرة الأخ المكرم فضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، وكافة إخواننا أنصار السنة المحمدية بمصر وفقهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

و بعد ، فقد بلغنا بمزيد الأسى وفاة نصير السنة الشيخ محمد حامد الفقى تغمده الله برحمته والحقيقة أنها خسارة كبيرة يشعر بها كل محب للسنة منابذ للبدعة ، فعزاؤنا لكم جميعاً ، ونسأل الله تعالى أن يجملنا و إياكم بجميل الصبر ، وأن يفسح للفقيد فى جناته ، وأن يتغمده بغفرانه ، ونوصيكم وأنفسنا بالصبر والثبات على الحق ومواصلة نصر الكتاب والسنة ، ومحاربة الخرافة والبدعة ، لأن الثبات على الحق ، والجهاد فى نشر كلمة الدين الصحيح هو الكسب الذى لا يوازيه كسب ، فأنتم ياأنصار السنة قد نوّر الله بكم بصائر مظلمة ، وحرر عقولا كانت بالخرافة والجهل مكبلة ، فسيروا على بركة الله ، والله مؤيدكم ونصيركم . ورحم الله الفقيد وألزم ذويه الصبر .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالحجاز

عبد الملك بن إبراهيم

ونحن نشكر فضيلة الأستاذ الكبير على جميل تعزيته وكريم نصيحته ، ونؤكد له أننا بإذن الله سائرون على السبيل ، وأننا جاعلون الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله غايتنا ، ونشر دينه الحق مبتغانا ، وسنتعاون مع إخواننا المسلمين الموحدين فى كل ميدان ، حتى يتحقق الهدف الأكبر ، أن يكون الإسلام وحده مهيمناً ومسيطراً على القلوب ، وموجهاً للأخلاق ، وحاكماً على الضمائر ، وأن يكون للمسلمين العزة والسلطان .

جماعة أنصار السنة المحمدية

إنا لله وإنا إليه راجعون

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، فإن النكبة فادحة ، والرزء جسيم .

ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشدا . حتى لانقول ولا نكتب إلا مايرضيك ، ويؤدى بعض حق الراحل الكريم .

لاأذكر أن القلم استعصى علىّ كما يستعصى اليوم .

أريد أن قول كلمتى فى فقيدنا العزيز فلا أدرى كيف أبدئ ، ولا كيف أعيد . كأنّ القلم أحس مرارة الكارثة ؛ فهو يكبو ويتعثر .

لقد وقع نعى الفقيد الكريم على قلوب أحبائه وقوع الصاعقة ؛ فلقد عهدوه مكتمل الصحة ، موفور العافية ، جم النشاط دائب العمل ، فكان نعيه مفاجأة أليمة وجفت لها القلوب ، وتصدعت الأكباد ، وتصعدت الزفرات ، وتحدرت العبرات .

لقد وقعت الواقعة وحلت القارعة ، ونفذ السهم ، وصدر حكم القدر ، ووافى الأجل المحتوم ، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها .

يقول الناس إذا فقدوا عزيزاً عليهم ، أو عظيما من عظمائهم : إنه سراج انطفأ أو صرح تقوض ، أو نجم أفل ، أو شمس غربت ، ولكن هذه الجمل البراقة ، والعبارات الخلابة لايمكن أن تصور مصابنا الأليم على حقيقته ، فالسراج إذا انطفأ فمن الممكن أن يوقد مرة أخرى ، والصرح إذا تقوض فمن اليسير أن يعاد بناؤه ، والنجم إذا أفل ، فإنه عائد إلى طلوع ، والشمس إذا غربت فسيعقب غروبها شروق ولكن فقيدنا الراحل الكريم تأبى سنة الله أن تعيد إلى سراجه الوميض ، أو تجدد بناء صرحه الشامخ الذى تقوض ، أو ترد نجمه الآفل إلى الظهور ، أو شمسه الغاربة إلى الشروق . فأية عبارة يمكن أن تصور فداحة الرزء الذى رزئنا به ، ومرارة المصيبة التى أصابتنا ؟

إن الفراغ الذى تركه فقيدنا الراحل الكريم لن يملأ أبدًا ....

فإن وجدنا العالم ، فلن نجد الشجاع وإن وجدنا العالم الشجاع فلن نظفر بالغيور على الدعوة ، المتفانى فى خدمتها ، المضحى من أجلها بالوقت والجهد والمال .

وإن عثرنا على كل أولئك لم نعثر على الكاتب المبدع القدير ، والخطيب المصقع ، الذى ملأ صوته سمع الزمان ، والمجاهد الصادق الذى أعيا جهاده جهد التاريخ فقد اجتمع فى شخصه الكريم العالم والشجاع والمضحى والمتفانى ، والكاتب والخطيب ، والمجاهد ، فحين فقدناه فقدنا كل أولئك جميعا .

لقد فقدنا الصوت الذى كان يجلجل فتهتز له القلوب .

لقد فقدنا الحكمة البالغة التى تأخذ بالنفوس إلى مراشدها .

فقدنا المنطق المقنع الذى كان يملأ الأفئدة إيمانا ويقينا .

أين الكلمات الرنانة التى كانت تخرج من فمه يبعثها محض الإخلاص لدعوة الحق فتنزل على القلوب بردًا وسلاما ؟

أين الجمل القوية تزجيها الغيرة على دين الله ، وسنة رسوله فتصدر قوية جياشة مدوية تسرى فى النفوس سرى الكهرباء فتمس مكان الإيمان ، وتلمس موضع اليقين ؟

أين الخطب الرائعة التى كانت تتردد فى جنبات المسجد ، تتجاوب أصداؤها فى حبات القلوب ؟

لقد ودعنا يوم ودعناه العلمَ الغزيرَ ، والاطلاع الواسع ، والتفانى فى خدمة الحق ، والتضحية فى سبيل العقيدة .

ودعنا الشخصية القوية الموحية الملهمة التى ترغم على الإكبار والإجلال .

لقد كان مجلسه حافلا بالإرشادات الدينية والفوائد العلمية ، والطرف الأدبية ، والملح الطريفة التى تجعلك تأبى أن تفارقه ، وإن غادرته غادرته وأنت فى شوق مُلحّ لجوج إلى أن تعود إليه .

لقد كانت نظراته توحى وتلهم ، وترشد وتعلِّم .

كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل فى أعماقها ، ويستخرج منها درر المعانى ويشبعها بحثاً وفهماً واستنباطا ، ويوضح مافيها من الأسرار العميقة والإشارات الدقيقة ، والحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، ولا يدع الآية حتى يستوعب جميع ماحوت من المعانى والحكم والأسرار ، ولا يترك كلمة لقائل بعده ، بعد أن يحيط القارىء أو السامع علماً بالفقه اللغوى للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم ، والعلم أكمل وأشمل .

كان يقول كلمة الحق فى صراحة ووضوح ولا يخشى لومة لائم ، لأنه يقولها لله ، وفى سبيل الله ، وهو على يقين من نصر الله .

فقدْنا كل هذه المفاخر ، وأبت الأقدار أن تطيل استمتاعنا بها ، بل سلبتنا إياها أحوج ما كنا إليها .

لقد كان صاحب الفضيلة والفضل المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى ـ طيب الله ثراه ـ قطباً تدور فى فلكه جماعات أنصار السنة فيفيض عليها من علمه علماً ، ومن شجاعته شجاعة ومن غيرته غيرة ، ومن إخلاصه إخلاصاً ، ومن عزة نفسه وكرامتها عزة وكرامة .

عهدنا بالعلماء يقدسون مادوّن فى الكتب ويمجدون آراء الرجال . أما فقيدنا ـ أسبغ الله عليه سحائب الرحمة ـ فلم يكن يقدس إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يمجد إلا ما أثبته البحث العلمى الصحيح ، وأقره العقل الناضج المستنير ، ووافق كتاب الله وسنة رسوله ، ولو خالف الكتب جميعاً ، ولو ناقض آراء الرجال قاطبة .

وإن المكتبة العربية لتعتز بما زودها به من كتب قيمة مما ألف ومما نشر ومما صحح ومما راجع ومما علق وشرح .

وكان يمر باللغو مراً كريماً ، بل عفوًّا رحيما .

تغمده الله بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنته وألهمنا جميل الصبر على فراقه الأليم ، ورزقنا مرافقته فى جنات النعيم . ووفق أنصار السنة للسير على منهاجه والاستمساك بمبادئه . وهيأ للأمة الإسلامية عالماً شجاعا مخلصاً غيوراً يحمل راية الجهاد من بعده . إنه بالمؤمنين رءوف رحيم .

فقيد العالم الإسلامى

الحمد لله الحى الباقى الذى لا يموت ، والصلاة والسلام على خير من بُعث ، وأشرف من مات ولم تمُت رسالته المباركة إلى أبد الآبدين .

أما بعد ، فبقلوب مكلومة ، وأكباد مفتتة ، نواسيكم فى فقيدنا الراحل ، فقيد العلم والدين والأدب ، بل فقيد العالم الإسلامى كله ، وإننا إذ نحزن لموته فإنما من أجل ذلك الفراغ الواسع الذى كان يشغله ، عليه الرحمة والرضوان بمالاينتظر أو يملأه عديد من العلماء . وأكثر الألم لما فقدنا بفقده من مزيد من الذخيرة القيمة التى لايعرف قدرها إلا من تذوقها واستزاد منها .

نسأل الله له رحمة واسعة ، ومنزلا مباركا ، جزاء وفاقاً بما قدمت يداه . وما لقى فى سبيل الله من عنت ، وما صادف من صعاب ، محتسباً أجره عند الله وحده لاشريك له .

غفر الله له مافرط منه ، وألهمكم فى فقده صبراً ، وعوضنا فيه خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته — جماعة أنصار السنة المحمدية بالزقازيق

لا بد من الموت

لابُدَّ للإنسان من ضَجْعَةٍ — لاتَقْلِبُ الْمُضْجع عن جنبه[١]

ينسى بها ما كان من عُجْبه — وما أذاق الموتُ من كربه

نحن بنو الموتى ، فما بالُنا — نَعَافُ ما لابُدَّ من شُرْبه[٢]

يموت راعى الضأنِ فى جهلة — ميتة جالينوس فى طبه[٣]

وربما زاد على عمره — وزاد فى الأمن على سربه[٤]

وغاية الْمُفرِطِ فى سلمه — كغاية المفرط فى حربه

المتنبى

---

(١) ضجعة : رقدة : المضجع : الراقد (٢) مابالنا : ماشأننا . نعاف : نكره .

(٣) جالينوس : يونانى قديم اشتهر بالطب والفلسفة (٤) سربه : نفسه .

إنا لله وإنا إليـــــه راجعون

فى الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الجمعة ٧ رجب سنة ١٣٧٨ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ ، طوى الموت علماً من أعلام الدين ، وشيخاً من شيوخ المسلمين ، وإماماً من أئمة سنة خاتم النبيين .

ففى يوم الأحد ٢٤ جمادى الآخرة دخل فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله ، مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية بالعجوزة ، وأجريت له عملية جراحية فى اليوم التالى ، فنجحت العملية ، حتى سمح له الطبيب المعالج بالنزول من السرير . وفرح تلامذته وإخوانه بذلك ، ثم أصيب بعد ذلك بنزيف فى موضع الجرح ، فأسرع الأطباء بالإسعاف والعلاج ، ولكن ماذا يجدى الإسعاف أو العلاج إذا حان الأجل ، وجاءت الساعة المحتومة . (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

وقبيل فجر ذلك اليوم طلب ماء ليتوضأ لصلاة الصبح ، فقال له من كان حوله من الأبناء والإخوة : يكفيك التيمم وأنت على هذه الحال . فغضب وقال : أتريدون أن أتشرف بالمثول بين يدى ربى من غير وضوء ؟ إئتونى بالماء . فأحضروا الماء فتوضأ ثم صلى فريضة الصبح وقرأ فى الركعتين سورة الرعد ، وبعد أن فرغ من صلاته ، وقبل أن تصعد روحه بدقائق طلب نقله إلى دار الجماعة لقد تذكرها فى تلك الحال ، ولم يتذكر داره ولا ماله ولا أهله ولا ولده ، تذكر الدعوة التى أوقف لها جسمه وروحه وصحته ووقته وماله وولده وكل مايملك ، تذكر الدعوة التى أفنى فيها شبابه وشيخوخته قرابة نصف قرن ، تذكرها فذكرها . ولم يذكر غيرها . وعملا بهذه الرغبة نقل جثمانه إلى دار الجماعة ، ثم ترامى النبأ المفجع إلى أنصار السنة فى القاهرة وضواحيها ، فنزل عليهم نزول الصاعقة وعقدت الدهشة ألسنتهم ، وجمَّد الهول الدموع فى مآقيهم ، وكادت الصدمة أن تطيش بعقولهم . ثم صاح بهم صائح الإيمان من قلوبهم : إن الله لم يجعل لأحد من البشر الخلد ، وإن كل نفس ذائقة الموت ، وأن الموت حق ، وأن لكل أجل كتابا . ، فأخذوا يفيقون ويشعرون ويقدرون الموقف

وفداحة الخطب ، إنهم فقدوا المرشد الناصح ، والأب الرحيم ، ورائد دعوة التوحيد فذرفت الدموع ، وحشرجت القلوب بالنحيب ، وهرعوا إلى دار الجماعة من كل صوب وحدب ، حتى امتلأت بهم الدار والشوارع حولها .

وفى الدار والشارع كنت ترى مناظر تفتت الأكباد ، ترى هذا يتصبر ويدعو إخوانه إلى الصبر والثبات ، ولا يلبث هو أن ينفجر باكياً منتحباً وهكذا حتى حان وقت صلاة الجمعة ، فذهبوا إلى المسجد وأدوا الفريضة . ثم عادوا إلى الدار فى انتظار تشييع الجنازة والحزن يملأ قلوبهم . ثم غَسَّلَ الفقيد رضوان الله عليه تلامذته وإخوانه وكفنوه ، ثم حملوه على الأعناق حتى مسجد الهدارة : حيث كان رحمه الله يعظهم ويرشدهم ويعلمهم . فصلوا عليه بعد صلاة العصر . ولقد شهد الكثير أنهم على كثرة ما رأوا من الجنائز لم يشهدوا أكبر من هذه الجنازة ولا عدداً أكثر من الذين صلوا عليها ولا حتى نصفها . وقد كان جل المصلين من أنصار السنة المحمدية ، وقد امتلأت بهم رحاب المسجد فى صفوف متلاصقة وصلى مثلهم أو أكثر منهم خارج المسجد يبلغهم التكبيرات بعض الإخوان بالصوت المرتفع .

وممن اشترك فى تشييع الجنازة من أولها السيد الحاج عبد الناصر حسين والد السيد الرئيس جمال عبد الناصر ـ حفظه الله ورعاه ـ وأصحاب الفضيلة وزير الأوقاف والشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ محمد نور الحسن والشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد والشيخ أحمد حسين والأستاذ محمود عبد اللطيف وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها وسفير المملكة العربية السعودية وكبار موظفى وزراة الأوقاف وقضاة المحاكم وكثير ممن لا يمكن احصاؤهم ، فقد كانت الجنازة شعبية عامة .

وكان من فضل الله أن أدرك الجنازة كثير من أنصار السنة بالاقاليم الذين حضروا سراعاً بمجرد أن بلغهم النبأ . فحضر أعضاء من فروع الجيزة ونكلا وما حولها وفروع المنوفية وفرع طنطا وفرع المحلة الكبرى وفرع شربين وما حولها وفرع دمياط وغير هؤلاء كثير .

وبعد صلاة الجنازة أبى أنصار السنة إلا حمل النعش على الأعناق حتى المدفن حيث

ووري التراب بين البكاء والدعاء له بالمغفرة والرحمة والتثبيت . ولقد تبع الجنازة آلاف المشيعين من أنصار السنة . وكلهم كان يرجو أن يفدى هذا المحمول على الأعناق بنفسه وأبيه وأمه وولده . ولكن عز الفداء ، وعظم الخطب ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم عاد الناس مع المغرب إلى دار الجماعة وكل منهم واجم حزين تسيل من عيونهم العبرات ، وتتحرك شفاههم بالدعوات ، ولا تزال الدار حتى اليوم تغص بالوافدين عليها للتعزية والمواساة ، ولا تزال البرقيات ترد من جميع أنحاء العالم معبرة عن شعور العالم الإسلامى بأسره بفداحة الخسارة سائلة الله سبحانه خير الخلف .

ومن تلك البرقيات المواسية المعزية : برقية السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، و برقية جلالة الملك سعود بن عبد العزيز ، اللذين كان فى عطفهما أكبر العزاء لأسرة الفقيد ولأنصار السنة المحمدية ، مما ألهج ألسنتهم بالدعاء لهما بطول العمر وأن يعز الله بهما الإسلام والعروبة

القلب يحزن والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم أجرنا فى مصيبتنا ، اللهم أنت نعم الخلف . اللهم لا تفتنا من بعده ، ولا تحرمنا من أجره ، واغفر لنا وله . (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم) .

اللهم هذا عبدك (محمد حامد الفقى) قد أفضى إليك بما قدم ، اللهم تغمده برحمتك ، واجعل قبره روضة من رياض الجنة ، اللهم آنسه فى مرقده ، ووسع له فى منزله . اللهم ارزقه أهلا خيراً من أهله ، وداراً خيراً من داره . اللهم احشره فى زمرة الصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنه جاهد فى سبيل دينك و إعلاء كلمتك ، ورفع منار توحيدك ، ومازال فى جهاد متواصل بقلبه ولسانه وقلمه و يده حتى أتاه اليقين . اللهم اجزه خير ما تجزى المجاهدين الأبرار

وصلى اللهم وسلم و بارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين . رشاد سليمان

خُلِق الناسُ للبقــاء ، فضلّت أمةٌ يحسبونهم للنفــاد

إنمــا يُنقَلون من دار أعمــا لٍ إلى دار شقوة أو رشاد

المعرى

٢٤

مقتطفات من :

أقوال الصحف ورسائل الإخوان

كتب الأستاذ الكبير محمد صبيح فى جريدة القاهرة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠/١/١٩٥٩ تحت عنوان « المحارب الذى ألقى سلاحه واستراح (الشيخ حامد الفقى) :

«ورجل آخر يقدر لى اليوم أن أودعه فى هذه اليوميات . اختار جوار ربه ، وهو أكرم جوار . هذا الراحل العزيز هو الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية .

هو المسلم المناضل عن عقيدة آمن بها وتملكته ، وسعى إلى خدمتها ماوسعه الجهد ، ووجد من حوله أنصاراً كثيرين . إنه الرجل الذى توفر على خدمة عشرات من المؤلفات الإسلامية لمدرسة ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب ، وقدم منها لقراء الفكر الإسلامى مكتبة كاملة .

إنه كان أيضاً سفير القاهرة إلى المذهب الوهابى فى البلاد السعودية[1] ، لم تكف رحلاته إليها ولم يفته موسم حج إلا لعذر قاهر ، ومانع لاقبل له به .

إن هذا الرجل عاش فى معركة لاتهدأ فى سبيل ماااعتقد أنه الصواب . اتصلت بينى و بينه معرفة طيبة وصداقة كريمة منذ عشرين سنة أو تزيد .

حببته إلى نفسى وطنية دفينة فى فؤاده وكره للاستعمار لم يكن يعرفه إلا الذين خالطوه

(١) كان فضيلة الشيخ الكبير رحمه الله سفير القاهرة إلى كل بلد إسلامى ، وبخاصة إلى أولئك الذين يدينون بدين الحق كما بينه الكتاب والسنة . أما كلمة الوهابية ، فلم ترد فى التاريخ إلا على ألسنة أولئك الذين عاصروا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وأطلقوا كلمة « الوهابية » على ما يدعو إليه . على حين أن الشيخ وأتباعه أبرياء إلى الله من هذه الكلمة ، فما دعا الإمام الناس إلى دين جديد أو مذهب محدث ابتدعه ، وإنما دعاهم إلى الإسلام الصحيح ونبذ ما ورثوا من مذاهب لا صلة لها بالإسلام الصحيح . وعقائد هى أمشاج من أديان وضعية شتى ، فكيف ـ وهذه دعوته ـ يرتضى أن تسمى دعوته بالوهابية . أو أن ينعت من هداهم الله على يديه بأنهم وهابيون ؟ الأولى والأجدر والأحق وهو ما سعى إليه الإمام الجليل أن يسموا المسلمين .
« الهدى النبوى »

عن كثب . إنه الرجل الذى كان يصحبنى فى جوف الليل ـ مطلع أيام الحرب العالمية الثانية ـ إلى مطبعته ، لـكى نقوم معا بطبع المنشورات ضد الإنجليز والاحتلال البريطانى . وعند ما كان النور الـكهربائى ينقطع عن المطبعة فى حى عابدين كان يذهب إلى بيته عبر ميدان عابدين ، ويحمل مصباحاً بالـكيروسين يخفيه تحت عباءته ، ويعود لنتابع هذا العمل الخطر المضنى الذى لو وقف عليه البوليس السياسى ، أو عملاء المخابرات لزجوه فى السجن وصادروا مطبعته وهى مصدر رزقه . لقد اعتقلنى الإنجليز بعد ذلك ولم أجد رجلا أودع لديه مكتبتى ومجموعات كتب الشهر إلا الشيخ حامد الفقى ، الذى ضاق بيته الصغير بهذه الوديعـة ، حتى انتهت الحرب ، وانتهت أيام الاعتقال . إنى أذكره الآن . أذكر أنه الرجل الذى حضر عقد قرانى وشهد على العقد وتلا دعاء الزواج وخطبته .

إنه الرجل الذى قد أخالفه فى بعض آرائه ، ولـكنى احترمته دائماً ، وقدّرته دائماً ، وذدت عن حريته فى إبداء رأيه ، وفى بث نشاطه . إنه رجل محارب لم يكف عن النضال لحظة حتى جاءه بدوره الزائر الذى لا يملك كل حى إزاءه إلا الصمت والسكون الطويل . إنه الموت .

إنى لا أشك فى أن تلاميذ الشيخ حامد الفقى وأنصاره فى كل مكان سوف يتابعون سنته . سنة الرجل الذى يجعل من الـكتاب المؤلف السلاح الأول للدفاع عن الرأى .

ويواصلون إمداد المـكتبة الإسلامية بالـكثير من المؤلفات التى كان الفقيد يعنى بإصدارها . رحم الله الشيخ حامداً . فهو أيضاً صديق يسبقنا إلى رحاب العلى الأعلى » .

الهدى النبوى : نشكر للكاتب الـكبير هذه الـكلمة التى شيع بها بطلا من أبطال الحق ، ومجاهداً عظيما عمل على أن يعيد الثقة إلى القلوب بهدى الله . نشكر له جميل وفائه . وصدق شعوره . وكريم نبله فى الإخلاص لرجل عظيم أحب الإسلام وعمل على وحدة المسلمين . وجمع كلمتهم على القرآن والسنة ، ونعده بإذن الله أن نـكون عند حسن ظنه الحق بالجماعة .

وقالت صحيفة الشعب الغراء على لسان الكاتب الأخ الأستاذ أحمد على بتاريخ ١٧/١/١٩٥٩ تحت عنوان « فقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد حامد الفقى » :

« لقد اختارك الله إلى جواره فى وقت نحن أحوج ما نكون إليك فيه ، فكيف أرثيك ، وأنت لا تحب الرثاء ؟ وكيف أبكيك ، وكنت أيضاً تنهانا عن البكاء ؟ لقد علمتنا كيف نقابل الكوارث بالصبر ، ولكن الكارثة فى مصابك أكبر من أن تتحملها النفس فقد كنت فينا الأب والأخ والصديق .

لقد شاءت إرادة الله أن تنتقل إلى جواره بعد أن أديت الأمانة خير الأداء ، فكنت مثلا طيباً للصديقين والشهداء ، وأصبحت أكبر من الدموع ، وأقوى من الأحزان» .

وفى نفس العدد كتب الأستاذ عبد الوهاب دنيا المحرر بالصحيفة : « عبد الوهاب دنيا ينعى إلى العالم الإسلامى الأستاذ العالم الحجة الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، ويبتهل إلى الله أن ينزله منازل الصديقين البررة جزاء ما قدم للعلم والإسلام وأن يلهم مريديه وتلامذته وأسرته الصبر وأن يعوضهم عنه خيراً » .

هـذا وقد امتلأت أعمدة الصحف بنعى الراحل العظيم من إخواننا ومعارفنا ممن ينتسبون إلى الجماعة ، وممن لاينتسبون إليها .

نعاه فى الصحف « اتحاد خريجى الأزهر ، وأبناء كلية اللغة ، وأبناء دار العلوم والأستاذ عبد الودود الخولى ، والأخ محمد محمد مبارك ، والأخ محمد غانم ، وأسرة التجارة الثانوية ، وأسرة اللغة العربية بتجارة الظاهر الثانوية ، وطلبة دبلوم ١٣ بتجارة الظاهر .

أما فروع الجماعة فقد تسابقت إلى نعيه فى الصحف ، وكان فرع المحلة السباق إلى هذا ، فقد نعاه مجلس إدارة الفرع ، ونعته مدرسة الهدى النبوى والنادى الرياضى التابعان للفرع بالمحلة الكبرى ، وفروع منطقة شربين كلها والمنصورة ودمياط ونكلا ومصر الجديدة . وغيرهم وغيرهم .

وقد جاء فى رسالة من فرع الجماعة بالربا مركز صدفا بأسيوط ما يأتى : « بلغنا وفاة المجاهد الكبير الشيخ محمد حامد الفقى تغمده الله برحمة منه وفضل ، فكان له وقع شديد فى نفوسنا

وذلك لفقد علم من أعلام السنة جعله الله سبباً لهداية ملايين من البلاد الإسلامية » .

وكذلك أرسل الأخ كرار أحمد محمد رسالة تفيض بالأسى واللوعة . والأخ الكريم محمد حسن أحمد داود من الاسكندرية .

وقد جاءتنا برقية وقعها مسلم ومسيحى جاء فيها : « عز علينا فقد الأب البار من بيننا وهو الحجة الفقيه ثقتنا وثقة أنصار السنة أسكنه المولى الكريم فسيح جناته ، وأسبغ عليه وعلينا من بعده رحماته وعوض عارفى فضله خيراً يبقى مع ذكراه خالداً أبد الدهر ، وإنا لله وإنا إليه راجعون « طه مدين ـ إدوار أبراسيان » .

وقد نعاه فى جريدة الأهرام الدكتور ماهر مسيحة بهيئة القنال : وهكذا كان الشيخ رحمه الله ، يطبق الإسلام تطبيقاً صحيحاً فى معاملاته مع الناس جميعاً مسلمهم وغير مسلمهم .

ويقول الأستاذ الحاج ماهر إسماعيل الداعية إلى السنة النبوية ببلانه ببلاد النوبة :

« كان لنعى المرحوم الشيخ حامد الفقى رئيس الجماعة أثره البالغ فى نفوسنا لما كان له من الأثر فى الدعوة إلى الله ، ونشر سنة رسول الله ، وما كان يؤمن به من معانى الكتاب والسنة ، وعلم الله أنه كان عالماً جليلا يشار إليه بالبنان فى شتى مراحل حياته التى قضاها مبرزاً بدعوته ، عاملا بحجته ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه جنات الخلد التى أعدها للمخلصين من عباده ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إخوانى : أكتب إليكم معزياً فى الفقيد من أعماق قلبى ، فقد اهتززت لفقده ، وتأسفت لوفاته ، لما كنت ألمس من صفحات حياته ، وأعرف من أصول دعوته ، فالله أرجو وإليه أضرع أن يحفظ دينه ، وينشر دعوته ، بما يتخذ لها من عباده المؤمنين . وأسأله تعالى أن يجعل للإخوان خلفاً لخير سلف ، والله المستعان ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين » .

ويقول الأستاذ عوض صالح حسن معروف رئيس الوحدة الاجتماعية ببلانة :

« ببالغ الأسى والحزن تلقينا بالأمس خبر وفاة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى رئيس الجماعة ، وقد وقع خبر وفاته كالصاعقة علينا وعلى جميع إخواننا الذين كانوا يعلمون بجهاده

العظيم فى سبيل الله ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يسكن الفقيد فسيح جناته ، ويدخله مدخلا كريما ، وهذه سنة الله فى خلقه . والمصيبة عظيمة وفادحة ، ولكنها امتحان من الله تعالى لنا . هل نستطيع أن نواصل جهادنا ونسير بدعوة الله إلى الأمام كما كان معنا ؟ .

إن رجاءنا فى الله خير وأن نسمع عن الجماعة أحمد السير فى طريق التقدم بالدعوة العظيمة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ».

ويقول الأديب فتحى سليمان كلفت الطالب بدبلوم المعلمين بقورته ببلاد النوبة :

« كان يوم الاثنين ١٩ يناير كئيباً حزيناً بالنسبة لى ، ولعل هذه الحالة السوداء قد مرت بأنصار السنة قبل أن تمر بى . . أجل . . قد مرت بهم فى يوم الجمعة ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ فحولت بهجة أنصار السنة المعهودة فى أيام الجمع وحبورهم إلى عبوس . ففى ذلك اليوم بلغنى أن الله اختار لجواره فضيلة الرئيس الشيخ محمد حامد الفقى ، وأن المحنة كانت قاسية لا يتحملها إلا الصابرون ، وهم قليلون ، تجهمت وقتئذ وما زلت كذلك ، الفجيعة ولا شك عظيمة ، فقد مات رجل الإنسانية والسنة المحمدية . لقد كان إنساناً بكل ما فى الكلمة من معنى سام ، أعزى الإنسانية فى ذلك العلم الذى رفع راية الدين القويم ، لقد جاهد فعلا فى الله حق جهاده ، ظل كالطود قوياً لا يتزعزع ، عملاقاً لا ينال منه الأقزام من كل سنح وجنس ومذهب ، ومع كل هذا لم يتطرق الغرور إلى نفسه ، ولم تبطره نشوة الانتصار فى أكثر من ميدان ، وظل يبحث وينقب وينشر نور التوحيد حتى وافته المنية .

والموت يختار النفيس لنفســـه منا كما نختار نحن فما اعتدى

نظرت إلى نفسى « كترمومتر » لأقيس به مدى تأثر أنصار ونصيرات السنة ، بفقد أبيهم الروحى ، فوجدت المؤشر ينذر بالخطر . . إذ كان حزنى مما لا يمكن ذكره . فقلت فى نفسى : أنا عُشر ، أو واحد من مائة ، أو دون ذلك من أقل أنصار السنة ، فما حال المتوسطين . ثم الذين فوقهم .

عزائى إليكم جميعاً ، وإلى الذين يمتون إلى الفقيد بصلة مادية كانت أو روحية . تغمد الله فقيدنا برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته التى وعد بها أولياءه الصالحين ، ووهبكم الصبر وقوة العزيمة لتمضوا فى الطريق قدماً إلى الأمام ، وطبت حياً وميتاً » .

ونشرت مجلة الشبان المسلمين الغراء فى عددها الصادر فى شهر رجب سنة ١٣٧٨ تحت عنوان (فقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد حامد الفقى) :

انتقل إلى رحمة الله فى الساعة الخامسة وخمس دقائق من صباح يوم الجمعة ٧ رجب سنة ١٣٧٨ للموافق ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية . بعد أن أفنى عمره العامر بالصلاح والتقوى فى خدمة الدين والإسلام .

وقد تخرج الفقيد ـ رحمه الله ـ فى الأزهر الشريف حيث نال شهادة العالمية عام ١٩١٧ وانقطع منذ تخرجه إلى خدمة كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين . وجعل منها نبراساً يسير على هداه وطريقاً مستقيما لا يسلك سواه .

وقد أنشأ المغفور له الشيخ محمد حامد الفقى جماعة أنصار السنة المحمدية فى عام ١٩٢٤ تقريباً . حيث كان كبار موظفى قصر عابدين يحمون أهل البدع وعباد الطواغيت . وحاولوا بكل السبل صد الناس عن مقابلته والاستماع لدعوته حتى سخروا له من شرع فى قتله . ولكن صرخة الحق أصمت آذانهم وكلمة الله فلت جموعهم . وانتصر الإيمان الحق على البدع والأباطيل .

وظل الشيخ محمد حامد الفقى يعلن كلمة الله العليا و يواصل حربه على الضلال . . . ولم يقصر فى نشر دعوة الحق للناس عن طريق محاضراته وعظاته ، أو عن طريق الكتابة فى مجلة « الهدى النبوى » التى تصدرها الجماعة . . أو عن طريق الكتب العديدة التى ألفها أو قام بتحقيقها .

وكانت دعوته تقوم على إرشاد النـاس إلى أخذ دينهم من نبعيه الصافيين : صريح الكتاب وصحيح السنة . . ومجانبة البدع ومحدثات الأمور والخرافات .

و بقى الشيخ محمد حامد الفقى على عهده يعظ الناس ويخطب فيهم فى مسجد المدارة ـ بعابدين ـ الذى كان إمامه .. وعندما أحيل إلى المعاش أبقته له وزارة الأوقاف ليواصل فيه دعوته . . وظل يخطب فيه و يلقى الدروس دون أجر بل تطوعاً لوجه الله ولخدمة الدين الحنيف . . وقد أثمرت دعوته . . فعند ما جاءت حكومة الثورة المباركة حار بت البدع

والخرافات وعملت على تطهير الموالد من الخزعبلات التى تشوه جلال الدين وأخذت بكثير من آرائه القيمة فى أمور الشرع . فاطمأن قلبه وارتاح ضميره . ومات رحمه الله و « أنصار السنة المحمدية » يملأون الأرض إيماناً فى السودان والحجاز وسوريا والعراق وأندونيسيا وأسمرة وسيام وارتيريا وجميع بلاد العالم الإسلامى عدا كثير من الفروع فى مختلف المحافظات والمديريات والمراكز فى الإقليم الجنوبى للجمهورية العربية المتحدة .

وقد أجرى الشيخ محمد حامد الفقى فى أخريات أيامه عملية جراحية بمستشفى العجوزة ولكن حدثت له مضاعفات شديدة بعد إجرائها . وتوفى فى المستشفى وقلبه يلهج بذكر الله .

و بعد أن فاضت روحه الكريمة إلى بارئها أصدر السيد وزير الأوقاف ـ مشكوراً ـ أمراً بإبقاء مسجد الهدارة الذى كان يخطب فيه لتقيم فيه جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة الجمعة وتواصل جهودها .

. . . لقد كانت خسارة العالم الإسلامى فى فضيلة المغفور له الشيخ محمد حامد الفقى فادحة ، كما كانت فجيعة المسلمين فيه كبيرة . . ولكن الذى يعوضنا جميعاً ويخفف أحزاننا أن دعوته قد أثمرت وأن مبادئه قد صارت ملء القلوب والأسماع .

و « الشبان المسلمين » تدعو الله أن يتغمده برضوانه و يسكنه فسيح جناته . ويلهم ذويه وتلامذته ومريديه الصبر والسلوان » .

اسأل الله

قال أبو العتاهية .

ألا أيها الطالب المستغيث   بمن لا يفيد ولا يرفد
ألا تسأل الله من فضله   فإن عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال   ردّ وأحشاؤه ترعد
ففر إلى الله من لؤمهم   فإنى أرى الناس قد أصلدوا

برقيات التعازى

برقية الرئيس جمـــــال عبد الناصر

تفضل زعيم العروبة العظيم ، فأرسل إلى الجماعة هذه البرقية « للفقيد الرحمة ، وللأسرة خالص عزائى ومواساتى » هذا وقد اشترك السيد الجليـل والد الرئيس فى تشييع الجنازة والصلاة عليه . إذ هو ـ أمد الله فى حياته ، ومتعه ومتع المسـلمين والعرب بحياة شبله العظيم الرئيس جمال عبد الناصر ـ من السابقين الأولين فى نشر دعوة الحق فى ربوع الاسكندرية .

برقية جلالة الملك سعود

لقد تأثرنا لوفاة الفقيد الشيخ حامد تغمده الله برحمته وألهمكم الصبر .

برقية سمو الأمير فيصل رئيس مجلس وزراء المملـكة العربية السعودية وولى العهد

كذرنا وفاة والدكم عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم ، وتغمده برحمته .

برقية فضيلة الأستاذ الجليل شيخ الجامع الأزهر

« أعظم الله أجركم فى مصابكم[1] » .

برقية فضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف

« أحسن الله عزاءكم » هذا وقد اشترك فضيلة الأستاذ الـكبير فى تشييع الجنازة بنفسه من دار الجماعة حتى الصلاة عليها فى مسجد الهدارة حيث كان يخطب الفقيد العظيم .

برقية فضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية العربية المتحدة

« نشاطركم أحزانكم »

---

(١) نبتهل إلى الله أن يمن على فضيلة الشيخ الجليل بالشفاء ، وأن يوفقه فيما نصب نفسه له وهو أن يعيد إلى الإسلام رونقه وبهاءه وصفاءه .

برقية سمو الأمير السعودى خالد النـــاصر

« تأثرنا لوفاة الوالد تغمده الله برحمته وأحسن عزاءكم » .

برقية فضيلة الشيخ الجليل مفتى المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم

« أحسن الله عزاءكم فى والدكم الشيخ حامد الفقى تغمده الله برحمتـه ، وألهمكم الصبر والبركة فيـكم بخير » .

برقية فضيلة الشيخ الجليل عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز

«تـكدرنا لوفاة والدكم ورئيسكم نصير السنة الشيخ حامد الفقى . غفر الله له ورحمه وأدخله فسيح جناته ، ورفع درجته أحسن الله عزاءكم وجبر مصابكم» .

برقية الأستاذ الـكبير سعادة الشيخ حافظ وهبه سفير المملـكة السعودية فى لندن

« يحزننى أن أسمع هذا النبأ الفاجع . للفقيد الرحمة والرضوان ولـكم الصبر الجميل » .

برقية عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين

« يمنعنى المرض من مواساتـكم بنفسى ، فألهمنا الله صبراً وعزاء » .

برقية فضيلة الشيخ الـكبير عبـد اللطيف بن إبراهيم

مدير عام المعاهد والـكليات بالرياض

« نعزيكم فى الشيخ محمد حامد الفقى غفر الله له ورحمه وخلفه عليكم بخير » .

برقية فضيلة الشيخ الجليل رئيس القضاة بمـكة

« ساءنا وفاة والدكم الشيخ حامد ، غفر الله له وألهمنا وإياكم الصبر » .

برقية الأستاذ الـكبير « محمد عمر دمرداش » وكيل الأوقاف السابق

« رحم الله الفقيد الـكريم ، وأنزله منازل الرحمة والرضوان ، وأجمل عزاءكم » .

برقية العالم الإسلامى الجليل الشيخ محمد نصيف بجدة

« عظم الله أجركم والجماعة فى الفقيد الشيخ حامد الفقى ، رحمه الله ووفقكم الله جميعاً لما فيه رضاه آمين »

وجاء من الأخوين الكريمين فضيلة الشيخ محمد الحركان قاضى جده والشيخ سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكى وعضو مجلس الشورى .

« نشاطركم الأسى لوفاة نصير السنة وفقيد الجميع تغمده الله برحمته » .

وجاء من الأخ الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم نجل فضيلة المفتى الأكبر بالمملكة السعودية ، ومن شقيقه الأخ الأستاذ الشيخ إبراهيم مايلى :

« من الأول » .

« نعزيكم فى الفقيد ونرجو له الرحمة ، ولكم جميل الصبر» .

ومن الثانى :

« أحسن الله عزاءكم فى والدكم تغمده الله برحمته وألهمكم الصبر والسلوان » .

ومن الشيخ عبد الله السعد بالرياض .

« أحسن الله عزاءكم ، وعظم أجركم ، بوفاة فضيلة الوالد ، أسكنه الله جنات النعيم ، وألهمكم الصبر والسلوان ، وعوض الإسلام خيراً فيه وفى أمثاله » .

ومن الأخوين الكريمين عمر باد حدح وسعيد العمودى من أنصار السنة بجدة ومن كبار تجارها .

« عظم الله أجر الجميع فى فقيد السنة المحمدية ، ونسأله تعالى أن يقابل الفقيد بما يرضيه ويعوضنا خيراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

ومن فضيلة العالم السلفى الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية اللغة العربية السابق .

« عوضكم الله خيراً »

ومن الإخوة الأجلاء الشيخ عبد الله حمد ، وإسماعيل . وحسن قسم السيد عن جماعة أنصار السنة بالأبيض ، السودان .

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

أحسن الله عزاءنا فى فقد المرشد الإسلامى الجليل . إنا لله وإنا إليه راجعون .

عضوا على الدعوة بالنواجذ ، وسيروا بها قدما(١) .

وقد جاءتنا برقيات من الإخوان والأصدقاء ، نذكر منهم مع حفظ الألقاب :

مراد صبار ، وهبى جمال سليم ، عبد الله بهجت أحمد ، حسون أحمد العدل ، عبد المهيمن السمح ، جماعة السيدات المسلمات برئاسة السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد عبد الحى ، زكريا حسن ، محجوب مختار عن إخواننا جماعة أنصار السنة بالسودان ، زغلول شعبان ، محمد محمد أبو علو ، جماعة أنصار السنة ببور سعيد البلد ، جماعة أنصار السنة بسوهاج ، محمود زاده ، عبد الحميد الحفناوى بيسيون ، محمد عبد الرحيم ، ماهر إسماعيل ، عبد الرحمن بركة ، عثمان حاج ، محمد حسين السيد وولده نوح ، وجماعة أنصار السنة بخان يونس ، حامد نظيفة ، أبو الفضل إبراهيم ، حسين محمد عبده ، محمد عبد الوهاب البنا ، وأحمد عثمان ، صابر عبد الرحمن ، على محمد ، عبد الهادى السيد عجاج ، حسين أيوب ، جعفر صالح ، زكريا حجا ، أحمد بدوى ، عمران حسن ، أدمون ومحمد عبد الحميد ، سركيس اسبجنيان ، محمود الشرقاوى ، يوسف وهبى بالخرطوم ، عثمان عبد الرحمن العجيل ، على الخفيف ، عبد الفتاح القاضى ، محمد على الداعر ، محمد عبد القادر ، محمد بدر الدين الفقيه ، محمد محمد السمان ، عبد الهادى السيد عجاج ، شريف إبراهيم ، محمد عبد الحليم قطيط ، مصطفى عبد الجواد ، محمد احمد حاج ، عبد اللطيف حمزة ، صالح معروف ، عوض معروف .

هذا قليل من كثير مما أبرق إلينا به أولئك الكرام الذين أحسوا بفاجعة العالم الإسلامى ، فى فقيد الإسلام العظيم ، وفى العدد القادم ننشر بقية البرقيات ، ونعتذر عن عدم ذكر الألقاب ، ونؤكد أن الترتيب جاء على حسب ورود البرقيات .

---

(١) ليطمئن إخواننا أنصار السنة فى السودان الشقيق ، إننا بإذن الله وعونه حريصون كل الحرص على دعوتنا حتى يتحقق الهدف الأكبر ، وهو توحيد العالم الإسلامى تحت راية القرآن .

عزاء يا أنصـــار السنة

كلمة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن راشد

عزائى إليكم جميعاً يا أنصار السنة فى الأستاذ الرئيس الشيخ حامد الفقى ، كما أعزى آله ، وأعزى نفسى بقول النبى صلى الله عليه وسلم عند المصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون . إن لله ماأخذ، وله ماأعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى » فلنصبر ولنحتسب ، كما أذكر الأخوان ونفسى ، بقول الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لـكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »

رحم الله الشيخ حامداً ، وألحقه بالصالحين ، وجزاه خيراً على قيامه بنشر الدعوة إلى توحيد الله ، وعوض الجماعة فيه خيراً ، وأحسن الله عزاءنا فيه . لقد ترك فى الجماعة فراغاً قل من يسدها ، ولـكن أملنا ورجاءنا فى الله كبير أن يجعلنا جميعاً خير خلف لخير سلف .

فلقد ناضل رحمه الله عن توحيد العبادة لله خير نضال ، وعمل على هدم الشرك وبيان مداخله على جمهور الناس فوق الأربعين عاماً ، بطرق وأساليب برز فيها وبزّ بها جميع الدعاة من أهل عصره . غير هياب ولا وجل ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

لقد أثمرت هذه الجماعة المباركة التى أسسها رحمه الله ورأسها ورعاها حق الرعاية ، حتى أثمرت وأنبتت الخير الـكثير ــ ولله الحمد والمنة ــ فعليها ، والحالة هذه ، أن تحافظ على هذا التراث العظيم ، الذى هو دعوة جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وعلى كل فرد من أفراد الجماعة ، وقد ذاق الجميع حلاوة التوحيد ، أن يبذلوا فى سبيل كل مرتخص وغال ما وسعهم الجهد . ولا يثنيهم عن متابعة نصرة الحق وإعلاء كلمة الله أى عائق .

فاعملوا يا أنصار السنة على تطهير القلوب والعقول ، وخصوصاً فى هذا الزمن الذى كثر

فيه إلحاد الملاحدين ، واستهتار الجهلة بالدين وأهله ، والخروج على شريعة المسلمين ، وهدم دعوة المصلحين .

فدعوتي إليكم ـ يا أنصار السنة ـ أن لا تجعلوا للشيطان سبيلا إلى تثبيطكم بعد فقد رئيسكم ، وإدخال اليأس إلى قلوبكم . واذكروا قول الله تعالى حين أرجف المنافقون وأشاعوا بأن محمداً قد قتل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) إلى قوله (والله يحب المحسنين) .

أنزل الله هذه الآيات ليأخذ المسلمون منها العظة والعبرة ، وليثبتوا عند الشدائد والمحن ، ليميز الله الخبيث من الطيب .

فاصبروا وصابروا يا أنصار السنة ـ فبالابتلاء يمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين .

والذي أوصي به كل مسلم وخصوصاً جماعة أنصار السنة المحمدية ، أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من تبليغ دعوة التوحيد إلى الناس أفراداً أو جماعات وعلى الداعية أن يكون على علم وبينة مما يأمر به وينهى عنه ، وأن يكون قدوة صالحة ، عملاً وقولاً ، فيما يأخذ ويدع .

وعليكم أن تتكاتفوا وتتعاونوا لتكون جماعتكم منبعاً لصوت الحق ، ودعامة يلتفون حولها . والله أسأل أن يسدد خطانا جميعاً ، ويجمع كلمتنا على الإسلام ، وأن يهدينا وأمتنا لما اختلف فيه من الحق بإذنه .

وصلى الله وسلم على إمام الدعاة والمصلحين ، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

شكر

أنصار السنة المحمدية يتقدمون بجزيل شكرهم إلى كل من واساهم في فقيد الإسلام والعروبة فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد حامد الفقي رئيس الجماعة . سواء من اشترك منهم في تشييع الجنازة ، أو اعتذر بالمرض ، أو أرسل برقية ، أو رسالة ، أو حضر بنفسه إلى دار الجماعة . ونسأله تعالى أن يجزيهم خيراً ، وأن يشكر لهم سعيهم ، وجميل مواساتهم .

« امام السلفيين »

جاءتنا كلمة مطولة من الأخ الكريم محمد على حسين نجتزىء ـ لضيق المكان منها بما يأتى شاكرين معتذرين :

كان يأمرنا بتقوى الله ومراقبته فى جميع شئوننا وفى نشر دعوة التوحيد والسلفية بالحسنى والدليل . . مع الحرص كل الحرص على التمسك بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون .

وكان حريصا على توديعنا قبل سفره إلى ضيافة الله بقوله [أسألكم بالله إن كان لأحدكم مظلمة عندى فليعرضها علىّ ، فإن كنت أسأت إليه فى وقت كنت فيه غضبان ـ ولست بالمعصوم ـ فهذا جسمى فليقتص منى ، إنما أنا منكم وأنتم منى ، وإنما أنا بكم كما أنكم بى . . بالله أناشدكم أن لاتتركوا فى قلوبكم شيئاً إلا وأظهرتموه لى حتى أكون على بصيرة من ظلمى لنفسى أو لأحدكم] .

ولا ننسى أبداً ما كان يختم به درسه مودعاً للجميع بقوله :

[أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم ، فإنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له] . . وبعدها يصلى ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينصرف ذاهبا ـ فى ساعة متأخرة من الليل إلى بيته يتبعه إخوانه وتلاميذه حيث يقضى بقية الليل بين أهله ويصبح مبكرا إلى المطار ليطير بسلامة الله وقلبه عامر بالإيمان إلى ربه الكريم وبيته المحرم .

كانت حياته وخطبه ودروسه ومؤلفاته وسفره لنصرة التوحيد وإقامة دين الله صابراً محتسباً لا يبالى بكلام الناس حتى العلماء منهم ولا يخشى فى الله لومة لائم .

وهنا يجدر بى أن أذكر مئات الألوف من أنصار السنة المحمدية المنتشرين فى أرض الله الواسعة :

ما مات من ترككم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلكم محمد حامد الفقى .

فالتفوا حول المركز العام معتصمين بحبل الله متعاونين على البر والتقوى وليتذكر كل

محب لفقيد العروبة والإسلام كلمة مختصرة قالها لى مرة أخوكم الحبيب الوكيل الأول الأستاذ محمد صادق عرنوس رحمه الله قبل وفاته بقليل بالمدينة المنورة .

[. . لا تقطع زيارتك للأخوان فى مصر وإذا مازرت الجمعية فكأنما زرتنا ، فالهدف واحد والغرض متحد ، ونسأل الله أن يمن علينا بالرضا وحسن الخاتمة] .

فالتفوا حول المركز العام وأتموا ماأسسه وما بناه وما تركه من ميراث السلفية والتوحيد الخالص . . وإن كان الكلّ قد خنقته العبرة عند سماع خبر وفاة الأستاذ الإمام أبى الطيب ولنقل ماأمرنا الله أن نقوله (إنا لله وإنا إليه راجعون) وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عند موت فلذة كبده « القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول إلا مايرضى ربنا » . . وإنا بوفاة أبى الطيب لمحزونون وعلى فراقه باكون وعلى مصيبتنا به صابرون محتسبون . .

يرحم الله إمام المسلمين فى هذا العصر فلقد كان آخر دعاء له ونصيحة منه لنا نشرتها مجلة الهدى النبوى فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ قبل مرضه الأخير وشهر رجب هو الذى توفى فيه .

[. . . نفعنى الله وإياكم بما فى القرآن الكريم من الآيات والذكر الحكيم . وجعلنا من الذين يتلونه حق تلاوته ويفهمونه حق فهمه . ويعرفون مقاصد منزله سبحانه منه . وعرفنا ماأراد لنا من إجمال كل شىء ثم تفصيله وآتانا من فرقان القرآن مانفرق ونميز به الخير والشر والطيب والخبيث والنافع والضار والهدى والضلال . والحق والباطل والنور والظلمات والحكمة والسفه والرشد والغى والتوحيد والشرك والإيمان والكفر والتقوى والفجور والطاعات والعصيان وأسباب القوة والعزة والرقى والسمو على معارج الكرامة وأسباب الضعف والتدهور والتسفل فى درجات اللهو والفسوق والانحلال الخلقى ومحاربة سنن الله العليم الحكيم .

والله نسأل أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يبدله أهلا خيراً من أهله وداراً خيراً من داره وأن لا يحرمنا أجره ولا يفتننا بعده وأن يغفر لنا وله وأن يلحقنا به على الإيمان الصادق والعمل الصالح .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

شبين القناطر — محمد على حسين

أستاذنا الراحل

بقلم الأستاذ الفاضل عبد الحليم حموده

إخوانى :

لقد هز كيانى هذا النبأ المفجع ، نبأ لحاق أستاذنا المبرور المجاهد الشيخ محمد حامد الفقى بالرفيق الأعلى . إن الموت حق وإن الآخرة خير وأبقى . ولكن هذا الجهاد المتواصل ، وهذا الصوت الصارخ الفتى ، وهذه العقيدة السليمة ، وهذا الإيمان العارم القوى ، وهذا الالتفاف الحاشد على مبدأ التوحيد ، كل أولئك كان له رنينه وله صداه وهو ينبعث صوتاً حاراً من لسان أستاذنا الراحل .

فلا غرو إذا أحس تلاميذه وحواريوه بالوحشة حين فقدوه ، وبالحزن يعتصر قلوبهم حين تلفتوا حولهم فلم يجدوه . ولكن عزاءهم أنه خلف وراءه من يحملون الرسالة ويرفعون المشعل ويحرصون على اللواء .

عزائى فى هذا المصاب الجلل أيها الأخوة الأحبة من الأنصار - لنفسى أولا ثم لكم جميعاً باسمى وباسم الجماعة التى أمثلها - جماعة الرباط الاجتماعى - وهى فرع من جماعة أنصار السنة المحمدية ووليدة تربت فى حجرها .

أرجو لفقيدنا الكريم أن ينزله الله منازل الأبرار ولإخوانه وأبنائه من الأنصار ، أن يسدد خطاهم ويجزل لهم المثوبة وينصر بهم الدعوة ، ويجمعهم على الهدى والسلام .

أخوكم

عبد الحليم محمد حموده

رئيس جماعة الرباط الاجتماعى

شكراً يافضيلة الأستاذ الكبير

شكر مرفوع إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ «أحمد حسن الباقورى» وزير الأوقاف

توجه وفد جماعة أنصار السنة المحمدية إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، لشكر فضيلته على تعزيته الكريمة فى وفاة فقيد الإسلام العظيم رئيس الجماعة ، ولقى الوفد من الوزير الشاب المجاهد السماحة المؤنسة والأريحية النبيلة ، وحينما رجاه الوفد أن يظل المسجد الذى كان يخطب فيه الشيخ الكريم الراحل لأنصار السنة المحمدية يقيمون فيه الشعائر ويخطبون الجمعة . تفضل الأستاذ الكبير مشكوراً مدعوًا له من الجميع . فقال : « إن فضيلة الشيخ حامد كان والداً لنا وأستاذاً للجميع » . ثم حقق لنا فضيلته هذا الرجاء الكريم .

وإنا لنرفع إلى الوزير العظيم أخلص الشكر ، ونؤكد له أن منبر هذا المسجد سيظل مناراً لدعوة الحق ، ونبتهل إلى الله سبحانه أن يجزيكم عن الدين الحق وأهله أعظم الجزاء .

وللأستاذ الكبير آيات زاهرة مشرقة من البر بدعوة الحق ، يكتب الله بها جميل الثواب عنده . ألهمكم الله السداد والتوفيق ، وأعز بدعوتكم الإسلام الصحيح والداعين إليه[1] .

---

(١) وبهذه المناسبة نشكر فضيلة الشيخ الكريم شية الحمد الفقى إذ هو الذى بدأ الحديث فى مسألة المسجد . وأخانا الأستاد المحامى الكبير الأستاذ محمود أبو زيد ، فهو الذى جاهد حتى تمت كل الإجراءات .

٤١

شهيد الإسلام البار

حمل إلينا البرق نعى الإمام شهيد الإسلام ، قائد أنصار السنة المحمدية وحامل لواء القرآن الشيخ محمد حامد الفقى ، فرحمة الله تظلله تحت كنفها الدافىء الجميل ، وما عند الله خير وأبقى .

لقد هز الخبر نفوسنا هزاً عنيفاً ، وكان الفراق علينا شاقاً ومؤلماً ومحزناً وعصيباً ، ولكنها غاية كل حى ، ومصير كل إنسان ، وكل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

استشهد القائد الجرىء ، والمعركة فى عنفوانها مشبوبة الأوار ، عنيفة الصدام ، وقد تكشفت نواجذها الحادة ، والخطر الداهم يجثم متربصاً متحفزاً ليقضى على تراث السلف ، ويمحو مبادىء القرآن وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجنود السنة المحمدية فى أشد الحاجة لقيادته الحكيمة ، وإرشاداته القوية ، وفهمه السليم ، وعلمه الغزير ، وتجاربه النافعة ، وحيويته الدافقة ، وإيمانه الصافى ، ووفائه الأكيد ، وإخلاصه الصحيح .

فإنا لله وإنا إليه راجعون .

واقائداه !! صرخة من أعماق القلوب ، أبت إلا أن تجلجل وتملأ الفضاء على الرغم من التحمل الجميل على المصاب الجليل ، ولكنا بقضاء الله راضون وبحكمته مؤمنون ، وعلى ماأصابنا إن شاء الله لصابرون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وا إماماه !! من للسنة الغراء يجلو غامضها فى دقة كاملة وبيان شاف ليرتع المسلمون فى رياضها الغناء ، فتجلو صدأ قلوبهم وتسمو بأفكارهم وأرواحهم ، وتحفظ عليهم إنسانيتهم الكريمة ، وترفعهم عن مواطن الذل والخنوع ، فتمتلىء نفوسهم بالحرية السامية وتعاف الخضوع والخشوع لغير الله رب الأرباب ـ إنه والله لفقد أليم لايعوض ، وخطب جسيم لاينسى ، وألم داخلى لا يفتأ ينكأ جراح الذكرى فيجدد الألم . فلنا العذر إن أبت الدموع أن تقف منحدرة تبل اللحى ولعل فى الدمع مايشفى اللوعة ، ولكننا لا نقول إلا مايرضى الرب .

واشهيداه !! من للبدعة الجائرة السخيفة يدمغها بالحجة القوية الحاسمة ، ويدمغها بالأدلة الرشيدة الساطعة ، ويردها بالقول الثابت المنير ، ويحاربها حرباً شعواء لاهوادة فيها ولا لين ، حتى يبين عوارها ويبدد فسادها فيصفو الاعتقاد المشوب بعد الكدر ، وتطهر العبادة الممزوجة من الأدران والغير ، فتمتلىء القلوب بحلاوة الإيمان ، ويربح الناس مايترتب عليهما من فوائد لا تقدر بثمن ، ولكنا رضينا بما يرضى الله ، ولا راد لقضاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واحمداه !! فى جنة الخلد الملتقى إن شاء الله . لقد عشت كريماً ومت عظيما وجاهدت فى الله حق جهاده ، وأخلصت العبودية لله وحده فما أخافك سلطان الأرض وما غرتك زخارف الدنيا ، فإلى ثواب الله ورحمته مصيرك إن شاء الله .

المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

يوسف عمر أغا

السكرتير العام

٤٣

ســــلام عليك فى مثواك

إخوانى أنصار السنة المحمدية ، وأسرة الفقيد .

إنها والله القارعة والـكارثة ، ولـكنه ابتلاء عظيم فهل لنا و إياكم أن نجتازه . فقدروعنا وآلمنا فقد إمامنا العظيم المجاهد الشيخ محمد حامد . فـكلما تخيلناه وذكرنا تفانيه فى سبيل دعوة الحق ، انهمرت الدموع من مآقينا غزيرة ، وجاشت النفس بالبـكاء وأجهشت ، واضطرب الجسم متفاعلا مهزوزاً ، والعبرة تكاد أن تشد حلوقنا . ولـكن لعل مافى الدمع مايطفى لهيب الغضب . فالعين تدمع ، والقلب يألم ، ولا نقول إلا مايرضى الرب .

إنا لله و إنا إليه راجعون ، اللهم ارحم الشيخ حامداً وأنزله منازل الأبرار ، وألهمنا وأسرته الصبر على مصابه العظيم .

حقا إنه لم يكن فقد أسرته . ولا أنصار السنة فحسب ، ولـكنه فقد العروبة والإسلام ، والدرع الواقى والحصن الحصين والذائد عن حياض السنة لاتشوبها البدع والأباطيل .

اللهم تقبله أحسن قبول وأنزله منازل الأبرار واجعل من خلفه ذرية أو زمالة من يسير على نهجه يحمل راية الجهاد خفاقة لاتهوى إلى الأرض فيتلقفها مجاهد عن مجاهد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

سلام عليك فى مثواك وسلام عليك يوم تبعث حيا .

محجوب مختار

أم درمان بالسودان

أرى الصَّبْرَ محموداً وفيـه مذاهب ... فـكيف إذا ما لم يكن عنه مَذْهَبُ

هناك يحق الصبرُ ، والصبرُ واجب ... وما كان منه كالضرورة أوْجَبُ

فَشدَّ امرؤٌ بالصبر كفًا ، فإنه ... له عصمة أسبابُهـا لا تقضب

ابن الرومى

أريحية عظيمة من الرجل العظيم

معـــــالى الوزير الـكبير الأديب العظيم

الشيخ محمد سرور الصبان

ذهب وفد من الجماعة على غير موعد إلى معالى الوزير الجليل الأديب الـكبير الشيخ « محمد سرور الصبان » لشـكر معاليه على تعزيته الـكريمة فى وفاة فقيد الإسـلام صديقه الراحل رئيس الجماعة ، وما إن علم معاليه بوجود الوفد ، حتى تفضل مشـكوراً باستقباله فى ترحاب أريحى نبيل ،ولقاء يجعل من مثل مقابلة الوزيرالجليل متعة روحية سامية ، يشهد فيها الإنسان ، جمال التواضع ، وجلال الوقار ، وسمو النبل ، و بشاشته السمحة التى تشعرك أنك تجلس فى حضرة أخ وصلتك به من قبل أسباب المودة الوثيقة وأسبغ عليك منذ زمن رحمة الإخاء الصفى ، وعطف الصداقة الغمير .

وقدم الوفد لمعاليه الشـكر وقال : « نرجو يا معـالى الوزير أن تظل صلتكم بالجماعة كما كانت فى عهد الإمام الراحل » فقال معاليه : « لقد خسرنا بوفاة الشيخ مجاهداً عظيما ، و إن رزؤنا فيه رزء المسلمين عامة ، ولـكننا لن ننسى ما دعا إليه فإنها دعوة الله » ثم قال مؤكداً « اعتقدوا دائماً أننى لـكم ومنكم » .

فشكر الوفد لمعاليه هذه الروح السامية العظيمة ثم تفضل معاليه فسأل عن حال الجماعة . فقال وكيل الجماعة : « إن العقبة التى صادفتنا بعد وفاة الشيخ العظيم هى المسجد ، فهو تابع يا معالى الوزير لوزارة الأوقاف ، ولولا فضل الله ثم فضل الأستاذ الـكبير وزير الأوقاف ، لوقعت الجماعة فى حرج بالغ . ولهذا كان أول شىء صممنا على أن ننصب أنفسنا له هو الدعوة إلى بناء مسجد للجماعة » .

فقال معالى الوزير الـكريم : « إنهـا ليست عقبة إن الذين يعملون لله يؤيدهم الله . والله لايتخلى أبداً عمن يعملون له » ثم قال فى كرمه المعهود وعطفه السـابغ : « ما عليكم إلا أن تشتروا قطعة الأرض . أما الباقى فعلى الله سبحانه »

(البقية فى ص ٤٥)

مع سعادة السفير السعودى

توجه وفد من الجماعة لشكر سعادة السفير السعودى الشيخ الجليل إبراهيم السليمان آل عقيل لشكر سعادته على اشتراكه فى تشييع جنازة الفقيد العظيم هو وأشباله الأبرار وأذن سعادته فوراً بالمقابلة ، وقال وكيل الجماعة : « هؤلاء ياسعادة السفير وفد جماعة أنصار السنة أقبلوا يشكرون ، وهم على صدق الاعتراف بالجميل لسعادتكم » .

وهنا قال سعادة السفير فى تأثر بالغ « الحقيقة يا إخوانى إن المصاب فى الأخ الشيخ حامد ليس مصاب الجماعة وحدها . بل هو مصاب المسلمين جميعاً . فقد ضرب لنا فضيلته رحمه الله مثلاً عالياً فى الشجاعة والجرأة والإقدام والبطولة فى الدعوة إلى الله مما يجعلنا نشعر بفداحة المصاب فيه . وأنا أدعو لكم بالتوفيق ، وأرجو أن يوفقكم الله فى السير على نهجه فى شجاعته وجرأته فى الجهر بكلمة الحق وخدمة الإسلام » .

وخرج الوفد من عند سعادته شاكراً داعياً . وقد تفضل سعادة الوزير المفوض الشيخ الزغيبى ، فواسى وفد الجماعة وعزاه أصدق عزاء مما جعل قلوبهم تلهج بالدعاء وصادق الثناء .

(بقية ص ٤٤)

وهكذا أكرمنا الوزير بما لم تكن نيتنا الحديث فيه ، ولكنها شفافية النفس المؤمنة الملهمة ، وإحساس المؤمن الصادق ، وأريحية الجواد المطبوع على خير معانى الجود . والجماعة وفروعها يرفعون إلى معالى الوزير العظيم أخلص ما تنطوى عليه القلوب من الشكر الصادق وعرفان الجميل .

وتبتهل إلى الله سبحانه أن يسبغ على معاليه نعمة الصحة والعافية .

هوى ركن عظيم من أركان الدفاع عن السنة

بقلم الأستاذ محمد خليل السبكى

أخى الوكيل :

مصاب أليم ، وخطب جسيم ، ورزء عظيم ، وحزن عميم . ذلك النبأ المفزع ، والخبر المحزن . هذا الذى قرأته فى الصحف صباح أمس وأنا فى طريقى إلى المدرسة . لقد ذرفت الدموع من عينى لجأة ـ رغم ندرتها ـ ولم أستطع منعها وأنا فى الطريق . وقرأت النعى مرة ومرة ، وكأنى لم أصدق وكأنى أريد أن أتأكد وكأن أحداً يخبرنى به . وأنا أريد تكذيبه . والدمع من عينى ينهمر حتى خشيت على نفسى أن ألفت أنظار المارة فى الطريق ، فحاولت جهدى حبس الدموع حتى تواريت عن الأنظار . هكذا كنت يا وكيل حينما قرأت نعى الوالد الراحل الكريم السلفى الصالح الورع التقى الشيخ حامد الفقى . أسكنه الله فسيح جناته وأسبغ عليه واسع الرحمة والرضوان .

لقد فقد العالم الإسلامى بفقده ركناً عظيما من أركان الدفاع عن السنة وعلماً شامخاً من أعلام الحق . فقد الإسلام رجلا أوقف حياته كلها على إحياء السنة والذود عن حياضها، كان قلمه نعم المدافع عن سنة الرسول الكريم . كان قلمه وفكره وجسمه وماله دفاعاً صادقا عن الحق . لم يخش فى الله لومة لائم ، وكم تحمل من العنت والمشقة فى سبيل نشر السنة وهدم البدعة . فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير مايجزى المجاهدين . فلقد كان مجاهداً حقاً بما قدم للاسلام والمسلمين من هدى وإرشاد ، فقد أنار الطريق لمن يريد أن ينهل العلم الصحيح من منابعه الحقة . لقد ترك فراغا كبيراً ، وإن الزمان بمثله لبخيل . اللهم أنزل عليه الرحمات الطيبات المباركات ، واحشره فى زمرة الشهداء والمجاهدين الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

يا وكيل : إن حزنى على هـذا الرجل لشديد . وكلما تذكرت حساده الأوغاد اللئام ،

الذين طالما أسدى إليهم المعروف ـ ازداد حزنى وألمى . هؤلاء اللئام ـ وما أكثرهم ـ المنافقون الذين كانوا يظهرون له الود ، ويضمرون فى نفوسهم البغض والحقد . كثيراً ما تمنوا له الشر وتربصوا به الدوائر . ولـكن الله لهم بالمرصاد وستدور عليهم دائرة السوء .

رحم الله شيخنا الراحل فإنه كان نعم المجاهد . وأسأل الله تعالى أن يلهمك ويلهمنا ويلهم آله وذويه ومحبيه وعارفى فضله ، الصبر على فقده وعوضنا عنه خيراً . إنه يجزى الصابرين . وإنا لله وإنا إليه راجعون . وكل نفس ذائقة الموت ، وليس البقاء إلا لله الواحد القهار . فاصبر ياوكيل وتجلد . فقد كان رحمه الله يحبك ، ولقد أحببته لأمور منها أنه كان يحبك ، واصبروا ياأنصار السنة وتجلدوا وكونوا يقظين لمن حولـكم ، والله تعـالى مع المؤمنين المخلصين ، ولن يترهم أعمالهم .

محمد خليل السبكى

من علماء الأزهر والمدرس بوزارة التربية والتعليم

عظة الشيخ

الحمد لله القوى السلطان القاهر فوق عباده الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا . وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الـكريم محمد خير من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

أيها الإخوة ماالموت وهو مصيبة إلا قدر مقدور يوافى المرء فى ميعاده المحتوم لاشفاعة فيه ولا إمهال وهو إذا وقع على حبيب أو قريب يجب على الإنسان أن يتقبله بالصبر وأن يستسلم للقضاء فقد سبق فى علم الله موعده وميقاته .

أيها الإخوة : علمت بالمصاب فانتابنى الذهول ثم تذكرت أن هذا هو القضاء فأذعنت فباسم الله صبرت وبقول الله تعزيت وبطلب العوض منه دعوت .

أيها الإخوة : حسبنا من عظة فقيدنا أن نتمسك بما فى كتاب الله وسنة رسوله من شريعة غراء والله يلهمنا الصبر ويحقق لنا العوض إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على محمد إمام المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الحسينى إبراهيم سلام

نداء إلى المسلمين كافة

من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

قال جلّ ذكره فى سورة التوبة: (إنما يَعْمُرُ مساجد اللهِ مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخر وأقامَ الصلاةَ ، وآتى الزكاةَ ولم يَخْشَ إلا اللهَ ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه . أنه قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم أكثرتم علىّ . وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بنى مسجداً ابتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً فى الجنة » وفى رواية « بنى الله له مثله فى الجنة » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

بهذا الهدى السماوى ، نذكر إخواننا المسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، ونذكر إخواننا أنصار السنة حيث كانوا .

لقد صممت الجماعةُ ــ واللهُ الموفق المعين ــ على بناء مسجد لها ، مسجد تدوى من على منبره كلمة التوحيد فى قوة ، مسجد تتجاوب جنباته بالضراعة الخالصة إلى الله وحده .

مسجد يفىء إليه أنصار السنة من كل مكان يذكرون ربهم ، ويخلصون له الدين .

مسجد يكون مصدر إشعاع للدعوة الخالصة ومثابة لمن ينشد عرفان الحق من دينه .

مسجد يجمع على كلمة الحق جنود الدعوة ، ويلم شتات الداعين إلى الله فى كل جمعة ، فيجددون العهد بين يدى الله ، ويجددون الميثاق مع الله ، ويجددون مع أنفسهم العهد على أن يكونوا دائما يداً واحدة وصفاً واحداً فى المعركة ، معركة الدعوة إلى الله وحده .

وصممت الجماعة أيضاً على بناء دار لها مع المسجد تكون مركزاً تشع منه دعوة التوحيد وتنبعث منه هذه القوة الهائلة الجبارة التى تحطم أوثان الإلحاد والشرك ، والوثنية والمذاهب الهدامة ومكايد الاستعمار وعملاءه .

وقد ألفت الجماعة لجنة خاصة لهذا المشروع الكبير ، وستجعل لما يجمع من تبرعات حساباً خاصاً منفصلا عن حساب الجماعة .

فإليكم أيها المسلمون نوجه النداء ، و إليكم ياأنصار السنة فى كل مكان .

فهلموا إلى الخير الوفير ، إلى رضوان الله ، إلى الحق تؤيدونه وتناصرونه .

هلموا إلى ماوعدكم الله به من أجر عظيم ، تبرعوا بما يمكنكم أن تتبرعوا به .

ليجعل كلٌّ منّا يوماً من الشهر لهذا المسجد فيتبرع له بما كان سينفق فى هذا اليوم . ويوم واحد من الشهر لن يضير ، هذا نداؤنا وهذا رجاؤنا .

ومَنْ غيركم يستجيب لهذا النداء ؟ ويعمل جاهداً لتحقيق الرجاء ؟ جماعة أنصار السنة المحمدية .

لجنة المشروع: الرئيس : الأستاذ عبد الرحمن الوكيل . أمين الصندوق : الحاج عبد المجيد رضوان. الأعضاء : فضيلة الأستاذ الشيخ شيبة الحمد الفقى ، والشيخ شاكر الفقى ، والأستاذ محمد الطيب الفقى ، الأستاذ محمود أبو زيد ، الأستاذ رشاد سليمان ، الأستاذ رشاد الشافعى ، الأستاذ سيد متولى .

مجلة الهدى النبوى

بمشيئة الله ستصدر المجلة فى غرة كل شهر عربى ، فيها من تفسير كلام الله مايروى غلة الظامئين ، ومن بيان السنة مايهدى الحائرين ، ومن حقائق التاريخ مايكشف لنا عن جلال ماضينا العظيم ، ومن حقائق تطيح بكل بدعة تطل بقرنها ، أو أسطورة تحرك ذنبَها ، ومن بيان جلى يكشف لنا عن أسرار هذه الفرق[1] التى انتسبت إلى الإسلام . ومن نقول أدبية يجد فيها الفكر متعة ، واللسان تقويماً ، والبيان فصاحة و بلاغة وغير ذلك مما يعين على تفهم الدين الصحيح ويقضى على خرافات العقول ويثقف العقل والفكر ، ويصفى عواطف القلب . ونسأل الله سبحانه أن يعيننا على الوفاء بوعدنا . فقد عزمنا الوفاء به مخلصين .

ودعوة حارة إلى الكتاب الموحدين فى الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها السورى والمصرى وفى جميع أنحاء العالم الإسلامى أن يمدوا المجلة بنفثات أقلامهم ، وأن يُسْهِموا مشكورين ولهم الأجر والمثوبة فى تحرير المجلة ، فكلنا مجندون لخدمة الحق ونشر دعوة الحق و إنا لمنتظرون شاكرون .

(١) المقصود بها الفرق الضالة عن الهدى المستقيم

نداء الى أصدقاء الشيخ

إليكم فى كل مكان نوجه هذا النداء .

لقد أحبكم الشيخ ، وأحببتموه ، وأخلص لكم الود ، وأخلصتموه له . ولم يكن هذا الحب أو الإخلاص لمغنم يناله أو تنالونه ، و إنما كان لله وفى سبيل الله يشرق من قلوبكم نوره الأسمى ، و ينبع سلسبيله من أعماق قلبه الوفى ، أحببتموه لدعوته وشجاعته و بطولته ، وأحبكم لإيمانكم بدعوة الحق . وتأييدكم الكامل له فى جهاده وكفاحه . وقد مات الشيخ رحمه الله وغفرله . و بقى ما كان يدعو إليه ، لأنها دعوة الله سبحانه ، دعوة التوحيد الخالص ، والإيمان الصادق ، بقى تلاميذه ، بقيت الجماعة التى بناها بكل مايملك من جهد ومال ، فكم خطر مرّ به فلم يعبأ به ، وكم هول اقتحمه ، وكم عقبات اجتازها فتى القلب قوى العزم جبار الإرادة ، مشتعل الحماس ، صادق الإيمان . و إن الولاء لدعوة الحق ، والوفاء لصداقة الشيخ لتقتضيكم أن تظلوا لتلاميذه كما كنتم له ، وأن تناصروا جماعته كما ناصرتموه، وأن تؤيدوهم فى كفاحهم كما أيدتموه . هذه داركم ياأصدقاء الدعوة . وهؤلاء إخوانكم ياأحبة الشيخ . وهذا منبره تدوى من فوقه صيحة الحق ، وأيدينا مفتوحة وفيها قلوبنا ترحب بكم ، وتحب أن تراكم هنا فى هذه الدار دار جماعة أنصار السنة المحمدية . كما كانت تراكم وتسعد بكم من قبل.

جماعة أنصار السنة المحمدية

أخٌ لى كَذَوْبِ الشهد طعمُ إخائه	إذا اختلفت بيضُ الليالى وسودُها
كأمنية الملهوفِ حــزما ونائلا	وعونًا على عمياء أمرٍ يكيـدها
له نعمٌ عندى ضعفت بشكرها	على أنه فى كل يوم يزيدها
تحمـل عنى شكرَها ، فأراحنى	وللشكر مرقاة كؤود صعودها

« الخزيمى فى مدح الإخوان »

دعاء

أيها الإخوان : والله لقد تألمنا بوفاة حبيبنا الرجل الغيور المجاهد فى سبيل الله الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى و إنا لله و إنا إليه راجعون .

اللهم أجرنا فى مصيبتنا وأخلفنا خيراً منه .

اللهم فعظم أجرنا وألهمنا الصبر والسلوان .

اللهم ارحمه رحمة واسعة بفضلك ورحمتك .

واغفر اللهم لنا وله . وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .

اللهم إنه عبدك وابن عبدك . اللهم فوسع مدخله وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله .

اللهم اجعلنا و إياه من أهل جنتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

و بعد : فإنا لفراقك ياحامد لمحزونون ولا نقول إلا مايرضى الرب . و إن القلب ليحزن والعين تدمع .

أهالى دار السلام بدراو

عنهم : يوسف محمد سليمان وطه محمد سليمان و بسطاوى عثمان حسين وعبده سليمان هارون وأحمد محمد على حسنى .

« الهدى النبوى » تعتذر للإخوان عن نشر كلمتهم كاملة لضيق المكان ، ونرجو التفضل بقبول العذر .

من محاسن كلام العرب

الصَّبْرُ يناضل الحدثان ـ خاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى برأيه . المعفو زكاة الجاه ـ خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم ـ من نال استطال والفاحشة كاسمها .

أسرة الفقيد العظيم

حينما فجعنا فى الشيخ العظيم رحمه الله لمسنا من حضرات أصحاب الفضيلة أشقاء الشيخ وأشبال أشقائه وذوى قرابته ماأشعرونا به أن مصابنا فيه قبل مصابهم فوقفوا الموقف النبيل الذى يدل على أصالة فى الطبع كريمة .

ولنضرب لذلك مثلا احترامهم العميق لرغبة تلاميذ الشيخ فى حمل الجنازة على أعناقهم من مكان الصلاة عليه حتى المقبرة . على بعد الشقة ، لقد ترك أشقاء الشيخ وأنجالهم الأمر لتلاميذ الشيخ على ما كانوا فيه من نصب وتعب شديدين كذلك رأيناهم يفدون إلى دار الجماعة يتقبلون العزاء فى هذه الدار التى كان يتعشقها الفقيد العظيم أما نجله أخونا الحبيب (الطيب) . فكان الصبور القوىُّ الجلد على شدة المحنة وقد ترك لنا نحن إخوته كل شىء بعد أن أعد هو مايجب أن يعد لمثل هذا اليوم. لم يعارض فى شىء ، لم يتحكم فى شىء ، لم ير لنفسه رأيا يتشبث به ، ذلك لأنه رأى مما حوله جميل العزاء . إخلاص جياش ، ووفاء فياض ، وحرص قوى على التزام حدود السنة . ودعاء تجأر به القلوب إلى خالق الموت والحياة بالرحمة والمغفرة للراحل العظيم ، واحتشاد ضاقت به الطرقات من تلاميذ الشيخ . وصنوف لايبلغ الطرف مداها وقفت خاشعة متلاصقة تصلى عليه . وتطلب من الإمام أن يطيل فى الصلاة وفى الدعاء .

ونحن نقدر هذا الموقف الكريم من أسرة الشيخ ونحترمه ونجله خالص الإجلال .

ونستلهم الله لنا ولهم الصبر الجميل .

من حكم العرب

السخاء سُلَّم المجد ـ الفكرة مُخُّ العمل ـ الحياء عنوان الكرم ـ المعروف غلٌّ لايفكه إلا شكر أو مكافأة ـ الأدب عروة العز ـ من قوى عقله كثر حلمه ، وقل غيظه ـ الخمول دفن الحىّ .

رائدى الذى رحل

اختار الله لجواره الأخ الحاج إسماعيل السيد أسماعيل (آل السكرى) مؤسس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بباكوس الرمل بالأسكندرية فى يوم ١٩ جمادى الآخره ١٣٧٨.

وكان - رحمه الله رحمة واسعة - من أعضاء أنصار السنة المحمدية العاملين منذ شبابه حتى أتاه اليقين ، وكان رحمه الله يعمل بشركة البواخر الخديوية بالأسكندرية ، ثم نقل إلى مصنع شركة السماد بالسويس حوالى أربعة سنوات ، وكان إمام وخطيب مسجد المصنع بها . ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتغمده برحمته الواسعة ، ويسكنه فسيح جناته التى وعد بها أولياءه الصالحين ، وقد نشرت جريدة المساء بعددها الصادر فى ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الموافق أول يناير سنة ١٩٥٩ كلمة للأستاذ مصطفى بهجت بدوى - بعنوان « رائدى الذى رحل » ننقلها بنصها :

روحى ولدت هناك ، ولا أطلب من الله أكثر من أن تظل تحوم هناك وتنهل من ينابيع الذكريات العذبة والدروس العاطرة . هناك فى بقعة هادئة من رمل الأسكندرية حيث التقيت به منذ عشرين عاما ، وأنا بعد فى السابعة عشرة من عمرى وقد كبح طيش الشباب فى نفسى وغير مجرى حياتى كله ، لم أتأثر بإنسان ولا بكتاب ولا بتاريخ ولا بشىء على الإطلاق فى ماضى وحاضرى قدر ماتأثرت به . كان أشبه بنبى بعث خصيصاً لهدايتى . . . وإن كان قد هدى كثيرين غيرى . . أعطانى طاقة روحية ضخمة ، أعترف بأنها فترت بفعل السنين والأحداث ، ولكنها لا تزال أغلى ماأملكه . لا مال ولا أبناء أثمن عندى منها كان شعاره ودينه ، وأفعاله قول الرسول عليه الصلاة والسلام « اتق الله حيثما كنت . اتق الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة إذا اجتمعت على أن يضروك بشىء فلن يضروك إلابشىء قد قدره الله لك . وإذا اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . » .

وهذا هو الإيمان فى حرارته وحلاوته .

كنت أجلس إليه هناك فى محله . . وكان عاملاً يكسب قوته يوماً بيوم . فقيراً بماله غنياً إلى أبعد حدود الغنى بعلمه ودينه وخلقه وفضله . كان سمكرياً نافخ كير ، ولكن المسك والطيب والعطور تضوع فى أحاديثه وحكمته وتعليمه . كنت أفاخر به أترابى . راحوا ينهكون شبابهم بصحبة الغانيات والمتع المعقولة وغير المعقولة . وزهدت فى ذلك كله . . . سخروا منى ورثيت لحالهم . لم أخجل أبداً من صحبتى له حتى وهو فى أرث ثياب العمل . الله ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا لا إلى صورنا وجاهنا . ولم أندم قط على لحظات قضيتها معه . . بل على العكس على لحظة لم أقضها معه . كنت أوقن أن ما كان لله دام واتصل . . وما كان لغير الله انقطع وانفصل . العطلة الصيفية كانت ملكا خالصاً له . فى مسجد أنصار السنة المحمدية . . فى صلاة الفجر ودروس مابعد صلاة العشاء . . وعلى « بنك اللحام » والمصنع الصغير فى محله يروى الأحاديث النبوية ويتبعها بالشرح العصرى السائغ من القلب إلى القلب . والرصيد الذى حفظته خلال تلك الفترة الجميلة الزاهية من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة هو زادى فى حياتى كلها ، كان حوله شيوخ متنطعون كثيرون ، ولكنه لم يكن متنطعاً ، كان على العكس بسيطاً وساحراً وموهوباً فى هداية الناس . . . من ذلك الصنف الذى تنفتح له حبات القلوب « الدين يسر ، ولن يُشَادَّ الدينَ أحَدٌ إلاَّ غلبهُ » هكذا كان يترنم ويخط طريقه فى سماحة ورفق .

كان أُستاذى وأخى الكبير وصديقى ومرشدى .

وإذا كانت أيام الصبا بطبعها — بل الأيام كلها — لاتدوم فإن الود الخالص الذى تصفيه الأفئدة يعمرها ويعمر ويدوم . لم تلبث صحبتنا اليومية — اليومية بالفعل — أكثر من عامين ثم تفرقنا هو إلى السويس عاملاً فى مصنع السماد يعمل بصلابة وكفاح ، وأنا إلى القاهرة أسير فى رحلة حياة تتغير وتتجدد ، ولكنها مابرحت أبداً تستظل بماض أعمق من أن ينسى وأشرف من أن يهدر . كنا نلتقى بين الوقت والآخر هناك فى تلك البقعة الهادئة من رمل الأسكندرية حيث ولدت روحى وبدأت قوة الدفع التى هى دليلى فى رحلة الحياة .

والليلة . بينما كنت أكتب « مع الناس » نعى إلى الناعى أتقى وأنقى من عرفت

واصطفيت من النـاس . نعى إلى « إسماعيل السيد إسماعيل » الصحابى الذى ظهر فى القرن العشرين .

وهكذا قدر أن أعود مرة أخرى إلى تلك البقعة الهادئة من رمل الأسكندرية . مرة حزينة أبكى فيهـا قطعة من نفسى وشبابى ، وذكرياتى هناك حيث تألقت دروس بينت الحلال والحرام ، وغرست الاستقامة والزهد والدين القيم .

رجع « الحاج إسماعيل » إلى ربه راضياً مرضياً ، بعد أن أحسن إلى الناس وإلى نفسه . لقد أدى رسالته كاملة ، وترك من بعده جيلاً « محليا » يمضون فى الطريق الصعب . يحافظون على دينهم فى زمن اختلطت فيه القيم ، ويبلغون دعوة الله ولو لاقوا فى سبيلها الأذى . .

ليس من الضرورى أن يشتهر إنسان كى يعد عظيما من العظماء . كم هناك من العظماء المجهولين .

لقد كان « الحاج إسماعيل » قمة فى العظمة الروحية على بساطته ورقة حاله . كان رائداً عظيما . . ومثل هؤلاء الرواد خالدون يعيشون فى وجداننا .

ترى هل تستطيع ذكرياتى النـاضرة عنه ـ هل تستطيع أن تسد الفراغ الذى خلفه بوفاته ؟ رحمة الله عليه رحمة واسعة

قال أبو فراس الحمدانى :

إذا لم يكن ينجى الفرار من الردى — على حالة فالصبر أرجى وأكرم
فإن جل هذا الأمر فالله فوقه — وإن عظم المطلوب فالله أعظم

وقال :

ونحن أناسٌ لا توسط بيننا — لنا الصدر دون العـالمين أو القبر
تهون علينـا فى المعالى نفوسـنا — وَمَنْ خَطَبَ العلياء لم يغله المهر
علىَّ طِلاَبُ العـز من مستقره — ولا ذنب لى أن أخرتنى المطالب
إذا الله لم يحرزك ممـا تخافه — فلا الدرعُ مناعٌ ولا السيف قاضب

١ – مقتطفات من كتاب

تنبيه الأذهان

بعد أن طفح كيل الشيخ عبد ربه[1] لأنصار السنة المحمدية فى كتاب له سماه : (فيض الوهاب) فى جزئين ، انبرى له الأخ محمد صالح سعدان ، فألف فى الرد على كتابه ذلك ، كتاباً سماه (تنبيه الأذهان للرد على مفتريات الشيخ عبد ربه سليمان) دافع فيه عن التوحيد والسنة (منهج أنصار السنة) وأبان فيه عقائدهم رداً على كل ما تقول عليهم به خصوم دعوة التوحيد .

ثم رد على هذا الشيخ ، فأصاب كبد الحقيقة ببيان خطأ هذا الرجل وحماقاته .

وإننا بسبيل تلخيص بعض فصول كتاب الأخ سعدان[2] بقدر ما تسمح به صفحات المجلة . على أن نعاود تلخيص مايحويه الكتاب كله فى الأعداد القادمة إن شاء الله .

استهل الأخ سعدان كتابه بمقدمة أبان فيها مايجب على أهل العلم من القيام بواجب تبيين العلم وعدم كتمانه لما أخذ الله منهم العهد والميثاق ، وأن لا يكتموه ، وأنهم مؤاخذون إذا لم يقوموا بهذا البيان .

ثم ذكر الدواعى التى حفزته لتأليف هذا الكتاب ، وأن الواجب يقتضى أنصار السنة . أن يردوا على الرجل لبيان جهله ، ولئلا يظن ظان أن أنصار السنة أعجز من أن يردوا على هذا الشيخ الخرف فى مفترياته وأباطيله .

---

(١) هو من ألد أعداء السنة وأنصارها ، وهو موظف بالمكتبة العامة بالأزهر ، ولا يخرج من أن يكون أحد الكتبة أو المعاونين لإدارة المكتبة .

(٢) نكتب هذا ونحن نعلم أن الأستاذ أبا الوفاء محمد درويش سيوفى الكتاب حقه فى كل ماله وما عليه .

وقد مهد لـكتابه بتعريف الأدلة المجمع عليها فى الدين ، وأنها ثلاثة : الـكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وأن القياس يأتى بعد هذه الثلاثة على خلاف فيه بين العلماء ، وأنه ليس لأحد كائنا من كان أن يضع للناس عقيدة أو عبادة من عنده ، بل الواجب الاتبـاع لا الابتداع .

وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدنيا (إلى الرفيق الأعلى) إلا وقد علم المسلمين و بين لهم جميع مايحتاجون إليه فى دينهم بدليل قول الله تعالى (اليوم أكملت لـكم دينكم) .

التوحيـــــد

ثم ذكر التوحيد بأنواعه الثلاثة : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ثم توحيد الله تعالى فى أسمائه وصفاته . وأن التوحيد فى مجموعه هو أول مادعا إليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم . ثم ذكر فصلا مهما فى التوسل والوسيلة والمشروع منهما وغير المشروع . وأورد أحد عشر وجها فى التوسل المشروع من الـكتاب والسنة ، وأن الذين يلجأون إلى الأولياء وغيرهم للتوسل جهلوا حقائق التوسل المشروع فراحوا يستنجدون بالموتى دون الحى القيوم .

ثم ذكر فصلا فى أنه لا يستشفع بالله على خلقه وأورد بعد هذا ، نموذجاً عن خطأ الشيخ عبد ربه ، حين يقول (اقتديت برب العالمين) ثم أخطاؤه الـكثيرة فى التعبير .

وقد أحسن حين ذكر عقيدة أنصار السنة (فى صفات الله تعالى) وأنهم يثبتون له سبحانه ماأثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أنصار السنة لايأخذون بما يراه المتأخرون من أهل الـكلام والمناطقة الملحدين الذين يؤولون صفات الله تعـالى بتحريفهم الـكلم عن مواضعه .

ثم أجمل القول فى المخالفين لأهل السنة السابقين ، وأنصار السنة الحاليين ، أجمل القول فيهم حين وصفهم بأنهم يزعمون العمل بالسنـة ، فى الوقت الذى يخالفون فيه أهل السنة

والجماعة بنفيهم أو تعطيلهم لصفات الله تعالى ، وأورد النصوص وأقوال أئمة السلف الصالح في الاستواء وفى سائر صفات الله تعالى .

وأما عقيدة أنصار السنة فى الأولياء وأهل البيت رضى الله عنهم ، فقد أوضح كل الإيضاح مايعتقدونه فيهم من الحب والإجلال من غير غلو ولا إفراط ، وأنهم يعتقدون أن من أخلص لله فى الطاعة والعبادة أياً كان (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

الأئمة الأربعة

وقد أورد فصلاً خاصاً نفى فيه مايقوله الجاهلون من أن أنصار السنة ينكرون الأئمة الأربعة أو مذاهبهم ، وأن أنصار السنة إنما يدعون إلى الاستمساك بالكتاب والسنة لأن النجاة لا تكون إلا بهما ، وأن الكتاب والسنة ليس فيهما تغيير ولا تبديل لأنهما بوحى من الله تعالى ، وأما قول غير المعصومين فإنه يتبدل و يتغير (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

وليس معنى هذا أن أنصار السنة يدعون إلى ترك ما قاله الأئمة المجتهدون ، ولكنهم يقولون بلزوم التأسى بهم ، طالما قالوا بحكم الأدلة الشرعية ، إما من الكتاب والسنة ، وأما استنباطاتهم ، فلم تكن إلا فى جزئيات الشريعة ، أما أصولها وكلياتها فإنه لا يختلف فيها أحد .

ومع احترامهم وتقديرهم لهؤلاء الأئمة رضى الله عنهم ، فإنهم لايقدمون قول أحد منهم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكفى للدلالة على صدق هذا الفهم قول الإمام مالك رضى الله عنه حين واجه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « كل أحد يؤخذ من قوله و يُرَدُّ عليه ، إلا صاحب هذا القبر » .

و إنما يقاومون ترك الفتوى بالكتاب والسنة ، وترك الأخذ بهما ، لأن المتأخرين من فقهاء المذاهب الذين ذهبوا مذاهب خالفوا فيها أئمتهم ، حتى إن منهم جعل رأى إمامه حجة معصومة من الزلل ، وأن ماخرج عن قول إمامه باطل ، فإن مثل هذا الرأى والقول

هو الذى يقف حياله ، أنصار السنة بالمرصاد يقاومونه دفاعاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى فصل (هل يجوز التقليد فى الدين) بين المؤلف أن الدين ليس بتقليد الأئمة والمشايخ وأن ما كان كذلك فليس بدين ، وإنما الدين بمعرفة الدليل ، وإن كان بسؤال (أهل الذكر) لأن أهل الذكر المقصودون فى الآية الشريفة هم أهل العلم بالقرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عرف دليله من القرآن والسنة ولو بسؤال أهل العلم فليس بتقليد ، وقد أفاض فى بيان فساد التقليد وأنه ليس بدين ، وأنه تعبد لله بغير علم . والعبادة لاتكون إلا عن معرفة ويقين بحق الواحد المعبود .

وفى فصل (هداية القرآن) أبان أن القرآن أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأن من تنكب هدايته فقد ضل وغوى ، لأن (من طلب الهدى فى غيره أضله الله) .

وأن جميع العبادات لا تؤدى ، ولا تؤتى إلا بما جاءت به النصوص من الكتاب أو السنة ، وأن الله لايقبل عبادة متعبد إلا إذا جاءت وفق المشروع . لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وأن النطق بكلمة التقوى (لا إله إلا الله) لاتنفع قائلها إلا إذا كان قائماً بأداء الفرائض والواجبات ، واجتناب الفواحش والمنكرات ، وأن من لم يؤد الصلوات الخمس فهو كافر فإن تاب وإلا قتل .

وفى فصل (إقامة الحجة على المخالفين) بين أن الشيخ عبد ربه قائمة عليه الحجة لعلمه بكتب السلف فى العقائد الإسلامية الصحيحة ، ونكوصه على أعقابه بعد إذ علم تلك الحقائق ، وأن غيره ممن ينتهج منهجه حجتهم داحضة عند ربهم يجادلون فى الحق بعدما تبين (كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون) .

هذا بعض ماعنّ لنا أن نقتطفه من كتاب (تنبيه الأذهان) ولنا إليه عودة إن شاء الله إشادة بما بذله فيه مؤلفه من جهد نسأل الله أن يثيبه عليه .

ذكريات

للأستاذ رشاد الشافعى

قد يصدم الإنسان صدمة قوية ترج كيانه ، وتهز وجدانه ، وتبعث من حافظته ذكريات قديمة ظنها ذهبت فى زوايا النسيان ، ومحاها الزمان .

فى مساء ذلك اليوم الذى اختار الله لجواره فضيلة الأستاذ الإمام الرئيس الشيخ محمد حامد الفقى ، و بعد أن فرغنا من الجنازة والدفن وألقينا الكلمات الباكية المناسبة عدنا إلى دار المركز العام للجماعة ثم ذهب كل منا إلى داره . فأخذت ذكرياتى مع الفقيد الراحل ـ رحمه الله أوسع رحمة ـ من أول يوم عرفته فيه إلى آخر لحظة رأيته فيها ، تمر مرور الشريط السينمائى الناطق أمامى . وكلها ذكريات ـ ولله الحمد والمنة ـ فى طاعة الله ، وفى سبيل الدعوة إلى دينه ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

إنها ذكريات تدل على مبلغ ما كان يتحلى به رائد الدعوة ـ رحمه الله ـ من سعة الصدر ، وسمو النفس ، ورحابة القلب الحانى العطوف . إنه كان يسع بخلقه آلاف الإخوان والتلاميذ من مختلف البيئات والأعمار والأجناس والثقافات . فكان لهم جميعاً الأستاذ المعلم المرشد ، وكان لهم الأب البر الشفيق الرحيم .

أذكر أننى أول ما ذهبت إلى دار المركز العام للجماعة وكانت ثورة عرب فلسطين على الإنجليز واليهود معاً فى أشد وأعنف أطوارها . وكان الخطباء فى كل مكان يدعون المصريين للتطوع لمحاربة الإنجليز مع ثوار فلسطين ، والتبرع لهم بالمال ، فوقفت بعد أن انتهى فضيلته من محاضرته ، وألقيت كلمة أدعو للتطوع والتبرع لفلسطين ، فأبدى إعجابه بى و بكلامى ، وشجعنى وقال لى : إن منبر أنصار السنة تحت تصرفك فى كل وقت ونحن نرحب بك فى هذه الدار فى كل يوم . ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا لم أنقطع عن أنصار السنة لحظة واحدة ، بل صرت من دعاتها بكل ما أوتيت من قوة ، ذلك لأن الرجل أسرنى بخلقه ودينه وصراحته من أول يوم .

ثم دارت الأيام حتى انتخبت عضواً بمجلس إدارة الجماعة ، وقرر المجلس فى أحد اجتماعاته شراء كراسى لجلوس المستمعين للمحاضرات التى تلقى بدار الجماعة لأن الجلوس على الحصر لا يليق بكرامة الجماعة ، وكان الشبان منا متحمسين لهذه الفكرة وسرعان ما نفذناها واشترينا الكراسى . ولكن الشيخ ـ رحمه الله ـ لم يكن يعبأ بالشكليات والمظاهر قدر اهتمامه بتعليم السنة والدين الصحيح ، وكنا نرى من ناحيتنا أن الأجدر والأليق أن نجمع بينهما ودخلت إلى الدار ذات ليلة وإذا الشيخ يلقى درسه وهو والإخوان جميعاً جالسون على الحصر ، فطلبت منه أن ينتظر قليلاً ، وأخذت أنا وبعض الإخوان نصف الكراسى ، فخرج فضيلته غاضباً وحلف أن لا يلقى الدرس فى تلك الليلة وبعد لحظة عاد من الطريق ـ وكنا قد أتممنا رفع الحصر ووضع الكراسى ـ وجلس على منصة المحاضرات وبدأ قائلا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على أمر ووجد خيراً منه ، فليفعل الذى هو خير وليكفر يمينه » ومضى وأتم درسه ، ثم خرجنا وليس فى قلبه ولا فى نفسه أى أثر من غضب أو غل أو كراهية .

وأذكر مرة أنه خطب فى اتباع السنة وحمل حملة قاسية على الذين يتنكبون طريق السنة البيضاء الواضحة النيرة إلى طريق البدع والخرافات المظلمة . ثم عرج على الذين يدخنون الدخان ويسرفون فيما لا يعود عليهم إلا بالضرر . ثم على الذين يحلقون لحاهم متشبهين بالنساء ووصفهم بالتخنث ، فما أن قضيت الصلاة حتى وقفت أرد عليه ، قائلا : إننا لا ننكر السنة ، وأن حلق اللحية مخالف للسنة . ولكننا لا نقر وصفهم بالتخنث وخصوصاً وظروف الأعمال فى هذا العصر معروفة ، وفضيلته أعرف الناس بها . وما كدت أنتهى من كلمتى حتى رأيته ـ عفا الله عنه وغفر له ـ يمر قريباً منى وينظر إلىّ تلك النظرة التى كانت تنزل على القلوب برداً وسلاماً بما كانت تحمل من معانى الشفقة والرحمة ، فما ملكت أن تبسمت وقد زال عنى كل غضب .

وأذكر أننى ذهبت مع بعض إخوانى إلى منزله ـ وكان قريباً من دار الجماعة ـ لنتفاهم

(البقية على ص ٧٤)

من شرفات التاريخ(١)

بطولة عربية تنقذ الانسانية

« فى التاريخ عبر خوالد تنير للمكافحين الطريق ، وتبين لهم سبيل النصر ، وتكشف لهم عن أسباب الهزيمة ، إنها للدعاة الذين يستلذون المخاطر ، ويقتحمون فِجاجَ المخاوف فى سبيل تحقيق مثلهم الْعليا . إن عبر تاريخهم كتاب مفتوح لأبصارهم وبصائرهم يطالعون فيه مايهديهم إلى السبيل السوىّ فى الكفاح ، وإلى الطريق الذى يوصل ـ بعون الله ـ إلى النجاح ، وَنحن إذ نكشف عن تاريخنا المجيد أستار النسيان ، إنما نستهدف من وراء ذلك أن يتذكر المسلمون ، وأن يتذكر العرب أن سِجِلّ التاريخ تشرق فيه حقائق النصر بوحدتهم ، وأنه ـ ويا أسفاه ـ يسجل عليهم عار الهزيمة كلما ضربت الأهواء بهم فى تيه التفرق وفى ظلمات الشقاق والاختلاف ، فلا يعرفون لليلهم صباحا هاديا ، ولا لصحرائهم واحةً نِدِّية ، وتنساب عليهم فى سَمَائم الهجير أفاعى العدو تنهشهم ، وفى ظلمات لياليهم الحائرة ذئابَ الاستعمار تعرّق عظامَهم . فليطالع دعاة الحق ، دعاة التوحيد حقائق التاريخ الصادق ، ليحذروا ، وليعتبروا ، وليتأكدوا أن الوحدة الصادقة هى العَودة التى تبنى أمجادهم وهى السدُّ الذى يحول بينهم وبين أن يجرفهم الطوفان ، وهى الْعُدَّة التى سلحهم بها الدين الحق ، ليكون لهم النصرُ دائما والْغَلَب » .

ظلت أحقاد « الصهيونية » ملتهبة ضد الإسلام الذى قضى على ماديّتها الصّمّاء ، ومَجَانتها الخلقية الفاسدة التى تتاجر فى شرف الأعراض ، وتدمّر كلّ القيم الخلقية الرفيعة ، لأنها تقوِّم كلّ شىء فى الحياة بما يساوى من « دراهم » ؛ لهذا كانت الفضائل عندها لذات وشهوات . لقد ظفرت الصهيونية بفهدها الماكر « عبد الله بن سبأ » فمضى اللئيم يؤجّج أُوَار

---

(١) تحت هذا العنوان نرجو من إخواننا الذين يحتفون بالتاريخ أن يكتبوا لهذا الباب مايكشف للقراء عن كفاح المسلمين ضد الوثنية الباغية ، ونعدهم بنشر كل مايصل إلينا مما يحقق هذا الهدف .

العاطفة المشبوبة بحب آل بيت الرسول ، حتى استنزل هذه العاطفة بمكره ودهائه فأخرجها إلى الإسراف الذى يجعل من بعض البشر آلهة . واحتشدت معه كل الأحقاد التى أثارها الانتصار الساحق للإسلام على كل مذهب هدام ودين وضعى زائف يؤله النار ، أو يعبد الشيطان ، أو يجعل من كواكب الليل أربابا معبودة ، كل هذه الأحقاد المضطرمة تجمعت واحتشدت ، واندفعت بكل مافيها من غل وخنق ، لتكيد للإسلام ، ولتدمر أمجاد المسلمين واتخذت لها اسما خادعا خلابا ساحر الوشى ، يما كر الفتنة يزعمون به أنهم شيعة على وأنصاره ، أثاروا الفتنة الشعواء فى عهد عثمان ذى النورين الشهيد المظلوم ، فكان أن سفك دمه البرىء ، وأثاروا الفتنة بين على رضى الله عنه ومعاوية ، فاضطرمت بينهما الخصومة ، حتى إذا همت الطائفتان أن تفيئا إلى السلام أثاروا فتنة الخوارج ، لتحطيم قوة على الذى يزعمون أنهم أنصاره ! ! حتى لا يسحق جند معاوية ، فيخلو الجو لعلى ، أى للإسلام مرة أخرى . وأثاروا الخوارج ، فقتلوا عليا وكادوا يفتكون بمعاوية وعمرو بن العاص لولا أقدار الله الغلابة القاهرة وجاء الحسن رضى الله عنه بكل مافيه من إيمان وخشية ، وحب للوحدة الشاملة يلقى على نار الفتنة صيبا من حكمته ، فيتنازل راضيا لمعاوية حرصا على الوحدة الإسلامية . ولكن الصهيونية وأحقادها ، وأحقاد الذين شايعوها . ظلت تخادع ريحانة الجنة الحسين رضى الله عنه ، وتزين له أنهم جنوده وأنصاره ، وأنهم يملأون البصرة والكوفة ، وما زالوا به حتى قتلوه ، وكان الذين دعوه إليهم لينصروه فى مقدمة الكتيبة التى قتلته . وانصدعت الجماعة الإسلامية صدعا خطيرا ، وراح قتلة الحسين الذين لبسوا قناع أنصاره يذكون الفتنة ، ويثيرون الشحناء ، ويتخذون من دم الحسين الزكى الطهور مناحة دامية . على حين قد سفكت من قبله دماء غالية أعز وأغلى ، دم عمر ، دم عثمان . دم البطل المغوار على ! ! ولكن تلك الدماء لاتلهج الصهيونية بالمناحة عليها ، وإنما تلهج بطلب الثأر لدم الحسين وحده !! وانهار بناء الدولة الأموية تحت ضربات الصهيونية الساحقة الماكرة ، وجاءت دولة بنى العباس التى أقام ركنها مجوسى خادع النسب هو « أبو مسلم الخراسانى » الذى وجدت فيه الصهيونية فتاها المرجى بعد عبد الله بن سبأ . فحقق رجاءها .

ولـكن المنصور أدرك بفطنته هدف أبى مسلم ، أدرك أنه يريد دولة بنى العباس ، فارسية الدين ، فارسية اللغة ، فارسية التقاليد ، فارسية الحـكم ، لتستعلن المجوسية مرة أخرى فى قوة طاغية جبارة أدرك المنصور هذا فقتله[١] ، قبل أن يقتل الجماعة الإسلامية وأمة العرب ، وخنست الصهيونية تـكيد فى الخناء ، وتدبِّر فى الخفاء ، تـكيد ـ كما صنعت من قبل للعقيدة الصحيحة بما تزيِّن من أساطير ، وبما تدبِّج من وثنية . فما أمدَّ المسلمين بشوكتهم القوية إلا عقيدتهم القوية الصحيحة فإن قضوا على قوة عقيدتهم ، قضوا على قوتهم . وظلت تـكيد ، وتستعلن بالـكيد فى صور توارت تستهدف تقويض أركان الدولة العباسية وفى صور مجادلات رعناء حول ما صوروه أنه من حقائق الدين ، فكان النزاع الفـكرى المشبوب المتشعب الذى انشعبت به الجماعة الإسلامية . وأتت الفتن الدولة الإسلامية من أطرافها ، فراحت تنقسم إلى دويلات صغيرة ، لاتنتسب إلى الخلافة فى بغداد إلا بالاسم فحسب ، لقد تمزقت الوحدة . وأصبح العالم الإسلامى منقسما على نفسه يخضع لأمراء مختلفى الأهواء متنازعى المشارب .

وأفاق العالم الإسلامى على دَوِىٍّ رهيب من براكين تتفجر ، فتجرف أمامها كل مايعترض طريقها . إنهم التتار . لقد انحدروا كالسيل العرم لايبقى ولا يذر ، انحدروا كالمنايا

---

(١) قتل فى ٢٥ شعبان سنة ١٣٧ هـ : ١٩ فبراير سنة ٧٥٠ م : وقد انهار الطاغية أبو مسلم أمام المنصور ، فـكان مما قاله له : استبقنى لعدوك يا أمير المؤمنين ، فقال أبو جعفر : لاأبقانى الله إذا أبقيتك ؟ وأى عدو أعدى لى منك ؟ وأمر الحرس بسيوفهم حتى قتلوه ، وهو يصيح العفو ، فقال المنصور : يا بن اللخناء ! ! العفو والسيوف قد اعتورتك ثم قال المنصور بعد أن قتل .

زعمت أن الدين لايقتضى فاستوف بالـكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت تسقى بها أمر فى الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل فى دولة المنصور ستمائة ألف « أنظر الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ١٣٧ هـ » .

الرهيبة تقضى على كل شيء . لقد أغرى التتار ما عليه العالم الإسلامى من ضعف ، وماهم فيه من تفتت ، فراحوا يلتهمون الإمارات الإسلامية واحدة بعد أخرى دون أن يقف بطشهم الباغى المدمّر قوةٌ وأين هى القوة ؟ لقد ملأ الرعبُ الطائشُ كلَّ قلب ، ففرّ كلُّ إنسانٍ يبغى النجاة لنفسه ، لايلوى على دين يكافح عنه ، ولا عِرض يحميه ، ولا وطن يقاتل دونه واهتبلتها الصهيونيةُ فرصة سانحة ، فراحوا يمدون الغزاة من التتار بكل عون وراءه حقدٌ مصمم على الانتقام وثاراتٌ لم تهدأ تحلم بالتدمير . تدمير المسلمين والقضاء على الإسلام . حتى وقف الغزاة على مشارف بغداد ، وأخافتهم تلك القداسة التى لما تَزَلْ ترف من الخلافة الإسلامية فى بغداد .

فوقفوا قليلا يعدون العدة لتحطيم مقر الخلافة يهدفون من وراء ذلك إلى القضاءِ على كلّ مقاومة ، فإنهم ظنوا أن القضاء على عاصمة المسلمين الكبرى ، بغداد ، سيجعل اليأس يستبد بالقلوب ، فلا يندفعون إلى مقاومة ، بل يحتجبون وراء الخوف القاتل ، والرعب الشديد تاركين البلاد الإسلامية للتتار يعيثون فيها فساداً كما شاء الهوى .

وكان على كرسى الخلافة فى بغداد عبد الله أبو أحمد المستعصم بالله[1] .

وكان كما يقول صاحب الفخرى : « مستضعف الرأى ، ضعيف البطش ، قليل الخبرة بأمور المملكة ، مطموعاً فيه غير مهيب فى النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور[2] » وهجم هولاكو قائد التتار على بغداد[3] ، فسقطت فى يديه ، وأَعْمَلَ فيها النهب والسلبَ والتخريب والفتكَ الذريعَ ، وقتل الخليفة نفسه ، حتى امتلأ الجوُّ برائحة الجثث العفنة التى زكمت الطرق ، حتى اضطر هولاكو إلى أن يبتعد عن بغداد أياماً فراراً من الرائحة الكريهة ، وخرب التتار مكتبة بغداد ، فأحرقوا بعضها ، ورموا البعض الآخر فى نهر دجلة بغية القضاء على التراث الفكرى الإسلامى ، وقطع صلة المسلمين بتاريخهم الماضى المجيد ،

---

(١) بويع له بالخلافة سنة ٦٤٠ .

(٢) ص ٢٤٤ الفخرى ط سنة ١٩٢٧

(٣) كان ذلك فى سنة ٦٥٦هـ ، ١٢٥٨م

ثم انحدروا سراعاً - وقد قضوا على المعقل الكبير - إلى سورية ، ففتك بخمسين ألفاً من سكان حلب ، واستولى على أكثر مدن سورية ، وطمع هولاكو فى مصر ، المعقل الأخير القوى للإسلام والعروبة ، فأرسل إلى ملك مصر سيف الدين قطز المعزى سنة ٦٥٨ هذه لرسالة المتعجرفة التى تمتلىء غروراً لجا وقحا : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم

باسمك اللهم باسطَ الأرض ورافعَ السماء .

يعلم الملك المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم ، يتمتعون بأنعامه ، ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر ، وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال .

إننا جند الله فى أرضه ، خَلَقَنَا من سَخَطه ، وسلطنا على مَنْ أحَلَّ عليه غَضَبه .

فسلموا إلينا أموركم تسلموا قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا وقد عرفتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد ، فلكم حقاً الهرب ولنا خلفكم الطلب ، فما لكم من سيوفنا خلاص ، خيولنا سوابق ، وسيوفنا قواطع ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أنتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم ، فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، فقد أعذر من أنذر ، وقد ثبت عندكم أننا كفرة ، وثبت عندنا أنكم الفجرة ، فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تُضْرِم الحربُ نارها ، وترميكم بشرارها ، فلا يبقى لكم جاه ولا عز ، ولا يعصمكم منا جَبَلٌ ولا حِرْزٌ ، فما بقى لنا مقصد سواكم .

والسلام علينا وعليكم ، وعلى من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى[1] » .

---

(١) ص ٦٤ جـ ٨ صبح الأعشى ، وقد أخطأ صاحبه - ولعله خطأ مطبعى - فجعل تاريخ هذا الكتاب سنة ٧٥٨ هـ على حين أرسل فى سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م ، والسلوك للمقريزى جـ ١ القسم الثانى ص ٤٢٦ .

وقد حمل هذا الكتاب الوقح « كتبغا » أحد أمراء هولاكو ، ومعه أربعة من التتار

ويقول ابن إياس : « فلما أن سمع الملك المظفر قطز مضمون ما فى كتاب هولاكو ، أحضر الأمراء واستشارهم فيما يملكون من أمر هولاكو ، فقال الأمراء : نجمع العساكر من سائر البلاد ونخرج إليه ونقاتله أشد مايكون من القتال ، ثم إن الملك المظفر قطز نادى فى القاهرة بأن النفير عام إلى الغزو فى سبيل الله تعالى[١] » واشتعلت القلوب حماسة وحمية ، واندفع الشعب العربى كله فى أنحاء مصر يبذل من ماله الشىء الوفير عوناً على القتال ، وحمل كل قادر على حمل السلاح سلاحه ، لقد صمموا على أن يأخذوا بثأر الإسلام من هؤلاء الغزاة الطغاة البغاة ، لم يرهبهم أن هولاكو سحق من قبل كل مقاومة ، ودمر كل حصن ، ورد على أعقابه مدحوراً كل جيش ، لم يخفهم بطش التتار ولا بغيهم الفاجر على كل شىء وانتقامهم الرهيب من كل بنى الإسلام ، لم يخافوا هذا ولم يفكروا فيه ، بل كان كل همهم أن يردوا هذا الطوفان عن العالم الإسلامى ، بل عن الإنسانية كلها ، كان همهم سحق هؤلاء الذين طحنت القسوة كل مافى القلوب من رحمة أو حنان ، إنهم يعلمون أن التتار ينحدرون كالموت القاصف والريح العاصف ، ولكنهم يعلمون أيضاً ، ويؤمنون أيضاً بأنها المعركة الفاصلة بين الإسلام والكفر المتوحش ، لقد عَزَمَ التتارُ وسحقوا كل من لاقاهم ، ولم يبق إلا المسلمون فى مصر إلا العرب الذين ملأوا التاريخ أمجاداً وفتوة وإقداماً وأريحية وفدائية وتضحية ، ، فإذا حاقت الهزيمة بالمسلمين فى مصر غرب نجم الإسلام وراء الأبد ، واندكت عمده تحت الهُوَى التائهة السحيقة . لهذا صمم المسلمون فى مصر على القضاء على هذا الخطر الداهم الذى يتهدد الإنسانية كلها بالدمار والفناء

ورد « قطز » على هولاكو حينما زلزل من غروره ، فقد رفض الإنذار وقتل رسله ، واندفع الجيش العربى المصرى بقيادة القائد المظفر الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى . يقول ابن إياس : « ثم رحل ـ أى قطز ـ من الصالحية وجد فى السير إلى أن وصل إلى عين جالوت[٢] من أرض كنعان ، فتلاقى هناك عسكر هولاكو ، وعسكر السلطان قطز ،

(١) انظر ص ٩٦ جـ ١ تاريخ مصر لابن إياس ط ١٣١١ هـ

(٢) عين الجالوت بلدة بين نابلس وبيان مهرة عمال فلسطين .

فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصى ، وقتل من الفريقين مالا يحصى عدده ، فكانت الكسرة على التتار فكسروهم وشتتوهم إلى « بَيْسان[1] » وكان ذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة[2] ، ثم وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان أعظم من الأولى ، فقتل من التتار نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك ، فلما جرى ذلك توجه السلطان قطز إلى نحو الشام ، فدخلها فى موكب عظيم ، وجلس للحكم[3] » .

وتتبع قطز بجيشه العربى المصرى جموع المغول حتى طردهم من بغداد ، وأبى إلا أن يعسكر فى منطقة الفرات ليصد عن بغداد غارات المعتدين .

وهكذا انقذ الجيش العربى المصرى الشرق والغرب من خطر ماحق، فلو أن المسلمين فى مصر هزموا فى هذه المعركة لاندثر الشرق ولعبرت هذه الجموع التترية البحر الأبيض ، ودمرت أوربا نفسها . إنها كانت معركة الحياة بالنسبة للمسلمين بخاصة ، وللإنسانية كلها بعامة ، وهكذا يثبت الدين الرحم القوى بين أهله ، وأنه الموجّه إلى الغايات ، تتألق فوق قباب النجوم ، والذى يجب أن يتصور قيمة هذه المعركة يجب أن يتصور قوة التتار التى اجتاحت آسيا ، وكلّ الشرق حتى دقت أبواب حدود مصر ، وأن هذه القوة الطاغية العنيفة أبادت كل مقاومة ! ! ثم يتصور ماذا كان يحدث لو أن التتار انتصروا ؟ .

هذه عبر التاريخ ، تاريخكم أيها المسلمون ، تاريخكم أيها العرب ، والاستعمار يحاول اليوم أن يفعل بكم كما فعل التتار ، فهل تتعظون ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) مدينة بالأردن بالمغور الشامى « مراصد الاطلاع » .

(٢) أى ٦٥٨ هـ (٣) ص ٩٧ تاريخ ابن إياس جـ ١ .

(٤) وعدنا الأخ الكريم الدكتور النابغة إسماعيل حسنى مشكوراً بإلقاء محاضرات صحية بالمركز العام للجماعة احتساباً لوجه الله ، وكتابة مقالات صحية أيضاً بالمجلة خدمة لدعوة الحق ، ونحن نشكر دكتورنا العزيز على هذه الأريحية الكريمة . عبد الرحمن الوكيل

تاريخ فقيد الاسلام الشيخ محمد حامد الفقي

رضى الله عنـــه

لقد طلب إلىّ إخوانى أنصار السنة المحمدية أن أكتب بمجلة الهدى النبوى تاريخاً لشقيقى الشيخ محمد حامد الفقى رضى الله عنه ، وكان طلبهم هذا فى اليوم السـابع من وفاته . وأنا فى غمره من الحزن العميق لفقده ، فقد كان لى صديقاً ورفيقاً قبل أن يكون لى أخاً شقيقاً .

وإنه لمن الصعب علىّ جداً أن تطاوعنى ذاكرتى لأستمليهـا تاريخ أخى الراحل ومن لى بهذه الذاكرة والألم بفقده يملأ جوانحى ويقطع علىّ سبل تفـكيرى ، ولـكنى رأيته وسمعته ينادينى ويطلب منى الصبر على فقده وترك الحزن والجزع لموته ، ويقول لى إننى لم أمت مادامت كلمة الله هى العليا وكلمة الشيطان والمخرفين هى السفلى ، فدوى صوته فى أذنى كما كنت أسمعه فى خطبه وأصمت لقوله وتعاليمه التى طالما ذكرنى بها . وقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وربُّنا الرحمن المستعان على ما تصفون .

ولأن الفقيد رضى الله عنه لم يكتب عن نفسه ، فإن مرجعى فيما أكتبه عنه ذاكرتى فها أنا ذا أجيب طلبتهم بقدر ماتمنحنيه الذاكرة ، والله ولىُّ المتقين .

مـــولده

ولد رضى الله عنه بقرية جزيرة نـكلا العنب فى سنة ١٣١٠ هجرية ، وكان وهو صغير قد نقش هذا التاريخ على ذراعه الأيسر بالوشم ، وتوافق هذه السـنة سنة ١٨٩٢ ميلادية

وقرية جزيرة نـكلا العنب من قرى مركز شبراخيت مديرية البحيرة ، تقع على الشاطىء الأيسر لفرع رشيد على مسافة ١٢٨ كيلو متر تقريباً من القناطر الخيرية ، وسميت جزيرة لأن مياه النيل كانت تحيط بها أيام الفيضان من جهاتها الأربع قبل إنشاء جسر النيل الحالى الذى أنشىء منذ ١٢٠ سنة تقريباً .

ونسبت هذه الجزيرة لنكلا العنب ، وهى بلدة كبيرة تجاور هذه القرية ، ونسبت الجزيرة إليها لأنها هى الأصل ، وكلمة نكلا قد رأيتها فى الخرائط القديمة مكتوبة نخلة ، ويغلب على الظن أن تكون نكلا محرفة عن نخلة .

أما العنب : فلأن هذه المنطقة كانت فى الأصل تزرع بأشجار فاكهة العنب وإن كانت زراعته فيها الآن قليلة جداً ـ وتُسابتُ جزيرة نكلا بلدة القصابة مديرية الغربية على الضفة اليمنى للنيل ، وليس بين القريتين إلا عرض فرع النيل .

أبواه

ولد الفقيد رضى الله عنه من أبوين كريمين ، فوالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقى ، كان زميلاً فى الدراسة بالأزهر الشريف للأستاذ الإمام محمد عبده رضى الله عنه .

فلقد حدثنى والدى رحمه الله عن ذلك ، وقال إنه كان يساكنه فى بيت واحد بشارع الباطنية ، ولم يتم الوالد الدراسة بالأزهر لظروف اضطرته إلى تركها بعد أن قطع فيها شوطاً بعيداً ، وهو إن كان قد انقطع عن الأزهر الشريف إلا أنه لم ينقطع عن الدراسة بالقرية ، فدرس فيها تفسير القرآن وأحاديث البخارى .

أما والدته ، فقد كانت السيدة الوحيدة فى القرية التى تحفظ القرآن الكريم وتجيد القراءة والكتابة .

و بين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرآن الكريم ، وأتم حفظه فى شهر رمضان سنة ١٣٢٢ هجرية ، إذ كانت سنه وقتذاك اثنى عشر عاما .

ولقد كان والده رحمه الله أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معانى الكلمات الغريبة ، ويعلمه مبادىء الفقه مما جاء بالآيات القرآنية ، كما كان يعلمه المواقف وأسبابها والغن والمد وغيرهما من علم الترتيل ، حتى إذا أتم حفظ القرآن كان ملماً إلماماً خفيفاً بعلومه ومهيأ فى الوقت ذاته لتلقى العلوم بالأزهر الشريف على الطريقة التى كانت متبعة وقتذاك .

قدومـــه إلى الأزهر

كان والدنا رحمه الله قد قسم أولاده الكبار على المذاهب الأربعة المشهورة ليدرس كل واحد منهم مذهب منها ، فجعل ابنه الأكبر الشيخ عبد الرازق الفقى مالكياً ، وجعل ابنه الثانى الشيخ محمد نعمان الفقى حنفياً ، وجعل ابنه الثالث كاتب هذا المقال شافعياً ، وجعل ابنه الرابع وهو الشيخ محمد حامد الفقى حنبلياً ، وكان المسئول الأول عن تنفيذ هذا البرنامج الابن الأكبر المرحوم الشيخ عبد الرازق لأن والده أرسله لطلب العلم بالأزهر سنة ١٣٠٢ هـ فدرس مذهب مالك ، وجاء أخوه النعمان فنسبه حنفياً سنة ١٣١٦ هـ وجاء كاتبه فنسبه شافعياً سنة ١٣١٨ هـ ، وجاء الفقيد فأراد الشيخ عبد الرازق أن ينفذ له توزيع والده ليدرس حنبلياً فوجد عقبة فى طريقه ، وكانت تلك العقبة أمراً عجباً ، ذلك أن رواق الحنابلة بالأزهر وقتذاك كان يقيم نحو ثلاثين طالباً فقط وعالمين اثنين فلما قدم للفقيد فى رواق الحنابلة قال شيخه وكان حريصاً على دنياه « إنكم تريدون إدخاله برواق الحنابلة ليأخذ جراية من الرواق ، فيقلل نصيب كل واحد منا لأنه إذا زاد المقسوم عليه صغر خارج القسمة . وكانت النتيجة أنه أبى على الشاب حامد أن يقيد برواق الحنابلة . وأبى عليه أيضاً أن يدرس مذهب أحمد بن حنبل ، وما كان هذا الشيخ يدرى أن هذا الشاب حامد الفقى سيكون إماماً من أئمة الحنابلة رضوان الله عليهم أجمعين ، فانتسب بالأزهر حنفياً وقيد فى الدفاتر حنفياً .

دراسته بالأزهر

بدأ دراسته بالأزهر فى شهر شوال سنة ١٣٢٢ هـ التى توافق سنة ١٩٠٤ ميلادية كان الطلبة الصغار وقتئذ يبدأون دراستهم فى الأزهر المعمور بعلمين اثنين هما علم الفقه وعلم النحو ، وكانت الدراسة المقررة كتبا لا سنوات فيبدأ الطالب الحنفى فى الفقه بدراسة مراقى الفلاح ويبدأ فى النحو بكتاب الكفراوى وهذان الكتابان هما السنة الأولى الدراسية ولا ينتقل منهما حتى يتقن فهمهما . فإذا أتمهما فهما انتقل منهما إلى كتاب الشيخ خالد فى النحو

وكتاب مُنلامسكين فى الفقه وهكذا لاينتقل من كتاب حتى يتم دراسته فهما وتحصيلا فينتقل إلى ماهو أرقى ، ولقد كان الطلبة يختارون أساتذتهم (شيوخهم) فحين يحضر الطالب إلى الأزهر يجد المشايخ يدرسون الكتب المختلفة فى النحو والفقه على المذاهب الأربعة فيحضر الطالب دروسه على شيخ فإذا أعجب به بقى عنده وإذا لم يفهم منه تركه وانتقل إلى آخر وهكذا حتى يستقر فى دراسته على شيخ وكثيراً ما كان الطالب بعد هذا الاستقرار يستمر فى دراسته على شيخه الذى اختاره حتى يقطع معه مرحلة طويلة فى الدراسة ومرحلة فى الزمن أيضاً وحتى يتم دراسته فى العلم الذى بدأه بدراسة أكبر كتاب فى هذا العلم فكان آخر كتاب فى النحو الأشمونى وكان آخر كتاب فى الفقه حسب المذاهب ففى الحنابلة الدليل وعند الشافعية التحرير وعند الحنفية الهداية وعند المالكية الخرشى .

أما بقية العلوم الأخرى كالمنطق وعلم الكلام والمعانى والبيان والبديع وعلم أصول الفقه فكان الطالب لايبدأ فى شىء منها إلا بعد ثلاث سنوات حيث كان يدرس المنطق أو علم الكلام الذى كانوا يسمونه التوحيد .

وكان للطالب بعد أن يقضى فى الأزهر اثنى عشر عاما فى الدراسة ألحق فى دخول إمتحان شهادة العالمية فإذا دخل ونجح كان بها وأصبح مدرسا بالأزهر . أما إذا لم ينجح فإنه يظل يدخل الإمتحان مرات متعددة حتى ينجح وهو إذا لم ينجح يبقى طالباً فى الأزهر ولو قضى فيه حياته كلها مهما كانت هذه الحياة طويلة . وكثيراً ما كان فى الأزهر طلبة قضى بعضهم عشرين عاما وآخر خمسة وعشرين وآخرون ثلاثين وأكثر من الثلاثين .

وكان الطالب الذى يدخل امتحان العالمية وينجح من أول مرة نادراً جداً والغالبية العظمى لا يكون النجاح إلا بعد مرات متعددة .

أما الفقيد رحمه الله فإنه قد بدأ دراسته فى النحو بكتاب الكفراوى وفى الفقه بكتاب مراقى الفلاح وأتمهما فى سنته الأولى ثم فى سنته الثانية درس كتابى الشيخ خالد فى النحو وكتاب مُنلا مسكين فى الفقه ثم بدأ فى العلوم الإضافية بالسنة الثالثة فدرس علم المنطق . وفى السنة الرابعة درس علم التوحيد ثم درس فى الخامسة مع النحو والفقه علم الصرف وفى السادسة

درس علوم البلاغة وفى هذه السنة وهى سنة ١٩١٠ بدأ دراسة الحديث والتفسير وكان سنه وقتئذ ثمانية عشر عاما فتفتح بصرة و بصيرته بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانبعث فيه روح السنة المحمدية فسطع فى قلبه الإيمان وسرت فى جسمه روح الهداية كما يسرى الماء فى العود الأخضر.

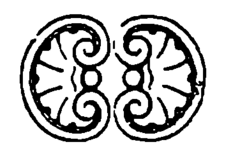
وكانت دراسة الحديث فى ذلك الوقت نوعان العبادة يقصد منها التفهم والفهم للمعانى ، إنما كان يقصد البركة والتبرك بألفاظ الأحاديث وكان الكثيرون يتعبدون بتلاوتها لا بتفهمها وفى كثير من الأحايين كانت إذا نزلت بمصر نازلة فى زرعها أو ضرعها أو أصابها ضر من ظالم أو عسف من مؤذ متعسف لجأ العلماء إلى البخارى وجلسوا فى القبلة القديمة يتلونه ليكشف الله البركة هذه التلاوة عنهم ويرفع بها كربتهم ويزحزح الظالم عن مركزه ويقصى المتعسف عن سلطانه .

وآخرون كانوا يتخذون من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوانا يضعونه حيث يشاءون ليشقوا به لأنفسهم طريقا للارتزاق وجلب المنافع الدنيوية وماهم بباحثين عن هدى رسول الله فى أمور دينهم ودنياهم ليصلوا به إلى سعادة آخرتهم .

وكل هؤلاء يأخذون القشور ويحرصون عليه ويتركون اللب ويهملون الحصول عليه وليس لأحاديث الرسول فى قلب أحدهم موضع ولا فى أذهانهم منها أثارة من علم فكل مالديهم من ذلك بضاعة مزجاة لاتنفعهم فى الدنيا ولا يجعل لهم من الآخرة درجة عند الله .

ولما أمعن الفقيد فى دراسة الحديث على الوجه الصحيح والتمسك بسنة الرسول الأعظم لفظا ومعنى وروحاً التف حوله نفر من إخوانه فى الدراسة ناصروه وأيدوه واتخذوه شيخاً لهم لجرأته و إقدامه . (يتبع)

محمد شيبة الحمد الفقى



ذكريات

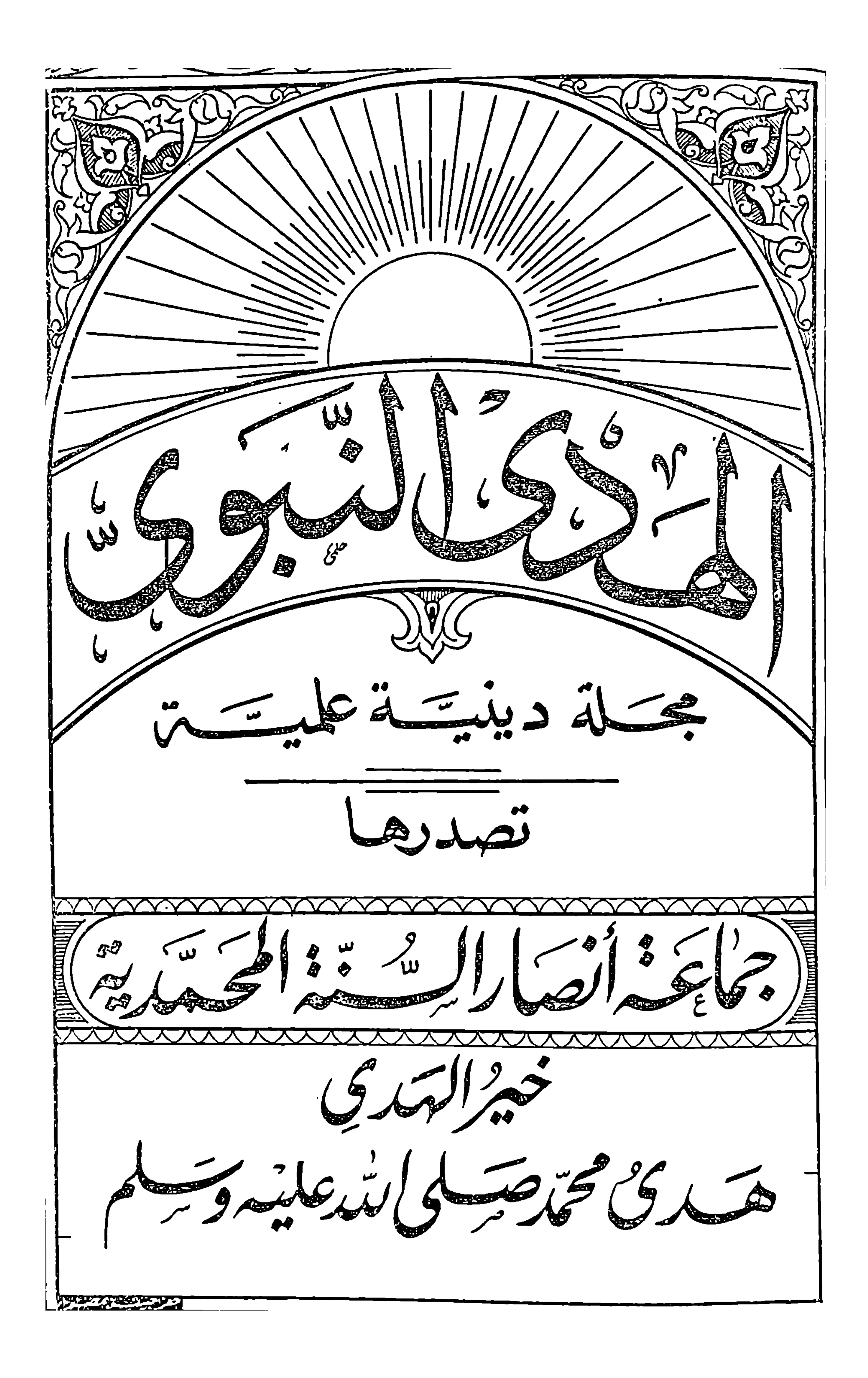
(بقية المنشور على ص ٦١)

فى بعض الشئون فتصادف أن جلس معنا ابنه سيد أحمد ـ رحمه الله ـ فى غرفة الجلوس ، فتحادثنا فى أمور شتى وتناقشنا حتى احتدم الجدال والنقاش بينى و بين سيد أحمد ثم علت الأصوات وتطورت الألفاظ بل كدنا أن نتماسك . وفى هذه اللحظة دخل فضيلته فسكتنا ، ثم علم بما حدث فنهر سيد أحمد واشتد عليه فى القول ـ لا مجاملة لى فما كان يعرف ذلك ـ وأيدنى فيما ذهبت إليه لأنه رأى الحق معى .

تلك بعض ذكرياتى مع الرئيس الراحل رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل الأبرار مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . وأرجو أن أعود للكتابة عن هذه الذكريات مرة ومرات إن شاء الله .

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين إرسال اشتراكاتهم عن السنة الجديدة باسم السيد مدير المجلة كما ترجو السادة المتعهدين إرسال مابعهدتهم . ولهم جميعاً الشكر .


الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

الهدى النبوى

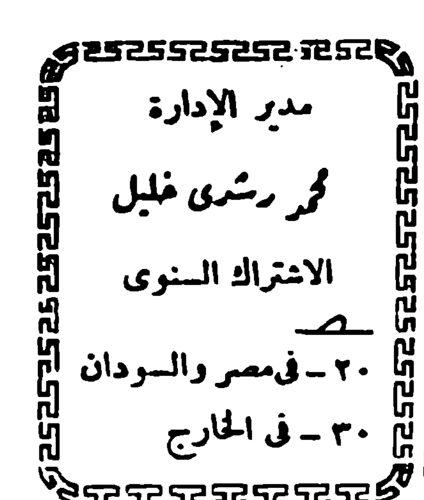
مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ١٧٦٥٧٦ .


مدير الإدارة
محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى
ص
٢٠ ـ فى مصر والسودان
٣٠ ـ فى الخارج

المجلد ٢٣ | رمضان سنة ١٣٧٨ | العدد ٩

نور من القرآن(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى جل ذكره :

(١٧ : ١٣ ـ ١٥ وَكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَه يَوْمَ القِيَامَةِ

(١) فسر فضيلة والدنا الجليل المرحوم للبرور المغفور له ـ بإذن الله ـ الرائد الأول لجماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد الفقى ـ غفر الله له ، وأنزله منازل الأبرار والصديقين إلى أول الآية التى بدأت بتفسيرها مستعيناً بحول الله وقدرته ، متوسلا إليه بالضراعة الخالصة أن يفقهنا فى تدبر آياته ، وأن يهب لنا حسن البيان عما نفهم . ومنهجى فى التفسير يقوم على أساس تتبع معانى الألفاظ كما وردت فى لغة العرب دون أن نحمل اللفظ مصطلحاً فقهياً أو أصولياً ، أو كلامياً أو فلسفياً . مما تواضع رواد هذه الفنون عليه ، حتى لا نجرد اللفظ من معناه الحق الأصيل ، ونستهدف الهوى والرأى الفطير فيما نكتب ، ولن نستطرد فى مباحث نحوية أو بلاغية إلا بقدر نحتاج إليه حاجة ماسة فى الكشف عن إعجاز البلاغة القرآنية ، ولن نشير إلى مايوائم فروض العلم أو نظرياته ، فهذه عرضة للتبديل والتغيير ، والقرآن العظيم أسمى وأجل من أن تغير آياته بالأفكار البشرية التى يعرض لها الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، ثم بعد شرح معانى الألفاظ نذكر معنى الآية كلها مستعينين بالله سبحانه ولا نبتغى بما نكتب إلا الإسهام فى الكشف عن دلائل الهداية القرآنية ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسى ، ولكنه الخطأ الذى لا يعمد إليه الفكر أو القلم أو الهوى ، ونسأل الله أن يغفره إن عثر بنا ، أو عثرنا به .

كِتَابًا يَلْقَاهُ منشورًا . اقرأْ كتابَكَ كفى بنفسك اليومَ عليك حسيباً . من اهتدى فإنَّما يهتَدى لنفسه ، ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها ، ولا تزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرَى ، وما كنا مُعَذِّبِينَ حتى نبعث رسولا) .

« ألزمناه » قال الراغب : لزوم الشىء طولُ مكثه ، وقال ابن فارس : اللام والزاى والميم أصل واحد صحيح يدل على مصاحبة الشىء بالشىء دائماً .

« طائره » قال الراغب : الطائر كل ذى جناح يسبح فى الهواء ، وَتَطَيَّرَ فلانٌ وَاطَّيَّر ، أصلُه التفاؤُل بالطير ، ثم يستعمل فى كل ما يُتَفَاءل به وَيُتَشَاءم (٣٦ : ١٨ قالوا : إنا تطيَّرنا بكم) وقال : (٧ : ١٣١ وإن تُصبهم سيئةٌ يَطَّيَّرُوا بموسى ومن معه) أى يتشاءموا (٧ : ١٣١ ألاَ إنما طائرهم عند الله) أى شُؤْمُهم ماقد أعد اللهُ لهم بسوء أعمالهم ، وعلى ذلك قوله سبحانه : (٢٧ : ٤٧ قالوا اطَّيَّرْنا بك وبمن معك ، قال : طائركم عند الله) (٣٦ : ١٩ قالوا طائركم معكم) ، (١٧ : ١٣ طائره فى عنقه) أى عمله الذى طار عنه من خير كان أو شر .

وقال ابن فارس : الطاء ، والياء والراء ، أصل واحد يدل على خفة الشىء فى الهواء . . ومن الباب : طائر الإنسان ، وهو عمله .

وقال صاحب لسان العرب : الطيران حركة ذى الجناح . . كل حركة من كلمة أو جارٍ يجرى فهو طائر مجازاً ، والطائر ما تيمنت به ، أو تشاءمت ، وأصله فى ذى الجناح ، وقالوا للشىء يُتَطَيَّرُ به من الإنسان وغيره : طائرُ الله لا طائرُكَ ، فرفعوه على إرادة : هذا طائرُ الله ، وفيه معنى الدعاء ، وقال ابن الأنبارى : معناه فعل الله وحكمُه لا فعلك وما تتخوفه . . . والمصدر منه الطِّيَرةُ ، وجرى له الطائرُ بأمر كذا . وجاء ــ أى الطائر ــ فى الشر ، قال الله عز وجل : (ألا إنما طائرهم عند الله) المعنى : ألا إنما الشؤم الذى يلحقهم هو الذى وعدوا به فى الآخرة ، مالاينالهم فى الدنيا . وقال بعضهم: طائرهم : حظهم.
قال الأعشى :

جرت لهم طير النحوس بأشأم

وقال أبو ذؤيب :

زَجرتُ لهم طير الشمال فإن تكن هواكَ الذى تهوى يصبك اجتنابها

وقال أبو عبيدة : الطائر عند العرب الحظ ، وهو الذى تسميه العرب : البخت .

وقال الفراء : الطائر معناه عندهم : العمل ، وطائر الإنسان عمله الذى قُلّدَه ، وقيل : رزقه ، والطائر الحظ من الخير والشر . . وطائر الإنسان : ماحصل له فى علم الله مما قدر له ، وقوله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) قيل : حظه ، وقيل : عمله . وقال المفسرون : ماعمل من خير وشر ، ألزمناه عنقه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقال صاحب القاموس : والطائر الدماغ ، وما تيمنت به ، أو تشاءمت ، الحظُّ وعملُ الإنسان الذى قُلِّدَهُ ورزقُه ، والطِّيَرَةُ والطِّيْرَةُ والطورة مايتشاءم به من الفَأْل الردىء ، وتطير به ومنه .

وأقول : إن أحسن ماقيل فى معناها وأعمه وأشمله ، هو قول القائل : الطائر كل حركة من كلمة أو جار ، وأنها عمل الإنسان الذى طار عنه من خير وشر ، أما المعانى الباقية كلها فداخلة تحت هذا المعنى .

« الكتاب » قال الراغب : الكتاب فى الأصل : الصحيفة مع المكتوب ، ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والغرض ـ العزم بالكتابة .

وقال ابن فارس : الكاف والتاء والباء ، أصل صحيح واحد يدل على جمع شىء إلى شىء . من ذلك الكتاب والكتابة . . ومن الباب الكتابُ وهو الغرضُ .

« يلقاه » قال الراغب : اللقاء مقابلة الشىء ومصارفته معاً ، ويقال فى الإدراك بالحس وبالبصر وبالبصيرة .

وقال ابن فارس : اللقاء : الملاقاة وتوافى الاثنين متقابلين .

« منشوراً » قال الراغب : نشر الثوبَ ، والصحيفةَ والسحاب والنعمة والحديثَ بسطها .

وقال ابن فارس : النون والشين والراء أصله صحيح يدل على فتح شىء وتَشَعُّبه .

« حسيباً » قال الراغب : من يحاسبك ، ثم يعبّر به عن المكافىء بالحساب . . والحساب : استعمال العدد .

وقال ابن فارس : الحاء والسين والباء أربعة أصول . فالأول : العد . . ومن قياس الباب : الحُسْبَانُ : الظن ، لأنه يعده من الأمور الكائنة . ومن الباب : الحَسَبُ الذى يُعَدُّ من الإنسان ، معناه : أن يعد آباء شرافاً .

ومنه : احتسب فلان ابنه إذا مات كبيراً[1] ، وذلك أن يعده فى الأشياء المذْخورة له عند الله ، والحسبة : احتسابك الأجر .

« المعنى » فهمنا ــ قبلُ ــ من آيات الله أن الإنسان فى فتنة الحياة يدعو بما يسبب له الخير كدعائه بما يسبب له الشر : يطلب من الله أن يهيىء له أسباب الخير ، كما يطلب منه سبحانه أن يهيىء له أسباب الشر[2] ، هذا لأن مفهوم « الخير » عند الإنسان هو « اللذة » فكل شىء يحققها له ، فهو خير ، وإن كان جريرة آثمة ، أو خطيئة فاسقة ، وفهمنا ــ كذلك ــ أنْ ليس للإنسان من عذر فيما يتردَّى فيه من شر أو يَتهاوى فيه من سوء ، أو يهلك به من خطايا النفس والجسد ، هذا ، لأن الله سبحانه فصّل له فى الكتاب كلَّ شىء ، فصل له مايميز به بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين الخير والشر ، بين الحلال والحرام ، فلا تختلط عليه بهذا التفصيل الجلِيِّ قِيَمُ الأمور ، ولا تغيم فى فكره حقائقُها ، فالحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ، وفصَّل له الله جل شأنه حقائق الأشياء فى الدنيا ، فيعرف بهذا التفصيل ماينفعه وما يضره ، إذا منحه من القوى الفطرية مايحقق له هذه المعرفة ، وجعل لما ينفعه سِمَات وآيات واضحة تحدثه أنها نافعة له ، وجعل لما يضره كذلك دلائل جلية يعرف منها جيداً أنها ضارة له .

بين الله فى كتابه الحق المهيمن على كل كتاب مافيه هدى الإنسان وسعادته بياناً

---

(١) إذا فقده صغيراً لم يبلغ الحلم ، قيل : افترطه افتراطاً

(٢) ترى من المجرمين وقت اقترافه الجريمة من يسأل الله أن يستره ، ومن يسأله أن يعينه على اقتراف الجرم

مُشْرِق الوَضَح ، ومنحه العقل الذى به يفكر ويتدبر ، والقلب الذى به يجد ويشعر ، والجوارح التى بها يتذوق ويعمل ويقدر ، منحه القدرة التامة على الاختيار ، كما منحه القدرة التامة على التميز ، وعبّد له سبيل العمل إذ هداه النجدين ، وألهمه فجوره وتقواه ، وسخر له مافى السموات وما فى الأرض ، مما يحتاج إليه ، وتستقيم به إنسانيته .

ومن الناس من يقترف الشر ، ومنهم من يكسب الخير ، وفاعلُ الشر يَوَدُّ أن لو تُنُوسِيَ له مااقترف من آثام ، حتى لا يخزى بها إذا حان يوم الخزى أو لا يجزى بها إذا أسفر يوم الجزاء ، يود المسىء أن ينسدل ستارٌ كثيف من النسيان على سيئاته ، وأن تضل أصداءُ خطاياه وراء الأفق السحيق العميق ، فلا يذكر له أحد عمله ، ولا يُذكَرَ يوماً من أحد بعمله ، يود أن لو كان عمله طائراً يذهب فى الآفاق ، ولا يعرف كيف يعود إلى صاحبه .

وكاسب الخير فى سبيل الله يود أن يبقى له عند الله ماقدم من صالحات يوازن بها مايجنح إليه أحياناً من خطايا ، أو يتوسل بها إلى مثوبة من عند الله مباركة طيبة .

لهذا ينذر الله فى هذه الآيات مقترف الشر ، ويبشر كاسب الخير ، وهذا فى قوله سبحانه (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) ينذر ربنا تعالى ويُبشر به كل إنسان قد ألزمه الله سبحانه عملَهُ إلزاماً لا يستطيع أبدًا أن يتخلص منه ، وكيف وهو محيط بعنقه كالدائرة ، فإن كان العمل خيرًا فهو كقلادة الحلى العظيمة ، يقلدها صاحبها عن جدارة وحب ، فتُرفع من مكانته وتزينه ، وإن كان العمل شرًا ، فهو كالغِلِّ يَسِمُ صاحبَه بالعار والخزى ويشينه .

يبشر الله وينذر الإنسان بأن كل مايطير عنه من خير أو شر لا يضل عنه أبدًا ، بل هو باق معه ملازم له متمكن منه تمكن الغل ، أو القلادة من العنق ، يبشر وينذر الإنسان بأن كل حركة نفسية يعبر عنها بلسانه قولا أو بجوارحه عملا ، ملازمة له حتى يلقى بها الله يوم القيامة .

فلا يطمع مقترف الشر فى الفكاك من غل عمله ، ولا يخف كاسب الخير أن يجرد من حَلْيٍ صالحه ، وإنه لإعجاز فى القهر والغلبة أن يطلق طيرك الذى أنت صاحبه ، ثم يقهره غالب على أن يلازمك أنى مشيت وحيثما كنت فى مدارج الحياة ، أو فى مهاوى القبور .

٨

فإذا ما أسفر يوم القيامة ، وجد كل امرىء صحيفة أعماله مبسوطة أمامه ، وقد سجل فيها كل صغيرة وكبيرة ، و بصره حديد ، وما فيها واضح كل الوضوح ، ثم يؤمر أن يقرأ بنفسه ، ليكون هو الحسيب على نفسه ، فيحصى لها ماقدم من حسنات ، و يحصى عليها ما اكتسب من سيئات . و إنه لَبرٌّ عظيم بالعَدْل أن يجعل الله الإنسانَ هو الحسيبَ على نفسه ، لتبلغ به الطمأنينة إلى أقصى ماتشعر به النفس من طمأنينة ، ليوقن تمام الإيقان إلى أنه لم يُظْلَم ، وإلى أنه لن يلحقه ظلم ، وإلى أنه لم يسَجَّل عليه شىء غير ماعمل ، وإلى أنه سيُجْزَى بما عمل ، إلا أن يتفضل الله ، وهو رب التقوى ، ورب المغفرة .

ترى أفى مقدور إنسان ما ، أو قوةٍ ما إنجاه المسىء من عمله ؟! أيستطيع بشرى ، أو غير بشرى أن يفك غُلَّه عن عنقه ، والله سبحانه هو الذى أحاطه به ، وألزمه إياه ؟! قولوا لعبدة الموتى ، وسدنة الرمم . قولوا لهؤلاء الذين يضرعون إلى غير الله ، و يجدون من الناس من يستحثهم على هذه الضراعة ، أن كل إنسان قد ألزمه الله طائره فى عنقه . فهل فى مقدور هذه الأصنام الجامدة الخامدة أن تأخذ بالطير من يد الله ، فتطلقه إلى حيث تشاء ؟ الإلزام من الله . فمن ذا الذى يستطيع حتى التفكير فى النيل من هذا الإلزام ؟! قولوا لهم إن الله يقول (٧٤ : ٣٨ ، ٣٩ كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين[١]) .

و يقول (٣٥ : ١٨ ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ، وإن تدعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِملها لا يُحْمَلْ منه شىء ولو كان ذا قربى[٢]) . إنه عهد الله مع رسله وعباده منذ نزَّل دينَ الإسلام . (٥٣ : ٣٥ ـ ٣٨ أم لم يُنَبَّأْ بما فى صُحُفِ موسى ، وإبراهيم الذى وفى ، ألاَّ تزر وازرةٌ وزْرَ أخرى ؟!) .

---

(١) هذا لأن الله سبحانه لايؤاخذهم بسىء أعمالهم ، ولكن يغفرها لهم ، كما وعدهم (٤٦ : ١٦ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) .

(٢) معناها : وإن تطلب نفس ذات ثقل من الذنوب من يعينها على حمل ذنوبها ، أو يحملها عليها ، فإنها لن تجد من يحمل عنها شيئاً وإن يك بينها وبينه قرابة قريبة .. فأين نفع أصنامكم ياعبدة الأوهام ؟

وما زال من الشيوخ من يزعم أن رمم القبور تستطيع أن تحيل الإساءة إحساناً ، والطالح صالحاً مما عمل الإنسان . إن هذه الآية تحدد المسئولية الجزائية تحديداً قاطعاً صارماً جلياً . تحدد أن كل امرىء مسئول وحده عن عمله[1] ، ومحاسَبٌ وحده عليه ، وأن مسئوليته لن تكون إلا بين يدى الله وحده .

ثم يقول ربنا سبحانه (من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) .

معانى المفردات : « اهتدى » قال الراغب : الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهدية ، وهوادى الوحش : أى متقدماتها الهادية لغيرها ، وخص ما كان دلالة بهديت وما كان إعطاء بأهديت ، وهداية الله للانسان على أربعة أوجه : فى الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية . ومنه قوله سبحانه : (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى) .

« الثانى » الهداية التى جعل الناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء ، وإنزال القرآن ونحو ذلك : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) .

« الثالث » التوفيق الذى يختص به من اهتدى (والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم) .

« الرابع » الهداية فى الآخرة إلى الجنة : (سيهديهم ، ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) وهـذه الهدايات الأربع مترتبة ، والإنسان لايقدر أن يهدى أحداً إلا بالدعاء[2] وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات . وكل هدايه ذكر الله أنه منع الظالمين والـكافرين ، فهى الهداية الثالثة والرابعة . انتهى كلام الراغب .

وأقول : إن ماورد فى الآية هو « اهتدى » على صيغة « افتعل » ومن معانى هـذه

---

(١) يزعم ابن عربى وأحلاسه أن لامسئولية ، لأن الله عنده هو كل شىء ، فهو إذن فاعل كل شىء ، والله لايسأل نفسه ، ولا يعذب نفسه !! أفينتسب مثل هذا إلى الإسلام ؟

(٢) أى لايملك الإنسان من هـذه الهدايات إلا واحدة ، وهى دعوة الناس إلى اتباع الهدى ، وتبيين طريق الهداية لهم .

الصيغة : التصرف ، أى الاجتهاد والاضطراب فى تحصيل أصل الفعل . فمعنى اهتدى : جد واجتهد فى تحصيل الهدى .

« ضل » قال الراغب : الضلال العدول عن الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلا كان أو كثيراً . . . وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلا كان أو كثيراً : صح أن يستعمل الضلالُ ممن يكون منه خطأ ما ... ولذلك نُسِبَ الضلالَ إلى الأنبياء وإلى الكفار وإن كان بين الضلالين بون بعيد .

وقال ابن فارس : الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو ضياع الشىء وذهابه فى غير حقه . وكل جائر عن القصد ضال . . ومما يدل على ماذكرنا قولهم : أُضِلَّ الميت : إذا دُفن ، وذاك كأنه شىء قد ضاع .

« وازرة » قال الراغب : الوَزَرُ ، الملجأ الذى يلتجىء إليه من الجبل . والوزر : الثقل تشبيهاً بوزر الجبل .

وقال ابن فارس : الواو والزاى والراء أصلان صحيحان ، أحدهما الملجأ ، والآخر الثقل فى الشىء .

وقال صاحب اللسان : الْوَزَرُ ، أصل الوزر ، الجبل المنيع وكل معتل وزر ، وكل ما التجأت إليه ، وتحصنت به فهو وَزَرٌ ، والْوِزْرُ : الذنب لثقله وجمعهما أوزار .

وأقول : « لاتزر » أى لاتحمل نفسٌ وزراً . و « الوازرة » النفس الحاملة للوزر والتى لازمها الوزر حتى اتصفت به .

« معذبين » قال الراغب : العذاب هو الارتجاع الشديد . وقد عذبه تعذيباً أكثر حبسه فى العذاب ، واختلف فى أصله . فقال بعضهم : هو من قولهم عُذِّبَ الرجل إذا ترك المآكل والنوم . فهو عاذب وعذوب . فالتعذيب فى الأصل هو حملُ الإنسان أن يعذب أى يجوع ويسهر . وقيل : أصله من العذب ، فعذبته أى أزلت عذبة حياته ، وقيل : أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أى طرفها .

« نبعث » قال الراغب : أصل البعث إثارة الشىء وتوجيهه ، ويختلف البعث باختلاف ماعلق به .

وقال ابن فارس : الباء والعين والثاء أصل واحد وهو الإثارة . ويقال : بعثت الناقة ، إذا أثرتها . وقال ابن أحمر[1] :

فبعثتها تقص المقاصر بعـــد ما كربت حياة النـــار للمتنور

« رسول » قال الراغب : أصل الرسل : الانبعاث على تؤدة . . والرسول يقال تارة للقول المتحمَّل كقول الشاعر :

* ألا أبلغ أبا حفص رسولاً *

وتارة لمتحمِّل القول والرسالة . والرسول يقال للواحد وللجميع .

وقال ابن فارس : الراء والسين واللام : أصل واحد مضطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد .

« المعنى » من جدَّ واجتهد بكل مايملك من قوى تعينه على الجد والاجتهاد فى تحصيل الهدى ، حتى يكون كل شىء فيه مهدياً : عقله وقلبه وجوارحه وعمله ، فإن ثواب ذلك كله راجع إلى نفسه . مقامٌ كريم فى الدنيا ، ومقام كريم فى الآخرة . إنسانيَّةٌ تسير فى الحياة نوراً هادياً ، ويقيناً ثابتاً ، وإيماناً يقهر الأحداث ، وعوادىَ الظنون والرِّيَب ، واستعلاء صادقا على الشهوات ، فلا تَستَنزِلُها نَزْوَةٌ ، ولا تهفو بها إلى السقوط ريبة ـ ولا يجنح بها عن إيمانها وقوّتها جبَروتٌ باغ ، ولا تقف بها عقبةٌ فى الطريق ، لأنها تسلك سبيل الهدى ، وسبيل الهدى ليس فيه عقبات .

هذا فى دنيا المهتدى . أما هو فى آخرته : فرضوان دائم من الله ، وجنةٌ خالدة أبدية النعيم .. والهدى كله فى كتاب الله سبحانه ، ولن يكون الإنسان مهتدياً إلا إذا جد فى تدبر القرآن وألزم نفسه العمل بهداه .

والآية الكريمة تحطم أصنام التقليد ، وطواغيت التَّبَعِيَّة الصماء . فصيغة « اهتدى » كما بينت من قبل تفيد الاجتهاد فى تحصيل أصل الهدى ، والاجتهاد لا يكون إلا بتلاوة وتدبر لما يتلو . والمقلد غير مجتهد فى شىء أصلا ، إنما هو ببغاء تحاكى ماتسمع دون وعى ،

(١) نسبه فى اللسان إلى ابن عقيل .

وقرد يحاكى مايرى دون فهم ، أو بهيمة عجماء يسوقها دعاء صاحبها أو سوطه إلى مايريد .
المقلد سجين العقل فى يد ظالمة ، خامد الحس ، هامد الشعور ، ميت القلب . فهو لايتدبر ،
لايحس ولا يشعر ، ولا يفقه شيئاً مما حوله ، ولا مما يعمل من عمل يظن أنه يهديه إلى الله ،
إنما هو عبد مسخَّر فى يد عبدٍ مثله تسخره أهواؤه . شهواته وخرافاته وأساطيره ، ويسخِّر
بها سواه ممن خدعهم عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها .

ثم يقول ربنا سبحانه « ومن ضل فإنما يضل عليها » ومن جار عن القصد ، وعدل عن
طريق الحق والهدى ، فإنما يحمل على نفسه وحدها جزاء ضلاله . لقد ضيَّع عقله ، وضيع
قلبه ، وضيع عمله . وضيع عقله ؛ إذ عطله ظالما عما فطره الله له من النظر فى آيات الله ودلائل
قدرته . وضيع قلبه ، فلم يحبب أو يبغض لله ، ولم يرض أو يغضب لله ، فذهبت عواطفه غير
مذاهب الحق والصدق والخير ، فهو معلّق القلب بما يهوى سواه يصرِّف له حبَّه وبغضَه ،
رضاه وسخطه ، طمأنينته وخوفَه ، وكل مايعتمل فى قلبه من عواطف وميول . وضيَّع عمله
إذ اكتسب ماليس فيه غناء ، ولا خير . فالعملُ مرتبطٌ بحقيقة الإيمان وتعبير مُحَس عنها ،
والعملُ له إرادةٌ وراءه تبعثه ، وعقل يبغى به غايةً وهدفا . والمقلد مُضَيِّع الإيمان والعقل
والإرادة . فليس له من عمل إلا وهو رَهْنُ الضياع أيضاً ، فهو ضائعٌ فى كل شىء . وهو
بهذا مُهلِكٌ لنفسه ، لأنه ضيَّعها ، حمل عليها[1] ، ما كان يجب ألا يحمله عليها من النكبات
الثقال .

ثم بيَّن الله سبحانه أنه جلّ شأنه ، لم يُنْذِر بالعذاب أحداً إلا بعد أن أرسل رسله
تهدى الناس إلى طريق الحق والخير والسعادة[2] ، ولكنهم تنكّبوا السبيل ، فذهبوا

(١) نلحظ أن الآية بينت أن ثواب الاهتداء لنفس المهتدى ، وأن ثواب الضلال عليها ،
واستعمال كلمة « على » يفيد أن ثواب الضلال أشبه ما يكون بالحمل الثقيل يحمله صاحبه على
نفسه ، واستعمال كلمة «ل» فى «لنفسه» يفيد أن ثواب الهدى كأنه هدية مقدمة إلى نفس المهتدى

(٢) شجر خلاف عميق حول أطفال الكفار أهم معذبون أم غير معذبين . على حين أن
الآية هذه حجة بينة لمن يريد تدبرها . فالله ينفى العذاب عمن لم يرسل إليهم رسلا ومنهم الذين
لايفقهون ما أرسل الله به رسله ، كالمجنون والصبى الصغير ، فكيف يعذب الله من سلبه القدرة
على الفهم .

بأنفسهم إلى أعماق الجحيم . لقد أضاء لهم الصراط ، ووضع عليه منارات ودلائل صادقة ، ولكنهم أبوا إلا أن ينعطفوا إلى الشعاب المظلمة ، والأودية الضالة التى لايهتدى فيها سالك ، ولا يطلع فيها صباح ، فهم أبد الدهر فى ليل دامس ومصير مهلك ، فما ذَنْبُ القَدَر ؟ خالق الظلمات والنور ودعاك إلى النور ، ومنحك القدرة على تلبية دعوته ، ورغبك فى تلبية مادعاك إليه . ولكنك أبيت أيها الظَّلُوم إلا أن تلج فى أعماق الظلام ، ولم يمنعك من ولوجه ، لأنه سبحانه عادل معك ، لأنه ترك لك الإرادة الحرة فى سلوك ماشئت . ووهب لك القُوَى التى تعينك على السلوك بوجهيه . فيك الحب والكراهة ؛ فيك الغضب والرضا فيك الشجاعة والجبن . بهذه تسلك الخير ، وبها نفسها تسلك الشر . فإن جعلتها لله ، فهى خير ، وإن جعلتها لغيره ، فهى شر . إن اعْتَلَجَتْ بها مشاعرك عن أمر الله ، سلكتْ بك الهدى ، وإن اعتلجت بها مشاعرك عن أمر غيره ، سلكتْ بك سبيل الضلال[1] . فما ذَنْبُ القدر ؟ ماذنب القدرحتى يقول المشرك : (٦ : ١٤٨ سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) . ليتهم يتدبرون قول الله : (٤١ : ١٧ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا[2] العمى على الهدى) .

إن هذه الآية فَيْصَلٌ بين الحق والباطل . بل قوة إلهية قهارة تدك دعاوى أولئك الذين يزعمون أن القَدَر يحمل كل تبعة عنا .

وفقنا الله إلى أن نسلك دائماً سبيل الهدى ، إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

قال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم .

وقال أكثم بن صيفى : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر : الصبر .

---

(١) اقرأ قوله تعالى (٤١ : ٢٥ وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم) .

(٢) لاحظ أن الاستحباب وراءه إرادة طلبت حب العمى ، فالاستحباب إذن إرادة وطلب لشىء ، بهذا استحقوا العقاب ، لأنهم أرادوه وطلبوه .

باب الكتب

كتاب تنبيه الأذهان

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

كتاب قيم ، وسِفْر جليل ، و بحث ممتع ، ومنطق مقنع ، وأدلة قاطعة ، و براهين ساطعة وحِجاج مفحم ، ومقاس ملجم لايعتمد صاحبه إلا على الحق الثابت من كتاب الله ، وصحيح سنة رسول الله ، و إن فيهما لغنية لطالب الحق ، و إن فيهما لهداية لمبتغى الرشد ، ومن لم يستغن بهما فلا أغناه الله ، ومن لم يهتد بنورهما فلا هداه الله .

وضع هذا الكتاب القيم الباحث المدقق الأستاذ محمد صالح سعدان من كبار أنصار السنة وسماه : تنبيه الأذهان للرد على الشيخ عبد ربه سليمان فى كتابه فيض الوهاب .

وليس من اليسير تلخيص هذا السفر الجليل فى هذه السطور القليلة من مجلة الهدى النبوى الغراء . والتلخيص لايغنى عن القارىء المحب للوقوف على الحقائق شيئاً . فمن الخير لمحبى الحقائق أن يطلعوا على هذا الكتاب . وأن يقرءوه باباً باباً . بل صفحة صفحة ، بل سطراً سطراً ، حتى لايفوتهم شىء ، من درره الغوالى . ولقد عنيت مجلة الهدى النبوى فى عدد رجب وشعبان بإبراز تلخيص لأهم أبواب الكتاب ومقتطفات نافعة منه تشير إلى موضوعه ، وتدل على بعض ما انضمت عليه جنباته .

وضع الأستاذ الجليل هذا الكتاب ليرد على شخص سوّد صفحات سماها (فيض الوهاب) تصدى فيها لأنصار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول أن يفند أقوالهم ، و يبطل عقائدهم ، فكان رده عليه رداً حاسماً ، وصدمة قوية ، وطعنة قاتلة لدعاة الضلالة ومروجى الباطل .

لاجرم أن هذا السفر القيم لم يكن رداً على مسود صفحات (فيض الوهاب) وحده ، ولكن رد على جميع أولئك الذين يذهبون مذهبه ، ويسلكون سبيله من عبّاد القبور ، وعشاق التأويل الذين يحرصون على أن يبنوا ماجاء الإسلام لهدمه من فاسد العقائد و باطل الضلالات .

لا أعرف صاحب فيض الوهاب ، لم أقرأ له شيئاً ولم أطلع على فيضه ولم أر منه إلا الفقرات التى نقلها الأستاذ مؤلف كتاب تنبيه الأذهان . وقد دلتنى هذه الفقرات على أن تسمية هذه الصحائف السود بفيض الوهاب من باب الأضداد كما يسمى العامة القدح الفارغ بالملآن ، وكما يسمى العرب اللديغ بالسليم . ذلك بأن ماجاء به لا يسوّغ الإيمان اعتباره فيضاً من الوهاب جل ثناؤه ، بل هو من وسوسة الشيطان ، لأن الوهاب تقدست أسماؤه لا يُفيض مافيه هدم دينه وتبديل كتابه والتنكر لسنة رسوله . وإنما ذلك من الشيطان . (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ١٢١ : ٦) .

رد الأستاذ سعدان على هذه المفتريات ودحض هذه الأباطيل والترّهات فى صراحة ووضوح ، وقوة ومضاء ، وشدة عارضة ، ودلل على أنه بين من ينتظم فى صفوف العلماء من هم فى أمسّ الحاجة إلى أن يتعلموا العقائد من العامة الذين لم تفسد فطرتهم باتصالهم بأنصار البدعة وعبيد الخرافة .

إن كتاب : تنبيه الأذهان مكتبة فى كتاب ، لأنه يُعَد ـ بحق ـ خلاصة وافية لجميع ما كتبه العلماء المحققون الذين نافحوا عن التوحيد . ودافعوا عن السنة ، وكافحوا البدعة والخرافة .

هو مكتبة فى كتاب ، بل دائرة معارف إسلامية تغنى القارىء عن كثير من الكتب المؤلفة من مختلف الموضوعات التى عالج الكلام فيها .

وذلك إلى سلامة العبارة ، وقوة البيان ، وسلامة المنطق وروعة الأسلوب .

نحن فى عصر ازدحمت فيه الأعمال ، وضاقت الأوقات ولا يجد فيه غير المتفرغين لطلب العلم فسحة من الزمن للاطلاع على المطولات والموسوعات ، فحسب القارىء الذى يريد

أن يصحح عقيدته ، و يقف على حقائق دينه أن يقرأ هذا الكتاب فهو خليق أن يرشده إلى كل مايلزمه الإلمام به من صحيح العقائد ، وأن يحول بينه و بين مايهذى به المبطلون من الأباطيل والضلالات ، والبدع والخرافات والأوهام والخزعبلات .

لئن عذرنا الفقراء الذين قدرت عليهم أرزاقهم ، ولم يهتدوا سبيلا إلى الكسب الحلال ، فراحوا يتجرون بدينهم ، و يتخذونه حرفة ومرتزقا وأقبلوا على العوام يخدعونهم و يفتلون لهم فى الذروة والغارب طمعاً فى السحت الذى يمدونهم به ليجدوا لقمة الخبز وجرعة الماء . ما عذر هؤلاء الذين بسط الله لهم الرزق وكفلت الدولة لهم ما ينفقون وأجرت عليهم الراتب الكبير إذا أخذوا مأخذ المحرومين وسلكوا سبيل الدجالين والمحتالين ؟

ماذا يبتغون من وراء إفساد عقائد الناس ، ونشر الخرافات و إذاعة الضلالات ؟

ماذا يستفيدون من طمس النور ، و إشاعة الظلمات ؟ .

ماذا يريدون من عداوة الحق وصداقة الباطل ؟ .

ماذا يجنون من التنكر للخير ومناصرى الشر ؟

أمل ورجاء

أملى أن يصل كتاب تنبيه الأذهان إلى جميع الذين أفسدت الخرافة أذهانهم ، وغلبهم المضلون على أمرهم ، فاتبعوا خطواتهم وانساقوا وراءهم بغير علم .

ورجائى أن يستشفوا بما وصف لهم من دواء ناجع فإن فيه شفاء من الأمراض الخبيثة التى انتقلت إليهم العدوى .

إن أنصار السنة يقرءون ما كتب أنصارهم وخصومهم على سواء لأن رائدهم الحق، يبتغونه أنى وجدوه ، ومقصدهم الحكمة يلتقطونها أنى صادفوها . أما خصومهم فيحذرون مريديهم وأتباعهم قراءة كتب السنة .والاستماع إلى خطبهم وحضور ندواتهم لأنهم يعلمون أن للناس عقولا ، وأن للحق نوراً أبلج يلج فى العقول فينيرها و يتسرب فى النفوس فيهديها . ولأنهم يعلمون أن أنصار السنة لايستدلون إلا بكتاب الله وسنة رسوله .فمن اطلع على كتبهم أو استمع إلى خطبهم أو محاضراتهم أو دروسهم فسرعان مايتبين له الحق و يجد نفسه مدفوعاً

بقوة إلى اتباعه ، نادماً على الأوقات الثمينة التى أنفقها فى متابعة الباطل ، آسفاً على العمر الذى أضاعه فى صحبة المضلين .

من لى بمن يوصل هذا الكتاب لهؤلاء المفتونين بسادتهم وكبرائهم؟ .

من لى بمن يضعه فى أيديهم أو تحت أبصارهم ؟ وأنا على يقين من أن الأذكياء منهم إذا وقفوا على ماحواه يثوبون إلى رشدهم ويلعنون الشياطين الذين أضلوهم عن الحق بعد إذ جاءهم .

* * *

وكل ما آخذه على المؤلف ـ حفظه الله ورعاه ـ أنه وعد فى فاتحة الكتاب أن يوضح ما الإسماعيلية وما نحلتهم وما البهائية وما معتقدهم ولكن شغله الرد على الشيخ عبد ربه فلم يفرغ للوفاء بما وعد به . ولعله يوضح ذلك فى كتاب آخر يخرجه للناس إن شاء الله .

هذا ، والرغبة إلى أنصار السنة أن يحملوا نسخة من فيض الوهاب بعد أن يضعوا خطوطاً بالمداد الأحمر تحت الأباطيل التى احتواها مؤلفه على ترويجها .

بارك الله فى مؤلف كتاب تنبيه الأذهان ، ونفع المسلمين بكتابه ، ووفقه إلى إخراج أمثاله من الكتب النافعة آمين .

عقيدة القرآن والسنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

تمهيد : نرى من الواجب ونحن نريد أن نكتب عن العقيدة الإسلامية كما نطق بها الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، وكما فهمها السلف الصالح رضى الله عنهم من نصوص هذين المصدرين الكريمين ، أن ننبه الأذهان إلى جملة من المبادىء والأمور العامة التى لابد من الوقوف عليها قبل الدخول فى المقصود ، لأنها تعين القارىء على فهم المنهاج الصحيح الذى يجب أن يتبع معالجة هذه المسائل الكبار التى هى أصول الدين والفقه الأكبر ، وهذه الأمور هى :

أولا : أن الكتاب والسنة هما النوران الهاديان والنبعان الصافيان اللذان قد تكفلا ببيان الدين كله أصوله وفروعه ، فيجب أن نستمد منهما جميع الأحكام الدينية ، اعتقادية كانت أو عملية ، ولا يجوز أن يعارضا بشىء من أقيسة العقل ، أو الكشف والإلهام ، أو تؤول نصوصهما بما يخرجها عن معانيها التى دل عليها الوضع اللغوى والعرف العام من أجل مايزعمه بعض الناس من قرائن عقلية ، ونحو ذلك .

ثانياً : أن مسائل العقيدة هى أصل الدين والأساس الذى تبنى عليه جميع الأعمال من عبادات وغيرها ، فيجب أن نرتفع عن مستوى الخلاف والجدل ، وأن لا تثار حولها الشكوك والشبهات ، لأنها جميعاً من قبيل الأخبار الصادقة التى يجب أن تقابل بالتصديق والإذعان لا بالتشكيك والنكران .

ولهذا كانت متفقة فى جميع الأديان ، قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال آمراً لنبيه عليه الصلاة والسلام بعد ذكر من سبقه من الرسل (أولئك الذين

هداهم الله فبهداهم اقتده) فالمراد به الاقتداء فى أصل الدين من التوحيد والإيمان . . ولهذا أيضاً لا يسوغ فيها الاجتهاد ، كما يسوغ فى العمليات التى هى متعلق الأمر والنهى .

ولم يؤثر عن السلف الصالح رضى الله عنهم أنهم اختلفوا فى عقائدهم كما أثر ذلك عنهم فى الفروع ، وقد ذم الله المختلفين فى آيات كثيرة ، منها قوله تعالى فى سورة آل عمران (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقوله فى سورة الأنعام (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

ثالثاً : جميع الخلافات الاعتقادية التى فرقت دين الأمة وجعلتها شيعاً وضرمت بينها نار العداوة والبغضاء ، وجعلت بأسها بينها شديداً ، وأضعفتها أمام أعدائها كانت كلها بحمد الله وليدة عوامل أجنبية لا صلة لها بالدين ، فكان أصحابها لا يصدرون فيها عن فهم صحيح الكتاب والسنة واستمساك بهما ، ولكن يصدرون إما عن هوى غالب ، أو عصبية ممقوتة ، أو تقليد أعمى ، أو تأثر بالفلسفات الأجنبية ، والأفكار الدخيلة ، أو خدمة أغراض خاصة ، أو حقد وموجدة على الإسلام ورغبة فى إفساده على أهله ، إلى غير ذلك من عوامل هى أبعد ماتكون من الدين .

ولهذا ذم السلف رضى الله عنهم جميع الفرق المختلفة الخارجة عن دائرة الكتاب والسنة من خوارج ، ومرجئة وشيعة ، ومعتزلة ، وقدرية ، وجهمية وغيرها ، واضطروا إلى عقد المناظرات وتأليف الكتب للرد على هذه الفرق والدفاع عن عقيدة أهل الحق مع كراهتهم الشديدة للخوض فى علم الكلام ، وذمهم للمشتغلين به حتى قال الشافعى رحمه الله :

« حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم فى العشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة » ولعل تلك الكراهة الشديدة لعلم الكلام وأهله كان منشؤها اعتقاد السلف رحمهم الله ، أن الكتاب والسنة قد تكفلا فى هذا الباب بما لا حاجة معه إلى قول أحد ورأيه ، وأن جميع العقائد الإيمانية مع أدلتها التفصيلية اليقينية موجودة فيهما بأجمل أسلوب وأوضح عبارة .

رابعاً : يزعم كثير من المشتغلين بعلم الكلام من أشعرية ومعتزلة وفلاسفة : أن أدلة العقل وحدها هى التى ينبغى أن يعول عليها فى التوصل إلى العقائد الصحيحة لأنها أدلة برهانية تفيد اليقين .

وأما الأدلة التى يسوقها القرآن الكريم لإثبات توحيد الله عز وجل ، وقدرته وعلمه وحكمته وغيرها ، فهى بمعزل عن إفادة اليقين لأنها خطابية ، لا تفيد إلا الظن ، ولا تصلح إلا لإقناع العامة ـ وهذا القول فى شناعته وجرمه يضاهىء به أصحابه قول المستهزئين ، الذين جعلوا القرآن عضين ـ وإن شناعته أعظم من أن يقدموا أدلة عقولهم المأفونة على أدلة القرآن الكريم ، فيجعلوا عقولهم حاكمة ومهيمنة على كتاب الله ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ، وجهل فاضح بقدر القرآن ، بل وبقدر من أنزله وجعله هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وجعله موعظة وشفاء لما فى الصدور ، وأنزله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

إن أدلة القرآن ، لا تعتمد على تلك الجهليات والظنون الكاذبة ، والأوهام الضالة التى تعتمد عليها أدلة عقولكم ، ولكنها تعتمد على أسمى ما فى النفس من مشاعر وأحاسيس ولا تقوم إلا على مايراه الناس بأعينهم ، ويلمسونه بأيديهم من عجائب الخلقة ودقيق الصنعة ، وتباين الأشكال واختلاف الصور ، وما أودع فى الأشياء من عظيم المنافع وضروب المصالح ، إلى غير ذلك مما يسكب فى النفس برد اليقين ، ويملأها إيماناً محضاً لا تشعر باختلاجة ريب ولا بريح شبهة .

وليست أدلة القرآن نقلية فقط كما زعمتم ، ولكنها نقلية وعقلية ، فهى نقلية من جهة ورودها على لسان الشرع ، وعقلية من جهة دلالتها ، بل هى أسمى مايمكن أن يصل إليه العقل فى الاستدلال ، ولهذا يجىء كثيراً بعد سوق هذه الدلائل فى القرآن أن تختم الآية بما يفيد أنها نزلت لقوم يعقلون ويتفكرون ويعلمون ويسمعون .

وكيف لا تكون أدلة القرآن عقلية ، وهو إنما نزل يخاطب العقل ويدعوه إلى البحث والنظر ويفتح أمامه آفاق التفكير واسعة ، ويطالبه بأن لا يؤمن بشىء إلا إذا قام

عليه البرهان وأثبته العلم الصحيح ، ويحذره دائماً من الجرى وراء الهوى والظن والإنسياق وراء التقليد الأعمى بلا مناقشة ولا تفكير .

خامساً ـ وهناك فرية أخرى تلوكها ألسنة هؤلاء المنهوكين المخذولين يجب التنبه لها ، فقد خدعوا بها كثيراً من السذج ، وهى قولهم (أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) .

وهذه العبارة تنادى على نفسها بما تنطوى عليه قلوب هؤلاء المغرورين بما عندهم من قشور فارغة من إزراء بمقادير السلف وتجهيلهم وأنهم لم يبلغوا من العلم والتحقيق مبلغ هؤلاء المتأخرين المتحذلقين . وقد يشتد بك العجب إذا علمت أنهم إنما يعنون بالسلف خير قرون هذه الأمة وأكملها علماً وإيماناً من الصحابة والتابعين ومن جرى على نهجهم من أئمة الهدى الذين جانبوا البدع ووقفوا عند الكتاب والسنة دون تزيد أو تقصير فلم يخوضوا كما خاض هؤلاء فى جدل عقيم وتخرصات كاذبة ولم يقولوا على الله مالا يعلمون .

وكيف يجوز فى عقل عاقل أن هؤلاء الكرام الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، يكونون أقل علماً وحكمة من هؤلاء المخالفين للكتاب المختلفين فيه . فمن تلوثت عقولهم بالفلسفات الدخيلة والأفكار العفنة التى نقلت إليهم عن المجوس والنصارى وعبدة الأوثان وصابئة حران .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند تعرضه لرد هذه الفرية فى عقيدته الحموية :

« إن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ) وأن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات . فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر . وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف .

سادساً ـ مما تقدم يعلم أن المنهج الذى سنلتزمه فى هذا البحث هو ماجرى عايه السلف رضى الله عنهم من الإيمان بكل ما ورد به الكتاب والسنة فى باب الصفات وغيرها من غير لجوء إلى تأويل متكلف يخرج اللفظ من معناه ويحرف الكلم عن مواضعه ، من غير موجب لذلك من قرينة ونحوها .

وأما مايدعيه كثير من المتكلمين المعطلة من قرائن عقلية توجب تلك التأويلات : فغير مسلم لهم ، بل العقل الصريح الخالى من الهوى والتقليد لابد أن يكون موافقاً لما دلت عليه النصوص ، فشعارنا إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل . والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

(يتبع)

خطبة منـــــبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبـــة الأولى

الحمد لله الغفور الرحيم ، الودود الكريم ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، نحمده سبحانه أن هدانا الإسلام ، ووفقنا لاتباع الهدى ودين الحق الذي أرسل به رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحبب إلى نفوسنا الإيمان ، وَكَرَّهَ إلينا الكفر والفسوق والعصيان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شرع لنا من الدين مافيه فلاح الدنيا والآخرة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة . وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فجزاه الله خير مايجزى نبياً عن أمته ، اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول الأمين ، وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول ، وهو أصدق القائلين : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين ، فمن تطوّعَ خيراً فهو خيرٌ له ، وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآنُ هدًى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ، ولعلكم تشكرون . وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون . أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن

باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) .

أيها المسلمون : إن الصوم شعيرة من أعظم شعائر الإسلام ، وفريضة من آكد الفرائض الدالة على الإيمان ، ولذلك يقول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) فخاطبهم بصفة الإيمان ، وقدفرضه الله فى وسط الإسلام فى العام الثانى من الهجرة ، بعد ما توطنت النفوس بالتوحيد والصلاة ، وألفت أوامر القرآن ، وذاقت حلاوة الإيمان ، فإن من أشق الأمور وأصعبها على النفوس فطمها عن رغباتها ومألوفاتها ، وشهواتها ، وكان ذلك هو المقصود من الصوم .

فبالصوم يربى الله المسلم على الصبر ، وقوة الإرادة ، وضبط النفس ، والثبات عند الشدائد وَيَعُدُّه به لطلب مافيه سعادته ونعيمه ، وقبول ماتزكو به نفسه فى الحياة بكسر حدتها وسورتها بالجوع والظمأ ، وبالصوم تضيق مجارى الشيطان فى العبد ، وتحبس قوى الأعضاء من استرسالها مع شهوات الغرائز ، مما يضرها فى معاشها ومعادها ، وليكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فالصوم لجام المتقين ، وجُنة المؤمنين ، ورياضة الأبرار والمقربين .

وقد خص الله سبحانه وتعالى الصوم من بين العبادات بأنه له ، فقال سبحانه فى الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » فالصوم سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه ، فمن ذا الذى يعلم صدق صوم الصائم غيره سبحانه ؟ والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته ، وما تشتهى نفسه من أجل معبوده ، فهو أمر لا يطلع عليه بشر ، وذلك حقيقة الصوم ، وسر التقوى ، ولذلك يقول الله (لعلكم تتقون) .

وفوائد الصوم حقيقة مؤكدة تشهد بها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، فى سلامة الأبدان ، وحفظ الجوارح ، فالصوم أشبه بعملية تطهير الترع والمصارف والقنوات كل سنة

مرة ، تُنَقِّى من النباتات والحشائش والطمى والقاذورات التى نبتت وتراكمت طول العام ، وبالصوم كذلك يُنَقَّى الجسم فى شهر من كل سنة مما تراكمت فيه من الفضلات والأملاح والسكر وغيرها ، والطب يشهد بذلك ويقرره ولا ينكره ، أما علاجه لأمراض القلوب والنفوس ، فذلك ما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصوم جُنَّة » أى وقاية ، وبقوله : إنه وِجاء للشهوات والرغبات .

والصائم أيها المسلمون فى عبادة مع ربه ، ويجب أن يكون ذاكراً له فى غاية الخشوع والأدب ، وسمو النفس ، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق ، فلا تمتد عينه إلى ماحرم الله ، ولا يده إلا إلى مايحب الله ، ولا تسعى قدماه إلا فى مرضاة الله ، ولا ينطق لسانه إلا بالخير ، من أمر بمعروف أو نهى عن منكر فى رفق ولين ، لا يغضب ، ولا يفحش ولا يشتم ، ولا يسب ولا يلعن ، ويقابل جهالة الناس وأذاهم بصدر واسع ، وخلق رضى ، ونصيحة خالصة لوجه الله ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ويقول : « فإذا سابّه أحد أو شتمه ، فليقل إنى صائم ، إنى صائم » وليس مقصود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس : إنى صائم ، إنما غرضه وقصده أن يقول لنفسه ذلك ، فلا يقابل العدوان والسفه بمثله ، بل يدفع بالتى هى أحسن ، ويقابل السيئة بالحسنة ، ويكون بفعله وقوله وسلوكه قدوة حسنة ، ومثالا يشار إليه فى الأدب ومكارم الأخلاق .

أيها المسلمون : لقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يخص رمضان من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور ، فيكثر فيه من تلاوة القرآن ، والصلاة والذكر والاعتكاف ، وكان عليه الصلاة والسلام من أجود الناس وأكرمهم ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فيكون فيه أجود بالخير من الريح المرسلة ، ليكون لنا فيه القدوة والأسوة الحسنة ، إن من حولنا كثيراً من الأقارب والجيران والإخوان ، فى حاجة إلى العطف والإحسان ، فلنمد إليهم أيدينا بالعون مهما كان ضئيلا قليلا : لا يستصغرن أحد منكم مايتصدق به على أخيه مماأفاء الله عليه مما قل منه أو كثر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتق النار ولو بشق

تمرة » فليس الكرم عن ظهر غنى ، ولكن مما يكون بيدك ، فحاربوا فى هذا الشهر المبارك شح الأنفس ، وعودوها على البذل والسخاء ، كونوا مع الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ولقد فُضِّلَ هذا الشهر على سائر الشهور بنزول القرآن الكريم فيه ، وهذا ميزته وفضله ، فاجعلوا تلاوة القرآن وتدبّره وفهمه شغلكم الشاغل فى هذا الشهر ، ولا تضيعوا لحظة من لحظاته فى لهو ولا باطل ولا زور ، بل اجعلوها فى مدارسة القرآن ، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فى رمضان .

اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد فى اتباع هدى رسولك المصطفى فى الصوم وغيره حتى نلقاك وأنت عنا راض ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ذى العرش المجيد ، الفعّال لما يريد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ولا ند ولا نظير ولا معين ، ولا ظهير له وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : فيأيها المسلمون ـ لقد فرض صوم رمضان أداء على وجه التخيير بينه وبين أن يُطعم عن كل يوم مسكيناً . ثم نُقل من ذلك التخيير إلى تحتيم الصوم ، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة ، إذا لم يطيقا الصيام ـ فيفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً ، ورخص للمريض والمسافر والحامل ، والمرضع إذا خيف على النفس ـ أن يفطروا ويقضوا ، وأما إذا خافت الحامل والمرضع على ولديهما ـ زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم ، لأن فطرها لم يكن لخوف مرض ، وإنما كان مع الصحة ، فجبر بإطعام المسكين . يفهم ذلك من سياق الآيات التى تلوناها عليكم ، ومن الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتب الصحيحة .

ومن سننه صلى الله عليه وسلم، أن لا يدخل فى صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو شهادة، وكان يكتفى بشهادة واحد، بشرط أن يكون الشاهد مسلماً، فإن لم تكن شهادة ورؤية، أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان لا يخرج من رمضان إلا بشهادة شاهدين، فإن لم يكونا أكمل الصوم ثلاثين يوماً، وكان يعجل الفطر ويؤخر السحور إلى آخر وقته، وكان يحض على الفطر بالتمر، فإن لم يجد فالماء، وكان يقول عند فطره: « اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم» ولم تحدد السنة مسافة السفر التى يباح بها الفطر فى رمضان، وإنما حددها فعل أصحابه رضوان الله عليهم، فإنهم كانوا يفطرون ويقصرون الصلاة ومعالم المدينة ظاهرة، بل توجد الآثار الصريحة، أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا أنشأ أحدهم سفراً فى أثناء يوم من رمضان، كما جاء فى آثار أخرى أنهم رضوان الله عليهم كانوا يسافرون فيفطر بعضهم ويصوم بعضهم، ولا يعيب أحدهم على الآخر، وقد رُوى فى الصحيحين أن حمزة بن عمرو الأسلمى قال للنبى صلى الله عليه وسلم، أأصوم فى السفر؟، وكان كثير الصيام ـ فقال: « إن شئتَ فصم، وإن شئتَ فأفطر » ورُوى أيضاً عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر، فنزلنا منزلاً فى يوم حار، فسقط الصوامون وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ذهب المفطرون اليوم بالأجر ».

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الذى يفطر به الصائم: الأكل والشرب والجماع والقيء والحجامة، أما من أكل أو شرب ناسياً، فإنه يظل صائماً ولا يقضى، لقوله صلى الله عليه وسلم « من نسىَ وهو صائم، فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه ». وثبت أنه عليه الصلاة والسلام، كان يكتحل ويستاك ويصب على رأسه الماء، ويمس الطيب وهو صائم، ولا نعلم من أين أخذ القائلون بأن التداوى بالقطرة أو الحقن من المفطرات، ولو أخذ المسلمون دينهم من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، لمَا وجدوا فيهما إلا كل يسر، ولما وضعوا فى أعناقهم الآصار والأغلال.

أيها المسلمون : أتدرون ماذا قال الله تعالى بين آيات الصوم (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) . إنه يوجه الصائمين إلى إخلاص الدين كله لله رب العالمين ، وأنه قريب مجيب لمن أخلص الدعاء له وحده ، فإن الصائم أكثر الناس ذكراً لربه ، وأولاهم للاستجابة له ، ولا ينبغى له أن يجعل فى قلبه شريكا لله من الموتى والأحياء ، يعظمه ويرجوه ويخاف منه ، بل يجب عليه أن يكون خالصاً لله رب العالمين فى دعائه وعبادته واستغاثته وسؤاله ، فإذا تحقق بذلك وأشربه قلبه فى رمضان ، خرج منه مؤمناً صادق الإيمان ، موحداً لربه ، عارفاً قدره ، معظماً له ، شاكراً لأنعمه ، عارفاً لرسوله صلى الله عليه وسلم فضله ومنزلته ، موقراً له متبعاً لهديه وسنته .

اللهم إنا نسألك بفضلك ورحمتك أن تحقق لنا ولإخواننا المسلمين ذلك .

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم الإكثار من الصوم تطوعاً ، ويرغب فيه ، ويحض عليه ، فقال : « من صام يوماً فى سبيل الله ، بعَّد اللهُ وجهه من النار سبعين خريفاً » وكان يتحرى صوم يومى الإثنين والخميس ، ويوم عرفة ويوم عاشوراء ، وثلاثة الأيام البيض من كل شهر ، أى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وكان ينهى عن إفراد صوم يوم الجمعة ويومى الفطر والنحر ، وما أتم صوم شهر قط غير رمضان .

اللهم إنا نسألك ضارعين إليك ، أن توفقنا لاتباع هدى رسولك الكريم ، وأن تتقبل بفضلك وجودك وواسع رحمتك ، صيامنا وقيامنا وسائر أعمالنا ، يانعم المسئول ، يانعم المجيب (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

٢٩

الصـــوم

بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

الصوم : كف البدن عن شهواته ، وحبسه عن ضرورياته وملذاته ، لترويضه على الاحتمال والخضوع لسلطان العقل ، ولتمرين العقل على كبح جماح غرائز الجسد ، ودفعه إلى الجهاد معه فى سبيل الله .

فكما أن الترف يفسد النفس ، ويحطم عزيمتها ويعودها اتباع هواها . فإن الصوم يعلمها كيف تصبر على ما تكره وعما تحب ، ويعودها الرضوخ لنهاها . فيطلقها من قيود العادات ويحررها من رق الشهوات ، ويوطنها على احتمال الصدمات والصعوبات . وذلك : لأن الصائم ـ الذى استمر شهراً كاملا يراقب ربه ويتقيه ، فظل يحرص على طاعة أوامره واجتناب نواهيه ، ويحبس كل جوارحه عن الحرام وعما يشتهيه ـ : تعود الصبر ، فاستطاع أن يقهر هواه ويقاوم كل ما يغريه ، وقويت إرادته فاستطاع أن يصبر عما يغضب الله وعلى ما يرضيه . فلا يربى الإرادة ويقوى ملكة الصبر والجلد . كتدريب النفس على ترك ماأحبته ومخالفة ما ألفته ، وهجر ما تتوق إليه وهو فى مقدورها .

والصبر : أكبر عون على احتمال المشاق والصعاب فى معارك الحياة . فلا يقوى على الكفاح فى الحياة ويغالب الأيام ، ويقتحم العقبات إلا صابر . ولا يثابر على تحصيل العلوم إلا صابر . ولا يحسن عمله ويتقن فنه إلا صابر . ولا يعبد الله حق العبادة ويتقيه إلا صابر . ولذا أشار تعالى إلى حكمة الصيام والسبب الداعى إليه بقوله (لعلكم تتقون) .

فالصوم : وقاية من الشرور والآثام ، بما يضفيه على المرء من قوة فى الإرادة وصبر عن الحرام . ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة » وأشار به على الشباب

الذين لا يملكون نفقة الزواج ، ولا يستطيعون إليه سبيلا ليتعففوا حتى يغنيهم الله من فضله ، فقال « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أحصن للفرج وأغض للبصر . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وفى الصوم : تذكير بالمحن وتقدير للنعم . إذ لا يقدر نعمة الشبع كمن أحس بألم الجوع . ولا يعرف معنى الحرمان إلا من حرم ما يشتهيه وما يحتاج إليه . ومن المحال أن يقدّر المرء آلام غيره إلا إذا قاسى مايقاسيه ، فمن تصور الشيء منعكساً على مرآة مخيلته ليس كمن شعر به فانطبع على صفحات ذاكرته .

ولذا : كان الصوم اختباراً وتجربة لبعض ما يعانى الفقير من حرمان . وشعوراً بمثل مايشعر به الجائع من ألم ، فيدفعه هذا الشعور إلى الرحمة والعطف على الفقراء والمحرومين : وإلى تقدير ماهو فيه من رخاء وآلاء ، وينبهه إلى ما لم يكن يفطن إليه من نعم ، لأن استمرار التنعم قد ينسى المرء قدر النعم .

ومن هنا : نفهم الحكمة فى قوله تعالى بعد ماأمر بالصوم (لعلكم تتقون) لأن الصوم يدفع المؤمن إلى التقدير والشكر كما يعوده الصبر ، ولايتقى الله ويتعظ بآياته كصبار شكور ، كما بين تعالى بقوله (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

والصوم : عبادة تبطلها المعصية ككل العبادات . ولذلك كان من أهم شروط قبول الصوم والإثابة عليه ، كفُّ اللسان ، وغضُّ البصر ، وحفظُ كل جارحة مما حرم الله . وكل صوم لم يردع صاحبه عن المعاصى حبط أجره ، وضاع نفعه كما ضاع تعبه . فليس كل من جاع وعطش وزعم الصوم صام .

فهل صام من حبس نفسه عن الطعام ، ولم يحبسها من اقتراف الآثام ؟ .

هل صام من أطلق عينه ترتع وسلط لسانه يلسع ، ولم يكفهما عن الحرام ؟ .

هل صامت من تجملت وتعطرت وتسكعت فى الطرقات ، وهامت كالهوام ؟ ؟ .

هل صام من أسقم جسده وأبعد عن الله قلبه لإفراطه فى التمتع بالطعام ؟ ؟ .

فما أكثر من يجوع وما أقل من يصوم ، ويحظى بفوائد الصيام ، وما أصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش »

وما أجمل قول الشاعر :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون وفى بصرى غضٌ وفى منطقى صمتُ
فحظى من صومى هو الجوع والظما وإن قلت إنى صمت يوماً فما صمتُ

نعم ، فكم من زاعم للصيام يقضى يومه بالسخط والغضب ، و ينطلق لسانه بالبذاءة والسب والشتم ، و يتخذ من الصيام عذراً يشفع له و يبرر سوء خلقه ، كأن الصيام يدعو إلى الفظاظة وضيق الصدر ، مع أن أهم غرض منه هو التعود على الحلم والصبر .

وكم من زاعم للصيام ، لأنه كف عن الطعام بطنه ، ولكنه لم يكف عن أخبث الآثام لسانه ولا عينه ، إذ لا يتورع عن انتهاك الأعراض والاغتياب ، ولا يستحى من أن يلتهم بناظريه بدن كل امرأة ، ثم لا يزال يكرر بلسانه : اللهم إنى صائم ، وهو قد أفطر على لحم الغيد الحسان ، وأكل لحم أخيه ميتاً ، وليته أفطر على لحم الطير والأنعام .

وكم من زاعمة للصيام ، لأنها حبست جسدها عن الطعام ، ولكنها أطلقته فتنة للناظرين وسلطته مهلكة للصائمين ، ثم تظن بعد ذلك أنها صامت ، وهى قد أفطرت ، بل وفطّرت إذ أشبعت بلحمها عيون الجائعين ، فظلمت نفسها وظلمت من رآها من الشرهين .

وكم من زاعم للصيام ، يقضى نصف نهاره نائماً ، ونصفه الآخر غافلا عمن يصوم له منكباً على اللهو واللعب والثرثرة ليقتل ساعات يومه ، فيقتل ثمرات صومه ، ولينسى الجوع والعطش ينسى ربه ، وينسى صومه ، مع أنه ماأمر بالصوم إلا ليشعر بالجوع والعطش فيذكر الصبر عليهما بمن يصوم له فيحظى بأجر الصائمين الصابرين ، إذ كيف يفوز بأجر الصوم من لم يشعر بالصوم ؟

فمن المحال أن تصح عبادة الله مع الغفلة عن الله أو مع المعصية لله .

وليس الصوم جوعاً وعطشاً وتعبداً بالجسد وحده من دون القلب ، لأن الجسد من غير القلب جثة لا تعى ماتعمل وما تقول . و « إنما الأعمال بالنيات » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالقلب هو الذى ينعقد على النية الصالحة ، وهو الذى يعبد الله و يستعمل البدن فى عبادته ، فلا صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا عبادة بلا حضور القلب مع الله وتقواه ، وفى

الحديث « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » .

وكم من شره أكول يزعم الصيام ، وهو يقضى نهاره فيما يرضى بطنه لافيما يرضى ربه ، إذ كلما أحس بألم الجوع ثارت شراهته ، فانطلق بخياله يبحث عما يمتعها، وظل يسبح فى بحار القدور ، ويجوب فى عالم الطعام لينتقى لها مايرضيها . حتى إذا عاد من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة سعى إلى تحقيق حلمه فأشرف بنفسه على إعداد وليمة لشراهته الجامحة . ثم رصف على المائدة ماتفنن فى طهوه من حلو وملح ، وجلس ينظر إليه فى شغف وشوق ، وهو يعد الدقائق ولعابه يسيل . وما إن سمع مدفع الإفطار حتى انقض على الطعام انقضاض النسر على فريسته ، ولم يعرف أنه شبع ، إلا بالطعام وقف فى حلقه ، إذ لم يجد له مكاناً فى معدته ، ثم زحف إلى أقرب مقعد فارتمى عليه وهو يلهث ويتصبب عرقاً ، وغلبه الدوار والنعاس كالأفعى بعد ما تبتلع فريستها . فلم يستطع أن يتحرك أو يتكلم لشدة مايقاسى من ضيق واختناق .

وهكذا يتكرر كل يوم هذا العذاب بعد هذه اللذة القصيرة حتى تكل معدته وتضرب عن العمل ، فيجنى ثمرة هذا الإسراف فى الأكل والشرب : المرض والألم ، عقاباً على معصية الشراهة التى نهى الله تعالى عنها بقوله (كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » لأن البطن ينبوع الشهوات ومصدرُ العاهات والآفات ، فلا شىء أفسد للصحة وأجلب للمرض من الإسراف فى الطعام والشراب ، والانقياد لشهوة البطن . ولا عدو للمرء ألدّ وأعظم شراً من بطنه إذا سيطرت عليه وغلبته على أمره .

وما أمرنا تعالى بالصوم إلا ليعودنا القناعة والصبر . وكما أمرنا بالصوم نهانا عن الإسراف فى الأكل والشرب ، فكيف نأتمر بما أمر به ولا ننتهى عما نهى عنه ، ونقرن الطاعة بمعصية ، فنحبط الحسنة بسيئة ؟ .

وقد هدد تعالى الذين يأتمرون ببعض آيات الكتاب ، ويعصون بعضها ، ووصف المطيعين لأوامره بالإيمان ، والعاصين لها بالكفر فى قوله :

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ فى الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون) .

ومن أدل الأدلة على غربة الإسلام ، وجهل الناس به و بعدهم عنه : أن أكثر الذين يزعمون الإسلام يتخذون رمضان موسماً للمآكل والمشارب ، بل وموسماً للهو واللغو والسهر والطرب والمجون . فيقيمون الحفلات الساهرة الراقصة ، و يحيون لياليه باستماع المغانى المبتذلة ورؤية الرقص الخليع ولغو الحديث والثرثرة ، و يقيمون الولائم فتصخبُ المطابخُ وتتأججُ المواقد وتزدحم الموائد . وهكذا يجعلون من شهر الصوم شهر الأكل والتمتع بالإسراف فى الأكل . ومن شهر العبادة والورع ، شهر مرح وقصفٍ وطربٍ . ومن شهر الصبر والطاعة والقناعة ، شهرَ لذة وتبذير وشراهة ، وذلك لأن الجشعَ الذى تعود الانغماس فى اللذة فلم يعرف الصبر والحرمان ، تثور شراهته كلما حبست نهاراً ، فتنطلق ليلا من قيود الصوم والحرمان إلى التمادى فيما يمتعها ، وكلما شعرت بالضغط انفجرت وفجرت ، فدفعها ماقاست من جوع إلى الإفراط فى الأكل وما قاست من ألم الحرمان إلى الإفراط فى اللذة واللهو ، فالشره يعكس بإسرافه غرض الصيام فيقلب النفع ضرراً والأجر وزراً ، ولن يجنى ثمرةَ الصوم فى الدارين إلا من عرف كيف يصوم ، ولمن يصوم ولماذا هو يصوم .

فما الصوم إلا جهاد يعبر عن رضوخ العبد لربه واحترام أمره ، ومدى صبره فى سبيل طاعته ورضاه .

فكيف يكون صبر مع إسراف ، واحترام مع استخفاف ؟

وكيف تكون طاعة مع عصيان ، وعبادة مع لهو ونسيان ؟ ؟ .

والخلاصة : أنه ينبغى لنا أن نحفظ صيامنا ونتقى مايبطله . ويضيع صبرنا وتعبنا سدى . وذلك بأن نصوم بألسنتنا ، وآذاننا وأعيننا عن الحرام ، لا ببطننا فقط عن الطعام ، وأن نذكر الله كثيراً ونؤدّى كلَّ ما فرضه علينا من عبادة ، وأن نراعى الاعتدال فى طعامنا وشرابنا ، ولانطيع أمر شهيتنا الجائعة الثائرة وماتغرينا به لننجو من الأمراض ، ومن عصيان أمر الحكيم العليم بمصلحتنا فى قوله (وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ، إنه لايحب المسرفين) .

حول تحضير الأرواح

للأستاذ محمد سليمان عثمان

انعقدت ندوة بدار لواء الإسلام ، وقد ضمت لفيفاً من جلة العلماء وقادة الرأى والفكر فى نظر بعض الناس ، ودار الحديث حول تحضير الأرواح على النحو الذى يدعيه ، محتضنوا هذه الفكرة فى مصر وغيرها من البلاد الأوربية لعصرنا الحاضر . . . وكان من بين الحاضرين الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير زعيم من ينتحلون هذه الفكرة فى مصر ، فأدلى فى الموضوع برأيه المعروف بما نعهد من ثرثرته فيما يكتب ، وما سمعناه فى محاضراته العديدة . .

وأدلى كل من الحاضرين بما فتح عليه فى ذلك .

وليس العجب من أمر أبى الخير وأمثاله الذين خلطوا فى أقوالهم وآرائهم ، فهم غرباء عن كل مايتصل بكتاب الله ، وما جاءت به الدلائل الصحيحة من سنة رسول الله ، فلذلك اضطربت موازين الأدلة فى أيديهم ، وعدموا الفرقان الذى يميز بين الحق والباطل ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ولكن العجب من أمثال الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبى زهرة الذى نعرف من سعة اطلاعه فى علوم القرآن ، ودرايته بأقوال علماء الأمة ، كيف جانبه الصواب فى هذا الموقف .

وكيف يجامل الأستاذ الكبير ويحابى فى الحق مهما كانت صداقة هذا الشخص المخالف ، ومهما كان مقداره وشأنه فى دنيا الناس ؟ . . أين ذهبت تلك الصولة والقوة التى عهدناها فى مواقفك الكثيرة ؟ ؟ . ماعهدناك خواراً ولا رعديداً ، بل صُلباً قوياً فى الحق لا تأخذك لومة لائم ، ولك فى ذلك مواقف مشهورة ، وجهود مشكورة ، أعرفها ويعرفها الكثيرون من الناس . . ثم ماذا حدث ؟ ماهذا التغير المفاجىء ؟ .

لقد كنتُ حريصاً على أن أعرف فيصل التفرقة فى المسألة من حديثك ، ولكن حين قرأت عبارتك فى الندوة ، أنكرت عينىّ وطفقت أردد البصر مرة بعد مرة ،

وأسائل نفسى : هل أنا أمام تلك العبارات المشرقة ، والبراهين النيرة ، التى عودنا إياها الرجل فى كتاباته وأحاديثه . . أهذه هى عبارة الرجل الذى وقف وقفته المشهورة فى مؤتمر لاهور وثار ثورته العاتية فى وجوه أعداء الإسلام ورد كيدهم فى نحورهم ؟ . أم هى عبارات تناولتها الأيدى بالاختصار والمسخ ؟ .

عفا الله عنك ، فإنه ليس أمضّ فى نفس المؤمن ولا أنكى بفؤاده من زلة الحكيم فى زمن قلت فيه الحكماء ، وضلت فيه الآراء .

تقول : إن الأستاذ أبا الخير عالم ثقة فى علمه ! !

إنه يقول[1] بتناسخ الأرواح . . إنه يكذب بعذاب القبر على النحو الذى تواترت به الأخبار من سنة رسول الله وتلقته الأمة بالقبول . . إنه يرى الأرواح كوائن مهملة فى عالم الأثير ، إنها كالدمية فى يديه يطلقها ويقبضها متى شاء ! ! ' . أو كحيوانات « السيرك » يستدعيها الإنسان بشىء من المعالجة والترويض ! ! .

وتقول : إنك تنظر ما تسفر عنه تجاربهم ، حتى إذا ما أسفرت تلك التجارب

---

(١) اقرأ ما كتبه الأستاذ أبو الخير فى العدد ١٣٦ من مجلة عالم الروح تحت عنوان المس الروحى ، فإنه يقول عن المس الروحى : إنه غزو روح ضال أو مشاغب هالة إنسان ، أى حلوله فى مجموعة الاهتزازات الأثيرية التى تعلو الرأس – إلى أن قال هذه الشخصيات الماسة غير المتطورة تكون أرواحاً ضالة وقد تكون أرواحاً لم تشعر بعد بانتقالها إلى عالم الروح ، « تأمل » فلتطبق بعالم المادة عن طريق تخفيض اهتزازاتها دون وعى منها وتسبب إيذاء ومرضا لسكانه ، ثم يقول والانتقال الفجائى إلى عالم الروح كما فى الحرب والحوادث العارضة من الوسائل الفعالة فى هذا الصدد لأن الموت يكون فجائياً ، فيجهل الكثيرون من القتلى حقيقة الحال ، وقد يظلون فى جهلهم هذا سادرين سنين إلى أن ينبههم سكان عالم الروح ممن سبقوهم « فتأمل هذا الكلام أهو كلام رجل يؤمن بما أخبر به القرآن وما جاءت به الأخبار عن رسول الله وما آمن به المؤمنون بحالة الروح فى البرزخ وعذابها ونعيمها »أم هو كلام رجل عابث يرى الأرواح مهملة هائمة فى عالم الأثير ؟

من حقائق تأولت ظواهر القرآن بما يتفق مع تلك الحقائق حسب القاعدة التى وضعها الغزالى وأمثاله ؟ . أو ماقرأت تلك القاعدة النفيسة التى وضعها شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه « العقل والنقل » فهدم بها تلك الصروح الكلامية على رؤوس الغزالى والرازى ، وأمثالهما ؟ . ثم من أين يستجلب أبو الخير والدكتور راضى وأضرابهما تجار بهم وعلومهم ؟ .

إنهم يستجلبونها من علوم غريبة عن علوم القرآن ، يستجلبونها من أمريكا بلد الإرساليات التبشيرية التى حشدت كل جهودها وقواها لهدم الإسلام ، والتى أغدقت من ثرائها على الملاحدة لإثارة الشكوك والشبهات ، وتوهين صلتنا بثقافتنا الإسلامية ، فأنشأوا من بيننا ذلك الجيل الرقيع المتحلل الذى لا يفكر إلاَّ بعقلية الغرب ،ولا يعرف قيم الأشياء إلاَّ بميزان الغرب . . ثم لاعجب من ذلك كله قول الأستاذ ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء لدراسة الروح ! ! . .

فإذا كان عالم الغيب والروح ، لا يؤخذ علمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فلنقف فيه عند الحد الذى أوقفنا عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأننا إذا تجاوزناه استهوتنا الشياطين ، وأوقعتنا فى الحيرة واللبس ، كما أوقعت هؤلاء . . فعمن نأخذ هذا العلم ؟ أعن روح المرشدة « سوزان » التى جنّ بها هؤلاء ؟ . أم عن ذلك الوسيط الذى بعث لإحضاره الأستاذ أبو الخير من أمريكا ؟ . . ألم يكن روح القدس هو الذى يؤيد رسول الله ﷺ وينفث فى روحه ؟ أليس رسول الله هو الذى رأى جبريل بالأفق المبين ، ورآه ليلة أسرى به عند سدرة المنتهى ثم أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى كشف لنا أحوال الدجالين من أمثال ابن صياد وغيره[1] من إخوان الشياطين الذين كانوا يتمتعون بتلك الوساطة الروحية الشيطانية ؟ ، وأحوالُ ابن صياد وغرائبه أعجب من أطوال هؤلاء . . فقد كان ابن صياد ينفخ حتى يملأ بعض طرق المدينة و يخبر ببعض الأمور الغائبة ، وكان يقول : إنه يأتيه صادق وكاذب ، وأنه يرى عرشاً على الماء . فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه

---

(١) قصة ابن صياد مذكورة فى صحيحى البخارى ومسلم .

واختبره وكشف حاله وأخبره أنه من الكهان إخوان الشياطين . . فماذا عساه ياترى كان يفعل أبو الخير وأشياعه لو وجدوا وسيطاً كابن صياد .

فماذا كان الأمر لو تبدى لأمثال هؤلاء البؤساء الذين لاحظ لهم من فقه ولا دين ، إذاً لجثوا على الركب وخروا له على الجباه سُجدًا ، وقالوا : سبحانك سبحانك ماأعظم شأنك ! كما انخدع هذا الأحمق بروح المرشدة أو الشيطانية « سوزان » .

ثم أليس القرآن الكريم قد حدد لنا مصير الأرواح بعد الموت بكلام صريح لم يدع مقالاً لقائل ، ولا تأويلاً لمتأول ؟

أليس ربنا جل وعز يقول : (٥٦ : ٨٣ ـ ٩٦ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون. فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم) ويقول (٦ : ٦١ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرّطون) ويقول (٤٠ : ٤٦ النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ويقول (٧١ : ٢٥ مما خطيئاتهم أغرقوا فأُدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) ويقول : (٦ : ٩٣ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق . وكنتم عن آياته تستكبرون) ويقول : (٨ : ٥٠ ، ٥١ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) إلى غير ذلك من الآيات ، فبماذا تؤول ظواهر هذه الآيات إذا أسفرت تجارب هؤلاء عن تلك الحقائق التى يدّعونها ؟ ولعمر الإله إذا تأولنا ظواهر هذه الآيات بما يتفق وأهواء هؤلاء لساغ لآخر ممن ينكرون البعث والنشور أن يؤول آيات البعث بما يتفق وهواه كما تأولتها زنادقة القرامطة والاسماعيلية من قبل .

والأستاذ أبو الخير وأشياعه يكذبون بالحق البين . ويقولون إن الأرواح مطلقة تسرح وتمرح كيف شاءت فى عالم الأثير . بل لقد بلغ بهم الهذيان أن قالوا إن فى عالم الروح مسارح ودورا للسينما ومعاهد للموسيقى ومعاهد وجامعات للتعليم يستكمل فيها الأرواح الجاهلة علومها وقد صرح بهذا الأستاذ أبو الخير فى أعداد من مجلة عالم الروح ولا زال يبدئه ويعيده فيما يكتب على نحو ما جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة . ويسميهم بلهاء المتدينين . . أفبعد هذا تثق بعلم الرجل وتنتظر ما يسفر عنه تجاربه لتؤول لها ظواهر القرآن ؟ . . فيأيها الشيخ الجليل ما أظن الا إنهم خدعوك بما يظهرونه من بهرج القول فإياك أن تفتن بهم . فإنهم أهون على الله من أن يكونوا على حظ من العلم ما داموا قد ولوا وجوههم شطر أمريكا منبت الصهيونية ، يستمدون منها معارفهم وعلومهم وليس عندهم إلا زخرف القول الذى تتنزل به شياطين الجن إليهم . . ليردوهم .. وليلبسوا عليهم دينهم . . أما أنت أيها الشيخ لا أزيدك على هذا القدر سوى حديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من جوامع حكمه ونصحه لأمته ، بأبى هو وأمى ، وهو منارنا إذا ادلهمت الفتن فى هذا الزمان ، والتبست الأمور ، وطوحت الأهواء بالناس ذات اليمين وذات الشمال وهو اخباره بما سيحدثه الناس من النظريات التى تعارض علم النبوة . . وهو قوله صلى الله عليه وسلم « سيخرج[1] قوم فى آخر الزمان هم دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الأحاديث لم تسمعوا بها أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يفتنونكم » . . .

وبعد فهذه مقدمة عابرة أتينا بها ههنا بين يدى بحث مستفيض فى هذا الموضوع ننشره فى الأعداد التالية إذا اتسع له صدر المجلة إن شاء الله . .

---

(١) رواه ابن وضاح فى كتاب البدع من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث جابر ابن سمرة والطبرانى من حديث النعمان بن بشير بألفاظ متقاربة.

مسجد ودار المركز العام

صرحت وزارة الشئون الاجتماعية للجماعة بجمع تبرعات لإنشاء دار ومسجد للمركز العام وقد سارع كثير من أعضاء الجماعة بتقديم تبرعات تبشر لمشروع الجماعة بالنجاح وسيقوم بنشر قيمة تبرعاتهم تباعاً بالمجلة إن شاء الله ، وترجو من جميع إخواننا أن يسارعوا للمساهمة معنا كل حسب استطاعته .

مجلة الهدي النبوى

إلى قرائى السادة بمصر الجديدة .

تطلب المجلة من الأخ الحاج عبد المعبود بلال مرجان بمسجد أنصار السنة المحمدية بمصر الجديدة بشارع بلبيس رقم ٥ .

ليلة النصف من شعبان

كتاب مجلة (الإسلام)

سننشر فى العدد القادم ـ إن شاء الله ـ مقالا للاستاذ محمد صالح سعدان بالعنوان المتقدم أرجأنا نشرها لضيق المقام .

ومن العدد القادم بمشيئة الله يتفضل الدكتور بنشر مقالاته الطبية التى تستهدف نشر الوعى الصحى بين القراء وسينشرها احتسابا لوجه الله كما سيحدد قريبا موعد محاضراته بدار الجماعة .

رجـــــل عظيم

للأديب سعد صادق محمد

كتب كثيرون من عارفى فضل فقيدنا الراحل فضيلة الشيخ (محمد حامد الفقى) ـ رحمه الله وغفر لنا وله ـ ومقدرى علمه ، وأفاضوا فيما كتبوا فأحجمت عن الكتابة أولا . ولكن شيئاً فى صدرى ، وشعوراً فى قلبى ألح علىّ للكتابة .

أجل . . كنت قد نويت أن لا أكتب ، ولكن لفقيدنا الكريم فى قلوبنا مكانة عزيزة غالية وله فى نفوسنا حباً عميق الجذور ، لقد بكينا كثيراً وحزناً طويلا وما زلنا نبكى ونحزن كلما عادت الذكريات وحنّ الشوق إليه .

ونحن لم نبك ولم نحزن لأن (حامداً) قد مات والموت نهاية كل حى (كل نفس ذائقة الموت) ولكننا بكينا العلم الغزير الذى دفن معه .. وبكينا تلك الطاقة الروحية العظيمة التى ذهبت معه إلى غير عودة .

لقد هزت الفجيعة فيه كياننا هزاً عنيفاً وأهلتنا المصيبة حتى إننا نسينا أنفسنا وكل ماحولنا فى ذلك اليوم ، واتجهنا إلى هذا الرائد الذى كان فينا نِعْمَ الأب والمعلم والمرشد . وقد تجلى ذلك من وقت أن حمله تلاميذه ومشى وراءه محبوه وأصدقاؤه من دار المركز العام حتى مثواه الأخير ... وتجلى ذلك فى أروع صورة ليعبر عن آيات المحبة والوفاء والاعزاز التى تحملها قلوب أنصار السنة لمربيهم وأستاذهم ، وتحملها أيضاً قلوب أصدقائه وإخوانه .

ولا عجب .. وفهمه الذى أرشد الآلاف من الناس إلى طريق الهداية ومعرفة الله تعالى من كتابه وسنة رسوله .

هو الذى علمهم الشرك من التوحيد والباطل من الحق .. كانت هناك أسراً شقية منشقة بما قلدت وضلت . وكان هناك مجتمعاً جاهلا مشركا بما ورث ودان . جاء هذا الرجل المربى فأرشد هؤلاء جميعاً إلى دين الهدى والاستقامة ، ورباهم التربية الإسلامية الصحيحة ، ودلهم

على منهج السلف الصالح ، فعرفوا الله ، وعرفوا رسوله ، وعمّر الله قلوبهم بأنوار العلم والتوحيد والإيمان .

لقد كنت أنا واحداً منهم .. كنت ضمن هؤلاء الجهلة .. كنت أقلد الناس فى كل شيء . . فى الدين وفى غيره . . اخترت مذهب (مالك) تقليداً لبعض رفقائى فى السوء والجاهلية .. وحتى هذا المذهب لم أكن أعمل به ، لأنى كنت أجهله تماماً ، وكنت أيضاً (مريداً) فى الصوفية . تعرفت بأحد رجال الطرق الصوفية ، ولأسَم فى الجهل والسذاجة ، واستطاع بما قال لى ورغبنى فيه أن يضمنى إلى طريقته التى اتخذتها ، وهذا المذهب ديناً لى دون دراسة ولا بحث .. كنت بهذا التقليد الأعمى شقياً معذباً ، وجسداً بلا روح ، ولا معنى ولاقلب ، كغيرى من الجهلة المقلدين .

ولكن الله سبحانه (وله الحمد وحده) أنقذنى من فساد هذه الطريقة ومن التقليد المذهبى حين قيّض لى من عرفنى بدعوة إمامنا الراحل فاندمجت مع إخوانى (أنصار السنة المحمدية) وعشت معهم وعرفت طريق الحق ودعوة التوحيد وسبيل الهداية وشعرت أننى ولدت من جديد (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

لم أتأثر فى حياتى بشيخ ولا واعظ بقدر ما تأثرت بإمامنا الجليل ، وخاصة عند ما كان يتكلم فى التوحيد وفى فساد المجتمع وجهله وضلاله . . كنت أتأثر بهذا عند مايتكلم ويتعمق ويمضى فيه فى قوة وعذوبة وحرارة .. كان هذا الكلام يهز وجدانى ومشاعرى ، وينقلنى إلى عالم آخر . عالم المعانى والإنسانية ، والإيمان .

نعم ولا عجب . .. أنه الرجل العظيم الذى جاء به الزمان والذى جاهد فى الله حق الجهاد لتكون كلمة التوحيد على كل إنسان ، ودعوة الحق والهدى مهيمنة على كل قلب ، عاملا بها وداعياً إليها كل مسلم .

لقد سعى أستاذنا الكريم لإحياء سنة سلفنا الصالح وبذل المال والجهد والوقت فى سبيل تبصرة الناس ، ليعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ويخرجوا من ظلمات الجاهلية إلى أنوار العلم والمعرفة حتى يصلح حالهم ويستقيم أمرهم .

جاهد وكافح ودعى الناس بكل مايملك ليفهموا الإسلام صافياً نقياً ولينطلقوا من أسوار الوثنية الجائرة والشرك القبيح إلى حرية التوحيد الخالص .

عاهد الله وأخذ على عاتقه تعليم المسلمين حتى يعرفوا دينهم الحق من منبعيه الصافيين (القرآن والسنة) لامن التقاليد العمياء والخرافات الموروثة التى عاشوا فيها وشقوا بسببها وماتوا عليها .

انه الرجل الذى أمدّ مكتبة (التوحيد) بعشرات الكتب والمؤلفات التى أصدرها بتعليقاته وتحقيقاته لينشر آراء الأئمة من السلف الصالح وغيرهم ممن هداهم الله ليستفيد بها عشاق التوحيد وطلاب الحق والهدى والمعرفة .

أفنى عمره للدفاع عن السنة وتخليصها من بدع المضللين . ووقف أيامه لخدمة عقائد الإسلام الصحيحة وتنقيتها من أفك المزورين حتى يَخْرُجَ ملايين المسلمين من ضيق الضلالات ، والأباطيل إلى رحبة الحق والهدى الواسعة .

أتعب نفسه وأجهدها ليعود الناس إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .. أيام أن نادى بتوحيد الله الخالق ، ونبذ الآلهة المخلوقين ، وترك المعتقدات الباطلة .. أيام أن كان الإسلام يضيء قلوب المسلمين بنور التوحيد ويغمرهم بالإيمان والهدى والتقوى .

وهب حياته وأفناها ليرجع بالناس إلى عهود الصدر الأول من المسلمين الذين أطاعوا الله وأطاعوا رسوله ، واستقاموا على الشريعة فمكن الله لهم فى الأرض وأخضع لهم الجبابرة والطغاة .

فعل الفقيد العزيز كل ذلك في وقت كان فيه أمثاله يخشون التحدث فى عقيدة التوحيد ويخافون إظهار الحق مجاراة العامة الذين أعماهم التعصب المزمن وخوفاً على مراكزهم وإبقاء على هيبتهم أمام الناس الذين يحرصون على إحياء التقاليد والدفاع عن الخرافات ، والذين يجلون من يمشى فى ركابهم ، ولذلك كان الفقيد العزيز مكروهاً منهم مبغوضاً عندهم .

رحمك الله ياشيخ حامد ... لقد تركت فينا برحيلك (الطويل جداً) فراغاً كبيراً نحن أعجز عن أن نسده وأضعف من أن نملأه لقد رحلت وتركت لنا مكاناً عظيماً ينتظر من

يملؤه ... ومن يملؤه ؟ .... عوضنا الله فيك خيراً ...

رحمك الله ، ياأستاذنا الجليل ... لقد ذهبت وتركت لنا مواعظ ودرراً مسجلة وعلماً وتوحيداً مدوناً ، وذكريات طيبة تفوح بالعطر وتأتى بالأريج مادمنا أحياء نرزق . . . نسأل الله أن ينفعنا بما ترك .

رحمك الله ، يارائد التوحيـد . . . إننا كلما تذكرناك .. كلما تذكرنا علمك وفقهك وجهادك تعود إلينا الأحزان ، ويتجدد الألم وتسيل الدموع .

يارائد التوحيد ... نم قرير العين مطمئن النفس ، فنحن على عهد الله . سنبذل المال والوقت والجهد فى سبيل توصيل الدعوة إلى كل مسلم فى العالم ... سنواصل الجهاد من بعدك . وسنسير بقافلة الحق والتوحيد رغم أنف دعاة الوثنية والضلال وصانعى الدجل والخرافات ، ورغم أنف الحاقدين والمفرقين الموتورين .

سنعمل من بعدك متضامنين متحابين فى سبيل الله حتى تنتهى دولة الشرك والمستحدثات وتُهزَم جيوش الجاهلية والخرافات وتهدم الأوثان والطواغيت وتنتصر دعوة الحق والهدى وترتفع راية التوحيد فى كل مكان .

رحمك الله يا حامداً وغفر لك . ورزقنا نحن جميل الصبر والسلوان وقوة الإيمان .

اللهم اجعلنـا و إياه من أهل جنتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين موافاتها باشتراكهم التى انتهت مدتها ، وترسل باسم السيد مدير المجلة ، كما ترجو من السادة المتعهدين موافاتها بإرسال مابعهدتهم ولهم جميعا الشكر . م؟

رئيسنا الراحل رحمه الله

منهجه كداعية

لا تَعْرِفُ قيمة الشيء إلا إذا فقدتَه ؛ فلا تَعْرفُ قيمة النور إلا إذا بدرته غياهب الظلام ، ولا تحس نفع الماء إلا إذا أضناك الأوام ، ولا تدرك لذة الصحة إلا إذا شفك السقام وهكذا بضدها تمايز الأشياء وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر .

وها نحن اليوم فقدنا إماماً من أئمة الحق ، وداعياً من دعاة الهدى ، وعلماً من أعلام التوحيد .

فقدناه وكنا نعمل فى ظله الوارف ، ونستعين بنصحه الحكيم ، وإرشاده السديد ، ونرتشف رضاب الحق الصافى من حكمة غراء ، وحقيقة شماء ، من نبع ثجاج لا ينضب ولا يغور وكيف وكتاب الله مصدره ، وهدى النبى مشرقه ومستقره ؟! وحين فقدناه شعرنا بفراغ هائل ، ومكان شاغر ، وثغرة تفتح فاها الكريه والموقف يريد منا أن نكون رجالا نمثل خير خلف ، لخير سلف ، مترسمين خطا فقيدنا العزيز ، ونظراءه من أئمة الهدى ، ودعاة الإصلاح .

والمتحدث عن فقيدنا يجد جوانب الحديث متعددة ، فهناك جهاده ، وهناك إحياؤه لآثار السلف ، وهناك أخلاقه ، وهناك سيرته فى الحياة العامة ، ولكنى أخص القول بالحديث عن منهجه فى الدعوة وما ذلك إلا لأنه كان يسير على منهج فريد ، ونمط ممتاز ، ويسلك سبيله فذاً فى الدعوة إلى الله ، يتلخص فى النقط الآتية :

١ ـ كان لا يرى الحجية إلا لكتاب الله ، وسنة رسوله الصحيحة ، وسيقول البعض : إنه منهج مألوف وسبيل مطروق ، وأقول : ولكن من يحرص عليه فى عصرنا غريب فى أهله ، وحيد فى مجتمعه ، وأقول : السنة الصحيحة ، ولهذه العبارة شأن عندنا أنصار السنة ،

إن هى سبيل وسط بين قوم فرطوا فقالوا : لاحجة إلا القرآن ، وقوم أفرطوا : فأخذوا ببريق الموضوع والدخيل والضعيف .

٢ - كان إمامه الحق ، يقيس الرجال بالحق ، ويزنهم بميزانه ، ولا يقيس الحق بالرجال ولا يجد حرجا ألبتة فى نقد الأئمة ، أو نقد ابن القيم وابن تيمية ، وغيرهم من أئمة السلف ، فلا قداسة لرأى إنسان مهما كان وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا منهج سار عليه ابن تيمية من قبل .

٣ - كان له منهج خاص فى تفسير القرآن ، أساسه استلهام اللغة العربية [1] ، والإعتماد على معاجمها لأنها لغة القرآن ، فلا يتقيد بما قاله المفسرون الذين كانت تفسيراتهم محشوة بالإسرائيليات ، أو كانت صورة لما نبغ فيه أو بابها من فنون النحو والبلاغة والكلام ، بل يفسر بوحى من فطرته السليمة ، وفهمه الصحيح للدين ، وخبرته الصادقة بمقاصد الكتاب العزيز ؛ سمعته فى خطبة من خطبه يفسر قوله تعالى : (بل كانوا يعبدون الجن) يقول : الجن : كل ما اجتن وخفى وحجب عن العين ، فالموتى فى قبورهم جن ، والشياطين جن ، والله ينهانا عن عبادة الجن . وهو حريص على المطابقة بين حياتنا العامة وهداية القرآن ، موازناً بين ماضى المسلمين ، وما صاروا إليه .

٤ - كان يجيد التعليل والتحليل ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، وله نظرات فاحصة فى القصص القرآنى ، ولفتات حية فيه ، أعجبنى منه تحليل طريف للظروف التى اكتنفت موسى عليه السلام فى نشأته من إلقائه فى اليم ، وتنشئته فى بيت فرعون ، ولا بد أن يعد موسى إعداداً يناسب العبء الذى ينتظره ، ولا يتأتى ذلك إلا بأن يعيش فى بيت عز وسطوة كبيت فرعون ، لا فى بيت ذل ومهانة كبيوت بنى إسرائيل حينذاك ، كما يرى أن رعى النبى محمد للغنم ، وتجارته لخديجة ما كانت إلا مدارس يختبر فيها الحياة ، ويعرف حالها ويتعلم منها أسباب القيادة ومناهج الدعوة ، وأخلاق المجتمع الإنسانى حينذاك .

٥ - كان أسلوبه فى محاضراته ، وفى خطبه الأسلوب السهل الذى لايهوى إلى

---

(١) راجع تفسيره بالمجلة تجد مصداق ذلك .

الإبتذال ، وفي الوقت نفسه لايتأتى على أفهـام عامة الإخوان ، مع قوة حجة ، ولباقة فى الحديث ، وحسن تأت للموضوع الذى يعالجه ، يسلك إليه مداخل عجيبة ، ويدعمه بأمثلة بارعة ، أذكر مرة شخصاً زائراً للجماعه تحداه فى إحدى محاضراته ، وهو يحطم الحجب والستور التى تحول بين الناس وفهم القرآن ، فقال الزائر متحدياً : كيف يستطيع العامى أن يفهم القرآن ، ولا بد له من علوم يمارسها قبل ذلك ؟ فقال الشيخ : إن رغيف العيش مسور ، ومع ذلك نرى كل واحد منا يحطم أسواره لـكى يخلص إليه ، وكذلك القرآن مسور ، فلماذا لاتحطم الأسوار بينك و بين القرآن حتى تخلص إليه وتفهمه وتدبره ؟!

وكانت له ـ رحمه الله ـ نبرة خاصة و إلقاء غير متكلف ، وعبارات للبدء والختام يمتاز بها عمن عداه .

٦ ـ كان ضليعاً فى اللغة العربية حريصاً عليها مجيداً لها ، لا يتحمل خَطْأَة نحوية يقع فيها مخاطبه ، فسرعان ما يبادر إلى تصحيحها ، أذكر أنى زرته بالمستشفى قبل وفاته بأيام فقلت بعبارة عامية (داحنا نتمنو لك أطيب صحة) وشرعت فى الإنصراف مع الزملاء فنادانى وقال : ماذا تقول : ؟! فعدلت عن التعبير الأول وقلت : (نحن نتمنى لك أطيب صحة) فقال : هكذا يجب أن تـكون حريصاً على الحديث بالعربية .

٧ ـ كان فى بعض الأحيان يقسو فى عباراته ، و يغلظ فى قوله غير هياب ولا وجل ، وعذره أن الناس قد عموا عن الحق ، أو تعاموا عنه وأمعنوا فى الخرافة والجهالة ، كما كان شجاعاً فى أدب ، صريحاً فى اتزان ، جريئاً حيث تحمد الجرأة .

٨ ـ كان يلتزم أسلوب الحـكيم [1] فى كثير من مخاطباته ، فإذا سأله أحد الإخوان عن أمر ما ينبغى له أن يسأل عنه ، ولا يعنيه أن يبحث فيه ، أجابه بإجابة لسؤال غير سؤاله ليبين له أن ذلك هو الأحرى أن يسأل فيه ، مسترشداً فى هذا بمنهج القرآن الـكريم ، حين رد عن سؤال بعض الناس للرسول عن الأهلة ، والسبب فى تطورها من هلال إلى تربيع إلى

(١) يعرفه علماء البلاغة بأنه تلقى المخاطب بغير مايترقب ، وإجابة السائل بغير ما ينتظر لغرض بلاغى طريف .

بدر !! فكانت الإجابة بغير مايترقب السائلون قال تعالى : (يسألونك عن الأهلة ؟ قل : هى مواقيت للناس والحج) .

فأجابهم عن الفائدة ، ولم يجبهم عن الماهية كما طلبوا .

٩ ـ كان يتحاشى فى أسلوبه الكلمات الدخيلة على الإسلام ، والتى لم ترد فى معجم الكتاب والسنة ، إذا كانت تعبر عن هدف دينى ، فقد كنت أتكلم ذات مرة فى مؤتمر لجماعة أنصار السنة المحمدية بنكلا فانتقدنى حين ذكرت فى كلامى كلمة (تعاليم) ، وقال : هذه الكلمة ليست إسلامية ولكن قل : (تشاريع) .

١٠ ـ كان يرى أن الصهيونية هى العدو اللدود للجماعة الإسلامية ، وهى التى أشاعت الفرقة فى حياة المسلمين الأولى ، وهى التى شوهت الإسلام ، وأبعدت الناس عنه وهى لاتزال تبث سمومها فى المسلمين إلى الآن ، ولا بد لكل مسلم مكافح أن يضع فى حسابه جهادها ، ومكافحتها .

هذه بعض الخطوط التى يتكون منها منهجه فى دعوته .

وياله من منهج سديد ، وأسلوب مستقيم ، قلما اجتمعت خطواته لغيره ، وتكاملت نقاطه لسواه . لقد كان بهذا المنهج داعياً مجدداً ، ومصلحاً ناقداً ، وناصحاً مجرباً ، خبيرا بالناس والحياة .

رحمه الله لقاء ماقدم للإسلام والمسلمين من نصح وإرشاد ؟

عبد السلام رزق الطويل
بكلية اللغة العربية

عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار ، أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه » .

الخرافة التي رددتها القاهرة

« ليست الأمية أمية القلم والمحبرة ، وإنما الأمية الحقة أمية القلب والعقل ينضب معينهما من هداية الله ووحى السماء . حيث يسيطر عليها دين الخرافة ، وتنبسط عليها أروقة الجهالة »

فى ميدان باب الخلق من ميادين القاهرة حين تولى وجهك شطر محكمة الاستئناف ، تجد متسعاً من الأرض ، برز فى إحدى زواياه بقايا بناء من طابقين ، أما المتسع فهو مكان المحافظة القديمة ، وأما بقايا البناء فضريح يضم رفات (سعادة) .

ولذلك البناء قصة أحدثك عنها ، هى قصة مزدوجة ، إن دلت على شىء ، فإنما تدل على حقيقة كثير من الأضرحة المنبثة فى مصر والتى يلجأ اليها كثير من الناس لجلب المنافع ، ودفع المضار ، كما صور الشيطان لهم أن المقبورين فيها من أولياء الله الذين أعطاهم الله حظاً كبيراً من التصرف فى كونه .

تبدأ القصة حيث شرعت الحكومة بهدم هذا الجزء الباقى من المحافظة القديمة ، وحين ذاك شعر سدنة الضريح بأن معين رزقهم سينضب ، وأن رافداً من روافد رزقهم الخبيث سيجف ، فنسج خيالهم البارع طائفة من الأكاذيب قالوا : إن هذا ضريح الشيخة سعادة بنت الحسين بن علي، وأنها تهدد على لسان خادمتها وسادنة قبرها كل من يقرب منها بالأذى الشديد ، وإذا حاولوا نقل رفاتها ، فإنها ستطير من هذا المكان ولا يجدونها ، ثم دعموا هذه الأكاذيب بأدلة عملية، فقالوا : إن العمال الذين شرعوا فى هدم الضريح شل أحدهم ، وسقط الآخر بين الموت والحياة هذا عدا الجرحى ، والإصابات الطفيفة . وتلقف السذج والبسطاء هذه الفرى ، وتولوا كبرها ، و إشاعتها حتى إذا مررت بجانب هذا الضريح وجدت عجباً ، وجدت خلقاً كبيراً قد تجمعوا يسألون و يستفسرون عن حقيقة هذه الكرامات المذهلة ، وترى الناس حلقات يتجادلون و يأخذ بعضهم بتلابيب بعض فمنهم من يقول : وهو موظف محترم ، والله لولا الأولياء فى مصر لهلكت من زمن بعيد ؟ ومنهم الجامعى الذى يقول :

الأولياء لهم كرامات ، ولهم ما يشاؤن عند الله !! فنقول له : أين العلم والثقافة ؟! فيقول : العلم شيء والإيمان بهذه المعتقدات شيء آخر ؟ ومنهم من ينكر مايقال ـ وما أقله ـ ولكن يضيق صدره ، ولا ينطلق لسانه ، فيغير المنكر بقلبه ، ويرضى بأضعف الإيمان .

هكذا وفى رحاب هذا الضريح تجد صوراً شتى للطفولة الإنسانية ، وسذاجة المتعلمين الذين محوا عن أنفسهم أمية القلم ، ولكنهم يعيشون فى أمية أعظم نكراً وأقبح شأنا .

وأريد الآن أن أناقش هذا الموضوع فى هدوء ، على فرض أن هذا الضريح حقيقة واقعة ، وأن فيه الشيخة سعادة ابنة الحسين بن على رضى الله عنهما .

إن أساس الفهم الخاطىء الذى تسرب إلى أذهان كثير من المسلمين هو أنهم لم يعرفوا المفهوم الحقيقى لكلمتى : الولى والكرامة . بل فهموهما فهماً عاماً مشوشاً أملاه عليهما الشيطان ولو نظروا فى كتاب الله وفى سنة رسوله الصحيحة لوجدوا أن الولاية ما هى إلا صفة من صفات المؤمنين الذين قوى وازع الدين فى نفوسهم ، وتمكنت تقوى الله من قلوبهم ، فهم الذين عبر الله عنهم بالسابقين المقربين ، وهم المحسنون ، وهم المفلحون ، وهم أولو الألباب والولاية درجات ، وعلى قدر إيمان الإنسان يكون حظه من الولاية كما قال ابن تيمية فى كتابه « الفرقان » .

وتكريم الله لهم يكون فى حدود ماتيسر لهم الخير ، ويجلب لهم النفع فى الدنيا والآخرة ، وليس من تكريمهم أن يكونوا وسطاء للناس لدى الله فى قضاء الحاجات وكشف الكربات تعالى الله عما يفترون .

فليس الأولياء إذن جماعة مختارة من الناس ، وصنف مجتبى من البشر ، أعطاهم الله مفاتيح التصرف فى الكون ، وملكهم زمام البشر ، ومنحهم البت فى مصاير الناس !! كما يقول الصوفية .

ثم إذا كانت الشيخة سعادة من أولياء الله المؤمنين المتقين ، فهل من الإيمان سفك الدماء وأذى الناس لا لشيء إلا لأنهم قاموا بأمر كلفوا به !! أين سماحة الإيمان ، وعفو المؤمنين .

أيتها الولية المزعومة ؟! ألم تقرئى فى تبتلك وأنت ولية ـ كما سموك ـ قول الله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيما) .

وعذراً : يا شيخة ، فإنى ـ لهذا ـ من ولايتك فى شك مريب !!

ومالى أضرب فى بيداء الفروض ، وأغذ السير فى فيافى الخيال ، وقد ثبت أن الشيخة سعادة ، ماهى إلا إحدى خزانات القرن العشرين !!![1]

لقد طالعتنا صحيفة (الأخبار) والإشاعات فى أشدها ببيان الأستاذ حسن عبد الوهاب عالم الآثار المصرى يكشف لنا حقيقة هذه الخرافة ، إن سعادة ، هذه ليست اسم امرأة ، بل هى اسم رجل ليس ولياً ، وإنما هو سعادة بن حيان أحد قواد الجيش فى العصور السابقة ، ثم أشار إلى أن بعض الناس استغلوا هذا الاسم ، ونسجوا حوله هذه الهالة لكى يبتزوا أموال السذج والبسطاء ، ثم قال : وكم بمصر من أمثال هذه الضرائح التى نظنها الأولياء والواقع ليس كذلك ، ولكن بكل أسف نرى إذاعتنا تساهم فى الاحتفال بها !!

أجل : الآن حصحص الحق ، ووضح نوره ، وانكشف حقيقة هذه الخرافة ، ولكن برغم ذلك تمر على الضريح فترى القبلات تمس الجدار ، والدعوات تهز أركانه .

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى رماد

عبد السلام رزق الطويل
بكلية اللغة العربية

---

(١) أى خزانات القاذورات وفضلات الناس .

حكم

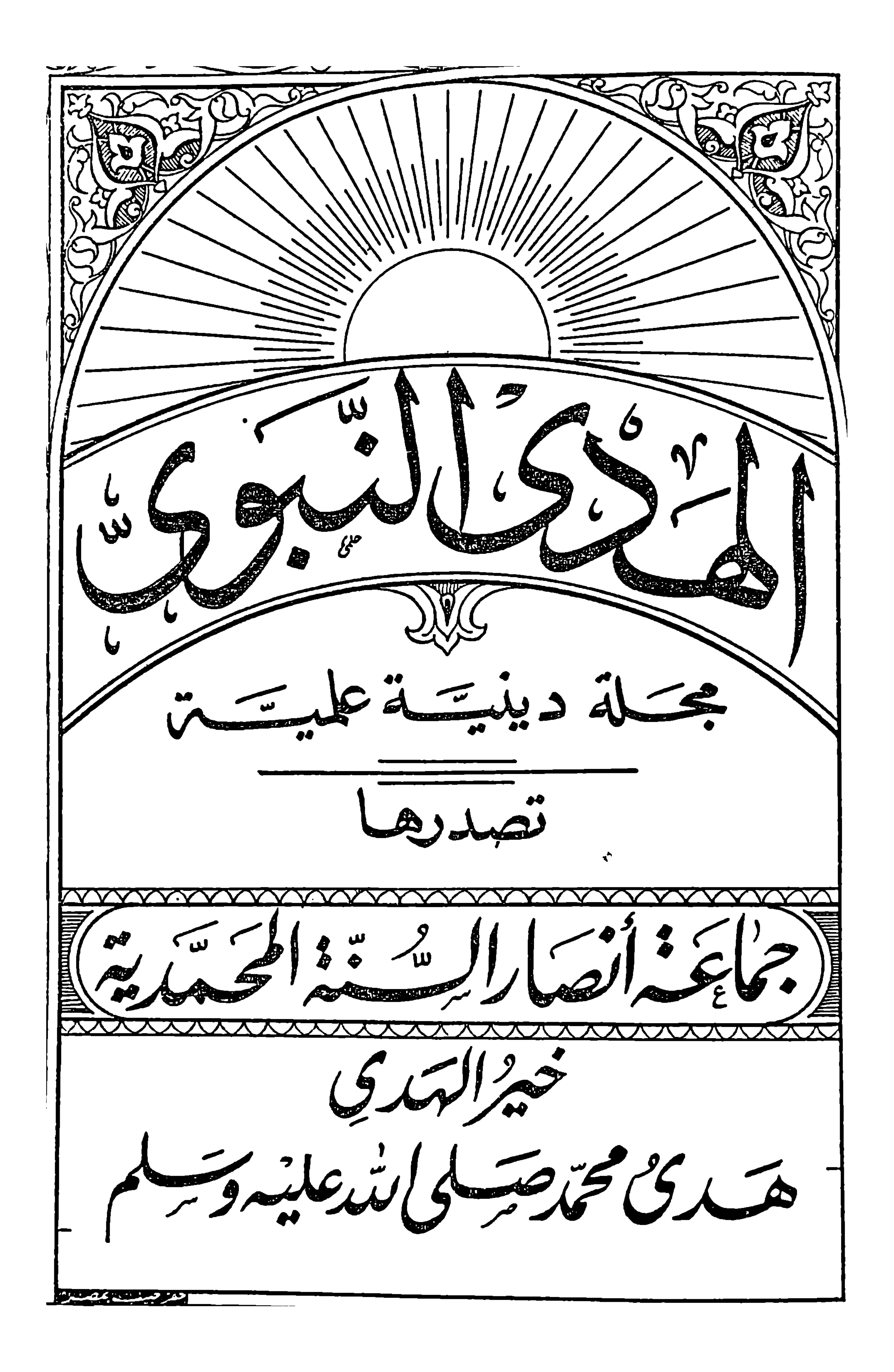
أول العلم : الصمت والاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم نشره بين الناس .

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

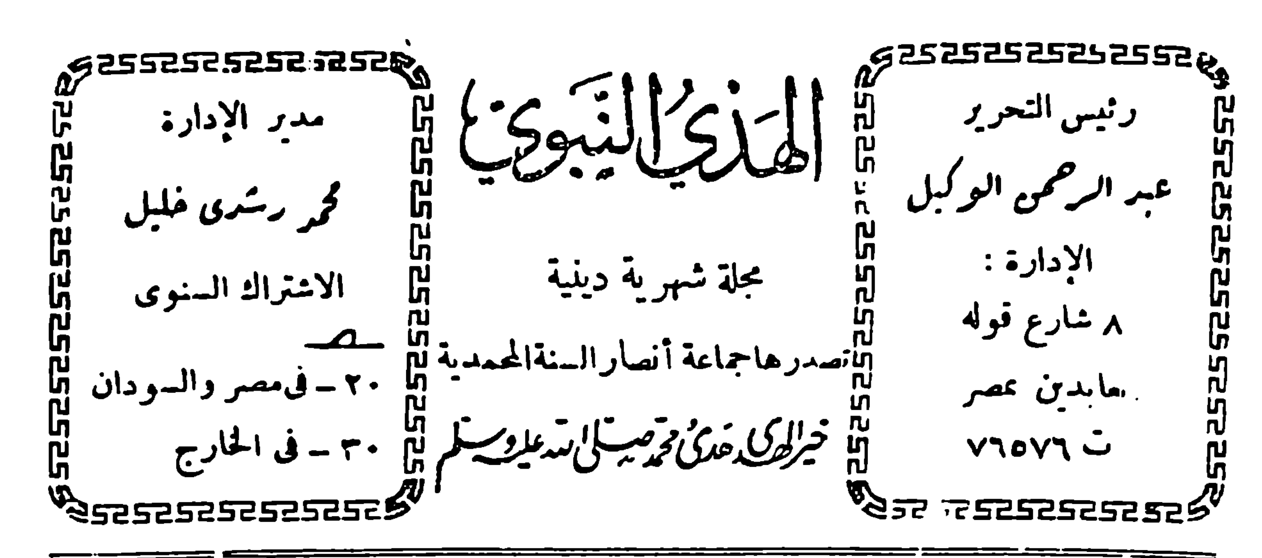
١٧ شارع شريف باشا الكبير

٥ ١٧ . ٧٩



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس



الهدى النبوى
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
الإدارة :
٨ شارع قوله
عابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٢٠ — فى مصر والسودان
٣٠ — فى الخارج

المجلد ٢٣ — شوال سنة ١٣٧٨ — العدد ١٠

نور من القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (١٧ : ١٦ وإذا أَرَدْنَا أن نُهلِكَ قريةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيها ، فَفَسَقُوا فيها ، فَحَقَّ عليها القولُ ، فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا) .

معـــــانى المفردات

« الإرادة » قال الراغب : الإرادة منقولة من راد يَرُود إذا سعى فى طلب شىء ، والإرادة فى الأصل قوة مركبة من شهوة(١) وحاجة وأمل ، وجُعِل اسماً لِنزوع(٢) النفس إلى الشىء مع الحكم فيه بأنه ينبغى أن يُفْعَل ، أو لا يُفعل ، ثم يستعمل مرة فى المبدأ ، وهو نزوع النفس إلى الشىء ، وتارة فى المُنتهى ، وهو الحكمُ فيه بأنه ينبغى أن يُفعَل أو لا يُفعل ، فإذا استُعمِل فى الله ، فإنه يُرَادُ به المنتهى دون المبدأ ، فإنه يتعالى عن معنى النزوع ، فمتى قيل : أراد الله كذا فمعناه حَكَم فيه أنه كذا ، وليس بكذا . وقد تُذْكَر الإرادة ويراد بها معنى الأمر . كقولك : أريد منك كذا ، أى آمرك بكذا ، وقد يذكر ، ويراد به القصد ، نحو : (٢٨ : ٨٣ لا يريدون عُلُوًّا فى الأرضِ ولا فساداً) أى يقصدونه ،

(١) لاحظ أنه يشرح معناها اللغوى . لا بالنسبة إلى الله سبحانه .
(٢) النزوع = الميل والشوق .

ويطلبونه . والإرادة قد تكون القوة التسخيرية والحسية ، كما تكون بحسب القوة الاختيارية . ولذلك تستعمل ـ أى الإرادة ـ فى الجماد وفى الحيوانات نحو (١٨ : ٧٧ فوجدا فيها جداراً يريد أن يَنْقَضَّ فأقامه) .

وقال ابن فارس : الراء والواو والدال مُعْظَمُ بابه يدل على مجىء وذهابٍ من انطلاقٍ فى جهة واحدة .

وقال صاحب اللسان : أراد الشىء شاءه . قال ثعلب : الإرادة تكون مَحَبَّةً وغير محبة ، وأردته بكل رِيدَةٍ ، أى بكل نوع من أنواع الإرادة ، وأراد الشىء أحَبَّه وعَنِي به .

« نهلك » قال الراغب : الهلاك ثلاثة أوجه افتِقَادُ الشىء عنك ، وهو عند غيرك موجود ، كقوله تعالى (٦٩ : ٢٩ هلك عنى سُلْطَانِيَهْ) . وهلاكُ الشىء باستحالة وفساد كقوله سبحانه (٢ : ٢٠٥ يهلك الحرث والنسل) والثالث الموت : كقوله سبحانه (٤ : ١٧٦ إن امْرُؤٌ هَلَكَ ، ليس له ولد وله أخت ، فلها نصف ما ترك . . .) والرابع : بُطْلانُ الشىء من العالم وعدمه رأسا ، وذلك المُسَمَّى فناء المشار إليه بقوله سبحانه : (٢٨ : ٩٩ كل شىء هالكٌ إلا وَجْهَه) ويقال للعذاب والخوف والفقر : الهلاك .

وقال ابن فارس الهاء واللام والكاف يدل على كسر وسقوط منه الهلاكُ . السقوط .

وقال صاحب اللسان : الهَلْكُ والهُلْكُ ، هَلَكَ يَهْلِكُ هَلْكا وهُلْكا وهَلَاكاً مات . والهلك ما بين كل أرضٍ إلى التى تحتها ، إلى الأرض السابعة . . . وقيل : الهلك ما بين أعلى الجبل وأسفله ، وقيل : المَهْوَاة بين الجبلين . .

« قرية » قال الراغب : القرية اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس ، وللناس جميعاً [1] ويستعمل فى كل واحد منهما . قال تعالى (١٢ : ٨٢ واسْئل القرية التى كنا فيها) .

وقال ابن فارس القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها

(١) معنى هذا أنها تقال على أهل القرية حقيقة لا مجازاً ، كما زعم من أكثروا من القول بالمجاز فى القرآن لهدف مقصود هو تأويل آياته تأويلا يصدر عن الهوى والرأى الجامح .

وقال صاحب اللسان : القَرْية والقِرْية لغتان : المِصْرُ الجامعُ . . والقريةُ : من المساكن والأبنية والضياع ، وقد تطْلَق على المدن .

« أمرنا » قال الراغب : الأمر الشأنُ ، وجمعه أمور . ومصدرُ أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها ، ويقال للإبداع : أمرٌ . . ويختص ذلك بالله تعالى دون الخلائق .. والأمر التقدمُ بالشيء سواء كان ذلك بقولهم :افعل ، لِيَفْعَلْ[1] . أو كان ذلك بلفظ خبر . . . أو كان بإشارة أو غير ذلك : وقيل أمَرَ القوم ، أى كثروا .

قال ابن فارس الهمزة والميم والراء أصول خمسة : الأمر من الأمور ، والأمر ضد النهى ، والأَمَر النماء والبركة والمَعْلم والعجب . فأما الواحد من الأمور فقولهم : هذا أمر رضيته ، وأمر لا أرضاه . والأمر الذى هو نقيضُ النهى قولك : افعل كذا . قال الأصمعى : يقال : لى عليك أمْرَةٌ مطاعة ، أى لى عليك أن آمرك مرة واحده ، فتطيعنى . . . ومن هذا الباب الإمر والإمارة . . . قال ابن الأعرابى : أمَّرت فلاناً أى جعلته أميراً ، وأمَرْته وآمرته كلُّهن بمعنى واحد قال ابن الأعرابى : أمر فلان على قومه : إذا صار أميراً . . وأما النماء فقال الخليل : الأَمرُ النماء والبركه وامرأةٌ أمِرَةٌ أى مباركة على زوجها . وقد أمِر الشيء أى كثر . . . ويقال أمَرَ اللهُ مالَه وآمَره . . .

وقال صاحب اللسان : الأمر معروف نقيضُ النهى ، أمره ، وأمره إياه يأمره أمراً وإمارة ، فأْتَمرَ أى قبل أمره . . يقولون أمَرَ اللهُ المهرةَ أى كثرَّ ولدَها ، وأمِرَ القومُ ، أى كثروا . قال الفراء قوله سبحانه (أمرنا مترفيها) من قرأ بالتخفيف ، فالمعنى : أمرناهم بالطاعة ، ففسقوا ، فإن قال قائل ألست تقول : أمرت زيداً فضرب عمراً . والمعنى أنك أمرته أن يضرب عمراً ، فضربه . فهذا اللفظ لايدل على غير الضرب . ومثله قوله : (أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها) . أمرتك فعصيتنى ، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر ، وذلك الفسق مخالفة أمر الله . .

وقال أبو عبيد . فى قوله : مُهْرٌ مَأْمُورة : إنها الكثيرة النتاج والنسل . قال : وفيها

(١) أى بصيغة الأمر الصريحة . أو المضارع المتصل بلام الأمر .

لغتان . قال : أمَرَها الله فهى مأمورة ، وأمرها الله فهى مُؤْمَرَةٌ . . .

وقال أبو زيد : مهرة مأمورة هى التى كثر نسلها . يقولون : أمَرَ اللهُ المهرة ، أى كثَّر ولدها ، وأمِر القومُ أى كثروا . . . أمَرَهم الله ، فأمِروا ، أى كَثُروا . . . قال أبو عبيدة آمَرْتُه بالمد ، وأمَرْتُه لغتان بمعنى كثَّرْته .

« مترفيها » قال الراغب : التُّرْفَةُ التوسعُ فى النعمة . يقال : أُترف فلانٌ فهو مُترَفٌ (٢٣ : ٣٣ وأترفناهم فى الحيـاة الدنيا) . . . (أمرنا مُترَفيها) وهم الموصوفون بقوله سبحانه : (٣٠ : ١٥ فأما الإنسـانُ إذا ما ابتلاه ربه ، فأكرمه ، ونَعَّمه فيقول : ربِّي أكْرَمَنْ) .

وقال ابن فارس : التاء والراء والفاء كلمة واحدة وهى التُّرْفة يقال رجلٌ مترفٌ مُنَعَّم وتَرَّفه أهلُه إذا نَعَّموه بالطعام الطيب ، والشيءِ يُخَص به .

وقال صاحب اللسان : الترف التنعُّم والتُّرْف النعمة . وصَبِيٌّ مترف إذا كان مُنَعَّم البدن مُدَلَّلا والمترَف الذى قد أبطرته النعمة وسعةُ العيش ، وأترفته النعمة ، أى أطغته . . المُتْرَفُ المتنعمَ المتوسِّع فى ملاذ الدنيا وشهواتها . . ورجلٌ مُتْرَفٌ ومترَّف مُوَسَّعٌ عليه وتَرَّف الرجلَ ، وأترفه دلَّلَه وملـكه . وقوله تعالى : (٤٣ : ٢٣ إلا قال مترفوها) أى أولو الترفة ، وأراد رؤساءها ، وقادة الشرِّ فيها .

« ففسقوا » قال الراغب : فَسَق فلان خرج عن حجر الشرع ، وذلك من قولهم : فسق الرطبُ إذا خرج عن قشره وهو أعمُّ من الـكفر ، والفسقُ يقع بالقليل من الذنوب ، وبالـكثير ، لـكن تعورف فيما كان كثيراً ، وأكثر مايقال الفاسقُ : لمن التزم حكمَ الشرع وأقرَّ به ، ثم أخلَّ بجميع أحكامِه ، أو ببعضِه وإذا قيل للـكافر الأصلى فاسقٌ ؛ فلأنه أخلَّ بحكمِ ما ألزمه العقلُ ، واقتضته الفطرة . فالفاسقُ أعَمُّ من الـكافر .

وقال ابن فارس : الفاء والسين والقاف كلمة واحدة . وهى الفسق ، وهو الخروج عن الطاعة . تقول العربُ : فسقت الرُّطَبَةُ عن قشرها إذا خرجت .

وقال صاحب اللسان ، الفسق : العصيان ، والتركُ لأمر الله عز وجل ، والخروجُ عن طريق الحق . فَسَق يفسِق ويفسُق . وقيل : الفسوقُ الخروجُ عن الدين . وكذلك الميلُ إلى المعصية ، كما فسق إبليس عن أمر ربه . . أى جار ومال عن طاعته . . والعربُ تقول : إذا خرجت الرطبة من قشرها : قد فَسَقَتْ الرطبة من قشرها . وحكى شمر عن قطرب : فسق فلانٌ فى الدنيا فسقاً ، إذا اتسع فيها ، وهوّن على نفسه ، واتّسع بركوبه لها ، ولم يُضَيّقها عليه . وفسق فلانٌ ماله : إذا أهلكه وأنفقه . ويقال : إنه لَفِسْقٌ ، أى خروجٌ عن الحق ، وقد يكون الفسق شركا ، أو يكون إثماً . ورجلٌ فاسق وفِسِّيقٌ وفُسَقٌ : دائم الفسق .

« حَقّ » قال الراغب : أصل الحق المطابقة والموافقة ، كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة ـ ثم فَصّل الراغب أوجه الحق ، فذكر : إن الحق يقال على أوجه . وجعل منها أنه يقال : للفعل والقول الواقع بحسب مايجب وبقدر مايجب ، وفى الوقت الذى يجب ، كقولنا : فعلُك حقٌ ، وقولك حق . قال الله تعالى (١٠ : ٣٣ كذلك حقت كلمة ربك) ، (٣٢ : ٢٣ حق القول منى) ويستعمل ـ أى الحق ـ استعمال الواجب واللازم والجدير نحو : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

وقال ابن فارس : الحاء والقاف أصل واحد ، وهو يدل على إحكام الشىء وصحته . فالحق نقيضُ الباطل ، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق ، ويقال : حقَّ الشىء وجب .

وقال صاحب اللسان : حق الأمر يحِق ويحُقّ حقا ، وحقوقا : صار حقاً وثبت . قال الأزهرى : معناه وجب يجب وجوبا ، وحَقّ عليه القولُ ، وأحققت أنا . وفى التنزيل (٨٢ : ٢٣ قال الذين حقّ عليهم القول . . .) أى ثبت (٣٩ : ٧١ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى وجبت وثبتت .

« القولُ » قال الراغب : القول والقيلُ واحد . قال تعالى : (٤ : ١٢٢ ومن أصدق من الله قيلا) والقول يستعمل على أوجه ، وأظهرُها أن يكون المركب من الحروف المُبْرَز

٨

بالنطاق ، مفرداً كان أو جملة . وقد يستعمل الجزء الواحد من الأنواع الثلاثة ، أعنى : الاسم والفعل والأداة قولا ، كما قد تسمى القصيدة والخطبة ونحوهما قولا .

الثانى : يقال: للمتصوّر فى النفس قبل الإبراز باللفظ قولٌ (٣ : ٤٠ يُخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك[١]) .

الثالث : للاعتقاد ، نحو فلانٌ يقول بقول أبى حنيفة .

الرابع : يقال للدلالة على الشىء ، نحو قول الشاعر :

• امتلأ الحوض ، وقال : قَطْنى[٢] •

الخامس : يقال للعناية الصادقة .

السادس : يستعمله المنطقيون دون غيرهم فى معنى فى الحد .

السابع : الإلهام (١٧ : ٨٦ قلنا ياذا القرنين) .

وقال ابن فارس : القاف والواو واللام أصل واحد صحيح ، وهو القول من النطق .

وقال صاحب اللسان : القول الكلام على الترتيب ، وهو عند المحقق : كل لفظ قال به اللسانُ تاماً كان أو ناقصاً .

قال سيبويه : واعلم أن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن تحكى بها ما كان كلاماً لا قولا . يعنى بالكلام الجُمل ، ويعنى بالقول : الألفاظ المفردة التى يبنى الكلام منها . وقيل : القول فى الخير والشر ، والمقال والقيل فى الشر خاصة .

« دمرناها » قال الراغب : التدميرُ ، إدخال الهلاك على الشىء .

وقال ابن فارس : الدال والميم والراء أصل واحد يدل على الدخول فى البيت وغيره . يقال : دَمَر الرجل بيته ، إذا دخله . قال الشيبانى والأصمعى : المدمِّر ، الداخلُ فى العُتْرَة ، ويقال : دَمرَ القنفذُ إذا دخل جحره . والدمار ، الهلاك .

---

(١) الآية ، الأظهر والأدق فى الدلالة قوله سبحانه: (٥٨ : ٨ ويقولون فى أنفسهم . لولا يعذبنا الله بما نقول) .

(٢) أى حسبى وكفانى هذا .

وقال صاحب اللسان : الدمارُ ، استئصال الهلاك . دَمرَ القومُ يَدْمَرون دماراً هلكوا وَدَمَرَهم مَقتَهم . ودَمَرَهم الله ، ودمّرهم تدميرا ، يقال : دمّره تدميرا ، ودمّر عليه بمعنى.

« المعنى »

فهمنا من الهدى الإلهى المشرق من الآيتين السابقتين أن كلَّ فرد مسئول عما يعمل فى دنياه ، وأن عمله هذا ملازمٌ له ، لاينفكُّ عنه ، حتى يحاسب هو نفسَه بين يدى الله بأمر الله يوم القيامة . إذ يقول سبحانه : (اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) .

وأشرق علينا من هَدْيه سبحانه فى الآيتين السابقتين أنه جلّ شأنه غنيٌّ عن خلقه فلا ينفعه من المهتدى هداه ، ولا يضره من الضال ضلاله ، وإنما نَفْعُ الهدى لمن يكسبه ، وإثم الضلال على من يقترفه .

وغمر قلوبنا اليقينُ أنه ــ برحمته سبحانه ــ لايعذب أحداً من الناس إلا من يخالف عن أمر الله بعد إرسال الرسل .

أما فى هذه الآية الكريمة ، فتحديدٌ وتوضيح لمسئولية الجماعة بعد تحديد وتوضيح مسئولية الفرد فيما سبق من الذكر الحكيم .

فالإنسان إذاً مسئولٌ كفردٍ عن عمله الخاص به ، ومسئول كذلك عن موقفه من الجماعة التى يعيش معها ، ذلك لأن الإسلام يحتم على كل مسلم أن يعيش مقوِّما لنفسه بما طلب الله أن يقومها به ، ومقوِّماً للجماعة بما أمر الله سبحانه (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ؛ إذ كنتم أعداء ، فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

هذه هى خصائص الجماعة الإسلامية وصفاتها ومُقَوِّماتها ، اعتصامُ الجميع بحبل الله ، الحمدُ الدائم لنعمة الله ، الأُخوّة[1] الخالصة فى الله .

---

(١) والأخوة تستلزم وجود غير ، أى وجود أخ ، فالذى يعيش وحده إذن يعطل هذه الصفة ، أى لا يكون أخاً للجماعة .

دوامُ الحرص على الاهتداء بآيات الله . فليس بمسلم خالص من يعيش منطويا على نفسه ، عاكفاً على معبده ، غافلا لاهياً عن جماعته التى يعيش معها و بينها ، لايهمه أنْ سلكت سواء السبيل ، أو تنكبت الصراط المستقيم .

ليس بمسلم حقٍ من يتفرّد بوحدته العابدة على قنةِ جبل ، أو فى مغارة تائهة فى جنباته ، تاركا الجماعة ترتكب ماشاءت من منكر ، أو تدعو إلى ماشاءت من ضلالة ، أو غافلة عن طاعة الله ، ظاناً أنه بنَجْوةٍ من العذاب ؛ إذ يعيش فى هذه الوحدة الكابية الصَّمَّاء ، و إذ تزرُ الجماعةُ من الأوزار مالا يزره هو . كلا . فهو مسئول عما تقترف جماعتُه كمسئوليتها سواء ، لأنه بصفته عضواً فى هذه الجماعة لم يقم بمافرضه الله عليه نحوها . وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) فالخيرِّيَّة مقيَّدة بما ذكر الله ، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

إن المسلم الحق لا يعيش سَلْبِيًّا أبداً ، بل هو من يعيش إيجابياً ، فيناصر الحق ، ويخذل الباطل ، يجاهد فى سبيل الخير ، و يجالد فى قوة أسباب الشر ، يدعو إلى الإيمان الصادق ، ويكافح الكفر الباغى ، و إلا حقّت عليه كلمةُ العذاب الذى أعده الله للجماعة التى خالفت عن أمره ، لهذا يحذر الله ، وينذر الجماعة ، ويحذر وينذر كل فرد من أفراد هذه الجماعة ، يحذرهم جميعاً من غضبه ، ويتوعدهم بالتدمير الذى لايبقى منهم ولا يذر ، إذ يقول جلت حكمته ، وتسامى عدله (و إذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القولُ ، فدمرناها تدميراً) .

لماذا تستحق القرية كلها التدمير ؟ والاستئصال بالعذاب ؟ وقد يكون مِنْ بينها مَنْ هو صالح فى نفسه ، لأن هؤلاء الذين نظن بهم الصلاحَ ، لم يؤدوا الغرض المحتم عليهم ، إنه مناهَضَةُ الْفَسَقة ، والضربُ على أيديهم ، ومكافحتُهُم بكل ما يمكن من وسائل مكافحة الشر ، فإن عجزوا عن صَدِّ هذا التيار الباغي المجنون من الفسق ، وخافوا أن يجرفهم معه ، فما عليهم إلا أن يهاجروا عن هذه القرية الظالم أهلها ، لتكون هذه الهجرة تعبيراً عملياً

عن مناهضتهم لهذه الجماعة ، وتحذيراً للجماعات الأخرى من أن ينحدروا إلى تلك الهوة الساحقة ، ودعوةً إلى تعبئة القوى المناهضة للبغى ضدها .

(٤ : ٩٧ إن الذين تَوَفَّاهم الملائكةُ ظَالمى أنفُسِهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كُنَّا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها ، فأُولئِكَ مَأْوَاهُمْ جهنَّمُ وساءت مصيرا) فإن لم يفعلوا فقد استوجبوا العقاب ، لأنهم سكتوا عن الشر ومقاومته ، والسكوتُ عن الشر ومقاومته مشاركةٌ فى اقترافه ، مشاركة فى انتشار بغيه ، مشاركةٌ فى انتشار دائه الوبيل ، إنهم عاشوا سَلْبِيِّين ، فشجعوا بِسَلْبِيَّتِهِمْ هذه ، الفَسَقَةَ الظَّلَمَةَ ، فحقَّ عليهم القول ، فحاق بهم الدمار .

إن ربنا العدلَ الحكيمَ يبين لنا فى هذه الآية سنته فى إهلاك القرى ، إنها سنةُ عدله وحكمته ، فالإهلاكُ له أسبابه ومقتضياته ، وما أسبابه إلا الفسق الذى فجر به المترفون ، وانغمس فيه ــ تبعاً لهم ــ غير المترفين ، إنه الخروج عن أمر الله ــ وقد آمنت قلوبهم بأنه حق ، ولكنها جحدته ــ الذى يقترفه قادةُ الشر فى القرية ، ويقترفه معهم أولئك الذين جبنوا عن مقاومتهم ، ولنتدبر هنا بعض الآيات التى ذكر الله فيها سبحانه شأنه مع القرى .

لا يهلك الله قرية إلا بعد أن ينذرها على لسان رسول من عنده ، فتعصاه فتستحق عقابه (٢٦ : ٢٠٨ وما أهلكنا من قرية إلاّ لها مُنْذِرُونَ) (٢٨ : ٥٩ وما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القرى ، حتى يبعث فى أُمِّهَا رسولا) ، (٦ : ١٣١ ذلك أن لم يكن رَبُّكَ مُهْلِكَ القرى بظلم وأهلُهَا غافلون) .

لا بد من ابتلاء كلَّ قرية بالبأساء والضراء ، ليميز الله الخبيث من الطيب وليذكروه وليرجعوا عن غوايتهم (٧ : ٩٤ وما أرسلنا فى قرية من نبيٍّ إلا أخذنا أهلَهَا بالبأساء والضراء لعلهم يضَّرعون) .

مجرموا القرية ، وقادة الشر فيها هم بلاؤها وأساس مأساتها (٦ : ١٢٣ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) ،

(٣٤ : ٣٤ وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به كافرون) ، (٧ : ١٢ وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا : أخرجوهم من قريتكم) .

لا يهلك الله قرية إلا لأنها تستحق الهلاك بظلمها (٢١ : ١١ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ، وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) (١١ : ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلُهَا مصلحون) (١٨ : ٥٩ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) (١١ : ١٠٢ وكذلك أخْذُ ربك إذا أخَذَ القرى وهى ظالمة) (٢٢ : ٤٨ وكأيِّنْ من قرية أمْلَيْتُ لها وهى ظالمة ، ثم أخذتها ، وَ إليَّ المصير) .

من الظلم الذى يؤدى إلى الهلاك : الكفرُ بأنعم الله (٢٨ : ٥٨ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) .

على المسلم أن يفر بدينه من القرية الظالمة ، (٤ : ٧٥ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلُهَا) .

الله يبغت القرية الظالمة بعذابه (٧ : ٤ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون[١]).

تلك هى سنة الله مع القرى الظالمة ، ومما أوردنا من الآيات المحكمة ، يتبين لنا أن الله لاينزل العذاب بها إلا بعد أن تفعل هى ماتستحق به هذا العذاب ، وفى الآية التى نفسرها تبيان لهذا ، فمعنى الآية : إن الله سبحانه إذا توجهت إرادته إلى إهلاك قرية وحكمت بأن إهلاكها واجبٌ ، فلا يكون هذا إلا بعد إعذار وإنذار ، يأمرهم الله بطاعته فيعصونه ، فيدمرهم ، وهنا أسئلة نوجهها لنجيب عنها .

لماذا توجهت إرادة الله إلى إهلاك هذه القرية ؟ .

وأقول : مما يعتقده المؤمن أن إرادة الله سبحانه ، إرادة حق وعدل وخير ، وأنها عن علم محيط بما كان و بما سيكون ، فهى إذن إرادة عليم خبير ، إذا حكمت بأن هذا الشىء

---

(١) جاءها عذابنا ليلا أو فى وقت القيلولة .

يجب أن يُفْعَل . كان حكمُهاَ عن علم واسع محيط لا تخفى عليه خافية ، وقد علم الله أن هذه القرية ستعصاه حين يأمرها بما يحبه ، فأراد إبراز مكنون علمه الخفى المغيب عن الناس .

ولماذا اختص بالأمر مترفيها ؟ وكان ينبغى أن يوجَّه الأمرُ إلى كل فرد فيها ؟ .

إن الأمر فعلا مُوَجَّه إلى كل فرد ، فما دام الأمر قد وُجِّه إلى أكابرها ، فهو بالأولى موجَّه إلى الآخرين ، ولكن خُص المترفون بالذكر لأنهم الذين يُظَنُّ فيهم معارضة أمر الله ومحاولة منع الباقين من الإيمان به، والانصياع له فاختصاصهم بالذكر دليل على قوة الأمر وشموله

وسؤال ثالث :

لماذا توجهت إرادة الله إلى التدمير ، والتدمير شَرٌّ ، فهل تتوجه إرادة الله سبحانه إلى فعل الشر ؟ .

ليس الشر هنا شراً مَحْضًا ، وإنما هو شَرٌّ نِسْبِيٌّ ، أى هو شر من ناحية ، وخير من ناحية ، هو شر بالنسبة إلى من وقع عليهم ، وهو خير لأنه إنقاذ للإنسانية من جماعة فاسدة مفسدة . القتلُ مثلا شَرٌّ بالنسبة إلى القتلى ، ولكنه خير كل الخير بالنسبة إلى الجماعة المؤمنة المسالمة التى طالبت بقتل هؤلاء لتبقى على حياتها هى . وهكذا تجد الشرور كلها فى الحياة ، ليست أموراً وجودية ، وإنما هى فى حقيقة الأمر سلبية ، أو عدمية ، أى عدم الخير وسلبه .

ونحن هنا نذكرك ببعض آيات الله التى ذكرت إرادة الله وبعض صفاتها .

إرادة الله قهارة غلابة (١٥ : ١٧ قل : فمن يملك من الله شيئاً ، إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً) . لاينسب الشر إلى إرادة الله (٧٢ : ١٠ وأنا لا ندرى أشَرٌّ أُرِيدَ بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربُّهم رشدا) .

فعل الله سبحانه بإرادته هو وحده (٢ : ٢٥٣ ولو شاء الله مااقتتلوا ، ولكن الله يفعل مايريد) .

الله سبحانه لا يريد الظلم أبداً (٤٠ : ٣١ وما الله يريد ظلماً للعباد) كل هذا يجعلك توقن أن الله سبحانه لم يرد ظلماً أبداً فى إهلاك هذه القرية .

ونلخص هنا ماذكر الإمام العظيم ابن تيمية عن الإرادة الإلهية قال : « وينبغى أن يُعْرَف أن الإرادة فى كتاب الله على نوعين : الإرادة الكونية ، وهى الإرادة المستلزمة لوقوع المراد ، وهى فى مثل قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّدُ فى السماء) .

وأما النوع الثانى : فهى الإرادة الدينية الشرعية ، وهى محبة الْمُرَاد ورضاه ، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاؤهم بالحسنى ، كما قال تعالى (والله يريد أن يتوب عليكم) فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد[1] » .

ولا نحب هنا أبداً أن نُفَلْسِفَ الإرادة ، ولا أن نحشد أساطير الفلاسفة والمتكلمين ، فكتاب الله لم ينزل إلا بلغة العرب ، وليس من لغة العرب مصطلحات المتكلمين والفلاسفة ، ولا تلك المفهومات التى هى أمشاج من إرادة فاسدة دان بها فلاسفة اليونان وأضرابهم ، ونقلها المتكلمون وشيوخهم من المتفلسفة ، وفسروا بها إرادة الله .

وسؤال آخر : ماالمأمور به فى هذه الآية ، أهو الفسق ، كما زعمت طائفة ؟ أم هو شىء آخر غير مذكور بلفظه ولكنه يُفْهَم من سياق الكلام ؟ .

يقول ربنا سبحانه (٧ : ٢٨ وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل : إن الله لايأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون ؟) (١٦ : ٩٠ إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٢ : ٢٦٨ الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء) .

من هذا الهدى الإلهى ، نؤمن بأن الله سبحانه لايأمر أبداً بفاحشة وبأن الشيطان هو الذى يأمر بها ، والفسق المذكور فى الآية (أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها) إنما هو الكفر المقيت ، ويَكْفُرُ من يزعم أن الله يأمر به (٣ : ٨٠ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ؟ !) وهذا مايجعلنا نؤمن بأن الأمر[2] فى الآية لا يتعلق بالفسق ، وإنما يتعلق بما هو ضده ، أى

---

(١) ص ٧٠ الجزء الثانى من مجموعة الرسائل الكبرى .

(٢) أما إذا كان أمرنا يدل على الكثرة ، فيكون معنى الآية : كثرنا قادة الشر فيها ، فغلبوا على أمر الباقين .

عدم الفسق ، فيكون معنى الآية : أمرنا مترفيها بالإيمان الحق ، و بما يتطلبه هذا الإيمان ، فخرجوا عامدين عما اعتقدت قلوبُهم صحتَه ، واقترفوا نقيضَه ، فحق عليهم القولُ ، أى فأصبحت حالهم مُطَابِقَةً تمام المطابقة لحال مَنْ أعدَّ اللهُ لهم التدمير ، والقولُ هنا إما قولُ الشيطان المذكور فى الآية الشريفة (٤ : ١١٨ لعنه[1] الله ، وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) فيكون المعنى . فطابق حالهم حال من قالَ عنهم إبليسُ إنهم نصيبُه المفروض من عباد الله ، فاستحقوا عقوبة هؤلاء لأنهم منهم . وإما قول الله المذكور فى مثل قوله سبحانه (٦ : ٣٠ قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (٧ : ٧١ قال : قد وقع عليكم من ربكم رجسٌ وغضب) ، (٧ : ١٥٦ قال : عذابى أُصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كلَّ شىء) (١٧ : ٦٣ قال : اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) .

نضرع إلى الله سبحانه أن يجعلنا مِمَّنْ يخشونه ، ويتقونه وينيبون إليه ، إنه سبحانه مجيب الدعاء .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) الضمير لإبليس .

فلتهدم هذه القباب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

أجل ، فلتهدم هذه القباب حتى تسوى بالأرض وتدرس آثارها ، فإنها أصل الداء ، وجرثومة البلاء .

فلتهدم هذه القباب ، ولينزع ماقامت عليه من المقاصير الحافّة من حول القبور ، إن كانت هنالك قبور .

فأما إن كانت هذه المقاصير من الحديد أو النحاس ، فلتسلم إلى مصانع الدولة الحربية تفعل بها ماتشاء من الأسلحة التى يذود بها الجيش عن حدود الدولة ، ويحمى حماها . وأما إن كانت من الخشب ، فلتُبَع لمن هو فى حاجة إليها ، وليُضَفْ ثمنها إلى حصيلة معونة الشتاء ليكون منها عَوْن على إصابة بعض الأهداف .

أما الثياب والعمائم : فلتُؤْتَ الفقراء والمعوزين يسترون بها عوراتهم ، ويدفعون غوائل البرد عن أجسامهم الضاوية ، ويجلبون الدفء لأبدانهم التى أنحلها المرض والجوع ، لأن الأخشاب التى تلبس فى هذه الثياب لاتحس البرد ولا تحتاج إلى دفء .

أما الأوثان – أو التوابيت الخشبية – فليصنع بها ما اقترحت أن يصنع بالمقاصير الخشبية من بيعها لمن يحتاج إليها ، وإيتاء ثمنها لجنة معونة الشتاء .

فإذا تم كل هذا ، كنا على رجاء من صلاح عقائد العوام من الأمة الإسلامية .

فلتهدم هذه القباب لكى يقوى الأمل فى الإصلاح ويعظم الرجاء ، فإنْ ضَعُفَ أملنا فى صلاح هذا الجيل الذى تحجرت عقائده على هذا الفساد ، رجونا أن يصلح الجيل الناشىء الذى سيخاف من بعد هذا الجيل ، ولا ترى أعينهم هذه القباب .

١٧

لقد وقر فى أنفس الناس أن كل قبة ارتفعت هامتها فى الفضاء ، تحتها ولىّ نفسُه طاهر وسره حاضر ، يقضى الحاجات ، ويدفع الملمات ، ويجلب الخيرات ، ويشفع عند الله لما له عنده من رفيع المكانة وعظيم الجاه .

كان لدورة المياه فى سجن بعض البلاد فى الصعيد خزان يقع فى فضاء واسع خارج السجن ، وكان سقف هذا الخزان قبة كبيرة ، فكان كل القرويين الوافدين على هذا البلد إذا مروا بهذه القبة وقفوا حيالها خاشعين خاضعين ، وقرءوا الفاتحة لصاحب هذاالمقام ! !

وكان للضابط القضائى فى محطة السكة الحديدية بهذا مكتب يتألف من حجرتين بنيتا أيام الحرب العالمية الأولى ، ولتعذر استيراد الخشب والحديد إذ ذاك ، أقيمت فوقهما قبتان عاليتان بدل السقف الخشبى أو المسلح . فكان المسافرون الذين يرون هاتين القبتين من نوافذ مركبات القطار يقرءون الفاتحه لساكنى هذين الضريحين ويسألونهما قضاء مايريدون من الحاجات.

وإن أنسَ ، لا أنس قروية جاءت ذات صباح فى حفل حافل من أهلها وأولى قرابتها وجيرانها ، تريد أن توفى بنذر نذرته لصاحبى هذين الضريحين ، وكانت المصادفات قد عملت عملها ، والأقدار أصدرت حكمها بتحقيق أمل كان يداعب خيالها . وأناخوا جمالهم بجوار سياج السكة الحديدية ، وذبحوا ذبيحتهم وهيأوا طعامهم وأكلوا وشربوا ، ثم أرادوا أن يوصلوا الجلد والذراع لسادن هذين الضريحين بعد أن ينعموا بزيارة ضريحهما الطاهرين فاحتال عليهما بعض الخبثاء وسلب منهم حظ الوليين وأخبرهم أن هذين الضريحين لا يفتحان إلا مرة واحدة فى السنة هى ليلة النصف من شهر شعبان . ومضى القوم يومهم بجوار الضريحين يرجون بركتهما ويستمتعون بالقرب من جدثيهما الطاهرين المباركين ! !

ولما شدوا الرحال قافلين إلى قريتهم وتأهبوا للمسير قابلهم بعض معارفهم من أهل البلد واستنبأهم : لم قدموا ؟ فلما أخبروه ضحك ملء شدقيه ، وأوضح لهم الحقيقة ، فعرفوا أنهم وقعوا فى قبضة محتال ، وسخروا من أنفسهم وأيقنوا انه لا ولىّ هناك ولا ضريح ، وأن الله وحده هو الذى قضى حاجة صاحبة الحاجة ، وهو الذى أتاها سُؤلها ، وبلغها مناها .

أكتب هـذا من أجل الضجة التى ترددت أصداؤها بسبب الشروع فى هدم قبة الشيخة سعادة التى تبين كما روت جريدة الأخبار عن بعض كبار علماء الآثار - أنها ليست للشيخة سعادة ولـكنها للقائد الفاطمى الذى قيل : إنه دفن منـذ أكثر من ألف سنة فى هذه البقعة .

قائد من قواد الجيش الفاطمى كان قد غزا مصر وهى دولة إسلامية تعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لـكى ينشر فيها المذهب الشيعى المنحرف المتطرف الذى أحدث معتنقوه جميع البدع المنتشرة إلى الآن فى مصر والتى استعصت على إصلاح المصلحين و إرشاد المرشدين .

تقادم العهد ، وفتكت الأوبئة والطواعين بسكان هـذا الحى الذى ثوى فيه رفات ذلـكم القائد . ولحظ السكان الطارئون التأنيث فى اسم من يثوى فى هذا الضريح فاعتبروه أنثى سموها الشيخة سعادة .

وغضب أهل الحى لأن القبة ستهدم ، وسيبطل الهدم عملها ، كأن القبة هى التى تنهض بالـكرامات . فإذا زالت القبة ذهبت الـكرامة ، و بطل السر .

وكم من قبة أقيمت فى أرض فضاء ولا تنطوى جنباتها على رفات ، وليس فيهـا قبر ولا مقبور ، ولـكنّ خبيثاً ضاقت فى وجهه أبواب الرزق الحلال ، ووثق من غفلة الناس وجهل الدهماء ، فأراد أن يرتزق من طريق الحيلة . فأذاع فى الناس أن الولىّ فلاناً جاءه فى النوم وأمره أن يبنى له فى مكان كذا ضريحاً ، وأن يقيم قبة شاهقة فوق هذا الضريح ، وسرعان ماتنطلى الحيلة على السذج والغافلين فيسارعون إلى عونه . وما أسرع ماتقام القبة ! وتساق إليها الهدايا و يجرى سيل النذور !! ألا فلتهدم هذه القباب !

صلاة العيـــــــد

ستقوم جماعة أنصار السنة المحمدية (المركز العام) بالقاهرة صلاة العيد المبارك كعادتها كل عام بميدان الجمهورية (عابدين سابقا) . وتقدم تهانيها للأمة الإسلامية فى جميع أقطار الأرض سائلة الله تعالى أن يجعله عيد خير ويمن و بركات على المسلمين أجمعين .

١٩

سنن العيـــدين

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

اتخذ الناس منذ أن عرفوا الحياة الجماعية أياماً يخلعون فيهـا لباس الجد والـكفاح ، ويلبسون فيها لباس المرح والفرح والسرور ، ويسمونها أعياداً ومواسم . وكانت لهم فيها تقاليد وعادات اتخذت طابعاً خاصاً عند كل أمة حسب دينها وبيئتها ، فـكان للاغريق والرومان وقدماء المصريين والفرس والهنود والصينيين والعرب وجميع الشعوب أعياد . وكانت لهم فى أعيادهم طقوس ومراسيم ، وكانوا يبيحون لأنفسهم فيها من الأفعال والألعاب مالا يبيحون لها فى غيرها من الأيام . وكثير من تلك الأعياد والمواسم كانت تقام لأصنامهم وأوثانهم ، وكانت أشبه بالموالد التى تقام عند أضرحة الموتى فى أيامنا .

وكان للعرب فى جاهليتهم أعياد ومواسم ، فجاء الإسلام فأبطلها وحرمها كلها ، وأبدلهم خيرا منها : عيدا الفطر والأضحى . أما الفطر فإنه عيد يفرح فيه المسلم لأنه نجح فى امتحان الصوم ، وخرج منه وقد انتصر على النفس والشهوات والشيطان ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان ، فرحة يوم فطره ، وفرحة يوم لقاء ربه » وأما الأضحى فإنه عيد يشارك فيه المسلم إخوانه الذين يفرحون بإتمام مناسك الحج ، والتمتع بضيافة الله عند بيته المـكرم ، والنقاء من الذنوب والآثام .

وللعيدين سنن من أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأوامره ، فـكان عليه الصلاة والسلام يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه ، وكانت له حلة يلبسها للعيدين والجمعة . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل قبل خروجه فى عيد الفطر تمرات . وفى الأضحى لا يطعم حتى يرجع من المصلى ، فيأكل من أضحيته . وكان يغتسل للعيدين ، ويخرج إلى المصلى ماشياً ، وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ، ويعجل صلاة عيـد الأضحى . وكان عليه الصلاة والسلام يصليهما فى الخلاء ، ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة واحدة أصابهم فيها مطر . وكان يذهب إلى المصلى من طريق ، ويعود من طريق آخر ، وكان يكبر من بيته إلى المصلى ، وكان تكبيره « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . الله أكبر ،

الله أكبر ، ولله الحمد » ولم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم شيء من هذه الزيادات والتكبيرات التى ابتدعها الناس .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المصلى أخذ فى صلاة العيد من غير أذان ولا إقامة . ولم يرو عنه أنه صلى شيئاً قبل صلاة العيد ولا بعدها وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة . وكان يكبر فى الركعة الأولى سبع تكبيرات متوالية بتكبيرة الافتتاح وفى الثانية خمس تكبيرات قبل القراءة . وكان يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة ، وكان يرفع يديه مع كل تكبيرة . وكان يقرأ بعد الفاتحة (ق والقرآن المجيد) فى إحدى الركعتين وفى الأخرى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وتارة أخرى كان يقرأ فيهما (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكمل الصلاة وانصرف منها ، قام مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم يخطبهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم وينهاهم ، ويحثهم على التصدق ومواساة الفقراء والأيتام . ثم يشق صفوف الرجال حتى يأتى النساء وهن خلف صفوف الرجال فيعظهن ويأمرهن ، فكن أكثر مَن يتصدق ، حتى أنهن كن يتصدقن بحليهن .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين فى عيد الفطر أن يخرجوا زكاة فطرهم قبل الصلاة ، وقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى المصلى » كما روى أصحاب السنن أنه قال « من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » وكان فى عيد الأضحى يأمر بذبح الأضاحى بعد الصلاة وقد روى فى الصحيحين أنه قال « من ذبح قبل أن يصلى ، فليذبح أخرى مكانها ، ومن لم يذبح فليذبح بسم الله » وقال لمن ذكر له أنه ذبح شاة قبل الصلاة « شاتك شاة لحم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين أن يخرجوا زكاة الفطر عن أنفسهم وعن كل من يعولونهم : من صغير وكبير ، ذكر وأنثى ، حر وعبد . وحدد قيمة مايخرج عن

الفرد بصاع من تمر أو شعير أو أقط أو زبيب أو دقيق أو نصف صاع من القمح . والصاع يقوَّم بقدح وثلث قدح بمكيالنا . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعطائها للمساكين ولم يجعلها فى مصارف زكاة المال ، حتى يوسع على الفقراء فى هذا اليوم ، فيعم الفرح جميع المسلمين فى يوم عيدهم . ولا بأس من إخراجها نقداً ، فقد أصبح النقد وسيطا فى جميع المعاملات ، وبه يستطيع الفقير أن يسد حاجته من الغذاء أو الكساء ، وقد كان تبادل السلع هو الأكثر فى المعاملات فى أيام السلف .

وبمضى الأعوام والأيام ، نسى المسلمون هدى نبيهم ، وسنن رسولهم عليه الصلاة والسلام ، وأصبحت لهم تقاليد وعادات قبيحة فى العيدين . فتراهم يخرجون فى العيدين إلى المدافن رجالا ونساء ، وقد حملوا معهم الفُرُش وأدوات الطهى ، ويقيمون عندها الليالى والأيام ، ويأتون عندها من المنكرات ما يندى لها جبين الفضيلة ، ويحدثون فيها ضجيجاً وعجيجاً ، وتسمع منهم عند المقابر الضحكات العالية ، والألوان البغيضة من السخرية والاستهزاء والإيذاء للموتى . وغفلوا عن لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لزائرات القبور ، وأنه أباح للرجال فقط زيارتها للاعتبار والاتعاظ وتذكر الآخرة ، وأنه نهى أشد النهى عن الجلوس على المقابر . إنهم يزعمون كذباً أنهم يزورون موتاهم فى العيدين للترحم عليهم وإيناسهم وإحياء ذكراهم ، لو أنهم كانوا صادقين فيما يزعمون لكان حالهم مع ذوى أرحامهم وقرباهم وجيرانهم من الأحياء غير ما ترى وتعلم من العداء والتدابر والتقاطع ، ولكنهم يخرجون إلى المقابر لحاجات خبيثة فى نفوسهم .

وعادة أخرى أقبح من تلك ، وهى حرصهم الشديد فى عيد الفطر على عمل الكعك : الأغنياء منهم والفقراء . وكم لكعك العيد من المآسى والفواجع من بيع الحلى والأمتعة أو رهنها ، ومن خراب البيوت والديون التى تثقل الكواهل ، ثم بعد ذلك الأمراض والأوجاع التى تصيبهم من الإفراط فى تناولها .

من لى بمن يعود بالمسلمين إلى هدى نبيهم وسنة رسولهم عليه الصلاة والسلام حتى يكون العيد سبباً من أسباب سعادتهم ، وجمع شملهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وتوثيق الروابط الأخوية بينهم . وسبباً من أسباب قوتهم وعزتهم .

الله المسئول وحده أن يحقق لنا ذلك

فاقد الشيء لا يعطيه

هذه قاعدة قديمة ، ألفاظها قليلة ، ومعانيها كثيرة وجميلة ، إن البائس المسكين إذا طلبنا منه التصدق والإحسان إلى الفقير كان هذا الطلب عبثاً لأنه فاقد للمال ، وإذا طلبنا من مريض طريح الفراش أن يزاول عملا يحتاج إلى قوة جسم ، كان طلبنا غير ممكن التنفيذ لأنه فاقد القوة ، وهكذا كل من فقد صفة من الصفات لا ينبغى تكليفه القيام بها ، ولا يصح له ادعاؤها لنفسه ، ولا يحاول الزعم بمد غيره بها لأنه فاقدها ، فكل داع إلى فضيلة من الفضائل يجب عليه أن يكون قدوة صالحة ، وبخاصة فيما نصب نفسه فى الدعوة إليه ، وبذلك يكون له أثر محمود ، وتنفذ دعوته إلى قلوب السامعين له ، لأنه فى تلك الحال يكون مؤمناً بما يقول ، فيكون كلامه نابعاً من قلبه ، فيجد التربة الخصبة الصالحة فينبت غرسه الطيب ، ويؤتى أكله بإذن ربه .

وإن من أهم الأمور التى يجب أن يكون فيها الإنسان قدوة صالحة ، ونبراساً يحتذى به ، مهنة التعليم ، تلك المهنة التى تقوم على تربية الروح وصقل النفوس ، وطبعها على الخير ، والبعد بها عن كل شر ورذيلة ، فواجب على المعلم فى جميع مراحل التعليم أن يكون مثلا طيباً لطلابه ، فيربيهم على الخلق القويم ، والصراط المستقيم ، ويكون مورداً عذباً لهم ، ومنهلا سائغاً يرتشفون منه كل الفضائل ، فتطهر نفوسهم ، وتسمو أرواحهم إلى معارج الكمال لأن رسالة المعلم قبل كل شىء رسالة روحية ، فالمعلم ذو الخلق الكريم يظهر أثره الطيب فى نفوس طلابه ، والعكس بالعكس ، ورسالة المعلم ليس المراد منها تلقين الطلاب جملا وعبارات يجتازون بها مراحل الاختبار من فرقة إلى فرقة فحسب ، وإنما رسالته تنشئة جيل متين فى خُلُقه ، مستمسك بأهداب الفضيلة ، مبتعد عن دواعى الفحش والرذيلة ، حتى يرقى الوطن ويسعد بأبنائه ، وتكون الأمة كلها فاضلة إذا المعلمون أدوا رسالتهم على أكمل وجه وأحسنه .

أما إذا انحرف المعلم عن الجادة ، ولم يفهم رسالته ، فعليه وعلى طلابه العفاء ، بل يكون فى تلك الحالة معول هدم فى صرح الأمة ، وجرثومة فساد تنخر فى عظامها .

٢٣

ونحن الآن فى شهر رمضان ، هذا الشهر الذى كرمه الله وفضله ، فأنزل فيه القرآن هدًى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، شهر جعل الله فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، شهر الرياضة الروحية للنفوس المؤمنة المطمئنة ، شهر الرجولة والمروءة ، والكرم ، والإحسان ، شهر فى كل عام يختبر الإنسان فيه رجولته ، ليعرف مدى تغلبه على شهواته ، وكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء .

ولكن من المؤسف المحزن ، أن تقع العين فى هذا الشهر فى كل ساعة من ساعات النهار على مناظر مؤذية ، على رجولة منهارة ، وكرامة مهدرة ، بل على آدميين هم كالأنعام بل هم أضل ، لا يراعون لهذا الشهر حرمة ولا كرامة ، ليس لديهم وازع من خلق أو دين أو فضيلة ، فى المنازل والطرقات ، فى القطُر والسيارات ، يأكلون و يشر بون ، وهم عن أمر ربهم فى غفلة ساهون ، وإن مما يحز فى النفس ألماً ، ويندى له جبين الإنسانية والفضيلة خجلا ، أن يرى الإنسان هذه المناظر المؤذية بين جدران معاهد العلم فى جميع مراحل التعليم على اختلافها . يرى الإنسان بعض هؤلاء المربين ، رسل الفضيلة ، رسل الأخلاق ، رسل السمو والنبل والكرامة ، هذا البعض الذى انسلخ من آدميته بدعوى التقدم والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، وأن التمسك بالدين تزمت ورجعية ، أو بدعوى أنهم علماء باحثون ذوو آراء حرة ، ليس للدين عليهم سلطان، يراهم الإنسان ينتهكون حرمة هذا الشهر جهاراً واستهتاراً لا يرعون عهداً ، ولا ذمة ، لا يخشون الله ولا يستحون من أبنائهم الطلاب .

هؤلاء حملة مشاعل الهداية والنور . كيف يستطيعون أداء رسالتهم ؟ ، كيف يكون لهم أثر كريم فى نفوس طلابهم ؟ كيف يحترمون بعد أن أهدروا هم كرامة أنفسهم بما جنوا من قبيح أفعالهم ؟ والمعلم إذا فقد الفضيلة وتجرد منها فكيف يدعو إليها ؟ ألا فليعلم هؤلاء الضالون المضلون أنهم فى الدرك الأسفل فى الدنيا والآخرة ، ففى الدنيا تسقط كرامتهم ، وتنحط منزلتهم عند كل من يراهم أو يسمع بهم ، وفى الآخرة مأواهم جهنم وساءت مصيرا .

فيأيها المعلم المستخف بأمر ربك إن كنت تتسمى بأسماء المسلمين ، وكنت منتسباً إلى حظيرة أهل هذا الدين ، فاعلم أن دين الإسلام دين الخلق السامى والذوق الرفيع ، إنه

دين يدعو معتنقه إلى المحافظة على شعور الآخرين ، دين يقول بنبيه صلى الله عليه وسلم للمسلمين « لاتؤذِ جارك بقتار قِدْرك » محافظة على شعور الجار ، ويقول صلى الله عليه وسلم « يانساءِ المسلمات : لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسَن شاة » إلى غير ذلك مما ورد فى السنة المطهرة من الحث على مراعاة الشعور ، دين هذه بعض مبادئه ، وأنت منتسب إليه باسمك حبذا لو جاهدت نفسك وقهرت شيطالك ، وتغلبت على هواك وراعيت شعور زملائك فى العمل ، وأخذت فى أسباب التوبة ، والإنابة إلى بارىء النسمات ، ومنزل الرحمات ، فيتوب عليك مولاك ، ويبدل سيئاتك حسنات ، ويفتح لك أبواب رحمته ، ويدخلك فسيح جنته ، هدانا الله جميعاً إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

محمد خليل السبكى
المدرس بوزارة التربية والتعليم باسكندرية

٢٥

الإيمان بالله

بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا

الإيمان بالله : إذعان القلب له ، ورضاه بمشيئته ، وخضوعه لشريعته : ثمرة معرفة له ، وعلم بصفاته ، وتفكر فى سننه وآياته .

فهو نور الحق يتجلى فيجلو عن البصيرة ظلمات الشك والحيرة . وهو يقين يفيض على القلب قوة وثباتاً وثقة واطمئناناً . (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

والإيمان الصحيح لايلج إلى القلب إلا عن طريق العلم والتفكير ، إذ لايقين إلا بعد اقتناع . والاقتناع وليد البحث والتفكير ، لأنه من المحال أن يقتنع عاقل إلا بما تأكد من صدقه لما رأى من براهين فأيقن بأنه الحق . ولذا قال تعالى عن الإيمان بكتابه الكريم (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق) وقال (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) أى كلما كان المرء أرسخ علماً وأوسع إطلاعاً كان أكثر فهماً لآيات الله فكان أقوى وأصدق إيماناً به وبكتابه . فكل يؤمن على قدر علمه وفهمه ويقوى إيمانه بالعلم والتفكير والعبادة ، كما أنه يضعف بالجهل واللهو والغفلة ، ولذا قال تعالى عن المؤمنين (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) لأنها زادتهم علماً وفهماً ، فزادتهم إيماناً وخشوعاً.

وكلما زاد المؤمن علماً بأسرار الكون وإحكام صنع الله ، فزاد فهماً لآياته ومعرفة لصفاته وقدر ما أعد من عقاب وعذاب فى الجحيم : ارتاع قلبه هلعا وخشية لهول ما علم . فلا يخشى الله تعالى كعالم فاهم لآياته عارف لصفاته ، يؤمن به ويقدره حق قدره ، فيوقن بصدق وعده ووعيده ، كما أخبر تعالى بقوله (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء) .

فخشية الله سبحانه آية الإيمان به إذ لابد لمن عرف ربه وأيقن بشديد بطشه وأليم عقابه أن يخشاه . بل لابد له أن يَجِلَ قلبه رهبة وإجلالاً لذكر الله ، كما أكد تعالى فى

قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وفى قوله (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) .

ومن أعظم آيات الإيمان غير خشية الله إجلال الله وحبه ، إذ من المحال أن يعرف القلب جميل صفات ربه ويقدر جزيل نعمته وعظيم رحمته ثم لا يحبه ويجله . كما أنه من المحال أن يوقن بشديد بطشه وأليم عقابه ثم لا يخشاه .

فلا يشرف الإيمان قلب عبد إلا ويكون حب الله فيه فوق كل حب ، ورضا الله فوق كل أمل ، وطاعة الله فوق كل هوى . فلا يتردد فى سبيل طاعته أن يحارب هواه ويعرض عن شهوته . بل هو لا يضن بأن يضحى بما يحب وبمن يحب فى سبيل رضاه . فلا يعدل به أحداً بل يتلاشى فى حبه حب سواه .

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) .

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يمتحنه الله بأن يجاهد الوثنيين بنفسه وبكل مايملك ، فيبلغ حبه وإجلاله لربه أن يعرض نفسه للتحريق بالنار ويرضى بذلك مسروراً فيجزيه الله بفضله أن يقول : (يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) ثم يمتحن طاعته بذبح ولده ووحيده إسماعيل ، فغلب حبهُ لربه حبهَ لولده ، وذهب إلى ابنه ودعاه إلى طاعة الله ، فأجابه الولد البار المطيع لربه وأبيه : (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) فشكر الله للوالد والولد وفدى الولد بذبح عظيم وجزى الوالد بإسحاق نبياً من الصالحين . وجزى الولد كذلك فجعله رسولاً نبياً عند ربه مرضياً .

وهكذا الشأن فى كل مراحل حياة المؤمن ، جهاد وصبر ، وتأييد من الله ونصر .

أما من ضعف إيمانه فإنه يضعف أمام شهوات نفسه ويفر من ميدان الطاعة فيكون جزاؤه الخذلان فى كل شئون الدنيا والآخرة .

وقد أكد تعالى أن المؤمن لا يضن بماله ونفسه فى سبيل الله بلا تردد لأنه لا يرتاب

فى صدق وعده فلا يخاف ظلما ولا هضما فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

وقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقًا لهم دجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) أولئك هم المؤمنون حقًا يعنى : أن المؤمن الصادق فى إيمانه لابد أن تجتمع فيه كل هذه الصفات . ومن لم تجتمع فيه فليس بمؤمن لأن (إنما) فى كلام العرب تجىء لتثبيت شىء ونفى ماخالفه . فهو توهم ولم يؤمن . وتخيل ولم يستيقن .

فليس الإيمان مجرد دعوى باللسان إذ لا قيمة لقول لم يصدقه العمل . وليس بمؤمن من زعم لسانه الإيمان بالله ثم تولى وكذب زعمه بإعراضه عن رسالته وعصيانه لأوامره وشريعته كما أخبر تعالى فى قوله : (و يقولون آمنا بالله و بالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك . وما أولئك بالمؤمنين) نعم . وصدق الله ما أولئك بالمؤمنين إذ لا إيمان بلا إذعان . ولا اقتناع بلا اتباع .

وكل من يدعى الإيمان بلا طاعة ولا عمل إنما هو واهم مغرور غرور الأعراب إذ قالوا : آمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم ، فقال لهم الله سبحانه مكذبًا لقولهم (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) نهاهم عن هذا الادعاء الكاذب لأن الإيمان عملى لا قولى . فلا بد أن يدفع الإيمان بصاحبه إلى التقوى وهى أشد الحرص على الطاعة والإحسان . فاسمع لوصف الله تعالى للمؤمنين فى قوله (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون : الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

وفى قوله : (إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) .

وفى قوله (التائبون العـابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين) .

ولا بد أن يدفع الإيمان صاحبه إلى الجهاد فى سبيل الله وعمل الصالحات ، ولذلك لم يقل الله تعالى : (الذين آمنوا) إلا أتبعها بقوله (وعملوا الصالحات) دلالة على أن الإيمان بالله من المحال أن يكون بلا ثمرات طيبة من عمل صالح وجهاد فى سبيله . فلم يؤمن بالله إلا من اتقاه ما استطاع كما أمر ، وتزكى فطهر نفسه من كل عيب ونقص ، وسعى وسارع لعمل الصالحات فـكان جزاؤه النعيم كما قال تعـالى : (ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) .

والإيمان أساس صحة الأعمال وصلاحها وشرط قبول الله تعالى لهـا . فلا أجر لمن عمل صالحاً إلا وهو مؤمن . كما أنه لا صحة ولا ثمرة لإيمان مؤمن إلا وهو محسن .

قال تعالى (ومن يعمل من الصـالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه إلى الله وهو محسن) .

وقد توعد الله سبحانه الذين يعملون على غير إيمان بالله وتصـديق بوعده بأن عملهم مردود عليهم وحابط فى قوله (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) .

وذلك لأن الإيمان أعظم نعمة أنعم بها تعالى على عباده ، بل هو أصل النعم لأنه الشمس الـكاشف نورها لـكل نعمة ، الباعث شعاعها الحياة فى القلوب لتعرف ربهـا ونعمه فتقدرها وتشـكرها .

فمن يكفر بنعمة الإيمـان . أى يعرض عن النور الذى بعثه الله هدى ورحمة به فقد حبط عمله مهما كان كثيراً وعظيما لأن الله تعالى لا يقيم وزناً لما عمل لغيره ، ولا يتقبل عملا لغيره ، ولا يتقبل عملا إلا ممن عرفه فعمل له خوفاً وطمعاً .

وأخبر تعالى فى القرآن الكريم بأن قلب المؤمن يشعر عند ذكره شعورين متناقضين فى وقت واحد : شعور الاطمئنان ، وشعور الخوف معاً ، فهو تعالى يقول (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) كما يقول (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وذلك لأن القلب المؤمن الذى يثق و يوقن بصدق وعد الله للتائبين بالمغفرة وللمتقين الصابرين ، بحسن الجزاء لابد أن يشعر قلبه بالاطمئنان ، ولكنه بالرغم من اطمئنانه يشعر بالوجل رهبة وخوفاً من غضب الله وعقابه لأنه يوقن كذلك بصدق وعيده للمذنبين بعذاب النار . بل إنه يفزع إليه ضارعاً : ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

فهو يحترم أمر ربه ويخشى عاقبة غضبه . فلا يستخف بذنبه . بل يكبره و يستنكره مهما كان صغيراً كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه . والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره » .

من يتدبر آى كتاب الله الكريم ، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، يجد أنها تصف المؤمن بجميل الصفات وجليل الأعمال ، لا بالتصديق وعبادة الله فحسب ، بل وتؤكد أن الإيمان لا بد أن يسمو بصاحبه إلى ذروة الكمال وأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، كما أكد ذلك تعالى فى قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) .

وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك أن الإيمان لا بد أن يغرس فى قلب المؤمن الفضائل وكريم الخلق ، فيحب ما يحب الله فى قوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ومن كان هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم تنزه من كل ما ينهى عنه الله من فواحش ومنكرات ، وتحلى بكل ما يأمر به الله من فضائل وجميل الصفات .

فالمؤمن لحيائه من ربه لايطيق أن يقف أمامه موقف الأثيم الحقير احتفاظاً بكرامته وحرصاً على مكانته ، وطمعاً فى أن يبقى جديراً بحبه ، وأهلا لحسن جزائه لا خوفاً من غضبه وطمعاً فى ثوابه فحسب . وكيف لا يستحى من ربه من يحبه ويخشاه . فلا يبالى أن يراه حيث نهاه ، ولا يدفعه حبه له إلى اتقاء غضبه والسعى لرضاه ؟ ؟ .

فلا يصون المؤمن من الزلل كالحياء من ربه . فإذا جمح إلى الشر ردعه ، وإذا لم

يسارع إلى الخير دفعه ، وإذا حاد عن طريق الرشد منعه . فيكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . ولذا قال « الحياء شعبة من الإيمان » .

وكما أن حب المؤمن لربه يدفعه إلى الحياء منه ، يدفعه كذلك إلى ذكره وشكره ، لأن من لوازم الحب أن يذكر الحبيب حبيبه ، وأن يقدر عمله ، ويشكر فضله ، ويحترم قوله ، فهو يذكر ربه فى كل شأن من شؤونه ، وفى كل حركاته وسكونه ، ويفكر فى بديع صنع السموات والأرض فيستنتج من هذا التأمل والتفكير أن الله تعالى لم يخلق كل هذا سدًى بلا سبب ولا هدف ، بل خلقه فتنة ليرى من يستحق بعمله نعيم الجنة أو عذاب جهنم فيهلع قلبه ويطلب من الله ضارعاً النجاة من عذاب النار الرهيب . قال تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) .

فإن من يديم التفكر فى خلق الله ويظل ذاكراً لوعده ووعيده . فلا ينسى نعيم الجنة فيتمناه . كما لا ينسى عذاب جهنم فيخشاه ويتقيه . لا يجسر على عصيان ربه خوفاً من عقابه يوم الحساب . كما أخبر تعالى فى قوله (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .

نعم قد يخطىء المؤمن ساعة ضعف ، أو ساعة غضب ، ولكنه لا يأتى مايأتيه مختاراً متعمداً ، بل يكون ساعة اقترافه فاقداً لوعيه ، ذاهلا عن ربه ، فإذا مابدرت منه هفوة ، أو ظلم نفسه عند غفوة ، ذكر ربه فآب إليه نادماً مستغفراً . فهو من (الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) .

والمؤمن صادق ، لا يجسر لحيائه أن يكذب أو ينكث عهده ، بل يقدم شرفه وكرامته على حياته ، ويتفانى مااستطاع ليقوم بواجباته ، فهو لا ينكث عهده ولو لقى فى ذلك حتفه ، ويضحى بكل عزيز ليفى بوعده فيحفظ شرفه ، ويربأ بنفسه أن يقف موقف الكاذب الخائن ، ولا يألم لطعنة حسام كما لم يألم لنظرة احتقار ، وهو لا يحيد عن الحق لحب حبيب

حميم ولا لكره عدو أو غريم ، ولا شفقة على فقير أو يتيم ، ولا تزلفاً لغنى أو عظيم ، بل يؤثر الصدق حيث يضره على الكذب حيث ينفعه ، فاسمع لقوله تعالى فى وصف المؤمنين : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون) واسمع لقول رسوله صلى الله عليه وسلم فى وصف المؤمن « ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان ، من إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، وإذا قدر عفا » .

والمؤمن عظيم الصبر والحلم لأنه عظيم الثقة بالله مطمئن القلب بوعده ، فما الصبر إلا رضا النفس المطمئنة لإيمانها برحمة الله وعدله ، ولذلك أشار تعالى إلى المؤمنين بقوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (ياأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى) فهو لأنه يوقن بحسن الجزاء على صبره وحلمه ، يحتمل مايؤلمه وما يغضبه ، راضياً خاضعاً ، ولأنه يوقن بسوء العقاب على ذنبه ينهى نفسه عن الهوى ، صابراً طائعاً ، ولأنه يثق برحمة الله وعدله يرضى بما قسم له شاكراً قانعاً ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » فهو من الفائزين فى سرائه وفى ضرائه ، لأنه يحرص على سعادته فى الدارين ، يحرص على رضا ربه فى الحالتين ، فيصبر إن أصابه شر ويشكر إن أصابه خير ليربح الأجر من الوجهتين ، ولذا سماه تعالى صباراً شكوراً فى قوله (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور).

وأشار تعالى فى هذه الآية إلى : أن الصبار الشكور ، وهو المؤمن ، يقظ حكيم يتعظ بما يسمع من عظات ويتذكر بما يرى من آيات ، فيصبر ويشكر لأنه عرف عاقبة الصبر على جهاده وألمه ، كما عرف عاقبة الشكر على فضل الله ونعمه .

وفى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » تأكيد أن المؤمن لا بد أن يكون فطناً حريصاً يتقى مايؤذيه فى الدنيا كما يتقى مايشقيه فى الآخرة ،

فلا يقع فى ذات الخطأ مرتين ولا يغفل عن مصلحته فى الدارين . فهو من الذين (إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) .

والمؤمن كريم سخى ، لا يبخل بما آتاه الله من فضله ، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « الشح والإيمان لا يجتمعان فى قلب » لأن الإيمان لابد أن يثمر الثقة بالله ، وكلما قوى الإيمان قويت هذه الثقة ، ويلزم من ذلك ولابد سخاء النفس ومسارعتها إلى البر والإحسان وعمل الخير ، وإنه لمن المحال أن يعرف المرء ربه ويؤمن بمضاعفة الربح لما ينفقه فى سبيله ، ثم لا ينفق ولا يبالى بعظيم ثوابه ، كما أنه من المحال أن يعرف قدر غضبه وانتقامه من البخيل ، ثم يبخل ولا يبالى بشديد عقابه ، فلا يبخل فى سبيل الله إلا من لايصدق بوعده ووعيده ، فلايخاف أليم عذابه ، إذ كيف يجرؤ على البخل فى سبيل الله من يؤمن بقوله تعالى : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) .

فإن من يوقن بوعد الله ووعيده لايعميه عن واجباته طمع ، ولا يلهيه عن نجاته جشع ، بل يسارع إلى خيره بمسارعته إلى معونة غيره . وذلك لأنه يعرف أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، وأنه لايفلح فى الدارين إلا من يوق شح نفسه ، فينفق ماله ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه . ففى إنفاق المؤمن للمال فى سبيل الله تثبيت للنفس وتمكين لها فى منازل الإيمان لأن المال حبيب إلى النفس لايهون بذله إلا على مؤمن يقدم على حبه حب الله . فلا جهاد ولا مقاومة من النفس تثبت إيمانها كمقاومتها وقهرها لهذا الحب الغريزى وتغليبها لحب الله عليه ببذلها مما تحب . كما أكد تعالى فى قوله : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

فهو ينفق فى السراء والضراء ، ويغيث الملهوف زاد دخله أو قل : كجنة بربوة تؤتى أكلها ، إن أصابها وابل أو أصابها طل . يؤثر على نفسه من أجل نفسه ، لعلمه أن الإيثار فى حب الله أعظم أثرة ، إذ مايضحيه فى سبيل الله سيضاعف له أضعافا كثيرة . فهو تاجر ماهر ، يعطى قليلا ليربح كثيراً ، فينفع لينتفع ، ويتعب ليستريح ، ويصبر ليسعد ، ويعفو

ليعفى عنه . ولذلك من المحال أن تسيطر على قلبه أنانية فتدفع به إلى ضرر نفسه بضرر غيره وتمنعه عن نفع نفسه بنفع غيره . إذ كيف لا يسارع إلى الخيرات ولا ينفق فى سبيل الله ، وهو سعيد يؤمن بقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم) .

فليس من المعقول قطعاً أن يعرف مؤمن السبيل إلى سعادته والسبيل إلى شقوته ثم يعرض عما يسعده ويسعى لما يهلكه مختاراً راضياً . فلا يعرض عن سبيل سعادته إلا من لم يوقن بأنه يفضى به حقاً إلى السعادة ، كما أنه لا يتخذ سبيل الشقاء مستهيناً إلا من ارتاب فى أنه يفضى به حقاً إلى شقوته .

فالمؤمن لا يبخل ولا يبذر ، كما أنه لا يسرف ولا يقصر . بل يتحرى فى نفقته وفى متعته الاعتدال . كما يسعى فى عمله إلى الكمال . فهو من (الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

فلا بد أن يدفع الإيمان الصحيح بصاحبه إلى جد الحياة ، فلا يتهالك على زينتها ولا يسرف فى متعتها ، لأن من تمتع قلبه بذكر الله وعبادته والتفكر فى بديع صنعه وجميل صفاته وبليغ آياته . من المحال أن يقدم على هذه المتعة متعة . بل يستخف بكل لهو . ويعرض عن كل لغو . ويضن بوقته وبماله أن يضيع بلا ثمرة طيبة تعود عليه فى الدنيا أو فى الآخرة . وقد أكد الله تعالى ذلك فى وصفه للمؤمنين فقال : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون) .

وهو لرحمته وحبه لأخيه ونفسه : يؤلمه أشد الألم مهما كان غنياً أن يفقد بتبذيره شيئاً من ماله فلا ينفع به ولا ينتفع بأن يغيث به فقيراً ويربح به ثواباً .

فلا يستخف بتبديد المال سدى إلا أنانى كفور يستخف بآلام وفقر غيره ، كما يستخف بنعمة الله عليه فيبذرها تبذيرا قال تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) .

والمؤمن يصلح غيره كما يصلح نفسه وأهله ويرشده إلى الصراط المستقيم ، لأنه يحب له مايحب لنفسه فلا يطيق أن يراه هائما فى ظلمات الضلال ولا يسعى لإنقاذه بماله ونفسه ، ولا يرضى له قلبه الكريم أن يرى أعمى البصيرة على حافة الهاوية ولا يأخذ بيده لينقذه من الهلاك ويدله على السبيل .

فالأنانى الذى لايبالى إلا بنفسه ، لا يكون مؤمناً كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وأكد تعالى تبادل الحب والنصح بين المؤمنين فى قوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم) .

فأهم صفة للمؤمن ، وأدل سجية على صدق إيمانه : ألا يطيق أن يرى الفسق يفترس الفضيلة ولا يقاتله . وأن يجد الظلم يسطو على الحق ولا ينازله . وأن يرى أخاه فى حاجة إلى الغوث ولا يحاوله . فلا بد أن يكون المؤمن مناراً ينشر الضوء من حوله ، فيهدى الضال إلى سبيل الرشد بقوله وعمله . ويغيث الظالم من نفسه ، وينقل الجاهل من جهله .

إنه عرف المعروف فأحبه ، واستنكر المنكر فاجتنبه ، وتمنى الخير لأخيه فسعى لإصلاحه وإنقاذه مادياً وأدبياً ، وكان من الذين مدحهم الله تعالى بقوله : (يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين) .

وكما أن المؤمن لايطيق أن يرى غيره هائما فى ظلمات الضلالة ، فهو لايطيق طبعاً أن يرى أهله وأولاده مقترفين للمعاصى غافلين عن واجباتهم نحو الله تعالى ولا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحاول إصلاحهم ما استطاع . ولذلك لاتجد مؤمناً صادق الإيمان ، يرضى عمن تمرد على الله ولا يبغضه ولوكان أحب الناس إليه . فهو يحب فى الله ويبغض فى الله لأنه أشد حباً لله ، فيغضب ممن يغضب الله .

وقد جعل الله تعالى : النفور والكره فى قلب المؤمن للفاسق برهان الإيمان الصحيح . وأكد ذلك فى قوله : (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

فالقلب الذى كتب الله تعالى فيه الإيمان وأيده بروح منه : من المحال أن يحب من أصر على عصيان الله وتعدى حدوده ولو كان أقرب الناس إليه وأكثرهم نفعاً له . بل يقتل شعورُ الاحتقار فى قلبه شعورَ الحب مهما كان شديداً ، ولذلك قال تعالى مؤكداً لرسوله (لا تجد) أى مهما بحثت فمن المحال ، أن تجد مؤمناً يودّ فاسقاً ولو كان ولده لأن ذلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وذلك ما أخبرنا به تعالى وأكده لنا ، ومن أصدق من الله قيلا ؟؟

فإن من يستنكر المنكرات ويعاف قلبه الكريم الفاحشة ويستبشعها . لابد أن يحتقر ويبغض من يقترفها ، وأن ينفر حياؤه من وقاحته وجرأته . وعلى قدر الاستنكار والاشمئزاز من المعصية يكون الاحتقار والبغض لمقترفها . وعلى قدر الاستخفاف بها يكون الرضى عن مقترفها . فلا يستخف بالفسق إلا فاسق ، ولا يرضى عن النفاق إلا منافق . ولذا قال تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فكل يميل إلى نده وينفر من ضده . فشبيه الشىء منجذب إليه .

وقد بين تعالى : أن المؤمن لايرأف بالمجرم لأنه عدو الله و بغيض إليه ، فلا يتردد فى تنفيذ ما أمر الله به من عقاب مدفوعاً باحتقاره واستنكاره ، كما لايترد فى قتل أفعى لينقذ غيره من شرها . قال تعالى (والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى إن المرء إن كان يؤمن حقيقة بالله واليوم الآخر لاتأخذه بهذين المجرمين رأفة ، بل يشعر نحوهما بالقسوة لهول مايأتيان .

نفهم من ذلك أن الرأفة بالزانى والحب للفاسق آية بعد القلب عن الإيمان لأن الإيمان لا بد أن يطهر قلب صاحبه من رجس هذه الرأفة ، وهذا الحب القذر كما أخبرنا تعالى فى كتابه الكريم .

وقد نزه تعالى المؤمن من أكبر الفواحش و باعد بين المؤمنين و بين الزانين والمشركين

وفصل الفريقين بتحريمه التزاوج بينهما فى قوله : (الزانى لاينكح إلا زانيـة أو مشركة ، والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) .

وهذا نص صريح بأن المؤمن لا يقدم على هذه الفاحشة ، وأن الجرأة على اقترافها برهان فقد الإيمان ، كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن » .

والخلاصة التى يفهمها كل من تدبر القرآن ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يهذب قلب صاحبه ويطهره . وينير لبصيرته سبيل الحق فتبصره . ويدفعه إلى خشية ربه فيحذره ويدعوه إلى حب الخير لأخيه فيذكره . فيصبح بإيمانه كريماً تقيا نافعا لنفسـه وغيره . لا يرد طلب سائل . ولا يبخس عمل عامل . ولا يأكل أموال الناس بالباطل . ولا يبخل بماله عن الفقير ، ولا بنصحه عن الجاهل .

فطوبى لمن كتب فى قلبه الإيمـان ، وأيده بروح منه وهداه بنور القرآن . فاتقى الله مااستطاع وتحرى فى قوله وعمله العدل والإحسان . ففاز برضا الله والخلود فى الجنة إذ كان من حزب الرحمن (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه . ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) . صدق الله العظيم

ليلة النصف من شعبان
وكتّاب مجلة (الإســـــلام)

منذ عشرين عاماً ونيفاً ـ فى المحرم سنة ١٣٥٨ ـ كتبت كلمة بمجلتنا (الهدى النبوى) تحت عنوان « نقض مطاعن وافتراءات مجلة الإسلام » أبين فيها جهالة كتّاب تلك المجلة، وتأييدهم لما عليه العامة من الخرافات والخزعبلات والأباطيل ، وقلت : إن العدد الواحد من (الإســلام) يحوى المتناقضات ، وضربت لذلك مثلاً بمـا نشرته من المدح والقدح فى ابن عربى ، ذلك الداعية الباطنى الخبيث ، فقد نشرت مقالا امتدحته فيـه ، وجعلته من كبار الأولياء ، ثم نشرت مقالا آخر فى العدد ذاته ، بأنه رأس الـكفر ، وعميد الداعين إلى عقيدة وحدة الوجود الـكافرة ، وقلت : إن صـاحب المجلة وكتّابها ليس لهم مبدء يسيرون عليــه ، ولا يحسنون فهم العقائد الإســلامية الصحيحة ، ولذا فهم ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس ، بل إن ذلك واقع فى العدد الواحد من مجلتهم وأنهم جميعاً كحاطب ليل.

كان ذلك منذ عشرين عاماً ، وها نحن أولاء نراهم اليوم على ما كانوا عليه منذ ذلك العهد البعيد ، بل لعلهم ازدادوا بعداً عن فهم الدين الصحيح .

وسيرى القارىء الـكريم صحة هذا الذى نقول من النموذج الذى سنقدمه بين يديه ، وقد كنا فى غنى عن التصدى لهذه المجلة وكتّابها ، لتفاهة شأنها ، وشـأن ما ينشر فيها ، لولا ما رأيناه من الغمز واللمز من كتّابها لجماعة المتمسكين بالـكتاب والسنة ، والذابين عن التوحيد والدين الخالص .

وقبل الشروع فى بيـان الأخطاء التى وقع فيها كتّاب المجلة نريد أن نسأل أولئك الذين ذهبوا إلى أن ليلة النصف من شعبان هى التى تـكتب فيها الآجال ، وتقدّر فيها الأرزاق ، وتمحى فيها الشقاوة ، وتـكتب السعادة . . . . إلى آخره :

هل الليلة المباركة التى ذكرها الله فى قوله تعالى من سورة الدخان (إنّا أنزلناه فى ليلة

مباركة إنا كنا منذرين . فيها يُفْرَق كل أمر حكيم) وفى قوله : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) وفى قوله : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) هل هى ليلة القدر ؟ أم هى ليلة النصف من شعبان ؟ ومعلوم أن ليلة القدر فى العشر الأخير من رمضان .

أنتم جميعاً ـ يا كتّاب مجلة الإسلام ـ تذهبون إلى أنها ليلة النصف من شعبان، وعدد مجلتكم (الخاص) بجميع كتّابه يقول ذلك . فهل هما ليلتان مباركتان أم هى ليلة واحدة ؟

لا شك عندنا فى أنها ليلة واحدة هى ليـلة القدر التى أُنزل فيها القرآن ، من شهر رمضان . ولا اعتبار لقولـكم جميعاً أنها ليـلة النصف من شعبان لمصادمة أقوالـكم لنصوص الـكتاب والسنة .

إن مفسر القرآن فى مجلتـكم يقول إنها ليلة النصف من شعبان ، وقد أورد على رأس مقال التفسير قوله تعالى : (لـكل أجل كتاب . يمحو الله مايشاء و يثبت وعنده أم الـكتاب) وذكر أن المحو والإثبات فى تلك الليلة وليس فى غيرها .

والذى نعلمه من سـياق الآية قبلها ، أن المحو والإثبات هما فى الشرائع التى جاءت بها الرسل ، وليس فى محو وإثبات آجال الناس وأرزاقهم ، وشقاوتهم وسعادتهم . فإن الآية قبل قوله تعالى : (لـكل أجل كتاب) تقول : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ، وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لـكل أجل كتاب . يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الـكتاب) .

فهذا المحو والإثبـات هما فى نسخ بعض الشرائع ، و إثبات البعض الآخر ، فينسخ الله ـ مثـلاً ـ من شريعة موسى ما يشاء ، ويثبت فى شريعة عيسى ما يشاء ، وكذلك ينسخ من شريعة عيسى مايشاء ، و يثبت فى شريعة محمد ما يشاء ، صـلوات الله وتسليماته عليهم ، وهكذا ، وفق ما تقتضيه سنــة الله فى تطور البشر ، فينسخ ما يُستصوب نسخه ، ويثبت ما تقتضيه حكمته .

ويؤيد هذا قوله تعالى من سورة الأعراف : (الذين يتبعون الرسول النبىّ الأُمّىّ الذين يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، و ينهاهم عن المنـكر ويُحِلّ لهم الطيبات ويُحرِّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصْرَهُم والأغلال التى كانت عليهم) .

فقد وضع الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الآصار والأغلال التى كانت على بنى إسرائيل قبلها ، فمحا الآصار والأغلال ، وأثبت التيسير والتخفيف ، وهو ما عنته الآية فيما نعلم .

أما أن يكون هناك : محو وإثبات فى كل عام مرة ، فى آجال الناس وأرزاقهم ، وشقائهم وسعادتهم ، وفقرهم وغناهم . فهذا مالا نعلم له حقيقة ، فقد « رُفِعَتْ الأقلام وجفت الصحف » و « جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » كما هو نص أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أورد هذا المفسر أثراً عجباً ، رواه الحكيم الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : « لما ارتقى موسى عليه السلام طور سيناء ، رأى الجبار فى إصبعه خاتما ، فقال : ياموسى ماهذا ؟ ـ وهو أعلم ـ قال : شىء من حلى الرجال . قال : فهل عليه شىء مكتوب من أسمائى أو كلامى ؟ قال : لا . قال : فاكتب عليه (لكل أجل كتاب) .

ثم علل الحكمة فى الأمر بكتابة الآية . فقال: ليعلم موسى أن الله يصدر قضاءه فى كل وقت وحين . هكذا علل المفسر الحكمة فى الأمر بكتابة الآية على الخاتم . وكأن موسى عليه السلام ـ فى زعم هذا المفسر ـ لا يذكر أن قضاء الله وقدره يصدران وينفذان فى كل وقت وحين ، إلا إذا كتب الآية على الخاتم ، وإلا فهو فى غفلة عن ذكر قضاء الله وقدره !!! أثر غريب ، وتعليل عجيب ، وأغرب منهما وأعجب ، أن يصدرا عن أستاذ بكلية الشريعة !!

* * *

وإذا تركنا محرر التفسير فى خلطه للكلام ، وتخبطه فى مسألة المحو والإثبات . بين النقض والإبرام ، لوجدنا محرر « الحديث الشريف » وقد جعل عمدته فى الكلام عن ليلة النصف من شعبان ، حديثاً يرويه البيهقى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يطّلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وهو حديث لايستحق سماعه ولا روايته ، إذ ليس فى فضائل ليلة النصف من شعبان

حديث يعوّل عليه ، كما أشار إلى ذلك أبو بكر بن العربى وغيره من أئمة هذا الشأن ، ولكن ماحيلتنا فى هؤلاء الذين يجهلون ذلك ، ويجهلون أنهم يجهلون ، ثم لايتورعون عن رمى غيرهم بما هم غارقون فيه .

ويذكر محرر « الحديث الشريف » أن أحد القراء طلب إليه البيان الشافى عن ليلة النصف من شعبان ، لأنه فى حيرة من أمره بين مؤيدى الليلة وفضلها ، وبين النافين لوجودها على الإطلاق . فكتب يجيب السائل : إنها ليلة مباركة ، وأن عليه أن يعمل بما تعارف عليه الناس فى تلك الليلة ، من تلاوة الدعاء المشهور ، وقراءة سورة (يس) . ويقول : لا تدع هذه الفرصة الكريمة تمرُّ عليك بدون انتهازها ، وما دام قلبك يميل إلى إحياء ليلة النصف فى المسجد ، على ماتعارف عليه الناس ـ واسترع انتباهك أيها القارىء إلى تعليله ـ لأنه كله من الدين ، صلاة وقراءة قرآن ، ودعاء ، وتعاونًا على البر والتقوى » .

ثم يقول : « ولا تنصت للسطحيين الذين اعتادوا الشغب والتشويش على المسلمين ، وإثارة الفتنة ، والتفرق بينهم بغير سلطان لديهم » ويقول : « ولو نظر هؤلاء المنكرون إلى الجهة التى نظر إليها المجتمعون لإحياء ليلة نصف شعبان ، لما اختلفوا ، ولما تفرقوا ، ولكنه الجهل بالدين » .

أى إن الذى لايعمل مثل عمل العوام ، ولم يعرف ماعرفه العوام لتلك الليلة ، فهو الجاهل بالدين !!

اننا نرى أن عامة الناس يؤمون المساجد فى ليلة النصف من شعبان للدعاء ، بل إن غالبيتهم لايطرق أبواب المساجد العام كله إلا فى ليلة النصف ، لاعتقادهم ـ ومما يحضهم عليه جهلة العلماء ـ أن الدعاء فيها يكفيهم لأن يعيشوا السنة كلها بالأمن والأمان، والعيش الرغيد ، مادامو قد قاموا بتلاوة ذلك الدعاء المعروف ، الذى يجعل من الشقى سعيدا . ومن المقتر عليه فى الرزق ذا سعة . ومن ناقص العمر طول الأجل . . . . . . إلى آخر مايحويه الدعاء المعروف .

ويقول محرر الحديث أيضاً لمستفتيه : « لا بأس من إحياء هذه الليلة كما اعتاد الناس إحياءها بالدعاء المعروف » .

ونحن بدورنا نسأله : هل اجتماع العوام وَمَنْ فى حكمهم من جهلة العلماء ، لقراءة ذلك الدعاء « أللهم ياذا المنّ » فى تلك الليلة ، وانصرافهم عقب ذلك ، بحيث لا يستغرق وقت الصلاة والدعاء بعدها ، دقائق معدودات هل تَعُدُّون هذا العمل فى هذه الفترة الوجيزة من الزمن إحياء لتلك الليلة ؟ .

عجباً لكم أيها الناس حين تقررون أن هذا العبث ، وهذا اللهو واللعب إحياء لليلة النصف من شعبان ! ! .

إن قيام الليل ، وهو المقصود بإحيائه ، لا يكون إلا فى الأوقات التى بينتها الشريعة بأنها وقت السَّحَرْ ، وقت الاستغفار ، وقت إجابة الدعوات . فهل هذا الزمن اليسير الذى تقرأون فيه ذلك الدعاء ، ثم تنصرفون بعده تعدونه إحياء لتلك الليلة ؟ .

نعم ، إننا نسمى مثل هذا العمل عبثاً ، وهزواً ولعباً ، لأنكم تتركون الناس فى عماياتهم وجهالاتهم ومعاصيهم أيضاً طوال العام ، ثم تقولون لهم : تعالوا أحيوا هذه الليلة بهذا الدعاء ، وسترجعون وقد غُفِرَتْ لكم ذنوبكم ، ومُحِيت شقاوتكم ، وكتبتم من السعداء ، ووسع لكم فى أرزاقكم ، ومد لكم فى آجالكم ، فما عليكم ـ والحال كما ذكر ـ إلا أن تريحوا أنفسكم طوال العام ، ولكم بعد ذلك أن تؤموا المساجد فى مثل هذه الليلة من العام القابل ، وهكذا ! ! .

أليست هذه هى النتيجة الطبعية لدعوتكم الناس إلى قراءة ذلك الدعاء فى تلك الليلة بالكيفية التى تعارف عليها الناس ؟ .

ويقول محرر « الحديث الشريف » (إن الذى يتمسك بالخلافيات فى مثل هذه الليالى المباركات ، فيزعم أن ليلة النصف من شعبان لافضل لها ، ويعترض على الدعاء الوارد فيها ، ويصف المحتفلين بها بأنهم ضالون مبتدعون ، وهكذا مما اعتاد المفلسون وأدعياء المعرفة ، من إثارته حول هذه الليلة) .

ونحن نقول و بالله التوفيق :

إن الأصل فى العبادات وأوقاتها وكيفياتها ، هى النصوص الواردة بشأنها فى الشريعة بالطرق الصحيحة الثابتة ، المأثورة عن صاحب الشريعة وصحابته الأكرمين ، ثم عن عامة السلف الصالح بعدهم .

فهل وردفى الصحاح عن ليلة النطف من شعبان ، وفضائلها مايؤيد الذى ذهبتم إليه ، وما أنتم وعامة النـاس معكم عليه ، من اجتماعكم بعد صلاة المغرب من تلك الليلة ، وتلاوة الدعاء المعروف « اللهمّ ياذا المنّ » بكيفية هى أشبه بتكبيرات العيدين المشروعة ؟ . فهل ورد عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسـلم مايؤيد فعله لدعاء نصف شعبان مثل فعلـكم ؟ أو أن الصحابة رضوان الله عليهم فعلوا ذلك . ؟

وهل لـكم جميعاً ـ يادعاة إحياء هذه الليلة ـ أن تدلونا عن أول مبتدع فعل ذلك ؟ .

وهل تؤدى العبادات والقربات حسب ما اعتاده جمهور المسـلمين وألفه غالبيتهم ، و إن لم تـكن لتلك العبادات أثر ثابت ، أو دليل قوى يؤيده ؟ .

ثم نسألـكم : هل الذى يجرى على اتباع صحيح السنة ، ويدع العمل بمـا ابتدعه المبتدعون ، ثم يدعو الناس إلى الصحيح دون المبتدع ، مشاغب سطحى التفـكير ، مثير للفتن ، مفرق لجماعة المسلمين ؟ .

وهل فى معقولـكم ـ أيها الذين تجارون العامة فى جهالاتهم ـ أن الدين بالعادات والتقاليد و بما تعارف عليه الجمهور ؟ .

و إذا كان هذا مبلغ فهمكم للدين ، وأخذكم للشريعة ، فما الفرق بينكم و بين الجهلة والعوام ؟ ؟ .

أنتم تقولون عن الذين ينكرون مالهذه الليلة من فضائل ، أنهم سطحيون ـ أى سطحيو التفـكير ، لا يغوصون إلى الأعماق ـ وأنهم مشاغبون ـ أدعياء معرفة ـ يفرقون جماعة المسلمين ـ هذه صفات أضفيتموها على المنـكرين لهذه الليلة وفضائلها .

فهل تطبقون هذه الصفات أيضاً على كل المنـكرين على هذه الليلة من السـلف ، ومنهم

الإمام محيي الدين النووى ، أحد أئمة الشافعية المشهورين ، حيث يقول : « إن القول بأن المراد بالليلة المباركة فى الآية الكريمة (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) ليلة النصف من شعبان ، قول خطأ ، والصواب الذى قال به العلماء : « إنها ليلة القدر » ؟ .

ويقول الإمام أبو بكر بن العربى المالكى ، صاحب التفسير المشهور ـ أحكام القرآن والعواصم من القواصم والعارضة ، شرح الترمذى عن تلك الليلة : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لافى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها » .

فهل هذا الإمام أيضاً سطحى التفكير ، من المشاغبين ، ومن أدعياء المعرفة ؟ ومن الذين يفرقون كلمة المسلمين بالخلافيات البسيطة ؟ ؟ .

إننا نريد الخير لأنفسنا ، ولعامة المسلمين معنا ، لأننا نرى أن الخير كل الخير فى اتباع ماجاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما ورد عنه بالأوجه الصحيحة النقية السليمة .

إننا ندعو الناس إلى الأخذ فى الشريعة بمعالى الأمور ، والله سبحانه يقول : (واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم) ويقول : (فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فنحن ندعو الناس إلى اتباع الأحسن فى دين الله ، والأخذ بعزائم الأمور وجدها ، وترك سفسافها .

أما أن ندعو الناس إلى الأخذ بالأحاديث الواهية ، والعبادات المبتدعة المحدثة . والزعم بأن ذلك مطابق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله » الحديث ـ فهذا مابرأ الله ناصرى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم منه .

إننا نخاطب صاحب مقالات (وما كان عطاء ربك محظوراً) فنقول :

ذكرت فى مقالك الأول عن (نصف شعبان) حديثاً عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع الله فى ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » هكذا رويت هذا الحديث .

فهل فى معقولك أن المشاحن قرين المشرك بالله ؟ هذا على فرض صحة هذا الحديث بزعمك و إن كان هذا دليلا على وضع الحديث ، لأن الله يقول (إن الله لا يغفر أن يُشرك به . ويغفر مادون ذلك) وهذا الحديث جعل المشاحن والمشرك فى قرن واحد ، فهل تأخذون بهذا الحديث المكذوب وتردون القرآن ؟

أنت تذكر الحديث الذى رويته عن عائشة رضى الله عنها ، أنها افتقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، إلى أن وجدته ساجداً ولطول سجوده ظنت أنه قد قبض ، فقال لها : أتدرين أية ليلة هذه ؟ قالت قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

هكذا رويتَ ويرويه غيرك مثلك .

فهل تظن أيها الرجل أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلم فضل هذه الليلة المباركة ، ثم لا يخبر أهله ليغتنموا فرصة القرب من الله والطلب إليه ، وهو الذى أنزل عليه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً . وقودها الناس والحجارة) ؟ .

أليس هذا ، مما يفيد وضع ذلك الحديث . وأنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه من غير المعقول أن ينفرد بالعبادة والدعاء فى هذه الليلة المباركة . ويترك أهله وأمته دون أن يخبرهم بمزايا هذه الليلة ليغتنموا خيرها ، لأنه صلى الله عليه وسلم (أولى بالمؤمنين من أنفسهم) كما أخبر الله عنه ، فكيف تصدقون مثل هذا الحديث المختلق ؟ .

ثم مامعنى حديث معاذ رضى الله عنه « فيغفر لجميع خلقه » هل المسلمون هم جميع خلق الله ؟ أم أن بركة الليلة جعلت غفران الذنوب لجميع الخلق من مسلم وغير مسلم ؟ ومن حيوان ونبات وجماد ، وأرض وسماء ، وأن هؤلاء من خلق الله ؟ ! ! .

ألا يدل هذا الحديث كما أدرجته فى مقالك « فيغفر لجميع خلقه » على الوضع ، وأنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنكم لا تميزون بين الصحيح والضعيف ، أو بين الواهى والمكذوب ، لعدم ممارستكم لأحاديث الرسول الصحيحة ، كما هو الشأن عند جماعة أنصار السنة ؟ .

ثم لا تستحون أن تقولوا عن خيار الناس لهذا العصر ـ إن شاء الله ـ أنهم مشاغبون ، سطحيو التفكير ، أدعياء معرفة .

أما أولئك الذين يحتفلون بهذه الليلة ، ويزعمون أنهم إنما يحتفلون بها ، لأنها الليلة التى حُوِّلت فيها القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، فقول خطأ ، وزعم باطل ، وخلاف الصحيح ، ومع هذا فمن أين لهم أن يحتفلو بمثل هذه المناسبات ؟ ومن الذى شرع لهم أن يحتفوا بمثل هذه الأعياد والاحتفالات التى لم يعهدها المسلمون الأولون الذين ورثنا عنهم ديننا الحنيف .

أفكلما زين الشيطان لفريق من الناس أن يبتدعوا أعياداً جاهلية ، وموالد وثنية ، وجاراهم عليها غيرهم من العوام ، والكثرة الكاثرة من الناس تتخذونها ديناً وشريعة ، وتدعون الناس إليها ، ثم تتهمون مخالفيكم فى هذه الشركيات والوثنيات : بأنهم أدعياء معرفة ، وأنهم مُفلسون ، يتشددون فى الخلافيات البسيطة ؟ ؟ .

خير لكم أن تقبعوا فى جحوركم ، من أن تنشروا هذه الجهالات على العوام باسم العلم ، وقد ذم الله قوماً ابتدعوا فى الدين بغير علم فقال عنهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون) من سورة النحل .

(من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فان تجد له ولياً مرشداً) .

محمد صالح سعدان

برقية عزاء فى وفاة فقيد أهل السنة

جاءنا من الأخ الكريم « نسيب الرفاعى » عن السلفيين بسورية مايلى :

إن لله ماأخذ ، وله ماأعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فلنصبر ولنحتسب .

« الهدى النبوى » : نشكر الإخوان بسورية ، ونسأل الله أن يلهمنا جميل الصبر ، وأن يوحد القلوب فى شتى الأقطار الإسلامية ، على حبه سبحانه ، حتى نرى الدولة الإسلامية الكبرى دولة التوحيد والحق والحب والسلام .

من شرفات التاريخ

من صراع الإسلام ضد المجوسية

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

أهوى أبو جعفر المنصور[١] على أبى مسلم الخراسانى فقتله ، فقضى على المجوسية التى حالفتها الصهيونية ، قضى على النمر الأحمر المتوثب الذى كان يعمل ، لتستبدل المجوسية ديناً ، ولغة وتقاليد وسلطاناً بالدولة الإسلامية ، ولتسيطر عليها سيطرةً رهيبة ماجنة العدوان ، ولكن المجوسية التى تلهب أحقادها الصهيونية لم تنس تاراتها عند أبى جعفر . فحشدت جنودها من كل صقع ، وألهبت أحقادهم ، وبَعْرت أضغانهم على دولة الإسلام وخليفتها المنصور . و بثت فى نفوسهم تلك الأسطورة التى توارثتها الصهيونية من قديم ، تلك التى تزعم أن روح الله سبحانه تحل فى بعض البشر ، فتجعل منه إلهاً تسبح باسمه السماء والأرض وقد أسبغت الصهيونية هذه الأسطورة الملحدة على علىّ رضى الله عنه ، ثم من بعده على أولاده وأسباطه وأحفاده . ثم جاء دور أبى مسلم ، لتدخله الصهيونيةُ فى مُتحف الآلهة ، حتى يعلم ذئابها أنهم يقاتلون فى سبيل إله قتل ، ويَفتِكون باسم إله سُفِحَ دمه ، والقتال فى سبيل إله غير القتال فى سبيل بشر . إنه يكون قتالا وراءه عقيدة مصممة ، و إرادة يلهبها الحماس الدينى ، قتالا مريراً يَستَحِبُّ التضحية والاستشهاد ، ويتّسِم بالفدائية التى تحرص على الموت أكثر مما تحرص على الحياة . هذا مادبرته الصهيونية قديماً ، لتقضى على كل مجتمع لايدين بالصهيوبية ، ولتجعل ممن يؤمنون بأساطيرها ، أناساً تستخفهم لما تريد هى من سلب ونهب وفتك وتدمير .

---

(١) ولد أبو جعفر المنصور سنة ٩٥ هـ فى شهر ذى الحجة ، وبويع بخلافة الدولة العباسية فى ١٢ ذى الحجة سنة ١٣٦ هـ ، ٨٨٥ م وتوفى فى ٦ من ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة ، وقد مات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وشاعت فى المجوسيين ألوهية أبى مسلم ، فصمموا على أن يثأروا لهذه الألوهية التى انْتُبيحَ جسدُها ، وبقيت روحها فى قدس الخلود تشع إشراقها السماوىّ هدياً وإلهاماً ، والتى تتحين الفرصة ، لتختار جسداً آخر قسيما وسيما ، فتحل فيه ، فتعود إنساناً إلهياً أو إلهاً إنسانياً .

وخرج بهؤلاء « سنباذ »[1] فى ثورة جامحة ، قبل أن ينسوا ثأر الألوهية المسفوحة الدم ألوهية أبى مسلم ! ! ومن أين ؟ من نفس المكان الذى ربت فيه الصهيونية نمرها الأحمر : أبا مسلم ،خرج من خراسان . خرج مطالباً بدم الإله القتيل ، واستجابت له الأحقاد المغلوبة على أمرها ، فاستولى على « قومس والرى » وهناك خلع على نفسه لقب «فيروز أصبهبذ» ، واستولى على خزائن أبى مسلم بالرى ، وراح يُعْمل كل كراهيته و بغضائه ، فيسبى النساء ، ويسلب الأموال ، ويدمر الحرمات ، ملهباً أفواج الصهيونية بالحماس ؛ إذ أعلن لهم أنه سيهدم الكعبة . وعلم أبو جعفر المنصور ، فوجه إليه جهور بن مرار العجلى فى عشرة آلاف فارس . فالتقى الجمعان بين همذان والرى على طرف المفازة . ورأى جهور ألا بُدّ من مطاولته حتى يضمن النصر ؛ إذ حشدت الصهيونية كل قواها لهذه المعركة ، لتنتقم من الإسلام ودولته ، ورأى سنباذ أن يخزى المسلمين ، وأن يكيد لهم ، فجعل على مقدمة جيشه السبايا من المسلمات على الجمال .

وهنا يسجد التاريخ لقهر القدر وغلبه ، وهنا يسجل التاريخ لأولئك المسلمات موقفاً بطولياً رائعاً . فإنهن لم يبالين بمن وراءهن من جيش سنباذ أو بأنهن معرضات للحتوف والهلاك ، إن فعلن شيئاً فيه استثارة لهم المسلمين ، ولكن هؤلاء المسلمات لم يتذكرن إلا شيئاً واحداً ، هو الإسلام ، هو التضحية فى سبيل أن يكون له ولدولته الغلَبُ ، فقمن فى محاملهن ، وصحْن صيحةً توقظ الحميّة ، بل تسعرها حتى فى الجماد . إذ نادين من أعماق الجراح ، ومن أبعدِ أغوار المأساة التى عانينها ، والتى رأيْنَ المسلمين فيها ، وهى أن تُسْبى

---

(١) كان خروجه فى سنة ١٣٧ هـ أى فى السنة التى قتل فيها أبو مسلم ، وهو من إحدى قرى نيسابور . وفى بعض الكتب يسمى « سنباد » وفى مروج الذهب يسمى « بسنفاد » .

نساؤهم . وكان أمرهم غير ذلك . صحن : « وامُحَمّداه !! ذهب الإسلام » . ورحم القدر هذه الصيحة ، فاستجاب لها ، فكشفت الريح عن أثواب النساء ، مما جعل الجمال التى تحملهن تنفر ، وتتقهقر إلى الوراء فى فزع وخوف ، فتثير ارتباكا وخللا فى نظام جيش سنباذ ، ويتفرق عسكره ، وينتهز المسلمون الفرصة فيهجمون على جيش سنباذ، وقد ثارت فيهم حمية صادقة ، وعزيمة مصممة على النصر ، فكان أن هُزِمَ هذا الجيش الذى حشدته الصهيونية لتحطم به بناء الإسلام الضخم . هزم هزيمة منكرة ، وبعد قليل قتل قائده[1] .

وخنست الصهيونية إلى أن تمكنها الفرصة من الوثوب ، حتى سنة ٧٤٠ هجرية . فخرجت تتقنع بالحيلة وتحتال بالمكر ، وقد تسمت باسم « الراوندية » ومن دين هذه الطائفة الإيمان بتناسخ الأرواح[2] ، وبأن روح الله سبحانه تتجلى على مدى الأعقاب فيمن يختارهم ليكونوا مظهراً لذاته . وأراد هؤلاء أن يخدعوا أبا منصور عن دينه . فزعموا أنه هو «ربهم» الذى يطعمهم ويسقيهم ، وأن عثمان بن نهيك قائد حرسه هو جبريل . ثم اندفعوا يطوفون حول قصر المنصور فى الكوفة صائحين : « هذا قصر ربنا » ، ولكن المنصور لم تخدعه هذه الصيحة الكافرة عن دينه ، لم يسعده أن تُخْلع عليه صفة الربوبية ، بل نفر منها سمعه وقلبه ، فأمر بالقبض على هؤلاء ، واستحوذ سجن المنصور على مائتين من زعمائهم ، ووجد الراوندية أن دين المنصور لم يزل يعصمه من الفتنة ، فطاشت أحلامهم ، فاندفعوا يحملون نعشاً زاعمين أنهم يشيعون جنازة ميت ، ولم يتبين أحد حقيقتهم ، حتى إذا حاذوا

(١) قتل من جيش سنباذ ستون ألفاً غير من سبى من ذراريهم ، فما بالك بالجيش كله . أما سنباذ قائده ، فقصد والى طبرستان ملتجئاً إليه ، فأرسل إليه عاملا من قبله ، اسمه طوس ، بيد أن سنباذ تعالى عليه ، فقتله طوس

(٢) الإيمان بتناسخ الأرواح : دين قديم يزعم أن الروح لها عودة إلى الدنيا ، فإن كانت صالحة ظهرت فى صورة إنسان صالح ، وإن كانت طالحة ظهرت فى صورة حيوان حقير ، أو إنسان شرير . ولهذا يقول الواحد من المؤمنين بهذه الأسطورة : لقد كنت موجوداً من قبل عدة مرات ، أو منذ آلاف السنين !!

السجن قتلوا حراسه ، وأطلقوا سراح زعمائهم ، ثم زحفوا مهرولين نحو قصر المنصور ، وقد صمموا تصميما لا يرهبه بطش ، ولا يثنيه وعيد ، على قتل ذلك الذى قتل إلههم أبا مسلم . ولم يرض أن يكون لهم بعد أبى مسلم رَبًّا يعبدونه ، أو قل لم يرض أن يكون خنجراً تغيبه الصهيونية فى صدر الإسلام . وكان عدد هؤلاء ستمائة رجل ، فى كل رجل منهم تلتهب الأحقاد وآلاف الأضغان . فى كل رجل منهم تاريخ عتيق قديم للصهيونية يستحثه أن يعيد إليها هيكلها وملكها ومَبْكاها ! ! وتنادى الناس ، وغلقت أبواب المدينة على من فيها ، وساد الرعب والفزع فى صفوف سكان المدينة ، وعلم أبو منصور ، فاحتشد تاريخ الإسلام كله فى قلبه ، وثارت كل حمية عربية مسلمة فى نفسه ، ومرت بخاطره بطولات و بطولات ، فأبى إلا أن يضع للتاريخ مثلا أعلى آخر للبطولة العربية المسلمة . فصمم على أن يخرج بنفسه لهؤلاء الذين يريدونه وحده . وقد خافهم النـاس وهربوا منهم ، وتركوهم لأبى جعفر ، وتركوا أبا جعفر .

وهنا يسجل التاريخ موقفاً لا ينسى للشهامة العربية ، والمروءة العربية ، والنجدة العربية بعد أن صقلها الإسلام ، فجعل منها درةً تضىء فى تاج أمجاد التاريخ والأخلاق . كان ثَمَّتَ معن بن زائدة الشيبانى وكان المنصور قد هدر دمه لقتاله مع ابن هبيرة ضد المنصور .

ورأى معن الراوندية ، وقد احتشدوا بباب المنصور ، ورأى المنصورَ فى هذه الوقعة التى خلد التاريخ ذكرها ، رآه ، وقد خرج بنفسه ، وقد شرع سيفه ، وعلى وجهه التصميم القاطع ، وعلى سيفه تتوعد المنايا السود من يدنو منه ، رآه يندفع إلى الراوندية غير هياب ولا وجل ، بل رأى الإقدام البطولىَّ المستشهد ، رأى ستمائة حقد ، ستمائة لؤم ستمائة مكر دنىء ، ستمائة بغضاء تتلظى فى قتالها لرجل واحد هو المنصور ، ورأى المنصور وقد صمد وحده لهؤلاء المهاجمين . ونسى معن بن زائدة نفسه ، نسى أنه مهدور الدم من المنصور ، وذكر تماماً أنها معركة الإسلام ، وليست معركة المنصور ، فاندفع متلثماً ، يقاتل دون المنصور ، قتالا مريراً مُتَلَثِّماً ، ترتجف من صولته قلوب وقلوب ، حتى دنا من المنصور ، فأمسك بلجام بغلته قائلا للربيع حاجبه « تَنَحَّ فأنا أحق بهذا اللجام منك فى هذا الوقت وأعظم غناء» .

لقد أراد البطل العربى أن يفتدى عدوه المنصور بنفسه ، رضياً سعيداً ، أن يفتدى كرامة الإسلام وعزة الإسلام ومجد الإسلام ، وقال المنصور لحاجبه : « صدق فادفعه إليه » وأطاح سيف معن برقاب الكثير من المعادين ، فحال بينهم و بين المنصور، وأبعد الخطر الداهم عنه . وقال المنصور للبطل المقنّع : من أنت ؟ وقال معن بن زائدة : طلبتك ياأمير المؤمنين معن بن زائدة !! فقال المنصور وقد استبدت بفرحته وعجبه روعة المفاجأة ، وهذه الأريحية العربية المسلمة الرائعة : « آمنك الله على نفسك. ومالك وأهلك مثلك يُصْطَنع [1] » ورأى الناس إقدام المنصور ، واستهانته الموت ، ، فهفوا سراعاً ، وقد استيقظت نخوتهم . وتذكروا ربهم ودينه الذى هداهم به ، وما زالوا بهؤلاء الراوندية حتى قتلوهم .. وانجلت المعركة عن نصر حاسم .

وصلى المنصور الظهر ثم دعا بالعشاء [2] . وأحضر معن بن زائدة ، ورفع منزلته ، ثم قال المنصور لعمه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس « ياأبا العباس . ؟ سمعت بأشد رجل ؟ قال : نعم . فقال المنصور : « لو رأيت اليوم معن بن زائدة لعلمت أنه منهم » وقال معن : والله ياأمير المؤمنين . لقد رأيتك ، وإنى لوجلُ القلب ، فلما رأيت ماعندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم ، رأيت مالم أره من خلق فى حرب ، فشدّ ذلك من قلبى ، وحملنى على مارأيت منى » .

تلك معركة خاضها الإسلام ضد الصهيونية التى تتقنع فى كل حقبة من حقب التاريخ بأقنعة مختلفة الصورة . معركة خاضها رجل بقوة وعزيمة وإيمان ، فخاضها معه آلاف المتحمسين لدينهم ، فانتصروا ، ثم مسحوا الدماء عن سيوفهم ، ليخوضوا مع الصيهونية معارك ومعارك ؟

(١) قال مروان بن حفصة يمدح معنا فى هذه الموقعة :

معن بن زائدة الذى زيدت به   شرفا على شرف بنو شيبان
مازلت يوم الهاشمية معلنا   بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه   من وقع كل مهند وسنان

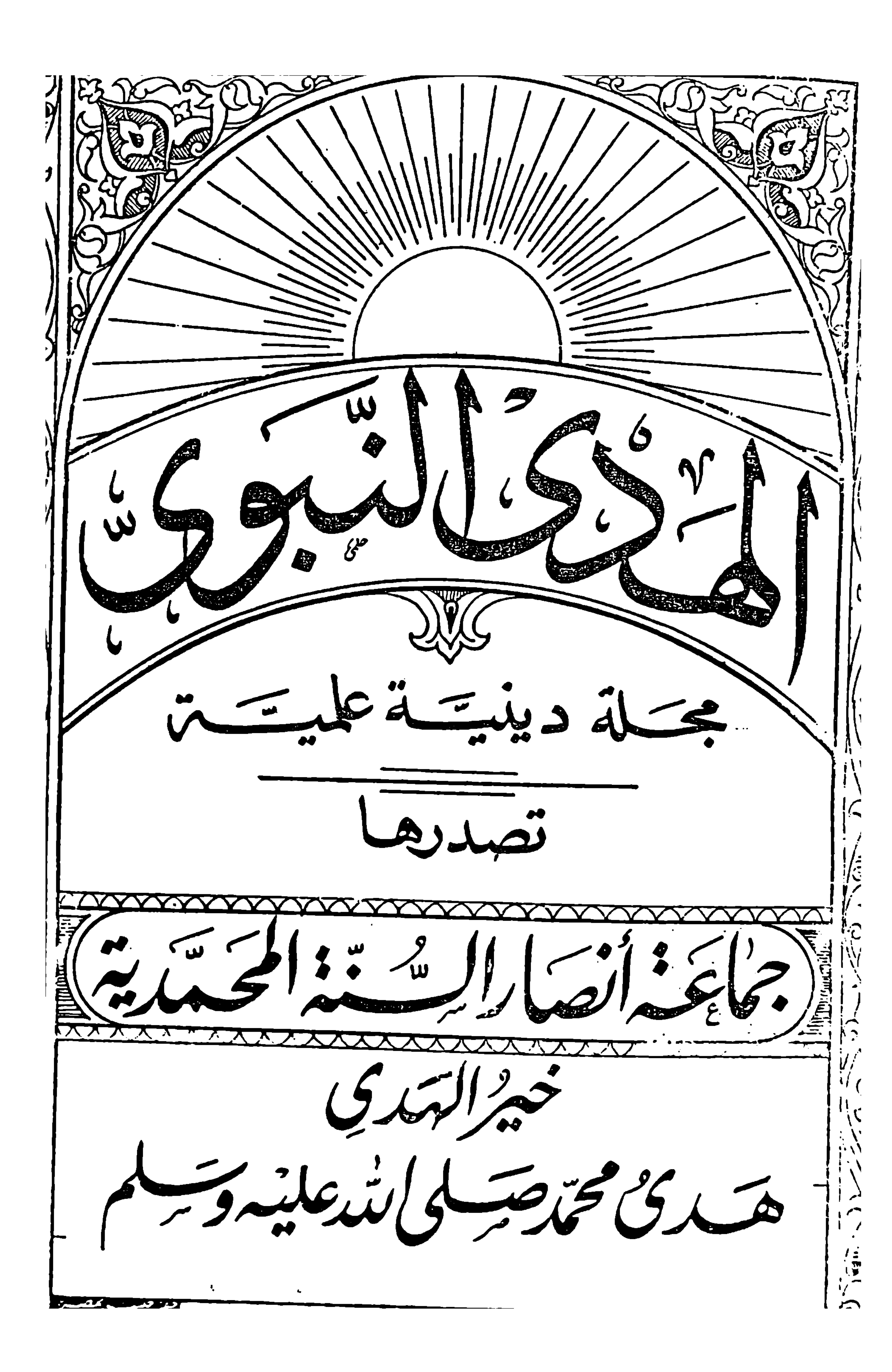
(٢) طعام مابعد الظهر .

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٦٠١٧



الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

تنبيه مهم

نرجو من الإخوان المشتركين فى المجلة ، ومن المتعهدين أن يتفضلوا مشكورين بتسديد ما لديهم ، وما نحن بحاجة إلى أن نذكر الإخوان بواجباتهم نحو هذه الصحيفة التى هى لسان دعوة الحق ، أما أولئك الذين أصموا آذانهم عن ندائنا ، فسنضطر آسفين إلى نشر أسمائهم ، فخدمة الدعوة ، والعمل فى سبيل إعلاء كلمة الله أكبر عندنا وأعظم من المجاملات ؟

إدارة المجلة

الهدى النبوى

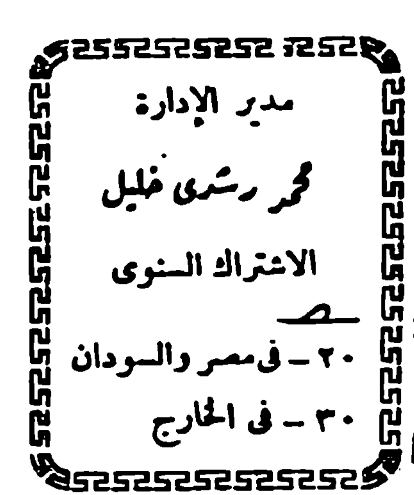
مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦



المجلد ٢٣ | ذو القعدة سنة ١٣٧٨ | العدد ١١

نور من القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه جل ذكره : (١٧ : ١٧ وكَمْ أَهْلَكْنَا من القُرُونِ مِنْ بعد نوحٍ . وكفى بربِّكَ بذُنُوبِ عبادِهِ خبيراً بصيراً) .

معـــــانى المفردات

« أهلكنا » : راجع معناها اللغوى فى العدد الماضى .

« القرون » : قال الراغب الاقتران كالازدواج فى كونه اجتماع شيئين أو أشياء فى معنى من المعانى وفلان قَرْنُ فلان فى الولادة وقرينه وقِرْنُه فى الجَلَادة والقوة وفى غيرها من الأحوال قال : (٣٧ : ٥١ إنى كان لى قرين) (٥٠ : ٢٣ وقال قرينه : هذا مالدَىَّ عتيد) إشارة إلى شهيده . . . والقَرْنُ : القومُ المقترنون فى زمن واحد وجمعُه قرون (١٠ : ١٣ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) .

وقال صاحب اللسان : القرن : الأُمَّةُ تأتى بعد الأمة . قيل : مُدَّتُه عشر سنين وقيل : عشرون سنة ، وقيل ثلاثون ، وقيل ستون ، وقيل : سبعون ، وقيل ثمانون ، وهو مقدار التوسط فى أعماق أهل الزمان . وفى « النهاية » أهلُ كلِّ زمان مأخوذ من الاقتران،

فكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم . . : وقيل القرن مائة سنة . . والقرنُ من الناس أهلُ زمان واحد .

وقال ابن فارس : القاف والراء والنون أصلان صحيحان أحدهما يدل على جمع شىء إلى شىء . والآخر : شىء ينتأ بقوة وشدة . . ومما شذ عن هذين البابين . القرن[١] الأُمّة من الناس ، والجمع قرون . وقرن القوم : سيدهم[٢] .

« كفى » : قال الراغب : الكفاية : ما فيه سَدُّ الخَلَّة و بلوغُ المراد فى الأمر قال : (٣٣ : ٢٥ وكفى اللهُ المؤمنين القتال) (١٥ : ٩٥ إنا كفيناك المستهزئين) (٤٨ : ٢٨ وكفى بالله شهيداً) .

وقال صاحب اللسان : كفى يكفى كفايةً : إذا قام بالأمر . . . ويقال : كفاك هذا الأمرُ : أى حَسْبُك ، وكفاك هذا الشىء ... وقال أبو إسحاق الزجّاج فى قوله عز وجل : وكفى بالله ولياً . وما أشبهه فى القرآن : معنى الباء للتوكيد .

« بِرَبِّك » : قال الراغب : الرَّبُّ فى الأصل : التربيةُ ، وهو إنشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام . يقال : رَبّه ، وربّاه ، وربَّبَه . وقيل : لأن يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش خيرٌ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن . فالرَّبُّ مصدر مستعار مستعمل للفاعل ، ولا يقال الربُّ مطلقاً إلا لله المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله (٣٤ : ١٥ بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور) . وعلى هذا قال : (٣ : ٨٠ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) أى آلهة ، وتزعمون : أن البارى تعالى مسبب الأسباب والمتولى مصالح العباد . وبالإضافه يقال له ولغيره نحو : رب العالمين .. ويقال : رب الدار .

وقال صاحب اللسان : الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبِّر والمربِّى والقيِّم والمنعم . وربَّه يَرُبُّه رَبًّا : مَلَكَهُ . . وإنه لَمَرْبُوبٌ بَيِّنُ الرُّبوبة ، أى لمملوك . . والعباد مربوبون لله عز وجل .

---

(١) مما ذكره الراغب وصاحب اللسان : نعلم أنها ليست شاذة ، وأنها من الأصل الأول .

(٢) قال صاحب القاموس المحيط وهو بصدد معنى « القرن » . « ومن القوم سيدهم » .

وربُّ ولدَه والصبيَّ يَرُبُّه رَبًّا . ورَبَّبَه تربيبا وتَرِبةً ـ عن اللحيانى ـ بمعنى ربَّاه .

ورَبَّ المعروفَ والصنيعةَ والنعمةَ يَرُبُّها رَبًّا وربابا وربابةً . ، وربَّبها : نمَّاها .

وزادها ، وأتمها ، وأصلحها ، ورَبَبْتُ قرابتَه كذلك .

وربيتُ الأمر ، أرُبُّه رَبًّا وربابة : أصلحتُه ، وحَسَّنْتُه ، وَرَبَبْتُ الدُّهْنَ : طيَّبْتُه ، وأجدته .

وقال ابن فارس : الراء والباء يدل على أصول . فالأول : إصلاح الشيء والقيام عليه . فالرب : المالك والخالق والصاحب . والرب المصلح للشيء يقال : رَبَّ فلانٌ ضَيْعَتَه : إذا قام على إصلاحها . . والله جل ثناؤه الربُّ ، لأنه مصلح أحوال خلقه . . الخ

« ذنوب » ذَنَب الدابة وغيرها معروف ، ويُعَبَّر به عن المتأخر والرَّذْل ، يقال : هم أذنابُ القوم . . . والذنب فى الأصل : الأخذُ بذنب الشيء ، يقالُ : ذنبْتُه : أى أصبت ذنبه . ويستعمل فى كل فعل يُستَوخَمُ عقباه اعتباراً بذنب الشيء ، ولهذا يسمى الذنب تبعة والعقربة اعتباراً لما يحصل من عاقبته ، وجمع الذنب ذنوب .

وقال ابن فارس : الذال والنون والباء أصول ثلاثة . أحدها : الْجُرْم . والآخر : مؤخْر الشيء ، والثالث : الحظ والنصيب .

وقال صاحب اللسان : الذنبُ : الإثم والجرمُ والمعصية . والجمع ذنوبٌ وذنوبات جمعُ الجمع .

« عبادة » قال الراغب : العبودية إظهار التذلل . والعبادةُ أبلغ منها ، ولا يستحقها إلا مَنْ له غايةُ الإفضال ، وهو الله .

وقال صاحب اللسان : العبد : الإنسانُ حُرًّا كان ، أو رقيقا ، يذهب بذلك إلى أنه مَرْبُوبٌ لباريه . . والعبدُ : المملوكُ خلاف الحر . . والجمع أعبدٌ وعبيد ، وعباد ، وعُبْد . . ومن الجمع أيضاً عِبْدَان . . وعُبْدان . . وعِبِّدان ، وأعابدُ جمعُ أعبد . . ويقال : فلان عبد بيِّن العبودة والعبوديّة ، والعَبْدِيَّة . وأصلُ العبودية : الخضوعُ والتذلل . . ومعنى العبادة

فى اللغة الطاعةُ مع الخضوع ، ومنه طريقٌ مُعَبَّد ، إذا كان مُذَللا بكثرة الوطء[1] .

وقال ابن فارس : العين والباء والدال : أصلان صحيحان ، كأنهما متضادّان .

والأول من ذَيْنِك الأصلين : يدل على لين وذل ، والآخر : على شدة وغلظ ، فالأول : العبدُ ، وهو المملوكُ ، والجماعةُ العبيد ، وثلاثة أعبد ، وهم العباد . قال الخليل : إلا أن العامة اجتمعوا على تفرقة مابين عباد الله والعبيد المملوكين . . ومن الباب : البعيرُ المَعْبُودُ[2] بالقطران . وهذا أيضاً يدل على ماقلناه ؛ لأن ذلك يذله ، ويخفض منه . والمُعَبَّد : الذَّلُولُ . . والأصل الآخر : العَبَدَة ، وهى القوةُ والصلابة .

« خبير » قال الراغب : الخبر : العلم بالأشياء من جهة الخبر ، وخبرته خُبراً وخبرة ، وأُخْبِرْت علمت بما حصل لى من الخبر ، وقيل : الخبرة : المعرفة ببواطن الأمور (٣ : ١٥٣ والله خبير بما تعملون) ، أى عالم بأخبار أعمالكم ، وقيل : أى عالم ببواطن[3] أموركم . وقيل : خبير بمعنى مُخْبِر ، كقوله : (خبير بما تعملون) نحو : (فينبئكم بما كنتم تعملون) .

وقال صاحب اللسان : الخبير من أسماء الله عز وجل ، العالم بما كان ، وما يكون . وخَبُرْتُ بالأمر ، أى : علمتُه ، وخَبَرْت الأمر أخبُره . إذا عرفته على حقيقته . . والخابر : المختبر المجرب . ورجل خابر وخبير : عالم بالخبر ، والخبير : المخبر .

وقال ابن فارس : الخاء والباء والراء أصلان ، فالأول : العلم ، والثانى : يدل على لين ورخاوة وغزر ، فالأول الْخُبْر : العلم بالشىء ، والله تعالى الخبير : أى العالم بكل شىء .

« بصير » قال الراغب : البصر يقال : للجارحة الناظرة نحو قوله تعالى : (٥٤ : ٥٠ كلَمْح بالبصر) (٣٣ : ١٠ وإذ زاغت الأبصار) والقوة التى فيها ، ويقال : لقوة القلب المدركة : بصيرة و بصر . نحو قوله تعالى : (٥٠ : ٢٢ فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم

---

(١) كذلك قلب المؤمن مذلل سهل مستو ليس فيه عقبات ، ولا منخفضات . ولا مرتفعات تحول بين النور ، وبين أن ينبسط فيه كله ، أو بين الهدى وبين أن يسير فيه من أوله إلى آخره جيئة وذهوبا دون أن تعترض طريقه عقبة ما . (٢) أى : المطلى

(٣) أى عليم ببراعتها وغاياتها . عليم بالنيات التى تكمن وراءها ، والإرادات التى توجهها .

حديد) . وقال : (٥٣ : ١٧ مازاغ البصر ، وما طغى) ، وجمع البصر أبصار ، وجمع البصيرة بصائر . قال تعالى : (٤٦ : ٢٦ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم) ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة ، من الأول : أبصرت ، ومن الثانى أبصرته ، و بصرت به . وقلما يقال : بصرت فى الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب ، والباصرة : عبارة عن الجارحة الناظرة الرؤية .

وقال صاحب اللسان : البصر حاسة ، البصر حس العين ، والبصر نفاذ فى القلب ، وبَصرُ القلب نظره وخاطره ، والبصيرة عقيدة القلب ، قال الليث: البصيرة اسم لما اعتقد فى القلب من الدين، وتحقيق الأمر ، وقيل : البصيرة الفطنة ـ عن اللحيانى ـ : إنه لبصير بالأشياء ، عالم بها .

وقال ابن فارس : الباء والصاد والراء أصلان . أحدهما : العلم بالشى . يقال : هو بصير به . . . والبصيرة : البرهان ، وأصلُ ذلك كله : وضوحُ الشيء .

المعـــــنى

فهمنا من قوله سبحانه (وكل إنسان[1] ألزمناه طائره فى عنقه) التحديد الواضح المبيّن لمسئولية الفرد .

فهمنا أن كلّ فرد سيحاسب يوم القيامة حسابَ العدل والنصفة ، وأنه سيُجزى عما كسبه ، أو اكتسب ، فما هنالك من يحْميه ، ولاهنالك من يذود عنه ، ولا هنالك من يظلم حسناته أو سيئاته ، إنما هو بِفَرْدِيَّتِهِ المطلقة بين يدى الله سبحانه ، إنْ يعذبه فهو عبده ، وإنْ يَغْفِرْ له فإنه هو العزيز الحكيم .

وفهمنا من قوله جل ذكره : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً) . البيان الجليّ الذى يحدد مسئولية الجماعة التى فسقت عن أمر الله ، وَنَكَصَ كلُّ فرد فيها عَن تقويم الجماعة بِهَدْيِ الله سبحانه ، عن دعوتها

(١) إضافة « كل » إلى إنسان ، وهى نكرة تفيد التعميم والشمول الكامل ، فلا يعفى من هذه المسئولية . ولا من هذا الإلزام إنسان إلا من أراد الله سبحانه .

إلى الخير ، وأمرها بالمعروف ، ونهيها عن المنكر ، وعن عمله هو بما دعا إليه ، فالداعى هو التطبيق الحىُّ لدعوته ، والداعى هو المثال الصحيح لما دعى إليه ، والداعى بسيرته جزءٌ مكمِّل لدعوته ، ليس يكفيه أن يدعو ، بل لا بد له أن يعمل بما يدعو إليه ، يجب أن يسمع الناس منه الحق ، وأن يراه الناس عاملاً بهذا الحق ، وأن يكون وراء قوله وعمله قَلْبٌ يحبسه على حُبِّ الله وتقواه ، والله على كل شىء شهيد .

وفهمنا أيضاً أن تلك المسئولية حَتْمٌ لايجد الفرد منها مناصاً ، ولا الجماعةُ عنها مهرباً ، لأن الله سبحانه قد منح الفردَ من القُوَى مايجعله أهلا لهذه المسئولية ، منحه القُوَى التى بها يفكر ويعمل ، ومنحه الهدى الذى به يهتدى إلى أنبل الغايات وأكرم المُثُل . ولكل مسئولية جزاؤُها الذى بين الله بطَرَفَيْهِ الثوابِ والعقابِ . وهو سبحانه لا يخلف وعده .

وبعد هذا الهدى الإلٰهى جاء قوله سبحانه (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيراً) جاءت هذه الآية توكيداً للمعنى المفهوم من الآيتين السابقتين جاءت وعيداً يزلزل جحود الباغى ، وطغيان الطاغية ، جاءت وعيداً لا بد من تحققه ، لأن مَنْ توعَّد به سبحانه يملكه ، فليس فوقه من يحول بينه وبين مايريد ، ولا مَنْ يستطيع نسخ حُكمٍ حَكَمَ به ، ولا من يحول بين وقوع الوعيد ، وبين من سيقع عليهم .

إنه سبحانه ينذر . وبين سبحانه أن مثل ماينذرهم به قد وقع فليس هو مما يعجزه .

يتوعَّد الله كُلَّ فرد يفسق عن أمر الله ، مهما يكن شأن حسبه أو نسبه ، ويتوعَّد كل جماعة لا سِيمَة لها إلا معصية الله ، ونشر الفساد فيمن حولها من الجماعات مهما يكن شأنها فى كثرة العَدَد وقوة المُدَد ، يتوعدهم بأنهم سيلقون ــ إن أصروا على طغيانهم ــ نفس المصير الذى تردَّى فيه مَنْ قبلهم ممن ظلموا وأسرفوا على أنفسهم ، ولَجُّوا فى طغيانهم يعمهون ، واستخفوا سفهاء عُمْياً ــ بوعيد الله سبحانه .

وقوله سبحانه « من بعد نوح » يثير فى النفس ذكرى ذلك الماضى الغابر البعيد ، ذكرى ذلك الطوفان الطاغى ، والإنسانية المؤمنة فى قلة عددها تحملها رعاية الله على

السفينة ، تجرى فى موج كالجبال ، ذكرى أولئك الذين وقفوا فى عنادهم يتحدون قدرة الله بِسَفَهٍ وحماقة مظلمة ، ويسخرون من نوح وَفُلْكه ، ويقول نوح فى صبره الثائر (إن تسخروا منا ، فإنّا نسخر منكم كما تسخرون) ويجىء الأمر لكل تلك القوى التى أعدها الله لهذا اليوم المشهود ، وتؤدى كل قوة عملها الذى سخرها الله له ، فتنهمر السماء وتتفجر الأرض عيوناً ، وتجرى السفينة بسم الله مجريها ومرساها ، وتبلغ المأساة ذروتها ، وتبدو لنا قدرة الله فى هيمنتها القاهرة الغلابة ، ويتجلى الحق فى وضحه وإشراقه ، فى أن يذكر لنا الله سبحانه النجوى الحزينة بين نوح وابنه ، بين أبوّة تفيض رحمة بالغة ، وعطفاً يغمر القلب كله حتى ينسيه بعض ماحكم به الله من قبل ، وبين بُنُوّة استعلت بكفرها عن الحق ، ولجت فى عنادها تجحد الأبوة الرحيمة ، هذه الأبوة التى شَرُفَتْ بالرسالة لم تستطع أن تنقذ شيئاً ، هذا الأب العظيم ـ وقد جاهد فى سبيل الله قروناً ، وأبلى بلاء عظيما ـ لم يستطع أن ينقذ ابنه من قدر الله ! ! فأى صلة بالله أقوى من صلة الرسالة ؟ وأى عاطفة أنبل من عاطفة الأبوة ؟ ، ومع ذلك طغى الموج الفوّار على الابن ، ورداه فى أعماق الظلمات الدامسة ! ! (وحال بينهما الموج فكان من المُغْرَقين) فهل يعتبر عُبّاد الوَثَن وسَدَنة الأصنام ؟ أيعتبر أولئك الذين يربطون الناس بشهواتهم ، وأهوائهم ، فيزعمون لهم أن شيوخهم هم واسطة الفيوضات الربانية إليهم ، وهم يملكون لهم النفع والضر. لهذا أبو الرسل بعد كفاح مرير ، وجهاد طويل لم يستطع أن يُنْقِذَ ابنه ! ! ولو كان هناك من البشر من يستطيع إنقاذ أحد ، لكان أولى بهذا رسوله من أولى العزم ، ولو كان هناك من تتوجَّه النفس لإنقاذه ورحمته ، لكان أولى بهذا ابن نوح ، وأبوه يستصرخه بالنجوى عبر الأمواج الغاضبة ! ! (فذَلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟) .

وقوله سبحانه « من بعد » يثير فى النفس ذكرى تلك الصاعقة المدمرة التى دمر الله بها ثمود ، وتلك الريح العاصفة الغاضبة التى وصفها الله بأنها صرصر عاتية ، والتى أهلك الله بها عاداً (فأمّا ثَمُودُ فأُهْلِكُوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صَرْصَرٍ عاتية ، سَخَّرَهَا عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجازُ نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ؟) .

ويذكر الإنسان فرعون وقومه ، ويذكر قارون وجمودَ شُحِّه ، وتذكر الجماعة تلك الجماعات ، ويذكر الأفرادُ الذين هم قُرُونٌ فى قومهم ، أولئكِ الأفرادَ الذين كانوا أشد منهم بطشاً وقوة .

هذا مايبعثه فى النفس قوله سبحانه : « من بعد نوح » . عَبْرَ هذه القرون البعيدة ، والآمادِ السحيقة ينتقل الفكر من صُورةٍ إلى صورةٍ ، ومن عِبْرَةٍ إلى عِبْرَة ، مشاهدُ تتوالى على الفكر ، فيرى فيها جميعاً جبروتَ الله وقهره ، فتتضاءل قوته وقدرته ، ويحس عن يقين بالعجز الذليل أمام هذه القوة الجبارة الماحقة التى أدالت من هذه القرون ، ويحس المؤمن بالطمأنينة التى تشيع فى نفسه السكينة ، إذ يشهد كيف انتقم الله للإيمان من الكفر ، والتوحيد من الشرك ، والهدى من الضلال .

وفى كلمة « قرون » إيعادٌ للفردِ ، وإيعادٌ للجماعة ، فهى جمع « قَرْن » والقرن ـ كما سبق ـ يدل على الجماعة من الناس ، ويدل كذلك على الفرد الذى له السيادة على قومه[1] ، ففيها الوعيد لهذا ، ولأولئك ، يشعر الفردُ أن فيها تخويفاً ووعيداً له ، وبمثل هذا الشعور تشعر الجماعة .

وجاءت كلمة « وكم » فى أول الآية ـ وهى تفيد الإخبار عن كثرة مابعدهاـ دليلا على أن سنة القدرة الإلهية لا يغيرها مُغيِّرٌ ، ولا يبدلها مبدِّل ، وعلى أنها تحدث وتحدث ، لأنه سبحانه فعّال لما يريد ، وإليك بعض الآيات التى ذكر الله فيها إهلاكه القرون .

(١٠ : ١٣ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلُهم بالبيِّنات ، وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزى القوم المجرمين) .

(٦ : ٦ ألم يَرَوْا كم أهلكنا مِنْ قبلِهم من قرنٍ مكناهم فى الأرض مالم نمكِّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مِدْرَاراً ، وجعلنا الأنهارَ تجرى من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) .

---

(١) قال الله سبحانه فى قصة قارون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) فكلمة قرون هنا تدل على أنها تعنى الأفراد الذين لهم السيادة على قومهم ، وقد تعطى المعنى الآخر .

١١

ما أهلك الله سبحانه القرون إلا بظلمهم وكفرهم ، بآيات الله ورسله ونعمه . فلتخف بطش الله القرون الظالمة .

وفى هذه الآية نفسها تنبيهٌ على سبب الإهلاك وذلك إذ يقول جلَّ شأنه (وكفى بربك [1] بذنوب عباده خبيراً بصيراً) نختم الآية بهذا فيه بيان لسبب الإهلاك .

والمعنى : يكفى أن يكون ربُّك يامحمد هو الخبير بما يقترف عبادُه من ذنوبٍ ، العليم بها، فهو سبحانه يعلمها وهى نيَّاتٌ فى الصدور ،ويعلمها سبحانه ، وقد تجسدت هذه النيات عملاً ماديًّا مُحَسًّا . يعلمها جلَّ شأنه وهى فى طوايا الصدور توحى إلى الجوارح أن تبرزها إلى الواقع ، ويعلمها سبحانه ، وقد صارت قولا أو عملا ، فهو سبحانه لاتخفى عليه خافية . يعلم ماظهر ، ويعلم مابطن . وفى ذِكرِ كلمة « عباده » نورٌ يهدى إلى الحق . فيها بيانٌ يدل على أنه سبحانه هو الذى يستحق وحده أن يكون العليم البصير بذلك لأنهم عباده. وفيها نفحات من الرحمات الإلهية تناسم روحَ أولئك الشاردين فى تيه الضلالة ، إنها تدعوهم إلى الأوبة النادمة ، والتوبة الصادقة ، لأنهم « عباده » لا عبيده فحسب .

ثم فى إضافة كلمة « رب » إلى الضمير الذى يدل على محمد صلى الله عليه وسلم تعريف لها وتشريف وتعظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم . وفى هذا التعريف يوجب علينا أن نعبد الرب الذى دعانا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، ونعرفه بالصفات التى جاء بها القرآن الذى نزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام ، ونسميه بأسمائه .

أما هذه الأرباب التى يدعونا إليها الفلاسفة وابن عربى وأحزابه ، فإنما هى أرباب صنعتها الأوهامُ ، ونسجتها الأساطيرُ ، وشدت أطنابها الوثنية ، فليتأمل كلُّ ذى عقل فى هذه « الإضافة » الملهمة لروح الحق ، حتى لايصرفه الملحدون ، والفلاسفة والصوفية عن رب محمد صلى الله عليه وسلم .

ثبتنا الله تعالى على الحق ، وهدانا برحمته سواء السبيل ؟ . عبد الرحمن الوكيل

(١) قال صاحب المغنى وهو يعدد معانى الباء : « الرابع عشر : التوكيد ، وهى الزائدة وزيادتها فى ستة مواضع أحدها الفاعل ، وزيادتها فيه واجبة وغالبة وضرورة » ثم قال : والغالبة فى فاعل كفى نحو . كفى بالله شهيدا وقال الزجاج : دخلت لتضمن كفى : معنى اكتفت

باب الكتب

كتاب فيض الوهاب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

١

١ — أقلام جامحة مجنونة سنكبح بالحق جماحها ، ونشفى جنونها ، وآراء عارمة مفتونة ، سنداوى بالدليل عُرَامها ونفضح بالبرهان فتونها ، وفوضى فى التأليف والتصنيف سنخضد شوكتها ، ونقفها بالحجة الدامغة عند حدها ، وعبارات وقحة بذيئة دنسة جمعت كل ماوسوس به الشيطان لعبّاده من الفحش والإقذاع ، والكذب والبهتان ، والطعن واللعن والسب والشتم ، سنضرب الذكر عنها صفحاً ، ونجعلها دَبْر آذاننا وموطئ أقدامنا ، لأننا لم نعتد مجاراة السفه والبذاء ، ولم نسمح لأقلامنا قط أن تسوم فى المراعى الوبيئة ، أن تنغمس فى حمأة الخطيئة . وإنما نريد أن نجلّى الحق لمن جهله حتى يسفر عن وجهه المشرق محياه الطلق الصبوح . ونزهق الباطل حتى يولى خزيان مدحوراً ، ذليلا حسيراً كسيراً ، نريد أن ندفع عن أنفسنا ما رمينا به كذباً وزوراً ، وإفكا وفجوراً ، وربنا جل شأنه يقول : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ١٩٤ : ٢) ويقول جل شأنه (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إنه لايحب الظالمين ٤٠ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ٤١ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق . أولئك لهم عذاب أليم ٤٢ : ٤٢)

ولقد عفونا بتوفيق الله تعالى عن السب والطعن والإقذاع ، ونريد أن نصلح ما أفسدته الأقلام الجامحة عن عقائد العامة وأشباههم من قضى عليهم سوء الطالع بالإطلاع على هذا الكتاب ليكون لنا عند الله حسن الثواب إن شاء الله .

ولقد اضطررنا أن ننظر فى هذا الكتاب كما يضطر الطبيب النطاسى أن ينظر فى براز المريض للوقوف على أصل بلائه ، وجراثيم دائه ليطب له ويعمل على أن يتخذ له اسباب شفائه

وإنه لخراج قذر بل دمّل أليم ، بل سرطان خبيث أصيبت به المكتبة العربية ، وجدير بأطباء الأرواح أن يسلطوا عليه مباضع أقلامهم المرهفة حتى يستأصلوه استئصالا ، ويشفوا المكتبة العربية من دائه الوبيل حتى لاتتلوث الأيدي الطاهرة بمسه ، وحتى لا تسرى جراثيم دائه إلى النفوس الطيبة فتفسد عقيدتها ، أو تمس مثوى الإيمان والتوحيد فيها .

إن من الكتب ماهو أضر من السل والسرطان والطاعون والهواء الأصفر . فلئن كانت هذه الأمراض تفتك بالأجسام ، والأجسام فانية ، إن هذه الكتب الخبيثة لتفتك بالأرواح وهى خالدة فإذا أصيبت ببلاء هذه الكتب ، فإنه يسلمها إلى هلاك أبدى . وشقاء طويل .

إن هذه الكتب لتضر بمن لم يتمكنوا من علوم دينهم بدوام الإطلاع ، وإدمان الدرس ضرراً بليغاً ، وتفسد عليهم عقائدهم وبخاصة إذا خدعوا بما يدوّن على غلفها من الألقاب الخادعة والنعوت التى تستهوى السذج والبسطاء ومن قل حظهم من العلم ، وقسطهم من العرفان .

فى هذا الكتاب سذاجة وبله ، وسخف وعته ومس وسفه ، وسنضع ذلك كله تحت أبصار السادة القراء ليعلموا مدى الفوضى التى أصابت التأليف ، ومقدار الانتكاس الذى مُنى به الكتاب العربى .

لقد أبيح حمى التأليف ، وانتهكت حرمته المقدسة حتى لقد أصبح كل من يمسك قلماً مؤلفاً ، وكل من يلم بحروف الهجاء كاتباً ، وإنا لنرجو مخلصين أن يوضع حد لهذه الفوضى المفسدة للعقول العابثة بالأذهان .

لقد هُزِلت حتى بدا من هزالها كلاها ، وحتى سامها كل مفلس

سنتتبع هذا الكتاب باباً باباً وفصلا فصلا ، بل صفحة صفحة ، وسطراً سطراً ، وكلمة كلمة حتى نزهق باطله ، وندحض حجته ونحمل العقلاء من قرائه على أن يجعلوه طعمة للنار التى هو بها جدير ، وبئس المصير .

وإلى لقاء قريب إن شاء الله .

طاغوت البلشفية

مقتطفات من وصايا فقيد الإسلام والعروبة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته وألهمنا جميل الصبر على فراقه الأليم .

« محمد رشدى خليل »

الطاغوت : كل ما أقامه الشيطان للإنسان من طريق الجهل والتقليد الأعمى ، والغلو الظالم ، والتقديس الجائر ، ليصرفه به عن صراط الله المستقيم ، الذى هو سبيل الفطرة التى فطر الناس عليها من معرفة الحقوق لأهلها ، والحرص على أدائها كاملة غير منقوصة .

الطاغوت : هو الذى يتمرد بك وتتمرد به على سنن الله وآياته ودينه وشرائعه ، وكتبه ورسله ، فتحقِّر وتُصغِّر فى نفسك كتب الله ورسله وشرائعه ووصاياه ونعمه ، وتبقى ألفاظاً على لسانك ، وصوراً على جوارحك مخادعة وغروراً . وعقيدتك وأعمالك وأخلاقك تحاربها وتهدمها ، فتكون من الفاسقين الخارجين على ربك ، الظالمين لأنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان . وتنشر فى مجتمعك بذلك كل أسباب القلق والاضطراب والخوف والفزع ، والعداوة والبغضاء .

الطاغوت : ماصرفك عن عبادة ربك إلى عبادته ، فتذكره وتنسى ربك ، وتدعوه خوفاً وطمعاً وتحارب ربك ، وتقسم به رغبة ورهبة ، وتتجرأ على ربك فتقسم به كاذباً بدون مبالاة ، وتبذل من نفسك ومالك فى مرضاته بكل فرح وسرور ، وتنقبض نفسك ويدك أشد الانقباض ، ويضيق صدرك أبغض الضيق إذا دعاك إلى بر والديك ، أو صلة رحمك ، أو الإحسان إلى فقراء جيرانك وعشيرتك ، وتسارع إلى عمل مايدعوك الطاغوت إليه ، وتولى مدبراً إذا دعاك ربك إلى مافيه سعادتك وفلاحك فى الدنيا والآخرة ، وتقف فى حضرة الطاغوت خاشعاً ذليلا ، وتقف أمام ربك غافلا لاهياً ساهياً ، ميت القلب

والروح ، وتلزم باب الطاغوت فى ذلة ومسكنة ، ولا يخطر على بالك أن تطرق باب ربك ، وتسلك إليه السبيل الذى طالما دعاك وأرشدك إليه .

وقد أقام الشيطان للناس طواغيت كثيرة . من هـذا : الطاغوت من الإنسان الميت والحى ، باسم الأولياء والشيوخ ، وما هم – إذا أبقى الإنسان على عقله سليما – إلا عباد أمثالكم لهم من حقوق الإنسان مثل ما لغيرهم ، وعليهم من الحقوق لربهم وللإنسان مثل ما على غيرهم . رب الجميع ومدبرهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ، وباعثهم ومحاسبهم ، ومجازيهم واحد : هو الله وحده لاشريك له ، ولا وزير ولا مشير ، ولا معين له منهم ولا من غيرهم . (لاإله إلا هو الحى القيوم ، لاتأخذه سنة ولا نوم ، له مافى السموات وما فى الأرض) . ولـكن أكثر الناس لايتفكرون ، ولا يعقلون .

الطاغوت : كل كتاب أو مبدأ أو مذهب أو طريقة أو نظام أقامه الشيطان ليصرف الإنسان به عن كتاب ربه ، وهدى نبيه ، وتشريعه الرشيد الحكيم فى العبادة والطاعة ، والحلال والحرام ، والشرائع والأحكام المقومة لاعوجاج الفرد والجماعة ، وفى الحقوق والواجبات الفردية أو الاجتماعية ، للوالد على ولده ، وللزوج على زوجه ، وللأخ على أخيه ، وللجار على جاره ، وللرئيس على المرءوس ، وللمرءوس على الرئيس ، وللحاكم على المحكوم ، وللمحكوم على الحاكم . فإن ربنا العليم الحكيم الرحمن الرحيم : هو خالق الإنسان وبارئه وفاطره ، وهو أعلم بسره وعلنه ، وبظاهره وباطنه ، وما يستقيم به وما يعوج ، وما يصح ويسلم به قلبه وخلقه وما يمرضه ، وما يهتدى به وما يضل . فإن مرجع كل ذلك فى الصلاح والفساد والاستقامة والإعوجاج إلى العوامل النفسية ، والتقلبات القلبية ، وتحرك الإرادات بحركات الجبلات الطبعية . وغير ذلك مما تكنه الصدور ، وتنطوى عليه الضمائر ، وتهجس به الأنفس والله وحده هو العليم بذات الصدور (ألا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير) فالدين لله وحده ، والتشريع ماشرعه ، والحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والحد ماحده (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) والهدى والصلاح والخير والعيشة الراضية وحياة الأمن والعافية ، والصلاح والنجاة فى الدنيا والآخرة : كل ذلك فيما أكمل رب الناس به الدين ،

وأتم به النعمة ، ورضيه للإنسانية كلها ديناً ، واختار عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم مبلغاً له ، وداعياً به ، وهادياً إليه بقوله وعمله وأدبه وخلقه (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (قل : هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن ومن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين) .

فكل كتاب ، أو هيئة أو جماعة ، أو بيئة ، أو عادة أو تقاليد ، أو وراثات ، أو أسرة عشيرة ، أو زوجة ، أو أصدقاء صرفت الناس عن عبادة الله وطاعته ، وتنفيذ أوامره وإقامة حدوده ، والاهتداء بهدى نبيه ، وشغلتهم عنه بغيره : من رأى الإنسان ، وتشريع الإنسان وهوى الإنسان ، وطيش الإنسان وسفهه ، فهو طاغوت . قال تعالى (٤ : ٦٠ـ ٦٥ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً . وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ، إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم ، فأعرض عنهم وعظهم ، وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ـ إلى قوله ـ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

أكبر طاغوت يهددك ، ويهدر مجتمعك اليوم : هو طاغوت البلشفية فإنها تحطم كل دين ، وتهدم كل شريعة ، وتقتل فى الإنسانية كل ميزة وكرامة . تعمل بكل قواها الشيطانية على هدم كيان الأسرة ، وإعادة الإنسانية إلى البهيمية ، بل إلى الوحشية الفاجرة .

إله البلشفية ومعبودها : هو المادة ، وعبادتها : إنما هى تقديس المادة ، وشريعتها : الإنسانية كلها قطيع مملوك لرئيسها ، تتسافد تسافد البهائم ، وتنسل كما تنسل الأنعام والخيل والبغال والحمير ، وتكدح وتشقى لتنتج لصاحب العزبة ، طاغوتها ومالكها المتربع على كرسى الكرملين ، يستبقى منها مايشاء ويذبح منها مايشاء ، ويطعمها مايشاء ويمنعها مما

يشاء ، تعمل بمشيئته هو ، لا بمشيئتها ، وتتكلم بإرادته هو ، لا بإرادتها ، لأن الأنعام والبهائم ليس لها إرادة ولا مشيئة ، ولا ينبغى أن يكون لها إرادة أو مشيئة ، بل ولا وجود شخصى ولا ذاتية من بنى الإنسان ، يرضى أن يقضى على نفسه بالهلاك الأبدى ، والشقاء فى الدنيا والأخرة ، بتجريده من إنسانيته ، وإركاسه بأن يعود بهيماً مفقود العقل والتفكير والإرادة والمشيئة ، محروماً من عاطفة الوالدية ، ومودة ورحمة الأسرة والزوجية ؟ .

لن يرضى بذلك إلا من مهد لهذا الشقاء بالكفر بالله وآياته وسننه ونعمه ، وحكمته ورحمته وكتابه ورسوله ، واتخذ من قبل طاغوت البلشفية : طواغيت الأموات وقبابها ، والتقاليد والعادات الجاهلية وعماها ، وأهواء الرجال وآراءهم المظلمة .

وهذا هو الذى يخدع بدعايات البلاء ، ويذهب ـ فى طواعية البهيم الداجن وبلادته ـ ليلقى بعنقه فى غل عبدة طاغوت البلشفية الفاجرة الخاسرة ، مخدوعاً يزعم أن فيها العدالة الاجتماعية ، ورفع ظلم وطغيان واستعباد الرأسماليين للطبقات العاملة .

أما من كفر بكل الطواغيت وآمن بالله ، وأسمائه وصفاته وسننه ونعمه ورحمته ، وحكمته وآياته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فأخلص العبادة لله وحده ، واستقام فى كل أمره على ماتقتضيه حكمة الله وسنته ، وعلى ماتهدى إليه آيات القرآن وسنة الرسول الكريم فإنه لن يرى العدالة الفردية والاجتماعية ، ولن يرى الصلاح له ولمجتمعه ، ولن يرى القوة والعزة له ولأمته ـ إلا فى السير على سنن الله ، والاستقامة على صراطه المستقيم . يرى الناس كلهم عبيداً مرزوقين ، والرب وحده الذى ينزل الخير لهم ، ويدبر ويسخر لهم الأرزاق بأسبابها وسننها التى لا تتبدل ولا تتغير (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)(وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) (وَقَدَّرَ فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين) .

فهو يؤمن أوثق الإيمان بأن الإنسانية كلها طبقة واحدة من أصل واحد ، وهو

التراب ، وخلق واحد فى الصورة والمعنى وحياة واحدة على هذه الأرض وتحت السماء ، وآخرة واحدة هى الحساب العادل بالأعمال ، لا بالأنساب ، والجزاء العادل الأوفى بما كسبت الأيدى : الجنة أو النار ، ورب واحد : هو المدبر وحده ، والرازق وحده ، ومالك الملك وحده ، والمحاسب والمكافىء فى الدنيا والآخرة وحده ، وأن التفاضل فى القرب عنده والزلفى لديه بالإيمان بذلك كله ، والعمل بمقتضاه ، وأن رياسات الدنيا ومرؤوسيتها ، بل وكل شىء فيها إنما هو امتحان وابتلاء ، الليل والنهار ، والغنى والفقر ، والآباء والأبناء ، والملوك والرعية ، والجوع والشبع ، والصحة والمرض ، والزوج بزوجه ، والكفر والإيمان ، والطاعة والمعصية ، والرسل والمرسل إليهم (خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) . (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ؟ وكان ربك بصيراً) (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِياً . ورحمة ربك خير مما يجمعون) أى ليكون كل واحد مسخراً لخدمة الآخر . فالرئيس فى عمله مسخر لخدمة المرءوس ، والمرءوس مسخر لخدمة الرئيس ، والعالم مسخر لخدمة المتعلم ، والمتعلم مسخر لخدمة العالم ، وهكذا .

فمن آمن بكل ذلك آمن أصدق الإيمان بأنه عامل عند ربه رب السموات والأرض ، لا عند صاحب الورشة ، ولا عند الرئيس فلان ، ولا الوزير فلان ، ولا الملك فلان ، وأن صاحب الورشة والرئيس والوزير والملك كذلك كل واحد منهم عامل عند مالك السموات والأرض (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) والميزة التى يمتاز بها عن ذلك فى ملك أو رياسة . هو : أن مسئوليته أمام مالك السموات والأرض أكبر ، وحمله أثقل فهو بحاجة من الآخرين إلى المعاونة ، والمساعدة بالشفقة والرحمة ، لا بالذل والخنوع والعبودية ، ولا بالحقد والحسد والعداوة والمقت ، لأن الجميع يكونون أسرة واحدة ، مهما كثر أفرادها ، وتناءت بهم المنازل و بعدت الدار .

١٩

إن المؤمن بحكمة الله ورحمته وعدله فى شرائعه وأحكامه ورسالاته . يعمل جاهداً ليطهر مجتمعه منه ، بتسليط أشعة شمس هذا الإيمان والهداية الإسلامية على جراثيم هذه الطواغيت فيقتلها و يطهر القلوب والمجتمع منها ، بقوله وعمله وخلقه ، وتنفيذه فى نفسه وأهله و بيته لشرائع الله ، ووقوفه بنفسه و بمن استرعاه ربه عند حدود الله ، و إيتائه الحقوق لأهلها ، وأخذه حقه بالحكمة والمعروف .

ثم اعلم أنه ليس من مستحدثات الشيطان الجديدة ، بل هو طاغوت قديم ، فإن التاريخ يحدثنا : أن اليهود هم أول من حاول إقامته بزعامة وكيد عبد الله ابن سبأ اليهودى فى أواخر أيام خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وفى غبار هذه الفتنة البلشفية ذهب دم عثمان ظلماً هدراً . وكان من ثمراته الخبيثة ما كان ، مما فتح الخبثاء اليهود الثغرة التى دخلوا منها فى غفلة المسلمين ، وما زالوا يوسعونها بتضييق دائرة الإسلام فى قلوب الغافلين من المسلمين ومجتمعهم ، حتى تمكنوا من أن يمهدوا بما قدمت لك من طواغيت هيأت أرض القلوب الميتة لغرس طاغوت البلشفية الكافرة الفاجرة ، فمن قبله أقاموا طاغوت التفرق والاختلاف فى الدين ، والرد عند التنازع إلى غير الله والرسول . ثم طاغوت الصوفية بإلهها ومعبودها المادى : الحقيقة الأولى ، أو المادة التى هى أصل ومنشأ كل مادة ، فما تولد عنها ولادة خاصة سموها : الحقيقة ، والأنوار الأولى ، والبوذية ، أو الحقيقة الإبراهيمية ، أو الحقيقة العيسوية ، أو الحقيقة المحمدية ، وما تولد منها ولادة عامة سموه الوجود كله : فربوبهم : هو النواة ، والوجود هو النخلة خرجت من النواة ، وتلك الأنوار أو الحقائق هى ثمرة النخلة ، وأخذوا يزخرفونها بمعسول الكلام فى ظلمات الجهالة والتقليد الأعمى ، والخلافات المذهبية ، حتى تسممت بها قلوب كثير من العامة ، ثم طاغوت الربا بقسوته واعتصاره لدماء الجهلاء الطائشين وتحطيمه للأسر ، وتمزيقه لكل الصلات والأواصر ، و إيقاده نار العداوة والبغضاء وما جرّ وراء ذيوله من طوام ومصائب ظهر بها الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، وانقلب بها المجتمع ذئاباً ضارية تكوى القلوب بنيران الحقد والحسد ، وتتلظى على جحيم الغل والضغن ، فكانت الفرصة المواتية من كل هذه الطواغيت : والنيران

٢٠

التى ينضج اليهود عليها لقمتهم الخبيثة فوجدت من أكتاف هذه الطواغيت محملا سهلا ، وموطئاً ليناً ، وذهبت فى نفوس موتى القلوب وعبدة الطاغوت كالنار فى الهشيم ، لابسة ثياب العاهرة وأصباغها المزورة ، تفتن بها كلاب البشرية وخنازيرها وذئابها المسوخة ، والمؤمنون بالله وسننه وكتبه ورسله منها حذرون ولها ماقتون ، ولفسادها محاربون ، بما هداهم الله إليه وأنعم به عليهم ، مما أوحى إلى عبده الكريم ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم (٤١ : ٣٠ ، ٣١ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (١٤ : ٣٢ - ٣٤ الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم . وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره . وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ماسألتموه . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار) (٤٣ : ٢٠ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها . وما له فى الآخرة من نصيب) (١٧ : ٢٠ كلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك . وما كان عطاء ربك محظورا) .

والشيوعية كذلك تحطم كل حد أقامه الله بالرسالة والفطرة ، فلا رجل ولا امرأة أعطى الله كل واحد منهما خلقه المناسب لوظيفته : المرأة فى المنزل والحمل والولادة ، والوظيفة للرجل يضرب بها فى مناكب الأرض ، ويكون قواماً على المرأة ، بل إنما هى عند الصوفية البلشفية ذكورة وأنوثة بهيمية . فهى تقتل ذكورة الإنسانية لشهامتها وغيرتها ، وحفظها للعرض والنسب ، وكذلك تقتل أنوثة الإنسانية بعفافها وحيائها وحصانتها ، وقصرها على الرجل القوام عليها . وتلغى كل شريعة شرعها ، وتجعل الناس حيوانات ، لا رابطة بينهم إلا مابيد قطب الصوفية الأعظم ، وطاغوتها الجالس على عرش الكرملين ، والقابض على صولجان المنجل والمطرقة .

٢١

والحمد لله الذى عافانا وهدانا إلى صراطه المستقيم ، ونجانا من ظلمات وفساد ووثنية هذه الطواغيت .

ونسألك اللهم أن تفتح بصائر الأمة الإسلامية ، وأن تكشف عن قلوبهم بها حجب الغفلة . وتمحو عنها ظلمات الجهالة ، لهدى كتابك وسنة نبيك المصطفى الذى أرسلته رحمة للعالمين ، وتريها الهدى هدًى فتسلك سبيله والضلال ضلالا ، فتنأى بجانبها عنه . وأن تنجيها من شرور أنفسها ، ومن سيئات أعمالها ، ومن كيد أعدائها ، وأن تمكر لها ولا تمكر بها ، إنك يا ربنا سميع الدعاء مجيب . بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير .

وصل اللهم وسلم و بارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله أجمعين .

فى سورية

مجلة الهدي النبوى

تطلب مجلة « الهدى النبوى » فى سورية من الأستاذ محمد فهمى الحمدانى صاحب « مكتب الدنيا » ـ بزاعة ـ منطقة الباب بسورية .

وجـــود الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس

١

لاشك أن الإيمان بوجود الله جل وعلا هو أساس العقائد الإيمانية كلها، بل أساس جميع الأديان والشرائع السماوية لأنها جميعاً إنما قامت على أساس أنها نازلة من عند الله سبحانه.

ولهذا كان أهم مايهدف إليه أهل المروق والإلحاد من أعداء الرسل والأديان هو التشكيك فى وجود الله تعالى كما نرى اليوم فيما يشغب به دعاة الشيوعية وأذناب الوجودية وغير هؤلاء وأولئك من عناصر الشر والفوضى والانتهازية.

ومن المؤسف حقاً أن نرى كثيراً من شبابنا المسلم المثقف يستجيب سريعاً لهذه الدعوات المخزية مأخوذاً بما يزينه له شياطينها من زخرف القول و باطله وما يغرونه به من التحلل والانطلاق من قيود الدين والاخلاق . فلايلبث أن يقع فى شراكهم صيداً سهلا فيسلبونه دينه وخلقه وجميع مقومات حياته التى يعتز بها و يعيش من أجلها و يصبح أداة طيعة فى أيدى هؤلاء الأبالسة يستخدمونه لتحقيق مآربهم الخبيثة فى الترويج لمبادئهم الهدامة التى ماسادت فى أمة إلا سلبتها أعز ما تعتز به من دين وشرف وتقاليد وجميع مقدراتها الأدبية والروحية.

ولست أدرى كيف يسوغ لعاقل يحترم عقله ويقدر نعمة التمييز التى أكرمه الله بها أن ينخدع لهذه الدعوات الإلحادية الخبيثة فيما تهذى به من انكار وجود الله وهو يراه سبحانه ظاهراً فى نفسه وفى كل ماحوله من الأشياء التى هى آثار قدرته ومجالى علمه وحكمته وفيض جوده ورحمته ؛ والتى حمل النظر فيها كثيراً من علماء الغرب الملحد أن يقروا بوجود الله عز وجل على أنه ضرورة علمية لامناص منها لما عجزوا عن تفسير ظواهر الكون وأعاجيبه تفسيراً مادياً بحتا ورأوا أنها تسير كلها وفق غاية مرسومة ونظام محكم دقيق ، و إذا كان وجود الله عز وجل يعتبر من أجلى البديهيات لدى العقول السليمة والفطر

المستقيمة التى لم يفسدها الهوى والتقليد الأعمى ، فهو ليس بحاجة إلى تلك الجدليات الفارغة التى اصطنعها علماء الكلام وسموها جهلا براهين كقولهم (العالم جواهر وأعراض والأعراض حادثة والجواهر لاتخلو عن الأعراض ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث فثبت حدوث العالم بجواهره وأعراضه) .

فهذا الدليل هو عمدتهم والاستدلال على وجود الله ، لأنه إذا ثبت حدوث العالم بجميع أجزائه فلا بد أن يكون له محدث ، وهو الله عز وجل مع أن الدليل كما ترى مبنى على مقدمات افتراضية غير مسلمة وعلى نظرية قديمة فى العالم الطبيعى قال بها (ديمقريطيس اليونانى وملخصها أن العالم مركب من ذرات فى غاية الصغر متشابهة وأنها تجتمع بحركة تلقائية فتكون الأجسام ثم تتفرق كذلك فتنحل الأجسام وتفنى) ولعل هذه النظرية الآن بعد نجاح العلم فى تحطيم الذرة قد أصبحت فى خبر كان .

ومن العجب أن هؤلاء المتكلمين يقدمون هذا الهذيان على أدلة القرآن ويزعمون أنه البرهان الأوحد على وجود الرحمن حتى يقول بعض هؤلاء الحمقى : أن من لم يؤمن بالله من طريق هذا الدليل لم يتم إيمانه ويوجب من أجله الإيمان بذرات ديمقريطيس الوثنى . فكم من المسلمين يستطيع أن يفهم هذا الدليل أو يقتنع به ؟ وعلى رأى هذا الجاهل لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان ولا أحد ممن مات قبل اختراع هذا الدليل مؤمنا لأننا نعلم بالضرورة أن هذا الدليل مبتدع لا أصل له فى كتاب ولا سنة ولا هو مأثور عن أحد ممن يعتد بدينهم وإيمانهم من سلف هذه الأمة .

إنا لنرجو مخلصين من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومعاونيه فى إدارة تلك الجامعة الإسلامية الكبرى وكلهم بحمد الله دكاترة فضلاء يؤمنون بحرية البحث وتطور الفكر أن يرحموا عقول طلاب الأزهر من هذه الكتب الجافة العقيمة التى لا تحمل بين سطورها الانتاج عقول مريضة وأفكار ونظريات غريبة عن الإسلام .

إن طريقة القرآن الكريم هى أقوم الطرق وأهداها وفيها لمن تأملها الكفاية والشفاء بل هى الأدلة التى يتعين الإيمان بالله وأسمائه وصفاته من طريقها ، وليس لقائل أن يقول

أنها أدلة نقلية لايؤمن بها إلا من يعتقد بالقرآن،لأننا نقول أن أدلة القرآن نقلية وعقلية فهي نقلية من جهة ورودها ونصب الشارع لها ، ولكنها عقلية من جهة دلالتها لأن الله عز وجل إنما نصبها للعقول جميعاً لننظر فيهـا ونستدل بها ، وهى أقرب إلى العقل من تلك الألغاز والأحاجى التى يستعملها أهل الـكلام والجدل - فإنها تستند دائما إلى ما يشاهده النـاس ويقع تحت حواسهم ويتصل بحياتهم ويتفاعل مع مشاعرهم من اختلاف صور الأشياء وألوانها ومنافعها وما يتجلى فيها من دقة الصنع وإحكام التركيب وتناسب الأجزاء ، وما يحصل من تحولها وانتقالها وكيفية نشوئها وتولد بعضها من بعض وتأثير بعضها فى بعض وما يترتب على ذلك من مصالح ومنافع مقصودة ، إلى غير ذلك ممـا يراه كل أحد ولا يستطيع أن ينكره ، ولهذا كانت أدلة القرآن هى التى تصلح لجميع الناس على اختلاف عقولهم وتفاوت ثقافتهم كما قال الله تعالى « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » .

وأرى بعد هذه المقدمة أن أعرض عليك أيها القارىء الـكريم بعض النماذج من أدلة القرآن العظيم ، تاركا لك أن تتأملها بعقلك وتفتح لها قلبك ووجدانك حتى يتم انتفاعك بها (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

قال الله تعالى فى سورة البقرة (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيهـا من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

وقال فى سورة الأنعام (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلـكم الله فأنى تؤفـكون . فالق الإصباح وجعل الليـل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لـكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعـلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحـدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية

وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) .

وقال جل شأنه فى أول سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مدّ الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

وقال جلت آلاؤه فى سورة النحل (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون ، وإن لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) .

وقال تقدست أسماؤه فى سورة فاطر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) .

وقال جل ثناؤه فى سورة الغاشية (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت) .

هذا قليل من كثير مما ورد فى القرآن الكريم من دلائل وبراهين لاتدل على وجوده

البقية على ص ٣٧

الصــــــــلاة

بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا

الصلاة : اتصال قلب العبد بالله وتوسله إليه ، وإثبات ما يكن له من حب و إجلال بسجوده بين يديه ، وهى أس العبادة وعماد الدين ، إذ يقوم عليها كل عمل المرء وجهاده ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن قبلت منه صلاته قُبل منه سائر عمله ، و إن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله » .

وذلك لأن صلاة العبد إن صدقت كانت آية إيمانه وحبه الصادق لربه ، فكان عمله فى سبيل الله وابتغاء وجهه . و إن كانت صلاته صلاة جهل ورياء كانت آية كذبه فى دعوى الإيمان فكان عمله لغير الله .

فالصلاة أصدق برهان على إيمان العبد وخشوع قلبه ، وهى أوثق الروابط وأمتن الصلات التى تصله بربه ، وأقدس أوقات يعبر له فيها عن شكره وحبه . وأعظم شرف يكرمه ويسعده بأن يحظى بقربه « فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ يرقى المؤمن إلى السماء بروحه عند ما يخر ساجداً على الأرض بجسده ، فالانخفاض بالسجود ، إرتفاع وصعود .

فيالها من رفعة ونعمة أن يتقرب المؤمن إلى مولاه ، و يبثه شكواه و يسأله معونته وهداه وأن يفضى إليه بذات صدره و يلوذ به عند محنته وحيرته ، فيزيد ذلك من قوة نفسه ويهون عليه ما يصعب احتماله .

فذِكرُ الذى إن يمسسه بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يرده بخير فلا راد لفضله : يُدخل على قلبه الجازع الهدوء والسكينة ، ويشعره الاعتماد على رحمته بالارتياح والطمأنينة . (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وكان كلما حزبه أمر أو ساوره هم : فزع إلى الصلاة . ونادى بلالا وقال له « أرحنا بها يا بلال » ولذلك وصى الله تعالى المؤمن بأن يستعين بالصبر وبالصلاة التي تمده به على متاعبه وهمومه في قوله (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) .

وكما أن الصلاة تعبر عن الشكر والطاعة ، فهي تلهم قلب المؤمن الصبر والشجاعة . فتمحو ما جبل عليه من جبن وجزع ، وتقي نفسه شر الشح والطمع . فاسمع لتأكيد ذلك في قوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) .

وذلك لأن المداومة على الصلاة تذكر المرء بربه وتعيده إليه كلما نأى عنه ، وتوقظ قلبه كلما غفل ، كأنها جرعة دواء يتناوله في مواعيد متتابعة متقاربة لينتعش ويفيق ويقوى قلبه وتشتد عزيمته . فهي أقوى باعث على الصبر والبر والإحسان ، وأعظم مطهر يزكي الروح وينقي القلب من الأدران ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة كمثل نهر جار أمام باب أحدكم يغتسل فيه في اليوم والليلة خمس مرات ، فهل يبقى عليه ذلك من درن ؟ » .

فالمسلم الذي يتردد على ربه خمس مرات كل يوم ، وفي كل مرة يناديه ويناجيه ويحمده ويستغفره ويطلب منه الهداية والوقاية : أصبح مراقباً لله وعلى موعد دائم مع الله ، يعاود المثول بين يديه ولا يفارقه إلا ليلقاه . فهل يجرؤ بعد ذلك على عصيانه ولا يستحي أن يراه حيث نهاه ؟؟ .

فذكر الله أكبر ناه للمؤمن عن كل شر كما قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

فإن من يقيم الصلاة يكون دائم التذكر لله ، حاضر القلب مع الله ، لتتابعها وتقارب أوقاتها ومن كان حاضراً مع الله باستمرار ، من المحال أن يقدم على فاحشة وهو يوقن بأنه يراه ولا يغادر له صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وسجلها عليه ثم جزاه عليها الجزاء الأوفى .

وهذه هى الحكمة فى تشديد الله سبحانه بالمواظبة على الصلاة فى قنوت وحضور لينتبه القلب ويخشع فيحظى المصلى بالفلاح ، كما أكد تعالى فى قوله (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

أما هذا الغارق فى الفحشاء والمنكر وهو يظن أنه من المصلين ، فإنه لم يصل كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « من لم تنهه صلاته فلا صلاة له » إذ لو أقام الصلاة كما أمر الله لانتهى عن الفحشاء والمنكر كما أكد الله . ومن أصدق من الله قيلا ؟ .

إن من لم تنهه صلاته ، ولم يقلع عما يطلب من الله النجاة منه ، بل استمر على اقترافه ، كما استمر على إلحافه ، كان كاذباً فى دعواه يرجو بلسانه مالا يرجوه قلبه، وذلك : آية النفاق والبعد عن الله بروحه،وإن صلى وجاهد بجسمه وماله ، ومثل دور الخاشع التقى فى كل عباداته وأحواله ، إذ ليس من المعقول أن يرغب المرء فيما يتجنبه وأن يعرض عما يتمناه ، فإن من يضرع إلى الله ويرجوه أن يهديه إلى الصراط المستقيم كل يوم عدة مرات ويكرر فى كل مرة هذا الرجاء ثم لايستحى من ربه أن يخرج على الصراط المستقيم مختاراً ، ويتبرأ من المغضوب عليهم ويضرع إلى الله ألا يكون معهم ثم يسعى بعصيانه ليحشر معهم ، ويتبرأ من الضالين ثم يتعمد الضلال ويتجنب الهدى الذى يطلبه بقوله قد كذب قوله وصلاته ، وأثبت نفاقه بعمله . فلا بد لصلاة القلب أن تهذب القلب ، وتمكنه من أن يحكم الجسد ويقوده كيفما شاء ، وإلا فلاصلاة له .

وفى الصلاة استجمام للفكر ، وراحة للعقل المرهق بالعمل المتواصل فى مشاغل ومشاكل الحياة . فهى ترويح للنفس المؤمنة ، وهدوء للعقل ، توقفه عن متابعة العمل ، وتصرفه عن همومه وشجونه إلى التنعم بمناجاة الله عز وجل بضع لحظات ، فيجدد ذلك نشاطه ، ويعود من نعيم الصلاة مزودا من ربه بعزيمة أقوى ، وذهن أصفى ، وقلب أتقى . ويشعر بارتياح وانشراح إذا قام بما يجب عليه من إجلال لخالقه ، وشكر لرازقه .

والصلاة تطبع المصلى على الطاعة والمثابرة والنظام والدقة فى المواعيد ، لأن المصلى يعاود الصلاة فى أوقات خاصة ، وساعات معينة ، ويؤديها على ترتيب خاص ونظام خاص ،

ويثابر على إقامتها وتكرار ركعاتها فى دقة ، ويحرص على أوقاتها فى انتباه وحذر . فهل كل ذلك لايعلم المرء ويمرنه على المثابرة والمحافظة على النظام . ويعوده الطاعة واحترام المواعيد والأوامر فى دقة وإحكام ؟؟ . إن ذلك ليوجب والله أن يكون المؤمن الذى يقيم الصلاة كما أمر الله على خلق عظيم .

فانظر إلى منافع الصلاة الصادقة للقلب . وكيف يسعد بها ويتطهر . وكيف تنهاه عن الفحشاء والمنكر . وكيف إذا استعان بها المرء عند الشدة والحزن تعزيه وتقوى صبره وتواسيه وتشرح صدره وتداويه وتمسح كدره وتسليه ، وتطرد ضجره . وكيف تضمد جرح قلبه . وتخفف ألم كربه . وتخمد ثورة غضبه . وتردعه عن الإصرار على ذنبه . فترجعه إلى طاعة ربه . فكم صدت المرء عن التمادى فى ظلم . وكم كفت لسانه عن الاستمرار فى إثم . وكم أوقفت الإسراف فى لهو . وكم منعت الإفراط فى لغو . وكم قطعت الاسترسال فى سهو . وكم نبهت قلب المؤمن وذكرته بربه فاستغفر لذنبه فكان من (الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) .

ولقد دعا الله تعالى عبده للتشرف بالسجود له والمثول بين يديه . وسمح له بأن يدعوه ويناجيه ويضرع إليه . وتفضل سبحانه ذو الجلال والإكرام بأن يصغى إليه . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

وليكون المسلم أهلا لهذا الشرف العظيم : يجب أن يستعد له بتنظيف بدنه وقلبه فيغتسل ويتوضأ ويتوب ويستغفر ليمثل بين يدى خالقه ورازقه طاهر الظاهر والباطن ، فيفوز بالفلاح كما وعد تعالى فقال : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى) .

ويجب أن يقف هذا الموقف المهيب فى رهبة وخشوع ووقار . وألا يسرع فى حركاته وفى نطقه ويضرع إلى مولاه فى ذل وانكسار . ويجب أن يكبح جماح فكره ويقيده ، ويحصر كل وعيه فيما يقول ويركزه . فيعيده كلما شرد . ويستحضره كلما ابتعد . يجب أن تسجد الروح لخالقها مع البدن ، وأن يذكر العبد أنه يمثل أمام من إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون . وأنه يشكر من جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون . وأنه

يناجي من عنت الوجوه له . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه . فلينظر أحدكم من يناجى » .

فإن الذى يعرف من يناجي فى صلاته يشعر قلبه عندما يقول لسانه : الحمد لله رب العالمين . بفضل ربه وجزيل نعمته . ويقدر عقله عندما يقول لسانه : الرحمن الرحيم . عظيم رحمته وعدله ورأفته . ويتصور عند ما يقول : مالك يوم الدين . سعة ملكه وسلطانه وعظيم قدرته . ويشعر قلبه الخاشع عند ما يقول : إياك نعبد وإياك نستعين . بالاحتياج إليه وضعفه وعبوديته . فيضرع إليه فى حرارة ويبتهل خاشعاً وهو يقول : اهدنا الصراط المستقيم . ويشعر بالرهبة عند مايخر ساجداً ببدنه ذلا وخشوعا وهو يكرر بلسانه : سبحان ربى الأعلى. سبحان ربى الأعلى..

أما هذا الشقى ، الذى يتشبه بالمصلين ، فيقوم ينقر نقرات غراب ويسميها صلاة وهو لايعى مايقول لمولاه السميع العليم بذات الصدور الذى يسبر غور قلبه . فإنه لايستفيد من من صلاته الصورية وحركاته الآلية فائدة لأن الجسد وحده ، هو الذى ركع وسجد . أما القلب ، وهو حياة المرء ومركز وعيه وشعوره .. فإنه لهاوسها ونأى عن ربه ولم يصل ، فكيف ينتفع ويثاب على شى لم يعمله ؟ ؟ ؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ياعلى . ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » وقال « قد يصلى المرء وليس له من صلاته إلا نصفها .. إلا ثلثها . إلا ربعها . إلا خمسها إلى أن قال وقد لايكون له من صلاته شىء » فعلى قدر خشوع القلب وحضوره مع الله تكون الفائدة من الصلاة ويكون الفلاح فى الدنيا والآخرة. كما قال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

وعلى قدر السهو عن الله عمداً ، يحول المتغافل بسوء أدبه الثواب عقابا . فلينظر أحدكم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من يناجى ، وبأى موقف يستخف وأمام من يلهو ويسهو ، وليسمع تهديد الله له (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

إن هذا المرائى الذى لايصلى إلا ليقال تقى . كما أنه لايتصدق إلا ليقال غنى سخى . وإذا قام إلى الصلاة قام متكاسلا . وإذا صلى صلى ساهياً مستعجلا . فاسمع لوصفه فى قوله

تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) .

فالتكاسل والتثاقل فى القيام إلى الصلاة والحرص على تعجيل الفراغ منها : آية فراغ القلب من حب الله إذ من المحال ألا يتوق المرء إلى من يحب ، ولا يتمنى أن يطيل الحديث معه فى غبطة وسعادة . فالصلاة عند هؤلاء المرائين تقليد أعمى لمن يراؤون ، أو نخر ومظاهر تقوى يتباهون بها . وأمر اختيارى لافرض إلٰهى . ولذا يقدمون عليها هواهم ولهوهم ، ويضيعونها لأتفه الأسباب فربما ضيعت الصلاة من أجل حفلة أو نزهة أو حرصاً على أصباغ الوجه وتنسيق الشعر . وما أصدق قوله تعالى (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) إى وربى إنها كبيرة طويلة ثقيلة تشق على عبد هواه ، لأنها تعطل بعض شهواته وتنغص عليه ملذاته . فيتبرم بها ويضجر من تتابعها وتكرارها . ويأسف على مايبذله من مجهود ووقت فى تأديتها ولا يطيق المداومة عليها وأن يتقيد بمواعيدها المتتالية التى تحبس حريته عما تقيد به مع الشيطان . فيحرص على تعجيل الفراغ منها ليفرغ للهوه ومتعه أو لعمله و بيعه بل ويعجز عن تكريس بعض وقته لها لأنه قد كرسه كله لهواه إذ لايشعر بحب ربه ولا يكترث بغضبه أو رضاه . . فهى لا تسهل إلا على الخاشع الذى يجد فى مناجاته لربه سعادة روحه ومتعة قلبه . فيدفعه شكره وحبه لخالقه على إقامتها حتى الموت ، ولا تلهيه عنها سراء ولا ضراء ولا لهو ولا كسب (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

ولقد مدح الله تعالى المؤمنين ووصفهم بالخشوع فى الصلاة وبالمحافظة عليها فقال : (فى صلاتهم خاشعون) (على صلاتهم دائمون) (على صلواتهم يحافظون) (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة) وقال على لسان إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين دعا ربه : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) وقال حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم (وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) وأثنى على إسماعيل بأنه (كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) وأنه لذلك (كان عند ربه مرضيا) وهكذا كان أول مامدح به إسماعيل هو تمسكه بالصلاة والزكاة ودعوة أهله إليها .

وأمر الله تعالى بالصلاة وبالحث عليها وأمر الأهل بها والصبر على إقامتها . وهو بذلك

لايسأل المصلى رزقاً بل هو الذى يرزقه ، فهو غنى عن صلاته وعن كل عباداته . وما أمره بالصلاة وأمره بأن يأمر بها أهله ، إلا لتنهاه وتنهاهم ، فتقى نفسه وأهله نارا وقودها الناس والحجارة ، وليكون له ولهم حسن العاقبة فى نعيم الجنة جزاء التقوى ، كما بين تعالى فى قوله (وأمر أهلك بالصلاة . واصطبر عليها . لانسألك رزقاً نحن نرزقك . والعاقبة للتقوى) .

وقال تعالى على لسان لقمان ليبين لنا كيف كان ينصح لابنه ، ويأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والصلاة أعظم معروف يؤمر به . وليعرفنا أن ذلك واجب الأب المؤمن نحو ولده (يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

وهكذا نفهم من آى القرآن وحديث الرسول : أن أمر الأهل بالصلاة وتنشئتهم على إقامتها من أقدس الأوامر الإلهية وأهم الواجبات على كل إنسان يؤمن بالقرآن .

ولعظيم أهمية الصلاة وفائدتها للمرء فى الدارين : شدد الله تعالى الأمر بالمواظبة عليها ، وشدد الوعيد على تضييعها وإهمالها . ولذلك قال تعالى : (يقيمون الصلاة) ولم يقل يصلون فحسب . ومعنى إقامة الصلاة: المداومة عليها والاستمرار والمواظبة . فنعيم مقيم :أى مستديم . ودار المقامة: أى دار الخلود والبقاء ، ومعنى الإقامة أيضاً: التنظيم وإحسان التهيئة والتشييد . فأقام وليمة : أى أحسن تنظيمها وهيأها كما ينبغى . وأقام منزلا : أى شيده وجعله قائماً فوق الأرض متيناً متماسك الجدران . وأقام الصلاة إذن : أداها كاملة وأحسن أداءها كما يجب .

فاسمع لتشديد الله فى المحافظة على الصلاة وكيف أوجب للمؤمنين المحافظين عليها الخلود فى الفردس . فقال (والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيهاخالدون) وقال (والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون) وقال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) .

وبين تعالى أن لكل صلاة وقتاً معيناً وميعاداً محدداً لا تصح إلا فيه . فقال :

(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) . وأنها إذا انقضى وقتها لا تعوض فى غيره كالصيام لأنه سبحانه قال فى الصيام (ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) ولم يقل ذلك فى الصلاة ، بل قال (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) وهذا منتهى التشديد فى المحافظة على الصلاة فى أوقاتها . فإنه تعالى لم يسمح بتأخيرها عن وقتها للمريض ، بل أمره أن يصلى على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولاسجود إذا عجز عن ذلك ولو كانت تقبل منه وتصح فى غير وقتها : لجاز تأخيرها إلى زمن الصحة . وقد أمر تعالى المسلمين حال مواجهة عدوهم : أن يصلوا صلاة الخوف فيقصروا من أركانها ويستدبروا فيها القبلة ويسلموا قبل الإمام . بل يصلوا رجالا أو ركباناً حتى لو لم يمكنهم إلا الإيماء أنوا بها على دوابهم إلى غير القبلة فى وقتها . ولو قبلت منهم فى غير وقتها وصحت : لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن .

وهذا يدل ويبرهن على أنها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا مقبولة منهم وهم يبذلون أرواحهم الغالية فى سبيله وجهاد أعدائه . فكيف تقبل وتصح من صحيح لا عذر له يقدم عليها هواه أو مصلحته فيدعها حتى يخرج وقتها ثم يصليها متى شاء وكيفما شاء . فإن الغرض من الصلاة ليس عدد ركعاتها فحسب . إنما الغرض الأهم منها هو: التشرف باتصال قلب العبد بربه وذكرهُ وشكرهُ فى هذه الأوقات المعينة فى كل يوم ليسمو دائماً فى درجات الكمال . ولو أنه كان الغرض منها صورتها وركعاتها لوجه الأمرَ إلينا بعددٍ من الركعات بدون تحديد هذه الأوقات .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها ولا كفارة لها إلا ذلك » قابل الناسى فى الحديث بالنائم . فالناسى غيرُ مؤاخذٍ كالنائم إذ لم يتعمد ترك الصلاة ولم تفته إلا بالرغم منه كالنائم .

ومعلوم أن من ترك الصلاة عمداً لا يكفر عنه فعلُها بعد الوقت إثمَ التفويت إذ يبقى معنى الحديث « من ترك الصلاة عمداً حتى خرج وقتها فكفارة إثمه صلاتها بعد الوقت »

أى يتساوى من صلى فى الوقت المحدد ومن صلى بعد خروجه . فهل هذا معقول أن يستوى الذين يحترمون أمر الله فيحافظون على الصلاة والذين يستهينون بها ولا يبالون بغضب الله ؟

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقضاء صوم أيام الحيض فى رمضان ولم يأمر بقضاء صلاة أيامه . وهذا يدل دلالة واضحة على أن لكل يوم صلواتٍ محددةً ينتهى وقتها بانطواء صحيفة ذلك اليوم كما قال أبو ابكر : اعلموا أن أهم أمركم عندى الصلاة . فإن من ضيعها فهو لغيرها أضيع . وإن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل .

إن جناية الاعتقاد بصحة الصلاة ، وقبولها فى غير وقتها المكتوب جناية عظيمة سهلت للشيطان أن يقطع القلوب عن ربها ، وأن يقيم للإنسان أتفه الأعذار لتضييع الصلاة ظنا منه أنه يستطيع قضاءها متى شاء ، فكم من جاهل جمع صلاة اليوم فى غده ، بل وجمع صلاة الشهر وأجلها إلى الوقت الذى يلائمه فضيعها وضاع، كمن تناول دواء شهر دفعة واحدة فانقلب نفعه ضررا .

فيجب على المسلم الحريص على سعادته برضا ربه أن يحافظ على صلاته ويقدس وقتها وألا يمنعه عن إقامتها مرض ولا سفر ولا تعب ولا عمل ولا هم ولا لهو ليكون من المؤمنين المتقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .

وتسهيلا للصلاة ورحمة بالمصلين . جعل الرحمنُ الرحيمُ ـ الذى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ـ: التيمم بدلا من الوضوء والاغتسال عند عدم المقدرة على استعمال الماء أو عند عدم وجوده . وشرع للمسلم أن يصلى حيث استطاع . فإن لم يستطع قائماً فليصل قاعداً . فإن لم يستطع فمضطجعاً . فإن لم تتيسر له القبلةُ فحيثُ توجه . فإن لم يتيسر له ماء ولا تيمم صلى بلا وضوء ولا تيمم كإنسان به جراح أو بثور بوجهه أو بيديه أو ماشابه ذلك . ولا يأذن الله له فى تأخير الصلاة عن وقتها . بل المريض أحق وأولى بالمحافظة عليها تضرعاً إلى الله ليعافيه . أو ربما يكون قد دنا أجله فيختم له بالإيمان والطاعة .

أما تارك الصلاة : فإنه عبد تافه ، استكبر عن الخضوع لسيده . ومخلوق ضعيف جاهل تمرد على خالقه ، ومملوك حقير خرج على مالكه واستهان بأوامره وقرآنه ، ولم يسجد لمولاه طائعاً شاكراً ، فكفر بفضله وإحسانه . قال تعالى : (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

والصلاة : رأس العبادة فإنه تعالى لم يخلق الإنسان ثم يتركه سدى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) . وإنما أعطاه هذه الحياة ليبتليه ، فجعله سميعاً بصيراً ، وهداه السبيل : إما شاكراً ، وإما كفورا .

فتارك الصلاة عمداً استهانة واستخفافا ، لم يقم بواجب الشكر والطاعة لمن خلقه ورزقه فكان كافراً كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » وقال « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

وقال تعالى : (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) . وهذا نص صريح فى كفر تارك الصلاة ، لأن الله وصف الذى يؤمن بالآخرة ويؤمن بالقرآن ، بأنه يحافظ على صلاته إذ لابد لمن يؤمن باليوم الآخر أن يستعد له بإقام الصلاة . وكل من يصدق بالقرآن لا بد أن يؤمن بما وعد الله به فى القرآن المقيمين الصلاة ، فيحافظ عليها خوفاً وطمعاً .

وقال تعالى : (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون . ويل يومئذ للمكذبين) فحكم على تارك الصلاة بأنه مكذب بكتابه ولقائه ، وأنه ما امتنع عن الركوع والسجود له إلا لأنه لم يصدق وعده بالفلاح للمصلين ، فلو صدق لصلى كما قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) .

قال ابن القيم : وقد خص الله سبحانه المؤمنين بها بأنهم أهل السجود ، فلم يؤمن بقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة) إلا من التزم إقامتها .

وقال تعالى : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) .

أمر الله تعالى المؤمنين بألا يرفعوا سيفهم عن أعناق المشركين ولا يكفوا عن قتلهم حتى يقيموا الصلاة . فإن لم يقيموا الصلاة ، فإنهم لم يدخلوا الإسلام . فشرط فى صحة التوبة وإخراجها إياهم من الشرك إلى الإسلام : إقامة الصلاة .

وقال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة) قصر الولاية وحصرها فى المؤمنين ووصفهم بقوله : (الذين يقيمون الصلاة) فبين أن إقام الصلاة آية الإيمان ، وذلك لأنه من المحال أن يكون الرجل مصدقا تصديقاً جازماً : أن الله تعالى فرض عليه فى كل يوم وليلة خمس صلوات وأنه سيعاقبه على تركها بأشد العذاب ، وهو مع ذلك يصر على تركها . هذا من المستحيل قطعاً . فإن الإيمان يأمر صاحبه بها ، فحيث لم يقرّ فى قلبه مايأمره بها ، فليس فى قلبه شىء من الإيمان .

وليس الإيمان مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له ، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا ، لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح مؤمنين . قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) والجحود لا يكون إلا بعد معرفة الحق . فالتصديق لايصح ولا يعتبر إيماناً إلا بالعمل .

فما أعظم خزى تارك الصلاة يوم القيامة . وماأشد مايسر يومئذ من الندامة . إذ يجلس الله المؤمنين المصلين على أرائك الرضا ويمنّ عليهم بالأمن والسلامة ، فيسخرون من المجرمين قائلين لهم : ماسلككم فى سقر ؟؟ وقد كنتم فى الدنيا فرحين مرحين . (قالوا : لم نك من المصلين) فيزيدهم ذلك خزياً على خزيهم ثم يزيد الله المؤمنين نعيما وسروراً فيشرفهم بالسجود له مع الملائكة المقربين ، ويحول بين المجرمين وبين هذا الشرف العظيم لأنهم ليسوا له أهلا ، إذ كانوا فى الدنيا قد أعطاهم الله السلامة فى أبدانهم والعافية وسهولة الحركة فى أعضائهم ثم دعاهم إلى السجود شكراً على ما أعطاهم وأسبغ عليهم من نعم ، فأبوا وكانوا من الكافرين . فجازاهم فى الآخرة أمام الخلائق بهذه الإهانة وسود وجوههم بإرهاقها بالذلة . فاسمع لقوله تعالى : (يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون) .

نعم . فقد كانوا يدعون فى الدنيا إلى السجود وهم سالمون ، فلم يستجب من حق عليه العذاب لمن شرفه فدعاه . واجترأ على عصيان من خلقه فسواه . ومن لم يتشرف بالسجود لربه ولم يحظ برضاه . فهو حقير مهين مهما كان ثرياً عظيما أو ملكا جليلا . إذ ليست الكرامة وعلو الدرجة لمن حظى بالثراء والعلو فى الحياة الدنيا . بل لمن حظى بشرف الإيمان والتقوى . كما أكد تعالى فى قوله : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

فاحرص على نجاة نفسك من العذاب يامن تخشى العذاب ، وسارع إلى التوبة من ترك الصلاة من قبل أن يجىء يوم لاينفعك فيه مال ولا بنون . واسمع لتحذير الله تعالى : (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) .

عقيدة القرآن والسنة

بقية المنشور على ص ٢٥

سبحانه فحسب ، ولكنها تدل أيضاً على وحدته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته وجوده ورحمته ، وغير ذلك من صفاته التى ترجع إليها أفعاله ، فالمعقولات دالة على الأفعال ، والأفعال دالة على الصفات ، وهى تدل على وجود الموصوف بها جل شأنه .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله فى كتابه الفوائد :

« فأما المفعولات : فإنها دالة على الأفعال ، والأفعال دالة على الصفات ، فإن المفعول يدل على فعله ، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه ، لاستحالة صدور الفعل الاختيارى من معدوم أو موجود لاقدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة »اهـ .

يتبع

شموع فى الطريق :

محمد عبـــده

بقلم محمد سليمان الحاج

فى قرية صغيرة . . لاتكاد تظهر فى خريطة الدنيا . . ولا تـكاد تبدو من معالم الأرض . هناك فى مديرية البحيرة . مركز شبراخيت . فى قرية محلة نصر فى سنة ١٨٤٩ م رزق الفلاح البسيط عبده خير الله بابنه الأول « محمد » ورزقت به السيدة الوقور « جنينة» ابنا ثانياً . فقد كانت أما لطفل آخر ، من زوج آخر ، وعلى عادة الريف ذهب الطفل الصغير ليحفظ القرآن الـكريم . فيتم حفظه فى عامين على أحسن مايكون . ويشد الرحيل بعد ذلك إلى المسجد الأحمدى بطنطا ليجالس العلم . ويخالط العلماء .

ولـكنه يسمع من العلماء شيئاً لايفهمه . شيئاً لايستسيغه . فيفر هارباً إلى بلده بعد عام ونصف عام . وهو كما هو . لم يتقن درساً . ولم يستفد علمـا . مفضلا العمل فى الزراعة . عن ذلك العلم الذى كان يلقى بالمسجد الأحمدى حين ذاك .

وفى صباه هذا المبـكر . يعرض عليه والده الزواج فيتزوج إحدى بنات العائلة وهو فى سن السادسة عشرة من عمره .

ثم . . .

ثم يأتيه والده بعد أربعين يوما من زواجه ويرغمه على أن يعود لمتابعة العلم بالمسجد الأحمدى مرة أخرى .

ولا يستطيع الشاب الصغير أن يقاوم إلحاح والده فيعود إلى طنطا . ومرة أخرى يجد نفسه فى المسجد الأحمدى محاطاً فى بداية عهده بالعلم . بالمجذوبين والدراويش .

وهكذا يبدأ الشيخ حياته متصوفاً . ويذهب بتصوفه إلى الأزهر سنة ١٢٩٢ هـ .

فماذا يجد فى الأزهر الشريف . . ؟ ماذا يجد فى الجامعة الأزهرية . تلك الجامعة التى كانت المنارة التى يهتدى بها الناس فى ظلمات الحياة ودياجيرها . . ؟

ماذا يجد فى الجامع الأزهر . . ؟

أنه يجد أن « كل جديد فى رأيهم بدعة . وليس أحسن عندهم من بقاء القديم على قدمه . فإقرار النظام محل الفوضى يذهب بروحانية الجامع . واستبدال الحنفيات بحوض الوضوء يزيل بركته . وإنشاء الصيدلية فيه لمعالجة المرضى بالعقاقير الأوروبية خروج عن ماعرف به السلف الصالح من التسليم بقدر الله .

والاهتمام بالنظافة تفرنج وتخنث يبعدان بالطلاب عن روح الرجولة والفضيلة .

يجد . « أن الناس يأتون إلى الأزهر إما رغبة فى تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة .

وإما طمعاً فى بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه . » .

ووجد بعد ذلك كلمة « عدم الدفاع فى دروس الأزهر ، فلا يسأل التلميذ فيه أيام الطلب عن شيء من أعماله . . ولا يبالى أستاذه حضر عنده الدرس أم غاب . فهم أم لم يفهم . صلحت أخلاقه أم فسدت » .

ورأى « كثيراً من الطلبة الذين لبثوا فيها ــ فى الجامعة الأزهرية ــ خمسين سنة ، وستين . وأكثر من ذلك وهم يطلبون العلم ! ! .

كل هذا . وأكثر من هذا مما لا يستحق سرده فى هذا المجال .

أضعف كل ذلك من أثر الوسط الأزهرى وتعاليمه وأنماطه فى أستاذنا منذ بدايته .

ورأى أن يستقل برأيه عن ذلك الهوس وتلك الجهالات التى كان يعيش فيها العلماء .

ومرت على الشيخ فترة اعتزل فيها الناس ، واشمأز منهم وزهد فى معاشرتهم ، وثقلوا على نفسه إذ وجدهم بعيدين عن الحق ، زاهدين فيه .

ولكن كان فى حياة الشيخ شخصية أخرى لا شك أنها كانت يداً تسنده وتباركه . هذه الشخصية المختفية وراء حياة الشيخ هو خال أبيه : الشيخ درويش خضر . . إذ كان يحرك همته قائلا : « إلى متى هذه العزلة . . ؟ وما الفائدة فى العلم والتحصيل إذا لم يكن

لك نور تهتدى به . ويهتدى به الناس . لو كانوا جميعاً مهتدين لما كانوا فى حاجة إليك . . ثم يصحبه إلى مجالس العامة ويفتح الكلام فى الشئون المختلفة ويوجه إليه الخطاب ليتكلم . فيتكلم الحاضرون فيجيبهم وينطلق فى القول على وجل من أول الأمر . . حتى يجد فى نفسه شيئاً من الألفة مع الناس . والاستئناس بمكالمتهم .

* * *

وفى سنة ١٢٨٨ هـ حضر جمال الدين الأفغانى فى مصر . وكان يسعى لتخليص دول الإسلام من النفوذ الأوروبى ــ ماديه وسياسيه ــ وأن يعمل على رقيها ويجمعها ممالك مستقلة متحدة تحت لواء خليفة واحد . . مكونة لدولة قوية قادرة على صد العدوان الخارجى . وفى سبيل هذا الأمل العظيم قضى جمال الدين الأفغانى عمره مهاجراً منتقلا من بلد إلى بلد دون أن يتخذ زوجة ودون أن يلتمس كسبا .

وكان من الطبيعى أن تلتقى روح ثائرة بروح ثائرة . وهكذا التقى محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وظل هذا اللقاء مايقرب من تسع سنوات متوالية .

واستطاع جمال الدين الأفغانى بتعاليمه المتحررة وأفكاره النيرة أن ينقذ الشيخ من بعض الأفكار الصوفية الخبيثة التى كانت تحاول أن تبعده عن شرف الجهاد والإصلاح .

ولما نال الشهادة العالمية وهو ابن ثمان وعشرين سنة شعر لأول مرة أنه انتصر على خصومه الحاقدين أعداء الإصلاح برغم جاههم وعصبيتهم . وزاده ذلك نشاطاً فجمع كل ما فى نفسه من قوة الشباب . . وقوة العلم . . وقوة الرغبة فى الإصلاح . ووجه جميع ذلك إلى العمل لإصلاح الأزهر . لاعتقاده أن صلاح أهل الأزهر صلاح للبلاد وأهلها . فإنا لانسمع إلا فعالهم . ولا نرمق إلا أحوالهم . بل لانسمع إلا بآذانهم . ولا نبصر إلا بأبصارهم ولا نذوق إلا بذائقتهم ولا نتكلم إلا بألسنتهم . حيثما مالوا ملنا . وما ملوا مللنا » .

ولكنه لا يجد أنصاراً يقفون معه . ولا أتباعاً يسمعون له . والكل يحاربه ، والكل يعاديه . . والكل يحذره . . الخديوى ومعه بطانة القصر . . العلماء . . ومعهم زبانية الدجل .

ويطل الشيخ محمد عبده من غرفته الصغيرة التى تطل على ذلك السوق العلمى العجيب الواسع الأرجاء ، حيث يتلاقى الطلبة من أقصى بلاد الإسلام ، وحيث تختلط اللغات واللهجات المختلفة المتباينة بترتيل القرآن وذروس المعلمين . وهو يشرف على ذلك كله وقد أرهقته المتاعب ، وأثقلت ظهره السنون . فيقول متنهداً ، وكأنه يخاطب الجمع الحاشد : « هأنذا كما ترونى وحيداً ، ليس لى من الأساتذة من يساعدنى ، ولا من دعاة الخير من ينصرنى . . أريد أن أعلم فى هذه الجامعة شيئاً نافعاً بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى .

ولكن هل أجد من يساعدنى على ذلك ؟ .

وإن لم أجد . . فهل أفلح فيه وحدى ؟ .

ولكنه لم يجد من يساعده وظل يعمل وحده كأنه النذير الذى جاء ليوقظ الأمة من رقادها ، فكان المصلح الاجتماعى . . والدينى . . والسياسى والثقافى . . فى آن واحد . . !!

* * *

ومن أجل ذلك خرجت أفاعى الحقد تتبع خطاه ، وتبث السم فى الدسم الذى يقدمه للأمة ، وتبعث بالموت من حيث هو يبعث الحياة . . !!

ومن أجل مبادئه هذه السامية ، من أجل التجديد الذى نادى به ، من أجل الحياة التى فتح أبوابها المغلقة ، وحطم متاريسها الصدئة . .

طورد . . وعذب . . ونفى وشرد . . !!

ولكنه كان يجد فى كل مكان يذهب إليه أهلا وأخوة . . وفى كل بلد يمر فيه أحباباً وأنصاراً .

وفى سنة ١٢٩٧ هـ عين الأستاذ الشيخ محمد عبده محرراً فى الجريدة الرسمية ثم رئيساً لتحريرها . . وبهذا صار الأستاذ كالمسيطر على أعمال الحكومة . . والمربى للأمة . .

ولكن . .

ولكن . . يشاء الله أن يخطف هذا النجم اللامع بعد أن أدى ما عليه للوطن وللدين وللمجتمع . ويعتريه مرض عضال وهو فى أوج مجده . . فيستسلم لداعى السماء ليلقى ربه فى

اليوم الحادى والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٥ بعد جهاد عنيف مع الباطل .. وكفاح مرير مع الضلال ..

* * *

ومنذ أيام قريبة جلست مع السيدة الجليلة فاطمة عبده أخت الشيخ الأمام محمد عبده .. والبقية الباقية من إخوانه الثلاث ..

إنها تعيش فى عين شمس .. فى نفس المكان الذى عاش فيه الأستاذ الإمام ثمانى سنوات من حياته الحافلة ..

إنها مازالت تذكره .. مازالت ترى بشاشته فى كل حجره ..

إنها تعيش فى صوره .. تعيش فى ذكرياته .. تعيش فى جهاده وكفاحه ..

وهى تحدثك عنه فتنقلك خمسين عاماً إلى الوراء لتعيد فتنقلك ألف عام إلى الأمام .. إلى حيث كان الإمام يود أن يرى العالم الإسلامى فى يوم من الأيام .

« الهدى النبوى » إنصافا للحق ، تقول : إن الشيخ لم يتجرد التجرد الكامل ، للسلفية الخالصة ولم يسهم بالنصيب المرجو ممن كان فى مثل منصبه فى بيان حقيقة الدعوة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم . شغله النضال السياسى عن النضال الدينى الحق ، كان فيما يكتب الكثير من الفلسفة والكثير من التصوف ، والقليل القليل من السلفية الخالصة .

من كلمات الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

- لاينبغى لإنسان أن يذل فكره لشىء سوى الحق .. والذليل للحق عزيز ..
- ياويح الرجل الذى ليس له أمة .. !!
- إنما نعار الباطل فى غفلة الحق عنه ..
- إن الذى يحفظ العلم .. العمل به ..
- لا يكون أحد صادقا ومخلصاً ، حتى يكون شجاعا .
- أشد التعب أن ترى من حولك مرضى ولا تستطيع معالجتهم .

من شرفات التاريخ

التضحية فى سبيل العقيدة

الصحابى البطل : عاصم بن ثابت

بقلم الأستاذ محمود محمد البرماوى

أنا ابن الأفلح

فتح التاريخ فاه إكباراً لهذا الرجل ، الذى حوّل مجرى الزمن وغيّر معالم الأرض ، وحطم الطواغيت بآيات واضحات وبراهين ساطعات وحجج بينات .

وفتح التاريخ مرة أخرى صفحات ناصعة البياض يكتب فيها أروع آيات البطولة لنصرة الحق و إعلاء شأن الدين . ومحو آثار الشرك :

هذا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى الشريعة الإسلامية . ومعه أصحابه فرسان الوغى وصناديد الحرب يخوضونها إعلاء لكلمة الله .

وهؤلاء كفار قريش على كواهلهم آصار الجاهلية . وفى قلوبهم حسرة على ضياع المجد الزائف والعز الضائع ، خرجوا يلتقون بالرسول عند الجبل ، تتقدمهم طبول الحرب وتشيعهم زغاريد النساء ، وفى وسطهن [سلافة بنت سعيد بن سهم] إن لها جمالا رائعاً ، هذا الجمال يستبى أصعب الرجال مراسا ، ويأسر أصلب الشجعان قلباً ، يكفى أن تبتسم فى وجه الفارس وتعده بجسدها الجميل وثغرها اللؤلؤى فتجمع الناس لقتال محمد . . . وتصرخ فى ولديها [الصقّرين] والحقد يأكل قلبها : حرمت عليكم نساءكم وحرمت عليكم الخمر حتى ينتهى أمر محمد ، فإن لم تقاتلوه خرجت لقتاله النساء .

وفوق الجبل التحم الجيشان ، وتطاير الشرر ، وتكسرت النّصال على النصال ، ولاح النصر للمشركين سرابا ، وأيقن جند الله بالفوز .

وتقف سلافة تنتظر بعين جاحظة إلى صدر ابنها الكبير [مصعب] قد اخترقه سهم مريش مسدّد نفذ إلى القلب فتنحنى عليه انحناءة فيها حسرة . وتقول من أصابك ؟ فيقول

فى حشرجة : لا أدرى ، ولكن الرامى كان يرمى السهم فلا يخطىء من يصو به إليه و يقول خذها وأنا ابن الأفلح .

ثم تلتفت إلى « الصقر » الثانى [صفوان] فترى سهماً انطلق إلى رأسه مزق فَرْوتَها واستقر فى الجمجمة ، فتسرع ، لتنتزع السهم ، ولكن هيهات لقد ارتمى ولدها يرفس الأرض و يتقلب و يقول : أماه ، رمانى ابن الأفلح ..

وترجع آخر النهار مع فلول جيش منهزم على وجهه قتار الخزى وعلى رأسه غبرة العار وتنظر سلافة عن يمينها فلا ترى مصعباً وعن يسارها فتفتقد « صفوان » فيصيبها السعار ، وتنطلق فى الصحراء تحلف باللات والعزى وجميع الحجارة التى تعبدها ألا تشرب خمراً إلا فى قحف رأس [عاصم بن ثابت ابن الأفلح] و يصبح هذا الاسم رمزاً للقوى الذى يدافع عن الحق والبطل الذى ينافح عن فكرة ورأى . ولكن من يا ترى يستطيع أن يصرعه ؟؟

لابد من الخيانة فهذا البطل لايقتل إلا غيلة فى مسجد أو على حين غرة فى صلاة .أما أما وجها لوجه فهذا هو الأمر العسير .

الوعد الكاذب

إن الذى يقتل ابن الأفلح و يعطى رأسه « لسلافة بنت سعيد » سينال مائة من الإبل . مع ليلة قانية الاحمرار فى بيت [سلافة] مع شهرة ذائعة .

وتقاطر الأعراب يرجون الحصول على المكافأة ، و يحلمون بالليلة التى تقضى مع هذه الغانية « أم الصقرين » .. وكان أكثر الأعراب حباً للإبل المائة [جبير ابن سهم] شقيق سلافة إذ كان رقيق الحال لايحصل على رزقه إلا كما يحصل الثعلب الماكر . والنمر الشرس .

فكر « جبير » أياماً حتى اختمرت الفكرة ، وأخرجها إلى حيز التنفيذ حينما ذهب مع وفد من هذيل أقوياء ، يجيدون أساليب الختل والخداع . ووصل بهم إلى المدينة فخبأ أكثرهم حولها ، واصطحب منهم ستة إلى النبى صلى الله عليه وسلم يزعمون أن الله شرح صدورهم للاسلام و يرجونه أن يرسل لهم من يُبَصِّرهم بالأحكام .

ولما كان الرسول لا يعلم الغيب ولا يكتشف الحجب ولا يعرف مايدور فى أذهان الناس ، ولأمر ما أراده الله لم يطلعه على نوايا هؤلاء الأحلاس . أرسل الرسول مع الوفد ستة من صحابته ، على رأسهم البطل المغوار عاصم بن ثابت بن الأفلح .

برح الخفاء

و يسير الوفدان . وقد امتلأ كل وفد إشراقة وبهجة . فوفد الرسول يعرف أنه سيرشد إلى الدين ، و يهدى إلى الخير و ينظف الأدمغة الحيرى من دنس الجاهلية ، وأوضار الشرك وأقذار التقليد .

ووفد « جبير » تغمره السعادة فإن رأس ابن الأفلح تترنح وتهتز للسقوط ولم يبق إلا أن يصلوا إلى المكان الذى اختبأت فيه جماعة هذيل . حتى إذا بلغوه صرخ « جبير ، إنه لايطلب إلا رأس عاصم بن ثابت بن الأفلح » فمن دافع عنه هلك ، ومن تركه نجا بحياته . لكن أصحابه أبوا إلا أن يموتوا قبله . أو يحكم الله بينهم و بين هؤلاء الخائنين .

وامتدت الحرب ساعات طوالا بين فريقين غير متكافئين . لكن النفر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يستشهدوا إلا بعد أن أفنوا من جاء من هذيل حتى لم يبق غير « جبير » وعميرة بن النضر ، وجريح مطروح فى الصحراء منهم هو العباس بن عامر القرشى ،

وظل عاصم يقبل على غريميه ثم يدبر . ويكر و يفر حتى أراد الله أن ينطلق سهم طائش إلى صدر البطل فينظر إلى الدم الغزير يتدفق فيبتسم فى علو ، و يشرق وجهه فى رفعة فهذه هى الشهادة قد آن له أن ينالها . . .

لكنه ينظر إلى القرشية . [سلافة ، التى توعدته أن يشرب الخمر فى قحفة رأسه كما صرح له جبير ، وهو يراوغه فى القتال . فيقول بصوت خفيض يارب إننى طلبت الشهادة فأعطيتها . اللهم لاتمكن جسدى مشركا ولا تسلم جثتى إلى كافرة . وأغمض العينين فى غيبوبة دائمة إلى الأبد

وفرح ابن جبير « أيما فرح فقد نال بغيته وأصبحت رأس ابن الأفلح » بين يديه فيهتز للنصر و يتمايل للعطاء . يغمض العين فيرى قطاراً من الإبل ثم يفتحها فيجد رأس « عاصم » على مقربة منه .

« عنـــاية »

ثم يتحول إلى الرأس يريد أن يحزها فيجد أن الله قد أحاطها بظلة من الدّبر «النحل» تقوم دونه فتحميه ولا يستطيع أحد كائناً من كان أن يصل إلى هذه الرأس .

ويشير العباس بن عامر « الذى أصابه شج عطّله ورماه فى الصحراء . يشير إلى جبير » أن يتريث حتى يأتى المساء فيصرف الليل الدبر وعند ذلك يقطع جبير وصديقه عميرة رأس غريمهم . وظل الثلاثة يترقبون الليـل حتى أقبل . وأقبل الليل ومعه سيل جارف وتيار مزمجر ، وريح عاتية وطوفان صخّاب حمل الجسد إلى حيث لا تراه عين ولا تصل إليه قدم .. ووقف جبير مذعوراً ووقف صاحبه محسوراً . ونظر إليهما صاحبهما مسروراً لعله اطلع على سر أو سمع مالم يسمعه صاحباه . ولو سمعا لم يصدّقا .

غدر وصراع

إنهما ينتظران تسليم الرأس باليمين لتمتد إليهما الأنامل الرخصة اللينة بالعطاء ، فإلى أى ناحية يسيران بعد هذا الفشل؟! إنهما سمعا صوت صاحبهما الجريح يقول : يا أخوىَّ ، سمعت قتيلكما يقول وهو يلفظ آخر انفاسه : اللهم إننى حميت دينك أول النهار ، فاحم لحمى آخر النهار . فهاج جبير وعفر وجه محدثه بالتراب وسار مطأطىء الرأس يرخى أهدابه فيرى قطار الإبل ويفتح عينيه فيرى الخيبة ، وظلام الدنيا أحلك من الظلام الذى فى قلبه .

أما صاحبه عمير . فإنه أراد أن يرى الإبل المائة حقيقة ، وطرأت عليه فكرة . إن وجه صاحبه « جبير » يشبه إلى حد ما وجه ابن الأفلح : بعد حفرة صغيرة بجوار العين ، ونتوء بجوار الخد ، وجدع خفيف للأنف ، وقطع بسيط من شحمة الأذن . إن الفرصة إذاً دنت فلا بد من اقتناصها . من يستطيع إنكار المعركة التى دارت ، ومن يأت برأس عاصم من السيل .. . واغتنم الفرصة ورفع السيف ونزل به على رقبة « جبير » فأطاحها بضربة قاسية ونزل بها فى مكان يسويها ويهذبها لتكون على غرار رأس ابن الأفلح . وانتهى من الرسم والتصوير ، والحفر والتحوير . وطوى الصحراء نخوراً مغروراً ، يؤم سلافة لينال منها فوق مايريد . . .

« لها بقية »

من رســـائل القراء(١)

جاءنا من الأخ الكريم الأستاذ صالح جمال محمد المشرف الفنى بمعهد أنجال جلالة الملك سعود بالرياض ، هـذه الرسالة التى يعزينا بها فى وفاة رائد الدعوة الأول الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله :

إخوانى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد جاءنى نبأ وفاة أستاذنا الشيخ العالم الجليل محمد حامد الفقى رحمه الله وغفر له وأسكنه الجنة ـ فآثرت أن أكتب إليكم بيدى اليسرى لوجود كسر بسيط فى يدى اليمنى ـ لأننى أدين للفقيد كما يدين له كل تلاميذه بمعرفة الله وحده ـ وعبادته وحده ـ ومنذ طفولتى أسمع لدروسه التى تتلخص فى توحيد الله وحده ، وترك البدع والمنكرات ، ولقد كان حظ أبناء بلدى « مصمص » أوفر من حظى فكانوا حوارييه ، وألصق الناس به أنه أستاذ جيل بأسره ، قام مجاهداً ليفهم المسلمون معنى : لا إله إلا الله ، إنه فى نظرى « محمد بن عبد الوهاب » مصر نفس ظروفهما واحدة ، مسلمون يشركون بالله ولا يعلمون . فقاما يجاهدان ، فنصر الله جهادهما ، وعاد إلى حظيرة التوحيد الكثير فى نجد وفى مصر ، وكنت ـ والحمد لله ـ ممن حظى بهذا الهدى . كنا منذ يومين نلبى دعوة أحد الطلبة الأمراء بالمعهد ، وكانت الدعوة بالدرعية على بعد خمس وعشرين دقيقة بالسيارة جنوبى الرياض ، فترحمنا على الداعية الذى يرقد فى قبره بالدرعية ، فهنا رجل التوحيد ، وهناك بالقاهرة بطل آخر ألقى السلاح بعد ان كافح لله ، وفى الله ، ثم ترك الجهاد أمانة فى أعناق جنود التوحيد .

وأرجو أن يكتب الله الخير والبركة فيمن اخترتموه لرفع لواء التوحيد من بعده ـ فهذا لواء يجب أن لا ينخفض إلى أن تقوم الساعة إن شاء الله .

---

(١) نعتذر للسادة القراء والمعزين عن تأخير نشر رسائلهم حيث اضطرتنا الظروف إلى ذلك .

ومن الأخ الحبيب الأستاذ عبد الرحمن دهب بالسودان :

إخوانى جماعة أنصار السنة : السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

علمت بوفاة والدنا المربى الشيخ محمد حامد الفقى ، رحمه الله رحمة واسعة ، وألهمنا جميعاً الصبر . (من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا) . إن دعوة أنصار السنة مسئولية خطيرة ، وأن الله سبحانه وتعالى سائل كل فرد عما قدمه من جهد فى سبيل نشر الدعوة ، وكل فرد منا جندى مسئول مسئولية كاملة .

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) .

لقد لقى حامد ربه الكريم الغفار ، ونشهد أنه أدى الأمانة وجاهد فى سبيل الحق خير جهاد . فلئن جاز لنا البكاء . فواجب علينا أن نستشعر أنفسنا المسئولية التى تصدينا لها ، فلنؤدها فى قوة وعزم ، فإن هذا الاسم ـ أنصار السنة ـ يطالبنا أمام الله بكل حقوقه ، فهيا إخوانى فلنؤكد ولنجدد عهدنا الأول (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا) . وعزاء وصبراً .

ومن الإخوان فى كادقلى بالسودان هذه البرقية :

إلى أنصار السنة بالجمهورية العربية المتحدة ـ بالقاهرة .

فجيعة المسلمين فى الشيخ محمد حامد الفقى عظيمة ، نعزيكم والمسلمين قاطبة و يرحمه الله .

العوض أحمد ، وخليل محمد ناصر ، وزكى الصائغ

وجاءنا من الأخ محمد بن على بن أحمد بافضل — من مقدشو صوماليا ، الرسالة التالية :

جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة — السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ، فنتقدم إليكم مع بالغ الأسى وعظيم الحزن بالتعزية فى فقيد الإسلام وفقيد السنة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حامد الفقى . رحمه الله وجزاه خيراً وأخلفه بخلف صالح ليتبوأ تلك المكانة السامية والاضطلاع بحمل الأعباء الشاقة . . عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم .

لقد كان لهذا النبأ المفجع هزة عنيفة فى قلوبنا ، وارتباك فى ألسنتنا واضطراب فى

أفكارنا ، لما للراحل الكريم من محبة فى أفئدتنا ، لخدماته الجليلة وأعماله المشكورة ، وثباته فى السعى نحو تدعيم السنة بكلتا يديه ، ومؤلفاته التى خلدها فى سجل الدهر ، والتى سيكتسب المطلع عليها دراية كاملة فى دينه ، وفهماً تاماً بسيرة نبيه ، فجزاه الله عن الإسلام خيراً . وأحله منازل المقربين ، وأعلى درجته فى عليين .

وختاماً تقبلوا من إخوانكم أنصار السنة بالصومال جميل العزاء وعظيم الولاء ، وأكيد المحبة .

وجاءنا من الطائف هذه البرقية من الأخ محمد شوق .

نشاطركم الأحزان فى فقيدنا ووالدنا الراحل ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته آمين .

وجاءنا من الداعية الكريم الأخ الفاضل الأستاذ عبد الله صالح الفارحى من زنجبار رسالة تعزية نبيلة ، نشكره عليها أجزل الشكر ، ونعد الأخ الكريم بأننا بإذن الله سنحقق له ماطلبه ، ونسأل الله أن يعينه على نشر الدعوة ، وأن يؤيده .

ومن إخواننا الأفاضل بالعراق هذه الرسالة :

﴿ وداعاً يافقيد العروبة والإسلام ـ وإلى الأبد ﴾

نحن مشتركو هذه المجلة الغراء من أبناء الجمهورية العراقية ـ لواء كركوك :

لقد حملت إلينا المجلة نعى أستاذنا المفضال ، وقد وقع علينا هذا النبأ وقع الصاعقة . لقد هزّنا هزّاً عنيفاً جسامة المصاب ، وأعظم الكارثة ، لقد بقينا فى حيرة ودهشة وأسى عميق وقلوب مكلومة .

وقد ذرفنا الدموع الغزار ، ورددنا عبارات الحزن ولواعج الأسى ، علّنا نتخفف عما أصابنا من هذا المصاب الجلل ، ولكن ومع هذا لم نقل إلا مايرضى الرب سبحانه وتعالى . (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

لقد قرأنا لفقيدنا الراحل تفاسير ومؤلفات وردوداً وغيرها ، ومنذ اللحظة الأولى التى اتصلت أنظارنا بكتاباته اتصلت قلوبنا به أيضاً ، وحقاً وجدنا أقواله خارجة من قلبه

الطاهر ، فلم ترض إلا القلوب مثوى لها .

نعم . يافقيد الإسلام ، كانت عباراتك التى تحمل بين طياتها كل معانى الإخلاص والتى غذت عقولنا خير الغذاء ، وتفقهنا على يديك بصورة غير مباشرة فجزاك الله عنا خير الجزاء ، وأسكنك فسيح جناته .

إذاً فليس من العجيب أن نبكيك ياأستاذنا الوقور ، كيف لا نبكيك وأنت ذاك العالم الورع ، والحارس الأمين لنصرة دين الله القويم .

كم . . . وكم وقفت موقف العالم الثبت ترد أباطيل خصوم الحق وتظهر الحق أبلج كفلق الصبح . أمام من غاب عنهم وكم . . ، وكم كانت مواقفك المشرقة التى ترفع راية العلم خفاقة عالية ، وكنت آنذاك كالطود الأشم فى موقفك أمام أباطيل الخصوم ومروجى الخزعبلات ، وكنت أنت الصخرة التى تتحطم عليها افتراءات المبطلين ، المارقين والمشعوذين .

خطبٌ عظيمٌ أعقب الأحزانا   بل هدّ من ركن التُّقى أركانا

ياطيّب اصبر واحتسب أوَ لا ترى   حكم المنية يصرع الإنسانا

لقد أفل كوكب من كواكب الإسلام ، طالما أنار السبل وهدى إلى الحق بهدى محمد المصطفى لمن استنار بضيائه ، واقتبس من سنائه .

لقد هوى علم من أعلام المسلمين الأماجد ، ذلك الشهم الذى كان يحمل راية الإسلام خفاقة حتى وصل ظلها إلى أقصى حدود المعمورة .

فرحمك الله ياأبا الطيب ، يامن كنت لنا نعم الأستاذ ، ونعم الأب ، ونعم العالم الورع الذى كنا نرتشف من مداد قلمك القرآنى .

اللهم إنا نسألك ونتضرع إليك بأن تجعل قبره روضة من رياض الجنان ، وأن تبدله أهلاً خيراً من أهله وداراً خيراً من داره ، وأن لا تحرم أهله وذويه ، ونحن أيضاً من أجره ولا تفتنا بعده ، وأن تغفر لنا وله ، وأن تلحقنا به على الإيمان الصادق والعمل الصالح

عزاؤنا فى هذا المصاب الجلل إلى ولده البار ، وأهله أجمع ، وإلى تلاميذه وإخوانه فى

(البقية على الصفحة التالية)

التبرعات لمسجد الله

ودار الجماعة

تفضلت وزارة الشئون الاجتماعية فمدت أجل التبرعات لبناء المسجد والدار ثلاثة أشهر أخرى ، وقدرت تكاليف هذا المشروع بنحو أربعين ألفاً من الجنيهات ، وإن الجماعة لتشكر أجزل الشكر هذا البر الكريم بدعوتها بمد أجل هذه التبرعات ، وندعو جميع إخواننا إلى أن يسارعوا إلى تحقيق هذا الخير الكريم لأنفسهم ولدعوتهم ، وقد بادر الكثير من إخواننا مشكورين وسارعوا إلى هذا الخير الوفير من الجمهورية العربية المتحدة ، ومن البلاد العربية الإسلامية الأخرى وما زلنا ننتظر من إخواننا المبادرة إلى هذا العمل العظيم . فهلم يا أخى وأجب داعى الله .

(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) .

(بقية رسائل القراء)

الجهاد ، وإلى جميع أهل الدار قاطبة ، ونحث إخواننا من زملاء وتلاميذ الراحل العظيم أن يلتفوا حول المركز العام معتصمين بحبل الله ، متعاونين على البر والتقوى .

إبراهيم عبد الحميد الحيورى ، الحاج إبراهيم الصالح ، إبراهيم عيسى ، عبد الرحمن عبد اللطيف ، على عيسى ، محمد حسن ، عباده مصلح ، خلف أحمد ، إبراهيم محمد ، حميّد الصالح ، خلف العوضى ، إبراهيم الحاج عزيز ، ملا عمر ، جاسم الصالح ، دخيل محجوب ، صالح المصلح .

كركوك ـ العراق ـ شركة النفط العراقية ـ دائرة سى . إى . بى .

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧

فى أي مكان تجده يتألق ويزهو



انه الكرسى النموذجى

فى المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكى شارع الخديوى إسماعيل

حسن على حماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندى سجل تجارى ٤١١٠١

الأمانة　　　　حسن المعاملة　　　　الجودة

بمحلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوباره

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

---

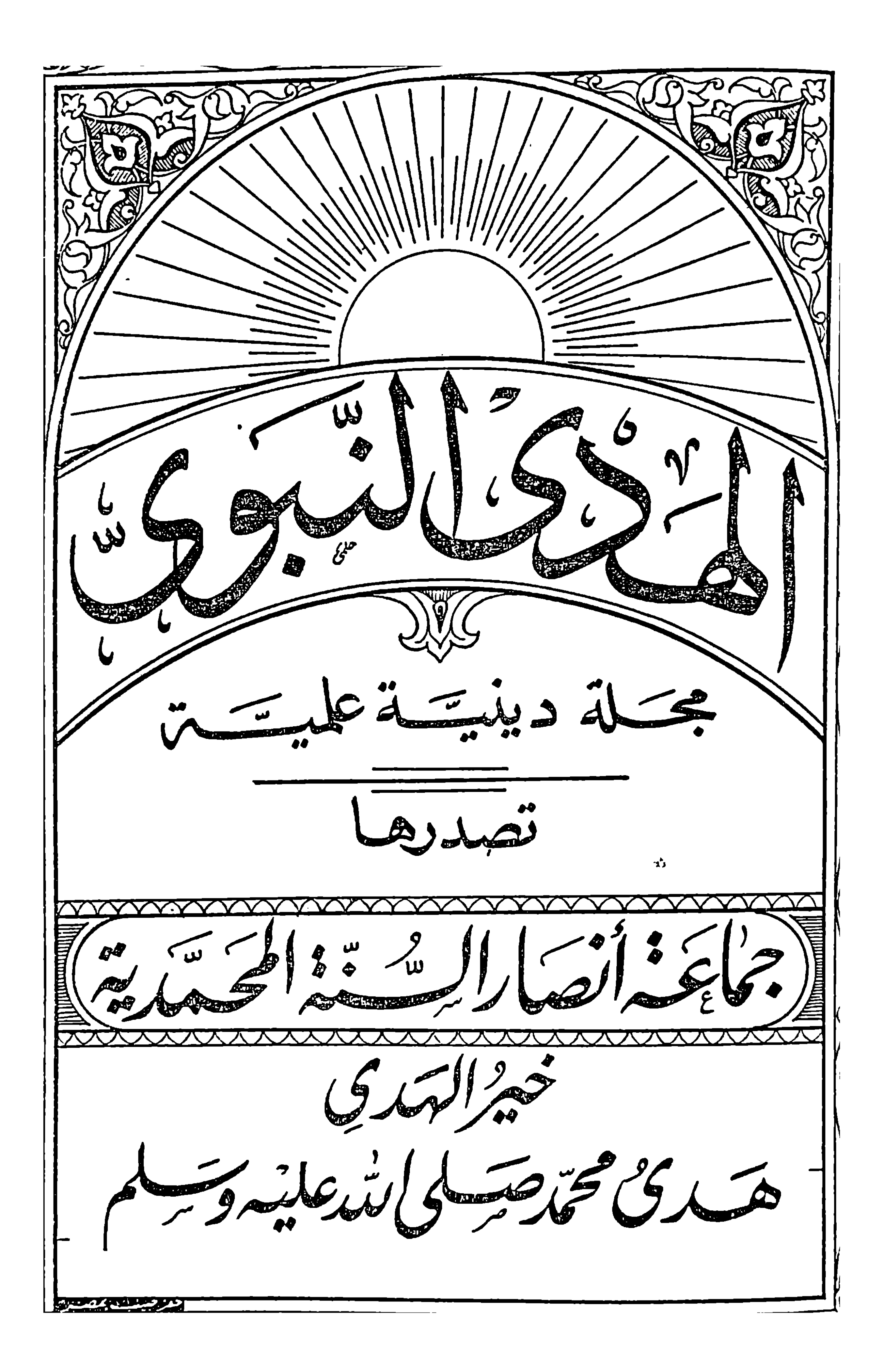
٥ شارع التمبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

---

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مدكور تليفون ٥٥٣٦٨

---

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥

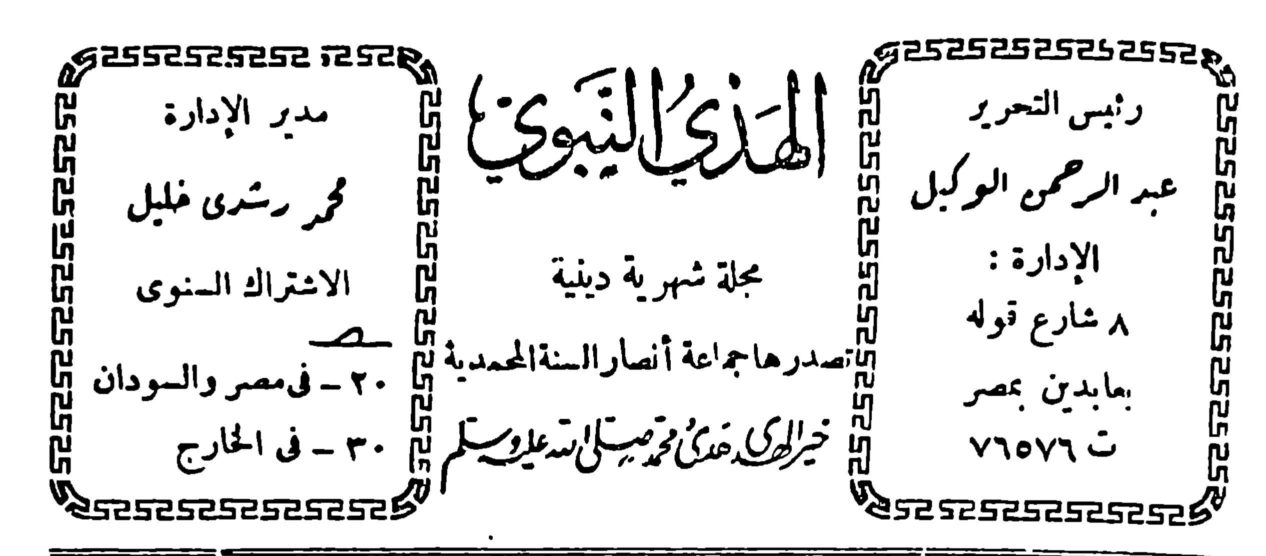

الهدى النبوى
مجلة دينية علمية
تصدرها
جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

تنبيه مهم

نرجو من الإخوان المشتركين فى المجلة ، ومن المتعهدين أن يتفضلوا مشكورين بتسديد ما لديهم ، وما نحن بحاجة إلى أن نذكر الإخوان بواجباتهم نحو هذه الصحيفة التى هى لسان دعوة الحق ، أما أولئك الذين أصموا آذانهم عن ندائنا ، فسنضطر آسفين إلى نشر أسمائهم ، لخدمة الدعوة ، والعمل فى سبيل إعلاء كلمة الله أكبر عندنا وأعظم من المجاملات ؟

إدارة المجلة


رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

الهدي النبوي
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل
الاشتراك السنوي
٢٠ – في مصر والسودان
٣٠ – في الخارج

المجلد ٢٣ | ذو الحجة سنة ١٣٧٨ | العدد ١٢

نور من القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله جَلَّ ذكره (من كان يُرِيد العاجِلَةَ عَجَّلْنا له فيها ما نشاء لِمَنْ نُرِيدُ ، ثم جَعَلْنَا له جَهَنَّم يصلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً . ومن أراد الآخرة ، وسعى لها سَعْيَها – وهُوَ مُؤْمِنٌ – فأولئك كان سَعْيُهم مَشْكوراً . كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء ، وهؤلاء من عطاءِ ربِّك وما كان عطاء ربك مَحْظُوراً) .

معـــــــانى المفـردات

« العاجلة » قال الراغب فى مفرداته . الْعَجَلَةَ طَلَبُ الشيء وتَحَرِّيه قبل أوانه وهو من مُقْتَضَى الشهوة ، فلذلك صارت مذمومة فى عامة القرآن ، حتى قيل : الْعَجَلَةُ من الشيطان . . . وقوله : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها . . الآية الأعراض الدنيوية » .

وقال صاحب اللسان : « الْعَجَلُ والْعَجَلَهُ السرعةُ خلاف الْبُطْء . . . والعاجل والعاجلة نقيض الآجل والآجلة عامٌّ فى كل شيء . . . العاجلة : الدنيا » .

وقال ابن فارس فى معجمه : « العين والجيم واللام أصلان صحيحان يدل أحدهما على الإسراع والآخر على بعض الحيوان . ويقال للدنيا : العاجلة . وللآخرة الآجلة .

« نشاء » قال الراغب : الشيء هو الذى يصح أن يُعْلَم ، ويخبر عنه . . . والمشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواء ، وعند بعضهم : المشيئة فى الأصل إيجاد الشيء وإصابته ، وإن كان قد يستعمل فى المتعارف موضع الإرادة ، فالمشيئة من الله تعالى هى الإيجاد ، ومن الناس هى الإصابة ، قال : والمشيئة من الله تقتضى وجود الشيء . ولذلك قيل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والإرادة منه لا تقتضى وجود المراد لا محالة ، ألا ترى أنه قال : يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر »(١) .

« جعلناه » قال الراغب : جَعَل لفظٌ عام فى الأفعال كلّها وهو أعَمّ من « فَعَل ، وصنع ، وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه . الأول : يجرى مجرى صار . والثانى : يجرى مجرى أوجد نحو قوله عز وجل « وجعل الظلمات والنور » والثالث : إيجاد شيء وتكوينه منه نحو « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » والرابع : فى تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » « جعل لكم مما خلق ظلالا » والخامس : الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلا . فأما الحق فنحو قوله تعالى : « وجاعلوه من المرسلين » وأما الباطل فنحو قوله عز وجل « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » .

وقال صاحب اللسان : « جَعَلَ الشيء وضعه وجعله صنعه وصَيَّرَه ، وجعل البصرة بغداد ظنها إياها وجعل يفعل كذا أقبل وأخذ ، وجعل : عمل وهيأ وخلق « انتهى باختصار » .

---

(١) قال ابن القيم : « لفظ المشيئة كونى ، ولفظ المحبة دينى شرعى ، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية ، فتكون هى المشيئة وإرادة دينية ، فتكون هى المحبة » ص ٤٨ من كتاب شفاء العليل ط سنة ١٣٢٣ هـ .

ومعنى هذا أن هناك فرقاً دقيقاً بين المشيئة وبين الإرادة ، فما يشاء الله لابد أن يكون . وما يريد الله قد يكون ، وقد لا يكون .

« جهنم » : اسم لنار الله الموقدة ، قيل : وأصلها فارسي معرّب وهو جهنام .
وقال صاحب اللسان : الجِهِنَّامُ : القَعْرُ البعيد ، وبئر جَهَنَّم وجِهِنَّام بعيدة القَعْر ، وبه سُمِّيَتْ جهنم لِبُعْد قعرها .

وأكثر النحويين : جهنم اسم النار التى يعذب الله بها فى الآخرة ، وهى أعجمية .
وقال آخرون : جهنم عربى سميت نار الآخرة بها ، لبعد قعرها .
« يصلاها » قال الراغب : أصْلُ الصِّلِي لإيقاد النار . قال الخليل : صلى الكافرُ النارَ : قاسى حَرَّها .

« مذموم » قال صاحب اللسان : الذم نقيض المدح . . والعرب تقول : ذم يذم ذما . وهو اللوم فى الإساءة .

وقال ابن فارس : الذال والميم فى المضاعَف أصلٌ واحد يدل كله على خلاف الحمد . . ومن هذا الباب الذمّة ، وهى البئر القليلة الماء .
« مدحور » قال الراغب : الدَّحْرُ : الطرد والإبعاد .

وقال صاحب اللسان : دَحَرَه يَدْحَرُه دَحْرًا ودُحُورا ، دفعه وأبعده . الدَّحْر تبعيدك الشيء عن شيء . الدَّحْرُ : الدفعُ بعنف على سبيل الإهانة والإذلال .
« الآخرة » قال ابن فارس : الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه . وهو خلاف المتقدم .

« سعى » قال الراغب : السعى المشى السريع ، وهو دون العَدْو ، ويستعمل لِلْجِدِّ فى الأمر خيراً كان أو شراً ، قال « وسعى فى خرابها » وقال « نورهم يسعى بين أيديهم » .
« مؤمن » قال الراغب : أصل الإيمان طمأنينة النفس وزوال الخوف .
وقال ابن فارس : الهمزة ، والميم والنون أصلان متقاربان . أحدهما : الأمانة التى هى ضد الخيانة ، ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق ، والمعنيان كما قلنا متدانيان .

« مشكورا » قال الراغب الشكر تصور النعمة وإظهارها .

« نمد » قال الراغب : أصل المد الجَرُّ . . وأ كثر ما جاء الإمداد فى المحبوب ، والْمَدُّ فى المكروه .

وقال ابن فارس : الميم والدال أصل واحد يدل على جَرٌّ شىء فى طول واتصال شىء بشىء فى استطالة .

« عطاء » قال الراغب : العطو التّنَاوُل . . واختص العطية والعطاء بالصلة .

« محظور » قال الراغب : الحظر : جمع الشىء فى حظيرة ، والمحظور الممنوع[1] .

المعـــنى

عَوْدٌ على بَدْء : فهمنا مما سبق ذكره ، أن كل إنسان مسئول عن عمله ، محاسب عليه ، مجازًى به ، وأنه لن يجد يوم الْفَصْل مَنْ يحمل عنه مِنْ أوْزَارِه . أو يُخَفِّف عنه من أعبائه ، وأن الله سبحانه هو الغنىُّ عن العالمين ، فلايزيد فى غناه هدايةُ مُهْتَدٍ ، ولا ينقص منه ضلالةُ ضالٍّ ، وأنه جل شأنه ـ الحكيمُ فى عدله ، الكريمُ فى رحمته ، فلا يعذب فرداً أو جماعة إلا بعد أن تبين لهم الرسلُ : فيخالفوا عن أمر الله .

وفهمنا أيضاً أن الجماعة متكافلةٌ فيما بينها ، وأن كل فرد فيها مسئول عن موقفه تجاه جماعته كما هو مسئول عن موقفه تجاه نفسه ، وأن كل جماعة مسئولة عما تُصَرِّفُ به أمور حياتها وعما تصرف به أمور أفرادها .

وقد عقب الله سبحانه بعد هذا البيان الشافى بوعيدٍ ، يبعث فى النفس ذكرياتٍ من

(١) قيل لى : لماذا تتوسع فى شرح معانى المفردات ، نقلا عن أمهات كتب اللغة ؟ .
قلت : إننى لا أفسر قول إنسان ، وإنما أحاول تفسير قول الله سبحانه ، فلا بد من الحذر والدقة والحكمة والفهم الدقيق لمعانى كلمات الله وبسط كل ما ورد لها من معانٍ فى لغة العرب منقولة عن أدق المصادر ، هذا شىء . وشىء آخر : هو أننى لا أحب أن أفرض رأيى على إخوانى القراء ، لهذا أضع بين أيديهم معانى الكلمات مبسوطة بسطاً رحياً لعل منهم من يفتح الله عليه بفهم أجود ، ورأى أصوب ، والله سبحانه هو الموفق إلى الصواب .
عبد الرحمن

القرون الغابرة ، ويُصَوِّ تاريخها البعيد تصويراً جلياً ، حتى ليكاد الإنسان يبصر معالم هذا التاريخ بعينيه ، فيرتعد الكافر ، وتبطش بهدوئه هذه الذكريات وتعصف بسكينته آياتُ انتقام الله مِمَّن جحدوا ، ويطمئن قلب المؤمن إلى وعد الله ووعيده ويغمره الهدوء الساجى واليقين الثابت المتجدد فى كل لحظة ، إنه يكاد يسمع ـ وهو يقرأ ـ قَصْفَ الرعود ، وزئير الرياح وهدير الموج ، وقد غَطَّى قِمَّةَ الجودِيِّ ، وَالْتَقَمَ فى ظلمات أغواره ابن نوح عليه السلام يكاد يسمع زَمْجَرَةَ الأعاصير الغِضَاب الطاغية وهى تهلك جبابرة عاد .

نفوس و نفوس :

وفى هذه الآيات التى نقتبس من نورها فى هذا العدد يُجْلِى لنا الله سبحانه طبيعة النفوس الإنسانية ، فيذكر لنا أنها فى سعيها إنما تطلب ماتظن أنه هو الخير لها ، غير أنها تختلف اختلافاً بيناً فى تحديد مفهوم هذا الخير ، وفى تحديد السبيل الذى ترى أنه يوصِّل إلى هذا الخير .

فهناك نفس ترى أن الخير هو « اللذة » ، لأنها تدين بمقاييس خُلُقية صنعتها الأهواء ووضعتها الشهوات .

وهناك أخرى ترى أن الخير هو « السعادة » لأنها تدين بمقاييس خُلُقِيَّة ، شرعها الله سبحانه ، واطمأن إليها بالإيمان الثابت ضميرها الحَيُّ . النفس الأولى عَجِلَةٌ تحب كُلَّ عاجل ، فتسلك كل سبيل ترى أنه يؤدى بها إلى لذاتها ، والأخرى حكيمة هادئة تفكر وتتدبر ، وتضبط إرادتها بحكمتها ، وغرائزَها بعَقْلِها ، وعواطفها بضميرها ، فلا تريد إلا مايحقق لها سعادتها ، ولا تسلك إلا السبيلَ الذى بَيَّنَ اللهُ أنه يهدى إليها .

لهذا كانت النفس الإنسانية فى مجال السلوك الإنسانيِّ نوعين . نوعاً لا يميل إلى الجِدِّ . ولا إلى الكفاح ، ولا يطيق صبراً على جِدٍّ أو كفاح ، ويستعجل الغايات التى حَبَّبَتْ إليها إرادتُه ، وتعلقت بها أهواؤه ، فيضطرب فى سعيه . ولا يميز فيه بين هدى أو ضلال ، ولا بين حق أو باطل ، ولا بين حلال أو حرام ، لأن الهوى غَشَّى عينيه

بعصابة دامسة ، فلا يبصر بها سبيلا ، ولا نوراً ، فهو يرتكب مايرتكب من منكرات وحَسْبُه أن يصل إلى غاياته . لهذا يقول ربنا سبحانه « من كان يريد العاجلة » أى الدنيا ولذاتها ، سواء أكانت حِسِّيَّة أم معنوية ، سميت عاجلة لأنها تنقضى بسرعة ؛ لأنها لا تعرف الدوام ، و إنما تسوق ركبها بسرعة إلى الفناء ، لأنها قُلَّبٌ فى أطوارها وأحوالها ، لأنها تضطرب بمن يستعبده حبُّها ، وهو يضطرب بها ، فتعجل بالقضاء عليه .

فمن كان يريد هذه : فالله سبحانه يعجل له مايريد ، ولكنه سبحانه قَيَّدَ التعجيل بأمرين ، قَيَّدَ المُرَادَ بمشيئته سبحانه وقَيَّدَ المُرِيدَ بإرادته جل شأنه ، إذ يقول « عَجَّلْنَا له فيها مانشاء لمن نريد » فلا يُعَجِّل سبحانه بكل ما يُراد ، ولا يُعَجِّل لكل من يريدون .

حتى هذه اللَّذات التى تعصف بها العَجَلَةُ يخوِّف الله مَن يريدونها بأنها قد تتحقق ، وبأن بَعْضَ من يريدونها قد ينالها ، وبعضاً لا ينالها ، وهنا تتجلى هَيْمَنَةُ المشيئة الإلٰهِيَّة ، وقهرُ الإرادة الربانية ، وضعفُ الإرادة الإنسانية والمشيئة البشرية « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

المجاهرون والمنافقون : والذين يريدون العاجلة نوعان . نوعٌ يُطابق سعيُه إرادتَه أو يطابق مظهرُه مخبَرَه ، فظاهره إثمٌ ، وباطنه إثمٌ . وهم أولئك المتجاهرون بالفواحش والمنكر ، هم الكفرة الفَجَرَةُ .

ونوع آخر أشد خَطَراً ونُكراً ، وهم الذين لا يطابق مظهرُهم مخبرَهم ، أو لا يدل ظاهرُهم على باطنهم ، فيعملون ما قد يحسبه الناظر أنه سَعْيُ مَنْ يريد الآخرة ، أولئك هم المنافقون المراءون ، باطنهم إثم وظاهرهم خَيْرٌ . كمن يجاهد فى سبيل الله طلباً لجاه أو ثناء من الناس ، عَرَض مادِّىّ ، أو ينفق ماله رئاء الناس . أو بمعنى عام : يعمل ما هو ظاهره خير ولكنه لا يبتغى به وجه الله . وهؤلاء وأولئك يعاقبهم الله سبحانه على تلك الإرادة الآثمة وإن لم تتحول إلى عمل ، يكفى ـ لكى يستحقوا عقاب الله ـ مجرد الإرادة ، وإن لم تتجسد فى عمل صالح المظهر أو طالحه ، هذا ؛ لأن النية هى التى تقوِّم العمل وتجعله أهلا لكى يوصف فى ميزان الحق بأنه خير أو شر ، فإذا كانت النيَّةُ خيرةً .

فلا بد من أمر آخر ، هو أن يكون العمل الذى انبعث عنها مطابقا لما بيَّن الله فى صورته وكيفيته[1] .

عقوبتان : وعقوبةُ أولئك الذين يريدون العاجلة نوعان . عقوبةٌ مادِّيَّة حِسِّيَّة . وأخرى أدبيَّة معنوية . أما الأولى فتظهر فى قوله سبحانه « جعلنا له جهنم يصلاها » . لم تُجْعَل له ؛ ليسيطرَ عليها أو ليملكها ، وإنما جعلت له ؛ ليقاسى حَرَّ نارِها هنالك ، هنالك فى غَيَاباتِها السحيقة ؛ لأنها كالبئر العميقة التى لا يجد مَنْ تَردَّى فيها مِعْراجاً له ينجيه من هاويتها . . ويا للاستهزاءِ البالغ ، والوعيد الرهيب فى قوله سبحانه « له » ! ! إنه إذا كان لِمُحِبِّى العاجلة شىء عند الله ، فليس إلا جهنم . وهذه ليست لأحد سواهم ، إنما هى لهم وحدهم .

أما العقوبة الآخرى ، فتظهر فى قوله سبحانه « مَذْمُوماً مدحوراً » أى مَلُوماً أشد اللوم على ما أساء به إلى نفسه ، وعلى موقفه إزاء أنعم الله به عليه . وهو فى هذا اللوم العنيف الذى يَقرَعُ سَمْعَه ، ويَحزُ دائماً حِسَّه وشعورَه يُعانى عذاباً آخر ، فهو المَدْحُورُ ــ أى المطرودُ ــ فى الآخرة عن رَحْمَانيَّة الله ورحمته . إنه يجد ما يدفعه عن رحمة الرحمن بعنف وشدة . إنه خبيثُ عملِه المنكر الوحشى . وهذا معناه خلودُ عقوبته المادية : وهذا معناه أيضاً أنه يعانى العقوبتين فى وقت واحد .

أصحاب الآخرة

ثم يبين الله حالَ النوع الآخر من النفوس الإنسانية ، تلك هى التى تنشد المُثُلَ العُليا . تلك التى تجد وتكافح ، وتصبر على الجِدِّ والكفاح ، ولا تتعجل النصرَ الزائف ، ولا اللذةَ المُعجلى ، وإنما تنشد دَيْمُومَة السعادة . وأبديَّة الخير ، مُقوِّمة سعادتَها وخيرها بما قوَّم الله ، سالكةً السبيلَ الذى يُرضى الله .

---

(١) ألا ترى أن النبى عليه الصلاة والسلام أبطل صلاة رجل صلى أمامه أكثر من مرة ، مع طيب نية الرجل ، ومع طيب العمل نفسه ، فإن صلاة هذا الرجل لم تكن فى كيفيتها مطابقة لما بين الله .

هذه النفس وصفها الله بثلاث صفات متلازمة مترابطة « نيّةٌ صادقة ، عمل صالح ، إيمان صادق ثابت » أليس الله يقول : ومن أراد الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وهو مؤمن . . . الآية » . لا تكفى إرادة الخير ، بل لا بد مع الإرادة من السعى فى سبيل الحصول على هذا الخير أو تحقيقه . وهذا السعىُ ليس مطلقاً ، بل مُقَيَّداً بأنه السعى الذى يوصل فعلاً إلى نعيم الآخرة وسعادتها . يتجلى هذا فى قوله سبحانه : « وسعى لها سعيها » أى سَعَى سَعْيَ الحق الذى يوصل حقاً إلى الآخرة ، وهذا السعى يبينه الله سبحانه . ثم لا بد مع الإرادة والسَّعْى من شىء آخر يطيِّبُهما ويكون الهادى لهما فى مسالك الحياة ، ودوافع الوجدان ، ومسارب الشعور ، ونوازع العواطف ونوازغ الغرائز . ذلك هو الإيمان الحق الثابت . الإيمان بسعيه ، الإيمان بأن غايته تستحق هذا السعى ، وفوق هذا الإيمان بمن دعاه إلى هذا السعى ووعده بتحقيق الغاية الطيبة من مسعاه .

ثواب أصحاب الآخرة

وقد بين الله سبحانه ثوابَ أصحابِ الآخرة بقوله : فأولئك[1] كان سعيُهم مشكوراً » . فلهم ــ إذن ــ ثوابان أحدهما روحِىٌّ معنوى ، وآخر مادِىٌّ حِسِّي يتجلى الأول فى التعبير بكلمة « الشكر » . . . شُكْرُ مَنْ ؟ إنه شكر الله خالقِ كل شىء يجزى به عبده الشكور : وما أروعه وأسماه وأجَلّه من ثواب .

ويتجلى الثواب المادىُّ فى نفس هذه الكلمة التى تعبر عن الشكر » ، لأن الشاكر ، هو الجوادُ الكريم المنّان سبحانه ، وليس من برّه ولا كرمه جَلَّ شأنه أن يجعل شكرَه ثناء كلامياً فحسب ــ وإن كان هذا الثناء فى نفسه ثواباً جليلاً ــ وإنما يجعل سبحانه شكره العظيم فضلاً عظيماً وكرماً رحيماً وَدُودا ، يتحقق فيما وعد الله به من ثواب كريم فى الدنيا وفى الآخرة . إذا كان المؤمن الشاكر هو من يعبر عن شكره بالقول وبالفعل فما بالك بالله سبحانه ؟ ! ولله المثل الأعلى ! ! .

(١) أولئك اسم إشارة للبعيد . وقد عبر عن الإشارة إلى أصحاب الآخرة بأولئك مع قرب ذكرهم ، لبيان سمو مكانة هؤلاء ، وعلو مقامهم ، ورفعة شأنهم .

عطاء الله غير ممنـوع

ثم يذكر الله سبحانه دليلاً على أوسع رحمته وبالغ كرمه الشامل العام المحيط . وهذا في قوله سـبحانه : « كُلاًّ نُمِدُّ » أى يمد بعطائه الكريم كلا من المؤمن والكافر وهو عطاء متواصل يتصل بعضه ببعض . أما الكافر ، فلا ينال من مدد الله شيئاً إلا فى دنياه ، فلعل هذا المدد الكريم يخضد من شوكة جحوده ، أو يكون له عقوبة مدمرة مهلكة ، إذ يدفعه المددُ إلى التمادى فى غَيِّهِ وطغيانه ، هذا لأن الله يبغضه ويمقته أشد البغض والمقت عقاباً له على بغضه لله ورسله . فقد بين الله هذا فى قوله عن المنافقين « الله يستهزىء بهم ، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » .

أما المؤمن . فينعم الله عليه بالمدد من العطاء فى الدنيـا وفى الآخرة ، لأنه سخَّر دنياه لدينه ، ووازن فى حكمةٍ بين مطالب الدنيا ، ومطالب الآخرة .

ثم يقول الله سـبحانه : « وما كان عطاء ربك محظوراً »[١] » ما كان صِلات الله ممنوعة على أحد أو من أحد . فلا الله يمنعها ؛ لأنه الكريم الرحمن الرحيم ، ولاأحد يستطيع منعها عن أحد ؛ لأنه القدير القهار المهيمن .

وإنك لتلمح عظمة الربوبية ، ورحمتها وعدلهـا فى قوله سبحانه « هؤلاء وهؤلاء » لا يقولها إلا رَبٌّ عن عبيده ؛ لأنها إشـارة إلى مُسَمَّيَاتٍ ، وكان يمكن ذكر أسمائهم ، ولكنها كبرياء الربوبية وجلالها .

ولا يقولها إلا رَبٌّ رحيم ينظر إلى عبيده بنوعيهم المطيع والعـاصى بعطائه ، ثم هذه المساواة فى الإشارة « هؤلاء وهؤلاء عدالة تؤكد أن الله ليس بظلاَّم للعبيد .

نضرع إلى الله سبحانه أن يمدنا بعطائه فى الدنيا وفى الآخرة ؟

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) عدم ذكر الجار والمجرور المقدر بكلمتى « على أحد » يفيد شمول العطاء وعمومه .

أوصيك ونفسى – ٢ –

مقتطفات من وصايا فقيد الإسلام والعروبة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته وألهمنا جميل الصبر على فراقه الأليم .

« محمد رشدى خليل »

الحمدُ لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على إمام المهتدين وعلى آله وبعد ، فإن كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسى :

١ ـ اعرف ربك بنعمه التى يربيك بها وحده وبالتفكر فى آياته فى نفسك وفى الآفاق التى تجرى على سنن الحق والحكمة ، وبأسمائه وصفاته التى تعرّف بها إليك فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنك إن عرفت ربك عرفت حقه عليك ، وعرفت أنه لا ينبغى الإلهيّة والعبادة إلا له وحده فإنه الغنى ، والكل فقير ، وإنه القوى ، والكل عاجز ، وإنه الحى القيوم ، والكل موتى .

٢ ـ اعرف أن العبادة : هى ذل القلب وخضوعه وحبه وتعظيمه ، وانقياده لله ، وأن القلب هو الملك على الجوارح ، فإذا دان بهذه العبودية لله ، فقد صلح ، وفى صلاح القلب ، صلاح الجوارح .

٣ ـ أخلص العبادة لربك وحده : فإنه الذى يربيك ويربى جميع العالمين بنعمه ، فإياه فاعبد ، وبه فاستعن ، ولا تخف إلا إياه ، ولا ترجو ولا ترغب إلا إليه ، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (إياك نعبد وإياك نستعين) .

٤ ـ احذر أن تشرك بربك أحداً أو شيئاً فى صفة من صفاته أو فى حق من حقوق عبادته ، فهو السميع الذى يحيط سمعه بكل شىء ، وهو البصير الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو القوى العزيز الذى لا يعجزه شىء ، ذو البطش الشديد الغفور

الودود الفعال لما يريد ، القاهر فوق عباده الحكيم الخبير . وهو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق ، فإياك أن تنادى ميتاً وتدعوه لكشف ضر ، أو قضاء حاجة ، فإنك بذلك تعطيه من صفة سمع الله ورحمته وقدرته وحياته وقيوميته ، وإنك بذلك تعطيه ما هو حق الله وحده من العبادة فتكون من أظلم الظالمين لنفسك (إن الشرك لظلم عظيم) .

وفى الحديث « أظلم الظلم أن تجعل لله نداً وهو خلقك » .

٥ ـ احذر أن تعبد الله إلا بما أحب وشرع فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . فإن العبادة هى حق لله وهى السبيل إلى مرضاة الله ، ولا طريق إلى معرفتها إلا من قِبَل الله صاحب الحق فيها ، وهو الذى يهديك بها للوصول إليه فإن أى حق للغير فى عنقك لا تبرأ ذمتك منه إلا بأدائه على الوجه الذى سجل فى مستنده بهيئته وصفته ، وقدره وميعاده ، وليس لحق الله مستند صحيح معتمد عنده وعند كل مؤمن به : إلا كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٦ ـ احذر مايخدعك به الشيطان من مستندات مزورة على الله يزخرفها لك باسم البدع الحسنة ، ويسوقها لك على لسان فلان وفلان ، وفى صورة الكثرة والجمهور والشيوخ فإنها شرع مالم يأذن به الله ، والقول على الله بلا علم وافتراء الكذب عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدْعَى إلى الإسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين) ، وفى الحديث « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وفيه « تركتكم على الحنيفية البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » .

٧ ـ زك نفسك من قذارة الجهل والهوى والشهوات ، وطهر قلبك من حظ الشيطان ونزغاته : بتلاوة القرآن حق تلاوته ، متدبراً لآياته فاهما لمعانيه ومقاصده ، مهتدياً بهداه ، فإن الله يقول فيه (هدى للمتقين) (هدًى ورحمة وبشرى للمسلمين) (وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم) (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى

الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى) (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) .

٨ ـ احذر التقليد الأعمى فى أى عمل من أعمالك الدينية أو الدنيوية ، فإن التقليد الأعمى : هو الذى جعل العبادات صوراً آلية ميتة ، لا تهذب النفوس ، ولا تزكى القلوب ، ولا تحيى ميت الأرواح ، فأغلقت دونها أبواب قبول الرب سبحانه .

فكانت « لا إله إلا الله محمد رسول الله » حروفاً وألفاظاً تلاك باللسان ، بلا تعقل ولا فهم ولا معرفة لمقتضاها ، فهدمتها العقائد الشركية والأعمال الجاهلية ، والتحاكم إلى الطاغوت : والإعراض التام عن كتاب الله وهدى رسوله والتأسى به : باتخاذ مئات الشيوخ والمتبوعين والمقلدين ، حتى أصبحوا على شرائع شتى وملل مختلفة وعادوا مختلفين فى الدين مخالفين للدين ، فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأحزابا (كل حزب بما لديهم فرحون) .

وكانت الصلاة حركات تقليدية باللسان والجوارح ، لا تمس القلب ولا الأعمال ولا الأخلاق ، فلم تغسل القلب ولم تزك النفس ولم تأمر بمعروف ولم تنه عن فاحشة ولا منكر ، ولم تدع إلى بر ولا إحسان ولا صلة ماأمر الله به أن يوصل .

وكان الصيام جوعاً وظمأ وتعذيباً للصائم وشقاء فى المبدأ والغاية ، فلم يتعلم الصائم صبراً ولم يستفد قوة عزيمة ولا سعة صدر ولا جميل حلم ، بما هو عادة النجاح فى الحياة يتقى بها ويدفع عن نفسه كل ما كره . وهو الذى دعاه الله إليه بالصيام فى قوله : (لعلكم تتقون) أى تكسبون بالمران فى الصيام كل أسباب القوة على اتقاء ماتخافون فى الدنيا والآخرة ، لكن الصيام التقليدى لا يكسب شيئاً من ذلك ، فلم ينه عن قول الزور والعمل به ، بل دعا أكثر الصائمين إلى شغل أوقات الصيام باللهو واللعب والخمول والكسل والتعطل ، والفسوق والعصيان باسم تسلية رمضان .

وكانت الصدقات مغرماً ، لا يبذل قرش إلا رياء وسمعة ، أو تقربا وزلفى لمخلوق يرجوه ويخافه .

وكان ذكر الله سخرية ولعباً ورقصاً وزمراً ، وكان القضاء والحكم ظلماً وعبثاً وكانت الزوجة شقاء ونكداً ، والأخوة عداوة و بغياً وحسداً . كل ذلك وغيره نتيجة التقليد الأعمى فى الدين .

أما التقليد الأعمى فى بقية الأعمال : فمحا شخصيتك وأفناها فى غيرك ، حتى كنت فى كل ماتتناول من شئونك طفلا أخرق ، لا تزال تشعر بحاجتك إلى من يسندك ويأخذ بيدك و يرفعك ، ثم يسوقك و يدفعك ، فتضيع عليك بذلك أكثر فرص الحياة إن لم تضع عليك كلها ، فتعيش دائماً كئيباً حزينا .

ومن النتائج الوخيمة لهذا التقليد الأعمى : أنك أخذت فسوق أوربا الكافرة مؤمناً بها ، حتى غشتك فى بيتك ومسجدك وعملك وخلقك ، وأخيراً تغلبت على دينك ، فمحت وجودك الشرقى العربى الإسلامى ، وأصبحت بها رجلا فى ريبك ، طفلا فى تفكيرك وعقلك وعملك ، تعتقد أنك بأشد الحاجة إلى من يحضنك ويكفلك ، فتلقتك يد العدو ، زاعمة لك — لطفولتك وسفاهتك — أنها كفيلة بتربيتك وتعليمك وتهيئتك للحياة . فطوقت عنقك بمخالبها وأنيابها ، واعتصرت خيرك لنفسها ، واستنفدت قواك وعناصر حياتك كلها ، حتى أصبحت لا تستطيع أن تجابه شئون الحياة فى شجاعة ولا قوة الإنسان المسلم الذى يمشى سوياً على صراط مستقيم .

٩ — خذ نفسك بكل حزم وقوة على أن تكون محسناً فى كل عمل من أعمالك بعزيمة ثابتة ، وقصد صحيح ، ونية صادقة من لب سليم ، وقلب قد ربط الله عليه بالعلم الصحيح النافع والهدى الواضح ، والإيمان الصادق ، فإن ذلك سيدعوك إلى أن تعرف مقامات العمل وأسباب صحته و بطلانه ، وما يستدعيه و يدعو إليه ، وسبيله الذى يصل بك إلى الغاية التى تعمل هذا من أجلها ، فيتجدد العمل فى نفسك ، وتكون له صورة واضحة فى ذهنك غير ملتبسة ولا مختلطة لغيرها ، فلا تتدافع الأعمال فى نفسك ولا تتزاحم ، فيفسد بعضها بعضاً ، وتخرج منها جميعها بغير نتيجة ولا عمل ، و بذلك يتحقق لك النجاح والفلاح

فى كل عمل ، ويعطيك الله ثمرته الطيبة ، وذلك هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات » .

فالأعمال المرضية ـ من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وبر وصلة وإحسان ونحوها ـ : ينبغى ألا تدخل فيها إلا بعد التهيؤ لها بصفاتها وشروط صحتها ، وبكل ماتستدعيه هذه العبادات من حسى ومعنوى ، ولا سبيل لك إلى ذلك إلا من كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عايه وسلم ، فإذا ورد قلبك هذا المنهل العذب من العلم النافع : أقبلت على العبادة بقلب سليم يقظ ، ونفس محتاجة فقيرة أشد الحاجة والفقر إلى مافى هذه العبادة من رضوان الله وإصلاح لها ، وعلاج لأمراض قلبك . ودواء لمجتمعك من كل ماتشكو منه ، ثم ادخل فى العمل وقد اتصلت نفسك به وامتزجت كل الامتزاج ، بحيث لا يكون فى ذهنك سواه ، حتى كأنك خلقت الآن لهذا العمل ، وأنت ميت بعده مباشرة ، وأنه هو الذى ستلقى به ربك ولا تزال كذلك حتى تتم عملك ، فتجد إن شاء الله : أن ربك قد غرس فى جنة قلبك شجرة مباركة طيبة يثبت أصلها فى قابك وتذهب فروعها فى السماء ، فتؤتيك أكلها فى كل حين بإذن ربها : من زيادة إيمان وهدى ، وزيادة علم بربك وحب وخشية لربك ، وتقدير وشكر لنعم ربك ، وينفعك كل ذلك فى كل شأنك مع أهلك وإخوانك وفى عبادتك المستقبلة ، فلا تزال تزداد إيماناً وهدى وحباً وكرامة ، ورفعة على معارج الكمال الإنسانى والكمال الدينى .

وهكذا الشأن فى عملك الدنيوى ، اعرف مقدماته ومبدأه وسبيله وغايته ، وأقبل عليه بعزم صادق وروية وحكمة وسداد ، مؤمناً بسنة ربك فى التدرج ، فإنه الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ولو شاء لخلقها فى طرفة عين ، فاعرف ذلك جيداً ، وخذ سبيلك فى كل عملك على هداه ، بحيث لا تنتقل من خطوة إلى أخرى إلا إذا ثبت قدم علمك وعقلك وتقديرك فى الأولى ، وعرفت موضع خطوك فى الثانية كذلك ، وهكذا ، فإنك بذلك تبلغ الغاية التى تسعى إليها على هدى ورشد ، وتنال الفلاح فى دنياك وآخرتك .

ومن هذا تعرف السر فى خسران أكثر الناس وحبوط أعمالهم الدينية والدنيوية ،

لأنهم يدخلون فى أعمالهم على غير هدى ، ولا علم ، فيدعوهم جهلهم وضلالهم أن يدخلوها بغير عزيمة ولا صدق نية ، ولا حكمة ولا رشد ، ويخدعون أنفسهم بأن قولهم « نويت الوضوء » « نويت صلاة كذا » « نويت الصيام » نية نافعة ، لأنهم اعتقدوا بتقليدهم : أن الغرض منها إعلام الله بأنهم يصلون له أو يصومون ، وجهلوا حقيقتها وحكمتها والغرض منها ، لأنهم مقلدون ، موتى القلوب ، فلو حطموا عن أعناق قلوبهم أغلال التقليد لخرجت نشطة قوية إلى ميدان العلم الفسيح من سنن الله وآياته ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذن لعلموا أن هذه النية هى وصدق العزيمة فى الدخول فى العمل إنما لزمت لكل عامل ليُجرِّد عمله ويتقنه بالعلم وباليقظة والتأثر والاصطباغ به ، والانتفاع منه ولا يكون ذلك إلاّ بمعرفة المقدمات والمبدأ والسبيل والغاية والاتصال الروحى والعقلى بالعمل أتم اتصال ، حتى يعرف نقصه وعيبه المؤدى إلى عكس الغاية ، فيتداركه أثناء العمل ، أو فى العمل الآخر ، وعندئذ يشعر العامل أن عمله لخير نفسه هو وللمزيد من أسباب الحياة الطيبة له هو ، فأما الله فهو غنى عن العالمين (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) . (من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها) (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) .

٢ - وجــــود الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس

كتبنا فى العدد السابق عن الاعتقاد بوجود الله عز وجل وقلنا أنه أمر مركوز فى الفطر كما حكى الله عن الرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم قالوا لأممهم (أفى الله شك فاطر السموات والأرض) وقدمنا بين يدى القراء جملة صالحة من آيات القرآن الكريم التى تدعو إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله فيهما من أشياء تنطق بعظيم قدرته وجسيم و بالغ تدبيره وحكمته . وتركنا لهم أن يتأملوا بأنفسهم فى هذه الآيات حتى يدركوا ماتتضمنه من الدلائل والبراهين وكنا نحسب أن فيما قدمناه الكفاية ، ولكن بعض الإخوان رغب إلينا أن نزيد هذا الموضوع تجلية نظرا لأهميته وحاجة الناس إليه بسبب مايلقيه الملاحدة فى أوساط الشباب من سموم الجحود والأفكار لاسيما وقد اتسم هذا الإلحاد بسمة العلم ولبس ثوب التفلسف ، فلا بد من مقابلته بالأدلة التى تكفى لاستئصال شأفته ودحض فريته.

وأرى قبل أن أجيبهم إلى طلبهم أن أذكرهم بحكاية ذلك الأعرابى الذى قيل له بم عرفت ربك ؟ فأجاب على البديهة (البعرة تدل على البعير والقدم يدل على المسير ،فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على اللطيف الخبير) ـ وهى حكاية نسوقها كشاهد على أن الفطرة السليمة التى لم تتدنس بالجحود ولم تفسد بالتقليد الأعمى والجرى وراء الأهواء والشهوات لاتحتاج فى إيمانها بالصانع الأعظم جل وعلا إلى أن تحشد لها الحشود من الأدلة والبراهين .

فليس مناط الأفكار هو قلة الأدلة ولا قصورها عن إفادة المطلوب فإن كل شىء ممايراه الإنسان أو يحسه صالح لأن يكون دليلا . ولكنه الإعراض والغفلة والاستكبار عن النظر فى

آيات الله عز وجل والتعامى عنها . والغرور الأحمق بما وصل إليـه علم الأنسان من تقدم فى الـكشف والاختراع . ونسيان الإنسان نفسه وعدم تفكيره فيما خلق له ، حتى ظن أنه واحد من هذه الحيوانات التى تملأ البر والبحر فليس لوجوده غاية ولا من ورائه حكمة و إنما هو وليد الصدفة وسليل التطور إلى غير ذلك مما تهجس به أفـكار الناس فى هذا العصر الذى لا يعرف إلا المادة وقوانين المادة ، ولا يكلف نفسه النظر إلى ماوراء ذلك من الغايات البعيدة والحـكم العالية التى يشهد بها هذا الاتساق العجيب بين أجزاء الـكون وهذا التناسب والانسجام الذى يلمحه البصير فى كل ذرة من ذراته فلا عوج ولا فطور ولا تفاوت ولا تنافر بل نظام والتئام كما قال تعـالى (صنع اللهِ الذى أتقن كل شىء أنه خبير بما تفعلون) (الذى أحسن كل شىء خلقه) (أأنتم أشد خلقا أم السماء . بناها . رفع سمكها فسواها ؟ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعا لـكم ولأنعامكم) .

يحـكى ابن كثير فى تفسيره أن جماعة من الزنادقة جاؤا إلى أبى حنيفة رحمه الله وطلبوا إليه أن يقيم لهم الدليل على وجود الله فقال لهم نعم سأفعل ولـكن أمراً قد بلغنى الساعة فأقلقنى وحيرنى وقد جئتم وأنا أفـكر فيه قالوا وما ذاك قال بلغنى أن سفينة بعرض دجلة موقرة بأنواع المتاع تمشى وحدها بلا ربان يقودها ثم ترسو على الشاطئ بنفسها فتفرغ حمولتها وحدها ثم تعود لتمتلىء ثم تجىء فتفرغ ليس معها أحد . فقالوا له وهل ذاك يعقل ؟ فقال لهم إذا كنتم لا تصدقون هذا ولا تعقلونه فى سفينة صغيرة فـكيف ساغت عقولـكم أن هذا الـكون العظيم الممتلىء بما لا يحصى من الإجرام العلوية والسفلية يسير وحده بلا مدبر فرجع هؤلاء الزنادقة عن أفـكارهم وأسلموا .

ويذكر ابن كثير أيضاً أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس رحمه الله دليلا على وجود الله فاستدل له باختلاف الألوان واللهجات والأصوات . ولا شك أنه استدلال صحيح والقرآن الـكريم نفسه قد نوه به وجعله من جملة الآيات قال تعالى فى سورة الروم (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانـكم إن فى ذلك لآيات للعالمين) .

وقال فى سورة فاطر : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء). ومما يستوقف النظر هنا أن كلا من الآيتين قد ختمت بما يفيد أن آية الاختلاف فى الألوان والأصوات قد اختص بإدراكها العلماء وأى عالم يسعه إلا أن يطأطىء الرأس أمام هذه الآية الكبرى التى لا يزال العلم رغم تقدمه عاجزا عن تعليلها مما يشهد بأن هذا التنويع والتخصيص إنما هو بتقدير العزيز العليم .

ويروى ابن كثير عن الإمام الشافعى رحمه الله أنه قال بصدد الاستدلال على وجود الله عز وجل (هذه ورقة التوت شىء واحد تأكله النحلة فتخرج عسلا وتأكله الدودة فتخرج أبريسم وتأكله البهيمة فتخرج لبنا .

ومن هذا أن الشافعى يستدل بالاستحالات المختلفة التى يصير إليها الشىء الواحد وهو باب واسع جداً من أبواب الاستدلال ويكفى أن يتأمل الإنسان فى نفسه فهذا الدم الذى يجرى فى عروقه شىء واحد ومع ذلك يدخل فى تركيب الأعضاء المختلفة وهو فى الفم لعاب وفى العين دمع وفى الأصلاب نطف وفى الأثداء لبن الخ .

وهذه النطفة التى يتخلق منها قد تقلبت فى أطوار عدة واستحالت من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام حتى صارت بشراً سويا فتبارك الله أحسن الخالقين . وأما الإمام أحمد رحمه الله فيحكى عنه ابن كثير أنه قال (هاهنا حصن محكم أملس ليس به منافذ ولاثقوب فبينما هو كذلك إذا انفتح الحصن وخرج منه حيوان سميع بصير) فالحصن هو البيضة تظهر ملساء لاثقوب بها يتخلق فيها الطائر حتى إذا اكتمل ، نقرها وخرج منها .

وأخيراً فليتأمل البصير فيما يحدث حوله من أشخاص النبات والحيوان : فهل يعقل أن تكون قد أحدثت نفسها أو أحدثت بلامحدث ؟ وهل يخرج العدم وجوداً وهل تنشىء الفوضى نظاماً ؟ وهل يحدث بيت بلا رسم وتصميم سابق ؟ وصدق الله (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون) ؟ .

كتاب فيض الوهاب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج

٢ – رجع ما انقطع

خطبة الكتاب

ويالها من خطبة !

إن شئت أن تتعلم كيف تكون المعاظلة ، وضعف التأليف وفساد التركيب ، وإسفاف المعانى ، وسقم الذوق فاقرأ هذه الخطبة تجد فيها أمثلة حية لجميع ماذكرت لك .

فلقد جاءت بها عبارات تبرأ ألفاظها بعضها من بعض ، وتنفر العقول السليمة ، والأذواق الصحيحة من معانيها . ولن نشير منها إلا إلى ماهو مفرط فى السخف ، مغرق فى الفساد بحيث لو فهمت عباراتها على حسب ماتدل عليه ألفاظها كانت شركا صراحا ، وكفراً بواحا .

مصدر التجليات الإلهية ؟!

ففى السطر الثامن عشر من الصفحة الثالثة من هذا الكتاب وردت هذه العبارة بحروفها : (وصلاة وسلاماً على مصدر التجليات الإلهية ، ونقطة باء البداية الأصلية . ومهبط الأسرار الرحمانية) فإن كانت هذه العبارة تعنى أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون الرسول مصدر التجليات الإلهية ، ومعلوم أن مصدر الشيء هو مايصدر عنه ذلك الشيء ، فإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو مصدر التجليات الإلهية فمعنى ذلك بصراحة ووضوح : أن التجليات الإلهية تصدر عنه صلى الله عليه وسلم ، وأنه لولا الرسول ما كانت لله تعالى تجليات ، لأن الرسول مصدر هذه التجليات .

وبَدَهِيّ أنه إذا لم يوجد مصدر الشيء لم يوجد ذلك الشيء . ولكن ثبت يقيناً أن لله تعالى تجليات من قبل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم . فلقد تجلى سبحانه للجبل فجعله دكاً ، وخر موسى صعقا . وإذاً فليس الرسول مصدر التجليات الإلهية على الإطلاق ، بل تجليات الله تعالى ذاتية صادرة عن ذاته القدسية . فالقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر التجليات الإلهية افتراء على الله تعالى ، وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإطراء من النوع الذى نهى عنه صلى الله عليه وسلم ، بل شدد النكير على من يعمد إليه ، وغلو فى الدين حرّمه رب العالمين بقوله الكريم : (لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) .

وكيف تكون التجلياتُ تجلياتِ الله ثم تصدر عن شخص الرسول ؟ ولعل الكتاب يعنى أن تجليات الله هى تجليات الرسول وأن الله والرسول شيء واحد ، كما هو مقتضى عقيدة وحدة الوجود التى لا تفرّق بين الخالق والمخلوق والمرسِل والمرسَل . تلك العقيدة التى ضل بها كثير من المتصوفة قديماً وحديثا .

وإذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، وإذا كانت فاتحته استهلالا لما انطوت عليه جوانحه فحدثنى ـ بربك ـ أيها القارىء الكريم أى مسلم يحترم عقله ويقدس دينه ، ويوحّد خالقه ، ويستجيب لأمر نبيه صلى الله عليه وسلم ـ أى مسلم هذه صفاته يبيح لنفسه أن ينظر فى هذا الكتاب ؟ وهذا الإلحاد كله فى فاتحته فماذا عسى أن يكون فى أعماقه ؟

نقطة باء البداية الأصلية ! !

وما معنى أنه عليه الصلاة والسلام نقطة باء البداية الأصلية ؟

يالها من جملة !

إنها لجملة ذات رنين مدوّ ، وطنين عال ، ولكنه رنين كرنين الإناء الفارغ ، وطنين كطنين الذباب ليس وراءه معنى .

ألا تناقض هذه الجملةُ الجملةَ التى سبقتها أشد التناقض ؟؟

إذ بينما الجملة الأولى تسمو بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن تجعله مصدر تجليات الله ، إذ تنحدر به هذه الجملة حتى تجعله شيئاً تافهاً حقيراً وحاش لله أن يكون رسوله بهذه المثابة ـ

حاش لله أن يكون رسوله الكريم نقطة مكملة لحرف من حروف الهجاء !

أى تأليف هذا ! وأية فوضى فى التأليف هذه ؟

وكيف لاتصادر أمثال هذا الكتاب الذى ينقل عبارات من كتب ألفت فى عصر ـ الجهل المطبق والظلام الدامس ـ كتبها جهال يهرفون بما لا يعرفون ، وأدعياء أقل مايقال فى أحدهم :

فَدَعْ عن الكتابة لستَ منها ولو لطخت وجهك بالمداد

تنقل هذه الكتب هـذه العبارات التافهة بغير أن تفقه لها معنى ثم تصف بها أكرم الخلق عند الله .

سبحانك هذا بهتان عظيم !

وما باء البداية الأصلية التى جَعَل هذا الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نقطتها ؟

مهبط الأسرار الرحمانية

ومامعنى أن الرسول مهبط الأسرار الرحمانية ؟

والمعلوم أن الأسرار جمع سر . ولكلمة « سر » فى لغة العرب معان أذكرها للقارىء الكريم لعله يشحذ قريحته ويعمل فكره عسى أن يقف على المعنى الذى يوائم هـذا التركيب .

السر فى لغة العرب كما فى القاموس المحيط هو : مايكتم ، والجماع والذَّكَر ، والنكاح ، والإفصاح به ، والزنا ، وفرج المرأة ، ومستهل الشهر أو آخره أو وسطه ، والأصل ، والأرض الكريمة ، وجوف كل شىء ولبّه ، ومحض النسب وأفضله ، و بطن الوادى وأطيبه ، وما طاب من الأرض وكرم ، وخالص كل شىء ، ووادٍ بطريق حاجّ البصرة ، ومخلاف باليمن ، ووادٍ فى بطن الحلة ، وموضع بنجد .

هذه هى معانى كلمة السر فى لغة العرب ، ولا يصح أن يكون الرسول الكريم مهبطا لشىء من هذا كله لا حقيقة ولا مجازاً ، فما هذه الفوضى فى التعبير ؟

« البقايا تتوالى تباعا بإذن الله »

الـــــزكاة

بقلم السيدة حرم المرحوم الدكتور محمد رضا

أصل الزكاة : النمو والزيادة ، يقال : زكا الزرع أى : نما وزاد ، وسميت هذه العبادة : الزكاة . لأنها تزيد المال وتنميه فى الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) . وقال (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) .

والزكاة أيضاً : الطهارة والتنقية من الأقذار كما بين تعالى فقال (قد أفلح من تزكى) وقال (قد أفلح من زكاها) أى طهر نفسه ونقاها من الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة ، فالزكاة : تطهر قلب المرء من داء البخل الفتاك بكل فضيلة فى الإنسان وما يحيط به من المجتمع ، إذ تعوده الجود والكرم فتقيه شح نفسه وما يدعو إليه من ظلم وفجور وقطيعة كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » .

والزكاة : صدقة نسبية محددة وفريضة من أهم أركان الإسلام ، لأنها أقوى دعامة يقوم عليها بناء المجتمع الصالح الذى ترتبط قلوب أفراده بروابط الإخاء والتعاون والإيمان بأن على كل فرد حقاً لازماً فى ماله ونفسه ، لأخيه وبلده . ومن ثم جاءت الأوامر بها ، والترغيب فيها والثناء على المتصدقين فى كثير من آى الذكر الحكيم ، فلم يأمر الله بالصلاة إلا وأمر بجانبها بالزكاة ، ولم يمدح المصلين إلا وأثنى معهم على المتصدقين ، لأن الصلاة : شكر نعمة العقل والجسد ، والزكاة : شكر نعمة المال ، ولا تنتظم حياة الإنسان وتقوم إلا على النعمتين ، ولا يسعد العبد إلا بالشكرين .

وقد بين تعالى الذين يستحقون الصدقات فى قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من

الله ، والله عليم حكيم) فرض مساعدة هؤلاء فريضة ، وهم : الفقراء والمساكين ، والعاملون عليها هم الذين يجمعونها من أهلها فى البلاد ثم يوصلونها إلى من يتولى توزيعها وهم الذين يسمون الآن بالمحصلين ، والمؤلفة قلوبهم : هم الذين دخلوا فى الإسلام وتركوا أهلهم وأموالهم فالواجب أن تتعهدهم الحكومات والجماعات الإسلامية والأفراد بإعطائهم من الأموال ما يكفى لحاجتهم ومعيشتهم حتى تطمئن قلوبهم بالإسلام ويستغنوا بمجهودهم عن الصدقة ، وفى الرقاب : يُشترى من أموال الصدقات العبيد والإماء المسلمون ويعتقون ويحررون من الرق والعبودية ، والغارم : هو الذى تحمل من الديون ، والغرامات مالا قبل له به ولا قدرة له على سداده فيعطى من الصدقة ما يساعده على التخلص من رق الدين وذله . وفى سبيل الله : المصالح الإسلامية العامة من جهاد فى سبيل نشر الدين بالتعليم أو الدفاع عنه بالآلات الحربية وتموين الجيوش الإسلامية والمرافق العامة من المستشفيات والملاجىء وغيرها . وابن السبيل : الذى انقطع عن أهله ووطنه ، وليس معه مايصل به إلى بلده ولا ما يعيشه فيعطى من الصدقة مايساعده على الوصول إلى وطنه من أجرة السفر والطعام ونحوه .

لقد قضت حكمة العزيز الحكيم أن يجعل أفراد الناس متفاوتى المراتب فى المال . فمنهم من بسط له الرزق ووسعه . ومنهم : من قدر عليه رزقه وضيقه . وجعل للفقراء حقاً معلوماً وشركة فى مال الأغنياء . وكل ذلك لحكمة منه جل شأنه ليبلو أعمالهم وليتبين من آمن ممن كفر فيكافىء من أنفق فى سبيله وشكر ، ويعاقب من طمع وبخل وادخر . قال تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) .

وسمى الله تعالى مايقدم فى سبيله قرضاً ، لأن القرض لابد أن يرد إلى صاحبه مع الشكر له . وسماه قرضا حسنا ، لأنه لابد أن يكون من أجود وأطيب مايملكه المرء ، وأن يكون من حلال اكتسبه عن طريق شريف . قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) .

ووعد الله تعالى المتصدقين بالرحمة فى قوله (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) ووعدهم بدخول الجنة بعد تكفير السيئات فى قوله (لئن أقمتم

الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وآمنتم برسلى ، وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

و بين تعالى أن الصدقة لا تكون مقبولة ـ ولها هذه الثمرات الطيبة فى الدنيا والآخرة ـ إلا إذا كانت عن إخلاص وابتغاء وجه الله وطمعاً فى رضاه ، وكل صدقة أنفقت رغبة فى جزاء أو شكر وثناء من الناس أو حباً فى الزهو والفخر ، أو أتبعت بمنّ وأذى . فهى حابطة باطلة . قال تعالى (وسيجنبها الأتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) .

وقال (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا) .

وقال (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا مَنّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم . ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شىء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بماتعملون بصير) أى إن المن والأذى يبطلان الصدقات و يحبطان أجرها كما يحبطها الرئاء وحب الأحدوثة عند الناس .

ولا يحظى بأجر صدقاته و يفوز بأضعاف ماقدم من خير ، إلا من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه فى منازل الإيمان لأن المال شقيق الروح . فمن جاد به ابتغاء مرضاة الله لاابتغاء مرضاة هواه أو مرضاة الناس ، كان بذله مزيداً فى إيمانه وإصلاحاً لروحه فى الدنيا ، كما كان بذله مزيداً فى أجره فى الآخرة .

وقد أدب تعالى المؤمن وأمره بأن يعطف على اليتيم ولا يقهره ، و يرأف بالسائل

ولا ينهره . ويحدث بفضل ربه ويشكره . قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث) .

وينبغى على المسلم التقى أن يعطى الفقير وهو مسرور محب لذلك غير ساخط ولا كاره . وألا يمن عليه مهما فعل من سوء أو كفر بإحسانه لأنه إنما يعطيه حقه ويرد إليه الأمانة ، فلا يرى له على الفقير فضلا يستوجب منا ويقتضى مباهاة وفخرا ، ولا يستلزم من الفقير ولا من الناس ثناء ولا شكراً ، وهو يعرف أنه فقير مثله ، والفضل الحقيقى لله الغنى الذى تفضل وأعطى ، ويسر له الفقير يساعده على بلوغ ما يحب ويرضى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد) .

ولو تأمل العاقل لعرف أن الصدقة تنفع معطيها أكثر مما تنفع آخذها : لأن الآخذ يملأ بها بطنه أو يكسو بها بدنه . أما المعطى : فإنه يزكى بها نفسه ويعلى بها قدره . فأين نفع الآخذ الوقتى المادى . من نفع المعطى العظيم الأبدى . ؟؟

فينبغى على المعطى أن يشكر الآخذ لا أن يمن عليه ، ويراه بقبوله صدقته متفضلا عليه ، لأنه هو الذى فتح له باب الخير والربح فى الآخرة فلولاه لما ربح هذا الأجر العظيم ، ولما ادخر عند الله متاعه فى جنات النعيم .

وقد ضرب الله تعالى المثل لقلب المنافق الذى يرائى الناس بعمله لأنه لا يؤمن بالله ولا يرجو فضله ، بصفوان عليه تراب أى حجر صلد عليه قليل من التراب أصابه مطر غزير فجرف ما كان عليه فعاد أملس لا يصلح لزرع ولا يأتى بخير . ومثل المؤمن المنفق فى سبيله وابتغاء مرضاته وتثبيتا لنفسه فى منازل الإيمان ، ببستان بأرض جيدة مستوية مرتفعة لا يركد فيها الماء ، فالربوة أجود الأرض وأخصبها . تؤتى ثمرها بأقل ما يصيبها من الماء الذى هو الطل أى المطر الخفيف ، فكيف بها لو أصابها مطر وابل ؟ إنها تخرج ثمراً مضاعفاً وتؤتى خيراً كثيراً لخصوبة أرضها وجودة تربتها وحسن موقعها .

فالمؤمن المنفق ابتغاء مرضاة الله كالجنة الجيدة التربة العظيمة الخصب فى كثرة بره وإنفاقه . إن أصابه خير كثير أغدق ووسع فى الإنفاق وكثر نفعه للناس . وإن أصابه خير

خير قليل أنفق منه بقدره . فهو يجود بقدر سعته ، بل يؤثر على نفسه ، أما الكافر : فإنه إذا أصابه خير كثير طغى و بغى وزاد ضرره وظلمه للناس كلما زاد ماله ونفوذه ، وإذا أنفق أنفق رئاء الناس لأنه لايريد إلا الحياة الدنيا ولايوقن بثواب الصدقة ، ولأن قلبه تجرد من الرحمة فصار كالحجر الصلد كما شبهه تعالى به لقسوته و بين أنه لا يجنى من عمله أى ثمرة لأنه كان لغير الله ومرضاته . والوابل والطل : هما كناية عن سعة الرزق وما دون السعة .

ومن العجب أن نرى أكثر الناس ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولحبهم الظهور بالكرم والغنى يسرفون على أنفسهم وعلى غيرهم ويتوسعون . ويكثرون من الولائم والحفلات ويقدمون لأصدقائهم الأثرياء الهدايا الغالية الثمينة ، ولا يبخلون بالكثير حباً فى التفاخر والعلو فى الأرض ، ويبخلون بالقليل على الفقير المحتاج فيطعمون الشبعان ويحرمون الجوعان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليه الشبعان ويحبس عنه الجوعان » .

فواعجباً لهؤلاء الذين يفرحون لما يرضى الناس من نفقة ، ويألمون لما يرضى الله من صدقة فينفقون رئاء الناس وهم مبتهجون ، ولا ينفقون فى سبيل الله إلا وهم كارهون كما وصفهم تعالى (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) .

ومن الناس من لايتصدق إلا على من يأمل الانتفاع منه ويرجو خدمته . أو من يتملقه ويتزلف إليه ، ويحرم الأحق والأولى بالصدقة ، وهذا لأنه لايتصدق إلا ليرضى هوى قلبه ، لا ليحظى برحمة ربه ، فليس لمثل هذا أجر على صدقته الهوائية ، لأنه أخذ أجرها فى الدنيا خدمة ومداهنة .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « لاتحل الصدقة لغنى وذى مرة سوى » .

فالصدقة لاتحل إلا لمحتاج فقير ، أو عجوز مريض لاعائل له ، أو من به عاهة تمنعه عن العمل . فحرام على الغنى أو القوى السوى أن يأخذ من حق الفقير العاجز فيأكل أموال الناس بالباطل ، وحرام كذلك على المتصدق أن لا يوصل الأمانة إلى أهلها فيعطى رجلا قوياً سوياً قادراً على العمل لا عذر له فى الاستجداء ، فيحرضه على البطالة والكسل ،

ويعوده استمراء الكسب الهين الذى يناله بلا تعب ولا عمل ، فإن كثيرا من الوقحين يدعون الاحتياج ويتصنعون الفقر ويسألون الناس إلحافاً ليتوسعوا ويتمتعوا وليدخنوا ويرتعوا ، فالويل لهم من عقاب الله لأنهم يتمتعون بحاجة اليتيم ودواء المريض ولقمة الجوعان وكسوة العريان . قال صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر » وقال : « ما سأل عبد مسألة إلا زاده الله بها ذلاً » .

وقال تعالى فى بيان من هو أهل للصدقة وأولى بها (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً) أى لا يطلبون من الناس صدقة مع أنهم فى أشد الحاجة إليها لما هم فيه من الفقر ، بل يتظاهرون بالغنى تعففاً لأن عزة نفوسهم تمنعهم من السؤال . فهم يؤثرون غنى نفسهم بالكرامة على غنى يدهم بالاستجداء ، بل ربما إذا أعطوا رفضوا العطاء .

فيجب على المتصدق أن يتحرى مواضع الاحتياج فى إغاثة الملهوف ، وإسعاف المريض ، وتربية اليتيم ، وإشباع الجوعان . لا إشباع الشره الكسلان .

ويجب أن يعطى الفقير قدر حاجته وضرورته لا قدر متعته وشهوته وأناقته ، لأن الله تعالى يأمر بعدم التبذير وعدم إعطاء الفقير إلا حقه أى مايستحقه من ضرورة فى قوله (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) إن الله تعالى يحذر المتصدق فى هذه الآية الكريمة من التبذير الذى تدفع إليه الغريزة الفطرية من رحمة وعطف على ذوى القربى ومن شفقة على المسكين وابن السبيل ، وذلك : لأن المتصدق إذا أغدق العطاء على من يحب ومن يشفق عليه من الحق المعلوم للسائل والمحروم ، فتصدق على القريب الفقير لينعم ويتوسع أو ليدخر ويجمع لا ليكتسى ويشبع ، حرم غيره مما هو لازم لضرورته ، ولم يعط صاحب الحق حقه فكان من الظالمين ، وحرض على الطمع والاعتداء على حق الغير فكان بصدقته من المفسدين المبذرين . فليس مال الصدقات ملك المتصدق حتى يوزعه كما يشاء وعلى من يحب إنما هو أمانة أوصاه الله تعالى بأن يؤديها إلى أهلها ، ووصفهم له ليبحث عنهم. فليحذر المؤمن ألا ينفذ وصية ربه وألا يقوم بما كلفه به خير قيام فيحول الصدقة إلى تبذير وتقصير . وأجرها

إلى وزر ، وليحذر أن يغضب ربه ليرضى قريبه أو حبيبه وأن يكون بتبذيره ممن وصفهم الله تعالى بقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) .

وقد أمر تعالى بالإنفاق سراً وعلانية لحكمة عظيمة فى الحالتين .

فالإنفاق سراً : خير للمعطى وللآخذ معاً . إذ لا يشعر المعطى بالزهو بما أعطى أمام الناس فتحبط صدقته . ولا يشعر الآخذ بذل الاستجداء وخجل الاحتياج أمام الناس ، فتحفظ كرامته .

وأما الإنفاق علانية : فيكون فى بعض الأحوال قدوة حسنة للناس تحثهم على المسارعة فى الخيرات وتشجعهم على الإكثار والاستمرار فى التصدق ، ففى كلتا الحالتين حكمة وفائدة فى الأولى نفع للفقير وللمتصدق . وفى الثانية نفع للمجتمع ولذلك يقول الله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ويقول (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ويقول (قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) .

فالمسلم العاقل يتحرى ما هو الأوفق والأنسب لكل حال فيخفى الصدقة إذا كان فيها ذلة وتحقير للفقير ، ويعلنها إذا كان فيها حض للغنى أو تخجيل للبخيل .

وفى الحديث أن جماعة من الفقراء جاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فخطب الناس ورغبهم فى الصدقة على أولئك الفقراء فقام رجل إلى بيته وجاء بصرة لا يكاد يحملها بل عجز عن حملها فلما رآه الناس تسابقوا فى الصدقة وجاء كل بأكثر ما يستطيع حتى اجتمع شىء كثير سر له النبى صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وقال ـ مشيراً إلى هذا الرجل ـ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » .

وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) وقال (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه . واعلموا

أن الله غنى حميد) يقول تعالى إنكم لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من مال وثمار وطعام وغيره .

فيجب أن يكون ماتقدمونه إلى الله من أجوده وأطيبه لا من الخبيث الذى لاترضون مثله لأنفسكم ولا تقبلون أخذه إلا على كره واضطرار فيلجئكم أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه عنه فلم يرعيبه .

وقوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) أى : أنفقوا من كل ما أنعمت به عليكم من شتى أنواع الرزق سواء كان سببه كسب أيديكم أو ما أخرجه لكم من نبات الأرض ومعادنها أو مما ترثون فكل ذلك فضل منه يجب شكره له بنفقة بعض الجيد منه فى سبيله وابتغاء مرضاته .

فكلما كثر مال المرء وزاد تمتعه وتنعمه وجب عليه شكر كل لذة ومتعة كمالية بصدقة تنيل الفقير حاجته الضرورية ، فيغيث من يقاسى الحرمان و يتألم ، كما وسع الله عليه فتنعم ، قال تعالى (وأحسن كما أحسن الله إليك) .

فالمؤمن لا تلهيه النعمة عن شكر المنعم ولا يدعوه حب نفسه إلى نسيان غيره .

وقال تعالى (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) أى : الذين ينفقون فى وقت اليسر وفى وقت العسر ، فإنفاق المال فى السراء وفى الضراء أدل على التقوى وأشق على النفس ، فبذله فى سبيل الله فى السراء والغنى وكثرة المال الذى يدعو إلى الأشر والبطر وشدة الطمع و بعد الأمل و يدفع إلى الترف واللهو والانغماس فى اللذات التى تبعد المرء عن ربه وتلهيه عن ذكره يدل على التقوى والإيمان .

وفى الحديث « خير الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح ترجو الحياة وتخاف الفقر »

وأما الإنفاق فى الضراء : فلأن الإنسان يرى نفسه معذوراً إن لم يعط وهو أولى بما يعطيه .

ولكن المؤمن مهما كان فقيراً فإنه فى سبيل مرضاة الله وطمعاً فى مضاعفة جزائه ، يؤثر بالقليل الذى فى يده و يعطيه من هو أحوج وأفقر منه فى نظره (و يؤثرون على أنفسهم

ولو كان بهم خصاصة) فهو كما قال تعالى كجنة بربوة تؤتى أكلها إذا أصابها طل ، ولا ينقطع خيرها زاد سقيها أو قل . وهو كالزارع العاقل الذى يبذر فى أرض جيدة بعض ما عنده من القمح بالرغم من قلته لينال فيما بعد الخير الكثير والربح الجزيل . فهو يصبر اليوم على الجوع والحرمان ليتمتع غداً بما يحب ويشتهى .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم « على كل مسلم صدقة ، فإن لم يجد : يعمل بيديه لينفع نفسه ويتصدق ، فإن لم يستطع : يعين ذا الحاجة الملهوف ، فإن لم يستطع : يأمر بالمعروف أو الخير فإن لم يفعل يمسك عن الشر فإنها صدقة » .

فالصدقة والنصيحة والمعونة : فرض على كل مؤمن غنياً كان أو فقيراً عالماً أو جاهلا ، كل على قدر ماله وعلمه وقوته .

فالفقير يعطى من هو أفقر منه ، والجاهل يرشد من هو أجهل منه ، والقوى يعين من هو أضعف منه . فلا بد لكل مؤمن أن يتصدق مما رزقه الله وينفع أخاه مادياً وأدبياً .

وقد بين الله تعالى لنا أنه سيضاعف الصدقات مضاعفة مختلفة من ضعفين إلى سبعمائة وإلى أكثر من ذلك (والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وهذا يدل على أن الصدقة تختلف قيمتها ويتفاوت جزاؤها على حسب إخلاص وإيمان منفقها وعلى نسبة ماله قلة وكثرة وعلى الظروف من الشدة والرخاء وعلى حسب حال الفقير . فلربما كان قرش من الفقير أعظم أجراً من مائة دينار الغنى بالنسبة لما يملكه .

وربما كان قرش من تقى أنفقه ابتغاء مرضاة الله أعظم من ألف أنفقها جاهل تقليداً لغيره أو رئاء الناس أو أنفقها كارهاً مرغماً خجلا من أن يقال : بخيل . ورغيف فى وقت المجاعة خير من دينار فى وقت الرخاء . وقرش أغاث ملهوفاً أو أنقذ مريضاً من الألم خير من دينار رفه ومتع طاعماً كاسياً . بل ومليم أخرجه فقير من ضرورته لينقذ غيره خير من آلاف أخرجها غنى من فضل ماله فلم تغير شيئاً من كيفية معيشته ولم تنقص من ترفه ومتعه ولهوه فلم يشعر بها كما شعر الفقير بنقص مليمه . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « دينار سبق ألفا . قالوا يارسول الله كيف يسبق الدينار الألف ؟ قال : رجل لا يملك إلا دينارين فتصدق

بأحدهما فقد تصدق بنصف ماله . ورجل تصدق بالألف من عرض ماله قال بالألف هكذا)
وقال الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

فالويل للقاسية قلوبهم الذين مثلهم الله بصفوان عليه تراب إذا أصابه وابل تركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا إذ ركبوا من الإسراف مطايا جامحة إلى منع حق الفقير فيما خولهم الله من مال ، زاعمين أن استنفاد أموالهم فى الملاذ والكماليات عذر فى عدم الصدقة ولعل الله يعفو عنهم بذلك العذر!

ولقد خاب فألهم لأن الله تعالى قد نص فى كتابه على أن للفقير حقاً معلوماً فى هذه الأموال حين تقع فى يد صاحبها بقوله (وآتوا حقه يوم حصاده) أى : قبل أن تنفقوا من المال على أنفسكم يجب أن تعطوا حق الفقير أولا ، فلا يتوهمن مسرف بعد هذا أنه غير مطلوب منه ولا محاسب عن صدقة فى ماله مادامت اللذات والزينات تستغرق كل دخله ، ومادامت المدنية الكاذبة تفرض عليه من زخرفها وترفها ما يمنعه من أداء مايفرضه عليه الله تعالى . وليعلم أنه لو اقتصد فى معيشته فأعطى للفقير حقه ، لأنقذ نفسه وغيره . ولكن كيف الفلاح بين هوى جاذب ، وجهل غالب ، وأمل كاذب ، وحرص دائب ؟؟

أليس من الحماقة أن ينعم الله تعالى على الغنى بنعمة نافعة له فى الدنيا والآخره فيحولها إلى مضرة ؟ و بدل أن يستفيدها له يسلطها أذى عليه ، فيشترى بها عذابه فى الجحيم بدل أن يشترى بها سعادته فى جنات النعيم . ؟؟

حقاً إن الأحمق لعدو نفسه ، لأن من أحسن فبنفسه ابتدا . ومن أساء فعلى نفسه اعتدى ، ومن اهتدى فلنفسه اهتدى ، والشقى هو من يجمع المال لغيره ، و يبخل عن نفسه بخيره ، فلا يفوز بأجره . ولا يسلم من شره ، بل يشترى به أوزاراً يحملها على ظهره .

قال تعالى (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) وقال (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم) وقال (وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) .

إن للفقراء حقاً معلوماً فى مال الأغنياء وأمانة يجب أن يردوها إلى أصحابها . فكيف لايستحى غنى من أن يغتصب حق الفقير ويخون ما ائتمنه الله عليه . وقد أعطاه الكثير فطمع فى القليل وسولت له نفسه الجشعة أن يستأثر به كله . ؟ فما أوقحه وأجرأه على الله وما أعظم الخيانة التى يقترفها بسرقة قوت الفقير وحاجته . إنه يسرق طعام الجوعان ، ليدخر ويجمع ، ويعذب أخاه الإنسان ، لينعم ويرتع ، ويذيقه ألم الحرمان ، ليسرف ويتوسع ، فظلمه لنفسه أشد من ظلمه لغيره ، لأن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وأفظع (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) .

تأمل أيها الإنسان فضل الله ورحمته وكرمه إذ يعطيك المال ويسبغ عليك نعمه ثم يتقبل القليل منها ويعتبره قرضاً وهو من جوده ، ثم يضاعف ويكافىء عليه وهو من عطاء يده وكرمه ثم تصور صفاقة وجهك إذ لاتقرض من رزقك وأغناك ، وتضن بالنذر اليسير مما أعطاك ، وقد وعدك بأنه سيرده إليك مضاعفاً فى يوم رهيب يوم لاينفعك فيه مال ولايجيرك فيه حبيب ، ثم يقول لك : أقرضنى ، فلا تستحى من أن تتصامم ولا تجيب . ؟

إنك ياهذا تخجل من عبد أحسن إليك وتسارع إلى طاعته إذا طلب منك شيئاً ، فكيف لا تخجل من ربك الذى خلقك من قبل ولم تك شيئا . ؟؟

لم يبق بعد هذا الترغيب والترهيب وبعد هذا التعليم والتهذيب ، إلا أن يكون المؤمن بهذا الهدى أشد الناس رغبة فى الصدقة فى سبيل الله بحسب سعته وحاله ، وأن يكون فى بذله مخلصاً متحرياً بواقع الفائدة لينفع وينتفع بماله .

فأسرع أيها العاقل إلى الإنفاق فى سبيل الله ولا تلق بنفسك إلى الهلاك . (وأنفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وتذكر أن نصيبك من مالك هو الذى تدخره ليوم مآلك ، فكل مايدخره المرء فى هذه الدنيا سيفقده ، أما كل مايقدمه لنفسه ويدخره عند ربه فسيجده (وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) .

فكن حريصاً على مصلحتك الأبدية ولا تبخل عن نفسك فتدخر لها العذاب وبادر إلى تقديم ما أخرت من زكاة فى ماضى عمرك ، لأن الله لايتقبل التوبة ويغفر إلا لمن تاب

وأصلح . فأصلح تقصيرك وتفريطك فى جنب الله وأنقذ نفسك من عذاب يوم عبوس قمطرير ، لا ينفعك فيه شفيع ولا ولى ولا نصير (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون) .

فاحذروا أيها الناس أن تظلموا أنفسكم وغيركم ببخلكم وأن تحرموا فتُحرموا وتندموا حيث لا ينفع الندم ، فمن يَرحم يُرحم . ومن يَحرم يُحرم ، ومن يبخل يندم ، ويكوى بما كنز فى نار جهنم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) . صدق الله العظيم .

روحانية الأضرحة

قال صاحبى :

— إسمح لى أن أقول لك يا أخى : إننى عند ماأزور الأضرحة : أشعر بروحانية بهيجة ؛ تهتز لها نفسى ويسعد بها قلبى ! مع أنى أومن بأن الأولياء الصالحين لايملـكون لنا نفعاً ولا ضراً . . . فما رأيك فى ذلك . ؟

قلت :

— واسمح لى ياأخى أن أقول لك : أننى لاأقبل أن أزور الأضرحة ، ويخيل الىّ أننى لوزرتها ـ افتراضاً ـ لاشمأزت نفسى واقشعر بدنى .. وأنا أومن مثلك بأن الأولياء الصالحين لايملـكون لنا ـ ولا لأنفسهم ـ نفعاً ولا ضراً ... فما رأيك أنت ؟

قال صاحبى : لا أدرى .

— قلت : المسألة فى الحقيقة ترجع إلى العقائد التى يؤمن بها الإنسان ، والأفـكار التى يدين نفسه بها .. ولأضرب لك مثلا :

المسيحى الذى يزور ضريح مار جرجس أو سانت تريزا ؛ يشعر بروحانية تهتز لها نفسه ويسعد بها قلبه ... فهل هذا يدل على صدق عقائد هذا المسيحى • وصحة عمله عند الأضرحة ؟

قال صاحبى : لا.

قلت : تبعاً للعقائد التى يؤمن بها الإنسان ؛ تندفع جوارحه إلى أعمال يراها فى غاية الصحة والسداد ؛ فإذا فتش فى هـذه العقائد ، وبحث أصولها وحكم عقله فيها بغير تحيز ؛ فاهتدى إلى عقائد أخرى منافية لها ، فآمن بها ؛ وكفر بالعقائد الأولى . . . فلا شك أنه سيندفع إلى أعمال أخرى غير تلك الأعمال الأولى أيضاً ، وسيضحك من نفسه ، ويشعر بغباوتها عند ما كان يقوم بتلك الأعمال .

فالمسلم الذى يضىء قلبه نور التوحيد ؛ يتعجب كيف كان فى يوم من الأيام : يقبل الأعتاب ، ويهيل على رأسه التراب ؟ وكيف كان يشعر بأن ذلك روحانية وسمو .. . وهو يراها اليوم إشراكا ووثنية .

قال صاحبى :

— بماذا تعلل هذا الارتياح والنشوة التى يحس بها زوار الأضرحة . ؟

— هذا يرجع إلى ميل القلب وهوى النفس ، إذا كانت العقيدة سليمة ، مالت النفس إلى الطيب .

انظر إلى ذلك السكير الذى يؤمن بأن الخمر (مزاج) تراه يتذوق مرارتها حلاوة ، ويعتبر خبلها نشوة ، وصداعها انسجاماً ، والجلوس مع السكارى أمثاله انتعاشاً بصفوة ممتازة .

أنظر إلى ذلك الحشاش الذى يؤمن بأن الحشيش (مزاج) تراه يستطعم نكهته الخبيثة ، ويعتبر بلادة الإحساس حكمة والغيبوبة فلسفة ، والجلوس مع (المساطيل) أمثاله سعادة ما بعدها سعادة .

هذا فى الخبث المادى كالخمر والحشيش ، وكذلك الأمر فى الروحى منها .

فهل ميل الإنسان لهذه الأفعال دليل على صحتها ، بمعنى أنها توافق الفطرة .؟

كلا . فليس كل ما مالت إليه النفس حقاً فى ذاته ، بل على العكس :أغلب ما تميل إليه النفس يكون شراً . . . وإن النفس لأمارة بالسوء . إلا ما رحم ربى ..

فما بالك إذا كانت النفس قد فسقت عن أمر ربها ، ففسدت الفطرة ، وملحت عذوبة القلب ؟ ؟ .

قال صاحبى : اقتنعت وشكر الله لك .

قلت : وأعاذك الله من روحانية الأضرحة .

عبد الفتاح الزهيرى
ضابط بالقوات المسلحة

٤ — من شرفات التاريخ

التضحية فى سبيل العقيدة — ٢

الصحابى البطل عاصم بن ثابت

بقلم الأستاذ محمود محمد البرماوي

« ملخص ماسبق : استشهد ابن الأفلح فى سبيل الله ، وكانت سلافة قد وعدت من يأتيه برأسه بليلة يعربد فيها الشيطان معها . وعمى الله على قاتلى البطل فاجتزوا رأس غيره ، وهم يظنونها رأس ابن الأفلح » .

عقدت الدهشة لسان « سلافة » وغمرتها فرحة وأذهلتها مفاجأة كانت سارة ، أهذه رأس ابن الأفلح ؟ أهذه الرأس التى كانت على كتفى فارس إسلامى ، أذلّ قومها وقتل ولديها ، ونادى بالتوحيد مع محمد ، فلا عُزّى ولا هبل ، ولا إساف ولا نائلة ؟ ؟ هيه يابن الأفلح ؟ ؟ .

استطعت بجمالى وسحرى ومالى أن أذحرج رأسك عن كتفيك ، وأجرّها تطوى الصحراء ذليلة ؟ .

وسرعان ماالتأم سامرها حولها ووقفت تزغرد وتهتز وتغنى وتمايل ، قد اشتد عطشها إلى الخمر وازداد ميلها للشراب ، وأقسمت أن تجعل هذه الليلة يتناقلها الرواة من قريش ، وتتحدث بها الأجيال . . وارتدت للحفل ثوباً شفافاً كاشفاً عما تحته ، ولفّت وسطها بحزام مطرز ، ووضعت على رأسها منديلا مُثَقَلاً بحبات الخرز ، ثم نحرت الإبل ، ومَدّت الموائد وملأت كؤوس الخمر ورقصت على رنين الدفوف وضربات الأكف وصفير الرقعاء من المخمورين ، وصبّت أول كأس لنفسها فى قحفة رأس ابن الأفلح ولم تشرب ، بل أدارت الكئوس على خلانها وطلاب المتعة من جسدها ! ! .

وعميد فارس الحلبة وبطل الحفل يتعجل نهاية الحفل لينعم بالجسد الرخيص ، والمتعة المحرّمة ، والليلة التى تنقطع دونها أنفاس الصناديد ، وتمتد إليها رقاب المغاوير ، وتشرئب لها أعناق الفحول ، كم من قلب نبض بحبها ، وخفق لقربها وهفا للانفراد بها .

فرحة لم تتم

ويريدُ اللهُ ألا تتم الفرحةُ ، بل يريد أن ينقلب الفرح مأتماً فبينما القوم فى سكرهم والخمر تدور برءوسهم وسحر « سلافة » ينعشهم ، إذا بهم يسمعون صوتاً قادماً من بعيد كأنه مطارق من حديد . أو كأنه قصف الرعود فى أسماع السكارى ! ! التفوا حول صاحبه يسألونه ماالخبر ؟ ؟ ويتفرسون فى وجهه . وإذا هو صاحبهم « العباس بن عامر القرشى » يلوّح بيده فى الهواء و يضع الأخرى على جرح فى جبهته يكتم الدم الذى ألحّ عليه النزْف . رفع عامر رأسه وقال فى صوت يشبه الهمس ، إلا أنه مُتَميِّز مسموع ، وقد حبس القوم أنفاسهم لئلا يفوتهم حرف واحد من الكلمات التى يقولها « العباس » ، استمعوا له وهو يشير إلى الفاجرة ويقول : لا تشربى الخمر ياسلافة فى القحفة التى بين يديك لأنها رأس أخيك جبير » وقص عليها القصة كاملة والقوم فى ذهول ينظرون إليه نظر المغشى عليه من الموت و ينصتون ناكسى رءوسهم لأن العباس معروف بحقده على محمد ودين محمد وضغنه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب محمد رضوان الله عليهم .

والفضل ماشهدت به الأعداء

ولم يكن عندهم كذوباً و بخاصة ، وهو يلفظ آخر أنفاسه و يسرع به أجله ليدنيه من النهاية ، فكيف يقص هذه القصة بأمانة وصدق ، ثم ماالذى يدعوه إلى أن يتحمل المشاق لينفض هذا الخبر ؟ ! ثم ماالذى يجبره على أن يرويه للناس ؟ وما الفائدة التى تعود عليه من نشر محاسن الدين ومحاسن أهله ، وهو المشرك مثلهم الذى قوض الإسلام مجده الزائف الغابر وأدال من سطوة أوهام اللات والعزى وسائر الحجارة المنصوبة لأهل الجاهلية ؟ ! .

وما الذى يعود عليه من هذه القصة التى كلها دعاية صالحة للدين الجديد ؟ بل كان

الأولى له أن يعرّج على منزله يستشفى به من جرح أصيب به من أيدى المسلمين ؟ ! .

إن العباس أذاع الخبر ، وأذاع معه شيئاً زعزع عقائد الكافرين فى آلهتهم وحول أنظارهم وأفهامهم لهذا الدين ، إنهم عبدوا الصخور فلم تسمع لهم دعاء ولم تُلَبِّ لهم نداء ، ولكن عاصماً عَبْدَ الله رب محمد ورب الناس أجمعين . ثم دعاه فاستجاب دعوته وحفظه ، ولم يستطع أحد من المشركين أن يعثر عليه .

شهــــادة

وترمى سلافة « الصاجات » وتحل الحزام وتجلس على الأرض وتضع رأس العباس فى حجرها وتهزه فى لهفة تستوثق مما قال ، فيقول لها ماقاله آنفاً ثم يشح عن الوجه المحسور والقوم السكارى ويغمض عينيه رويداً رويداً ، ويتمتم فى نغم طيب شجى وهو يخوض غمرات الموت ، فيقول : اللهم رب محمد ، إن محمداً على حق ، وأصحابه الذين آمنوا معه على حق . وقد رأيت الدليل وأبصرت وسمعت ، يارب أنا معه ومعهم ، يارب تقبل منى . أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وكل واحد يقلب كفيه حسرة وندامة ، ويردِّدُ بغير وعى آخر كلمة نطق بها صاحبهم قبل أن تطوى صحيفة حياته إلى الأبد لتسطر فى سجل الخلود .

محمود محمد البرماوي
مدرس بمدرسة عمر مكرم بشبرا مصر

٤١

كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله

أرسل إخواننا أنصار السنة إلى فضيلة الأستاذ الكبير مدير الوعظ والإرشاد شكوى مطولة من جماعة نُصِّبوا للوعظ والإرشاد ، فأبوا إلا أن يكونوا دعاة فرقة وتحزب مقيت . وإليك بعض ماجاء فى شكوى إخواننا أنصار السنة بقرية الملايقة تبع أولاد مهنا مركز بلبيس إلى مدير الوعظ والإرشاد :

وإلى سيادتكم بعض ما أفتوا به : ففى يوم الجمعة ٩ شوال سنة ١٣٧٨ هـ. حضر أحد الوعاظ وأفتى بما يخالف الحق . وعندما وجهنا له السؤال بأن يأتى لنا بدليل غضب وواجهنا بالشدة والعنف وقال : إذا قلت : يا رب جائز . وإذا قلت يا سيدة جائز ولا حرج . ودعاء الأولياء جائز كما أن دعاء الله جائز . ولما طلب إليه الدليل مرة أخرى من أكثر من شخص أجّل الرد ووعد به ثم أسر للبعض بأنه لم يأت ليقرر حقا ولكن ليزيل خلافا . . . ؟

كما قال عن الجهر بقراءة سورة الكهف فى المسجد بأنه متواتر . وأمر بوضع الراديو فى المسجد وبهذا زاد اشتعال نار زعم أنه أطفأها ، ونهانا أن نصعد المنبر بعد ذلك وقال : إنه سيأتى مرات متتابعة أو يرسل من ينوب عنه .

وفى يوم الجمعة ١٦ من شوال أرسل مدرساً من المدرسين بمعهد بلبيس الدينى ليتمم مابدأ ويؤيد ما قال .

وفى يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ١٣٧٨ هـ. أيضاً ، أرسل واعظاً حيث سار على نفس التحدى ومتابعة المنهج وكلهم يرفض الدليل وهذا أفضل ما نطقت به ألسنتهم . أما نحن فقد لزمنا الصمت ولم نجد للمحاجة من سبيل إلا أن تمر بسلام .

« الهدى النبوى » إن فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد

رجل نعرف عنه أنه من أكبر أنصار دعوة الحق ، وأنه عالم جليل . له جهاده العظيم فى خدمة الإسلام هنا وفى ربوع البلاد الإسلامية فى إفريقية وغيرها . ونحن لا نستعديه على هؤلاء الذين أغفلنا ذكر أسمائهم ، وإنما كل ما نريده أن يقول أخونا الأستاذ الجليل لهؤلاء إننا لا نعيش فى عصر الجيف والرمم ، ولكننا نعيش فى عصر الحياة المكافحة المناضلة ، ونضالنا فى سبيل عزة الإسلام يربط قلوبنا بالله وحده ، لا بهذه الرمم التى أكل منها الدود ونخر فيها السوس . ونحن على يقين من أن الأستاذ الكبير لا يرضيه مطلقاً أن ينسب قول هؤلاء إلى الإسلام .

اعلان

تنتهى بهذا العدد السنة الثالثة والعشرون لمجلة ﴿ الهدى النبوى ﴾ وتستهل بالعدد القادم إن شاء الله سنتها الرابعة والعشرين .

وبهذه المناسبة ترجو إدارة المجلة من السادة المشتركين الذين انتهت اشتراكاتهم بهذا العدد أن يتكرموا موافاتها باشتراكاتهم للعام الجديد مشكورين .

كما ترجو السادة المتعهدين بأن يتكرموا بإرسال ما لديهم من أثمان المجلة :

والإدارة تهنىء السادة القراء والمسلمين عامة بعيد الأضحى المبارك وكل عام وهم جميعاً بخير أعاد الله أمثال هذا العيد المبارك بالخير والبركات على المسلمين أجمعين .

رجاء

إدارة المجلة ترجو من الأستاذ قطب أحمد جاد رئيس الجماعة بفرع البتانون مزيد التكرم بالاتصال بها لتسديد حساب المجلة المتأخر لديه وشكرا .

٤٣

الشيخ محمد المدنى
(رحمه الله)

توفى فى شهر ذى القعدة الماضى فضيلة الأخ الشيخ محمد ملوخية المدنى بمدينة دمنهور ، وكان رحمه الله مشهوراً بلقب (ملوخية) نسبة إلى أسرته الكبيرة المعروفة بهذا الاسم فى مديرية البحيرة . وقد طلب العلم فى صباه بالازهر الشريف ، وشغف بعلوم السنة بصفة خاصة ، حتى أصبح ذا بصيرة نافذة فى الحديث ورجاله .

وفى مستهل حياته طاف بأكثر البلاد الإسلامية ، تارة يطلب العلم ، وتارة أخرى يعلمه للناس . فرحل إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة فترة طويلة ، ورحل إلى نجد والهند وجاوة وتركستان وأفغانستان و إيران والعراق وتركيا والشام ، وكان همه الأكبر فى رحلاته دعوة الناس إلى التوحيد ، والتعرف إلى أحوال المسلمين فى شتى البلاد ، وكان ـ رحمه الله ـ يروى كثيراً من الطرف والنوادر عن أحوال الشعوب الإسلامية وعاداتهم وأخلاقهم وشئونهم فى دقة ومعرفة قلما تجتمع لإنسان فى هذا العصر .

وكانت تربطه بفضيلة الإمام الراحل الشيخ محمد حامد الفقى صداقة أخوة ومحبة قديمة ترجع إلى مايقرب من نصف قرن . وكانت له زيارة سنوية للإمام فيحتفى به حفاوة بالغة ، وكان يعده فى شيوخه ، ولما بلغه نبأ وفاة الاستاذ الإمام حضر إلى القاهرة ومكث بها أياماً عزى إخوانه فيه وتلقى تعازيهم ، ثم عاد إلى دمنهور ، ثم ذهب إلى الإسكندرية ، وهنالك شعر بالمرض فعاد إلى بلدته دمنهور حيث وافته المنية ، فذهب إلى ربه راضياً مرضياً (إن شاء الله) .

اللهم اغفر للشيخ محمد المدنى وارحمه وتجاوز عن سيئاته ، اللهم وسع مرقده ، ونور قبره واجعله روضة من رياض الجنة ، اللهم احشره فى زمرة الصديقين والشهداء والصالحين تحت لواء نبيك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

إدارة المجلة

مسجد الله

بعون الله تعالى :

اعتزمت جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بناء مسجد تلحق به مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وقاعة للمحاضرات ، ومستوصفاً لعلاج الفقراء ، وقد حصلت من وزارة الشئون الاجتماعية على التصريح رقم ٤٣ لسنة ١٩٥٩ لجمع التبرعات . وينتهى أجل هذا التصريح فى ٤ / ٨ سنة ١٩٥٩ .

وترجو الجماعة أن يمد لها ذوو الفضل واليسار والغيرة على الدين ، وخصوصا أنصار السنة المحمدية أينما كانوا يد المساعدة حتى تستطيع أن تنهض بهذا المشروع الذى سيكون إن شاء الله مناراً للدين الصحيح ، وحرباً على الخرافات والبدع ، والمبادىء الهدامة .

وترجو التفضل بإرسال ما تجود به نفوس الخيرين لهذا المشروع العظيم ، باسم السيد / سليمان محمد سليمان حسونه أمين صندوق الجماعة : ٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ؟

الإسلام دين العمل

للأديب رمضان بيومي زامل

عنى الدين الإسلامى الحنيف بالعمل عناية كبرى ، وحث الله تعالى عباده على العمل والسعى فى الأرض لتحصيل أرزاقهم . فقال تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » وقد استجاب أسلافنا الأولون إلى هذا الأمر الكريم بكل أمانة وعناية . فعملوا وجدوا واجتهدوا ولم يعيشوا على هامش الحيــاة بل نزلوا إلى معتركها وعملوا بأيديهم وتاجروا فى أموالهم حتى بلغ بعضهم مبلغاً عظيما فى الثراء كعبد الرحمن بن عوف . وغيره من كبار التجار فى صدر الإسلام : وما ذاك إلا لأنهم فهموا الإسلام على حقيقته . فهموه على أنه دين عمــل ، لاتكاسل فيه ــ دين جــد لا تواكل فيه ــ دين اجتهاد لا خمول فيه . ولقد رباهم النبى صلى الله عليه وسلم على حب العمل . رباهم على أن يكونوا عصاميين فى هذه الحياة وقد أثمرت هذه التربية النبوية المباركة ثماراً طيبة ، فأنشأ النبى صلى الله عليه وسلم جيلاً من الرجال العاملين نفع الله بهم الإســلام فبذلوا أموالهم فى سبيل الدعوة الإسلامية وعاونوا إخوانهم على صروف الدهر ونوائب الأيام ، وساعدوا الرسول عليه السلام فى كثير من مواطن البذل والتضحية وخير شاهد على ذلك ، مانقله إلينا كتاب السيرة من حديث جيش العسرة . ونحن إذا تأملنا حياة الرسول الكريم عليه السلام وجدناها مليئة بالنشاط حافلة بالعمل . فهو يقول فيما يروى عنه : « مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم . فقال الصحابة وأنت . قال : نعم . كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » .

وإذا أمعنا النظر فى كتب السنة وجدنا أن الرسول عليه السلام يوصى بأن يأكل الإنسان من عمل يده بل يجعل الأكل من عمل اليد من أحب الأعمال إلى الله . فيقول : « ماأكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » . بل ترى الرسول عليه السلام يبارك جهود الكادحين فيدعو

لهم بالبركة قائلاً : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » ويقول عليه السلام حاثاً على طلب الرزق وأنه حتم لازم على كل مسلم : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » .

فعلى المسلم أن يناضل ويكافح ويأخذ بالأسباب حتى يكف وجهه عن ذل السؤال . على المسلم أن يصون حياءه عن الخدش وكرامته عن الإهدار . فالرجل الشريف هو الذى يعمل طول يومه ثم يأتى آخر اليوم ليس لأحد بعد الله عليه منة إلا عمله . والمسلم حقاً هو الذى ينظر إلى هـذه الدنيا على أنها دار عمل . وأن الله أوجدنا فيها لنعمل على عمارتها واستخراج كنوزها والاستمتاع بخيراتها . قال تعالى : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) وقال تعالى (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) . هذا هو موقف الإسلام من العمل ـ أمر من الله به وحث من الرسول عليه ، ودعاء منه عليه السلام للعاملين الكادحين ، ولكن فريقاً من الناس فهموا أن الإسلام دين العزلة ودين الكسل ودين التواكل ، ودين يحبذ الفقر ويدعو إليه ، فراحوا يسيحون فى الأرض لا عمل لهم . يعيشون عالة على الناس ، وعبئاً ثقيلا على المجتمع ينتقلون من بلد إلى بلد بحثاً عن المطعم اللين الهين وجريا وراء العيش الحرام . فإذا مادعوتهم إلى عمل شريف يتعيشون منه ، قالوا : نحن قوم زهدنا فى الدنيا ، ونحن قوم متوكلون على الله . كذبوا . والله وقالوا زوراً وبهتانا . فليس من التوكل أن يعيش الإنسان كَلاً على غيره .

« المقال بقية »

٤٧

من وحي التوحيد

للأديب حسن جمعه المبارك

زار النبي صلى الله عليه وسلم دار عبد الى بن عمرو بن العاص فقال لزوجته كيف أنت؟ قالت حرم فلا ينام ، ولا يفطر ، ولا يأكل اللحم ، ولا يؤدى لأهله حقوقهم قال فأين هو. قالت : خرج و يوشك أن يعود الساعة قال إذا رجع فاحبسيه على . وخرج الرسول ولما عاد قال ياعبد الله : ماهذا الذى بلغنى عنك أنك لا تنام قال أردت بذلك الأمن من الفزع الأكبر ، قال و بلغنى أنك لاتفطر قال أردت بذلك ماهوخير منه فى الجنة ، قال و بلغنى أنك لاتؤدى إلى أهلك حقوقهم قال . أردت بذلك خيراً منهن . فقال صلوات الله عليه « إن لك فى رسول الله أسوة حسنة فرسول الله يصوم ، ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدى إلى أهله حقوقهم ، ياعبد الله أن لك عليك حقا ، وإن لبدنك عليك حقاً و إن لأهلك عليك حقاً .

ـ اذكر أننى ـ فى صغرى ـ كنت أتخذ هذه القصة حجة على والدى ـ الصوفى ، الرفاعى الطريقة ـ فكنت أحرجه بها كلما ضمنا مجلس نقاش ، ولكنه كان ـ يسكتنى باستغلاله سطوة الأبوة وسلطانها . ولكنى كنت أعيش فى معنى هذه القصة الكبيرة فيزداد كرهى للصوفية والمتصوفة .

يا أخى إن كل إنسان مركب من مادة وروح ، ولكل من المادة والروح نظام خاص ، وعالم يحياه ويعيش فيه ، فمن استطاع أن يوفق بين نزوات الجسد ، ونداء الروح ، ومن استطاع أن يلجم هياج المادة بروية الروح من استطاع ذلك فهو إنسان آمن بربه حق الإيمان ، ووحده حق التوحيد وعرف سر الوجود ، وفطن إلى كنه الحياة .

وعلى الإنسان فى هذه الحياة حقوق ، حق لربه ، وحق لجسده ، وحق لنفسه ، وحق لقلبه . فإذا لبس كان لباسه كى يحفظ لجسمه قوته ويرد عن بدنه هجمات الطبيعة وعادياتها . وإذا أكل كان طعامه لكى يقوم جسمه ويقوى على عبادة الله فيستطيع بذلك أن يداوم

على طاعة الله . ومن هنا كان على الإنسان أن يحول بين قلبه ومتاع الدنيا لأن القلب الحى أكثر القلوب تأثراً بآيات العفاف والطهر ، وأكثرها إحساساً بما يفيض عليه . لا من فيوضات الدنيا حيث سائر الدواب ، بل من الأفق الأعلى الذي يستمد منه جماله وسموه ونعيمه .

وأحب هنا أن ألفت نظر أخي القارىء إلى حقيقة أخطأ فى فهمها أدعياء الصوفية ، فهم يعتقدون أن فى الزهد والعزوف عن الحياة الدنيا والإغراق فى الروحانيات منجاة لهم من شرور الدنيا فيرضى الله عنهم و يدخلهم جناته ولكن هذا فقه أعوج لدين الله وسنة رسوله الكريم صلوات الله عليه ــ فليس الزهد روحانية تبعد الإنسان عن واقع الحياة وعن الجهاد والسعى إنما الزهد صرف النظر عن محارم الله ، وعن عورات الناس وأن يبتغى فيما أتاه الله الدار الآخرة ، وقد سئل الإمام الجليل أحمد بن حنبل هل يكون المرء زاهداً ومعه ألف دينار .... قال نعم قيل وما آية ذلك قال : آيته أنه إذا زادت لم يفرح ، وإذا نقصت لم يحزن . . وكتاب الله قرر هذه الحقيقة (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

فكل إنسان مأمور بأن يكون له حياتان . مادية وروحية يؤدى بالمادة لنفسه مطالب البدن و يؤدى بالروح لنفسه الطمأنينة والسعادة واليقين . وجنوح الإنسان إلى إحدى هاتين الحالتين تحريف لسنة الله و بعد عن هدى الرسول صلوات الله عليه . وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم فالإنسان الذى يعيش عيشة أهل العصر مقبلا على المال منافساً على اللقمة ، جاعلا كل همه وجده غذاء يملأ به بطنه شغوفاً بمطالب الجاه والسلطان مسخراً قوته لمتاع زائف وعرض حائل . هذا الإنسان بعمله هذا قطع مابينه و بين سنة الله التى تصله بالعالم العلوى . ومثل هذا . ذلك الرجل الذى ينصرف عن الدنيا و يعرض عن الناس إلى صومعة يقضى فيها سحابة النهار صائماً وطول ليله مصلياً قائماً يقنع بالطعام الجاف والخبز الجاف ومن اللباس الأسمال المزقة و يكفيه أنه نجح فى الابتعاد عن الدنيا وزخرفها ، وعن شهوات البطن والبدن . مثل هذا زهده وورعه كمثل سابقه فى شهواته ومطالبته ، كلاهما عطل سنة الله ، وحالف هدى نبيه الكريم و إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

استقيموا معشر القراء

بهذا العنوان جاءتنا كلمة من الأخ طه عبد الفتاح مقلد الطالب بكلية الآداب باسكندرية نقتبس منها مايأتى ، راجين من الله أن يوفقه فى حياته الدراسية ليخدم بها حياتنا الإيمانية.

أيها القراء : إن الاستقامة أن تأخذ نفسك بقراءة القرآن قراءة تدبر لمعانيه ، وألا تكون كالببغاء يردد مايسمع فى غير إدراك أو وعى لما يقول . ولكن كونوا كالسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ الذين علموا علم اليقين كيفية قراءة القرآن . فقد ذكر أبو عمرو الدانى فى كتاب البيان له بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزنها إلى عشر آخر حتى يتعلموا مافيه من العمل ، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً . وذكر عبد الرازق عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السلمى . قال : كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشرة التى بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها . . ومن هذا كثير من الروايات التى تدل على مدى حرص السلف الصالح على معرفة أحكام القرآن ومن ذلك أيضاً فيما يروى فى موطإ مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها . وعن مرادس بن محمد قال : حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال : تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً .

هذه هى صورة واضحة لموقف السلف الصالح من قراءة كتاب الله . ولكن نحن اليوم نقرأ القرآن ليقال عنا أننا نقرأ القرآن .

أيها المسلمون ينبغى لقارىء القرآن أن يأخذ نفسه بالتباعد عن طرق الشبهات . فلا يخوض . ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح ويأخذ نفسه بالحلم والوقار . ويتواضع للفقراء ويتجنب التكبر . وأن يؤمن شره ويرتجى خيره وأن يتعلم أحكام القرآن وقصارى القول أن يتحلى بفضائل القرآن حتى يستقيم ـ وعلى الله قصد السبيل .

وجوب التزام النصوص فى العبادات

لا تؤخذ المسائل الدينية المحضة : وهى العقائد والعبادات ، والحظر والإباحة الدينيان إلا من نصوص القرآن الكريم ، ثم من بيان السنة لها بالقول أو العمل على الوجه والصفة التى كان عليها الصدر الأول من الصحابة ، فما أجمعوا عليه فلا عذر لأحد فى مخالفته ، وما ثبت أنهم اختلفوا فيه ينظر فى دلائله ويرجح بعضها على بعض ، وما ورد فيه نص تكليفى غير قطعى الدلالة ، أو حديث غير واه ولا صحيح فاختلف فيه الصحابة أو غيرهم من علماء السلف وأئمة الفقه للاختلاف فى صحة روايته ، أو صراحة دلالته ، فمثل هذا يعمل به كل مكلف باجتهاد نفسه ، ويعذر كل من خالفه فيما ظهر له أنه الحق فلا يعيبه ولا ينتقده .

كما اختلف السلف فى بعض أحكام الطهارة والنجاسة ، ولم يعب أحد مخالفه فيه ، ولم يمتنع من الصلاة معه ، لا إماماً ولا مقتدياً ، وكما فهم بعض الصحابة من آية البقرة فى الخمر بتحريمها ، وبعضهم عدم تحريمها ، فعمل كل بما ظهر له ، ولم يعترض على غيره .

ومثله مايستنبطه العلماء من الكتاب والسنة فى كل زمان . فمن ظهر أن ذلك من الدين ، وأن كلام الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم دالة عليه ، عمل به . ومن لم يظهر له ذلك فلا يكلفه تقليداً لمن استنبطه .

وقد نقل عن أشهر المجتهدين من الفقهاء أنه لا يجوز لأحد أن يقلدهم ، أو أن يأخذ بشىء من أقوالهم ، إلا إذا عرف مأخذه، وظهر له صحة دليله ، وعند ذلك يكون متبعاً لما أنزل الله ، لا لآراء الناس ، فلا يكون مخالفاً لقوله تعالى : (اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ولا يجوز بحال من الأحوال إحداث عبادة جديدة ، أو الإتيان بعبادة مأثورة على غير الوجه الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وجمهور أصحابه رضى الله عنهم لا بقياس ولا بدعوى إجماع لمن بعدهم ، ولا لغير ذلك من العلل والنظريات .

. . للبحث بقية (من كتاب تنبيه الأذهان)